سورة الروم

مكية وآياتها ستون آية

بين يدي السورة

سورة الروم مكية ، وأهدافها نفس أهداف السورة المكية ، التي تعالج قضايا العقيدة الإسلامية ، في إطارها العام وميدانها الفسيح " الإيمان بالوحدانية ، وبالرسالة ، وبالبعث والجزاء " .

* ابتدأت السورة الكريمة بالتنبؤ عن حدث غيبي هام ، أخبر عنه القرآن الكريم قبل حدوثه ، ألا وهو انتصار الروم على الفرس ، في الحرب التي ستقع قريبا بينهما ، وقد حدث كما أخبر عنه القرآن ، وبذلك تحققت النبوءة ، وذلك من أظهر الدلائل على صدق محمد (ص) فيما جاء به من الوحي ، ومن أعظم معجزات القرآن [الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون] الآيات .

* ثم تحدثت السورة عن حقيقة المعركة بين حزب الرحمن ، وحزب الشيطان ، وأنها معركة قديمة قدم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذه الحياة ، فالحرب لا تهدأ ما دام هناك حق وباطل ، وخير وشر ، وما دام الشيطان يحشد أعوانه وأنصاره لإطفاء نور الله ، ومحاربة دعوة الرسل الكرام ، وقد ساقت الآيات دلائل وشواهد على انتصار الحق على الباطل ، في شتى العصور والدهور ، وتلك هي سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا [ويوم تقوم الساعة يبلس المجرهون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين] الآيات

* ثم تناولت السورة الحديث عن القيامة وأهوالها وعن المصير المشنوم لأهل الكفر والضلال في ذلك اليوم العصيب ، حيث يكون المؤمنون في روضات يحبرون ، ويكون المجرمون في العذاب محضرين ، وتلك نهاية المطاف للأبرار والفجار ، والعاقبة الموكدة للمحسنين والمجرمين [ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفزقون . فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون . وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون] الآيات .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* وتناولت السورة بعد ذلك بعض المشاهد الكونية ، والدلائل الغيبية ، الناطقة بقدرة الله ووحدانيته ، لإقامة البرهان على عظمة الواحد الديان ، الذي تخضع له الرقاب ، وتعنو له الوجوه ، وضربت بعض الأمثلة للتفريق والتمييز بين من يعبد الرحمن ، وبين من يعبد الأوثان [فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد فى السموات وفى الأرض وعشيا وحين يظهرون] الآيات .

* وختمت السورة بالحديث عن كفار قريش ، إذ لم تنفعهم الآيات والنذر ومهما رأوا من الآيات الباهرة ، والبراهين الساطعة ، لا يعتبرون ولا يتعظون ، لأنهم كالموتى لا يسمعون ولا يبصرون ، وكل ذلك بقصد التسلية لرسول الله (ص) لحينه عما يلقاه من أذى المشركين ، والصبر حتى يأتي النصر .

التسمية :

سميت بسورة الروم " لذكر تلك المعجزة الباهرة ، التي تدل على صدق أنباء القرآن العظيم [ألم غلبت الروم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين] وتلك هي بعض معجزات القرآن .

قال الله تعالى : [ألم غلبت الروم في أدنى الأرض . .] إلى قوله [وكذلك تخرجون] من آية (1) إلى نهاية آية (19) .

اللغة :

[يغلبون] يهزمون ويقهرون

[أثاروا الأرض] حرثوها وقلبوها للزرا عة

[السوءى] تأنيث الأسوء وهو الأقبح ، كما أن الحسنى تأنيث الأحسن ، والسوءى : العقوبة المتناهية في السوء

[يحبرون] يسرون يقال : حبره إذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر عليه أثره ، قال الجوهري : الحبور : السرور ، ويحبرون : ينعمون ويسرون

[عشيا] العشي : من صلاة المغرب إلى العتمة

[تظهرون] تدخلون وقت الظهيرة .

التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ألم] الحروف المقطعة للتنبيه على إعجاز القرآن

[غلبت الروم في أدنى الأرض] أي هزم جيش الروم ، في أقرب أرضهم إلى فارس

[وهم من بعد غلبهم سيغلبون] أي وهم من بعد انهزامهم ، وغلبة فارس لهم سيغلبون الفرس ، وينتصرون عليهم

[في بضع سنين] أي في فترة لا تتجاوز بضة أعوام ، والبضع : ما بين الثلاث إلى التسع ، قال المفسرون : كان بين فارس والروم حرب ، فغلبت فارس الروم ، فبلغ ذلك رسول الله (ص) وأصحابه فشق ذلك عليهم ، وفرح المشركون بذلك ، لأن أهل فارس كانوا مجوسا ، ولم يكن لهم كتاب ، والروم أصحاب كتاب ، فقال المشركون لأصحاب رسول الله (ص) : إنكم أهل كتاب ، والروم أهل كتاب ، ونحن أميون ، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس ، على إخوانكم من الروم ، فلنظهرن عليكم ! ! فقال أبو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بكر : لا يقر الله أعينكم ، فأنزل الله [وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين] وقد التقى الجيشان في السنة السابعة من الحرب ، وغلبت الروم فارس وهزمتهم ، وفرح المسلمون بذلك ، قال أبو السعود : وهذه الآيات من البينات الباهرة ، والشاهدة بصحة النبوة ، وكون القرآن من عند الله عز وجل ، حيث أخبر عن الغيب الذي لا يعلمه إلا العليم الخبير ، ووقع كما أخبر ، وقال البيضاوي : والآية من دلائل النبوة لأنها إخبارعن الغيب

[لله الأمر من قبل ومن بعد] أي لله عز وجل الأمر أولا وآخرا ، من قبل الغلبة ، ومن بعد ما يغلبون أعداءهم الفرس ، فكل ذلك بأمر الله وإرادته ، ليس شيء منهما إلا بقضائه ، قال ابن الجوزي : المعنى إن غلبة الغالب ، وخذلان المغلوب ، بأمر الله وقضائه

[ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله] أي ويوم يهزم الروم الفرس ، ويتغلبون عليهم ، ويحل ما وعده الله من غلبتهم ، يفرح المؤمنون بنصر الله لأهل الكتاب ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على المجوس ، لأن أهل الكتاب أقرب إلى المؤمنين من المجوس ، وقد صادف ذلك اليوم يوم (غزوة بدر) قال ابن عباس : كان يوم بدر هزيمة عبدة الأوثان ، وعبدة النيران

[ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم] اي ينصر الله من يشاء من عباده ، وهو العزيز بانتقامه من أعدائه ، الرحيم بأوليائه وأحبابه

[وعد الله لا يخلف الله وعده] أي ذلك وعد مؤكد ، وعد الله به ، فلا يمكن أن يتخلف ، لأن وعده حق ، وكلامه صدق

[ولكن أكثر الناس لا يعلمون] أي لا يعلمون ذلك لجهلهم ، وعدم تفكرهم

[يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا] أي يعلمون أمور الدنيا ومصالحها ، وما يحتاجون إليه فيها من أمور الحياة ، كالزراعة والتجارة والبناء ونحو ذلك ، قال ابن عباس : يعلمون أمر معايشهم ، متى يزرعون ؟ ومتى يحصدون ؟ وكيف يغرسون ؟ وكيف يبنون ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وهم عن الآخرة هم غافلون] أي وهم عمى عن أمر الآخرة ، ساهون غافلون عن التفكر فيها ، والعمل لها ، قال الإمام الفخر : ومعنى الآية أن عملهم منحصر في الدنيا ، وهم مع ذلك لا يعلمون الدنيا كما هي ، وإنما يعلمون ظاهرها ، وهي ملاذها وملاعبها ، ولا يعلمون باطنها ، وهي مضارها ومتاعبها ، ويعلمون وجودها الظاهر ، ولا يعلمون فناءها ، وهم عن الآخرة غافلون ، وفي التعبير بقوله [ظاهرا] إشارة إلى أنهم عرفوا القشور ، ولم يعرفوا اللباب ، فكأن علومهم إنما هي علوم البهائم

[أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى] أي أولم يتفكروا في أنفسهم ، ما خلق الله العظيم الجليل ، هذه السموات والأرض عبثا ! ! وإنما خلقهما بالحكمة البالغة ، لإقامة الحق لوقت ينتهيان إليه ، وهو يوم القيامة ؟ قال القرطبي : وفي هذا تنبيه على الفناء ، وعلى أن لكل مخلوق أجلا ، وعلى ثواب المحسن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعقاب المسيء

[وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون] أى وأكثر الناس منكرون جاحدون للبعث والجزاء

[أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم] أي أولم يسافروا فينظروا مصارع الأمم قبلهم ، كيف أهلكوا بتكذيبهم رسلهم فيعتبروا ! !

[كانوا أشد منهم قوة] أي كانوا أشد منهم أجسادا ، وأكثر أموالا وأولادا

[وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها] أي وحرثوا الأرض للزراعة ، وحفروها لإستخراج المعادن ، وعمروها بالأبنية المشيدة ، والصناعات الفريدة ، أكثر مما عمرها هؤلاء ! ! قال البيضاوي : وفي الآية تهكم بأهل مكة ، من حيث أنهم مغترون بالدنيا ، مفتخرون بها ، وهم أضعف حالا فيها ، إذ مدار أمرها على السعة في البلاد ، والتسلط على العباد ، والتصرف في أقطار الأرض بأنواع العمارة ، وهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ضعفاء ملجأون إلى دار لا نفع فيها

[وجاءتهم رسلهم بالبينات] أي وجاءتهم الرسل بالمعجزات الواضحات والآيات البينات فكذبوهم

[فما كان الله ليظلمهم] أي فما كان الله ليهلكهم بغير جرم

[ولكن كانوا أنفسهم يظلمون] أي ولكن ظلموا أنفسهم بالكفر والتكذيب ، فاستحقوا الهلاك والدمار

[ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى] أي ثم كان عاقبة المجرمين ، العقوبة التي هي أسوأ العقوبات ، وهي نار جهنم

[أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزءون] أي لأجل أنهم كذبوا بآياتنا المنزلة على رسلنا ، وإستهزءوا بها

[الله يبدأ الخلق ثم يعيده] أي الله جل وعلا بقدرته ينشىء خلق الناس ، ثم يعيد خلقهم بعد موتهم

[ثم إليه ترجعون] أي ثم إليه مرجعكم للحساب والجزاء

[ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون] أي ويوم تقوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القيامة ويحشر الناس للحساب ، يسكت المجرمون ، وتتقطع حجتهم ، فلا يستطيعون أن ينبسوا ببنت شفة ، قال ابن عباس : [يبلس المجرمون] ييأس المجرمون ، وقال مجاهد : يفتضح المجرمون ، قال القرطبى : والمعروف في اللغة : أبلس الرجل إذا سكت وانقطعت حجتة

[ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء] أي ولم يكن لهم من الأصنام التي عبدوها ، شفعاء يشفعون لهم

[وكانوا بشركائهم كافرين] أي تبرءوا منها وتبرأت منهم

[ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون] كرر لفظ قيام الساعة للتهويل والتخويف ، لأن قيام الساعة أمر هائل ، أي ويوم تقوم القيامة يومئذ يتفرق المؤمنون والكافرون ، ويصبحون فريقين : فريق في الجنة ، وفريق في السعير ، ولهذا قال

[فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات] أي فأما المؤمنون المتقون ، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصالح

[فهم في روضة يحبرون] أي فهم في رياض الجنة ، يسرون وينتمون

[وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة] أي وأما الذين جحدوا بالقرآن ، وكذبوا بالبعث بعد الموت

[فأولئك في العذاب محضرون] أي فأولئك في عذاب جهنم ، مقيمون فيها على الدوام

[فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون] أي سبحوا الله ونزهوه عما لا يليق به من صفات النقص ، حين تدخلون في المساء ، وحين تدخلون في الصباح

[وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون] أي وهو جل وعلا المحمود في السموات والأرض ، قال ابن عباس : يحمده أهل السموات وأهل الأرض ويصلون له ، قال المفسرون : [وله الحمد في السموات والأرض] جملة اعتراضية وأصل الكلام :

[فسبحان الله حين تمسون وحبن تصبحون وعشيا وحين تظهرون] والحكمة في ذلك ، الاشارة إلى أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التوفيق للعبادة نعمة ينبغي أن يحمد عليها ، والعشي : من صلاة المغرب إلى العتمة [وتظهرون] أي تدخلون وقت الظهر

[يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحي] أي يخرج المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن ، والنبات من الحب ، والحب من النبات ، والحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان

[ويحي الأرض بعد موتها] أي ويحي الأرض بالنبات ، بعد يبسها وجدبها

[وكذلك تخرجون] أي كما يخرج الله النبات من الأرض ، كذلك يخرجكم من قبوركم للبعث يوم القيامة ، قال القرطبي : بين تعالى كمال قدرته ، فكما يحى الأرض بإخراج النبات بعد همودها كذلك يحييكم بالبعث .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1 - الطباق بين [غلبت . . ويغلبون] وبين [قبل . . وبعد] .
2 - طباق السلب [لا يعلمون . . يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا] .
3 - صيغة المبالغة [وهو العزيز الرحيم] أي البليغ في العزة ، والمبالغ في الرحمة .
4 - تكرير الضمير لإفادة الحصر [وهم عن الآخرة هم غافلون] ووردوها جملة إسمية ، للدلالة على استمرار غفلتهم ودوامها . ،
5 - الإنكار والتوبيخ [أولم يسيروا في الأرض فينظروا] الآية .
6 - جناس الاشتقاق [أساءوا السوءى] .
7 - ا لطبا ق بين [يبدىء . . وشيد] وبين [تمسون . . وتصبحون] .
8 - المقابلة بين حال السعداء والأشقياء [فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون وأما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذي كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك قي العذاب محضرون] .

9 - الاستعارة اللطيفة [يخرج الحى من الميت] استعار الحى للمؤمن ، والميت للكافر ، وهي استعارة في غاية الحسن والإبداع والجمال .

10 - مراعاة الفواصل في الحرف الأخير ، لما له من أجمل الوقع على السمع ، مثل [وإليه ترجعون] [في روضة يحبرون] [في العذاب محضرون] .

لطيفة :

قال الزمخشري : دل قوله تعالى [يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا] على أن للدنيا ظاهرا وباطنا ، فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها ، والتنعم بملاذها ، وباطنها وحقيقتها أنها معبر للآخرة ، يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة . ولقد أحسن من قال : أبني إن من الرجال بهيمة في صورة الرجل السميع المبصر فطن بكل مصيبة في ماله فإذا أصيب بدينه لم يشعر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الله تعالى : [ومن آياته أن خلقكم من تراب . . .] إلى قوله [سبحانه وتعالى عما يشركون] من آية (20) إلى نهاية آية (40) .

المناسبه :

لما ذكر تعالى أحوال الناس في الآخرة ، وقدرته على البدء وإعادة ، ذكر هنا الأدلة على الربوبية والوحدانية ، في خلق البشر ، واختلاف الألسنة والصور ، ثم إحياء الأرض بالمطر ، وفي قيام الناس ومنامهم ، ثم ضرب الأمثال للمشركين في عبادتهم لغير الله ، مع أنه وحده جل وعلا الخالق الرازق .

اللغه :

[آياته] جمع آية وهي العلامة الدالة على الوحدانية

[تنتشرون] تتصرفون في شؤون معايشكم

[لتسكنوا إليها] لتميلوا إليها وتألفوها

[قانتون] مطيعون منقادون لإرادته

[المثل الأعلى] الوصف الأعلى قي الكمال والجلال

[القيم] المستقيم الذي لا عوج فيه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[منيبين] الإنابة : الرجوع إلى الله بالتوبة والإخلاص .

التفسير :

[ومن آياته أن خلقكم من تراب] أي ومن آياته الباهرة ، الدالة على عظمته وكمال قدرته ، أن خلق أصلكم " آدم " من تراب ، وإنما أضاف الخلق إلى الناس [خلقكم] لأن آدم أصل البشر

[ثم إذا أنتم بشر تنتشرون] أي ثم أنتم تتطورون من نطفة ، إلى علقة ، إلى مضغة ، إلى أناس عقلاء ، تتصرفون فيما هو قوام معايشكم ، قال ابن كثير : فسبحان من خلقهم وسيرهم وسخرهم وصرفهم ، في فنون المعايش والمكاسب ، وفاوت بينهم في العلوم والفكر ، والحسن والقبح ، والغنى والفقر ، والسعادة والشقاوة

[ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا] أي من آياته الدالة على عظمته ، وكمال قدرته ، أن خلق لكم من صنفكم وجنسكم نساء آدميات مثلكم ، ولم يجعلهن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من جنس آخر ، قال ابن كثير : ولو أنه تعالى جعل الإناث من جنس آخر ، من جان أو حيوان ، لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج ، بل كانت تحصل النفرة ، وذلك من تمام رحمته ببني آدم

[لتسكنوا إليها] أي لتميلوا إليهن وتألفوهن

[وجعل بينكم مودة ورحمة] أي وجعل بين الأزواج والزوجات محبة وشفقة ، قال ابن عباس : المودة : حب الرجل امرأته ، والرحمة شفقته عليها أن يصيبها بسوء

[إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون] أي إن فيما ذكر لعبرا عظيمة ، لقوم يتفكرون في قدرة الله وعظمته ، فيدركون حكمته العلياء

[ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم] أي ومن آياته العظيمة الدالة على كمال قدرته خلق السموات في ارتفاعها واتساعها ، وخلق الأرض في كثافتها وانخفاضها ، واختلاف اللغات من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عربية وعجمية ، وتركية ، ورومية ، واختلاف الألوان من أبيض وأسود وأحمر ، حتى لا يشتبه شخص بشخص ، ولا إنسان بإنسان ، مع أنهم جميعا من ذرية آدم

[إن في ذلك لآيات للعالمين] أي لمن كان من ذوي العلم والفهم والبصيرة

[ومن آياته منامكم بالليل والنهار] أي ومن آياته الدالة على كمال قدرته ، نومكم في ظلمة الليل ، ووقت الظيرة بالنهار راحة لأبدانكم

[وإبتغاؤكم من فضله] أي وطلبكم للرزق بالنهار

[إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون] أي يسمعون سماع تفهم واستبصار

[ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا] أي ومن آياته العظيمة الدالة على قدرته ووحدانيته ، أنه يريكم البرق خوفا من الصواعق ، وطمعا في الغيث والمطر ، قال قتادة : خوفا للمسافر ، وطمعا للمقيم

[وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أي وينزل المطر من السماء ، فينبت به الأرض بعد أن كانت هامدة جامدة ، لا نبات فيها ولا زرع

[إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون] أي إن في ذلك المذكور ، لعبرا وعظات ، لقوم يتدبرون بعقولهم ألاء الله

[ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره] أي ومن آياته الباهرة الدالة على عظمته ، أن تستمسك السموات بقدرته بلا عمد ، وأن تثبت الأرض بتدبيره وحكمته ، فلا تتكفىء بسكانها ، ولا تنقلب بأهلها

[ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون] أي ثم إذا دعيهتم إلى الخروج من القبور ، إذا أنتم فورا تخرجون للجزاء والحساب ، لا يتأخر خروجكم طرفة عين ، قال المفسرون : وذلك حين ينفخ إسرافيل في الصور النفخة الثانية ، ويقول : يا أهل القبور قوموا ، فلا تبقى نسمة من الأولين والآخرين ، إلا قامت تنظر

[وله من في السموات والأرض] أي وله جل وعلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كل من في السموات والأرض ، من الملائكة والإنس والجن ، ملكا وخلقا وتصرفا ، لا يشاركه فيها أحد

[كل له قانتون] أي جميعهم خاشعون خاضعون منقادون لأمره تعالى

[وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده] أي وهو تعالى ينشىء الخلق من العدم ، ثم يعيدهم بعد موتهم للحساب والجزاء

[وهو أهون عليه] أي إعادة الخلق أهون عليه من بدئه ، قال ابن عباس : يعني أيسر عليه ، وقال مجاهد : الإعادة أهون عليه من البداءة ، والبداءة عليه هينة قال المفسرون : خاطب تعالى العباد بما يعقلون ، فإذا كانت الإعادة أسهل من الابتداء ، في تقديركم وحكمكم ، فإن من قدر على الإنشاء ، كان البعث أهون عليه ، حسب منطقكم وأصولكم ((هذا قول ذهب إليه فريق ، فيكون أفعل التفضيل {أهون } بالنسبة لمفاهيم البشر ، وذهب بعض المفسرين إلى أن أفعل التفضيل ليس على بابه فيكون معنى {أهون } أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهو هين عليه))

[وله المثل الأعلى] أي له الوصف الأعلى الذي ليس لغيره ما يدانيه فيه ، من الجلال والكمال ، والعظمة والسلطان

[فى السموات والأرض] أي يصفه به من فيهما ، وهو أنه تعالى ليس كمثله شيء

[وهو العزيز الحكيم] أي القاهر لكل شيء ، الحكيم الذي كل أفعاله على مقتض الحكمة والمصلحة . . ثم وضح تعالى بطلان عبادتهم للأوثان بمثل ، فقال سبحانه :

[ضرب لكم مثلا من أنفسكم] أي ضرب لكم أيها القوم ربكم ، مثلا واقعيا من أنفسكم

[هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم] أي هل يرضى أحدكم ، أن يكون عبده ومملوكه شريكا له في ماله ، الذي رزقه الله تعالى ؟ فإذا لم يرض أحدكم لنفسه ذلك ، فكيف ترضون لله شريكا له ؟ وهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الأصل مخلوق وعبد لله ؟

[فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم] هذا من تتمة المثل ، أي أنتم لا ترضون أن يشارككم عبيدكم ومماليككم ، فيما بأيديكم من الأموال ، وهم أمثالكم في البشرية ؟ فكيف تشركون به سبحانه مخلوقاته ؟ حيث تصنعونها بأيديكم ثم تعبدونها ؟ هل هذا منطق سليم ، ورأي قويم ؟ فكيف رضيتم لله شريكا في خلقه وملكه ؟

[كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون] أي مثل ذلك البيان الواضح ، نبين الآيات لقوم يستعملون عقولهم في تدبر الأمثال

[بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم] بل للإضراب أي ليس لهم حجة ولا معذرة في إشراكهم بالله ، بل ذلك بمجرد هوى النفس ، بغير علم ولا برهان ، قال القرطبي : لما قامت عليهم الحجة ، ذكر أنهم يعبدون الأصنام باتباع أهوائهم في عبادتها ، وتقليد الأسلاف في ذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فمن يهدي من أضل الله] أي لا أحد يستطيع أن يهدي من أراد الله إضلاله

[وما لهم من ناصرين] أي ليس لهم من عذاب الله منقذ ولا ناصر

[فأقم وجهك للدين] أي أخلص دينك لله ، وتوجه إلى الإسلام بهمة ونشاط

[حنيفا] أي مائلا عن كل دين باطل ، إلى الدين الحق وهو الإسلام

[فطرة الله التي فطر الناس عليها] أي هذا الدين الحق ، الذي أمرناك بالاستقامة عليه ، هو خلقة الله التي خلق الناس عليها ، وهو فطرة التوحيد ، كما في الحديث (كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه) الحديث

[لا تبديل لخلق الله] أي لا تغيير لتلك الفطرة السليمة من جهته تعالى ، قال ابن الجوزي : لفظه لفظ النفي ، ومعناه النهي ، أي لا تبدلوا خلق الله ، فتغيروا الناس عن فطرتهم ، التي فطرهم الله عليها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ذلك الدين القيم] أي ذلك هو الدين المستقيم

[ولكن أكثر الناس لا يعلمون] أي أكثر الناس جهلة لا يتفكرون ، فيعلمون أن لهم خالقا معبودا

[منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة] أي أقيموا وجوهكم أيها الناس ، على الذين الحق ، حال كونكم منيبين إلى ربكم ، أي راجعين إليه بالتوبة وإخلاص العمل ، وخافوه وراقبوه في أقوالكم وأفعالكم ، وأقيموا الصلاة على الوجه الذي يرضي الله

[ولا تكونوا من المشركين] أي ولا تكونوا ممن أشرك بالله ، وعبد غيره ! ثم فسر المشركين بقوله

[من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا] أي من الذين اختلفوا في دينهم ، وغيروه وبدلوه ، فأصبحوا شيعا وأحزابا ، كل يتعصب لدينه ، وكل يعبد هواه

[كل حزب بما لديهم فرحون] أي كل جماعة وفرقة متمسكون بما أحدثوه ، مسرورون بما هم عليه من الدين المعوج ، يحسبون باطلهم حقا ، قال ابن كثير : أي لا تكونوا من المشركبن الذين فرقوا دينهم ، أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بدلوه وغيروه ، وآمنوا ببعض وكفروا ببعض ، كإليهود والنصارى ، والمجوس وعبدة الأوثان ، وسائر أهل الأديان الباطلة - مما عدا أهل الإسلام - فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على أراء ومذاهب باطلة ، وكل فرقة منهم تزعم أنهم على شيء

[وإذا مس الناس ضر] أي وإذا أصاب الناس شدة وفقر ، ومرض ، وغير ذلك من أنواع البلاء

[دعوا ربهم منيبين إليه] أي أفردوه تعالى بالتضرع والدعاء لينجوا من ذلك الضر ، وتركوا اصنامهم ، لعلمهم لأنه لا يكشف الضر إلا الله تعالى ، فلهم في ذلك الوقت إنابة وخضوع

[ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون] أي ثم إذا أعطاهم السعة والرخاء والصحة ، وخلصهم من ذل الضر والشدة ، إذا جماعة منهم يشركون بالله ويعبدون معه غيره ، والغرض من الآية : التشنيع على المشركين ، فإنهم يدعون الله في الشدائد ، ويشركون به في الرخاء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ليكفروا بما أتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون] أمر على وجه التهديد ، أي ليكفروا بنعم الله ، وليتمتعوا في هذه الدنيا ، فسوف تعلمون أيها المشركون ، عاقبة تمتعكم بزينة الحياة ونعيمها الفانى

[أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون] الاستفهام للإنكار والتوبيخ والمعنى : هل أنزلنا على هؤلاء المشركين ، حجة واضحة قاهرة على شركهم ، أو كتابا من السماء ، فهو ينطق ويشهد بشركهم ؟ وبصحة ما هم عليه ؟ ليس الأمر كما يتصورون ، والمراد ليس لهم حجة بذلك

[وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها] أي وإذا أنعمنا على الناس بالخصب والسعة والعافية استبشروا وسروا بها

[وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون] أي وإن أصابهم بلاء وعقوبة بسبب معاصيهم إذا هم ييأسون من الرحمة والفرج ، قال ابن كثير : وهذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إنكار على الإنسان من حيث هو ، إلا من عصمه الله ، إذا أصابته نعمة بطر ، وإذا أصابته شدة قنط وأيس

[أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر] أي أولم يروا قدرة الله ، في البسط والقبض ؟ وأنه تعالى يوسع الخير في الدنيا لمن يشاء ، ويضيق على من يشاء ؟ فلا يجب أن يدعوهم الفقر ، إلى القنوط من رحمته تعالى

[إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون] أي إن في المذكور لدلالة واضحة على قدرة الله ، لقوم يصدقون بحكمة الخالق الرازق

[فاءت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل] أي فأعط القريب حقه من البر والصلة ، وكذلك المسكين ، والمسافر الذي انقطع في سفره ، أعطه من الصدقة والإحسان ، قال القرطبي : لما تقدم أنه سبحانه يبسط الرزق ويقدر ، أمر من وسع عليه الرزق ، أن يعطي الفقير كفايته ، ليمتحن شكر الغني ، والخطاب للنبي عليه السلام ، والمراد هو وأمته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ذلك خير للذين يريدون وجه الله] أي ذلك الإيتاء والإحسان خير للذين يبتغون بعملهم وجه الله ويريدون ثوابه

[وأولئك هم المفلحون] أي وأولئك هم الفائزون بالدرجات العالية

[وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله] أي وما أعطيتم من أموالكم يا معشر الأغنياء ، على وجه الربا ، ليزيد مالكم ويكثر به ، فلا يزيد ولا يزكى ولا يضاعف عند الله ، لأنه كسب خبيث لا يبارك الله فيه ، قال الزمخشري : هذه الآية كقوله تعالى [يمحق الله الربا ويربي الصدقات] سواء بسواء

[وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله] أي وما أعطيتم من صدقة أو إحسان ، خالصا لوجه الله الكريم

[فأولئك هم المضعفون] أي فأولئك هم الذين لهم الضعف من الأجر والثواب ، الذين تضاعف لهم الحسنات

[آلله الذى خلقكم ثم رزقكم] أي الله جل وعلا هو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخالق الرازق للعباد ، يخرج الإنسان من بطن أمه عريانا ، لا علم له ولا سمع ولا بصر ، لم يرزقه بعد ذلك ، المال والمتاع والأملاك

[ثم يميتكم ثم يحييكم] أي ثم يميتكم بعد هذه الحياة ، ثم يحييكم يوم القيامة ، ليجازيكم على أعمالكم

[هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء] أي هل يستطيع أحد ممن تعبدونهم من دون الله ، أن يفعل شيئا من ذلك ؟ بل الله تعالى هو المستقل بالخلق والرزق ، والإحياء والإماتة

[سبحانه وتعالى عما يشركون] أي تنزه جل وعلا وتقدس عن أن يكون له شريك أو مثيل ، أو ولد أو والد ، وتعالى عما يقول المشركون علوا كبيرا!

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الطباق بين قوله [خوفا . . وطمعا] وبين [يبسط . . ويقدر] وبين [يميتكم . . ويحييكم] وبين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يبدء..ويعيد] .

2 - جناس الاشتقاق [دعاكم دعوة] [فطرت الله التي فطر] .

3 - المقابلة بين قوله [وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها] وبين [وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون] .

---

4 - المجاز المرسل [فأقم وجهك] أطلق الجزء وأراد الكل أي توجه إلى الله بكليتك ، واجعل غايتك رضى الله .

5 - السجع المرضع كأنه الدر المنظوم مثل [الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم . .] إلخ .

قال الله تعالى : [ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدي الناس . .] إلى قوله [ولا يستخفنك الذين لا يوقنون] من آية (41) إلى نهاية آية (60) .

المناسبة :

لما شنع على المشركين في عبادتهم لغير الله ، ذكر في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذه الآيات الأسباب الموجبة للمحنة والإبتلاء وهي الكفر ، وانتشار المعاصي ، وكثرة الفجور والموبقات ، التي بسببها تقل الخيرات وترتفع البركات ، وضرب الأمثال بهلاك الأمم السابقة ، تنبيها لقريش ، وأمرا لهم بالاعتبار بمن سبقهم من المشركين المكذبين ، كيف أهلكهم الله بسبب طغيانهم وإجرامهم.

اللغه :

[يصدعون] يتفرقون يقال : تصدع القوم إذا تفرقوا ومنه الصداع لأنه يفرق شعب الرأس

[يمهدون] يجعلون لهم مهدا ويوطنون لهم مسكنا ، والمهاد : الفراش

[كسفا] جمع كسفة وهي القطعة

[الودق] المطر

[مبلسين] يائسين مكتئبين قد ظهر الحزن عليهم من شدة اليأس

[يؤفكون] يصرفون ، والإفك : الكذب

[بستعتبون] يقال : استعتبته فأعتبني أي استرضيته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فأرضاني .

التفسير :

[ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس] أي ظهرت البلايا والنكبات ، في بر الأرض ويحرها ، بسبب معاص الناس وذنوبهم ، قال البيضاوي : المراد بالفساد : الجدب وكثرة الحرق والغرق ، ومحق البركات ، وكثرة المضار ، بشوم معاصى الناس أو بكسبهم إياه وقال ابن كثير : أي بان النقص في الزروع والثمار ، بسبب المعاصي لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة

[ليذيقهم بعض الذى عملوا] أي ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا ، قبل أن يعاقبهم بها جميعاً في الآخرة

[لعلهم يرجعون] أي لعلهم يتويون ويرجعون ، عما هم عليه من المعاصي والآثام

[قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل] أي قل يا أيها الرسول لهؤلاء المشركين :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سيروا فى البلاد ، فانظروا إلى مساكن الذين ظلموا ، كيف كان آخر أمرهم ، وعاقبة تكذيبهم للرسل ، ألم يخرب الله ديارهم ؟ ويجعلهم عبرة لمن يعتبر ؟

[كان أكثرهم مشركين] أي كانوا كافرين بالله فأهلكوا

[فأقم وجهك للدين القيم] أي فتوجه بكليتك إلى الدين المستقيم (دين الإسلام) واستقم عليه في حياتك ، قال القرطبي : أي أقم قصدك واجعل جهتك اتباع الدين القيم يعني الإسلام

[من قبل أن يأتي يوم لا مفر له من الله] أي من قبل أن يأتى ذلك اليوم الرهيب ، الذي لا يقدر أحد على رده ، لأن الله قض به ، وهو يوم القيامة

[يومئذ يصدعون] أي يومئذ يتفرقون ، فريق في الجنة ، وفريق في السعير

[من كفر فعليه كفره] أي من كفر بالله ، فعليه إثم كفره ، مع خلوده في النار المؤبدة

[ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون] أي ومن فعل خيرا وأطاع الله ، فلأنفسهم يقدمون الخير ، ويلقون ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تقر به أعينهم في دار النعيم ، قال القرطبي : أي يوطئون لأنفسهم في الآخرة فراشا ، ومسكنا وقرارا ، بالعمل الصالح ، ومهدت الفراش أي بسطته ووطأته

[ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله] أي يمهدون لأنفسهم ليجزيهم الله من فضله ، الذى وعد به عباده المتقين

[إنه لا يحب الكافرين] أي لا يحب الكافرين ، بل يمقتهم ويبغضهم ، وهو سبحانه يجازي المؤمنين بفضله ، والكافرين بعدله

[ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات] أي ومن آياته الدالة على كمال قدرته ، أن يرسل الرياح تسوق السحاب ، مبشرة بنزول المطر والإنبات والرزق

[وليذيقكم من رحمته] أي ولينزل عليكم من رحمته ، الغيث الذي يحيي به البلاد والعباد

[ولتجرى الفلك بأمره] أي ولتسير السفن في البحر عند هبوب الرياح بإذنه لإرادته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولتبتغوا من فضله] أى ولتطلبوا الرزق بالتجارة في البحر

[ولعلكم تشكرون] أي ولتشكروا نعم الله الجليلة عليكم

[ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم] تسلية للرسول (ص) وتأنيس له بقرب النصر ، أي ولقد أرسلنا من قبلك يا محمد رسلا كثيرين إلى قومهم المكذبين ، كما أرسلناك رسولا إلى قومك

[فجاءوهم بالبينات] أي جاءوهم بالمعجزات الواضحات ، والحجج الساطعات ، الدالة على صدقهم

[فانتقمنا من الذين أجرموا] أي فكذبوهم فانتقمنا من الكفرة المجرمين

[وكان حقا علينا نصر المؤمنين] أي كان حقا واجبا علينا ، أن ننصر المؤمنين على الكافرين ! والآية اعتراضية جاءت بين الآيات المفصلة لأحكام الرياح ، تسلية للنبي عليه السلام ، قال أبو حيان : والآية اعتراض بين قوله [ومن أياته أن يرسل الرياح مبشرات] وبين قوله [الله الذي يرسل الرياح فتثير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سحابا] جاءت تأنيسا للرسول (ص) وتسلية له ، ووعدا له بالنصر ، ووعيدا لأهل الكفر . ثم ذكر تعالى الحكمة من هبوب الرياح ، وهي إنارة السحب ، وإخراج الماء منه ، فقال سبحانه

[الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا] أي يبعث الرياح فتحرك السحاب ، وتسوقه أمامها

[فيبسطه في السماء كيف يشاء] أي فينشره في أعالي الجو ، كيف يشاء ، خفيفا أو كثيفا ، مطبقا أو غير مطبق

[ويجعله كسفا] أي ويجعله أحيانا قطعا متفرقة

[فترى الودق يخرج من خلاله] أي فترى المطر يخرج من بين السحاب

[فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون] أي فإذا أنزل ذلك الغيث على من يشاء من خلقه ، إذا هم يسرون ويفرحون بالمطر

[وأن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين] أي لأن كانوا قبل نزول المطر عليهم ، يائسين قانطين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، قال البيضاوي : والتكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر ، واستحكام يأسهم

[فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحى الأرض بعد موتها] أي فانظر أيها العاقل ، نظر تدبر واستبصار ، إلى ما ينشأ عن آثار نعمة الله بالمطر ، من خضرة الأشجار ، وتفتح الأزهار ، وكثرة الثمار ، وكيف أن الله يجعل الأرض تنبت ، بعد أن كانت هامدة جامدة ؟

[إن ذلك لمحي الموتى] أي إن ذلك القادر على إحياء الأرض بعد موتها ، هو الذي يحي الناس بعد موتهم

[وهو على كل شيىء قدير] أي مبالغ في القدرة على جميع الأشياء ، لا يعجزه شيء

[ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا] أي ولئن أرسلنا على الزرع ، بعد خضرته ونموه ، ريحا ضارة مفسدة ، فرأوا الزرع مصفرا من أثر تلك الريح

[لظلوا من بعده يكفرون] أي لمكثوا بعد اصفراره يجحدون النعمة ، فشأنهم أنهم يفرحون عند الخصب ، فإذا جاءتهم مصيبة في زرعهم جحدوا سابق نعمة الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليهم ! ! ثم نبه تعالى إلى أن هؤلاء الكفار ، كالأموات لا ينفع معهم نصح ولا تذكير ، فقال سبحانه [فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين] أي فإنك يا محمد لا تسمع الأموات ، ولا تسمع من في أذنيه صمم ، تلك المواعظ المؤثرة ، ولو أن أصم ولى عنك مدبرا ثم ناديته لم يسمع ، فكذلك الكافر لا يسمع ، ولا ينتفع بما يسمع ، قال المفسرون : هذا مثل ضربة الله للكفار ، فشبههم بالموتى ، وبالصمم والعمي

[وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم] أي ولست بمرشد من أعماه الله عن الهدى

[إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون] أي ما تسمع إلا من يصدق بآياتنا فهم الذين ينتفعون بالموعظة ، لخضوعهم وانقيادهم لطاعة الله

[الله الذى خلقكم من ضعف] أي الله الذي خلقكم أيها الناس ، من أصل ضعيف وهو النطفة ، وجعلكم تتقلبون في أطوار (الجنين ، الوليد ، الرضيع ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المفطوم) وهي أحوال فى غاية الضعف ، فصار كأن الضعف مادة خلقتكم

[ثم جعل من بعد ضعف قوة] أي ثم جعل من بعد ضعف الطفولة ، قوة الشباب

[ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة] أي ثم جعل من بعد قوة الشباب ، ضعف الهرم والشيخوخة ،

[يخلق ما يشاء] أي يخلق ما يشاء ، من ضعف وقوة ، وشباب وهرم

[وهو العليم القدير] أي وهو العليم بتدبير الخلق ، القدير على ما يشاء ، قال أبو حيان : وجعل الخلق من ضعف ، لكثرة ضعف الإنسان أول نشأته وطفولته ، ثم حال الشيخوخة والهرم ، والترداد في هذه الهيئات ، شاهد بقدرة الصانع وعلمه

[ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة] أي ويوم تقوم القيامة ويبعث الناس للحساب ، يحلف الكافرون المجرمون بأنهم ما مكثوا فى الدنيا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غير ساعة ، قال البيضاوى : وإنما استقلوا مدة لبثهم
في الدنيا بالنسبة إلى مدة عذابهم في الآخرة ، أو نسيانا
منهم

[كذلك كانوا يؤفكون] أي كذلك كانوا في الدنيا ، يصرفون من الحق إلى الباطل ، ومن الصدق إلى الكذب

[وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث] أي وقال العقلاء من أهل الإيمان والعلم ، ردا عليهم وتكذيبا لهم : لقد لبثم فيما كتاب الله لكم فى سابق علمه ، إلى يوم البعث الموعود

[فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون] أي فهذا يوم البعث الذى كنتم تتكرونه ، ولكنكم لم تصدقوا به ، لتفريطكم في طلب الحق وأتباعه ، قال تعالى

[فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم] أي ففي ذلك اليوم الرهيب ، لا ينفع الظالمين اعتذارهم

[ولا هم يستعتبون] أي لا يقال لهم : أرضوا ربكم بتوبة أو طاعة ، لأنه قد ذهب أوان التوبة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل] أي ولقد بينا فى هذا القرآن العظيم ، ما يحتاج الناس إليه ، من المواعظ والأمثال ، والأخبار والعبر ، مما يوضح الحق ويزيل اللبس

[ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون] أي وواالله لئن جئتهم يا محمد بما اقترحوا من الآيات ، كالعصا والناقة واليد ، ليقولن المشركون من قومك لفرط عنادهم : ما أنت وأصحابك إلا قوم مبطلون ، تدخلون علينا وتكذبون

[كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون] أي مثل ذلك الطبع على قلوب الجهلة المجرمين ، يختم الله على قلوب الكفرة ، الذين لا يعلمون توحيد الله ، ولا صفاته

[فاصبر أن وعد الله حق] أي فاصبر يا محمد على تكذيبهم وأذاهم ، فإن وعد الله بنصرتك ، وإظهار دينك ، حق لا بد من إنجازه

[ولا يستخفنك الذين لا يوقنون] أي لا يحملنك على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخفة والقلق ، جزعا مما يقوله أولئك الضالون الشاكون ، ولا تترك الصبر بسبب تكذيبهم وإيذائهم ، فالله معك ، مؤيدك وناصرك ! ا .

البلاغة :

تضمنت الآيات وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الطباق بين [البر . . والبحر] .

2 - المجاز المرسل بإطلاق الجزء وإرادة الكل [بما كسبت أيدي الناس] .

3 - جناس الاشتقاق [فأقم وجهك للدين القيم] .

4 - الاستعارة اللطيفة [فلأنفسهم يمهدون] شبه من قدم الأعمال الصالحة ، بمن يمهد فراشه ويوطئه للنوم عليه ، لئلا يصيبه في مضجعه ما يوذيه وينغص عليه مرقده .

5 - أسلوب الإطناب [ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات ، وليذيقكم من رحمته . .] الآية وذلك لتعداد النعم الكثيرة وكان يكفي أن يقول : [لتبتغوا من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فضله] ولكنه أسهب تذكيرا للعباد بالنعم .

6 - جناس الاشتقاق [أرسلنا من قبلك رسلا] .

7 - الإيجاز بالحذف [فجاءوهم بالبينات فانتقمنا] حذف منه فكذبوهم واستهزءوا بهم.

8 - الاستعارة التصريحية [فإنك لا تسمع الموتى] شبه الكفار بالموتى وبالصم في عدم إحساسهم ، وسماعهم للمواعظ والبراهين ، بطريق الاستعارة التصريحية) .

9 - الطباق بين [ضعف . . وقوة] .

---

10 - صيغة المبالغة [العليم القدير] لأن معناه المبالغ في العلم والقدرة .

11 - الجناس التام [ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة] المراد بالساعة أولا القيامة ، وبالثانية المدة ، فبينهما جناس كامل ، وهذا من المحسنات البديعية .

تنبيه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصحيح أن الميت يسمع لقوله (ص) (ما أنتم بأسمع منهم) وقوله (وإن الميت ليسمع قرع نعالهم) وأما قوله تعالى [فإنك لا تسمع الموتى] المراد منه سماع التدبر والاتعاظ ، والله أعلم .

سورة لقمان

مكية وآياتها أربع وثلاثون آية

بين يدي السورة

* هذه السورة الكريمة " سورة لقمان " من السور المكية ، التي تعالج موضوع العقيدة ، وتعنى بالتركيز على الأصول الثلاثة لعقيدة الإيمان وهي (الوحدانية ، والنبوة ، والبعث والنشور) كما هو الحال في السور المكية .

* ابتدأت السورة الكريمة بذكر الكتاب الحكيم ، معجزة محمد الخالدة ، الباقية الدائمة على مدى الزمان ، وأقامت الحجج والبراهين على وحدانية رب العالمين ، وذكرت دلائل القدرة الباهرة ، والإبداع العجيب ، في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا الكون الفسيح ، المحكم النظام ، المتناسق في التكوين ، فى سمائه وأرضه ، وشمسه وقمره ، ونهاره وليله ، وفي جباله وبحاره ، وأمواجه وأمطا ره ، ونبأته وأشجا ره ، وفي سائر ما يشاهده المرء من دلائل القدرة والوحدانية ، مما يأخذ القلب ، ويبهر العقل ، ويواجه الإنسان مواجهة جاهرة ، لا يملك معها إلا التسليم بقدرة الخالق العظيم [الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون] الآيات .

* كما لفتت أنظار المشركين إلى دلائل القدرة والوحدانية منبثة في هذا الكون البديع ، وهزت كيانهم هزا [هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين] .

* وختمت السورة الكريمة بالتحذير من ذلك اليوم الرهيب الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون [يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن والده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا] الآية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التسمية :

سميت سورة لقمان لاشتمالها على قصة " لقمان الحكيم " التي تضمنت فضيلة الحكمة وسر معرفة الله تعالى وصفاته ، وذم الشرك ، والأمر بمكارم الأخلاق ، والنهي عن ا لقبائح والمنكرات وما تضمنته كذلك من الوصايا الثمينة التي أنطقه الله بها ، وكانت من الحكمة والرشاد بمكان ! .

اللغة :

[الحكيم] المحكم الذي لا خلل فيه ولا تناقض

[بوقنون] اليقين : التصديق الجازم

[لهو الحديث] الباطل الملهي عن الخير والعبادة

[وقرا] ثقلا وصمما يمنع من السماع

[عمد] جمع عماد وهو الدعامة التي يرتكز عليها الشيء

[رواسي] جبالا ثوابت ، ورست السفينة : إذا ثبتت واستقرت

[تميد] تتحرك وتضطرب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[بث] نشر وفرق .

سبب النزول :

روي أن " النضر بن الحارث " كان يشتري المغنيات ، فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته " المغنية " فيقول لها : أطعميه ، وأسقيه الخمر ، وغنيه ، ويقول : هذا خير لك منا يدعوك إليه محمد ، من الصلاة والصيام ، وأن تقاتل بين يديه فأنزل الله [ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله . .] الآية .

التفسير :

[الم] الحروف المقطعة للتنبيه على إعجاز القرآن ، وللإشارة إلى أن هذا الكتاب المعجز ، الذي أفحم العلماء والأدباء ، والفصحاء والبلغاء ، منظوم من أمثال هذه الحروف الهجائية " ألف ، لام ، ميم " وهي في متناول أى دي الناطقين بالعربية ، وهم عاجزون آن يؤلفوا منها كتابا مثل هذا الكتاب بعد التحدي والإفحام ، وهذا من أظهر الدلائل وأوضح البراهين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على أنه تنزيل الحكيم العليم
[تلك آيات الكتاب] أى هذه آيات الكتاب البديع ، الذي فاق كل كتاب ، فى بيانه ، وتشريعه ، وأحكامه
[الحكيم] أى ذي الحكمة الفائقة ، والعجائب الرانقة ، الناطق بالحكمة والبيان ، والإشارة بالبعيد عن القريب (تلك) للإيذان ببعد منزلته في الفضل والشرف
[هدى ورحمة للمحسنين] أى هداية ورحمة للمحسنين ، الذين أحسنوا العمل في الدنيا ، وإنما خصوا بالذكر لأنهم هم المنتفعون بما فيه . . ثم وضح تعالى صفاتهم فقال
[الذين يقيمون الصلاة] أى يؤدونها على الوجه الأكمل بأركانها وخشوعها وآدابها

[ويؤتون الزكاة] أى يدفعونها إلى مستحقيها ، طيبة بها نفوسهم ، ابتغاء مرضاة الله
[وهم بالآخرة هم يوقنون] أى يصدقون بالدار الآخرة ويعتقدون بها اعتقادا جازما ، لا يخالطه شك ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ارتياب ، وكرر الضمير " هم " للتأكيد لإفادة الحصر [أولئك على هدى من ربهم] أى أولئك الموصوفون بتلك الصفات الجليلة ، على نور وبصيرة ، ومنهج واضح سديد ، من الله العزيز الحميد

[وأولئك هم المفلحون] أى هم الفائزون السعداء في الدنيا والآخرة ، قال أبو حيان : وكرر الإشارة [وأولئك] تنبيها على عظم قدرهم وفضلهم . . ولما ذكر تعالى حال السعداء ، الذين اهتدوا بكتاب الله ، وانتفعوا بسماعه ، عطف عليهم بذكر حال الأشقياء ، الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله ، وأقبلوا على استماع الغناء والمزامير فقال سبحانه :

[ومن الناس من يشتري لهو الحديث] أي ومن الناس من يشتري ما يلهي عن طاعة الله ، ويصد عن سبيله ، مما لا خير ولا فائدة فيه ، قال الزمخشري : واللهو كل باطل ألهى عن الخير ، نحو السمر بالأساطير ، والتحدث بالخرافات المضحكة ، وفضول الكلام ، وما لا ينبغي ، وروى ابن جرير عن (عبد الله بن مسعود)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رضي الله عنه أنه سئل عن الآية فقال : والله الذى لا إله إلا هو - يكررها ثلاثا - إنما هو الغناء ، وقال الحسن البصرى : نزلت هذه الآية في الغناء والمزامير

[ليضل عن سبيل الله بغيرعلم] أى ليضل الناس عن طريق الهدى ، ويبعدهم عن دينه القويم ، بغير حجة ولا برهان

[ويتخدها هزوا] أى ويتخذ آيات الكتاب المجيد ، سخرية واستهزاء ، وهذا أدخل فى القبح ، وأعرق في الضلال

[أولئك لهم عذاب مهين] أى لهم عذاب شديد مع الذلة والهوان

[وإذا تتلى عليه آياتنا] أى وإذا قرأت عليه آيات القرآن

[ولى مستكبرا كأن لم يسمعها] أى أعرض وأدبر متكبرا عنها ، كأنه لم يسمعها ، شأن المتكبر الذي لا يلتفت إلى الكلام ، ويجعل نفسه كأنها غافلة

[كأن فى أذنيه وقرا] أى كأن في أذنيه ثقلا وصمما ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يمنعانه عن استماع آيات الله

[فبشره بعذاب أليم] أى أنذره يا محمد بعذاب مؤلم ، مفرط في الشدة والإيلام ! ! ووضع البشارة مكان الإنذار للتهكم والسخرية ، قال في البحر : تضمنت هذه الآية ذم المشتري من وجوه : الإعراض عن الحكمة ، ثم الإستكبار عن الحق ، ثم عدم الالتفات إلى سماع الآيات ، ثم الإيغال في الإعراض مشبها حال من لم يسمعها ، لكونه لا يلقي لها بالا ولا يلتفت إليها ، ثم التهكم به بالبشارة بأشد العذاب . . ولما ذكر ما وعد به الكفار من العذاب الأليم ، ذكر ما وعد به المؤمنين من جنات النعيم ، فقال سبحانه

[إن الذين أمنوا وعملوا الصالحات] أى جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح ، وبين حسن النية وإخلاص العمل

[لهم جنات النعيم] أى لهم على إيمانهم واستقامتهم على شريعة الله ، جنات الخلد يتنعمون فيها بأنواع الملاذ ، من المآكل ، والمشارب ، والملابس ، والحور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العين ، وسائر ما أكرمهم الله به من الفضل والإنعام ، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر

[خالدين فيها] أى دائمين في تلك الجنات ، لا يخرجون منها أبدا ، ولا يبغون عنها حولا

[وعد الله حقا] أى وعدا من الله قاطعا ، كائنا لا محالة ، لا خوف فيه ، لأن الله لا يخلف الميعاد

[وهو العزيز الحكيم] أى هو تعالى العزيز الذي لا يغلبه شيء ، ليمنعه عن إنجاز وعده ، الحكيم الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة . . ثم نبه تعالى إلى دلائل قدرته ، وآثار عظمته وجلاله ، لإقامة البراهين على وحدانيته ، فقال سبحانه

[خلق السموات بغير عمد ترونها] أى خلق السموات في سعتها وعظمتها فى إحكامها ، بدون دعائم ترتكز عليها ، حال كونكم تشاهدونها كذلك ، واقفة من غير أن تستند على شيء ، ولا تمسكها إلا قدرة الله العلي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكبير
[وألقى في الأرض رواسى أن تميد بكم] أى جعل فيها جبالا ثوابت ، لئلا تتحرك وتضطرب بكم فتهلككم ، بأن تقلبكم عن ظهرها ، أو تهدم بيوتكم بتزلزلها ، قال الإمام الفخر : واعلم أن الأرض ثباتها بسبب ثقلها ، وإلا كانت تزول عن موضعها بسبب المياه والرياح ، ولو خلقها تعالى مثل الرمل ، لما كانت تثبت للزراعة ، كما نرى الأراضى الرملية ، ينتقل الرمل الذي فيها من موضع إلى موضع ، فهذه هي حكمة إرسائها بالجبال ، فسبحان الكبير المتعال
[وبث فيها من كل دابة] أي ونشر وفرق في أرجاء الأرض ، من كل أنواع الحيوانات والدواب " من مأكول ومركوب ، مما لا يعلم عدد أشكالها وألوانها إلا الذي خلقها
[وأنزلنا من السماء ماء] أى وآنزلنا لحفظكم وحفظ دوابكم ، المطر من السحاب
[فأنبتنا فيها من كل زوج] أى فأنبتنا في الأرض من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كل نوع من النبات ، ومن كل صنف من الأغذية والأدوية

[كريم] أى كثير المنافع ، بديع الخلق والتكوين

((يقول سيد قطب تغمده الله برحمته في تفسيره الظلال : " والنص القرآنى يقرر أن الله أنبت النبات أزواجا {من كل زوج كريم } وهى حقيقة ضخمة اهتدى إليها العلم قريبا جدا ، فكل نبات له خلايا تذكير ، وخلايا تأنيث ، إما مجتمعة في زهرة واحدة ، أو في زهرتين في العود الواحد ، وإما منفصلة في عودين أو شجرتين ولا توجد الثمرة إلا بعد التقاء وتلقيح بين زوج النبات ، كما هو الشأن في الإنسان والحيوان على السواء " وصدق الله العظيم {ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون } ! !)).

[هذا خلق الله] أى هذا الذي تشاهدونه وتعاينونه أيها المشركون ، هو من مخلوقات الله ، فأنظروا في السمرات والأرض ، والإنسان ، والنبات ، والحيوان ، وسائر ما خلق الله ، ثم تفكروا في آثار قدرته ، وبديع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صنعته ، ثم أخبروني
[فأروني ماذا خلق الذين من دونه] ؟ أى أي شيء خلقته آلهتكم ، التي عبدتموها من دون الله ؟ من الأوثان والأصنام ؟ وهو سؤال على جهة التهكم والسخرية بهم ، وبآلهتهم المزعومة ، ثم أضرب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالضلال الواضح ، فقال سبحانه
[بل الظالمون في ضلال مبين] أى بل المشركون في خسران ظاهر ، وضلال واضح ما بعده ضلال ، لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها ، وعبدوا ما لا يسمع ولا يبصر ، ولا ينفع ولا يضر ، فهم أضل من الحيوان الأعجم ، لأن من عبد صنما جامدا ، وترك خالقا عظيما مدبرا ، يكون أحط شأنا من الحيوان .
البلاغة :
تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البلاغة والبديع نوجزها فيما يلي :
1 - وضع المصدر للمبالغة [هدى ورحمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للمحسنين] .
2 - الإشارة بالبعيد [تلك آيات] عن القريب [هذه] لبيان علو الرتبة ورفعة القدر والشأن .
3 - الإطناب بتكرار الضمير واسم الإشارة [وهم بالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم] لزيادة الثناء عليهم والتكريم لهم ، كما أن الجملة تفيد الحصر أى هم المفلحون لا غيرهم .
4 - الاستعارة التصريحية [ومن الناس من يشتري لهو الحديث] شبه حالهم بحال من يشتري سلعة وهو خاسر فيها ، واستعار لفظ يشتري لمعنى يستبدل بطريق (الاستعارة التصريحية) .
5 - التشبيه المرسل المجمل [كأن في أذنيه وقرا] ذكرت أداة التشبيه وحذف وجه الشبه ، فهو تشبيه (مرسل مجمل) .
6 - أسلوب التهكم [فبشره بعذاب أليم] لأن البشارة إنما تكون في الخير ، واستعمالها في الشر سخرية وتهكم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

7 - الالتفات من الغيبة إلى التكلم [وأنزلنا من السماء] بعد قوله : [خلق ، وألقى ، وبث] وكلها بضمير الغائب ، ثم التفت فقال : [وأنزلنا] تعظيما لشأن الرحمن ، وتوفية لمقام الامتنان ، وهذا من المحسنات البديعية.

8 - إطلاق المصدر على اسم المفعول مبالغة [هذا خلق الله] أى مخلوقه .

9 - الاستفهام للتوبيخ والتبكيت [ماذا خلق الذين من دونه] ؟

10 - وضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التوبيخ ، وللتسجيل عليهم بغاية الظلم والجهل [بل الظالمون في ضلال مبين] وكان الأصل أن يقال : بل هم في ضلال مبين .

11 - مراعاة الفواصل في الحرف الأخير مثل [عذاب أليم ، جنات النعيم ، زوج كريم ، الكتاب الحكيم] ويسمى هذا النوع في علم البديع " سجعا "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأفضله ما تساوت فقره ، وكان سليما من التكلف ، خاليا من التكرار ، وهو كثير فى القرآن الكريم في نهاية الآيات الكريمة .

فائدة :

وصف الكتاب بالحكمة في هذه السورة [الكتاب الحكيم] مناسب لجو السورة الكريمة ، لأن موضوع (الحكمة) قد تكرر فيها [ولقد آتينا لقمان الحكمة] فناسب أن يختار هذا الوصف من أوصاف الكتاب المجيد ، على طريقة القرآن فى التنسيق بين الألفاظ والمواضيع .

قال الله تعالى : [ولقد آتينا لقمان الحكمة . .] إلى قوله [إن أنكر الأصوات لصوت الحمير] من آية (12) إلى نهاية آية (19) .

المناسبة :

لما بين تعالى فساد اعتقاد المشركين ، بسبب عنادهم لاشراكهم من لا يخلق شيئا ، بمن هو خالق لكل شيء ، ذكر هنا وصايا " لقمان الحكيم " ، وهي وصايا ثمينة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في غاية الحكمة ، والدعوة إلى طريق الرشاد ، وقد جاءت هذه الوصايا مبدوءة بالتحذير من الشرك الذي هو أقبح الذنوب ، وأعظم الجرائم عند الله .

اللغة :

[الحكمة] الإصابة في القول والعمل ، وأصلها وضع الشيء في موضعه ، قال فى اللسان : أحكم الأمر أتقنه ويقال للرجل إذا كان حكيما : قد أحكمته التجارب ، والحكيم : المتقن للأمور

[يعظه] ينصحه ويذكره ، والعظة والموعظة : النصح والإرشاد

[وهنا] الوهن : الضعف ومنه

[وهن العظم مني] أى ضعف

[فصاله] الفصال : الفطام وهو لفظ يستعمل فى الرضاع خاصة ، وأما الفصل فهو أعم ، وفصلت المرأة ولدها أى فطمته وتركت إرضاعه

[أناب] رجع ، والمنيب الراجع إلى ربه بالتوبة والاستغفار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[تصعر] الصعر : بفتحتين فى الأصل داء يصيب البعير فيلوي منه عنقه ، ثم استعمل في ميل العنق كبرا وافتخارا ، قال عمرو التغلبي : وكنا إذا الجبار صعرخده أقمنا له من ميله فتقوما

[مرحا] فرحا وبطرا وخيلاء

[مختال] متبختر في مشيته

[اقصد] توسط ، والقصد : التوسط بين الإسراع والبطء

[اغضض] غضض الصوت خفضه ، قال جرير : فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

التفسير :

[ولقد آتينا لقمان الحكمة] أى والله لقد أعطينا لقمان الحكمة وهي الإصابة في القول ، والسداد في الرأي ، والنطق بما يوافق الحق ، قال مجاهد : الحكمة : الفقه والعقل ، والإصابة فى القول ، ولم يكن نبيا إنما كان حكيما

[أن أشكر لله] أى وقلنا له : أشكر الله على إنعامه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإفضاله عليك ، حيث خصك بالحكمة ، وجعلها على لسانك ، قال القرطبي : والصحيح الذي عليه الجمهور أن " لقمان " كان حكيما ولم يكن نبيا ، وقد ورد في الحديث : (لم يكن لقمان نبيا ، ولكن كان عبدا كثير التفكر ، حسن اليقين ، أحب الله تعالى فأحبه ، فمن عليه بالحكمة

[ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه] أى ومن يشكر ربه ، فثواب شكره راجع لنفسه ، وفائدته تعود عليه ، لأن الله تعالى لا ينفعه شكر من شكر ، ولا يضره كفر من كفر ، ولهذا قال بعده :

[ومن كفر فإن الله غنى حميد] أى ومن جحد نعمة الله ، فإنما أساء إلى نفسه ، لأن الله مستغنى عن العباد ، محمود على كل حال ، مستحق للحمد لذاته وصفاته ، قال الرازي : المعنى : أن الله غير محتاج إلى شكر ، حتى يتضرر بكفر الكافر ، فهو في نفسه محمود ، سواء شكره الناس أم لم يشكروه . . ثم ذكر تعالى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعض نصائح لقمان لأبنه ، وبدأ بالتحذير له من الشرك ، الذي هو نهاية القبح والشناعة ، فقال سبحانه :

[وإذ قال لقمان لأبنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله] أى وأذكر لقومك موعظة لقمان الحكيم لولده ، حين قال له واعظا ناصحا مرشدا : يا بني كن عاقلا ، ولا تشرك بالله أحدا ، لا بشرا ، ولا صنما ، ولا ولدا

[ان الشرك لظلم عظيم] أى إن الشرك قبيح ، وظلم صارخ ، لأنه وضع للشيء في غير موضعه ، فمن سوى بين الخالق والمخلوق ، وبين الإله والصنم فهو - بلا شك - أحمق الناس ، وأبعدهم عن منطق العقل والحكمة ، وحري به أن يوصف بالظلم والجهل ، ويجعل في عداد البهائم

[ووصينا الإنسان بوالديه] أى أمرناه بالإحسان إليهما لا سيما الوالدة

[حملته أمه وهنا على وهن] أى حملته جنينا في بطنها وهي تزداد كل يوم ضعفا على ضعف ، من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حين الحمل إلى حين الولادة ، لأن الحمل كلما ازداد وعظم ، ازدادت به ثقلا وضعفا

[وفصاله فى عامين] أى وفطامه في تمام عامين

[أن أشكر لي ولوالديك] أى وقلنا له : أشكر ربك على نعمة الإيمان والإحسان ، وأشكر والديك على نعمة التربية

[إلي المصير] أى إلى المرجع والمآب ، فأجازي المحسن على إحسانه ، والمسىء على إساءته ، قال في التسهيل : [أن أشكر] تفسير للوصية ، واعترض بينها وبين تفسيرها بقوله : [حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين] ليبين ما تكابده الأم بالولد ، مما يوجب عظيم حقها ، ولذلك كأن حقها أعظم من حق الأب

[وأن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما] أى وإن بذلا جهدهما ، وأقصى ما في وسعهما ، ليحملاك على الكفر والإشراك بالله ، فلا تطعهما ، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وصاحبهما في الدنيا معروفا] أى وصاحبهما في الحياة الدنيا ، بالمعروف والاحسان إليهما - ولو كانا مشركين - لأن كفرهما بالله ، لا يستدعي ضياع المتاعب التي تحملاها في تربية الولد ، ولا التنكر للجميل

[واتبع سبيل من أناب إلي] أى وأسلك طريق من رجع إلى الله ، بالتوحيد والطاعة والعمل الصالح

[ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتعم تعملون] أى مرجع الخلق إلى الله ، فيجازيهم على أعمالهم ، والحكمة من ذكر الوصية بالوالدين - ضمن وصالا لقمان - تأكيد ما أفادته الآية الأولى من تقبيح أمر الشرك [إن الشرك لظلم عظيم] فكأنه تعالى يقول : مع أننا وصينا الإنسان بوالديه ، وأمرناه بالإحسان إليهما والعطف عليهما ، وألزمناه طاعتهما بسبب حقهما العظيم عليه ، مع كل هذا فقد نهيناه عن طاعتهما في حالة الشرك والعصيان ، لأن الإشراك بالله من أعظم الذنوب ، وهو في نهاية القبح والشناعة . . ثم رجع الكلام إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وصايا لقمان فقال تعالى :

[يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل] أى يا ولدي إن الخطيئة والمعصية ، مهما كانت صغيرة ، حتى ولو كانت وزن حبة الخردل في الصغر

[فتكن في صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله] أى فتكن تلك السيئة - مع كونها في أقصى غايات الصغر - في أخفى مكان واحرزه ، كجوف الصخرة الصماء ، أو في أعلى مكان في السماء ، أو فى الأرض ، يحضرها الله سبحانه ويحاسب عليها ، والغرض التمثيل بأن الله لا تخفى عليه خافية من أعمال العباد

[إن الله لطيف] أى هو سبحانه لطيف بالعباد

[خبير] أى عالم ببواطن الأمور

[يا بني أقم الصلاة] أى حافظ على الصلاة في أوقاتها ، وبخشوعها وآدابها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر] أى وأمر الناس بكل خير وفضيلة ، وأنههم عن كل شر ورذيلة

[واصبر على ما أصابك] أى اصبر على المحن والبلايا ، لأن الداعي إلى الحق معرض لإيصال الأذى إليه ، قال أبو حيان : لما نهاه أولا عن الشرك ، وأخبره ثانيا بعلمه تعالى وباهر قدرته ، أمره بما يتوسل به إلى الله من الطاعات ، فبدأ بأشرفها وهي الصلاة ، ثم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم بالصبر على ما يصيبه من المحن بسبب الأمر بالمعروف ، فكثيرا ما يؤذى فاعل ذلك

[إن ذلك من عزم الأمور] أى إن ذلك المذكور مما عزمه الله وأمر به ، وحث عليه ، قال آبن عباس : من حقيقة الإيمان الصبر على المكاره ، وقال الرازي : معناه إن ذلك من الأمور الواجبة ، المعزومة أى المقطوعة ، فالمصدر بمعنى المفعول

[ولا تصعر خدك للناس] أى لا تمل وجهك عنهم تكبرا عليهم ، قال القرطبي : أى لا تمل خدك للناس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كبرا عليهم وإعجابا ، وتحقيرأ لهم ، وهو قول ابن عباس

[ولا تمش في الأرض مرحا] أى لا تمش متبخترا متكبرا

[إن الله لا يحب كل مختال فخور] تعليل للنهي أى لأن الله لكره المتكبر ، الذي يرى العظمة لنفسه ، ولتكبر على عباد الله ، المتبختر في مشيته ، والفخور الذي يفتخر على غيره ! ثم لما نهاه عن الخلق الذميم ، أمره بالخلق الكريم فقال :

[واقصد في مشيك] أى توسط فى مشيتك ، واعتدل فيها بين الإسراع والبطء

[واغضض من صوتك] أى اخفض من صوتك فلا ترفعه عاليا ، فإنه قبيح لا يجمل بالعاقل

[إن أنكر الأصوات لصوت الحمير] أى إن أوحش الأصوات صوت الحمير ، فمن رفع صوته كان مماثلا لها ، وأتى بالمنكر القبيح ، قال الحسن : كان المشركون يتفاخرون برفع الأصوات فرد الله عليهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بأنه لو كان خيرا لفضلتهم به الحمير ، وقال قتادة : أقبح الأصوات صوت الحمير ، أوله زفير وآخره شهيق .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البلاغة والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الطباق بين [شكر . . وكفر] .

2 - صيغة المبالغة [غنى حميد] وكذلك [لطيف خبير] و[فخور] لأن فعيل وفعول من صيغ المبالغة ومعناه كثير الحمد وكثير الفخر.

3 - ذكر الخاص بعد العام [بوالديه حملته أمه] وذلك لزيادة العناية والاهتمام بالخاص .

4 - تقديم ما حقه التأخير لإفادة الحصر مثل [إلي المصير] [لإلى مرجعكم] أى لا إلى غيري .

5 - التمثيل [إنها إن تك متقال حبة من خردل فتكن في صخرة] مثل ذلك لسعة علم الله لإحاطته بجميع الأشياء ، صغيرها وكبيرها ، جليلها وحقيرها فإنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى يعلم أصغر الأشياء في أخفى الأمكنة .
6 -التتميم [فتكن في صخرة] تمم خفاءها فى نفسها بخفاء مكانها وهذا من البديع .
7 - المقابلة [وأمر بالمعروف] ثم قال : [وأنه عن المنكر] فقابل بين اللفظين .
8 - الاستعارة التمثيلية [إن أنكر الأصوات لصوت الحمير] شبه المتكبرين الرافعين أصواتهم بالحمير ، وأصواتهم بالنهيق ، ولم يذكر أداة التشبيه بل أخرجه مخرج الاستعارة للمبالغة في الذم ، والتنفير عن رفع الصوت .
تنبيه :
حين أمر تعالى بشكر الوالدين قدم شكره تعالى على شكرهما فقال : [أن اشكر لي] ثم أردفه بقوله : [ولوالديك] وذلك لإشعارنا بأن حق الله أعظم من حق الوالدين ، لأنه سبحانه هو السبب الحقيقي في خلق الإنسان ، والوالدان سبب في الصورة والظاهر ، ولهذا حرم تعالى طاعتهما على الإنسان إذا أرادا إجباره على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكفر .

قال الله تعالى : [ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات . .] إلى قوله [أن الله عليم خبير] من آية (20) إلى آية (34) نهاية السورة الكربمة .

المناسبة :

لما حذر تعالى من الشرك ، وأكده بوصايا لقمان الحكيم في الإيمان ومكارم الأخلاق ، ذكر هنا الأدلة الساطعة ، والبراهين القاطعة على وحدانيته تعالى ، ونبه بالصنعة على الصانع ، وبالنعمة على المنعم ، وما له من نعم لا تحص ، من تسخير السموات بما فيها من (الشمس ، والقمر ، والنجوم ، والسحاب) وتسخير الأرض وما فيها من (الحيوان ، والنبات ، والمعادن ، والبحار) وغير ذلك من الأدلة الشاهدة على وحدانيته ، وختم السورة الكريمة ببيان ذكر " المغيبات الخمس " التى اختص الله عز وجل بعلمها ، لينبه على سعة علمه سبحانه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللغة :

[اسبغ] أتم وأكمل يقال : سبغت النعمة سبوغا إذا تمت

[استمسك] تمسك وتعلق واعتصم

[نفدت] فنيت وفرغت

[يولج] يدخل والإيلاج : الإدخال ومنه [حتى يلج الجمل فى سم الخياط]

[الفلك] السفن

[كالظلل] الظلل : جمع ظلة وهي كل ما اظلك من جبل أو سحاب

[ختار] الختار : الغدار ، والختر : أسوء الغدر ، قال الشاعر : فإنك لو رأيت آبا عمير ملأت يديك من غدر وختر

[الغرور] ما يغر ويخدع من شيطان وغيره ، وغره الأمل : خدعه .

التفسير :

[ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما فى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأرض] أى ألم تعلموا أيها الناس أن الله العظيم الجليل ، سخر لكم ما في السموات : من شمس وقمر ونجوم ، لتنتفعوا بها ، وسخر لكم ما في الأرض : من جبال وأشجار وثمار وأنهار ، وغير ذلك مما لا يكاد يحصى

[وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة] أى وأنتم عليكم أيها الناس نعمه العديدة ، الظاهرة المرئية ، كنعمة السمع والبصر ، والصحة والإسلام ، والباطنة الخفية كالقلب والعقل ، والفهم والمعرفة ، وما أشبه ذلك ، قال البيضاوي : أى أسبغ عليكم نعمه المحسوسة والمعقولة ، مما تعرفونه وما لا تعرفونه

[ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير] أى ومن الناس أناس جاحدون ، يخاصمون ويجادلون فى توحيد الله وصفاته ، بغير علم ولا فهم ، ولا حجة ولا برهان ، ولا كتاب منزل من عند الله ، قال القرطبي : نزلت في يهودي جاء إلى النبى (ص) فقال يا محمد : أخبرني عن ربك من أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شيء هو ؟ فجاءت صاعقة فأخذته ((وقيل : نزلت في " النضر بن الحارث " و " أبي بن خلف " وأشباههما الذين كانوا يجادلون النبي (ص) في وحدانيته تعالى وصفاته ، من غير علم عقلي ولا دليل شرعي)) ، والمنير : الواضح البين ، المنقذ من ظلمة الجهل والضلال

[وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله] أى وإذا قيل لهؤلاء المجادلين بالباطل : اتبعوا ما أنزل الله على رسوله ، وصدقوا به ، فأنه يفرق بين الحق والباطل ، والهدى والضلال

[قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه أباءنا] أى قالوا : نسيرعلى طريقة آبائنا ، ونقتدي بهم في عبادة الأوثان والأصنام

[أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير] الاستفهام للإنكار والتوبيخ ، أى أيتبعونهم ولو كانوا ضالين ، حتى ولو كان الشيطان يدعوهم إلى النار المستعرة ، ذات العذاب الشديد ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ومن يسلم وجهه إلى الله] أى ومن يقبل على طاعة الله ، ويستسلم لأوامره ، ويخلص قصده وعبادته لله [وهو محسن] أى وهو مؤمن موحد ، قال القرطبي : لأن العبادة من غير إحسان ، ولا معرفة القلب ، لا تنفع شيئا ، ونظير هذه الآية [ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن] فلابد من الإيمان والإحسان [فقد استمسك بالعروة الوثقى] أى تمسك بحبل لا انقطاع له ، ولعلق بأوثق ما يتعلق به من الأسباب ، قال صاحب الكشاف : هذا من باب التمثيل ، مثلت حال المتوكل ، بحال من تدلى من شاهق ، فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة ، من حبل متين مأمون انقطاعه وقال الرازي : أوثق العرى جانب الله ، لأن كل ما عداه هالك منقطع ، وهو باقي لا انقطاع له

[وإلى الله عاقبة الأمور] أى إلى الله وحده - لا إلى أحد سواه - مرجع ومصير الأمور كلها ، فيجازي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العامل عليها أحسن الجزاء

[ومن كفر فلا يحزنك كفره] تسلية للرسول (ص) أى لا يهمنك يا محمد كفر من كفر ، ولا ضلال من ضل ، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ، فإنا سننتقم منهم إن عاجلا أو أجلا

[إلينا مرجعهم فننبئهم بماعملوا] أى إلينا رجوعهم ، فنخبرهم بأعمالهم التي عملوها في الدنيا

[إن الله عليم بذات الصدور] أى عليم بما في قلوبهم من المكر ، والكفر ، والتكذيب ، فيجازيهم عليها

[نمتعهم قليلا] أى نبقيهم في الدنيا مدة قليلة يتمتعون بها

[ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ] أى لم نلجئهم في الآخرة إلى عذاب شديد ، هو عذاب النار ، الفظيع الشاق على النفس . . ثم لما بين تعالى استحقاقهم للعذاب ، بين تناقضهم في الدنيا ، وهو اعترافهم بأن الله خلق السموات والأرض ، ومع هذا يعبدون معه شركاء ، يعترفون أنها ملك له ، وأنها مخلوقاته ، فقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سبحانه :
[ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله] أى ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين من كفار مكة : من خلق السموات والأرض ؟ ليقولن - لغاية وضوح الأمر - الله خلقهن ، فقد اضطروا إلى الاعتراف به
[قل الحمد لله] أى قل لهم : الحمد لله على ظهور الحجة عليكم ، وعلى أن دلائل الإيمان ظاهرة للعيان
[بل أكثرهم لا يعلمون] أى بل أكثر هؤلاء المشركين ، لا يفكرون ولا يتدبرون ، فلذلك لا يعلمون ، ثم قال تعالى :
[لله ما في السموات والأرض] أى له جل وعلا ما في الكائنات ملك وخلق وتدبير
[إن الله هو الغني الحميد] أى المستغني عن خلقه وعن عبادتهم ، المحمود في صنعه وآلائه
[ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام] أى ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلاما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والبحر يمده من بعده سبعة أبحر] أى وجعل البحر بسعته ، حبرا ومدادا ، وأمده سبعة أبحر معه ، فكتبت بها كلمات الله ، الدالة على عظمته وصفاته وجلاله

[ما نفدت كلمات الله] أى لانتهت وقيت تلك الأقلام والبحار ، وما انتهت كلمات الله ، لأن الأشجار والبحار متناهية ، وكلمات الله غير متناهية ، قال القرطبي : لما ذكر تعالى أنه سخر لهم ما في السموات وما في الأرض ، وأنه أسبغ النعم ، نبه على أن الأشجار لو كانت أقلاما ، والبحار لو كانت مدادا ، فكتب بها عجائب صنع الله ، الدالة على قدرته ووحدانيته ، لم تنفد تلك العجائب وقال ابن الجوزي : وفي الكلام محذوف تقديره : فكتب بهذه الأقلام وهذه البحور كلمات الله ، لتكسرت الأقلام ، ونفدت البحور ، ولم تنفد كلمات الله أى لم تنقطع

[إن الله عزيز حكيم] أى غالب لا يعجزه شيء ، حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته أمر

[ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة] أى ما خلقكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أيها الناس ابتداء ، ولا بعثكم بعد الموت انتهاء ، إلا كخلق نفس واحدة وبعثها ، لأنه إذا أراد شيئا قال له كن فيكون ، قال الصاوي : المعنى ان الله لا يصعب عليه شيء ، بل خلق العالم وبعثه برمته ، كخلق نفس واحدة وبعثها

[إن الله سميع بصير] أى سميع لأقوال العباد ، بصير بأعمالهم ، ثم أشار تعالى إلى دلائل قدرته فى الأفاق فقال :

[ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل] أى ألم تعلم أيها المخاطب علما قويا ، جاريا مجرى الرؤية ، ان الله العظيم الجليل ، يدخل ظلمة الليل على ضوء النهار ، ويدخل ضوء النهار على ظلمة الليل ، ويزيد فى هذا وينقص من هذا حسب الحكمة الأزلية

[وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى] أى ذللهما بالطلوع والأفول ، تقديرا للآجال ، وإتماما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للمنافع ، كل منهما يسير في فلكه ، إلى غاية محدودة هي يوم القيامة

[وأن الله بما تعملون خبير] أى وأنه تعالى عالم بأحوالكم وأعمالكم ، لا تخفى عليه خافية ، فإن من شاهد مثل ذلك الصنع الرائق ، والتدبير الفائق ، لا يكاد يغفل عن كون صانعه جل وعلا محيطا بكل أعماله

[ذلك بأن الله هو الحق] أى ذلك الذي شاهدتموه من عجائب الصنع ، وباهر القدرة ، لتتأكدوا أن الله هو الإله الحق ، الذي يجب أن يعبد وحده

[وأن ما يدعون من دونه الباطل] أى وأن كل ما يعبدون من دون الله من الأوثان والأصنام ، باطل لا حقيقة له ، كما قال لبيد : " ألا كل شيء ما خلا الله باطل " فالجميع خلقه وعبيده ، ولا يملك أحد منهم تحريك ذرة إلا باذنه

[وأن الله هو العلي الكبير] أى وأنه تعالى هو العلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في صنعاته ، الكبير في ذاته

[ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله] تذكير بنعمة أخرى أى ألم تر أيها العاقل ، أن السفن العظيمة تسير في البحر بقدرة الله ، وبتسخيره ولطفه بالناس وإحسانه إليهم ، لتهيئة أسباب الحياة ، قال ابن كثير : يخبر تعالى أنه هو الذي سخر البحر لتجري فيه الفلك بأمره أى بلطفه ولسخيره ، فأنه لولا ما جعل فى الماء من قوة يحمل بها السفن ما جرت ، ولهذا قال بعده :

[ليريكم من آياته] أى ليريكم عجائب صنعه ، ودلائل قدرته ووحدانيته

[إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور] أى إن في تسخير هذه السفن ، وما تحمله من الطعام والأرزاق والتجارات ، لآيات باهرة ، وعبرا جليلة ، لكل عبد منيب ، صبار في الضراء ، شكور في الرخاء .

ولفظة " صبار " و " شكور " مبالغة في الصبر والشكر

[وإذا غشيهم موج كالظلل] أى وإذا علا المشركين وغطاهم وهم في البحر ، موج كثيف كالجبال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[دعوا الله مخلصين له الدين] أى أخلصوا دعاءهم لله ، حين علموا أنه لا منجي لهم غيره ، فلا يدعون لخلاصهم سواه

[فلما نجاهم إلى البر] أى فلما أنقذهم من شدائد البحر ، وأخرجهم إلى شاطىء النجاة في البر

[فمنهم مقتصد] في الآية حذف تقديره فمنهم مقتصد ، ومنهم جاحد ، ودل عليه قوله : [وما يجحد بآياتنا] والمقتصد : المتوسط في العمل ، قال ابن كثير : وهذا من باب الإنكار على من شاهد تلك الأهوال ، والأمور العظام ، وراى الآيات الباهرة في البحر ، ثم بعدما أنعم الله عليه بالخلاص ، كان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام ، والمبادرة إلى الخيرات ، والدؤوب في العبادات ، فمن اقتصد بعد ذلك كان مقصرا

[وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور] أى وما يكذب بآياتنا إلا كل غدار ، مبالغ فى كفران نعم الله تعالى

[يا أيها الناس اتقوا ربكم] أى اتقوا ربكم بإمتثال أوامره ، واجتناب نواهيه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده] أى وخافوا يوما رهيبا عصيبا ، لا ينفع والد فيه ولده ، ولا يدفع عنه مضرة ، أو يقضي عنه شيئا مما تحمله

[ولا مولود هو جاز عن والده شيئا] أى ولا ولد يغني أو يدفع عن والده شيئا ، أو يقضي عنه شيئا من جنايته ومظالمه ، قال الطبري : المعنى لا تنفع عنده الشفاعة والوسائل ، إلا وسيلة من صالح الأعمال التي أسلفها في الدنيا

[إن وعد الله حق] أى وعده بالثواب والعقاب ، والبعث والجزاء حق لا يتخلف

[فلا تغرنكم الحياة الدنيا] أى لا تخدعكم الحياة الدنيا ، بمفاتنها ولذاتها فتركنوا إليها

[ولا يغرنكم بالله الغرور] أى ولا يخدعنكم الشيطان الماكر ، الذي يغرالخلق ويمنيهم بأباطيله ، ويلهيهم عن الآخرة

[إن الله عنده علم الساعة] هذه هي (مفاتح الغيب) التي اختص الله بعلمها وهي خمس كما جاء في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحديث الصحيح : " مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله وتلا الآية " أى عنده تعالى معرفة وقت قيام الساعة التي تقوم فيها القيامة

[وينزل الغيث] أى وعنده معرفة وقت نزول المطر ، ومحل نزوله

[ويعلم ما في الأرحام] أى من ذكر أو أنثى ، شقي أو سعيد

[وما تدري نفسن ماذا تكسب غدا] أى ما يدري أحد ، ماذا يحدث له في غد ؟ وماذا يفعل من خير أو شر ؟

[وما تدري نفس بأي أرض تموت] أى كما لا يدري أحد أين يموت ؟ ولا فى أى مكان يقبر

[إن الله عليم خبير] أى مبالغ في العلم ، يعلم كل الأمور ، خبير بظواهر الأشياء وبواطنها ، فاتقوا ربكم ، وأطيعوا أمره !

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نوجزها فيما يلي :

1 - الطباق بين قوله : [ظاهرة . . وباطنة] وكذلك بين لفظ [الحق . . والباطل] .

2 - الإنكار والتوبيخ مع الحذف [أولو كان الشيطان يدعوهم] أى أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى نار الجحيم إ ؟

3 - المجاز المرسل [ومن يسلم وجهه] أطلق الجزء وأراد الكل أى ومن يستسلم بكليته لله عز وجل ففيه مجاز مرسل .

4 - التشبيه التمثيلي [فقد استمسك بالعروة الوثقى] شبه من تمسك بالإسلام بمن أراد أن يرقى إلى شاهق جبل ، فتمسك بأوثق حبل ، وحذف أداة التشبيه للمبالغة .

5 - المقابلة بين [ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن] وبين [ومن كفر فلا يحزنك كفره] الآية .

6 - الاستعارة [عذاب غليظ] استعار الغلظ للشدة ، أى عذاب شديد بلغ نهاية الشدة ، والغلظ إنما يكون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للإجرام فاستعير للمعنى .

7 - تقديم ما حقه التأخير لإقادة الحصر [وإلى الله عاقبة الأمور] أى إليه لا إلى أحد غيره .

8 - صيغ المبالغة في التالي [صبار شكور] و[ختار كفور] و[عليم خبير] و[سميع بصير ، كما أن فيها توافق الفواصل وهو من المحسنات البديعية ويسمى بالسجع المتوازي .

سورة السجدة

مكية وآياتها ثلاثون آية

بين يدي السورة

سورة السجدة مكية ، وهي كسائر السور المكية تعالج أصول العقيدة الإسلامية (الإيمان بالله ، واليوم الآخر ، والكتب والرسل ، والبعث والجزاء) والمحور الذي تدور عليه السور الكريمة ، هو موضوع (البعث بعد الفناء) الذي طالما جادل المشركون حوله ، واتخذوه ذريعة لتكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* تبتدىء السورة الكريمة بدفع الشك والارتياب عن القرآن العظيم ، المعجزة الكبرى لرسول الله (ص) الذي لا تحوم حول ساحته الشبهات والأباطيل ، ومع وضوح إعجازه ، وسطوع آياته ، وإشراقة بيانه ، وسمو أحكامه ، اتهم المشركون الرسول بأنه افترى هذا القرآن ، واختلقه من تلقاء نفسه ، فجأءت السورة الكريمة ترد هذا البهتان ، بروائع الحجة والبرهان [الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه . .] الآيات .

* ثم تحدثت السورة عن دلائل القدرة والوحدانية ، ببيان آثار قدرة الله قي الكائنات العلوية والسفلية ، على طريقة القرآن في لفت الأنظار إلى إبداع الواحد القهار [الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام . .] الآيات .

* ثم ذكر القرآن شبهة المشركين السخيفة ، في إنكارهم للبعث والنشور ، ورد عليها بالحجج القاطعة ، والأدلة الساطعة ، التي تنتزع الحجة من الخصم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجاحد العنيد ، فلا يلبث أن يقر على نفسه بالهزيمة ، أمام قوارع القرآن ، وروائع الحجة والبيان [وقالوا أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد] الآيات .

* وختمت السورة بالحديث عن يوم الحساب ، وما أعد الله فيه للمؤمنين المتقين ، من النعيم الدائم في جنات الخلد ، وما أعده للمجرمين من العذاب والنكال في دار الجحيم [أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ؟ لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون] الآيات .

التسمية :

سميت " سورة السجدة " لما فيها من أوصاف المؤمنين الأبرار ، الذين إذا سمعوا آيات القرآن العظيم [خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون] .

(تفسير سورة السجدة)

قال الله تعالى : [الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين . .] إلى قوله [جزاء بما كانوا يعملون] . من آية (1) إلى آية (17) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللغة :

[افتراه] اختلق القرآن من تلقاء نفسه

[يعرج] يصعد ويرتفع إليه

[يدبر] التدبير : رعاية شئون الغير

[سلالة] خلاصة

[مهين] ضعيف حقير

[سؤاه] قومه بتصوير أعضائه وتكميلها

[ضللنا] ضعنا وهلكنا ، وأصله من قول العرب : ضل اللبن في الماء إذا ذهب وضاع

[ناكسوا] مطرقوا يقال : نكس رأسه إذا اطرقه

[الجنة] بكسر الجيم بمعنى الجن قال تعالى : [ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون] .

التفسير :

[الم] الحروف المقطعة للتنبيه على إعجاز القرآن

[تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين] أي هذا الكتاب الموحى به إليك يا أيها الرسول ، هو القرآن الذي لا شك أنه من عند الله عز وجل ، تنزيل من رب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العالمين
[أم يقولون افتراه] الضمير يعود لكفار قريش و[أم] بمعنى بل والهمزة أي بل أيقول المشركون اختلق محمد القرآن ، وافتراه من تلقاء نفسه ؟ لا ليس الأمر كما يدعون
[بل هو الحق من ربك] أى بل هو القول الحق ، والكلام الصدق ، المنزل من ربك ، قال البيضاوى : أشار أولا إلى إعجازه ، ثم رتب عليه أنه تنزيل من رب العالمين ، وقرر ذلك بنفي الريب عنه ، ثم اضرب عن ذلك إلى ما يقولون فيه على خلاف ذلك ، إنكارا له وتعجبا منه ، ثم بين المقصود من إنزاله بقوله

[لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك] أي أنزله إليك لتنذر به قوما ما جاءهم رسول قبلك يا محمد ، قال المفسرون : هم أهل الفترة بين (عيسى) و(محمد) عليهما السلام ، وقد جاء الرسل قبل ذلك كإبراهيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهود وصالح ، ولكن لما طالت الفترة على هؤلاء ، أرسل الله إليهم محمد (ص) لينذرهم عذاب الله ، ويقيم عليهم الحجة بذلك

[لعلهم يهتدون] أي كي يهتدوا إلى الحق ، ويؤمنوا بالله العزيز الحميد . . ثم شرع تعالى في ذكر أدلة التوحيد ، فقال سبحانه :

[الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام] أى الله جل وعلا هو الذي خلق السموات فى ارتفاعها وإحكامها ، والأرض في عجائبها وإبداعها ، وما بينهما من المخلوقات في مقدار ستة أيام ، قال الحسن : من أيام الدنيا ولو شاء لخلقها بلمح البصر ، ولكن أراد أن يعلم عباده التأني في الأمور ، قال القرطبي : عرفهم تعالى كمال قدرته ليسمعوا القرآن ويتأملوه ، ومعنى [خلق] أبدع وأوجد بعد العدم ، وبعد أن لم يكن شيئا

[ثم استوى على العرش] استواء يليق بجلاله ، من غير تشبيه ، ولا تمثيل ، ولا تعطيل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع] أي ليس لكم أيها الناس من غير الله ، ناصر يمنعكم من عذابه ، ولا شفيع يشفع لكم عنده إلا بإذنه ، بل هو الذي يتولى مصالحكم ويدبر أموركم

[أفلا تتدكرون] ؟ أي أفلا تتدبرون هذا فتؤمنون ؟

[يدبر الأمر من السماء إلى الأرض] أي يدبر أمر الخلائق جميعا ، في العالم العلوي والسفلي ، لا يهمل شأن أحد ، قال ابن عباس : أي ينزل القضاء والقدر ، من السماء إلى الأرض ، وينزل ما دبره وقضاه

[ثم يعرج إليه] أي ثم يصعد إليه ذلك الأمر كله ، يوم القيامة ليفصل فيه

[في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون] أي في يوم عظيم - هو يوم القيامة - طوله كألف سنة من أيام الدنيا لشدة أهواله

[ذلك عالم الغيب والشهادة] أي ذلك المدبر لأمور الخلق ، هو العالم بكل شيء ، يعلم ما هو غائب عن المخلوقين ، وما هو مشاهد لهم ، قال القرطبى : وفي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الآية معنى التهديد والوعيد ، كأنه يقول : أخلصوا أعمالكم وأقوالكم ، فإني مجازيكم عليها ، ومعنى (الغيب والشهادة) ما غاب عن الخلق وما حضرهم

[العزيز الرحيم] أي الغالب على أمره ، الرحيم بعباده ، في تدبيره لشئونهم

[الذي أحسن كل شيء خلقه] أي أتقن وأحكم كل شيء أوجده وخلقه ، قال أبو حيان : وهذا أبلغ في الإمتنان ، ومعناه : أنه وضع كل شيء في موضعه ، ولهذا قال ابن عباس : ليست القردة بحسنة ، ولكنها متقنة محكمة قال بعض العلماء : لو تصورت مثلا أن للفيل مثل رأس الجمل ، وأن للأرنب مثل رأس الأسد ، وأن للإنسان مثل رأس الحمار ، لوجدت في ذلك نقصا كبيرا ، وعدم تناسب وانسجام ، ولكنك إذا علمت أن طول عنق الجمل ، وشق شفته ، إنما كان ليسهل تناوله الكلأ أثناء السير ، وأن الفيل لولا خرطومه الطويل ، لما استطاع أن يجلس بجسمه الكبير ، لتناول طعامه وشرابه ، لو علمت كل هذا ، لتيقنت أنه صنع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله ، الذي أتقن كل شيء ، ولقلت : تبارك الله أحسن الخالقين !
[وبدأ خلق الإنسان من طين] أي خلق أبا البشر آدم من طين
[ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين] أي جعل ذريته يتناسلون من خلاصة من ماء ضعيف حقير هو المنى
[ثم سواه ونفخ فيه من روحه] أي قوم أعضاءه ، وعدل خلقته في رحم أمه ، ونفخ بعد ذلك فيه الروح ، فإذا هو في أكمل صورة وأحسن تقويم ، قال أبو السعود : وأضاف الروح إليه تعالى تشريفا للإنسان ، وإيذانا بأنه خلق عجيب ، وصنع بديع ، وأن له مكانة جليلة مناسبة إلى حضرة الربوبية
[وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة] أي وخلق لكم هذه الحواس : السمع لتسمعوا به الأصوات ، والبصر لتبصروا به الأشخاص ، والعقل لتدركوا به الحق والهدى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قليلا ما تشكرون] أي قليلا شكركم لربكم و[ما] لتأكيد القلة

[وقالوا أئذا ضللنا في الأرض] أي وقال كفار مكة المنكرون للبعث والنشور : أئذا هلكنا وصارت عظامنا ولحومنا ترابا مختلطا بتراب الأرض ، حتى غابت فيه ولم تتميز عنه

[أئنا لفي خلق جديد] أي سوف نخلق بعد ذلك خلقا جديدا ، ونعود إلى الحياة مرة ثانية ؟ وهو استبعاد للبعث مع الاستهزاء ، ولهذا قال تعالى :

[بل هم بلقاء ربهم كافرون] أي بل هناك أبلغ وأشنع من الاستهزاء ، وهو كفرهم وجحودهم بلقاء الله في دار الجزاء

[قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم] أي قل لهم ردا على مزاعمهم الباطلة : يتوفاكم ملك الموت ، الذي وكل بقبض أرواحكم هو وأعوانه

[ثم إلى ربكم ترجعون] أي ثم مرجعكم إلى الله يوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القيامة ، للحساب والجزاء ، قال ابن كثير : والظاهر أن ملك الموت شخص معين ، وقد سمي في بعض الاثار ب " عزرائيل " وهو المشهور ، وله أعوان - كما ورد في الحديث - ينتزعون الأرواح من سائر الجسد ، حتى إذا بلغت الحلقوم ، تناولها ملك الموت وقال مجاهد : جمعت له الأرض فجعلت مثل الطست - أي الإناء - يتناول منها حيث يشاء . . ثم أخبر تعالى بحال المجرمين يوم القيامة ، وما هم فيه من الذل والهوان ، فقال سبحانه :

[ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم] أي ولو ترى أيها المخاطب حال المجرمين يوم القيامة ، وهم مطرقو رءوسهم أمام ربهم من الخجل والحياء ، لرأيت العجب العجاب ، قال أبو السعود : وجواب [لو] محذوف تقديره لرأيت أمرا فظيعا ، لا يقادر قدره ، من هوله وفظاعته

[ربنا أبصرنا وسمعنا] أي يقولون ربنا أبصرنا حقيقة الأمر ، وسمعنا ما كنا ننكر من أمر الرسل ، وكنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عميا وصما

[فأرجعنا نعمل صالحا] أي فردنا إلى دار الدنيا لنعمل صالحا

[إنا موقنون] أي فنحن الآن مصدقون تصديقا جازما ، وموقنون أن وعدك حق ، ولقاءك حق ، قال الطبرى : أي أيقنا الآن بوحدانيتك ، وأنه لا يصلح أن يعبد سواك ، ولا ينبغي أن يكون لنا رب سواك ، وأنك تحيى وتميت وتفعل ما تشاء ، قال تعالى ردا عليهم :

[ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها] أي لو أردنا هداية جميع الخلق لفعلنا ، ولكن ذلك ينافي حكمتنا ، لأنا نريد منهم الإيمان ، بطريق الاختيار ، لا بطريق الإكراه والإجبار

[ولكن حق القول مني] أي ولكن ثبت ووجب قولي بعذاب المجرمين ، وتقرر وعيدي

[لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين] أي لأملأن جهنم بالعصاة المجرمين من الجن والإنس جميعا

[فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا] أي يقال لأهل النار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على سبيل التقريع والتوبيخ : ذوقوا - بسبب نسيانكم
الدار الآخرة وانهماككم في الشهوات - هذا العذاب
المخزي الأليم
[إنا نسيناكم] أي نترككم اليوم في العذاب ، كما تركتم
العمل بآيالنا
[وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون] أي وذوقوا
العذاب الدائم الخالد في جهنم ، بسبب كفركم
وتكذيبكم . . ثم لما ذكر حال الأشقياء وعاقبتهم
الوخيمة ، أتبعه بذكر حال السعداء ، وما أعده لهم من
النعيم المقيم في دار الجزاء ، ليظل العبد بين الرهبة
والرغبة ، فقال سبحانه :
[إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا]
أي إنما يصدق بآياتنا المؤمنون المتقون ، الذين إذا
وعظوا بآياتنا سقطوا على وجوههم ، ساجدين لله
تعظيما لآياته
[وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون] أي وسبحوا
ربهم على نعمائه ، وهم لا يستكبرون عن طاعته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعبادته

[تتجافى جنوبهم عن المضاجع] أي تتنحى وتتباعد أطرافهم عن الفرش ومواضع النوم ، والغرض أن نومهم بالليل قليل ، لانقطاعهم للعبادة كقوله : [كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون] قال مجاهد : يعني بذلك قيام الليل

[يدعون ربهم خوفا وطمعا] أي يدعون ربهم خوفا من عذابه ، وطمعا في رحمته وثوابه

[ومما رزقناهم ينفقون] أي ومما أعطيناهم من الرزق ، ينفقون في وجوه البر والحسنات

[فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين] أي فلا يعلم أحد من الخلق ، مقدار ما يعطيهم الله من النعيم ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر

[جزاء بما كانوا يعملون] أي ثوابا لما قدموه في الدنيا من صالح الأعمال .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الله تعالى : [أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون . .] إلى قوله [وانتظر إنهم منتظرون] من آية (18) إلى آية (30) إلى نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما ذكر تعالى حال المجرمين في الآخرة ، وما أعده لهم من العذاب الأليم ، وحال المؤمنين المتقين ، وما أعده لهم من الكرامة في دار النعيم ، ذكر هنا أنه لا يتساوى الفريقان : (فريق الأبرار) ، و(فريق الفجار) لأن عدالة الله تقتضي التمييز بين المؤمن الصالح ، والفاسق الفاجر .

اللغة :

[فاسقا] الفاسق : الخارج عن طاعة الله

[نزلا] ضيافة وعطاة ، والنزل ما يهيأ للنازل والضيف أول قدومه قال الشاعر : وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

[الجرز] اليابسة الجرداء التي لا نبات فيها ، والجرز : القطع ، قال الزمخشري : الجرز : الأرض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التي جرز نباتها اي قطع ، إما لعدم الماء أو لأنه رعي وأزيل ، ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز

[آلفتح] الحكم ويقال للحاكم : فاتح وفتاح ، لأنه يفصل بين الناس بحكمه

[ينظرون] يمهلون ويؤخرون .

سبب النزول :

روي أنه كان بين " علي بن أبي طالب " و " عقبة بن أبى معيط " تنازع وخصومة ، فقال الوليد بن عقبة لعلي : أسكت فإنك صبى ، وأنا والله أبسط منك لسانا ، وأشجع منك جنانا ، وأملأ منك حشوا في الكتيبة ، فقال له علي : اسكت فإنك فاسق ، فنزلت [أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يسوون] فقد كان هذا الفاجر ، يفخر ويتباهى بوقاحته وشجاعته .

التفسير :

[أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا] ؟ اي أفمن كان في الحياة الدنيا ، مؤمنا متقيا لله ، كمن كان فاسقا ، خارجا عن طاعة الله ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لا يستوون] أي لا يستوون في الآخرة بالثواب والكرامة ، كما لم يستووا في الدنيا بالطاعة والعبادة ، وهذه الآية كقوله تعالى : [أفنجعل المسلمين كالمجرمين] ؟ قال ابن كثير : يخبر تعالى عن عدله وكرمه ، أنه لا يساوي في حكمه يوم القيامة ، من كان مؤمنا بآياته ، متبعا لرسله ، بمن كان فاسقا أي خارجا عن طاعة ربه ، مكذبا رسل الله . . ثم فضل تعالى جزاء الفريقين ، فقال سبحانه :

[أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات] أي أما المتقون الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح

[فلهم جنات المأوى] أي لهم الجنات والحدائق الزاهية ، التي فيها المساكن والدور ، والغرف العالية يأوون إليها ويستمتعون بها ، قال البيضاوي : فالجنة هي المأوى الحقيقي ، والدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة

[نزلا بما كانوا يعملون] أي ضيافة مهيأة ومعدة لإكرامهم ، كما تهيأ التحف للضيف ، وذلك بسبب الإيمان ، وما قدموه من صالح الأعمال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأما الذين فسقوا فمأواهم النار] أي وأما الذين خرجوا عن طاعة الله ، فمسكنهم ومنزلهم نار جهنم [كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها] أي إذا دفعهم لهب النار إلى أعلاها ، ردوا إلى موضعهم أسفلها ، قال الفضيل بن عياض : والله إن الأيدي لموثقة ، وإن الأرجل لمقيدة ، وأن اللهب ليرفعهم والملائكة تقمعهم

[وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون] أي وتقول لهم خزنة جهنم تقريعا وتوبيخا : ذوقوا عذاب النار المخزي ، الذي كنتم تكذبون به في الدنيا وتهزءون منه ، ثم توعدهم بعذاب عاجل! في الدنيا ، فقال سبحانه :

[ولنذيقنهم من العذاب الأدنى] أي ولنذيقنهم من العذاب الأقرب ، وهو عذاب الدنيا ، من القتل والأسر ، والبلايا والمحن ، قال الحسن : العذاب الأدنى : مصائب الدنيا وأسقامها مما يبتلى به العبيد حتى يتوبوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، وقال مجاهد : القتل والجوع
[دون العذاب الأكبر] أي قبل العذاب الأكبر الذي ينتظرهم ، وهو عذاب الآخرة
[لعلهم يرجعون] أي لعلهم يتوبون عن الكفر والمعاصى! ! ثم بعد أن توعدهم وهددهم ، بين استحقاقهم للعذاب ، فقال سبحانه :
[ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها] أي لا أحد أظلم لنفسه ، ممن وعظ وذكر بآيات الرحمن ، ثم ترك الإيمان والمواعظ وتناساها ؟
[إنا من المجرمين منتقمون] أي سأنتقم ممن كذب بآياتي أشد الانتقام ، ووضع الاسم الظاهر
[المجرمين] مكان الضمير (منهم) لتسجيل الإجرام عليهم
[ولقد آتينا موسى الكتاب] أي أعطينا موسى التوراة
[فلا تكن في مرية من لقائه] أي فلا تكن يا محمد في شك من تلقي القرآن ((ذهب بعض المفسرين إلى أن الضمير يعود إلى (موسى) أي فلا تكن في شك من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لقاء موسى ، وما ذكرناه أرجح وهو اختيار البيضاوي وأبي السعود ، كأنه يقول : أوحينا اليك بالقرآن كما اوحينا إلى موسى بالتوراة ، فلا تشك في أنه كلام الرحيم الرحمن ، والخطاب للرسول (ص) والمراد أمته)) ، كما تلقى موسى التوراة ، والمقصود تقرير رسالته عليه السلام ، وتحقيق أن ما معه من الكتاب ، وحى سماوى ، وكتاب إلهي

[وجعلناه هدى لبني إسرائيل] أي جعلنا التوراة هداية لبني إسرائيل من الضلالة

[وجعلنا منهم أئمة] أي جعلنا منهم قادة وقدوة ، يقتدى بهم في الخير

[يهدون بأمرنا] أي يدعون الخلق إلى طاعتنا ويرشدونهم إلى الذين بأمرنا وتكليفنا

[لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون] أي حين صبروا على تحمل المشاق في سبيل الله ، وكانوا يصدقون بآياتنا أشد التصديق وأبلغه ، قال ابن الجوزي : وفى هذا تنبيه لقريش ، انكم إن اطعتم وآمنتم بالله ، جعلت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منكم أئمة

[إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون] أي إن ربك يا محمد ، يقضي ويحكم بين المؤمنين والكفار ، فيميز بين المحق والمبطل يوم القيامة ، ونجازي كلا بما يستحق ، فيما اختلفوا فيه من أمور الدين ، قال الطبري : فيما كانوا فيه يختلفون من أمور الدين ، والبعث ، والثواب والعقاب . . ثم نبه تعالى على آثار قدرته في مخلوقاته ، وأقام الحجة على الكفار بالأمم السالفة ، الذين كفروا فأهلكوا فقال سبحانه :

[أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون] أي هل غفل هؤلاء المشركون عن الحقيقة ؟ ولم يتبين لهم كثرة من أهلكناهم من الأمم الماضية ؟ الذين كذبوا رسل الله ؟

[يمشون في مساكنهم] أي حال كون أهل مكة يسيرون في دورهم ، ويشاهدون في أسفارهم منازل هؤلاء المهلكين ؟ أفلا يعتبرون ؟ قال ابن كثير : أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هؤلاء المكذبون يمشون في مساكن أولئك الظالمين ، فلا يرون فيها أحدا ممن كان يسكنها ولعمرها

[إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون] أي إن في إهلاكهم لدلالات عظيمة على قدرتنا ، أفلا يسمعون سماع تدبر وإتعاظ ؟ لم ذكر تعالى دلائل الوحدانية ، فقال سبحانه :

[أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز] أي أولم يشاهدوا كمال قدرتنا ، في سوقنا الماء إلى الأرض اليابسة ، التي لا نبات فيها من شدة العطش لنحييها ؟

[فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم] أي فنخرج بذلك الماء أنواع الزروع والثمار ، تأكل منه دوابهم ، من الكلأ والحشيش ، وأنفسهم من الحب والخضر ، والفواكه والبقول

[أفلا يبصرون] أي أفلا يبصرون ذلك ، فيستدلون به على كمال قدرته تعالى وفضله ؟ ويعلمون أن الذي أحيا الأرض الميتة ، قادرعلى إعادتهم بعد وفاتهم ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين] أي ويقول كفار مكة للمسلمين ، على سبيل السخرية والتهكم : متى ستنصرون علينا ويكون لكم الغلبة والفتح علينا ؟ إن كنتم صادقين في دعواكم ، قال الصاوي : كان المسلمون يقولون : إن الله سيفتح لنا على المشركين ، ويفصل بيننا وبينهم ، وكان أهل مكة إذا سمعوهم ، يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاءً : متى هذا الفتح والنصر ؟ إن كنتم صادقين في دعواكم ؟ فنزلت [قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم] أي قل لهم يا محمد توبيخا وتبكيتا : إن يوم القيامة هو يوم النصر الحقيقى ، الذي يفصل تعالى فيه بيننا وبينكم ، ولا ينفع فيه الإيمان ولا الاعتذار ، فلماذا تستعجلون ؟

[ولا هم ينظرون] أي ولا هم يؤخرون ويمهلون للتوبة ، قال البيضاوى : ويوم الفتح هو يوم القيامة ، فإنه يوم نصر المؤمنين على الكافرين والفصل بينهم ، وقيل هو يوم بدر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فأعرض عنهم] أي فأعرض يا محمد عن هؤلاء الكفار ، ولا تبال بهم

[وانتظر إنهم منتظرون] أي وانتظر ما يحل بهم من عذاب الله ، إنهم منتظرون كذلك ما يحل بكم ! ! قال القرطبي : أي ينتظرون بكم حوادث الزمان.

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - جناس الاشتقاق مثل [تنذر . . ونذير] وكذلك مثل [آنتظر . . انهم منتظرون] .

2 - ا لطباق بين [الغيب . . والشهادة] وبين [خوفا . . وطمعا] .

3 - الالتفات من الغيبة إلى الخطاب [وجعل لكم] والأصل " وجعل له " والنكتة أن الخطاب إنما يكون مع الحي ، فلما نفخ تعالى الروح فيه حسن خطابه مع ذريته .

4 - الاستفهام الإنكاري وغرضه الاستهزاء [أئذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد]
5 - الإضمار [ربنا أبصرنا وسمعنا] أي يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا .
6 - الاختصاص [ثم إلى ربكم ترجعون] أي إليه لا إلى غيره مرجعكم يوم القيامة .
7 - حذف جواب (لو) للتهويل [ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم] أي لرأيت أمرا مهولا فظيعا ، لا يكاد يتصور من هوله وفظاعته .
8 - المشاكلة وهي الاتفاق في اللفظ مع الاختلاف في المعنى [نسيتم لقاء يومكم . . إنا نسيناكم] فإن الله تعالى لا ينسى ، وإنما المراد نترككم في العذاب ترك الشيء المنسي .
9 - المقابلة اللطيفة بين (جزاء الأبرار) و(جزاء الفجار) [أما الله آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى . . ، [وأما الذين فسقوا فمأواهم النار] وهو من المحسنات البديعية .
10 - الكناية عن كثرة العبادة والتبتل ليلا [تتجافى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جنوبهم عن المضاجع] كمن هجر الفراش ليتفرغ للعبادة والطاعة .

11- الاستفهام للتقريع والتوبيخ [أولم يهد لهم] ؟ [أولم يروا أنا نسوق الماء] ؟ [أفلا يسمعون] ؟ [أفلا يبصرون] وكلها بقصد الزجر والتوبيخ .

12 - السجع مراعاة للفواصل ورءوس الآيات مثل : إنا موقنون * وهم لا يستكبرون* لعلهم يرجعون " أفلا يسمعون ، وهذا من المحسنات البديعية وهو كثير في القرآن الكريم .

سورة الأحزاب

مدنية وآياتها ثلاث وسبعون آية

بين يدي السورة

* سورة الأحزاب من السور المدنية ، التي تتناول الجانب التشريعي لحياة الأمة الإسلامية ، شأن سائر السور المدنية ، وقد تناولت حياة المسلمين الخاصة والعامة ، وبالأخص (أمر الأسرة) فشرعت الأحكام بما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يكفل للمجتمع السعادة والهناء ، وأبطلت بعض التقاليد والعادات الموروثة ، مثل (التبني ، والظهار ، واعتقاد وجود قلبين لإنسان) وطفرته من رواسب المجتمع الجاهلى ، ومن تلك الخرافات والأساطير الموهومة ، التي كانت متفشية في ذلك الزمان .

* ويمكن أن نلخص المواضيع الكبرى لهذه السورة الكريمة في نقاط ثلاث : أولا : التوجيهات والآداب الإسلامية ، التي شرعها الخالق جل وعلا لعباده المؤمنين ، لسعادتهم وراحتهم . ثانيا : الأحكام الإلهية التي تنظم حياة الأسرة والمجتمع تنظيما دقيقا . ثالثا : الحديث عن غزوتي (الأحزاب ، وبني قريظة) بالتفصيل وما فيهما من العبر .

* أما الأولى : فقد جاء الحديث عن بعض الآداب الاجتماعية كآداب الوليمة ، وآداب الستر والحجاب ، وعدم التبرج ، وآداب معاملة الرسول (ص) واحترامه إلى أخر ما هنالك من آداب اجتماعية .

* وأما الثانية : فقد جاء الحديث عنها فى بعض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأحكام التشريعية مثل (حكم الظهار ، والتبني ، والإرث ، وزواج مطلقة الابن من التبني ، وتعدد زوجات الرسول الطاهرات والحكمة منه ، وحكم الصلاة على الرسول (ص) وحكم الحجاب الشرعي ، والأحكام المتعلقة بأمور الدعوة إلى الوليمة) إلى غير ما هنالك من أحكام تشريعية .

* وأما الثالثة : فقد تحدثت السورة بالتفصيل عن (غزوة الخندق) التي تسمى " غزوة الأحزاب " وصورتها تصويرا دقيقا ، بتضافر قوى البغي والشر على المؤمنين ، وكشفت عن خفايا المنافقين ، وحذرت من طرقهم في الكيد والتخذيل والتمبيط ، وأطالت الحديث عنهم في بدء السورة وفي ختمها ، حتى لم تبق لهم سترا ، ولم تخف لهم مكرا ، وذكرت المؤمنين بنعمة الله العظمى عليهم ، في رد كيد أعدائهم ، بإرسال الملائكة والريح ، كما تحدثت عن غزوة (بني قريظة) ونقض اليهود عهدهم مع الرسول (ص) وختمت بذكر الأمانة العظمى التي حملها الإنسان .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التسمية :

سميت سورة الأحزاب لأن المشركين تحزبوا على المسلمين من كل جهة ، فاجتمع كفار مكة مع " غطفان ، وبني قريظة ، وأوباشى العرب على حرب المسلمين ، ولكن الله ردهم مدحورين وكفى المؤمنين القتال بتلك المعجزة الباهرة . تفسيرسورة الأحزاب

قال الله تعالى : [يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين .] إلى قوله [ما قاتلوا إلا قليلا] . من آية (1) إلى نهاية آية (20) .

اللغة :

[أدعياءكم] جمع دعى وهو الولد المتبنى من أبناء الغير ، قال في اللسان : والدعي : المنسوب إلى غير أبيه ، قال الشاعر : دعى القوم ينصرمدعيه ليلحقه بذي النسب الصميم أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

[أقسط] أعدل يقال : أقسط الرجل إذا عدل ، وقسط إذا ظلم ، والقسط : العدل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[مسطورا] أي مسطرا مكتوبا لا يمحى

[ميثاقهم] الميثاق : العهد المؤكد بيمين أو نحوه

[الحناجر] جمع حنجرة وهي نهاية الحلقوم مدخل الطعام والشراب

[يثرب] اسم المدينة المنورة وسماها رسول الله (ص) " طيبة "

[عورة] خالية من الرجال غير محصنة يقال : دار معورة إذا كان يسهل دخولها ، قال الجوهري : العورة كل خلل يتخوف منه في ثغر أو حرب

[أقطارها] جمع قطر وهو الناحية والجانب

[يعصمكم] يمنعكم

[المعوقين] المثبطين مشتق من عاقه إذا صرفه .

سبب النزول :

---

1 - روي أن رجلا من قريش يدعى (جميل بن معمر) كان لبيبا حافظا لما يسمع ، فقالت قريش : ما حفظ هذه الأشياء إلا وله قلبان في جوفه فأنزل الله [ما جعل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله لرجل من قلبين في جوفه . .] الآية .

2 - وروي أن النبي (ص) لما أراد غزوة تبوك أمر الناس بالتجهز والخروج لها ، فقال أناس : نستأذن آباءنا وأمهاتنا ، فأنزل الله [النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم . . .] الآية .

التفسير :

[يا أيها النبي اتق الله] النداء هنا جاء على سبيل التشريف والتكرمة لأن لفظ " النبوة " مشعر بالتعظيم والتكريم ، أي اثبت يا أيها النبي على تقوى الله ودم عليها ، قال أبو السعود : وفي ندائه (ص) بعنوان النبوة تنوية شأنه ، وتنبيه على سمو مكانه ، والمراد بالتقوى المأمور به : الثبات عليه والازدياد منه ، فإن له بابا واسعا ، ومكانا عريضا لا ينال مداه

[ولا تطع الكافرين والمنافقين] أي ولا تطع ، أهل الكفر والنفاق ، فيما يدعونك إليه ، من اللين والتساهل ، وعدم التعرض لآلهتهم بسوء ، ولا تقبل أقوالهم ، وإن أظهروا أنها نصيحة ! ! قال المفسرون : دعا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المشركون رسول الله أن يرفض ذكر آلهتهم بسوء ، أن يقول إن لها شفاعة ، فكره (ص) ذلك ونزلت الآية [أن الله كان عليما حكيما] أي إنه تعالى عالم بأعمال العباد ، وما يضمرونه في نفوسهم ، حكيم في تدبير شئونهم

[واتبع ما يوحى إليك من ربك] أي وأعمل بما يوحيه إليك ربك من الشرع القويم ، والدين الحكيم ، واستمسك بالقرآن المنزل عليك

[وتوكل على الله] اي اعتمد عليه ، والجأ في أمورك إليه

[وكفى بالله وكيلا] أي وحسبك أن يكون الله حافظا وناصرا لك ولأصحابك ! ! ثم رد تعالى مزاعم الجاهلين ، ببيان الحق الساطع ، فقال سبحانه :

[ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه] أي ما خلق الله لأحد! من الناس أيا كان قلبين في صدره ، قال مجاهد : نزلت في رجل من قريش كان يدعى " ذا القلبين " من دهائه ، وكان يقول : أن في جوفي قلبين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، أعقل بكل واحد منهما عقلا أفضل من عقل محمد (ص) فلما كان يوم بدر ، انهزم المشركون ، وكان (جميل بن معمر) ذا القلبين في مقدمة المنهزمين ، فلقيه آبو سفيان فقال له : ما فعل الناس ؟ قال : انهزموا ، قال : فما بال إحدى نعليك في يدك ، والأخرى في رجلك ؟ فقال : لا ، بل هما فى رجلى ، ثم نظر فوجدها في يده ، فعلم الناس أنه لو كان له قلبان لما طاش عقله من هول الهزيمة! !

[وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم] اي وما جعل زوجاتكم اللوائي تظاهرون منهن أمهاتكم ، قال ابن الجوزي : أعلم تعالى أن الزوجة لا تكون أما ، وكانت الجاهلية تطلق بهذا الكلام ، وهو أن يقول لها : أنت على كظهر أمي

[وما جعلإ أدعياءكم أبناءكم] أي وما جعل الأبناء من التبني ، الذين هم ليسوا من أصلابكم ، أبناء لكم حقيقة [ذلكم قولكم بأفواهكم] أي دعاؤهم أبناء مجرد قول بالفم ، لا حقيقة له من الواقع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والله يقول الحق] أي والله تعالى يقول الحق الموافق للواقع ، والمطابق له من كل الوجوه

[وهو يهدي السبيل] أي يرشد إلى الصراط المستقيم ، والغرض من الآية التنبيه على بطلان مزاعم الجاهلية ، فكما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه ، فكذلك لا يمكن أن تصبح الزوجة المظاهر منها أما ، ولا الولد المتبنى ابنا ، لأن الأم الحقيقية هي التي ولدته ، والابن الحقيقي هو الذي ولد من صلب الرجل ، فكيف يجعلون الزوجات المظاهر منهن أمهات ؟ وكيف يجعلون أبناء الآخرين أبناء لهم ؟ مع إنهم ليسوا من أصلابهم ؟ ثم أمر تعالى برد نسب هؤلاء إلى آبائهم قال :

[آدعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله] أي انسبوا هؤلاء الذين جعلتموهم لكم أبناء لآبائهم الأصلاء [هو أقسط عند الله] أي هو أعدل وأقسط في حكم الله وشرعه قال ابن جرير : أي دعاؤكم إياهم لآبائهم هو أعدل عند الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، وأصدق وأصوب ، من دعائكم إياهم لغير آبائهم

[فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين] اي فإن لم تعرفوا آباءهم الأصلاء فتنسبوهم إليهم ، فهم إخوانكم في الإسلام

[ومواليكم] أي أولياؤكم فى الدين ، فليقل أحدكم : يا أخي ولى مولاي ، يقصد إخوة الدين وولايته ، قال ابن كثير : أمر تعالى برد أنساب الأدعياء إلى أبائهم إن عرفوا ، فإن لم يعرفوا فهم إخوانهم في الدين ومواليهم ، عوضا عما فاتهم من النسب ، ولهذا قال رسول الله (ص) لزيد بن حارلة : " أنت أخونا ومولانا " وقال ابن عمر : ما كنا ندعو " زيد بن حارثة " إلا زيد بن محمد حتى نزلت [ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله]

[وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به] أي وليس عليكم أيها المؤمنون ذنب أو إثم ، فيمن نسبتموهم إلى غير آبائهم خطأ

[ولكن ما تعمدت قلوبكم] أي ولكن الإثم فيما تقصدتم وتعمدتم نسبته إلى غير أبيه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وكان الله غفورا رحيما] أي واسع المغفرة ، عظيم الرحمة ، يعفو عن المخطىء ، ويرحم المؤمن التائب . . لم يبين تعالى شفقة الرسول (ص) على أمته ونصحه لهم فقال سبحانه :

[النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم] أي هو عليه السلام أرأف بهم ، وأعطف عليهم ، وأحن بهم من أنفسهم ، في كل شيء من أمور الدين والدنيا ، وحكمه أنفذ ، وطاعته أوجب

[وأزواجه أمهاتهم] أي وزوجاته الطاهرات أمهات للمؤمنين ، في وجوب تعظيمهن واحترامهن ، وتحريم نكاحهن ، قال أبو السعود : أي منزلات منزلة الأمهات ، في التحريم واستحقاق التعظيم ، وأما فيما عدا ذلك فهن كالأجنبيات

[وأولوا آلأرحام] أي أهل القرابات

[بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين] أي أحق بالإرث من المهاجرين والأنصار في شرع الله ودينه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا] أي إلا أن تحسنوا إلى إخوانكم المؤمنين والمهاجرين في حياتكم ، أو توصوا إليهم عند الموت ، فإن ذلك جائز ، وبسط اليد بالمعروف مما حث الله عباده عليه ، قال المفسرون : وهذا نسخ لما كان فى صدر الإسلام من توارث المسلمين من بعضهم بالأخوة الإيمانية وبالهجرة ونحوها

[كان ذلك فى الكتاب مسطورا] أي كان حكم التوارث بين ذوي الأرحام ، مكتوبا مسطرا في الكتاب العزيز ، لا يبدل ولا يغير ، قال قتادة : أي مكتوبا عند الله عز وجل ألا يرث كافر مسلما

[وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم] أي اذكر وقت أخذنا من النبيين عهدهم المؤكد باليمين ، أن يفوا بما التزموا ، وأن يصدق بعضهم بعضا ، وان يؤمنوا برسالة محمد (ص) ورسالاتهم

[ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم] أي وأخذنا منك يا محمد الميثاق ، ومن (نوح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإبراهيم وموسى وعيسى) وهؤلاء هم أولو العزم ومشاهير الرسل ، وإنما قدمه (ص) في الذكر لبيان مزيد شرفه وتعظيمه ، قال البيضاوي : خصهم بالذكر لأنهم مشاهير أرباب الشرائع ، وقدم نبيا عليه الصلاة والسلام تعظيما له وتكريما لشأنه وقال ابن كثير : بدأ بالخاتم لشرفه صلوات الله عليه ، وبيانا لعظم مكانته ، ثم رتبهم بحسب وجودهم في الزمان

[وأخذنا منهم ميثاقا غليظا] أي وأخذنا من الأنبياء عهدا وثيقا عظيما ، على الوفاء بما التزموا به من تبليغ الرسالة

[ليسأل الصادقين عن صدقهم] أي ليسأل الله يوم القيامة الأنبياء الصادقين ، عن تبليغهم الرسالة إلى قومهم ، قال الصاوى : والحكمة في سؤال الرسل مع علمه تعالى بصدقهم ، هو التقبيح على الكفار يوم القيامة ، وتبكيتهم ، وقال القرطبي : وفى الآية تنبيه على أن الأنبياء إذا كانوا يسألون يوم القيامة فكيف بمن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سواهم ؟ وفائدة سؤالهم توبيخ الكفار كما قال تعالى لعيسى : [أأنت قلت للناس آتخذوني وأمي آلهين] ؟

[وأعد للكافرين عذابا أليما] أي وأعد الله للكافرين عذابا مؤلما موجعا ، بسبب كفرهم وإعراضهم عن قبول الحق . . لم شرع تعالى في ذكر (غزوة الأحزاب) وما فيها من نعم فائضة ، وآيات باهرة للمؤمنين فقال سبحانه :

[يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم] أي اذكروا فضله وإنعامه عليكم

[إذ جاءتكم جنود] أي وقت مجيء جنود الأحزاب وتألبهم عليكم ، قال أبو السعود : والمراد بالجنود " الأحزاب " وهم قريش ، وغطفان ، ويهود قريظة ، وبنى النضير ، وكانوا زهاء اثني عشر ألفا ، فلما سمع رسول الله (ص) بإقبالهم ضرب الخندق على المدينة ، بإشارة " سلمان الفارسي " ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب معسكره والخندق بينه وبين المشركين ، واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونجم النفاق في المنافقين ، حتى قال " معتب بن قشير " : يعدنا محمد كنوز (كسرى) و(قيصر) ولا نقدر أن نذهب إلى الغائط ! !

[فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها] آي فأرسلنا على الأحزاب ريحا شديدة ، وجنودا من الملائكة لم تروهم ، وكانوا قرابة ألف ، قال المفسرون : بعث الله عليهم ريحا عاصفا ، وهي ريح الصبا في ليلة شديدة البرد والظلمة ، فقلعت بيوتهم ، وكفأت قدورهم ، وصارت تلقي الرجل على الأرض ، وأرسل الله الملائكة فزلزلتهم - ولم تقاتل - بل ألقت في قلوبهم الرعب

[وكان الله بما تعملون بصيرا] أي وهو تعالى مطلع على ما تعملون من حفر الخندق ، والثبات على معاونة النبي (ص) في ذلك الوقت

[إذ جاءوكم من فوقكم] أي حين جاءتكم الأحزاب من فوق الوادي ، يعني من أعلاه قبل المشرق ، ومنه جاءت أسد وغطفان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ومن أسفل منكم] أي ومن لأسفل الوادي يعني أدناه قبل المغرب ، ومنه جاءت قريش وكنانة وأوباش العرب ، والغرض أن المشركين جاءوهم من جهة المشرق والمغرب ، وأحاطوا بالمسلمين إحاطة السوار بالمعصم ، وأعانهم يهود (بني قريظة) فنقضوا العهد مع الرسول ، وانضموا إلى المشركين ، فاشتد الخوف ، وعظم البلاء ، ولهذا قال تعالى

[وإذ زاغت الأبصار] أي وحين مالت الأبصار عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا لشدة الهول والرعب

[وبلغت القلوب الحناجر] أي زالت عن أماكنها من الصدور ، حتى كادت تبلغ الحناجر ، وهذا تمثيل لشدة الرعب والفزع الذي دهاهم ، حتى كأن أحدهم قد وصل قلبه إلى حنجرته ، من شدة ما يلاقي من الهول

[وتظنون بالله الظنونا] أي وكنتم في تلك الحالة الشديدة تظنون الظنون المختلفة ، قال الحسن البصرى : ظن المنافقون أن المسلمين يستأصلون ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وظن المؤمنون أنهم ينصرون ، فالمؤمنون ظنوا خيرا ، والمنافقون ظنوا شرا ، وقال ابن عطية : كاد المؤمنون يضطربون ويقولون : ما هذا الخلف للوعد ؟ وهذه عبارة عن خواطر خطرت للمؤمنين ، لا يمكن للبشر دفعها ، وأما المناققون فتعجلوا ونطقوا وقالوا : ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا

[هنالك ابتلي المؤمنون] أي فى ذلك الزمان والمكان امتحن المؤمنون واختبروا ، ليتميز المخلص الصادق من المناقق ، قال القرطبي : وكان هذا الإبتلاء بالخوف والقتال ، والجوع والحصر والنزال

[وزلزلوا زلزالا شديدا] أي وحركوا تحريكا عنيفا من شدة ما دهاهم ، حتى لكأن الأرض تتزلزل بهم ، وتضطرب تحت أقدامهم ، قال ابن جزي : وأصل الزلزلة شدة التحريك وهو هنا عبارة عن اضطراب القلوب وتزعزعها

[وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض] أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واذكر حين يقول المنافقون ، والذين في قلوبهم مرض النفاق ، لأن الإيمان لم يخالط قلوبهم

[ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا] أي ما وعدنا الله ورسوله إلا باطلا وخداعا ، قال الصاوي : والقائل هو " معتب بن قشير " الذي قال : يعدنا محمد بفتح فارس والروم ، وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا ، ما هذا إلا وعد غرور ، يغرنا به محمد

[وإذ قالت طائفة منهم] أي واذكر حين قالت جماعة من المنافقين وهم : أوس بن قيظي وأتباعه ، وأبن ابن سلول وأشياعه

[يا أهل يثرب لا مقام لكم] أي يا أهل المدينة لا قرار لكم ههنا ولا إقامة

[فارجعوا] أي فارجعوا إلى منازلكم واتركوا محمدا وأصحابه

[ويستأذن فريق منهم النبي] ويستأذن جماعة من المنافقين النبي (ص) في الانصراف متعللين بعلل واهية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يقولون إن بيوتنا عورة] أي غير حصينة فنخاف عليها العدو والسراق

[وما هي بعورة] تكذيب من الله تعالى لهم ، أي ليس الأمر كما يزعمون

[إن يريدون إلا فرارا] أي ما يريدون بما طلبوا من الرسول (ص) إلا الهرب من القتال ، والفرار من الجهاد ، والتعبير بالمضارع [ويستأذن] لاستحضار الصورة في النفس ، فكأن السامع يبصرهم الآن وهم يستأذنون رسول الله (ص) ثم فضحهم تعالى وبين كذبهم ونفاقهم ، فقال :

[ولو دخلت عليهم من أقطارها] أي ولو دخل الأعداء على هؤلاء المنافقين ، من جميع نواحي المدينة وجوانبها

[ثم سئلوا الفتنة لآتوها] أي ثم طلب إليهم أن يكفروا ، وأن يقاتلوا المسلمين لأعطوها من أنفسهم

[وما تلبثوا بها إلا يسيرا] أي لفعلوا ذلك مسرعين ، ولم يتأخروا عنه برهة ، لشدة فسادهم ، وذهاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإيمان من نفوسهم ، فهم لا يحافظون على الإيمان ، ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع ، وهذا ذم لهم في غاية الذم

[ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الإبار] أي ولقد كان هؤلاء المنافقون أعطوا ربهم العهود والمواثيق ، من قبل غزوة الخندق ، وبعد بدر إلا يفروا من القتال

[وكان عهد الله مسئولا] أى وكان هذا العهد منهم جديرا بالوفاء ، لأنهم سيسألون عنه ، وفيه تهديد ووعيد ، قال قتادة : لما غاب المنافقون عن بدر ، ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والنصر ، قالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتل

[قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل] أي قل يا أيها النبي لهؤلاء المنافقين ، الذين يفرون من القتال طمعا في البقاء وحرصا على الحياة : إن فراركم لن يطول أعماركم ، ولن يؤخر آجالكم ، ولن يدفع الموت عنكم أبدا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإذا لا تمتعون إلا قليلا] أي ولئن هربتم وفررتم ، فإذا لا تمتعون بعده إلا زمنا يسيرا ، لأن الموت ماس كل حي ، ومن لم يمت بالسيف مات بغيره

[قل من ذا الذي يعصمكم من الله] أي من يستطيع أن يمنعكم منه تعالى

[إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة] أي إن قدر هلاككم ودماركم ، أو قدر بقاءكم ونصركم ؟

[ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا] أي وليس لهم من دون الله مجير ولا مغيث ، فلا قريب ينفعهم ، ولا ناصر ينصرهم

[قد يعلم الله المعوقين منكم] أي لقد علم الله تعالى أمر أولئك المنافقين ، المثبطين للعزائم ، الذين يعوقون الناس عن الجهاد ، ويصدونهم عن القتال

[والقائلين لإخوانهم هلم إلينا] أى والذين يقولون لإخوانهم في الكفر والنفاق : تعالوا إلينا ، واتركوا محمدا وصحبه يهلكوا ، ولا تقاتلوا معهم ، قال تعالى :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا يأتون البأس إلا قليلا] أي ولا يحضرون القتال إلا قليلا منهم ، رياء وسمعة ، قال الصاوى : لأن شأن من يثبط غيره عن الحرب ، إلا يفعله إلا قليلا لغرض خبيث وقال في البحر : المعنى : لا يأتون القتال إلا إتيانا قليلا ، يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم أنهم معهم ، ولا تراهم يقاتلون إلا شيئا قليلا إذا إضطروا إليه ، فقتالهم رياء ليس بحقيقة

[أشحة عليكم] أي بخلاء عليكم بالمودة والشفقة والنصح ، لأنهم لا يريدون لكم الخير

[فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت] أي فإذا حضر القتال ، رأيت أولئك المنافقين في شدة رعب ، لا معيل لها ، حتى إنهم لتدور أعينهم في أحداقهم ، كحال المغشى عليه من معالجة سكرات الموت ، حذرا وخورا ، قال القرطبي : وصفهم بالجبن ، وكذا سبيل الجبان ينظر يمينا وشمالا ، محددا بصره ، وربما غشي عليه من شدة الخوف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد] أي فإذا ذهب الخوف عنهم ، وانجلت المعركة ، آذوكم بالكلام بألسنة سليطة ، وبالغوا فيكم طعنا وذما ، قال قتادة : إذا كان وقت قسمة الغنيمة ، بسطوا ألسنتهم فيكم ، يقولون : أعطونا أعطونا ، فإنا قد شهدنا معكم ، ولستم أحق بها منا ، فأما عند البأس ، فأجبن قوم وأخذلهم للحق ، وأما عند الغنيمة ، فأشح قوم وأبسطهم لسانا

[أشحة على الخير] أي خاطبوكم بما خاطبوكم به حال كونهم (أشحة) أي بخلاء على المال والغنيمة

[أولئك لم يؤمنوا] أي أولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء ، لم يؤمنوا حقيقة بقلوبهم ، لأن اسلموا ظاهرا

[فأحبط الله أعمالهم] أي أبطلها بسبب كفرهم ونفاقهم ، لأن الإيمان شرط في قبول الأعمال

[وكان ذلك على الله يسيرا] أي وكان ذلك الإحباط مسهلا هينا على الله ، ثم أخبر تعالى عنهم بما يدل على جبنهم ، فقال سبحانه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يحسبون الأحزاب لم يذهبوا] أي يحسب المنافقون من شدة خوفهم وجبنهم ، أن الأحزاب - وهم كفار قريش ومن تحزب معهم - بعد انهزامهم ، لم ينصرفوا عن المدينة ، وهم قد انصرفوا

[وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب] أي وإن يرجع إليهم الكفار كرة ثانية للقتال ، يتمنوا لشدة جزعهم أن يكونوا في البادية مع الأعراب - لا في المدينة معكم - حذرا من القتل ، وتربصا للدوائر بالمؤمنين

[يسألون عن أنبائكم] آي يسألون عن أخباركم وما وقع لكم ، فيقولون : أهلك المؤمنون ؟ أغلب أبو سفيان ؟ ليعرفوا حالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة

[ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا] أي ولو أنهم كانوا بينكم وقت القتال واحتدام المعركة ، ما قاتلوا معكم إلا قتالا قليلا ، لجبنهم وذلتهم وحرصهم على الحياة ، وعدم يقينهم بنصر الله ، فقلوبهم عليلة ، وأجسامهم هزيلة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - التنكير لإفادة الاستغراق والشمول [ما جعل الله لرجل من قلبين] وادخال حرف الجر الزائد لتأكيد الاستغراق ، وذكر الجوف [في جوفه] لزيادة التصوير والتأكيد في الإنكار .

2 - جناس الاشتقاق [وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا] .

3 - الطباق بين [أخطأتم . . وتعمدت قلوبكم] وبين [سوء . . ورحمة] لأن المراد بالسوء الشر ، وبالرحمة الخير .

4 - التشبيه البليغ [وأزواجه أمهاتهم] حذف منه وجه الشبه وأداة التشبيه فصار بليغا ، وأصل الكلام وأزواجه مثل أمهاتهم في وجوب الاحترام والتعظيم ، والإجلال والتكريم .

5 - المجاز بالحذف [أولى ببعض] أي أولى بميراث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعض .

6 - ذكر الخاص بعد العام للتشريف [وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح] فقد دخل هؤلاء المذكورون في جملة النبيين ، ولكنه خصهم بالذكر تنويها بشأنهم وتشريفا لهم .

---

7 - الاستعارة [ميثاقا غليظا] استعار الشيء الحسى - وهو الغلظ الخاص بالأجسام - للشىء المعنوي وهو بيان حرمة الميثاق وعظمه وثقل حمله ، على طريقة (الاستعارة التصريحية) .

8 - الالتفات [ليسأل الصادقين] وغرضه التبكيت والتقبيح للمشركين .

9 - الطباق ببن [من فوقكم . . وأسفل منكم] .

10 - التشبيه التمثيلي [تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت] لأن وجه الشبه منتزع من متعدد ، فهو (تشبيه تمثيلي) .

11 - المبالغة في التمثيل [وبلغت القلوب الحناجر]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صور القلوب في خفقانها واضطرابها ، كأنها وصلت إلى الحلقوم ، وتكاد تزهق .

12 - الكناية [لا يولون الأدبار] كناية عن الفرار من الزحف .

13 - الاستعارة المكنية [سلقوكم بألسنة حداد] شبه اللسان بالسيف المصلت وحذف ذكر المشبه به ، ورمز له بشيء من لوازمه وهو السلق بمعنى الضرب ، على طريق الاستعارة المكنية ، ولفظ

[حداد] ترشيح .

14 - توافق الفواصل في الحرف الأخير مثل [كان ذلك في الكتاب مسطورا . . وما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا] ونحوه ، وهو يزيد في رونق الكلام وجماله ، لما له من وقع رائع ، وجرس عذب .

تنبيه :

خاطب الله تعالى الأنبياء بأسمائهم فقال : [يا نوح اهبط بسلام منا] [يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا] [يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولم يخاطب الرسول إلا بلفظ النبوة ، أو الرسالة [يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك] الخ ولا نجد في القرآن العظيم كله نداء له باسمه ، وإنما النداء بلفظ النبوة والرسالة ، وفي هذا تفخيم لشأنه ، وتعظيم لمقامه ، وإشارة إلى أنه سيد الأولين والآخرين ، وإمام الأنبياء والمرسلين ، وتعليم لنا الأدب معه (ص) ، فلا نذكره إلا مع الإجلال والإكرام ، ولا نصفه إلا بالوصف الأكمل [لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا . .] [إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى . .] الآية .

لطيفه : إن قيل : ما الفائدة بأمر الله رسوله بالتقوى وهو سيد المتقين ؟ فالجواب إنه أمر بالثبات والاستدامة على التقوى ، كقوله : [يا أيها الذين آمنوا آمنوا] أي أثبتوا على الإيمان ، وكقول المسلم [اهدنا الصراط المستقيم] وهو مهتد إليه ، وغرضه التثبيت على الصراط المستقيم ، أو نقول : الخطاب للرسول (ص) والمراد أمته .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الله تعالى : [لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة . .] إلى قوله [أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما] من آية (21) إلى نهاية آية (35) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى غزوة الأحزاب ، وموقف المناققين المذبذبين منها ، بالقعود عن الجهاد ، وتثبيط العزائم ، أمر المؤمنين في هذه الآيات بالاقتداء بالرسول الكريم ، في صبره وثباته ، وتضحيته وجهاده ، ثم جاء الحديث عن زوجات رسول الله الطاهرات ، وأمرهن بالاقتداء برسول الله (ص) في زهده ، وعدم التطلع إلى زهرة الدنيا ، لأنهن قدوة لسائر نساء المؤمنين .

اللغة :

[أسوة] الأسوة : القدوة وفيها لغتان كسر الهمزة وضمها يقال انتسى فلان بفلان أي اقتدى به

[نحبه] النحب : النذر والعهد يقال : نحب ينحب من باب قتل نذر ، ومن باب ضرب بكى ، قال لبيد : ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضى أو ضلال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وباطل ويقال : قضى نحبه إذا مات ، وعبر به عن الموت ، لأن كل حي لابد أن يموت ، فكأنه نذر لازم في رقبته ، فإذا مات فقد قضى نحبه أي نذره

[صياصيهم] حصونهم جمع صيصية وهو ما يتحصن به ، قال الشاعر : فأصبحت الثيران صرعى

وأصبحت نساء تميم يبتدرن الصياصيا

[أمتعكن] متعة الطلاق ، وأصل المتاع ما يتبلغ به من الزاد ، ومنه متعة المطلقة لأنها تنتفع وتتمتع به

[وأسرحكن] أطلقكن ، وأصل التسريح في اللغة : الإرسال والإطلاق

[تبرجن] تبرجت المرأة : أظهرت زينتها ومحاسنها للأجانب ، وأصله من الظهور ومنه سمي البرج لسعته وظهوره

[وقرن] إلزمن بيوتكن من قولهم : قررت بالمكان أقر به إذا بقيت فيه ولزمته ، والقرار : مصدر ، وأصل " قرن " اقررن حذفت الراء والقيت فنحتها على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما قبلها ، واستتني عن ألف الوصل لتحرك القاف

[الرجس] في اللغة : القذر والنجاسة ، وعبر به هنا عن الآثام ، لأن عرض المقترف للقبائح يتلوث بها ويتدنس ، كما يتلوث بدنه بالنجاسات .

سبب النزول :

1 - أخرج ابن جرير الطبري عن أنس بن مالك قال : غاب عمي " أنس بن النضر ، عن قتال يوم بدر ، فقال : غبت عن أول قتال مع رسول الله (ص) ؟ لئن أشهدني الله قتالا ليرين الله ما اصنع ؟ فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون - انهزموا - فقال : اللهم إني أبرا إليك مما فعل هؤلاء - يعني المشركين - وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - ثم مشى بسيفه ، فلقيه " سعد بن معاذ " فقال : أي سعد والله إني لأجد ريح الجنة دون أحد! ثم قاتل حتى قتل ، فقال سعد يا رسول الله : ما استطعت أن أصنع ما صنع ، قال أنس بن مالك : فوجدناه بين القتلى وبه بضع وثمانون جراحة بين ضربة بسيف ، أو طعنة برمح ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أو رمية بسهم ، فما عرفناه حتى جاءت أخته فعرفته ببنانه - رءوس الأصابع - قال أنس : فكنا نتحدث أن هذه الآية [من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر . .] نزلت فيه وفي أصحابه .

2 - وروى الإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه قال : أقبل أبو بكر رضي الله عنه يستأذن رسول الله (ص) - والناس ببابه جلوس - فلم ي] ذن له ، ثم أقبل عمر رضي الله عنه ، فاستأذن فلم يؤذن له ، ثم أذن لأبي بكر وعمر فدخلا والنبي (ص) جالس وحوله نساؤه وهو ساكت ، فقال عمر : لأكلمن النبي (ص) لعله يضحك ! فقال يا رسول الله : لو رأيت ابنة زبد - امرأة عمر - سألتني النفقة آنفا فوجأت عنقها ، فضحك النبي (ص) حتى بدث نواجذه وقال : " هن حولي يسألنني النفقة " فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها ، وقام عمر إلى حفصة كلاهما يقولان : تسألان رسول الله ما ليس عنده ؟ فنهاهما رسول الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(ص) فقلن : والله لا نسأل رسول الله (ص) بعد هذا المجلس ما ليس عنده ، وأنزل الله آية الخيار [يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيبا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا] فبدا بعائشة رضي الله عنها فقال لها : إني أذكر لك أمرا ما أحب أن تعجلي فيه ، حتى تستأمري أبويك ، قالت : وما هو يا رسول الله ؟ فتلا عليها الآية ، فقالت : أفيك أستأمر آبوي ؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، واسألك ألا تذكر لإمراة من نسائك ما اخترت ! ! فقال : " إن الله لم يبعثني معنفا ، ولكن بعثني معلما وميسرا ، لا تسألني إمراة منهن عما اخترت إلا أخبرتها " .

3 - عن أم سلمة رضي الله عنها قالت للنبي (ص) يا نبى الله : ما لي أسمع الرجال يذكرون فى القرآن ، والنساء لا يذكرن ! ؟ فأنزل الله تعالى : [إن المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات . .] الآية .

التفسير :

[لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة] أي لقد كان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكم أيها المؤمنون في هذا الرسول العظيم قدوة حسنة ، تقتدون به (ص) فى إخلاصه ، وجهاده ، وصبره ، فهو المثل الأعلى الذي يجب أن يقتدى به ، في جميع أقواله ، وأفعاله ، وأحواله ، لأنه لا ينطق ولا يفعل عن هوى ، بل عن وحي وتنزيل ، فلذلك وجب عليكم تتبع نهجه ، وسلوك طريقه

[لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر] أي لمن كان مؤمنا مخلصا ، يرجو ثواب الله ، ويخاف عقابه

[وذكر الله كثيرا] أي وأكثر من ذكر ربه ، بلسانه وقلبه ، قال ابن كثير : أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبى (ص) في صبره ومصابرته ، ومجاهدته ومرابطته ، ولهذا قال للذين تضجروا وتزلزلوا ، واضطربوا يوم الأحزاب [لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة] والمعنى : هلا اقتديتم وتأسيتم بشمائله (ص) ! ! ثم حكى تعالى موقف المؤمنين الصادقين في غزوة الأحزاب أثناء رؤيتهم جنود قريش ومن تحزب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معهم ، وما صدر عن المؤمنين من إخلاص ويقين ، تظهر بوضوح روح الإيمان والتضحية ، فقال سبحانه :

[ولما رءا المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله] أي ولما رأى المؤمنون الكفار قادمين نحوهم ، وقد أحاطوا بهم من كل جانب ، إحاطة السوار بالمعصم ، قالوا : هذا ما وعدنا به الله ورسوله ، من المحنة والابتلاء ، ثم النصر على الأعداء [وصدق الله ورسوله] أى صدق الله في وعده ، ورسوله فيما بشرنا به ، قال المفسرون : لما كان المسلمون يحفرون الخندق اعترضتهم صخرة عظيمة ، عجزوا عن تكسيرها ، فأخبروا الرسول (ص) بها فجاء وأخذ المعول وضربها ثلاث ضربات ، أضاءت له منها مدائن كسرى ، وقصور الروم ، فقال أبشروا بالنصر ، فلما أقبلت جموع المشركين وراؤهم ، قالوا : [هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وما زادهم إلا إيمانا وتسليما] أي وما زادهم ما رأوه من كثرة جند الأحزاب ، ومن شدة الضيق والحصار ، إلا إيمانا قويا عميقا بالله ، واستسلاما وانقيادا لأوامره

[من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه] أي ولقد كان من أولئك المؤمنين رجال صادقون ، نذروا أنهم إذا أدركوا حربا مع رسول الله (ص) ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا

[فمنهم من قضى نحبه] أي فمنهم من وفى بنذره وعهده ، حتى استشهد في سبيل الله كأنس بن النضر ، وحمزة

[ومنهم من ينتظر] أي ومنهم من ينتظر الشهادة في سبيل الله

[وما بدلوا تبديلا] أي وما غيروا عهدهم الذي عاهدوا عليه ربهم أبدا

[ليجزي الله الصادقين بصدقهم] أي ليجزي الله الصادقين بسبب صدقهم وحسن صنيعهم ، أحسن الجزاء فى الآخرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم] أي ويعذب المنافقين الناقضين للعهود ، بأن يميتهم على النفاق فيعذبهم ، أو يتوب عليهم فيرحمهم

[أن الله كان غفورا رحيما] أي واسع المغفرة رحيما بالعباد ، قال ابن كثير : ولما كانت رحمته ورأفته تبارك وتعالى هي الغالبة لغضبه ، ختم بها الآية الكريمة

[ورد الله الذين كفروا بغيظهم] أي ورد الله الأحزاب ، الذين تألبوا على غزو المدينة ، خائبين خاسرين ، مغيظين محنقين ، لم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا

[لم ينالوا خيرا] أي لم ينالوا أي خير ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، بل قد اكتسبوا الآثام ، في مبارزة وعداء الرسول عليه السلام ، وهمهم بقتله

[وكفى الله المؤمنين القتال] أي كفاهم شر أعدائهم ، بأن أرسل عليهم الريح والملائكة ، حتى ولوا الأدبار منهزمين

[وكان الله قويا عزيزا] أي قادرا على الانتقام من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أعدائه ، عزيزا غالبا لا يقهر ، ولهذا كان عليه السلام حين دخل مكة فاتحا منتصرا يقول : (لا إله إلا الله وحده ، نصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده)

[وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم] أي وأنزل اليهود - وهم بنو قريظة - الذين أعانوا المشركين ، ونقضوا عهدهم ، وانقلبوا على النبي وأصحابه ، أنزلهم من حصونهم وقلاعهم ، التي كانوا يتحضنون فيها

[وقذف فى قلوبهم الرعب] أي ألقى الله في قلوبهم الخوف الشديد ، حتى فتحوا الحصون واستسلموا ، قال ابن جزي : نزلت الآية فى يهود ابن قريظة) وذلك أنهم كانوا معاهدين لرسول الله (ص) فنقضوا عهده وصاروا مع قريش ، فلما انهزم المشركون ، وانصرفت قريش عن المدينة حاصر رسول الله (ص) (بني قريظة) حتى نزلوا على حكم (سعد بن معاذ)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فحكم بأن يقتل رجالهم ، ويسبى نساؤهم وذريتهم ،
فذلك قوله تعالى :
[فريقا تقتلون] يعني الرجال ، وقتل منهم يومئذ ما
بين الثمانمائة والتسعمائة
[وتأسرون فريقا] يعنى النساء والذرية
[وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم] أي وأورثكم يا
معشر المؤمنين أرض " بني قريظة " وعقارهم وخيلهم
، ومنازلهم وأموالهم التي تركوها
[وأرضا لم تطئوها] أي وأرضا اخرى لم تطؤوها
بعد بأقدامكم ، وهي " خيبر " لأنها أخذت بعد قريظة ،
وكل أرض فتحها المسلمون بعد ذلك
[وكان الله على كل شيء قديرا] أي قادرا على كل مأ
أراد ، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ،
قال أبو حيان : ختم تعالى هذه الآية ببيان قدرته على
كل شيء ، وكأن في ذلك إشارة إلى فتحه على
المسلمين الفتوح الكثيرة ، فكما ملكهم هذه الأراضي ،
فكذلك هو قادر على ان يمنكهم غيرها من البلاد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يا أيها النبي قل لأزواجك] أي قل لزوجاتك اللاتي تأذيت منهن بسبب سؤالهن إياك الزيادة فى النفقة

[إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها] أي إن رغبتن فى سعة الدنيا ونعيمها ، وبهرجها الزائل

[فتعالين أمتعكن] أي فتعالين حتى أدفع لكن متعة الطلاق

[وأسرحكن سراحا جميلا] لآي ولآطلقكن طلاقا من غير ضرار

[وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة] أي وإن كنتن ترغبن في رضوان الله ورسوله ، والفوز بالنعيم الوافر في الدار الآخرة

[فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما] جواب الشرط أي فإن الله تعالى قد هيأ للمحسنات منكن بمقابلة إحسانهن ، ثوابا كبيراً لا يوصف ، وهو الجنة التي فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، قال في البحر : لما نصر الله نبيه ، وفرق عنه الأحزاب ، وفتح عليه قريظة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والنضير ، ظن أزواجه أنه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم ، فقعدن حوله وقلن يا رسول الله : بنات كسرى وقيصر في الحلي والحلل ، ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق ! ! وآلمن قلبه بمطالبتهن له بتوسعة الحال ، وأن يعاملهن بما يعامل به الملوك والأكابر أزواجهم ، فأمره الله أن يتلو عليهن ما نزل في أمرهن ، وأزواجه إذ ذاك تسع زوجات

[يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة] أي من تفعل منكن كبيرة من الكبائر ، أو ذنبا تجاوز الحد في القبح ، قال ابن عباس : يعني النشوز وسوء الخلق ((وهذا هو الصحيح ، لأن فاحشة الزنى لا تقع من زوجة من زوجات أحد من الرسل ، فالمراد بالفاحشة هنا : العصيان وسوء الخلق كما قال ابن عباس))

[يضاعف لها العذاب ضعفين] أي يكون جزاؤها ضعف جزاء غيرها من النساء ، لأن زيادة قبح المعصية ، تتبع زيادة الفضل والمرتبة

[وكان ذلك على الله يسيرا] أي كان ذلك العقاب سهلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يسيرا على الله ، لا يمنعه منه كونهن أزواج ونساء النبى (ص) ، وفي الآية تلوين للخطاب ، فبعد أن كانت المخاطبة لهن على لسان رسول الله (ص) ، وجه الله الخطاب إليهن هنا مباشرة ، لإظهار الاعتناء بأمرهن ونصحهن ، قال الضاوي : وهذه الآيات خطاب من الله لأزواج النبي (ص) إظهاراً لفضلهن ، وعظم قدرهن عند الله تعالى ، لأن العتاب والتشديد في الخطاب ، مشعر برفعة رتبتهن ، لشدة قربهن من رسول الله (ص) ولأنهن أزواجه في الجنة ، فبقدر القرب من رسول الله ، يكون القرب من الله

[ومن يقنت منكن لله ورسوله] أي ومن تواظب منكن على طاعة الله وطاعة رسوله

[وتعمل صالحا] أي وتتقرب إلى الله بفعل الخير ، وعمل الصالحات

[نؤتها أجرها مرتين] أي نعطها الثواب مضاعفا ، ونثيبها مرتين : مرة على الطاعة والتقوى ، وأخرى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على طلبهن رضاء رسول الله (ص) بالقناعة وحسن المعاشرة

[وأعتدنا لها رزقا كريما] أي وهيأنا لها في الجنة - زيادة على ما لها من أجر - رزقا حسنا مرضيا لا ينقطع ، ثم أظهر فضيلتهن على سائر النساء فقال :

[يا نساء النبي لستن كأحد من النساء] أي أنتن تختلفن عن سائر النساء ، من جهة أنكن أفضل وأشرف من غيركن ، لكونكن زوجات خاتم الرسل ، وافضل الخلق محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم ، فليست الواحدة منكن كالواحدة من آحاد النساء

[إن اتقيتن] شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله أي إن اتقيتن الله فأنتن بأعلى المراتب ، قال القرطبي : بين تعالى أن الفضيلة إنما تتم لهن بشرط التقوى ، لما منحهن الله من صحبة رسوله سيد الأولين والآخرين (ص) وقال ابن عباس : يريد في هذه الآية : ليس قدركن عندي ، مثل قدر غيركن من النساء الصالحات ، أنتن أكرم على ، وثوابكن أعظم إن اتقيتن ، فشرط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليهن التقوى ، بيانا أن فضيلتهن إنما تكون بالتقوى ، لا بنفس اتصالهن برسول الله (ص)

[فلا تخضعن بالقول] أي فلا ترققن ولا تلن الكلام ، عند مخاطبة الرجال

[فيطمع الذى في قلبه مرض] أي فيطمع من كان في قلبه فجور وريبة ، وحب لمحادثة النساء

[وقلن قولا معروفا] أي وقلن قولا حسنا عفيفا لا ريبة فيه ، ولا لين ولا تكسر ، عند مخاطبتكن للرجال

((أقول : إذا كان القرآن يمنع المرأة أن تتلاين في كلامها مع الرجال الأجانب لئلا يطمع بها الفساق والفجار ، فكيف بمن تثير الكوامن والشجون بالغناء الماجن الذي كله ميوعة وانحلال ، وتختلط فيه أصوات المغنين مع المغنيات فى الحفلات الساهرة الداعرة وتنقله الإذاعات ، ثم نسمع بعض أدعياء العلم يحبذون هذا بحجة أن صوت المرأة ليس بعورة ؟ اللهم إنا نعوذ بك من شر هذا الزمان الذي فسق فيه الشبان ، وطغت فيه النساء وأصبح المنكر معروفا والمعروف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منكرا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ! !)) قال ابن كثير : ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم ، ولا تخاطب الأجنبى كما تخاطب زوجها

[وقرن في بيوتكن] أي إلزمن بيوتكن ولا تخرجن لغير حاجة ، ولا تفعلن كما تفعل الغافلات ، المتسكعات في الطرقات لغير ضرورة

[ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى] أي لا تظهرن زينتكن ومحاسنكن للأجانب ، مثل ما كان نساء الجاهلية يفعلن ، حيث كانت تخرج المرأة إلى الأسواق ، مظهرة لمحاسنها ، كاشفة ما لا يليق كشفه من بدنها ، قال قتادة : كانت لهن مشية فيها تكسر وتتنج ، فنهى الله تعالى عن ذلك

[وأقمن الصلاة وآتين الزكاة] أي حافظن على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، قال ابن كثير : نهاهن أولا عن الشر ، ثم أمرهن بالخير ، من إقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده ، وإيتاء الزكاة وهي الإحسان إلى المخلوقين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأطعن الله ورسوله] أي أطعن الله ورسوله في جميع الأوامر والنواهي ، لتتلن مرتبة المتقيات

[إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس] أي إنما يريد الله أن يخلصكن من دنس المعاصي ، ويطهركن من الآثام ، التي يتدنى بها عرض الإنسان ، كما يتلوث بدنه بالنجاسات

[أهل البيت] أي يا أهل بيت النبوة

[ويطهركم تطهيرا] أي ويطهركم من أوضار الذنوب والمعاصي ، تطهيرا بليغا

[واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة] أي واقرأن آيات القرآن ، وسنة النبي (ص) ، فإن فيهما الفلاح والنجاح ، قال الزمخشري : ذكرهن أن بيوتهن مهابط الوحي " وأمرهن ألا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين أمرين : آيات بينات ندل على صدق النبوة ، وحكمة وعلوم وشرائع سماوية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن الله كان لطيفا خبيرا] أي عالما بما يصلح أمور العباد ، خبيرا بمصالحهم ، ولذلك شرع للناس ما يسعدهم في دنياهم وآخرتهم ! ! ثم أخبر تعالى أن المرأة والرجل في الجزاء والثواب سواء فقال سبحانه :

[إن المسلمين والمسلمات] هم المتمسكون بأوامر الإسلام ، المتخلقون بأخلاقه رجالا ونساء

[والمؤمنين والمؤمنات] أي المصدقين بالله وآياته ، وما أنزل على رسله وأنبيائه

[والقانتين والقانتات] أي العابدين الطائعين ، المداومين على الطا عة

[والصادقين والصادقات] أي الصادقين في إيمانهم ، ونياتهم ، وأقوالهم ، وأعمالهم

[والصابرين والصابرات] أي الصابرين على الطاعات ، وعن الشهوات ، فى المكره والمنشط

[والخاشعين والخاشعات] أي الخاضعين الخائفين من الله جل وعلا ، المتواضعين له بقلوبهم وجوارحهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والمتصدقين والمتصدقات] أي المتصدقين بأموالهم على الفقراء ، بالإحسان وأداء الزكوات
[والصائمين والصائمات] أي الصائمين لوجه الله شهر رمضان وغيره من الأيام ، فالصوم زكاة البدن ، يزكيه ويطهره
[والحافظين فروجهم والحافظات] أي عن المحارم والآثام ، وعما لا يحل من الزنى وكشف العورات
[والذاكرين الله كثيرا والذاكرات] أي المديمين ذكر الله بألسنتهم وقلوبهم ، في كل الأوقات والأمكنة
[أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما] أي أعد الله وهنا لهؤلاء المتقين الأبرار ، المتصفين بالصفات الجليلة ، أعظم الأجر والثواب وهو الجنة ، مع تكفير الذنوب عنهم ، بسبب ما فعلوه من الأعمال الحسنة .
البلاغة :
تضمنت الآيات وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلى :
1 - الإطناب بتكرار الاسم الظاهر [هذا ما وعدنا الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ورسوله ، وصدق الله ورسوله] كرر الاسم الكريم ، للتشريف والتعظيم .

2 - الاستعارة [قضى نحبه] النحب : النذر ، واستعير للموت لأنه نهاية كل حي ، فكأنه نذر لازم في رقبة الإنسان .

3 - الجملة الاعتراضية [ويعذب المنافقين - إن شاء - أو بتوب عليهم] للتنبيه على أن أمر العذاب أو الرحمة ، موكول لمشيئته تعالى .

4 - المقابلة بين [إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها] وبين [وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة] .

5 - التشبيه البليغ [ولا تبرجن تبرج الجاهلية] أي كتبرج أهل الجاهلية في التكشف والانحلال ، حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه ، فصار بليغا .

6 - عطف العام على الخاص [وأطعن الله ورسوله] بعد قوله : [أقمن الصلاة آتين الزكاة] فإن إطاعة الله ورسوله ، تشمل كل ما تقدم من الأوامر والنواهى .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

7 - الاستعارة اللطيفة [يذهب عنكم الرجس وبطهركم تطهيرا] استعار الرجس للذنوب ، والطهر للتقوى ، لأن عرض المرتكب للمعاصي يتدنس ، وأما الطاعة فالعرض معها نقى مصون ، كالثوب الطاهر ، ففى الآية(استعارة تصريحية) .

8 - الإيجاز بالحذف [والحافظات] حذف المفعول لدلالة السابق عليه أي والحافظات فروجهن .

9 - التغليب [أعد الله لهم] غلب الذكور ، وجمع الإناث معهم ، ثم أدرجهم فى الضمير بقوله [لهم] فهو من باب التغليب .

10 - توآفق الفواصل مثل [يسيرا ، قديرا ، كثيرا] وهو من المحسنات البديعية .

قال الله تعالى : [وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا . .] إلى قوله [وكان الله على كل شيء رقيبا] من آية (36) إلى نهاية آية (52).

المناسبة :

لما ذكر تعالى صفات المؤمنين وما نالوه من الدرجات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرفيعة ، أعقبها ببيان أن طاعة الرسول من طاعة الله ، وأمر الرسول من أمر الله ، ثم ذكرهم تعالى بالنعمة العظمى ، وهي بعثة السراج المنير ، المبعوث رحمة للعالمين (ص) .

اللغة :

[الخيرة] مصدر بمعنى الاختيار من تخير على غير قياس ، مثل الطيرة من تطير

[مبديه] أبدى الشيء : أظهره

[وطرا] الوطر : الحاجة التى هي في النفس ، قال الزجاج : الوطر : الحاجة التي لك فيها همة فإذا بلغها الإنسان يقال : قضى وطره ، وقال المبرد : الوطر : الشهوة يقال : ما قضيت من لقائك وطرا أي ما استمتعت بك كما تشتهي نفسي ، وأنشد : وكيف ثوائى بالمدينة بعدما قضى وطرا منها جميل بن معمر

[حرج] ضيق وإثم

[خلوا] مضوا وذهبوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قدرا مقدورا] قضاء مقضيا في الأزل

[بكرة] البكرة هي أول النهار

[أصيلا] الأصيل : آخر النهار

[ترجي] تؤخر يقال : أرجت الأمر وأرجأته إذا أخرته

[تؤوي] تضم ومنه " آوى إليه أخاه " .

سبب النزول :

عن ابن عباس قال : خطب رسول الله (ص) (زينب بنت جحش) لمولاه (زيد بن حارثة) فاستنكفت منه وكرهت وأبت فنزلت الآية [وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم . .] الآية فأذعنت زينب حينئذ وتزوجته . . وفي رواية " فامتنعت وامتنع أخوها عبد الله لنسبها من قريش ، فلما نزلت الآية جاء أخوها ، فقال : يا رسول الله مرني بما شئت ؟ قال : فزوجها من زيد ، فرضي وزوجها .

التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وما كان لمؤمن ولا مؤمنة] أي لا ينبغي ولا يصح ولا يليق بأي واحد من المؤمنين والمؤمنات

[إذا قضى الله ورسوله أمرا] أي إذا أمر الله عز وجل وأمر رسوله بشيء من الأشياء ، قال الصاوي : ذكر اسم الله للتعظيم ، وللإشارة إلى أن قضاء رسول الله هو قضاء الله ، لكونه لا ينطق عن الهوى

[أن يكون لهم الخيرة من أمرهم] أي أن يكون لهم رأي أو اختيار ، بل عليهم الانقياد والتسليم ، قال ابن كثير : وهذه الآية عامة في جميع الأمور ، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء ، فليس لأحد مخالفته ، ولا اختيار لأحد ولا رأي ولا قول ، ولهذا شدد النكير فقال :

[ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا] أي ومن يخالف أمر الله وأمر رسوله فقد حاد عن الطريق السوي ، وأخطأ طريق الصواب ، وضل ضلالا بينا واضحا

[وإذ تقول للذي أنعم الله عليه] أي أذكر أيها الرسول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، وقت قولك للذي أنعم الله عليه بالهداية للإسلام [وأنعمت عليه] بالتحرير من العبودية والإعتاق ، قال المفسرون : هو (زيد بن حارثة) كان من سبي الجاهلية اشترته " خديجة " ووهبته لرسول الله (ص) فكان مملوكا عنده ثم أعتقه وتبناه ، وزوجه ابنة عمته (زينب بنت جحش) رضي الله عنها
[أمسك عليك زوجك واتق الله] أي أمسك زوجتك زينب في عصمتك ولا تطلقها ، واتق الله في أمرها

[وتخفي في نفسك ما الله مبديه] أي وتضمر يا محمد في نفسك ما سيظهره الله ، وهو إرادة الزواج بها
((يتشبث بعض أعداء الإسلام بروايات ضعيفة واهية ، لا زمام لها ولا خطام ، للطعن في الرسول الكريم والنيل من مقامه العظيم ، وجدت في بعض الكتب ! ! من هذه الروايات الباطلة التى تلقفها " المستشرقون " وخبوا فيها وأوضعوا ، ان الرسول (ص) رأى " زينب " وهى متزوجة بزيد بن حارثة ، فأحبها ووقعت في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قلبه ، فقال " سبحان مقلب القلوب " فسمعتها زينب فأخبرت بها زيدا ، فأراد أن يطلقها فقال له الرسول {أمسك عليك زوجك } حتى نزل القرآن يعاتبه على إخفائه ذلك . . إلخ وهذه روايات باطلة لم يصح فيها شيء ، كما قال العلامة " أبو بكر بن العربي " رحمه الله ، والآية صريحة في الرد على هذا البهتان ، فإن الله سبحانه اخبر بأنه سيظهر ما أخفاه الرسول {وتخفي في نفسك ما الله مبديه } فماذا أظهر الله تعالى ؟ هل أظهر حب الرسول وعشقه لزينب ؟ أم أن الذي أظهره هو أمره عليه السلام بالزواج بها ، لحكمة عظيمة جليلة هي إبطال " حكم التبني " الذي كان شائعا في الجاهلية ، ولهذا صرح تعالى بذلك وأبداه علنا وجهارا {فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم } يا قوم اعقلوا وفكروا ، وتفهموا الحق لوجه الحق ، بلا تلبيس ولا تشويش ، وتبصروا فيما تقولون فمن غير المعقول ان يعاتب الشخص لأنه لم يجاهر بحبه لزوجة جاره ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وحاشا الرسول الطاهر الكريم أن يتعلق قلبه بامرأة هي في عصمة رجل ، وأن يخفي هذا الحب حتى ينزل القرآن يعاتبه على إخفائه ، فإن مثل هذا لا يليق بأي رجل عادي ، فضلاً عن أشرف الخلق عليه أفضل الصلاة والتسليم ، وغاية ما في الأمر - كما نقل في البحر - عن على بن الحسين أنه قال : " أعلم الله نبيه (ص) أن زينب ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها ، فلما أتاه زيد يشكوها إليه وقال له : اتق الله وأمسك عليك زوجك ، عاتبه الله وقال له : أخبرتك أني مزوجكها وتخفي فى نفسك ما الله مبديه " ! !)) قال في التسهيل : الذي أخفاه رسول الله (ص) جائز مباح ، لا إثم فيه ولا عتب ، ولكنه خاف أن يقول الناس تزوج امرأة ابنه ، إذ كان قد تبناه ، فأخفاه حياة وحشمة وصيانة لعرضه من ألسنتهم ، فالذي أخفاه (ص) هو إرادة تزوجها ليبطل حكم التبني ، فأبدى الله ذلك بأن قضى له بتزوجها

[وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه] أي تهاب أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقول الناس تزوج محمد حليلة ابنه ، والله أحق أن تخشاه وحده ، وأن تجهر بما أوحاه إليك ، من إنك ستتزوج بها بعد أن يطلقها زيد ، قال ابن عباس : خشي أن يقول المنافقون : تزوج محمد امرأة ابنه [فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها] أي فلما قضى زيد حاجته من نكاحها وطلقها ، زوجناك إياها يا محمد ، وهذا نص قاطع صريح على أن الذي أخفاه رسول الله (ص) هو (إرادة الزواج) بها بعد تطليق زيد لها ، تنفيذا لأمر الوحي ، لا حبه لها كما زعم الأفاكون ، ومعنى [زوجناكها] جعلناها زوجة لك ، قال المفسرون : إن الذي تولى تزويجها هو الله جل وعلا ، فلما انقضت عدتها دخل عليها رسول الله (ص) بلا إذن ولا عقد ، ولا مهر ولا شهود ، وكان ذلك خصوصية للرسول (ص) ، روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (كانت زينب تفخر على أزواج النبي (ص) وتقول : زوجكن أهاليكن ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وزوجني ربي من فوق سبع سموات ثم ذكر تعالى الحكمة من هذا الزواج فقال :

[لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا] أي لئلا يكون في تشريع الله على المؤمنين ، ضيق ومشقة وتأثم في حق تزوج مطلقات الأبناء من التبنى ، إذا لم يبق لأزواجهن حاجة فيهن ، قال ابن الجوزي : المعنى زوجناك زينب - وهي امرأة زيد الذي تبنيته - لكيلا يظن أن امرأة المتبنى لا يحل نكاحها

[وكان أمر الله مفعولا] أي وكان أمر الله لك ، ووحيه إليك بتزوج زينب ، مقدرا محتما ، كائنا لا محالة ، ولما نفى الحرج عن المؤمنين ، نفى الحرج عن سيد المرسلين بخصومه ، على سبيل التكريم والتشريف فقال :

[ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له] أي لا حرج ولا إثم ولا عتاب على النبى فيما أباح الله له ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقسم من الزوجات ، قال الضحاك : عاب اليهود الرسول (ص) بكثرة النكاح ، فرد الله عليهم بقوله :

[سنة الله في الذين خلوا من قبل] أي هذه سنة الله فى جميع الأنبياء السابقين ، حيث وسع عليهم فيما أباح لهم ! ! قال القرطبي : أي سن الله لمحمد (ص) في التوسعة عليه في النكاح ، سنة الأنبياء الماضية كداود وسليمان ، فكان لداود مائة امرأة ، ولسليمان ثلاثمائة امرأة ، عدا السريات

[وكان أمر الله قدرا مقدورا] أي قضاء مقضيا ، وحكما مقطوعا به من الأزل ، لا يتغير ولا يتبدل ، ثم أثنى تعالى على جميع الأنبياء والمرسلين بقوله :

[الذين يبلغون رسالات الله] أى هؤلاء الذين أخبرتك عنهم يا محمد ، وجعلت لك قدوة بهم ، هم الذين يبلغون رسالات الله ، إلى من أرسلوا إليه

[ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله] أي يخافون الله وحده ، ولا يخافون أحدا سواه فاقتد يا محمد بهم

[وكفى بالله حسيبا] أي يكفي أن يكون الله محاسبا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على جميع الأعمال والأفعال ، فينبغي أن لا يخشى غيره ، ثم أبطل تعالى حكم التبني الذي كان شائعا فى الجاهلية فقال :

[ما كان محمد أبا أحد من رجالكم] قال المفسرون : لما تزوج رسول الله (ص) زينب قال الناس : إن محمدا قد تزوج امرأة ابنه فنزلت هذه الآية قال الزمخشري : أي لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة ، حتى يثبت بينه وبينه ، ما يثبت بين الأب وولده ، من حرمة الصهر والنكاح

[ولكن رسول الله وخاتم النبيين] أي ولكنه عليه السلام آخر الأنبياء والمرسلين ، ختم الله به الرسالات السماوية ، فلا نبى بعده ، قال ابن عباس : يريد : لو لم أختم به النبيين ، لجعلت له ولدا يكون بعده نبيا

[وكان الله بكل شيء عليما] أي هو العالم بأقوالكم وأفعالكم ، لا تخفى عليه خافية من أحوالكم

[يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا] أي اذكروا الله بالتهليل والتحميد ، والتمجيد والتقدير ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذكرا كثيرا ، بالليل والنهار ، والسفر والحضر

[وسبحوه بكرة وأصيلا] أي وسبحوا ربكم في الصباح والمساء ، قال العلماء : خصهما بالذكر لأنهما أفضل الأوقات بسبب تنزل الملائكة فيهما

[هو الذي يصلي عليكم] أي هو جل وعلا يرحمكم على الدوام ، ويعتني بأمركم ، وبكل ما فيه ملاحكم وفلاحكم

[وملائكته] أي وملائكته يصلون عليكم أيضا بالدعاء ، والإستغفار ، وطلب الرحمة ، قال ابن كثير : والصلاة من الله سبحانه لقاؤه على العبد عند الملائكة ، وقيل : الصلاة من الله الرحمة ، ومن الملائكة : الدعاء والإستغفار

[ليخرجكم من الظلمات إلى النور] أي لينقذكم من الضلالة إلى الهدى ، ومن ظلمات العصيان إلى نور الطاعة والإيمان

[وكان بالمؤمنين رحيما] أي واسع الرحمة بالمؤمنين ، حيث يقبل القليل من أعمالهم ، ويعفو عن الكثير من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذنوبهم ، لإخلاصهم في إيمانهم
[تحيتهم يوم يلقونه سلام] أي تحية هؤلاء المؤمنين يوم يلقون ربهم السلام والإكرام في الجنة ، من الملك العلام كقوله تعالى تعالى : [سلام قولا من رب رحيم]

[وأعد لهم أجرا كريما] أي وهيأ لهم أجرا حسنا وهو " الجنة " وما فيها من النعيم المقيم ، قال ابن كثير : والمراد بالأجر الكريم الجنة وما فيها من المآكل والمشارب ، والملابس والمساكن ، والملاذ والمناظر ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم لما بين تعالى أنه أخرج المؤمنين من ظلمات الكفر والضلال ، إلى أنوار الهداية والإيمان ، عقبه بذكر أوصاف السراج المنير ، الذي أضاء الله به الأكوان فقال سبحانه :
[يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا] أي شاهدا على أمتك وعلى جميع الأمم ، بأن أنبياءهم قد بلغوهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسالة ربهم

[ومبشرا] أي مبشرا للمؤمنين بجنات النعيم

[ونذيرا] أي ومنذرا للكافرين من عذاب الجحيم

[وداعيا إلى الله بإذنه] أي وداعيا للخلق إلى توحيد الله وطاعته وعبادته ، بأمره جل وعلا ، لا من تلقاء نفسك

[وسراجا منيرا] أي وأنت يا محمد كالسراج الوهاج المضيء للناس ، يهتدى بك في الدهماء ، كما يهتدى بالشهاب في الظلماء ، قال ابن كثير : أي أنت يا محمد كالشمس في إشراقها واضاءتها لا يجحدها إلا معاند وقال الزمخشري : شبهه بالسراج المنير لأن الله جلى به ظلمات الشرك ، واهتدى به الضالون ، كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به ، وصفه تعالى بخمسة أوصاف ، كلها كمال وجمال ، وثناء وجلال ، وختمها بأنه صلوات الله عليه هو السراج الوضاء الذي بدد الله به ظلمات الضلال ، فصلوات ربي وسلامه عليه في كل حين وآن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا] أي وبشر يا محمد المؤمنين خاصة ، بأن لهم من الله العطاء الواسع الكبير في جنات النعيم

[ولا تطع الكافرين والمنافقين] أي لا تطعهم فيما يطلبونه منك من المساهلة والملاينة في أمر الدين ، بل اثبت على ما أوحي إليك

[ودع أذاهم] أي ولا تكترث بإذائتهم لك ، وصدهم الناس عنك

[وتوكل على الله] أي واعتمد في جميع أمورك وأحوالك على الله

[وكفى بالله وكيلا] أي إن الله يكفي من توكل عليه في أمور الدنيا والآخرة ، قال الصاوي : وفي الآية إشارة إلى أن التوكل أمره عظيم ، فمن توكل على الله كفاه ما أهمه من أمور الدنيا والدين ، ولما كان الحديث عن نساء النبي (ص) وقصة زيد وتطليقه لزينب ، جاء الحديث عن نساء المؤمنين والطريقة المثلى في تطليقهن فقال تعالى :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات] أي يا أيها المؤمنون الذين صدقوا بالله ورسوله ، إذا عقدتم عقد الزواج على المؤمنات وتزوجتموهن

[ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن] أي ثم طلقتموهن من قبل أن تجامعوهن ، وإنما خص المؤمنات بالذكر مع أن الكتابيات يدخلن في الحكم ، للتنبيه على أن الأليق بالمسلم أن يتخير لنطفته ، وألأ ينكح إلا مؤمنة عفيفة

[فما لكم عليهن من عدة تعتدونها] أي فليس لكم عليهن حق في العدة تستوفون عددها عليهن ، لأنكم لم تقربوهن فليس هناك احتمال للحمل ، حتى تحتبسوا المرأة من أجل صيانة نسبكم

[فمتعوهن] أي فالواجب عليكم إكرامهن بدفع المتعة ، بما تطيب نفوسكم به من مال أو كسوة ، تطييبا لخاطرهن ، وتخفيفا لشدة وقع الطلاق عليهن

[وسرحوهن سراحا جميلا] أي وخلوا سبيلهن تخلية بالمعروف ، من غير إضرار ولا إيذاء ، ولا هضم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لحقوقهن ، قال أبو حيان : والسراح الجميل هو كلمة طيبة دون أذى ولا منع واجب ، ثم ذكر تعالى ما يتعلق بأحوال زوجات الرسول (ص) فقال :

[يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن] أي إنا قد أبحنا لك يا محمد أنواعا من النساء ، توسعة عليك ، وتيسيرا لك في تبليغ الدعوة ، فمن ذلك إننا أبحنا لك زوجاتك اللاتي تزوجتهن بصداق مسمى ، وهن في عصمتك ((هذا أحد قولين للمفسرين ، والآخر أن المراد جميع النساء فقد أباح الله لرسوله (ص) أن يتزوج كل امرأة يعطيها مهرها ، وهذا أوسع من الأول واختاره القرطبي واستدل بحديث عائشة " ما مات رسول الله (ص) حتى احل الله له النساء "))

[وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك] أي وأبحنا لك أيضا النساء اللاتي تملكهن في الحرب بطريق الانتصار على الكفار ، وإنما قيدهن بطريق الغنائم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لأنهن أفضل من اللائي يملكن بالشراء ، فقد بذل في إحرازهن جهد ومشقة ، لم يكن في الصنف الثاني

[وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك] أي وأبحنا لك قريباتك من (بنات الأعمام) و(العمات) و(الأخوال) و(الخالات) ، بشرط الهجرة معك

[وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي] أي وأحللنا لك النساء المؤمنات الصالحات اللواتي وهبن أنفسهن لك ، حبا فى الله ورسوله وتقربا لك

[إن أراد النبي أن يستنكحها] أي إن أردت يا محمد أن تتزوج من شئت منهن بدون مهر

[خالصة لك من دون المؤمنين] أي خاصة لك يا محمد دون سائر المؤمنين ، فإنه لا يحل لهم التزوج بدون مهر ، ولا تصح الهبة ، بل يجب مهر المثل

[قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم] أي قد علمنا ما أوجبنا على المؤمنين من نفقتن ، ومهر ، وشهود فى العقد ، وعدم تجاوز أربع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من النساء ، وما أبحنا لهم من ملك اليمين ، عدا الحرائر ، أما أنت فقد خصصناك بخصائص تيسيرا لك

[لكيلا يكون عليك حرج] أي لئلا يكون عليك مشقة أو ضيق

[وكان الله غفورا رحيما] أي عظيم المغفرة واسع الرحمة

[ترجي من تشاء منهن وتئوى إليك من تشاء] أي ولك - أيها النبي - الخيار في أن تطلق من تشاء من زوجاتك ، وتمسك من تشاء منهن ((هذا قول ابن عباس ، وقال مجاهد والضحاك تقسم لمن شئت وتؤخر عنك من شئت ، وتقلل لمن شئت وتكثر لمن شئت ، لا حرج عليك في ذلك))

[ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك] أي وإذا أحببت أن تؤوي إليك امرأة ممن عزلت من القسمة ، فلا إثم عليك ولا عتب

[ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آتيتهن كلهن] أي ذلك التخيير الذي خيرناك من أمرهن ، أقرب أن ترتاح قلوبهن فلا يحزن ، ويرضين بصنيعك ، لأنهن إذا علمن أن هذا أمر من الله ، كان أطيب لأنفسهن فلا يشعرن بالحزن والألم

[والله يعلم ما في قلوبكم] خطاب للنبى على جهة التعظيم ، أي يعلم ما في قلبك يا محمد وما في قلب كل إنسان ، من عدل أو ميل ، ومن حب أو كراهية ، وإنما خيرناك فيهن تيسيرا عليك فيما أردت

[وكان الله عليما حليما] أي واسع العلم يعلم جميع ما تظهرون وما تخفون ، حليما يضع الأمور في نصابها ولا يعاجل بالعقوبة ، بل يؤخر ويمهل ، لكنه لا يهمل ، روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (كنت أغار من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي (ص) وأقول : أتهب المرأة نفسها ؟ فلما نزلت [ترجي من تشاء منهن وتئوي إليك من تشاء ، ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك] قلت : ما أرى ربك إلا يسارع في هواك ((ومرادها أن الله تعالى يشرع لك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما تحبه وتهواه ، لمنزلتك الرفيعة ، ومكانتك السامية عنده)) ثم قال تعالى :

[لا يحل لك النساء من بعد] أي لا يحل لك أيها النبي النساء ، من بعد هؤلاء التسع اللاتي في عصمتك

[ولا أن تبدل بهن من أزواج] أي ولا يحل لك أن تطلق واحدة منهن ، وتنكح مكانها أخرى

[ولو أعجبك حسنهن] أي ولو أعجبك جمال غيرهن من النساء .

[إلا ما ملكت يمينك] أي إلا ما كان من الجواري والإماء فلا بأس في ذلك ، لأنهن لسن زوجات

[وكان الله على كل شيء رقيبا] أي مطلعا على أعمالكم شاهدا عليها ، وفيه تحذير من مجاوزة حدوده ، وتخطي حلاله وحرامه . قال المفسرون : أباح الله لرسوله أصنافا أربعة (الممهورات ، المملوكات ، المهاجرات ، الواهبات أنفسهن) توسعة عليه (ص) وتيسيرا له في نشر الرسالة وتبليغ الدعوة ، ولما نزلت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آية التخيير [قل لأزوآجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا . .] الآية وخيرهن عليه السلام ، واخترن الله ورسوله ، والدار الآخرة ، أكرمهن الله تعالى بأن قصره عليهن ، وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - التنكير لإفادة العموم [وما كان لمؤمن ولا مؤمنة] لأن النكرة في سياق النفي تفيد العموم ، أي ليس لواحد من المؤمنين والمؤمنات ، أن يريد غير ما أراده الله ورسوله .

2 - الطبا ق بين [تخفي . . ومبديه] وبين [الظلمات . . وا لنور] وبين [مبشرا . . ونذيرا] وهو من المحسنات البديعية .

3 - جناس الاشتقاق [قدرا مقدورا] .

4 - طباق السلب [ويخشونه ولا يخشون أحدا] .

5 - التعبيه البليغ [وسراجا منيرا] أصل التشبيه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنت يا محمد كالسراج الوضاء في الهداية والإرشاد ، حذفت منه أداة التشبيه ووجه الشبه ، فأصبح بليغا على حد قولهم : عليّ أسد ، ومحمد قمر .

6 - الكناية [من قبل أن تمسوهن] كنى عن الجماع بالمس ، وهي من الكنايات المشهورة ، ومن الآداب القرآنية الحميدة ، لأن القرآن يتحاشى الألفاظ البذيئة ، أو ما يتعلق بالعرض والجنس .

7 - الطباق بين [بكرة . . وأصيلا] وبين [ترجي . . وتعوي] وبين [ابتغيت . . وعزلت] .

8 - توافق الفواصل منا يزيد في الجمال والإيقاع على السمع مثل [مبشرا ونذيرا . . وسراجا منيرا] ومثل [صراحا جميلا . . عليما حليما . . غفورا رحيما] وهذا من خصائص القرآن العظيم ، وهو من المحسنات البديعية .

قال الله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي . .] إلى قوله [وكان الله غفورا رحيما] من آية (53) إلى آية (73) نهاية السورة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المناسبة :

لقا ذكر تعالى أحوال النبي (ص) مع أزواجه ، ذكر هنا الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المؤمنون ، عند دخولهم بيوت النبي ، من الاستئذان ، وعدم الإثقال ، ثم بين شرف الرسول بصلاة الله والملائكة عليه ، وختم السورة الكريمة بالحديث عن الساعة ، وما يعقبها من أهوال لأهل الكفر والضلال ، وحال الأشقياء والسعداء في دار البقاء .

اللغه :

[إناه] نضجه قال في اللسان : إنى الشيء : بلوغه وإدراكه ، والإنى بكسر الهمزة والقصر : النضج

[مستأنسين] الاستئناس : طلب الأنس بالحديث ، تقول استأنست بحديثه أي طلبت الأنس والسرور به ، وما بالدار من أنيس أي ليس بها أحد يؤانسك أو يسليك

[متاعا] المتاع : الغرض والحاجة كالماعون وغيره

[بهتانا] البهتان : الإفتراء والكذب الواضح ، وأصله من البهت وهو القذف بالباطل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[جلابيبهن] جمع جلباب وهو الثوب الذي يستر جميع البدن وهو يشبه الملاءة الملحفة " فى زماننا ، قال الشاعر : تمشى النسور إليه وهي لاهية مشي العذارى عليهن الجلابيب

[المرجفون] جمع مرجف وهو الذي يشيع الكذب والباطل لإخافة الناس به ، قال الشاعر : وإنا وإن عيرتمونا بقتله وأرجف بالإسلام باغ وحاسد

[نغرينك] أغراه به : حثه وسلطه عليه

[سعيرا] نارا شديدة الاستعارة .

سبب النزول :

1- روي عن أنس أن النبي (ص) لما تزوج " زينب بنت جحش " أولم عليها ، فدعا الناس فلما طعموا جلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله (ص) وزوجته مولية وجهها إلى الحائط ، فتثقلوا على رسول الله (ص) قال أنس : فما أدري أأنا أخبرت النبي (ص) أن القوم قد خرجوا أو أخبرنى ، قال : فانطلق ضى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دخل البيت ، فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه ، ونزل الحجاب ، ووعظ الناس بما وعظوا به ، وأنزل الله [يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم . .] .

2 - وقال ابن عباس : كان ناس من المؤمنين يتحينون طعام النبى(ص) فيدخلون قبل أن يدرك الطعام ، ويقعدون إلى أن يدرك ، ثم يأكلون ولا يخرجون فنزلت .

3 - وعن عائشة أن عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله : إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر ، فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب [وإذا سألتموهن متاعال فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن . .] الآية .

4 - عن السدي أن الفساق كانوا يؤذون النساء إذا خرجن بالليل ، فإذا رأوا المرأة عليها قناع تركوها وقالوا : هذه حرة ، وإذا رأوها بغير قناع قالوا : أمة فأذوها فأنزل الله : [يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن . .]
الآية .
التفسير :
[يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم] الإضافة للتشريف والتكريم ، والآية توجيه للمؤمنين لهذا الآدب السامي العظيم والمعنى : لا تدخلوا بيوت النبي في حال من الأحوال ، إلا في حال الإذن لكم منه عليه السلام ، مراعاة لحقوق نسائه ، وحرصا على عدم إيذائه ، والإثقال عليه
[إلى طعام غير ناظرين إناه] أي إلا حين يدعوكم إلى طعام غير منتظرين نضجه
[ولكن إذا دعيتم فادخلوا] أي ولكن إذا ذعيتم وأذن لكم في الدخول فادخلوا
[فإذا طعمتم فانتشروا] أي فإذا انتهيتم من الطعام ، فتفرقوا إلى دوركم ولا تمكثوا
[ولا مستأنسين لحديث] معطوف على (غير ناظرين) أي لا تدخلوا بيوته منتظرين للطعام ، ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مستأنسين لحديث بعضكم بعضا ، قال أبو حيان : نهوا أن يطيلوا الجلوس ، يستأنس بعضهم ببعض لحديث يحدثه به

[إن ذلكم كان يؤذي النبي] أي إن صنيعكم هذا يؤذي الرسول ، ويضايقه ويثقل عليه ، ويمنعه من قضاء كثير من مصالحه وأموره

[فيستحيي منكم] أي فيستحيي من إخراجكم ، ويمنعه حياؤه أن يأمركم بالانصراف ، لخلقه الرفيع ، وقلبه الرحيم

[والله لا يستحيي من الحق] أي والله جل وعلا لا يترك بيان الحق ، ولا يمنعه مانع من إظهار الحق وتبيانه لكم ، قال القرطبي : هذا أدب أدب الله به الثقلاء ، وفي كتاب الثعلبي : حسبك من الثقلاء أن الشرع لم يحتملهم

[وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب] أي وإذا أردتم حاجة من أزواجه الطاهرات ، فأطلبوه من وراء حاجز وحجاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن] أي سؤالكم إياهن المتاع من وراء حجاب ازكى وأطهر لقلوبكم وقلوبهن ، وأنفى للريبة وسوء الظن

[وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله] أي وما ينبغي لكم ولا يليق بكم ، أن تؤذوا رسولكم الذي هداكم الله به

[ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا] أي ولا أن تتزوجوا زوجاته من بعد وفاته أبدا ، لأنهن كالأمهات لكم ، وهو كالوالد فهل يليق بكم أن تؤذوه في نفسه أو أهله ؟

[إن ذلكم كان عند الله عظيما] أي إن ايذاءه ، ونكاح أزواجه من بعده أمر عظيم ، وذنب كبير لا يغفره الله لكم ، قال أبو السعود : وفيه من تعظيمه تعالى لشأن رسوله (ص) وإيجاب حرمته حيا وميتا ما لا يخفى ثم قال تعالى :

[إن تبدوا شيئا أو تخفوه] أي إن تظهروا أمرا من الأمور ، أو تخفوه في صدوركم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فإن الله كان بكل شيء عليما] أي فإن الله عالم به وسيجازبكم عليه ، قال البيضاوي : وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود ، مزيد تهويل ، ومبالغة في الوعيد . . ثم لما أنزل تعالى الحجاب استثنى المحارم فقال سبحانه :

[لا جناح عليهن في أبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن] أي لا حرج ولا إثم على النساء ، في ترك الحجاب أمام المحارم من الرجال ، قال القرطبي : لما نزلت آية الحجاب ، قال الآباء والأبناء لرسول الله (ص) : ونحن أيضا نكلمهن من وراء حجاب ؟ فنزلت هذه الآية ، والمراد ب [نسائهن] نساء المؤمنين ، قال ابن عباس : لأن نساء اليهود والنصارى يصفن لأزواجهن النساء المسلمات ، فلا يحل للمسلمة أن تبدي شيئا منها أمامها ، لئلا تصفها لزوجها الكافر

[واتقين الله] أي اتقين يا معشر النساء الله تعالى ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واخشينه في الخلوة والعلانية

[إن الله كان على كل شيء شهيدا] أي لا تخفى عليه خافية من أموركن ، يعلم خطرات القلوب ، كما يعلم حركات الجوارح ، قال الرازي : وهذا في غاية الحسن في هذا الموضع ، لأن ما سبق إشارة إلى جواز الخلوة بهم والتكشف لهم ، فختمها بأن الله شاهد عند اختلاء بعضهم ببعض ، فالخلوة عنده مثل الجلوة ، فعليهم أن يتقوا الله . . ثم بين تعالى قدر هذا الرسول العظيم ، فقال سبحانه :

[إن الله وملائكته يصلون على النبي] أي أن الله جل وعلا يرحم نبيه ، ويعظم شأنه ، ويرفع مقامه ، وملائكته الأبرار يدعون للنبي ويسغفرون له ، ويطلبون من الله أن يمجد عبده ورسوله ، وينيله أعلى المراتب قال القرطبي : والصلاة من الله رحمته ورضوانه ، ومن الملائكة الدعاء والإستغفار ، ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره وقال الصاوي : وهذه الآية فيها أعظم الدليل على أنه ، مهبط الرحمات ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأفضل الأولين والآخرين على الإطلاق ، إذ الصلاة من الله على نبيه : رحمته المقرونة بالتعظيم ، ومن الله على غير النبي مطلق الرحمة كقوله : [هو الذي يصلي عليكم وملائكته] فانظر الفرق بين الصلاتين ، والفضل بين المقامين ، وبذلك صار مهبط الرحمات ، ومظهر التجليات

[يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما] أي فأنتم أيها المؤمنون أكثروا من الصلاة عليه والتسليم ، فحقه عليكم عظيم ، فقد كان المنقذ لكم من الضلالة إلى الهدى ، والمخرج لكم من الظلمات إلى النور ، فقولوا كلما ذكر اسمه الشريف (اللهم صل على محمد وآله وسلم تسليما كثيرا) عن كعب بن عجرة قلنا يا رسول الله : قد عرفنا التسليم عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ فقال : " قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم . . " الحديث ، قال

الصاوي : وحكمة صلاة الملائكة والمؤمنين على النبي (ص) تشريفهم بذلك ، حيث اقتدوا بالله جل وعلا في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصلاة عليه وتعظيمه ، ومكافأة لبعض حقوقه على الخلق ، لأنه الواسطة العظمى فى كل نعمة وصلت لهم ، وحق على من وصل له نعمة من شخص أن يكافئه ، ولما كان الخلق عاجزين عن مكافأته (ص) طلبوا من القادر الملك أن يكافئه ، وهذا هو السر في قولهم : " اللهم صل على محمد "

[إن الذين يؤذون الله ورسوله] أي يؤذون الله بالكفر ، ونسبة الصاحبة والولد له ، ووصفه بما لا يليق به جل وعلا ، كقول اليهود : (يد الله مغلولة) وقول النصارى (المسيح ابن الله) ويؤذون الرسول بالتكذيب برسالته ، والطعن في شريعته ، والاستهزاء بدعوته ، قال ابن عباس : نزلت في الذين طعنوا على الرسول (ص) حين اتخذ صفية بنت حيى

[لعنهم الله في الدنيا والآخرة] أي طردهم من رحمته ، وأحل عليهم سخطه وغضبه ، في الدنيا بالهوان والصغار ، وفي الآخرة بالخلود فى عذاب النار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأعد لهم عذابا مهينا] أي وهيأ لهم عذابا شديدا ، بالغ الغاية فى الإهانة والتحقير

[والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا] أي يؤذون أهل الإيمان بغير ما فعلوه ، وبغير جناية واستحقاق للأذى

[فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا] أي فقد حملوا أنفسهم البهتان والكذب ، والزور ، والذنب الواضح الجلى ، قال القرطبي : أطلق إيذاء الله ورسوله ، وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات بقوله [بغير ما اكتسبوا] ، لأن إيذاء الله ورسوله لا يكون إلا بغير حق أبدا ، وأما إيذاء المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه ولما حرم تعالى الإيذاء ، أمر نبيه الكريم أن يوجه النداء إلى الأمة جمعاء ، للتمسك بالإسلام وتعاليمه الرشيدة ، وبالأخص فى أمر اجتماعي خطير وهو " الحجاب " الذي يصون للمرأة كرامتها ، ويحفظ عليها عفافها ، ويحميها من النظرات الجارحة ، والكلمات اللاذعة ، والنوايا الخبيثة ، لئلا تتعرض لأذى الفساق فقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سبحانه :

[يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن] أي قل يا أيها الرسول لزوجاتك الطاهرات - أمهات المؤمنين - وبناتك الفضليات الكريمات ، وسائر نساء المؤمنين ، قل لهن يلبسن الجلباب الواسع ، الذي يستر محاسنهن وزينتهن ، ويدفع عنهن ألسنة السوء ، ويميزهن عن صفات نساء الجاهلية ، روى الطبري : عن ابن عباس انه قال في هذه الآية : أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة ((هذا النص عن ابن عباس صريح في وجوب ستر الوجه ، وكذا رواية ابن كثير عن محمد بن سيرين ، وغيرهما من الروايات الصحيحة والصريحة بوجوب ستر المرأة للوجه ، فأين أقوال السلف الصالح وأئمة علماء التفسير الأجلاء ، من أقوال أدعياء العلم في هذا العصر والزمان ، الذي يبيحون للمرأة أن تكشف وجهها أمام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأجانب ! !)) ، وروى ابن كثير عن محمد بن سيرين قال : سألت عبيدة السلماني عن قول الله عز وجل [يدنين عليهن من جلابيبهن] فغطى وجهه ورأسه ، وأبرز عينه اليسرى

[ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين] أي ذلك التستر أقرب بأن يعرفن بالعفة والتستر والصيانة ، فلا يطمع فيهن أهل السوء والفساد ، وقيل : أقرب بأن يعرفن أنهن حرائر ، ويتميزن عن الإماء

[وكان الله غفورا رحيما] أي إنه تعالى غفور لما سلف منهن من تفريط ، رحيم بالعباد حيث راعى مصالحهم وشئونهم في تلك الجزئيات . . ثم هدد المولى جل وعلا كل المؤذين من جميع الأصناف بأنواع العقاب ، فقال سبحانه :

[لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض] أي لئن لم يترك هؤلاء المنافقون - الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر - نفاقهم ، والزناة - الذين في قلوبهم مرض الفجور - فجورهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والمرجفون في المدينة] أي الذين ينشرون الأراجيف والأكاذيب لبلبلة الأفكار ، وخلخلة الصفوف ، ونشر أخبار السوء

[لنغرينك بهم] أي لنسلطنك عليهم يا محمد

[ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا] أي ثم يخرجون من المدينة فلا يعودون إلى مجاورتك فيها إلا زمنا قليلا ، ريثما يتأهبوا للخروج ، قال الرازي : وعد الله نبيه أن يخرج أعداءه من المدينة ، وينفيهم على يده ، إظهارا لشوكته

[ملعونين] أي مبعدين عن رحمته تعالى

[أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا] أي أينما وجدوا وأدركوا ، أخذوا على وجه الغلبة والقهر ، ثم قتلوا لكفرهم بالله تقتيلا

[سنة الله في الذين خلوا من قبل] أي هذه سنة الله في المنافقين ، وعادته فيمن سبق منهم أن يفعل بهم ذلك ، قال القرطبي : أي سن الله عز وجل فيمن أرجف بالأنبياء وأظهر نفاقه أن يوخذ ويقتل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولن تجد لسنة الله تبديلا] أي ولن تتغير أو تتبدل سنة الله ، لكونها بنيت على أساس متين ، قال الصاوي : وفي الآية تسلية للنبى (ص) أي فلا تحزن على وجود المناققين يا محمد ، فإن ذلك سنة قديمة ، لم يخل منهم زمن من الأزمان . . ثم ذكر تعالى الساعة وأهوالها ، فقال سبحانه :

[يسألك الناس عن الساعة] أي يسألك يا أيها الرسول ، المشركون من كفار مكة ، على سبيل الإستهزاء والسخرية ، يسألونك عن وقت قيام الساعة

[قل إنما علمها عند الله] أي قل لهم : لست أعرف وقتها ، وإنما يعلم ذلك علام الغيوب ، فإن الله أخفاها لحكمة ، ولم يطلع عليها ملكا مقربا ، ولا نبيا مرسلا

[وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا] أي وما يعلمك أن الساعة تكون في وقت قريب ؟ قال أبو السعود : وفيه تهديد للمستعجلين ، وتبكيت للمتعنتين ، والإظهار في موضع الإضمار ، للتهويل وزيادة التقرير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن الله لعن الكافرين] أي طرد الكافرين وأبعدهم عن رحمته

[وأعد لهم سعيرا] أي وهيأ لهم نارا شديدة مستعرة

[خالدين فيها أبدا] أي مقيمين فى السعير أبد الآبدين

[لا يجدون وليا ولا نصيرا] أي لا يجدون لهم من ينجيهم وينقذهم من عذاب الله

[يوم تقلب وجوههم في النار] أي يوم تتقلب وجوههم من جهة إلى جهة ، كاللحم يشوى بالنار

[يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا] أي يقولون متحسرين على ما فاتهم : يا ليتنا أطعنا الله ورسوله ، حتى لا نبتلى بهذا العذاب المهين

[وقالوا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا] أي أطعنا القادة والأشراف فينا ، فأضلونا طريق الهدى والإيمان

[ربنا آتهم ضعفين من العذاب] أي اجعل عذابهم ضعفى عذابنا ، لأنهم كانوا سبب ضلالنا

[والعنهم لعنا كبيرا] أي والعنهم أشد أنواع اللعن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأعظمه ! ! ثم حذر تعالى من إيذاء الرسول ، كما أذى اليهود نبيهم ، فقال تعالى :

[يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين أذوا موسى فبرأه الله مما قالوا] أي لا تكونوا أمثال بني إسرائيل ، الذين أذوا نبيهم موسى ، واتهموه ببرص في جسمه ، أو أدرة - انتفاخ الخصية لفرط تستره وحيائه ، فأظهر الله براءته ، وأكذبهم فيما اتهموه به ، روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : (إن موسى كان رجلا حييا ستيرا ، لا يرى من جلده شيء ، استحياء منه ، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل ، فقالوا : ما يتستر هذا التستر إلا من عيب بجلده ، إما برص ، وإما أدرة - انتفاخ الخصية - وإما آفة ، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى ، فخلا يوما وحده ، فوضع ثيابه على الحجر ، ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها ، وإن الحجر عدا بثوبه أي هرب بثوبه - فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر ، فجعل يقول : ثوبى حجر ، ثوبي حجر ! ! حتى مر على ملأ من بني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إسرائيل ، فرأوه أحسن ما خلق الله عريانا ، وأبراه مما يقولون الحديث

[وكان عند الله وجيها] أي وكان موسى ذا وجاهة ورفعة ، ومكانة عند ربه ، قال ابن كثير : أي له وجاهة وجاه عند ربه ، لم يسأل شيئا إلا أعطاه الله إياه

[يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا] أي راقبوا الله في جميع أقوالكم وأفعالكم ، وقولوا قولا مستقيما مرضيا لله ، قال الطبري : أي قولا قاصدا غير جائر ، حقا غير باطل

[يصلح لكم أعمالكم] أي يوفقكم لصالح الأعمال ويتقبلها منكم ، قال ابن عباس : يتقبل حسناتكم

[ويغفر لكم ذنوبكم] أي يمحو عنكم الذنوب والأوزار

[ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما] أي ومن أطاع الله والرسول ، فقد نال غاية مطلوبه . . ثم لما أرشدهم إلى مكارم الأخلاق ، نبههم على قدر التكاليف الشرعية التي كلف الله بها البشرية ، فقال سبحانه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها] أي عرضنا الفرائض والتكاليف الشرعية ، على السموات والأرض والجبال الراسيات ، فأعرضن عن حملها ، وخفن من ثقلها وشدتها ، والغرض تصوير عظم الأمانة وثقل حملها ، والمعنى : إن تلك الأمانة في عظم الشأن ، بحيث لو كلفت هاتيك الأجرام العظام - التي هي مثل في القوة والشدة - وكانت ذا شعور لإدراك على مراعاتها ، لأبين قبولها وأشفقن منها وقال ابن جزى : الأمانة هي التكاليف الشرعية من إلتزام الطاعات ، وترك المعاصي ، وقيل : هي الأمانة في الأموال ، والصحيح العموم في التكاليف ، وعرضها يحتمل وجهين أحدهما : أن يكون الله خلق . لها إدراكا ، فعرضت عليها الأمانة حقيقة ، فأشفقت منها وامتنعت من حملها ، والثاني : أن يكون المراد تعظيم شأن الأمانة ، وأنها من الثقل بحيث لو عرضت على السموات والأرض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والجبال ، لأبين من حملها وأشفقن منها ، فهذا ضرب من المجاز كقولك : عرضت الحمل العظيم على الدابة فأبت أن تحمله ، والمراد أنها لا تقدر على حمله

[وحملها الإنسان أنه كان ظلوما جهولا] أي وتحملها الإنسان إنه كأن شديد الظلم لنفسه ، مبالغا في الجهل بعواقب الأمور ، قال ابن الجوزي : لم يرد بقوله : (أبين) المخالفة ، وإنما أبين للخشية والمخافة ، لأن العرض كان تخييرا لا إلزاما

[ليعذب الله المنافقين والمنافقات ، والمشركين والمشركات] قال ابن كثير : أي إنما حمل بني آدم الأمانة ، وهي التكاليف الشرعية ، ليعذب الله المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ، والمشركين الذين ظاهرهم وباطنهم على الكفر

[ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات] أي ويرحم أهل الإيمان ، ويعود عليهم بالتوبة والمغفرة والرضوان

[وكان الله غفورا رحيما] أي واسع المغفرة للمؤمنين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حيث عفا عما سلف منهم ، رحيما بهم حيث أثابهم وأكرمهم بأنواع الكرامات !

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الإضافة للتشريف [لا تدخلوا بيوت النبي] لأنها لما نسبت للنبي تشرفت بالإضافة إليه .

2- الطباق بين [ادخلوا . . وانتشروا] وبين [تبدوا . . وتخفوا] وبين [ثقفوا . . وأخذوا] .

3 - طباق السلب [فيستحيي منكم ، والله لا يستحي من الحق] .

4 - ذكر الخاص بعد العام [لئن لم ينته المنافقون . . والمرجفون] والمرجفون هم من المنافقين ، فعمم ثم خصص ، زيادة في التقبيح والتشنيع عليهم .

5 - ذكر اللفظ بصيغة " فعول " و " فعيل " للمبالغة مثل [إنه كان ظلوما جهولا] [بكل شيء عليما] [على كل شيء شهيدا] إلخ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

6 - الإتيان بالمصدر مع الفعل للتأكيد [وقتلوا تقتيلا] [وسلموا تسليما] .
7 - التحسر والتفجع بطريق التمني [يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول] .
8 - التشبيه [لا تكونوا كالذين آذوا موسى] ويسمى التشبيه المرسل المجمل .
9 - الاستعارة التمثيلية [إنا عرضنا الإهانة على السموات والأرض والجبال] مثل للأمانة في ضخامتها وعظمها ، وتفخيم شأنها ، بأنها من الثقل بحيث لو عرضت على السموات والأرض والجبال وهي من القوة والشدة بأعلى المنازل لأبت عن حملها وأشفقت منها ، وهو تمثيل رائع لتهويل شأن الأمانة .
10 - المقابلة اللطيفة بين [ليعذب الله المنافقين والمنافقات] وبين [ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات] وفي ختم السورة بهذه الآية من البدائع ما يسميه علماء البديع ة رد العجز على الصدر لأن بدء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السورة كان في ذم المنافقين ، وختامها كان فى بيان سوء عاقبة المنافقين ، فحسن الكلام فى البدء والختام .

---

11 - الثناء على الرسول [إن الله وملائكته يصلون] ورد بهذه الصيغة وفيه دقائق بيانية : آ- جاء الخبر مؤكدا ب " إن " اهتماما به . ب - وجىء بالجملة إسمية لإفادة الدوام . ج - وكانت الجملة إسمية في صدرها " ان الله " فعليه فى عجزها " يصلون " للإشارة إلى إن هذا الثناء من الله تعالى على رسوله ، يتجدد وقتا فوقتا على الدوام ، فتدبر هذا السر الدقيق .

12- مراعاة الفواصل لما له من الوقع الحسن على السمع ، مثل قوله [أعد لهم سعيرا. . لا يجدون لهم وليا ولا نصيرا . . والعنهم لعنا كبيرا] إلخ وهو من المحسنات البديعية

لطيفة :

أشارت الآية الكريمة [قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين] إلى لطيفة وهي أن الدعوة لا تثمر ، إلا إذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بدأ الداعي بها في نفسه وأهله ، وهذا هو السر في البدء بالحجاب الشرعي بنساء الرسول وبناته .

الرد على من أباح كشف الوجه ، وطائفة من أقوال المفسرين في وجوب ستره .

1 - قال ابن كثير : أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن لحاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب .

2 - وقال ابن الجوزى : في قوله تعالى : [يدنين عليهن من جلابيبهن] أي يغطين رءوسهن ووجوههن ليعلم أنهن حرائر .

3 - وقال أبو السعود : ومعنى الآية أي يغطين بها وجوههن وأبدانهن ، إذا برزن لداعية من الدواعي .

4 - وقال الطبري : أي لا تتشبهن بالإماء في لباسهن إذا خرجن لحاجتهن فكشفن شعورهن ووجوههن لئلا يعرض لهن فاسق .

5 - وقال في البحر : والمراد بقوله : [عليهن] أي على وجوههن ، لأن الذي كان يبدو منهن فى الجاهلية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هو الوجه.

6 - وقال الجصاص : وفي الآية دلالة على أن المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها عن الأجانب ، لئلا يطمع فيها أهل الريب . فهذه جملة من أقوال أئمة التفسير في وجوب ستر وجه المرأة ، والله يقول الحق ويهدي السبيل .

سورة سبأ

مكية وآياتها أربع وخمسون آية

بين يدي السورة

* سورة سبأ من السور المكية ، التي تهتم بموضوع العقيدة الإسلامية ، وتتناول أصول الدين ، من إثبات الوحدانية ، والىبوة ، والبعث والىشور .

* أبتدأت السورة الكريمة بتمجيد الله جل وعلا ، للذي أبدع الخلق ، وأحكم شئون العالم ، ودبر الكون بحكمته ، فهو الخالق المبدع الحكيم ، الذي لا يغيب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذا من أعظم البراهين على وحدانية رب العالمين
[الحمد لله الذي له ما في السموات والأرض . . .]
الآيات .
* وتحدثت السورة عن قضية هامة ، هي إنكار المشركين للآخرة ، وتكذيبهم بالبعث بعد الموت ، فأمرت الرسول (ص) أن يقسم بربه العظيم ، على وقوع المعاد ، بعد فناء الأجساد [وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم . .] الآية .
* وتناولت السورة قصص بعض الرسل ، فذكرت " داود " وولده " سليمان " عليهما السلام ، وما سخر الله لهما من أنواع النعم ، كتسخير الريح لسليمان ، وتسخير الطير ، والجبال تسبح مع " داود " إظهارا لفضل الله عليهما في ذلك العطاء الواسع [ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والظير . .]
الآيات .
* وتناولت السورة بعض شبهات المشركين ، حول رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين ، ففندتها بالحجة الدامغة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، والبرهان الساطع ، كما أقامت الأدلة والبراهين على وجود الله ووحدانيته [وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها . .] الآيات .

* وختمت السورة بدعوة المشركين إلى الإيمان بالواحد القهار ، الذي بيده تدبير أمور الخلق أجمعين [قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى . .] الآيات . التسميه : سميت سورة " سبأ " لأن الله تعالى ذكر فيها قصة سبأ ، وهم ملوك اليمن ، وقد كان أهلها في نعمة ورخاء ، وسرور وهناء ، وكانت مساكنهم حدائق وجنات ، فلما كفروا الىعمة ، دمرهم الله بالسيل العرم ، وجعلهم عبرة لمن يعتبر .

اللغة :

[يلج] يدخل والولوج الدخول ومنه " حتى يلج الجمل في سم الخياط "

[يعرج] يصعد ومنه المعراج لأنه صعود إلى السموات

[يعزب] يغيب يقال : عزب عن عينه أي غاب عنها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[مثقال] وزن ومقدار

[جنة] بكسر النون بمعنى الجنون وبضمها بمعنى الوقاية والحجاب

[كسفا] قطعا

[أوبي] سبحي والتأويب : التسبيح

[سابغات] واسعات كاملات يقال : سبغ الدرع والثوب إذا غطى كل البدن وفضل منه شيء قال ابو حيان : السابغات : الدروع وأصله الوصف بالسبوغ وهو التمام والكمال ، وغلب على الدروع فصار كالأبطح ، قال الشاعر : عليها أسود ضاربات لبوسهم سوابغ بيض لا يخرقها النبل

[السرد] النسج ، وهو نسج حلق الدروع ، قال القرطبي : وأصله من الإحكام ، قال لبيد : صنع الحديد مضاعفا أسراده لينال طول العيش غير مروم

[القطر] النحاس المذاب

[جفان] جمع جفنة وهي القصة الكبيرة

[آلجوابي] جمع جابية وهي الحوض الكبير يجمع فيه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الماء ، قال الأعشى : نفى الذم عن آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق

[منسأته] المنسأة : العصا سميت بذلك لأنه ينسأ بها أي يطرد ويزجر ، قال الشاعر : إذا دببت على المنساة من كبر فقد تباعد عنك اللهو والغزل

تفسيرسورة سبأ

التفسير :

[الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض] أي العناء الكامل على جهة التعظيم والتبجيل ، لله الذي له كل ما في الكون ، خلقا وملكا وتصرفا ، الجميع ملكه وعبيده ، وتحت قهره وتصرفه ، فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته ، وفي الآخرة لواسع رحمته

[وله الحمد في الآخرة] أي وله الحمد بأجمعه ، لا يستحقه أجد سواه ، لأنه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وهو الحكيم الخبير] أي الحكيم في صنعه ، الخبير بخلقه ، فلا اعتراض عليه في فعل من أفعاله

[يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها] تفصيل لبعض معلوماته جل وعلا ، أي يعلم ما يدخل في جوف الأرض ، من المطر والكنوز والأموات ، وما يخرج من الأرض من الزروع والنباتات وماء العيون والآبار

[وما ينزل من السماء وما يعرج فيها] أي وما ينزل من السماء من المطر والملائكة والرحمة ، وما يصعد إليها من الأعمال الصالحات ، والدعوات الزاكيات

[وهو الرحيم الغفور] أي الرحيم بعباده ، الغفور عن ذنوب التائبين ، حيث لا يعاجلهم بالعقوبة . . ثم حكى تعالى مقالة المنكرين للبعث والقيامة ، فقال سبحانه :

[وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة] أي وقال المشركون من قومك لا قيامة أبدا ولا بعث ولا نشور ، قال البيضاوي : وهو إنكار لمجيئها أو استبطاء ، استهزاء بالوعد به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل بلى وربي لتأتينكم] أي قل لهم يا محمد : أقسم بالله العظيم لتأتينكم الساعة ، فإنها واقعة لا محال ، قال ابن كثير : هذه إحدى الآيات الثلاث ، التي أمر الله رسوله أن يقسم بربه العظيم على وقوعها ، والثانية في يونس [قل أي وربي إنه لحق] والثالثة في التغابن [قل بلى وربى لتبعث]

[عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض] أي هو جل وعلا العالم بما خفى عن الأبصار ، وغاب عن الأنظار ، لا يغيب عنه مقدار وزن الذرة ، في العالم العلوي أو السفلي

[ولا أصغر من ذلك ولا أكبر] أي ولا أصغر من الذرة ولا أكبر منها

[إلا في كتاب مبين] أي إلا ويعلمه الله تعالى وهو في اللوح المحفوظ ، والغرض : أن الله تعالى لا تخفى عليه ذرة في الكون ، فكيف يخفى عليه البشر وأحوالهم ؟ فالعظام وإن تلاشعت وتفرقت ولمزقت ، فهو تعالى عالم أين ذهبت وتفرقت ، ثم يعيدها يوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القيامة

[ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات] أي أثبت ذلك في الكتاب المبين ، لكي يثيب المؤمنين الذين أحسنوا في الدار الدنيا بأحسن الجزاء

[أولئك لهم مغفرة ورزق كريم] أي لهم مغفرة لذنوبهم ، ورزق حسن كريم ، في دار النعيم

[والذين سعو في آياتنا معاجزين] أي وأما الذين بذلوا جهدهم وجدوا لإبطال القرآن مغالبين لرسولنا ، يظنون أنهم يعجزونه بما يثيرونه من شبهات حول رسالته والقرآن

[أولئك لهم عذاب من رجز أليم] أي فهؤلاء المجرمون ، لهم عذاب من أسوأ العذاب ، شديد الإيلام ، قال قتادة : الرجز : سوء العذاب

[ويرى الذين أوتوا العلم] أي ويعلم أولوا العلم من أصحاب النبى عليه السلام ، ومن جاء بعدهم من العلماء العاملين

[الذي أنزل إليك من ربك هو الحق] أي يعلمون أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا القرآن الذي أنزل عليك يا محمد ، هو الحق الذي لا يأتيه الباطل

[ويهدي إلى صراط العزيز الحميد] أي ويرشد من تمسك به إلى طريق الله ، الغالب الذي لا يقهر ، الحميد أي المحمود في ذاته وصفاته وأفعاله . . ثم ذكر تعالى أساليب المشركين في الصد عن دين الله ، والسخرية برسول الله ، فقال سبحانه :

[وقال الذين كفروا] أي وقال الكافرون من مشركى مكة ، المنكرون للبعث والجزاء

[هل ندلكم على رجل ينبئكم] أي هل نرشدكم إلى رجل يحدثكم بأعجب الأعاجيب ؟ - يعنون محمدا (ص)

[إذا مزقتم كل ممزق] أي إذا بليتم في القبور ، وتفرقت أجسادكم في الأرض ، وذهبت كل مذهب ، بحيث صرتم ترابا ورفاتا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنكم لفي خلق جديد] ؟ أي إنكم ستخلقون خلقا جديدا ، بعد ذلك التمزيق والتفريق ؟ والغرض من هذا المقال هو السخرية والإستهزاء ، قال ابو حيان : والقائلون هم كفار قريش ، قالوه على جهة التعجب والاستهزاء ، كما يقول الرجل لمن يريد أن يعجبه : هل أدلك على قصة غريبة نادرة ؟ ولما كان البعث عندهم من المحال جعلوا من يخبر عن وقوعه ، في حيز من يتعجب منه ، ونكروا اسمه عليه [هل ندلكم على رجل] مع أن اسمه أشهر علم في قريش بطريق الاستهزاء

[أفترى على الله كذبا أم به جنة] أي هل اختلق الكذب على الله ؟ أم به جنون فهو يتكلم بما لا يدري ؟ قال تعالى ردا عليهم :

[بل الذين لا يؤمنون بالآخرة] " بل " للإضراب أي ليس الأمر كما يزعمون من الكذب والجنون ، " الذين لا يؤمنون بالآخرة " أي الذين يجحدون البعث ولا يصدقون بالآخرة

[في العذاب والضلال البعيد] أي بل هؤلاء الكفار في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ضلال وحيرة عن الحق ، توجب لهم عذاب النار ، فهم واقعون في الضلال وهم لا يشعرون ، وذلك غاية الجنون والحماقة . . ولما ذكر تعالى ما يدل على إثبات الساعة ، ذكر دليلا آخر يتضمن التوحيد مع التهديد فقال سبحانه :

[أفلم يروآ إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض] أي ألم يشاهدوا ما هو محيط بهم ، من جميع جوانبهم من السماء والأرض ؟ فإن الإنسان أينما توجه وحيثما نظر ، رأى السماء والأرض أمامه وخلفه ، وعن يمينه وشماله ، وهما يدلان على وحدانية الصانع ، أفلا يتدبرون ذلك فيعلمون أن الذي خلقهما قادر على بعث الناس بعد موتهم ؟ ثم هددهم بقوله :

[إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء] أي لو شئنا لخسفنا بهم الأرض كما فعلنا بقارون ، أو أسقطنا عليهم قطعا من السماء ، كما فعلنا بأصحاب الأيكة ، فمن أين لهم المهرب ؟ قال ابن الجوزى : المعنى أنهم أين كانوا ، فأرضي وسمائي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محيطة بهم ، وأنا القادر عليهم ، إن شئت خسفت بهم الأرض ، وإن شئت أسقطت عليهم قطعة من السماء [إن في ذلك لأية لكل عبد منيب] أي إن فيما يشاهدون من آثار القدرة والوحدانية ، لدلالة وعبرة لكل عبد تائب رجاع إلى الله ، متامل فيما يرى! ! قال ابن كثير : يريد أن من قدر على خلق هذه السموات ، في ارتفاعها واتساعها ، وهذه الأرضين في انخفاضها وأطوالها وأعراضها ، قادر على إعادة الأجسام ، ونشر الرميم من العظام . . ثم ذكر تعالى قصة داود وما خصه الله به من الفضل العظيم ، فقال سبحانه : [ولقد آتينا داود منا فضلا] اللام موطنة لقسم محذوف تقديره : وعزة الله وجلاله ، لقد أعطينا داود منا فضلا عظيما واسعا لا يقدر ، قال المفسرون : الفضل هو النبوة ، والزبور ، وتسخير الجبال ، والطير ، وإلانة الحديد ، وتعليمه صنع الدروع إلى غير ذلك [يا جبال أوبي معه والطير] أي وقلنا يا جبال سبحي معه ورجعي التسبيح إذا سبح ، وكذلك أنت يا طيور ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال ابن عباس : كانت الطير تسبح معه إذا سبح ، وكان إذا قرأ لم تبق دابة إلا استمعت لقراءته ، وبكت لبكائه

[وألنا له الحديد] أي جعلنا الحديد لينا بين يديه ، حتى كان كالعجين ، قال قتادة : سخر الله الحديد فكان لا يحتاج أن يدخله نارا ، ولا يضربه بمطرقة ، وكأن بين يديه كالشمع والعجين

[أن اعمل سابغات] أي اعمل منه الدروع السابغة ، التي تقي الإنسان شر الحرب ، قال المفسرون : كان يأخذ الحديد بيده فيصير كأنه عجين يعمل به ما يشاء ، ويصنع الدرع فى بعض يوم يساوي ألف درهم فيأكل ويتصدق ، والسابغات صفة لموصوف محذوف تقديره دروعا سابغات ، وهي الدروع الكوامل التي تغطي لابسها حتى تفضل عنه ، فيجزها على الأرض

[وقدر في السرد] أي وقدر في نسج الدروع بحيث تتناسب حلقاتها ، قال الصاوي : أي اجعل كل حلقة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مساوية لأختها ضيقة ، لا ينفذ منها السهم لغلظها ، ولا تثقل حاملها واجعل الكل بنسبة واحدة ،

[واعملوا صالحا] أي واعملوا يا آل داود عملا صالحا ، ولا تتكلوا على عز أبيكم وجاهه

[إني بما تعملون بصير] أي إني مطلع على أعمالكم ، مراقب لها وسأجازيكم بها ، قال الإمام الفخر : ألان الله لداود الحديد حتى كان في يده كالشمع ، وهذا في قدرة الله يسير ، فإنه يلين بالنار حتى يصبح كالمداد الذي يكتب به ، فأي عاقل يستبعد ذلك على قدرة الله ؟ وهو أول من صنع الدروع حلقا ، وكانت قبل ذلك صفائح ثقالا ، كما قال تعالى : [وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم] ثم ذكر تعالى ما أنعم به على ولده " سليمان " من النبوة والملك والجاه العظيم فقال سبحانه :

[ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر] أي وسخرنا لسليمان الريح تسير بأمره ، وسيرها من الصباح إلى الظهر ، مسيرة شهر للسائر المجد ، ومن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الظهر إلى الغروب مسيرة شهر ، قال المفسرون : سخر الله له الريح تقطع به المسافات الشاسعة في ساعات معدودات ، لحمله مع جنده فتنتقل به من بلد إلى بلد ، تغدو به مسيرة شهر إلى نصف النهار ، وترجع به مسيرة شهر إلى آخر النهار ، فتقطع به مسيرة شهرين في نهار واحد

[وأسلنا له عين القطر] أي وأذبنا له النحاس ، حتى كان يجري كأنه عين ماء متدفقة من الأرض ، قال المفسرون : أجرى الله لسليمان النحاس ، كما ألان لداود الحديد ، آية باهرة ، ومعجزة ظاهرة

[ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه] أي وسخرنا له الجن تعمل بأمره وإرادته ما شاء ، مما يعجز عنه البشر ، وكل ذلك بأمر الله وتسخيره

[ومن يزغ منهم عن أمرنا] أي ومن يعدل منهم عنا أمرناه به ، من طاعة سليمان

[نذقه من عذاب السعير] أي نذقه النار المستعرة في الآخرة . . ثم أخبر تعالى عما كلف به الجن من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأعمال ، فقال سبحانه :
[يعملون له ما يشاء من محاريب] أي يعمل هؤلاء الجن لسليمان ما يريد من القصور الشامخة
[وتماثيل] أي والتماثيل العجيبة من النحاس والزجاج ، قال الحسن : ولم تكن يومئذ محرمة ، وقد حرمت في شريعتنا سدا للذريعة ، لئلا نعبد من دون الله
[وجفان كالجواب] أي وقصاع ضخمة تشبه الأحواض ، قال ابن عباس : " وجفان كالجواب " أي كالحياض
[وقدور راسيات] أي وقدور كبيرة ثابتات لا تتحرك لكبرها وضخامتها ، قال ابن كثير : والقدور الراسيات أي الثابتات في أماكنها لا تتحرك ولا تتحول عن أماكنها لعظمها
[اعملوا آل داود شكرا] أي وقلنا لهم : اشكروا يا آل داود ربكم ، على هذه النعم الجليلة ، فقد خصكم بالفضل العظيم والجاه العريض ، واعملوا بطاعة الله شكرا له جل وعلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وقليل من عبادي الشكور] أي وقليل من العباد من يشكر الله على نعمه ، وفيه تنبيه وتحريض على شكر الله . . ثم أخبر تعالى عن كيفية موت سليمان ، فقال :

[فلما قضينا عليه الموت] أي حكمنا على سليمان بالموت ونزل به الموت

[ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته] أي ما دل الجن على موته إلا تلك الحشرة وهي الأرضة - السوسة التي تأكل الخشب - تأكل عصا سليمان

[فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب] أي فلما سقط سليمان عن عصاه ظهر للجن واتضح لهم أنهم لو كانوا يعرفون الغيب كما زعموا

[ما لبثوا في العذاب المهين] أي ما مكثوا في الأعمال الشاقة تلك المدة الطويلة ، قال المفسرون : كانت الإنس تقول : إن الجن يعلمون الغيب الذي يكون في المستقبل ، فوقف سليمان في محرابه يصلي متوكئا على عصاه ، فمات ومكث على ذلك سنة ، والجن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعمل تلك الأعمال الشاقة ولا تعلم بموته ، حتى أكلت الأرضة عصا سليمان فسقط على الأرض ، فعلموا موته ، وعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب ، لأنهم لو علموه لما أقاموا هذه المدة الطويلة في الأعمال الشاقة ، وهم يظنون أنه حي ، وهو عليه السلام ميت قد فارق الحياة.

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان نوجزها فيما يلي :

1 - تعريف الطرفين لإفادة الحصر [الحمد لله] ومعناه لا يستحق الحمد الكامل إلا الله .

2 - الطباق بين [يلج . . ويخرج] وبين [ينزل . . ويعرج] وبين [أصغر . . وأكبر] .

3- صيغة فعيل وفعول للمبالغة [وهو الحكيم الخبير] [وهو الرحيم الغفور] [وقليل من عبادي الشكور] .

4 - المقابلة بين [ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات . .] الآية وبين [والذين سعوا في آياتنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معاجزين] فقد جعل المغفرة والرزق الكريم جزاء المحسنين ، وجعل العذاب والرجز الأليم جزاء المجرمين .

5 - الاستفهام للسخرية والاستهزاء [هل ندلكم على رجل ينبئكم] وغرضهم الاستهزاء بالرسول ولم يذكروا اسمه إمعانا فى التجهيل كأنه إنسان مجهول .

6 - التنكير للتفخيم [آتينا داود منا فضلا] أي فضلا عظيما ، وتقديم داود على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر .

7 - الإيجاز بالحذف [غدوها شهر ورواحها شهر] أي غدوها مسيرة شهر ورواحها مسيرة شهر .

8 - التشبيه [وجفان كالجواب] وسمى التشبيه المرسل المجمل لذكر أداة التشبيه وحذف وجه الشبه .

قال الله تعالى : [لقد كان لسبأ في مسكنهم آية . .] إلى قوله [هل يجزون إلا ما كانوا يعملون] من آية (15) إلى نهاية آية (33) .

المناسبة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لما بين تعالى حال الشاكرين لنعمه بذكر " داود " و " سليمان " بين حال الكافرين لأنعمه بقصة سبأ ، موعظة لقريش وتحذيرا وتنبيها على ما حدث وجرى من المصائب والنكبات ، على من كفر بأنعم الله ، ثم ذكر كفار مكة بنعمه ليعبدوه ويشكروه .

اللغة :

[سبأ] قبيلة من العرب سكنت اليمن سميت باسم جدهم " سبأ بن يشجب بن قحطان "

[العرم] الحاجز بين الشيئين ، قال النحاس : وما يجتمع من مطر بين جبلين وفي وجهه مسناة - أي حاجز - فهو العرم

[خمط] الخمط : المر البشع ، قال الزجاج : كل نبت فيه مرارة لا يمكن أكله فهو خمط ، وقال المبرد : هو كل ما تغير إلى ما لا يشتهى ، واللبن إذا حمض فهو خمط

[أثل] الأثل : شجر لا ثمر له ، قال الفراء : وهو شبيه بالطرفاء إلا أنه أعظم منه طولا ومنه اتخذ منبر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسول الله (ص) والواحدة أثلة

[سدر] قال الفراء : هو السرو ، وقال الأزهري : السدر نوعان : سدر لا ينتفع به ولا يصلح ورقه للغسول ، وله ثمرة عصفة لا تؤكل ، وسدر ينبت على الماء وثمره النبق وورقه غسول

[ظهير] معين

[الفتاح] القاضي والحاكم بالحق.

التفسير :

[لقد كان لسبأ في مسكنهم آية] اللام موطئة للقسم أي والله لقد كان لقوم سبأ في موضع سكناهم باليمن ، آية عظيمة دالة على الله جل وعلا وعلى قدرته على مجازاة المحسن بإحسانه ، والمسيء باساءته ، فإن قوم سبأ لما كفروا نعمة الله ، خرب الله ملكهم ، وشتت شملهم ، ومزقهم شر ممزق ، وجعلهم عبرة لمن يعتبر! ! ثم بين تعالى وجه تلك النعمة فقال :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[جنتان عن يمين وشمال] أي حديقتان عظيمتان فيهما من كل أنواع الفواكه والثمار ، عن يمين الوادي بساتين ناضرة ، وعن شماله كذلك ، قال قتادة : كانت بساتينهم ذات أشجار وثمار ، تظلل الناس بظلالها ، وكانت المرأة تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها مكتل أو زنبيل ، فيتساقط من الأشجار ما يملؤه ، من غير كلفة ولا قطاف لكثرته ونضجه وقال البيضاوي : ولم يرد بستانين اثنين فحسب ، بل أراد جماعتة من البساتين ، جماعة عن يمين بلدهم ، وجماعة عن شماله ، سميت كل جماعة منها جنة ، لكونها في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة

[كلوا من رزق ربكم واشكروا له] أي وقلنا لهم على لسان الرسل : كلوا من فضل الله وإنعامه ، واشكروا ربكم على هذه النعم

[بلدة طيبة ورب غفور] أي هذه بلدتكم التى تسكنونها بلدة طيبة ، كريمة التربة ، حسنة الهواء ، كثيرة الخيرات ، وربكم الذي رزقكم وأمركم بشكره ، رب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غفور لمن شكره
[فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم] أي فأعرضوا عن طاعة الله وشكره ، واتباع أوامر رسله ، فأرسلنا عليهم السيل المدمر المخرب ، الذي لا يطاق لشدته وكثرته ، فغرق بساتينهم ودورهم ، قال الطبري : وحين أعرضوا عن تصديق الرسل ، ثقب ذلك السد الذي كان يحبس عنهم السيول ، ثم فاض الماء على جناتهم فغرقها ، وخرب أرضهم وديارهم
[وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط] أي وأبدلناهم بتلك البساتين الغناء ، بساتين قاحلة جرداء ، ذات أكل مر بشع
[وأثل وشيء من سدر قليل] وشيء من الأشجار التي لا ينتفع بثمرها ، كشجر الأثل والسدر ، قال الرازي : أرسل الله عليهم سيلا غرق أموالهم ، وخرب دورهم ، والخمط كل شجرة لها شوك وثمرتها مرة ، والأثل نوع من الطرفاء ، ولا يكون عليه ثمرة إلا في بعض الأوقات ، يكون عليه شيء كالعفص ، أو أصغر منه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في طعمه وطبعه ، والسدر معروف وقال فيه :
[قليل] لأنه كان أحسن أشجارهم ، وقد بين تعالى بالآية طريقة الخراب ، وذلك لأن البساتين التي فيها الناس تكون فيها الفواكه الطيبة بسبب العمارة ، فإذا تركت سنين تصبح كالغيضة والأجمة ، تلتف الأشجار بعضها ببعض ، ولنبت المفسدات فيها ، فتقل الثمار وتكثر الأشجار قال المفسرون : وتسمية البدل " جنتين " فيه ضرب من التهكم ، لأن الأثل والسدر وما كان فيه خمط لا يسمى جنة ، لأنها أشجار لا يكاد ينتفع بها ، وإنما جاء التعبير على سبيل المشاكلة
[ذلك جزيناهم بما كفروا] أي ذلك الجزاء الفظيع الذي عاقبناهم به إنما كان بسبب كفرهم
[وهل نجازي إلا الكفور] ؟ أي وما نجازي بمثل هذا الجزاء الشديد إلا الكافر المبالغ في كفره ، قال مجاهد : أي ولا يعاقب إلا الكفور ، لأن المؤمن يكفر الله عنه سيئاته ، والكافر يجازي بكل سوء عمله
[وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ظاهرة] هذا من تتمة ذكر ما أنعم الله به عليهم ، أي وجعلنا بين (بلاد سبأ) وبين (القرى الشامية) التي باركنا فيها للعالمين قرى متواصلة من اليمن إلى الشام ، يرى بعضها من بعض لتقاربها ، ظاهرة لأبناء السبيل

[وقدرنا فيها السير] أي جعلنا السير بين قراهم وبين قرى الشام سيرا مقدرا من منزل إلى منزل ، ومن قرية إلى قرية

[سيروا فيها ليالي وأياما أمنين] أي وقلنا لهم سيروا بين هذه القرى متى شئتم ، لا تخافون في ليل ولا في نهار ، قال الزمخشري : كان الغادي منهم يقيل في قرية ، والرائح يبيت في قرية إلى أن يبلغ الشام ، لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ، ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء ، وكانوا يسيرون آمنين لا يخافون شيئا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا] إخبار بما قابلوا به النعم من الكفران ، أي إنهم حين بطروا النعمة ، وملوا العافية ، وسئموا الراحة ، طلبوا من الله أن يباعد بين قراهم المتصلة ، ليمشوا في المفاوز ، ويتزودوا للأسفار ، فعجل الله إجابتهم ، بتخريب تلك القرى وجعلها مفاوز قفارا

[وظلموا أنفسهم] أي وظلموا أنفسهم بكفرهم وجحودهم النعمة

[فجعلناهم أحاديث] أي جعلناهم أخبارا تروى للناس بعدهم

[ومزقناهم كل ممزق] أي وفرقناهم في البلاد شذر مذر

[إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور] أي إن فيما ذكر من قصتهم لعبرا وعظات لكل عبد صابر على البلاء ، شاكر في النعماء! ! والمقصود من ذكر قصة سبأ تحذير الناس من كفران النعمة ، لئلا يحل بهم ما حل بمن قبلهم ، ولهذ أصبحت قصتهم يضرب بها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المثل ، فيقال : " ذهبوا أيدي سبأ " ثم ذكر تعالى سبب ضلال المشركين ، فقال سبحانه :

[ولقد صدق عليهم إبليس ظنه] أي تحقق ظن إبليس اللعين في هؤلاء الضالين ، حيث ظن إنه يستطيع أن يغويهم بتزيين الباطل لهم ، وأقسم بقوله : [لأغوينهم أجمعين] فتحقق ما كان يظنه ، قال مجاهد : ظن ظنا فكان كما ظن فصدق ظنه

[فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين] أي فاتبعه الناس فيما دعاهم إليه من الضلالة ، إلا فريقا هم المؤمنون ، فإنهم لم يتبعوه ، قال القرطبي : أي ما سلم من المؤمنين إلا فريق ، وعن ابن عباس أنهم المؤمنون كلهم فتكون [من] على هذا للتبيين لا للتبعيض ، وإنما علم إبليس صدق ظنه وهو لا يعلم الغيب ، لأنه لما نفذ له في آدم ما نفذ ، غلب على ظنه أنه ينفذ له مثل ذلك في ذريته ، وقد وقع له تحقيق ما ظن

[وما كان له عليهم من سلطان] أي وما كان لإبليس تسلط واستيلاء عليهم ، بالوسوسة والإغواء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك] أي إلا لحكمة جليلة ، وهي أن نظهر علمنا للعباد ، بمن هو مؤمن مصدق بالآخرة ، ومن هو شاك مرتاب في أمرها ، فنجازي كلا بعمله ، قال القرطبي : أي لم يقهرهم إبليس على الكفر ، وإنما كان منه الدعاء والتزيين وقال الحسن : والله ما ضربهم بعصا ، ولا أكرههم على شيء ، وما كان إلا غرورا وأماني دعاهم إليها فأجابوه

[وربك على كل شيء حفيظ] أي وربك يا محمد على كل شيء رقيب ، لا تخفى عليه خافية من أفعال العباد ، فهو الذي يحفظ عليهم أعمالهم ، ويعلم نياتهم وأحوالهم ، قال الصاوي : الشيطان سبب الإغواء لا خالق الإغواء ، فمن أراد الله حفظه منع الشيطان عنه ، ومن أراد إغواءه سلط عليه الشيطان ، والكل فعل الله تعالى ، وإنما سبقت حكمته بتسليط الشيطان على الإنسان ، ابتلاء وامتحانا ليميز الله الخبيث من الطيب ، والمراد بقوله : [لنعلم] أي لنظهر للخلق علمنا ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإلا فالله تعالى عالم بما كان وما يكون

[قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله] أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين : أدعوا شركاءكم الذين عبدتموهم من الأصنام ، وزعمتم أنهم آلهة من دون الله ، أدعوهم ليجلبوا لكم الخير ، ويدفعوا عنكم الضر ، قال أبو حيان : والأمر بدعاء الآلهة للتعجيز لإقامة الحجة عليهم

[لا يملكون مثقال ذرة] أي لا يملكون وزن ذرة من خيير ، أو نفع أو ضر

[في السموات ولا في الأرض] أي في العالم العلوي أو السفلي ، وليسوا بقادرين على أمر من الأمور في الكون بأجمعه

[وما لهم فيهما من شرك] أي وليس لتلك الآلهة شركة مع الله ، لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا

[وما له منهم من ظهير] أي وليس له تعالى من الآلهة ، معين يعينه في تدبير أمرهما ، بل هو وحده الخالق لكل شيء ، المنفرد بالإيجاد والإعدام ، ثم لما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نفى عنها الخلق والملك ، نفى عنها الشفاعة أيضا فقال :

[ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له] أي لا تكون الشفاعة لأحد عند الله ، من ملك أو نبي ، حتى يؤذن له في الشفاعة ، فكيف يزعمون أن آلهتهم يشفعون لهم ؟ قال ابن كثير : أي أنه تعالى لعظمته وجلاله وكبريائه ، لا يجترىء أحد أن يشفع عنده في شيء ، إلا بعد إذنه له في الشفاعة ، كقوله تعالى : [من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه] وقوله : [ولا يشفعون إلا لمن ارتضى] وإنما كانت الشفاعة لسيد ولد آدم ، إظهارا لمقامه الشريف ، فهو أكبر شفيع عند الله ، وذلك حين يقوم المقام المحمود ، ليشفع في الخلق كلهم [حتى إذا فزع عن قلوبهم] أي حتى إذا زال الفزع والخوف عن قلوب الشفعاء من الملائكة ، والأنبياء [قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق] آي قال بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم في أمر الشفاعة ؟ فأجابوهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بقولهم : قد أذن فيها للمؤمنين ، قال القرطبى : أن الله تعالى يأذن للأنبياء والملائكة في الشفاعة ، وهم على غاية الفزع من الله ، لما يقترن بتلك الحال من الأمر الهائل ، والخوف الشديد أن يقع منهم تقصير ، فإذا سري عنهم قالوا للملائكة فوقهم : ماذا قال ربكم ؟ أي بماذا أمر الله ؟ قالوا : الحق أي إنه أذن لكم في الشفاعة للمؤمنين

[وهو العلي الكبير] أي هو تعالى المتفرد بالعلو والكبرياء ، العظيم في سلطانه وجلاله ، قال أبو السعود : وهذا من تمام كلام الشفعاء ، قالوه اعترافا بغاية عظمة جناب الله عز وجل ، فليس لأحد أن يتكلم إلا بإذنه ، ثم وبخ تعالى المشركين في عبادتهم غير الخالق الرازق ، فقال سبحانه :

[قل من يرزقكم من السموات والأرض] أي قل لهم يا محمد : من الذي يرزقكم من السموات بإنزال المطر ، ومن الأرض بإخراج النبات والثمر ؟

[قل الله] أي قل لهم : الله هو الرازق لا آلهتكم ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ابن الجوزي : وإنما أمر عليه السلام أن يسأل الكفار عن هذا احتجاجا عليهم ، بأن الذي يرزق هو المستحق للعبادة ، وهم لا يثبتون رازقا سواه ، ولهذا جاء الجواب [قل الله] لأنهم لا يجيبون بغير هذا

[وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين] أي وأحد الفريقين منا أو منكم ، لعلى هدى ، أو ضلال بين ! ! وهذا نهاية الإنصاف مع الخصم ، قال أبو حيان : اخرج الكلام مجرد الشك ، ومعلوم أن من عبد الله وحده كان مهتديا ، ومن عبد غيره من جماد كان ضالا ، وفي هذا إنصاف وتلطف في الدعوى ، وفيه تعريض بضلالهم ، وهو أبلغ من الرد بالتصريح ، ونحوه قول العرب : أخزى الله الكاذب مني ومنك ، مع تيقن آن صاحبه هو الكاذب

[قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون] أي لا تؤاخذون على ما ارتكبنا من إجرام ، ولا نؤاخذ نحن بما اقترفتم ، وإنما يعاقب كل إنسان بجريرته ، وهذه ملاطفة وتنزل في المجادلة إلى غاية الإنصاف ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الزمخشري : وهذا أدخل في الإنصاف ، وآبلغ من الأول ، حيث أسند الإجرام لأنفسهم والعمل إلى المخاطبين)

[قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق] أي يجمع الله بيننا وبينكم يوم القيامة ، ثم يحكم بيننا ويفصل بالحق

[وهو الفتاح العليم] أي وهو الحاكم العادل الذي لا يظلم أحدا ، العالم بأحوال الخلق ، فيدخل المحق الجنة ، والمبطل النار

[قل أروني الذين ألحقتم به شركاء] توبيخ آخر على إشراكهم وإظهار لخطئهم العظيم ، أي أروني هذه الأصنام التي ألحقتموها بالله ، وجعلتموها شركاء معه في الألوهية ، وأنظر بأي صفة استحقت العبادة مع الذي ليس كمثله شيء ؟ قال أبو السعود : وفيه مزيد تبكيت لهم بعد إلزام الحجة عليهم

[كلا بل هو الله العزيز الحكيم] ردع لهم وزجر أي ليس الأمر كما زعمتم من اعتقاد شريك له ، بل هو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإله الواحد الأحد ، الغالب على أمره ، الحكيم في تدبيره لخلقه ، فلا يكون له شريك في ملكه أبدا

[وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا] أي وما أرسلناك يا محمد للعرب خاصة ، وإنما أرسلناك لعموم الخلق ، مبشرا للمؤمنين بجنات النعيم ، ومنذرا للكافرين من عذاب الجحيم

[ولكن أكثر الناس لا يعلمون] أي ولكن هؤلاء الكافرين لا يعلمون ذلك ، فيحملهم جهلهم على ما هم عليه من الغي والضلال

[ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين] أي ويقول المشركون على سبيل الاستهزاء والسخرية : متى هذا العذاب الذي تخوفوننا به ؟ إن كنتم صادقين فيما تقولون ؟ والخطاب للنبي والمؤمنين

[قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون] أي لكم زمان معين للعذاب يجيء في أجله الذي قدره الله له ، لا يستأخر لرغبة أحد ، ولا يتقدم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لرجاء أحد ، فلا تستعجلوا عذاب الله ، فهو آتي لا محالة . . ثم أخبر تعالى عن تمادي المشركين في العناد والتكذيب ، فقال سبحانه :

[وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه] أي لن نصدق بالقرآن ، ولا بما سبقه من الكتب السماوية ، الدالة على البعث والنشور

[ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم] أي ولو شاهدت يا محمد حال الظالمين المنكرين للبعث ، في موقف الحساب

[يرجع بعضهم إلى بعض القول] أي يلوم بعضهم بعضا ، ويؤنب بعضهم بعضا ، وجواب [لو] محذوف للتهويل ، تقديره : لرأيت أمرا فظيعا مهولا

[يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين] أي يقول الأتباع للرؤساء : لولا إضلالكم لنا لكنا مؤمنين مهتدين

[قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم] ؟ أي قال الرؤساء جوابا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للمستضفين : أنحن منعناكم عن الإيمان بعد أن جاءكم ؟ لا ، ليس الأمر كما تقولون

[بل كنتم مجرمين] أي بل انتم كفرتم من ذات أنفسكم ، بسبب أنكم كنتم مجرمين ، راسخين فى الإجرام

[وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار] أي وقال الأتباع للرؤساء : بل مكركم بنا في الليل والنهار ، هو الذي صدنا عن الإيمان

[إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا] أي وقت دعوتكم لنا إلى الكفر بالله ، وأن نجعل له شركاء ، ولولا تزيينكم لنا الباطل ما كفرنا

[وأسروا الندامة لما رأوا العذاب] أي أخفى كل من الفريقين الندامة على ترك الإيمان ، حين رأوا العذاب ، أخفوها مخافة التعيير

[وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا] أي وجعلنا السلاسل في رقاب الكفار ، زيادة على تعذيبهم بالنار

[هل يجزون إلا ما كانوا يعملون] أي لا يجزون إلا بأعمالهم التي عملوها ، ولا يعاقبون إلا بكفرهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإجرامهم !

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - ا لطباق بين لفظ [يمين . . وشمال] وبين [بشير . . ونذير] وبين [تستقدمون وتستأخرون] وبين [استضعفوا . . واستكبروا] وهو من المحسنات البديعية .

2 - جناس الاشتقاق [وقدرنا فيها السير سيروا] فإن كلمة [سيروا] مشتقة من السير .

3 - التعجيز بدعاء الجماد الذي لا يسمع ولا يحس [قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله] .

4 - التوبيخ والتبكيت [قل من يرزقكم من السموات والأرض] ؟ .

5 - حذف الخبر لدلالة السياق عليه [قل الله] أي قل الله الخالق الرازق للعباد ، ودل على المحذوف سياق الآية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

6 - المبالغة بذكر صيغ المبالغة [إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور] فإن فعال وفعيل وفعول من صيغ المبالغة ، ومثلها [وهو الفتاح العليم] .
7 - حذف الجواب للتهويل والتفظيع [ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم] حذف الجواب للتهويل أي لو ترى حالهم لرأيت أمرا فظيعا مهولا .

---

8 - المجاز العقلي [بل مكر الليل والنهار] أسند المكر إلى الليل والمراد مكر المشركين بهم في الليل ، ففيه مجاز عقلي ، حيث أسند المكر إلى الزمان .
9 - الاستعارة البديعة [لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه] ليس للقرآن يدان ، ولكنه استعارة لما سبقه من الكتب السماوية المنزلة من عند الله .
10 - مراعاة الفواصل لما لها من وقع حسن على السمع مثل [وهل نجازي إلا الكفور ؟ . . إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور] الخ .
قال الله تعالى : [وما أرسلنا في قرية . .] إلى قوله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنهم كانوا في شك مريب] من آية (34) إلى آية (54) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لقد ذكر تعالى قصة أهل سبأ وكفرهم بنعم الله ، وما أعقب ذلك من تبديل النعمة إلى النقمة ، ذكر هنا اغترار المشركين بالمال والبنين ، وتكذيبهم لرسول الله (ص) ، وختم السورة الكريمة ببيان مصرع الغابرين ، تسلية لرسول الله (ص) وتخويفا وتحذيرا للمشركين .

اللغة :

[مترفوها] المترف : المنعم المتقلب في الغنى والعز والجاه

[يبسط] يوسع

[يقدر] يقتر

[زلفى] قربى

[إفك] كذب مختلق

[معشار] المعشار : العشر ، قال الجوهري : ومعشار الشيء عشره ، فهما لغتان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[نكير] أصلها نكيري حذفت الياء لمراعاة الفواصل ، قال الزجاج : النكير : اسم بمعنى الإنكار

[جنة] بكسر الجيم أي جنون

[فوت] نجاة . ومهرب

[التناوش] التناول ، قا ل الزمخشري : والتناوش والتناول أخوان ، إلا أن التناوش تناول سهل لشيء قريب ، ومنه المناوشة في القتال وذلك عند تداني الفريقين ، قال ابن السكيت : يقال للرجل إذا تناول رجلا ليأخذه ناشه .

التفسير :

[وما أرسلنا في قرية من نذير] أي لم نبعث في أهل قرية رسولا من الرسل ينذرهم عذابنا

[إلا قال مترفوها] أي إلا قال أهل الغنى والتنعم في الدنيا

[إنا بما أرسلتم به كافرون] أي لا نؤمن برسالتكم ولا نصدقكم بما جئتم به ، قال قتادة : المترفون هم جبابرتهم وقادتهم ورؤساؤهم في الشر ، وهم الذين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يبادرون إلى تكذيب الأنبياء ، والقصد من الآية ؟ تسلية النبى (ص) على تكذيب أكابر قريش له

[وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا] أي وقأل مشركو مكة : نحن أكثر أموالا وأولادلا من هؤلاء الضعفاء المؤمنين

[وما نحن بمعذبين] أي إن الله لا يعذبنا لأنه راض عنا ، ولو لم يكن راضيا عنا لما بسط لنا في الرزق ، قاسوا أمر الدنيا على الآخرة ، وظنوا أن الله كما أعطاهم الأموال والأولاد في الدنيا ، لا يعذبهم في الآخرة ، قال أبو حيان : نص تعالى على المترفين لأنهم أول المكذبين للرسل ، لما شغلوا به من زخرف الدنيا ، وما غلب على عقولهم منها ، فقلوبهم أبدا مشغولة منهمكة ، بخلاف الفقراء فإنهم خالون من مستلذات الدنيا ، فقلوبهم أقبل للخير ، ولذلك كانوا أكثر أتباع الأنبياء

[قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر] أي قل لهم يا محمد : أن توسعة الرزق وتضييقه ، ليس دليلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على رضى الله ، فقد يوسع الله على الكافر والعاصي ، ويضيق على المؤمن والمطيع ، ابتلاء وامتحانا ، فلا تظنوا أن كثرة الأموال والأولاد دليل المحبة والسعادة ، بل هي تابعة للحكمة والمشيئة

[ولكن أكثر الناس لا يعلمون] أي ولكن أكثر هؤلاء الكفرة لا يعلمون الحقيقة ، فيظنون أن كثرة الأموال والأولاد ، للشرف والكرامة ، وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال تعالى : [سنستدرجهم من حيث لا يعلمون] ولهذا أكد ذلك بقوله :

[وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى] أي ليست أموالكم ولا أولادكم التى تفتخرون بها ، وتكاثرون هي التى تقربكم من الله قربى ، دائما يقرب الإيمان والعمل الصالح ، قال الطبري : الزلفى : القربى ، ولا يعتبر الناس بكثرة المال والولد ، ولهذا قال تعالى بعده :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إلا من آمن وعمل صالحا] أي إلا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ، ويعلم ولده الخير ، ويربيه على الصلاح ، فإن هذا الذي يقرب من الله

[فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا] أي تضاعف حسناتهم ، الحسنة بعشر أمثالها ، وبأكثر إلى سبعمائة ضعف

[وهم في الغرفات أمنون] أي وهم في منازل الجنة العالية أمنون من كل عذاب ومكروه . . ولما ذكر جزاء المؤمنين ، ذكر عقاب الكافرين ، ليظهر التباين بين الجزاءين ، فقال سبحانه :

[والذين يسعون في آياتنا معاجزين] أي يسعون في الدذ عن سبيل الله ، ومنع الناس من الإيمان ، معاندين لنا يظنون أنهم يفوتوننا بأنفسهم

[أولئك في العذاب محضرون] أي فهم مقيمون في العذاب ، محضرون يوم القيامة للحساب

[قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له] أي قل يا محمد : إن ربي يوسع الرزق لمن يشاء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من خلقه ، ويقتر على من يشاء ، فلا تغتروا بالأموال التي رزقكم الله إياها ، قال في التسهيل : كررت الآية لإختلاف القصد ، فإن القصد بالأول الكفار ، والقصد هنا ترغيب المؤمنين بالإنفاق

[وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه] أي وما أنفقتم في سبيل الله قليلا أو كثيرا ، فإن الله تعالى يعوضه عليكم ، إما عاجلا أو آجلا

[وهو خير الرازقين] أي هو تعالى خير المعطين ، فإن عطاء غيره بحساب ، وعطاؤه تعالى بغير حساب ، قال المفسرون : لما بين أن الإيمان والعمل الصالح هو الذي يقرب العبد إلى ربه ، ويكون مؤديا إلى تضعيف حسناته ، بين أن نعيم الآخرة لا ينافي سعة الرزق في الدنيا ، بل الصالحون قد يبسط الله لهم الرزق في الدنيا ، مع ما لهم في الآخرة من الجزاء الأوفى ، والمثوبة الحسنى بمقتضى الوعد الإلهى

[ويوم يحشرهم جميعا] أي واذكر يوم يحشر الله المشركين جميعا ، من تقدم ومن تأخر للحساب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والجزاء

[ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون] ؟ الاستفهام للتقريع والتوبيخ للمشركين ، أي أهؤلاء عبدوكم من دوني ؟ وهل أنتم أمرتموهم بذلك ؟ قال الزمخشري : هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار ، وارد على المثل السائر " إياك أعنى واسمعي يا جارة " ونحوه قوله تعالى : [أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله] ؟ وقد علم سبحانه أن الملائكة وعيسى ، منزهون عما نسب إليهم ، والغرض من السؤال والجواب أن يكون تقريع المشركين أشد ، وخجلهم أعظم

[قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم] أي تعاليت وتقدست يا ربنا عن أن يكون معك إله ، أنت ربنا ومعبودنا الذي نتولاه ونعبده ، ونخلص له العبادة ، ونحن نتبرأ إليك منهم

[بل كانوا يعبدون الجن] أي بل كانوا يعبدون الشياطين ، لأنهم هم الذين زينوا لهم عبادة غير الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فأطاعوهم

[أكثرهم بهم مؤمنون] قال الطبري : أي أكثرهم بالجن مصدقون يزعمون أنهم بنات الله ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا قال تعالى ردا على مزاعم المشركين

[فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا] أي ففي هذا اليوم - يوم الحساب - لا ينفع العابدون ولا المعبودون بعضهم لبعض ، لا بشفاعة ونجاة ، ولا بدفع عذاب وهلاك ، قال أبو السعود : يخاطبون بذلك على رءوس الأشهاد ، إظهارا لعجزهم وقصورهم عن نفع عابديهم ، وإظهارا لخيبة رجائهم بالكلية ، ونسبة عدم النفع والضر إلى البعض ، للمبالغة في المقصود ، كأن نفع الملائكة لعبدتهم في الاستحالة ، كنفع العبدة لهم

[ونقول للذين ظلموا] أي ونقول للظالمين الذين عبدوا غير الله

[ذوقوا عذاب النار الذى كنتم بها تكذبون] أي ذوقوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عذاب جهنم التي كذبتم بها في الدنيا ، فها أنتم قد وردتموها! ! ثم بين تعالى لونا آخر من كفرهم وضلالهم ، فقال :

[وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات] أي وإذا تليت على هؤلاء المشركين ، آيات القرآن واضحات المعاني ، بينات الإعجاز وسمعوها غضة طرية من لسان رسولنا محمد (ص)

[قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد أباؤكم] أي ما هذا الذي يزعم الرسالة ، إلا رجل مثلكم يريد أن يمنعكم عما كان يعبد أسلافكم ، من الأوثان والأصنام

[وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى] أي ما هذا القرآن إلا كذب مختلق على الله

[وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين] أي وقال أولئك الكفرة المتمردون بجراءتهم على الله ، ومكابرتهم للحق النير ما هذا القرآن إلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سحر واضح ظاهر لا يخفى على لبيب ، قال الزمخشري : وفيه تعجيب من أمرهم بليغ ، حيث بتوا القضاء على أنه سحر ، ثم بتوه على أنه بين ظاهر ، كل عاقل تأمله سماه سحرا ، وفي قوله : [لما جاءهم] المبادهة بالكفر من غير تأمل ، ثم بين تعالى أنهم لم يقولوا ذلك عن بينة ، ولم يكذبوا محمدا عن يقين ، بل عن ظن وتخمين ، فقال سبحانه :

[وما آتيناهم من كتب يدرسونها] أي وما أنزلنا على أهل مكة كتابا قبل القرآن يقرءون فيه ويتدارسونه [وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير] أي وما بعثنا إليهم قبلك يا محمد رسولا ينذرهم عذاب الله ، فمن أين كذبوك ؟ قال الطبري : أي ما أنزل الله على العرب كتابا قبل القرآن ، ولا بعث إليهم نبيا قبل محمد (ص) [وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم] أي وكذب قبلهم أقوام من الأمم السابقين ، وما بلغ كفار مكة عشر ما آتينا الأمم التي كانت قبلهم ، من القوة والمال وطول العمر ، قال ابن عباس : [معشار ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آتيناهم] أي من القوة في الدنيا

[فكذبوا رسلي فكيف كان نكير] أي وحيث كذبوا رسلي جاءهم انكاري بالتدمير والاستئصال ، ولم يغن عنهم ما كانوا فيه من القوة ، فكيف حال هؤلاء إذا جاءهم العذاب والهلاك ؟ وفيه تهديد لقريش

[قل إنما أعظكم بواحدة] أي قل يا أيها الرسول لهؤلاء المشركين : إنما أنصحكم وأوصيكم بخصلة واحدة ، ثم فسرها بقوله :

[أن تقوموا لله مثنى وفرادى] أي هي أن تتحروا الحق لوجه الله ، والتقرب له ، مجتمعين ووحدانا ، أو اثنين اثنين ، وواحدا واحدا ، قال القرطبي : وهذا القيام معناه القيام إلى طلب الحق ، لا القيام الذي هو ضد القعود

[ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة] أي ثم تتفكروا في أمر محمد ، لتعلموا أن من ظهر على يديه هذا الكتاب المعجز ، لا يمكن أن يكون به مس من الجنون ، أو يكون مجنونا! ! قال أبو حيان : ومعنى الآية : إنما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أعظكم بواحدة ، فيها إصابتكم الحق ، وهي أن تقوموا لوجه الله متفرقين ، اثنين اثنين ، وواحدا واحدا ، ثم تتفكروا في أمر محمد وما جاء به ، وإنما قال [مثنى وفرادى] لأن الجماعة يكون مع اجتماعهم تشويش الخاطر والمنع عن التفكر كما يكون في الدروس التي يجتمع بها الجماعة ، وأما الاثنان إذا نظرا نظر إنصاف وعرض كل واحد منهما على صاحبه ما ظهر له ، فلا يكاد الحق أن يعدوهما ، وإذا كان الواحد جيد الفكر عرف الحق ، فإذا تفكروا عرفوا أن نسبته عليه السلام للجنون لا يمكن ، ولا يذهب إلى ذلك عاقل

[إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد] أي ما هو إلا رسول منذر لكم ، إن كفرتم من عذاب شديد في الآخرة

[قل ما سألتكم من أجر فهو لكم] أي لا اسألكم على تبليغ الرسالة أجرا ، قال الطبري : المعنى إني لم أسألكم على ذلك جعلا فتتهموني وتظنوا إني إنما دعوتكم إلى اتباعي لمال أخذه منكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن اجري إلا على الله] أي ما أجري وثوابي إلا على الله رب العالمين

[وهو على كل شيء شهيد] أى هو تعالى رقيب وحاضر على أعمالي وأعمالكم ، لا يخفى عليه شيء ، وسيجازي الجميع ، قال ابو السعود : أي هو مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتى

[قل إن ربي يقذف بالحق] أي يبين الحجة ويظهرها ، قال ابن عباس : يقذف الباطل بالحق كقوله : [بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق]

[علام الغيوب] أي هو تعالى الذي أحاط علما بجميع الغيوب التي غابت وخفيت عن الخلق

[قل جاء الحق] أي جاء نور الحق وسطع ضياؤه وهو الإسلام

[وما يبدىء الباطل وما يعيد] أي ذهب الباطل بالمرة ، فليس له بدء ولا عود ، قال الزمخشري : إذا هلك الإنسان لم يبق له إبداء ولا إعادة ، فجعلوا قولهم : لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يبدىء ولا يعيد مثلا في الهلاك ، والمعنى : جاء الحق وهلك الباطل كقوله تعالى [وقل جاء الحق وزهق الباطل

[قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي] أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين إن حصل لي ضلال - كما زعمتم - فإن إثم ضلالي على نفسي ، لا يضر غيري

[وإن اهتديت فبما يوحي إلى ربي] أي وإن اهتديت إلى الحق فبهداية الله بى توفيقه

[إنه سميع قريب] أي سميع لمن دعاه ، قريب الإجابة لمن رجاه ، قال ابو السعود : يعلم قول كل من المهتدي والضال وفعله ، وإن بالغ في إخفائهما

[ولو ترى إذ فزعوا] أي ولو ترى يا محمد حال المشركين عند فزعهم ، إذا خرجوا من قبورهم

[فلا فوت] أي فلا مخلص لهم ولا مهرب

[وأخذوا من مكان قريب] أي أخذوا من الموقف - أرض المحشر - إلى النار ، وجواب [لو] محذوف تقديره : لرأيت أمرا عظيما وخطبا جسيما ، ترتعد له

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفرائص

[وقالوا آمنا به] أي وقالوا عندما عاينوا العذاب آمنا بالقرآن وبالرسول

[وأنى لهم التناوش من مكان بعيد] أي ومن أين لهم تناول الإيمان ؟ وهم الآن في الآخرة ؟ ومحل الإيمان في الدنيا ، وقد ذهبت الدنيا فصارت منهم بمكان بعيد ؟ قال ابو حيان : مثل حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من بعد ، كما يتناوله الآخر من قرب

[وقد كفروا به من قبل] أي والحال أنهم قد كفروا بالقرآن وبالرسول ، من قبل ذلك في الدنيا ، فكيف يحصل لهم الإيمان بهما في الآخرة ؟

[ويقذفون بالغيب من مكان بعيد] أي يرمون بظنونهم في الأمور المغيبة فيقولون : لا بعث ولا حساب ، ولا جنة ولا نار ، قال القرطبي : والعرب تقول لكل من تكلم بما لا يعرف ، هو يقذف ويرجم بالغيب ، على جهة التمثيل لمن يرمي ولا يصيب

[وحيل بينهم وبين ما يشتهون] أي وحيل بينهم وبين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإيمان ودخول الجنان

[كما فعل بأشياعهم من قبل] أي كما فعل بأشباههم في الكفر من الأمم السابقة

[إنهم كانوا في شك مريب] أي كانوا في الدنيا في شك وارتياب ، من أمر الحساب والعذاب ، وقوله : [مريب] من باب التأكيد كقولهم عجب عجيب .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الطباق بين [يبسط . . ويقدر] وبين [نفعا . . . وضرا] وبين [معنى . . وفرادى] .

2 - المقابلة بين عاقبة الأبرار والفجار [إلا من آمن وعمل صالحا . .] وقوله [والذين يسعون في آياتنا معاجزين] .

3 - الالتفات من الغائب إلى المخاطب [وما أموالكم ولا أولادكم] والغرض المبالغة في تحقيق الحق ، وتنبيه الغافلين إلى سبيل النجاة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4 - اسلوب التقريع والتوبيخ [أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون] الخطاب للملائكة تقريعا للمشركين .
5 - وضع الظاهر موضع الضمير لتسجيل جريمة الكفر عليهم [وقال الذين كفروا للحق] والأصل وقالوا .
6 - الإيجاز بالحذف لدلالة السياق عليه [وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى] حذف خبر الأول لدلالة الثاني عليه ، أي ما أموالكم بالتي تقربكم ولا أولادكم بالذين يقربونكم عندنا .
7 - الاستعارة اللطيفة [بين يدى عذاب شديد] استعار لفظ اليدين لما يكون من الأهوال والشدائد أمام الإنسان .
8 - الكناية اللطيفة [وها يبدىء الباطل وما يعيد] كناية عن زهوق الباطل ومحو أثره .

---

9 - الاستعارة التصريحية [ويقذفون بالغيب من مكان بعيد] شبه الذي يقول بغير علم ، ويظن ولا يتحقق ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالإنسان يرمي غرضا وبينه وبينه مسافة بعيدة فلا يكون سهمه صائبا ، واستعار لفظ القذف للقول بطريق الاستعارة التبعية .

10 - توافق الفواصل لما له من جميل الوقع على السمع مثل [إنا بما أرسلتم به كافرون . أكثر الناس لا يعلمون . وهم فى الغرفات آمنون] .

سورة فاطر

مكية وآياتها خمس وأربعون آية

بين يدي السورة

* سورة فاطر مكية نزلت قبل هجرة رسول الله (ص) ، وهي تتناول الغرض العام ، الذي نزلت من أجله الآيات المكية ، وهي قضايا العقيدة الكبرى (الدعوة إلى توحيد الله ، وإقامة البراهين على وجوده ، وهدم قواعد الشرك ، والحث على تطهير القلوب من الرذائل ، والتحلي بمكارم الأخلاق) .

* تحدثت السورة الكريمة في البدء عن الخالق المبدع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، الذي فطر الأكوان ، وخلق الملائكة والإنس والجان ، وأقامت الأدلة والبراهين على البعث والنشور ، في صفحات هذا الكون المنظور ، بالأرض تحيا بعد موتها ، بنزول الغيث ، وبخروج الزروع والفواكه والثمار ، وبتعاقب الليل والنهار ، وفي خلق الإنسان في أطوار ، وفي إيلاج الليل في النهار ، وغير ذلك من دلائل القدرة والوحدانية [والله الذي أرسل الرياح فتمير سحابا فسقناه إلى بلد ميت ..] الآيات .

* وتحدثت عن الفارق الكبير بين المؤمن والكافر ، وضربت لهما الأمثال بالأعمى والبصير ، والظلمات والنور ، والظل والحرور [وما يستوي الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور . .] الآيات .

* ثم تحدثت عن دلائل القدرة في اختلاف أنواع الثمار ، وفي سائر المخلوقات من البشر والدواب والأنعام ، وفي اختلاف أشكال الجبال والأحجار ، ولنوعها ما بين أبيض وأسود وأحمر ، وكلها ناطقة بعظمة الواحد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القهار [ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض ، وحمر مختلف ألوانها ، وغرابيب سود . .] الآيات .

* وتحدثت بعد ذلك عن ميراث هذه الأمة المحمدية لأشرف الرسالات السماوية ، بإنزال هذا الكتاب المجيد الجامع لفضائل كتب الله ، ثم انقسام الأمة إلى ثلاثة أنواع : (المقصر ، والمحسن ، والسابق بالخيرات) [ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله . .] الآيات .

* وختمت السورة بتقريع المشركين في عبادتهم للأوثان والأصنام والأحجار [قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله ، أروني ماذا خلقوا من الأرض . .] الآيات إلى آخر السورة الكريمة .

التسمية :

سميت " فاطر " لذكر هذا الاسم الجليل ، والنعت الجميل في طليعتها ، لما في هذا الوصف من الدلالة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على الإبداع والاختراع ، والإيجاد لا على مثال سابق ، ولما فيه من التصوير الدقيق ، المشير إلى عظمة ذي الجلال ، وباهر قدرته ، وعجيب صنعه ، فهو الذي خلق الملائكة وأبدع تكوينهم بهذا الخلق العجيب . .

اللغة :

[فاطر] الفاطر : الخالق ، وأصل الفطر الشق يقال : فطره فانفطر أي انشق ومنه

[السماء منفطر به] وفطر الله الخلق : خلقهم وبرأهم

[تؤفكون] تصرفون من الإفك بمعنى الكذب ، سمي إفكا لأنه مصروف عن الحق والصواب

[حسرات] جمع حسرة وهي الغم الذي يلحق النفس على فوات الأمر ، وفي المختار الحسرة أشد التلهف على الشيء الفاقد .

[آلنشور] مصدر نشر الميت إذا حمي ، قال الأعشى : حتى يقول الناس مما رأوا يا عجبا للميت الناشر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يبور] يهلك يقال : بار يبور أي هلك وبطل ، والبوار : الهلاك

[فرات] حلو شديد الحلاوة

[أجاج] شديد الملوحة قال في القاموس : أج الماء أجوجا إذا اشتدت ملوحته .

[قطمير] القطمير : القشرة الرقيقة البيضاء التي بين التمرة والنواة ، يضرب به المثل للقلة . تفسير سورة فاطر

التفسير :

[الحمد لله فاطر السموات والأرض] أي الثناء الكامل ، والذكر الحسن ، مع التعظيم والتبجيل لله جل وعلا ، خالق السموات والأرض ومنشئها ومخترعها من غير مثال سبق ، قال البيضاوي : [فاطر السموات والأرض] أي مبدعهما وموجدهما على غير مثال

[جاعل الملائكة رسلا] أي جاعل الملائكة وسائط بين الله وأنبيائه ، لتبليغهم أوامر الله ، قال ابن الجوزي :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يرسلهم إلى الأنبياء وإلى ما شاء من الأمور

[أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع] أي أصحاب أجنحة ، بعضهم له جناحان ، وبعضهم له ثلاثة ، وبعضهم له أربعة ، ينزلون بها من السماء إلى الأرض ، ويعرجون بها إلى السماء

[يزيد في الخلق ما يشاء] أي يزيد في خلق الملائكة كيف يشاء ، من ضخامة الأجسام ، وتفاوت الأشكال ، وتعدد الأجنحة ، وقد رأى رسول (ص) جبريل ليلة الإسراء وله ستمائة جناح ، بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب ((الحديث أخرجه مسلم عن ابن مسعود ، قال الزمخشري : " رأى رسول الله (ص) جبريل فى صورته له ستمائة جناح ")) وقال قتادة : [يزيد في الخلق ما يشاء] : الملاحة في العينين ، والحسن في الأنف ، والحلاوة في الفم ((والآية عامة تتناول كل زيادة في الخلق ، من طول قامة ، واعتدال صورة ، وحصافة في العقل ، وذلاقة فى اللسان ، وما أشبه ذلك مما لا يحيط به وصف ، ومما لا يخطر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على بال !))

[إن الله على كل شيء قدير] أي هو لعالى قادر على ما يريد ، له الأمر والقوة والسلطان ، لا يمتنع عليه فعل شيء أراده ، ولا يتأبى عليه خلق شيء أراده ! !

وصف تعالى نفسه في هذه الآيات بصفتين جليلتين تحمل كل منهما صفة القدرة ، وكمال الإنعام الأولى : أنه فاطر السموات والأرض أي خالقهما ومبدعهما من غير معالي يحتذيه ، ولا قانون يتعاطاه ، وفى ذلك دلالة على كمال قدرته ، وشمول نعمته ، فهو الذي رفع السماء بغير عمد ، وجعلها مستوية من غير أود ، وزينها بالكواكب والنجوم ، وهو الذي بسط الأرض ، وأودعها الأرزاق والأقوات ، وبث فيها البحار والأنهار ، وفجر فيها العيون والآبار ، إلى غير ما هنالك من آثار قدرته العظيمة ، وآثار صنعته البديعة ، وعبر عن ذلك كله بقوله : [فاطر السموات والأرض] والثانية : اختيار الملائكة ليكونوا رسلا بينه وبين أنبيائه ، وقد أشار إلى طرف من عظمته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكمال قدرته جل وعلا ، بأن خلق الملائكة بأشكال عجيبة ، وصور غريبة ، وأجنحة عديدة ، فمنهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة ، ومنهم من له أربعة ، ومنهم من له ستمائة جناح ، ما بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب ، كما هو وصف جبريل عليه السلام ، ومنهم من لا يعلم حقيقة خلقته وضخامة صورته إلا الله جل وعلا ، فقد روى الزهري أن جبريل قال للنبي (ص) : " يا محمد كيف لو رأيت إسرافيل ! إن له لإثني عشر ألف جناح ، منها جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ، وأن العرش لعلى كاهله " ولو كشف لنا الحجاب لرأينا العجب العجاب ، فسبحان الله ما أعظم خلقه ، وما أبدع صنعه ! ! ثم بين تعالى نفاذ مشيئته ، ونفوذ أمره في هذا العالم الذي فطره ومن فيه ، وأخضعه لإرادته وتصرفه فقال :

[ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها] أى أي شيء يمنحه الله لعباده ويتفضل به عليهم من خزآئن رحمته ، من نعمة ، وصحة ، وأمن ، وعلم ، وحكمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، ورزق ، وارسال رسل لهداية الخلق ، وغير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحيط بها عد ، فلا يقدر أحد على إمساكه ، وحرمان خلق الله منه ، فهو الملك الوهاب ، الذي لا مانع لما أعطى ، ولما معطى لما منع

[وما يمسك فلا مرسل له من بعده] أي وأي شيء يمسكه ويحبسه عن خلقه ، من خيري الدنيا والآخرة ، فلا أحد يقدر على منحه للعباد ، بعد أن أمسكه جل وعلا

[وهو العزيز الحكيم] أي هو تعالى الغالب على كل شيء ، الحكيم في صنعه ، الذي يفعل ما يريد على مقتضى الحكمة والمصلحة ، قال المفسرون : والفتح والإمساك عبارة عن العطاء والمنع ، فهو الذي يضر وينفع ، ويعطي ويمنع ، وفي الحديث : (أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد : اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا راد لما قضيت ، ولا ينفع ذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجد منك الجد) ، ثم ذكرهم تعالى بنعمه الجليلة عليهم ليشكروه فقال :

[يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم] أي اشكروا ربكم على نعمه التى لا تعد ولا تحصى ، التي أنعم بها عليكم ، وليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ، ولكن المراد حفظها من الكفران ، وشكرها بمعرفة حقها ، والاعتراف بها ، وإطاعة موليها ، ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه : أذكر أيادي عندك

[هل من خالق غير الله] استفهام إنكاري بمعنى النفي أي لا خالق غيره تعالى ، لا ما تعبدون من الأصنام

[يرزقكم من السماء والأرض] أي حال كونه تعالى هو المنعم على العباد بالرزق والعطاء ، فهو الذي ينزل المطر من السماء ، ويخرج النبات من الأرض ، فكيف تشركون معه ما لا يخلق ولا يرزق ، من الأوثان والأصنام ؟ ولهذا قال تعالى بعده :

[لا إله الا هو] أي لا رب ولا معبود بحق ، إلا الله الواحد الأحد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فأنى تؤفكون] أي فكيف تصرفون بعد هذا البيان ، ووضوح البرهان ، إلى عبادة الأوثان ؟ والغرض : تذكير الناس بنعم الله ، وإقامة الحجة على المشركين ، قال ابن كثير : نبه تعالى عباده وأرشدهم إلى الاستدلال على توحيده ، بوجوب إفراد العبادة له ، فكما أنه المستقل بالخلق والرزق ، فكذلك يجب أن يفرد بالعبادة ، ولا يشرك به غيره من الأصنام والأوثان

[وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك] تسلية للنبي (ص) على كذيب قومه له والمعنى : وإن يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون ، فلا تحزن لتكذيبهم ، فهذه سنة الله في الأنبياء من قبلك ، فقد كذبوا وآوذوا حتى أتاهم نصرنا ، فلك بهم أسوة ، ولا بد أن ينصرك الله عليهم

[وإلى الله ترجع الأمور] أي إلى الله تعالى وحده ، مرجع أمرك وأمرهم ، وسيجازي كلا بعمله ، وفيه وعيد وتهديد للمكذبين . . ثم ذكرهم تعالى بذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الموعد المحقق ، فقال سبحانه :

[يا أيها الناس إن وعد الله حق] أي إن وعده لكم بالبعث والجزاء ثابت لا محالة ، لا خلف فيه

[فلا تغرنكم الحياة الدنيا] أي فلا تلهكم الحياة الدنيا بزخرفها ونعيمها عن الحياة الآخرة قال ابن كثير : أي لا تتلهوا عن تلك الحياة الباقية ، بهذه الزهرة الفانية

[ولا يغرنكم بالله الغرور] أي ولا يخدعنكم الشيطان المبالغ في الغرور ، فيطمعكم في عفو الله وكرمه ، ويمنيكم بالمغفرة ، والإصرار على المعاصي ! ! ثم بين تعالى عداوة الشيطان للإنسان فقال سبحانه :

[إن الشيطان لكم عدو فأتخذوه عدوا] أي إن الشيطان لكم أيها الناس عدو لدود ، وعداوته قديمة لا تكاد تزول ، فعادوه كما عاداكم ولا تطيعوه ، وكونوا على حذر منه ، قال بعض العلماء : يا عجبا لمن عصى المحسن بعد معرفته بإحسانه ، وأطاع اللعين بعد معرفته بعداوته

[إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير] أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إنما غرضه أن يقذف بأتباعه في نار جهنم المستعرة ، التي تعري الوجوه والجلود ، لا غرض له إلا هذا ، فهل يليق بالعاقل أن يستجيب لنداء الشيطان اللعين ؟ قال الطبري : أي إنما يدعو شيعته ليكونوا من المخلدين في نار جهنم ، التي تتوقد على أهلها

[الذين كفروا لهم عذاب شديد] أي الذين جحدوا بالله ورسله ، لهم عذاب دائم شديد ، لا يقادر قدره ، ولا يوصف هوله

[والذين آمنوا وعملوا الصالحات] أي جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح

[لهم مغفرة وأجر كبير] أي لهم عند ربهم مغفرة لذنوبهم ، وأجر كبير وهو الجنة ، وإنما قرن الإيمان بالعمل الصالح ، ليشير إلى أنهما لا يفترقان ، فالإيمان تصديق ، وقول ، وعمل

[أفمن زين له سوء عمله فرءاه حسنا] الاستفهام للإنكار وجوابه محذوف والتقدير : أفمن زين له

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشيطان عمله السيىء حتى رأه حسنا ، واستحسن ما هو عليه من الكفر والضلال ، كمن استقبحه واجتبه ، واختار طريق الإيمان ؟ ودل على هذا الحذف قوله تعالى :

[فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء] أي الكل بمشيئة الله ، فهو تعالى الذي يصرف من يشاء عن طريق الهدى ، ويهدي من يشاء بتوفيقه للعمل الصالح والإيمان

[فلا تذهب نفسك عليهم حسرات] أي فلا تغتم يا محمد ولا تهلك نفسك حسرة على تركهم الإيمان

[إن الله عليم بما يصنعون] أي هو جل وعلا العالم بما يصنع هؤلاء من القبائح ومجازيهم عليها ، وفيه وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم

[والله الذي أرسل الرياح] أي والله تعالى بقدرته هو الذي أرسل الرياح مبشرة بنزول المطر

[فتثير سحابا] أي فحركت السحاب وأهاجته ، والتعبير بالمضارع عن الماضي [فتثير] لاستحضار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تلك الصورة البديعة ، الدالة على كمال القدرة والحكمة [فسقناه إلى بلد ميت] أي فسقنا السحاب الذي يحمل الغيث ، إلى بلد مجدب قاحل

[فأحيينا به الأرض بعد موتها] فيه حذف تقديره فأنزلنا به الماء فأحيينا به الأرض بعد جدبها ويبسها

[كذلك النشور] أي كما أحيا الله الأرض الميتة بالماء ، كذلك يحي الموتى من قبورهم ، روى الإمام أحمد عن أبي رزين العقيلي قال : قلت يا رسول الله : كيف يحي الله الموتى ؟ وما آية ذلك في خلقه ؟ فقال : " أما مررت بوادي أهلك ممحلا ، ثم مررت به يهتز خضرا ؟ قلت : نعم يا رسول الله ، قال : فكذلك يحي الله الموتى ، وتلك آيته في خلقه لما قال ابن كثير : كثيرا ما يستدل تعالى على المعاد ، بإحيائه الأرض بعد موتها ، فإن الأرض تكون ميتة ، هامدة لا نبات فيها ، فإذا أرسل الله إليها السحاب تحمل الماء وأنزله عليها [آهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج] كذلك الأجساد إذا أراد الله بعثها ونشورها . . ثم نبه تعالى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عباده إلى السبيل الذي تنال به العزة ، فقال سبحانه : [من كان يريد العزة فلله العزة جميعا] أي من كان يطلب العزة الكاملة ، والسعادة الشاملة ، فليطلبها من الله تعالى وحده ، فإن العزة كلها لله جل وعلا ، قال بعض الصالحين : من أراد عز الدارين فيطع العزيز

[إليه يصعد الكلم الطيب] أي إليه جل وعلا يرتفع كل كلام طيب ، من ذكر ، ودعاء ، وتلاوة قرآن ، وتسبيح وتمجيد ونحوه ، قال الطبري : إلى الله يصعد ذكر العبد إياه وثناؤه عليه

[والعمل الصالح يرفعه] أي والعمل الصالح يتقبله الله تعالى ويثيب صاحبه عليه ، قال قتادة : لا يقبل الله قولا إلا بعمل ، من قال وأحسن العمل ، قبله الله منه ، وأحسن جزاءه

[والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد] هذا بيان للكلم الخبيث ، بعد بيان حال الكلام الطيب ، أي والذين يحتالون بالمكر والخديعة لإطفاء نور الله ، والكيد للإسلام والمسلمين ، لهم في الآخرة عذاب شديد ، في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نار جهنم
[ومكر أولئك هو يبور] أي ومكر أولئك المجرمين هالك وباطل ، لأنه ما أسر أحد سوء ودبره ، إلا أبداه الله وأظهره ، كما قال تعالى [ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله] قال المفسرون : والإشارة هنا إلى مكر قريش برسول الله (ص) حين اجتمعوا في " دار الندوة " وأرادوا أن يقتلوه ، أو يحبسوه ، أو يخرجوه ، كما حكى القرآن الكريم ذلك عنهم بقوله تعالى [وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك] ثم ذكرهم تعالى بدلائل التوحيد والبعث ، بعد أن ذكرهم بآيات قدرته وعزته ، فقال سبحانه :

[والله خلقكم من تراب] أي خلق أصلكم وهو آدم من تراب
[ثم من نطفة] أي ثم خلق ذريته من ماء مهين ، وهو المنى الذي يصب في الرحم
[ثم جعلكم أزواجا] أي خلقكم ذكورا وإناثا ، وزوج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعضكم من بعض ليتم البقاء في الدنيا إلى انقضائها)
قال الطبري : أي زوج منهم الأنثى من الذكر
[وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه] أي وما تحمل أنثى في بطنها من جنين ، ولا تلد إلا بعلمه تعالى ، يعلم أذكر هو أو أنثى ، ويعلم أطوار هذا الجنين في بطن أمه ، لا يخفى عليه شيء من أحواله
[وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب] أي وما يطول عمر أحد من الخلق فيصبح هرما ، ولا ينقص من عمر أحد ، فيموت وهو صغير أو شاب ، إلا وهو مسجل في اللوح المحفوظ ، لا يزاد فيما كتب الله ولا ينقص
[إن ذلك على الله يسير] أي سهل هين ، لأن الله قد أحاط بكل شيء علما. . ثم ضرب تعالى مثلا للمؤمن والكافر فقال :
[وما يستوى البحران] أي وما يستوي ماء البحر وماء النهر
[هذا عذب فرات سائغ شرابه] أي هذا ماء حلو شديد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آلحلاوة ، يكسر وهج العطش ، ولمجمهل انحداره في الحلق لعذوبته

[وهذا ملح أجاج] أي وهذا ماء شديد الملوحة ، يحرق حلق الشارب ، لمرارته وشدة ملوحته ، فكما لا يتساوى البحران : العذب ، والملح ، فكذلك لا يتساوى المؤمن مع الكافر ، ولا البر مع الفاجر ، قال أبو السعود : هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ، والفرات الذي يكسر العطش ، والسائغ الذي يسهل انحداره لعذوبته ، والأجاج الذي يحرق بملوحته

[ومن كل تأكلون لحما طريا] أي ومن كل واحد منهما تأكلون سمكا غضا طريا ، مختلف الأنواع والطعوم والأشكال

[وتستخرجون حلية تلبسونها] أي وتستخرجون منهما اللؤلؤ والمرجان ، للزينة والتحلي

[وترى الفلك فيه مواخر] أي وترى أيها المخاطب السفن العظيمة ، تمخر عباب البحر ، مقبلة ومدبرة ، تحمل على ظهرها الأثقال والبضائع والرجال ، وهي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا تغرق فيه ، لأنها بتسخير الله جل وعلا

[لتبتغوا من فضله] أي لتطلبوا بركوبكم هذه السفن العظيمة ، فضل الله بأنواع التجارات ، والسفر إلى البلدان البعيدة في مدة قريبة

[ولعلكم تشكرون] أي ولكي تشكروا ربكم على إنعامه وإفضاله ، في تسخيره ذلك لكم ، ثم انتقل إلى آية أخرى من آيات قدرته وسلطانه في الآفاق ، فقال سبحانه :

[يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل] أي يدخل الليل في النهار ، ويدخل النهار في الليل ، فيضيف من هذا إلى هذا وبالعكس ، فيتفاوت بذلك طول الليل والنهار بالزيادة والنقصان ، حسب الفصول والأمصار ، حتى يصل النهار صيفا - في بعض البلدان إلى ثمان عشرة ساعة ، وينقص الليل حتى يصل إلى ثمان ساعات - آية من آيات الله مشاهدة ، لا يستطيع إنكارها جاحد أو مؤمن ، ويحس بآثارها الأعمى والبصير . . آية شاهدة على قدرة الله ، ودقة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تصرفه في خلقه ، وهذه الظاهرة الكونية دستور لا يتغير ، ونظام محكم ، لا يأتي بطريق الصدفة ، وإنما هو من صنع الله الذي أتقن كل شيء خلقه ، فسبحان المدبر الحكيم العليم ! !

[وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى] أي ذللهما لمصالح العباد ، كل منهما يسير ويدور في مداره ، الذي قدره الله له ، لا يتعداه ، إلى أجل معلوم هو يوم القيامة ((كان المظنون ان الشمس ثابتة في موضعها ولكن أثبت العلم الحديث أنها تجري في اتجاه واحد في الفضاء الكوني الهائل بسرعة حسبها الفلكيون باثنى عشر ميلا فى الثانية ، والله الخبير العليم يخبر بسيرها وجريانها {والشمس تجري لمستقر لها} .
وحين نتصور أن حجم هذه الشمس يبلغ مليون ضعف حجم أرضنا هذه ، وأن هذه الكتلة الهائلة تتحرك وتجري في الفضاء ، لا يسندها شيء إلا هو ، ندرك طرفا من صفة القدرة التي تصرف هذا الوجود عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قوة وعن علم " تفسير الجوهري "))

[ذلكم الله ربكم له الملك] أي ذلكم الفاعل لهذه الأمور البديعة ، هو ربكم العظيم الشأن ، الذي له الملك والسلطان ، والتصرف الكامل في الخلق

[والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير] أي والذين تعبدون من دون الله من الأوثان والأصنام ، لا يملكون شيئا ولو بمقدار القطمير ، وهو القشرة الرقيقة التي بين التمرة والنواة ، قال المفسرون : وهو مثل يضرب في القلة والحقارة ، والأصنام لضعفها ، وهوان شأنها وعجزها عن أي تصرف صارت مضرب المثل في حقارتها ، بأنها لا تملك فتيلا ولا قطميرا . . ثم أكد تعالى ذلك بقوله :

[إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم] أي إن دعوتم هذه الأصنام ، لم يسمعوا دعاءكم ولم يستجيبوا لندائكم ، لأنها جمادات لا تسمع ولا تفهم

[ولو سمعوا ما استجابوا لكم] أي ولو سمعوا لدعائكم - على الفرض والتسليم - ما استجابوا لكم ، لأنها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ليست ناطقة فتجيب

[ويوم القيامة يكفرون بشرككم] أي وفي الآخرة حين ينطقهم الله ، يتبرءون منكم ومن عبادتكم إياهم

[ولا ينبئك مثل خبير] أي ولا يخبرك يا محمد على وجه اليقين أحد إلا أنا - الله - الخالق العليم الخبير ، قال قتادة : يعني نفسه عز وجل .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الاستعارة التمثيلية [ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها] شبه فيه إرسال النعم بفتح الخزائن للإعطاء ، وكذلك حبر النعم بالإمساك ، واستعير الفتح للإطلاق ، والإمساك للمنع ، على طريق الاستعارة التبعية .

2- الطباق بين [يفتح . . ويمسك] وكذلك بين [يضل . . ويهدي] وبين [تحمل . . وتضع] وبين [يعمر . . وينقص من عمره] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3 - المقابلة بين جزاء الأبرار والفجار [آلذين كفروا لهم عذاب شديد . . والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير] وكذلك بين قوله : [هذا عذب فرات . . وهذا ملح أجاج] وكل من الطباق والمقابلة من المحسنات البديعية ، إلا أن الأول يكون بين شيئين ، والثاني بين أكثر .

4 -حذف الجواب لدلالة اللفظ عليه [أفمن زين له سوء عمله فرأه حسنا] ؟ حذف منه ما يقابله ، أي كمن لم يزين له سوء عمله ؟ ودل على هذا المحذوف قوله : [فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء] .

5 - الإطناب بتكرار الفعل [فلا تغرنكم الحياة الدنيا . .] ثم قال [ولا يغرنكم بالله الغرور]

6 - الكناية [فلا تذهب نفسك عليهم حسرات] كناية عن الهلاك ، لأن النفس إذا ذهبت هلك الإنسان ، أي لا تهلك نفسك حسرة عليهم .

7 - الالتفات من الغيبة إلى التكلم للإشعار بالعظمة [أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

8- السجع لما له من وقع حسن على السمع مثل [ليكونوا من أصحاب السعير] [لهم مغفرة وأجر كبير] وأمثال ذلك وهو من المحسنات البديعية .

المناسبة :

لما عدد تعالى نعمه على العباد ، وأقام الأدلة والبراهين على قدرته وعزته وسلطانه ، ذكرهم هنا بحاجتهم إليه ، آستغنائه جل وعلا عن جميع الخلق ، وضرب الأمثال للتفريق بين المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، بالأعمى والبصير ، والظلام والنور ، " فبضدها تتميز الأشياء " .

اللغة :

[وزر] الوزر : الجبل المنيع الذي يعتصم به ، ومنه قوله تعالى

[كلا لا وزر] ثم قيل للثقيل وزر تشبيها له بالجبل ، ثم استعير للذنب لما فيه من إثقال كاهل الإنسان

[تنذر] تخوف ، والإنذار التخويف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[آلغيب] ما غاب عن الإنسان ولم تدركه حواسه ، قال الشاعر : وبالغيب آمنا وقد كان قومنا يصلون للأوثان قبل محمد

[آلحرور] شدة حر الشمس ، قال في المصباح : الحر خلاف البرد والاسم الحرارة ، وحرت النار : توقدت واستعرت ، والحرور : الريح الحارة

[جدد] جمع جدة بالضم وهي الطريقة والعلامة ، قال الجوهري : والجدة : الخطة التي في ظهر الحمار تخالف لونه ، والجدة الطريقة والجمع جدد وهي الطرائق المختلفة الألوان ، قال القرطبي : قال الأخفش : لو كان جمع جديد لقال " جدد " بضم الجيم والدال نحو سرر

[غرابيب] جمع غربيب وهو الشديد السواد ، يقال : أسود غريب أي شديد السواد ، قال امرؤ القيس : العين طامحة ، واليد سابحة والرجل لافحة ، والوجه غربيب

التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله] الخطاب لجميع البشر لتذكيرهم بنعم الله الجليلة عليهم ، أي أنتم المحتاجون إليه تعالى في بقائكم وكل أحوالكم ، وفي الحركات والسكنات

[والله هو الغني للحميد] أي وهو جل وعلا الغنى عن العالم على الإطلاق ، المحمود على نعمه ، التي لا تحصى ، قال أبو حيان : هذه آية موعظة وتذكير ، وأن جميع الناس محتاجون إلى إحسان الله تعالى وإنعامه ، في جميع أحوالهم ، لا يستغني أحد عنه طرفة عين ، وهو الغنى عن العالم على الإطلاق ، المحمود على ما يسديه من النعم ، المستحق للحمد والثناء . . ثم قرر تعالى استغناءه عن الخلق بقوله :

[إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد] أي لو شاء تعالى لأهلككم وأفناكم ، وأتى بقوم آخرين غيركم ، وفي هذا وعيد وتهديد

[وما ذلك على الله بعزيز] أي وليس ذلك بصعب أو ممتنع على الله ، بل هو سهل يسير عليه سبحانه ، لأنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقول للشيء كن فيكون

[ولا تزر وازرة وزر أخرى] أي لا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى ، ولا تعاقب بذنب غيرها ، كما يفعل جبابرة الدنيا ، من أخذ الجار بالجار ، والقريب بالقريب

[وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى] أي وإن تدع نفس مثقلة بالأوزار ، أحدا ليحمل عنها بعض أوزارها لا يتحمل عنها ، ولو كان المدعو قريباً لها ، كالأب والابن ، فلا غياث يومئذ لمن استغاث ، وهو تاكيد لما سبق في أن الإنسان لا يتحمل ذنب غيره ، قال الزمخشري : فإن قلت فما الفرق بين الآيتين ؟ قلت : الأول في الدلالة على عدل الله تعالى في حكمه ، وأنه تعالى لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها ، والثاني في أنه لا غياث يومئذ لمن استغاث

[إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب] أي إنما تنذر يا أيها الرسول بهذا القرآن الذين يخافون عقاب ربهم يوم القيامة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأقاموا الصلاة] أي وأدوا الصلاة على الوجه الأكمل ، فضموا إلى طهارة نفوسهم طهارة أبدانهم بالصلاة المفروضة في أوقاتها

[ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه] أي ومن طهر نفسه من أدناس المعاصي ، فإنما ثمرة ذلك التطهر عائدة عليه ، فصلاحه وتقواه مختص به ولنفسه

[وإلى الله المصير] أي إليه تعالى وحده مرجع الخلائق يوم القيامة ، فيجازي كلا بعمله ، وهو إخبار متضمن معنى الوعيد

[وما يستوي الأعمى والبصير] هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر أي كما لا يتساوى الأعمى مع البصير ، فكذلك لا يتساوى المؤمن المستنير بنور القرآن ، والكافر الذي يتخبط في الظلام ،

[ولا الظلمات ولا النور] أي لا يتساوى كذلك الكفر والإيمان ، كما لا يتساوى النور والظلام

[ولا الظل ولا الحرور] أي وكذلك لا يستوي الحق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والباطل ، والهدى والضلال ، كما لا يستوي الظل الظليل ، مع شدة حر الشمس المتوهجة ، قال المفسرون : ضرب الله الظل مثلا للجنة وظلها الظليل ، وأشجارها اليانعة تجري من تحتها الأنهار ، كما جعل الحرور مثلا للنار وسعيرها ، وشدة اوارها وحرها ، وجعل الجنة مستقرا للأبرار ، والنار مستقرا للفجار ، كما قال تعالى : [لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة] ثم أكد ذلك بقوله :

[وما يستوي الأحياء ولا الأموات] أي كما لا يستوي العقلاء والجهلاء ، قال أبو حيان : وترتيب هذه الأشياء في بيان عدم الاستواء ، جاء في غاية الفصاحة ، فقد ذكر الأعمى والبصير مثلا للمؤمن والكافر ، فذكر ما عليه الكافر من ظلمة الكفر ، وما عليه المؤمن من نور الإيمان ، ثم ذكر مالهما وهو الظل والحرور ، فالمؤمن بإيمانه في ظل وراحة ، والكافر بكفره في حر وتعب ، ثم ذكر مثلا آخر على أبلغ وجه ، وهو الحى والميت ، فالأعمى قد يكون فيه بعض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النفع بخلاف الميت ، وجمع الظلمات لأن طرق الكفر متعددة ، وأفرد النور لأن التوحيد والحق واحد ، لا يتعدد ، وقدم الأشرف في المثلين الأخيرين ، وهما " الظل ، والحى " وقدم الأوضح في المثلين الأولين وهما " الأعمى ، والظلمات " ليظهر الفرق جليا ، ولا يقال ذلك لأجل السجع ، لأن معجزة القرآن ليست في مجرد اللفظ ، بل في المعنى أيضا ، فلله سر القرآن . . ثم زاد في الإيضاح والبيان فقال سبحانه [إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور] أي إن الله يسمع من يشاء إسماعه دعوة الحق ، فيحببه بالإيمان وشرح صدره للإسلام ، وما أنت يا محمد بمسمع هؤلاء الكفار ، لأنهم أموات القلوب ، لا يدركون ولا يفقهون ، قال ابن الجوزي : أراد بمن في القبور الكفار ، وشبههم بالموتى ، أي فكما لا يقدر أن يسمع من في القبور كتاب الله ، وينتفع بمواعظه ، فكذلك من كان ميت القلب لا ينتفع بما يسمع

[إن أنت إلا نذير] أي ما أنت يا محمد إلا رسول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منذر ، تخوف هؤلاء الكفار من عذاب النار

[إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا] أي بعثناك بالهدى ودين الحق ، بشيرا للمؤمنين ، ونذيرا للكافرين

[وإن من أمة إلا خلا فيها نذير] أي ما من أمة من الأمم في العصور والأزمنة الخالية ، إلا وقد جاءها رسول

[وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم] تسلية للنبي (ص) للتأسي بالأنبياء ، في الصبر على تحمل الأذى والبلاء ، قال الطبري : أي وإن يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون من قومك ، فقد كذب الذين من قبلهم من الأمم السابقة رسلهم

[جاءتهم رسلهم بالبينات] أي جاءتهم الرسل بالمعجزات البينات ، والحجج الواضحات ، فكذبوهم وأنكروا ما جاءوا به من عند الله

[وبالزبر وبالكتاب المنير] أي وجاءوهم بالزبر أي الصحف المنزلة على الأنبياء ، وبالكتب السماوية المقدسة ، المنيرة الواضحة ، وهي أربعة : (التوراة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والإنجيل ، والزبور ، والفرقان) ومع ذلك كذبوهم وردوا عليهم رسالتهم ، فاصبر كما صبروا

[ثم أخذت الذين كفروا] أي ثم بعد إمهالهم ، أخذت هؤلاء الكفار بالهلاك والدمار

[فكيف كان نكير] أي فكيف كانت عقوبتي لهم وإنكاري عليهم ؟ ألم آخذهم أخذ عزيز مقتدر ؟ ألم أبذل نعمتهم نقمة ؟ وسعادتهم شقاوة ؟ وعمارتهم خرابا ؟ وهكذا أفعل بمن كذب رسلي . . ثم عاد إلى تقرير وحدانية الله ، بالأدلة السماوية والأرضية فقال سبحانه :

[ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء] أي ألم تر أيها المخاطب ، أن الله العظيم الكبير الجليل ، أنزل من السحاب المطر بقدرته ؟

[فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها] أي فأخرجنا بذلك الماء ، أنواع النباتات والفواكه والثمار ، المختلفات الأشكال والألوان والطعوم ، قال الزمخشرى : أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مختلف اجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها ، مما لا يحصر ، أو هيئاتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها

[ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها] أي وخلق الجبال كذلك ، فيها الطرائق المختلفة آلألوان - وإن كان الجميع حجرا أو ترابا - فمن الجبال جدد - أي طرائق - مختلفة الألوان ، بيض مختلفة البياض ، وحمر مختلفة فى حمرتها

[وغرابيب سود] أي وجبال سود غرابيب أي شديدة السواد ، قال ابن جزي : قدم الوصف الأبلغ وكان حقه أن يتأخر ، وذلك لقصد التأكيد ، وكثيرا ما يأتي مثل هذا في كلام العرب ، والغرض بيان قدرته تعالى ، فليس اختلاف الألوان قاصرا على الفواكه والثمار ، بل إن في طبقات الأرض ، وفي الجبال الصلبة ، ما هو أيضا مختلف الألوان ((يقول شهيد الاسلام في تفسيره الظلال : هذه لفتة كونية عجيبة من اللفتات الدالة على مصدر هذا الكتاب ، تبدأ بانزال الماء من السماء ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإخراج الثمرات المختلفات الألوان ، ثم تنتقل الى ألوان الجبال ، ففي ألوان الصخور شبه عجيب بألوان الثمار وتنوعها وتعددها ، واللفتة إلى ألوان الصخور وتنوعها داخل اللون الواحد ، تهز القلب هزا ، وتوقظ فيه حاسة الذوق الجمالي العالي ، بما يستحق النظر والالتفات ، ثم الوان النأس - وهي لا تقف عند حد - وكذلك ألوان الدواب والأنعام ، والدابة كل حيوان ، والأنعام هي الإبل والبقر والغنم والماعز ، ذات الألوان والأصباغ العجيبة ، كلها معروضة للأنظار في هذا الكتاب الكوني ، الجميل الصفحات ، العجيب في التكوين والتلوين)) ، حتى لتجد الجبل الواحد ، ذا ألوان عجيبة ، وفيه عروق تشبه المرجان ، ولا سيما في صخور " الرخام " فسبحان القادرعلى كل شيء

[ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك]

أي وخلق من الناس ، والدواب ، والأنعام ، خلقا مختلفا ألوانه ، كإختلاف الثمار والجبال ، فهذا أبيض ، وهذا أحمر ، وهذا أسود ، والكل خلق الله فتبارك الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أحسن الخالقين . . ثم لما عدد آيات الله ، واعلام قدرته ، وآثار صنعه ، وما خلق من الفطر المختلفة الأجناس اتبع ذلك بقوله :

[إنما يخشى الله من عباده العلماء] أي إنما يخشاه تعالى العلماء ، لأنهم عرفوه حق معرفته ، قال ابن كثير : أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به ، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير أتم ، والعلم به أكمل ، كانت الخشية له أعظم وأكثر

[إن الله عزيز غفور] أي غالب على كل شيء بعظمته ، غفور لمن تاب وأناب من عباده ، ثم أخبر عن صفات هؤلاء الذين يخافون الله ويرجون رحمته ، فقال سبحانه :

[إن الذين يتلون كتاب الله] أي يداومون على تلاوة القرآن ، أناء الليل وأطراف النهار

[وأقاموا الصلاة] أي أدوها على الوجه الأكمل ، في أوقاتها ، بخشوعها وآدابها ، وشروطها وأركانها

[وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية] أي وأنفقوا بعض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أموالهم في سبيل الله وإبتغاء رضوانه في السر والعلن
[يرجون تجارة لن تبور] أي يرجون بعملهم هذا تجارة رابحة ، لن تكسد ولن تهلك بالخسران أبدا
[ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله] أي ليوفيهم الله جزاء أعمالهم ، وثواب ما فعلوا من صالح الأعمال ، ويزيدهم - فوق أجورهم - من فضله وإنعامه وإحسانه ، قال في التسهيل : توفية الأجور هو ما يستحقه المطيع من الثواب ، والزيادة : التضعيف فوق ذلك أو النظر إلى وجه الله)

[إنه غفور شكور] أي مبالغ في الغفران لأهل القرآن ، شاكر لطاعتهم ، قال ابن كثير : كان مطرف إذا قرأ هذه الآية قال : هذه آية القراء
[والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق] أي والذي أوحيناه إليك يا محمد من الكتاب المنزل - القرآن العظيم - هو الحق الذي لا شك فيه ، ولا ريب في صدقه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[مصدقا لما بين يديه] أي حال كونه مصدقا لما سبقه من الكتب الإلهية المنزلة ، كالتوراة والإنجيل والزبور ، قال أبو حيان : وفي الآية إشارة إلى كونه وحيا ، لأنه عليه السلام لم يكن قارئا ولا كاتبا ، وآتى ببيان ما في كتب الله ، ولا يكون ذلك إلا من الله

[إن الله بعباده لخبير بصير] أي هو جل وعلا خبير بعباده ، محيط ببواطن أمورهم وظواهرها ، بصير بهم لا تخفى عليه خافية من شئونهم .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الطباق بين [يذهب . . ويأت] وبين [الأعمى . . والبصير] و[الظلمات . . . . والنور] و[الظل . . والحرور] و[الأحياء . . والأموات] وبين [نذيرا . . وبشيرا] وبين [سرا . . وعلانية] .

2 - جناس الاشتقاق [ولا تزر وازرة] [حملها لا يحمل منه شيء] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3 - الاستعارة التصريحية [وما يستوي الأعمى والبصير . .] الآية شبه الكافر بالأعمى ، والمؤمن بالبصير ، بجامع ظلام الطريق وعدم الاهتداء على الكافر ، ووضوح الرؤية والاهتداء للمؤمن ، ثم استعار المشبه به [الأعمى] للكافر ، واستعار [البصير] للمؤمن بطريق الاستعارة التصريحية .

4 - الالتفات من الغيبة إلى التكلم [أنزل من السماء ماء فأخرجنا] بدل فأخرج لما في ذلك من الفخامة ، ولبيان كمال العناية بالفعل ، لما فيه من الصنع البديع ، المنبىء عن كمال قدرة الله وحكمته .

5 - قصر صفة على موصوف [إنما يخشى الله من عباده العلماء] فقد قصر الخشية على العلماء ، تنويها بشأنهم ، وإعلاء لقدرهم .

6 - الاستفهام التقريري وفيه معنى التعجب [ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء] الآية .

7 - الاستعارة [يرجون تجارة لن تبور] استعار التجارة للمعاملة مع الله تعالى لنيل ثوابه ، وشبهها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالتجارة الدنيوية وهي معاملة الخلق بالبيع والشراء لنيل الربح ثم رشحها بقوله : [لن تبور] .

8 - توافق الفواصل مما يزيد في جمال الكلام ورونقه ووقعه في النفس مثل [يرجون تجارة لن تبور] [إنه غفور شكور] ومثل [وبالكتاب المنير] [فكيف كان نكير] وهكذا .

قال الله تعالى : [ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا . .] إلى قوله [فإن الله كان بعباده بصيرا] من آية (32) إلى آية (45) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما أثنى تعالى على الذين يتلون كتاب الله ، ذكر هنا انقسام الأمة الإسلامية أمام هذا الكنز الثمين ، إلى ثلاثة أقسام : (الظالم لنفسه) و(المتقصد) و(السابق بالخيرات) ، ثم ذكر مآل الأبرار والفجار ، ليظل العبد بين الخوف والرجاء ، والرغبة والرهبة .

اللغة :

[نصب] تعب ومشقة جسمانية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لغوب] اللغوب : الإعياء والضعف والفتور ومنه [وما مسنا من لغوب]

[يصطرخون] من الصراخ وهو الصياح بصوت عال ، والصارخ : المستغيث ، والمصرخ : المغيث ، قال سلامة بن جندب : كنا إذا ما أتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الظنابيب

[النذير] المنذر الذي يخوف الناس من عذاب الله

[خلائف] جمع خليفة وهو الذي يخلف غيره في أمر من الأمور

[مقتا] المقت : أشد البغض والغضب

[خسارا] هلاكا وضلالا

[يحيق] حاق به الشيء : نزل وأحاط .

التفسير :

[ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا] أي ثم أورثنا هذا القرآن العظيم لأفضل الأمم - وهم أمة محمد عليه السلام - الذين اخترناهم على سائر الأمم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وخصصناهم بهذا الفضل العظيم ، القرآن المعجز خاتمة الكتب السماوية ، قال الزمخشري : والذين اصطفاهم الله هم أمة محمد من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يوم القيامة . . ثم قسمهم إلى ثلاثة أصناف فقال :

[فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله] أي فمن هؤلاء الذين أورثناهم الكتاب ، من هو مقصر في عمل الخير ، يتلو القرآن ولا يعمل به وهو (الظالم لنفسه) ، ومنهم من هو متوسط في فعل الخيرات والصالحات ، يعمل بالقرآن في أغلب الأوقات ، ويقصر في بعض الفترات وهو (المقتصد) ، ومنهم من هو سباق في العمل بكتاب الله ، يستبق الخيرات ، وقد أحرز قصب السبق في فعل الطاعات ، بتوفيق الله وليسيره وهو (السابق بالخيرات) بإذن الله ، قال ابن جزي : وأكثر المفسرين أن هذه الأصناف الثلاثة فى أمة محمد (ص) فالظالم لنفسه : العاصي ، والسابق : التقى ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمقتصد : بينهما وقال الحسن البصري : السابق من رجحت حسناته على سيئاته ، والظالم لنفسه من رجحت سيئاته ، والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته ، وجميعهم يدخلون الجنة ((والقول بأن هذه الأصناف الثلاثة من أمة محمد (ص) هو الراجح وهو اختيار ابن جرير وقد أورد العلامة ابن كثير أحاديث تدل على ذلك))

[ذلك هو الفضل الكبير] أي ذلك الإرث والاصطفاء لأمة محمد عليه السلام ، لحمل أشرف الرسالات والكتب السماوية ، هو الفضل العظيم الذي لا يدانيه فضل ولا شرف ، فقد تفضل الله عليهم بهذا القرآن المجهيد ، الباقي مدى الدهر ، وأنعم به من فضل ثم أخبر تعالى عما أعده للمؤمنين في جنات النعيم ، فقال سبحانه :

[جنات عدن يدخلونها] أي جنات إقامة ينعمون فيها بأنواع النعيم ، وهي مراتب ودرجات متفاوتة ، حسب تفاوت الأعمال ، وإنما جمع [الجنات] لأنها جنات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كثيرة وليست جنة واحدة ، فهناك جنة الفردوس ، وجنة عدن ، وجنة النعيم ، وجنة المأوى ، وجنة الخلد ، وجنة السلام ، وجنة عليين ، وفي كل جنة مراتب ونزل بحسب مراتب العاملين

[يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا] أي يزينون في الجنة بأساور من ذهب مرضعة باللؤلؤ

[ولباسهم فيها حرير] أي وجميع ما يلبسونه في الجنة من الحرير ، بل فرشهم وستورهم كذلك ، قال القرطبي : لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأساور والتيجان ، جعل الله ذلك لأهل الجنة ، وليس أحد من أهل الجنة ، إلا في يده ثلاثة أسورة : سوار من ذهب ، وسوار من فضة ، وسوار من لؤلؤ

[وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن] أي وقالوا عند دخولهم الجنة : الحمد لله الذي أذهب عنا جميع الهموم والأكدار وللأحزلن ، قال المفسرون : عبر بالماضي [وقالوا] لتحقق وقوعه ، والحزن يعم كل ما يكدر صفو الإنسان ، من خوف المرض ، والفقر ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والموت ، وأهوال القيامة ، وعذاب النار ، وغير ذلك

[إن ربنا لغفور شكور] أي واسع المغفرة للمذنبين ، شكور لطاعة المطيعين ، وكلا اللفظتين للمبالغة أي واسع الغفران عظيم الشكر والإحسان

[الذى أحلنا دار المقامة من فضله] أي أنزلنا الجنة وأسكننا فيها ، وجعلها مقرا لنا وسكنا ، لا نتحول عنها أبدا ، وكل ذلك من إنعامه وتفضله علينا

[لا يمسنا فيها نصب] أي لا يصيبنا فيها تعب ولا مشقة

[ولا يمسنا فيها لغوب] أي ولا يصيبنا فيها إعياء ولا فتور ، قال ابن جزي : وإنما سميت الجنة [دار المقامة] لأنهم يقومون فيها ويمكثون ولا يخرجون منها ، والنصب تعب البدن ، واآللغوب تعب النفس الناشىء عن تعب البدن . ولما ذكر تعالى حال السعداء الأبرار ، ذكر حال الأشقياء الفجار فقال :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والذين كفروا لهم نار جهنم] أي والذين جحدوا آيات الله ، وكذبوا رسله ، فإن لهم نار جهنم المستعرة ، جزاء وفاقا على كفرهم

[لا يقضى عليهم فيموتوا] أي لا يحكم عليهم بالموت فيها ، حتى يستريحوا من عذاب النار

[ولا يخفف عنهم من عذابها] أي ولا يخفف عنهم شيء من العذاب ، بل هم في عذاب دائم مستمر ، لا ينقطع كقوله تعالى : [كلما خبت زدناهم سعيرا]

[كذلك نجزي كل كفور] أي مثل ذلك العذاب الشديد الفظيع ، نجازي ونعاقب كل مبالغ في الكفر والعصيان

[وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل] أي وهم يتصارخون في جهنم ويستغيثون برفع أصواتهم ، قائلين : ربنا أخرجنا من النار ، وردنا إلى الدنيا لنعمل عملا صالحا يقربنا منك ، غير الذي كنا نعمله ، قال القرطبي : أي نؤمن بدل الكفر ، ونطيع بدل المعصية ، ونمتثل أمر الرسل . .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي قولهم : [غير الذي كنا نعمل] إعتراف بسوء عملهم ، وتندم عليه وتحسر . . قال تعالى ردا عليهم وموبخا لهم :

[أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر] أي أولم نترككم ونمهلكم في الدنيا ، عمرا مديدا ، يكفي لأن يتذكر فيه من يريد التذكر والتفكر ؟ فماذا صنعتم في هذه المدة التي عشتموها ؟ وما لكم تطلبون عمرا آخر ؟ وفي الحديث (أعذر الله إلى امرىء أخر آجله حتى بلغ ستين سن2) ومعنى " أعذر " أي بلغ به أقصى غايات العذر

[وجاءكم النذير] أي وجاءكم الرسول المنذر ، وهو (محمد) (ص) الذي بعث بين يدي الساعة ، وقيل :

[النذير] هو الشيب ، والأول أصح وأظهر

[فذوقوا فما للظالمين من نصير] أي فذوقوا العذاب يا معشر الكافرين ، فليس لكم اليوم ناصر ، ولا معين يدفع عنكم عذاب الله ، قال الإمام الفخر ؟ والأمر أمر إهانة [فذوقوا] وفيه إشارة إلى الدوام ، وإنما وضع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الظاهر [للظالمين] موضع الضمير " لكم " لتسجيل الظلم عليهم ، وأنهم بكفرهم وظلمهم ، ليس لهم نصير أصلا ، لا من الله ولا من العباد ، ثم قال تعالى :

[إن الله عالم غيب السموات والأرض] أي هو تعالى العالم الذي أحاط علمه بكل ما خفي في الكون من غيب السموات والأرض ، لا يخفى عليه شأن من شئونهما

[إنه عليم بذات الصدور] أي يعلم جل وعلا مضمرات الصدور ، وما تخفيه من الهواجر والوساوس ، فكيف لا يعلم أعمالهم الظاهرة ؟ قال المفسرون : والجملة لتأكيد ما سبق من دوام عذاب الكفار في النار ، لأن الله تعالى يعلم من الكافر ، أنه تمكن الكفر في قلبه ، بحيث لو دام في الدنيا إلى الأبد ، ما آمن بالله ولا عبده ، فالعذاب الأبدي مساو لكفرهم الأبدي ، فلا ظلم ولا زيادة [ولا يظلم ربك أحدا] ، قال القرطبي : والمعنى علم تعالى أنه لو ردكم إلى الدنيا لم تعملوا صالحا كما قال تعالى : [ولو ردوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لعادوا لما نهوا عنه]

[هو الذي جعلكم خلائف في الأرض] أي هو تعالى جعلكم أيها الناس خلائف في الأرض ، بعد عاد وثمود ومن مضى قبلكم من الأمم ، تخلفونهم فى مساكنهم ، جيلا بعد جيل ، وقرنا بعد قرن

[فمن كفر فعليه كفره] أي فمن كفر بالله فعليه وبال كفره ، لا يضر بذلك إلا نفسه

[ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا] أي ولا يزيدهم كفرهم إلا طردا من رحمة الله ، وبعدا وبغضا شديدا من الله

[ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا] أي ولا يزيدهم كفرهم إلا هلاكا وضلالا ، وخسران العمر الذي ما بعده شر وخسار! ، قال أبو حيان : وفي الآية تنبيه على أنه تعالى استخلفهم بدل من كان قبلهم ، فلم يتعظوا بحال من تقدمهم من المكذبين للرسل ، وما حل بهم من الهلاك ، ولا اعتبروا بمن كفر ، ولا اتعظوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بمن تقدم ، والمقت أشد الاحتقار والبغض ، والخسار خسار العمر ، كأن العمر رأس مال الإنسان ، فإذا إنقضى في غير طاعة الله فقد خسره ، واستعاض به بدل الربح ، سخط الله وغضبه ، بحيث صار إلى النار المؤبدة ، ثم وبخ تعالى المشركين في عبادتهم ما لا يسمع ولا ينفع ، فقال سبحانه :

[قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله] ؟ ، قال الزمخشري : [أرأيتم] معناها أخبروني كأنه قال : أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الإلهية والشركة ، ومعنى الآية : قل يا محمد تبكيتا لهؤلاء المشركين : أخبروني عن شأن الهتكم - الأوثان والأصنام - الذين عبدتموهم من دون الله ، وأشركتموهم معه في العبادة ، بأي شيء استحقوا هذه العبادة ؟

[أروني ماذا خلقوا من الأرض] أي أروني أي شيء خلقوه في هذه الدنيا من المخلوقات حتى عبدتموهم من دون الله ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أم لهم شرك في السموات] أي أم شاركوا الله في خلق السموات فاستحقوا بذلك الشركة معه في الألوهية ؟

[أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه] أي أم أنزلنا عليهم كتابا ينطق بأنهم شركاء الله ، فهم على بصيرة وحجة وبرهان في عبادة الأوثان ؟

[بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا] إضراب عن السابق وبيان للسبب الحقيقي ، أي إنما أتخذوهم آلهة بتضليل الرؤساء للأتباع بقولهم : الأصنام تشفع لهم ، وهو غرور باطل وزور ، قال أبو السعود : لما نفى أنواع الحجج أضرب عنه بذكر ما حملهم عليه ، وهو تغرير الأسلاف للأخلاف ، وإضلال الرؤساء للأتباع بأنهم يشفعون لهم عند الله . . ثم ذكر تعالى لعباده دلائل قدرته ووحدانيته فقال :

[إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا] أي هو جل وعلا بقدرته وبديع حكمته ، يمنع السموات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والأرض من الزوال ، والسقوط ، والوقوع كما قال تعالى : [ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا باذنه] قال القرطبي : لما بين أن آلهتهم لا تقدر على خلق شيء من السموات والأرض ، بين أن خالقهما وممسكهما هو الله ، فلا يوجد حادث إلا بإيجاده ، ولا يبقى إلا ببقائه

[ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده] أي ولئن زالتا عن اماكنهما - فرضا - ما أمسكهما أحد بعد الله ، بمعنى أنه لا يستطيع أحد على إمساكهما ، إنما هما قائمتان بقدرة الواحد القهار

[إنه كان حليما غفورا] أي إنه تعالى حليم ، لا يعاجل العقوبة للكفار مع استحقاقهم لها ، وواسع المغفرة والرحمة لمن تاب منهم وأناب

[وأقسموا بالله جهد أيمانهم] أي حلف المشركون بالله أشد الأيمان وأبلغها ، قال الصاوي : كانوا يحلفون بآبائهم وأصنامهم ، فإذا أرادوا التأكيد والتشديد حلفوا بالله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لئن جاءهم نذير] أي لئن جاءهم رسول منذر

[ليكونن أهدى من إحدى الأمم] أي ليكونن أهدى من جميع الأمم ، الذين أرسل الله إليهم الرسل من أهل الكتاب ، قال أبو السعود : بلغ قريشا قبل مبعث رسوال الله (ص) أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا : لعن الله اليهود والنصارى ، آتتهم الرسل فكذبوهم ، فوالله لئن آتانا رسول لنكونن أهدى من اليهود والنصارى وغيرهم

[فلما جاءهم نذير] أي فلما جاءهم محمد (ص) أشرف المرسلين

[ما زادهم الا نفورا] أي ما زادهم مجيئه ، إلا تباعدا عن الهدى والحق وهربا منه

[استكبارا في الأرض ومكر السيئ] أي نفروا منه بسبب استكبارهم عن اتباع الحق ، وعتوهم وطغيانهم في الأرض ، ومن اجل المكر السيىء بالرسول وبالمؤمنين ، ليفتنوا ضعفاء الإيمان عن دين الله ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أبو حيان : أي سبب النفور هو الاستكبار والمكر السيئ يعني أن الحامل لهم على الابتعاد من الحق هو الاستكبار ، والمكر السيىء وهو الخداع الذي يرومونه برسول الله (ص) والكيد له ، قال تعالى ردا عليهم :

[ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله] أي ولا يحيط وبال المكر السيىء إلا بمن مكره ودبره كقولهم : " من حفر حفرة لأخيه وقع فيها "

[فهل ينظرون إلا سنة الأولين] أي فهل ينتظر هؤلاء المشركون إلا عادة الله وسنته في الأمم المتقدمة ، من تعذيبهم وإهلاكهم بتكذيبهم للرسل ؟

[فلن تجد لسنة الله تبديلا] أي لن تتغير ولن تتبدل سنته تعالى في خلقه

[ولن تجد لسنة الله تحويلا] أي ولا يستطيع أحد أن يحول العذاب عنهم إلى غيرهم ، قال القرطبي : أجرى الله العذاب على الكفار ، فلا يقدر أحد أن يبذل ذلك ، ولا أن يحول العذاب عن نفسه إلى غيره ، والسنة هي الطريقة. . ثم حثهم تعالى على مشاهدة آثار من قبلهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من المكذبين ليعتبروا فقال :

[أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم] ؟ أولم يسافروا ويمروا على القرى المهلكة ، فيروا آثار دمار الأمم الماضية حين كذبوا رسلهم ، ماذا صنع الله بهم ؟

[وكانوا أشد منهم قوة] أي وكانوا أقوى من أهل مكة أجسادا ، وأكثر منهم أموالا وأولادا

[وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض] أي أنه سبحانه لا يفوته شيء ، ولا يصعب عليه أمر في هذا الكون

[إنه كان عليما قديرا] أي بالغ العلم والقدرة ، عالم بشئون الخلق ، قادر على الانتقام ممن عصاه

[ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة] بيان لحلم الله ورحمته بعباده ، أي لو أخذهم بجميع ذنوبهم ما ترك على ظهر الأرض أحدا يدب عليها من إنسان أو حيوان ، قال ابن مسعود : يريد جميع الحيوان مما دب ودرج)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى] أي ولكنه تعالى من رحمته بعباده ، ولطفه بهم ، يمهلهم إلى زمن معلوم وهو يوم القيامة ، فلا يعجل لهم العذاب

[فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا] أي فإذا جاء ذلك الوقت جازاهم بأعمالهم ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، لأنه تعالى العالم بشئونهم ، المطلع على أحوالهم ، قال ابن جرير : بصيرا بمن يستحق العقوبة ، وبمن يستوجب الكرامة ، وفي الآية وعيد للمجرمين ، ووعد للمتقين .

البلاغة :

تضمت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الإطناب بتكرار الفعل [لا يمسنا فيها نصب ، ولا يمسنا فيها لغوب] للمبالغة في انتفاء كل منهما استقلالا ، وكذلك الإطناب في قوله : [ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ، ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا] لزيادة التشنيع والتقبيح على من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كفر بالله

2 - التهكم في صيغة الأمر [فذوقوا فما للظالمين من نصير] مثل [ذق إنك أنت العزيز الكريم] فالأسلوب جاء للتهكم وآلسخرية بهم .

3 - المبالغة مثل [غفور ، شكور ، كفور] ومثل [حليما ، عليما ، قديرا] فإنها من صيغ المبالغة .

4 - الاستفهام الإنكاري للتوبيخ [أروني ماذا خلقوا من الأرض] ؟ وكذلك [أم لهم شرك في السموات] ؟ غرضه توبيخهم على عبادة ما لا يضر ولا ينفع ، ولا يبصر ولا يسمع !

5 - الاستعارة المكنية [ما ترك على ظهرها من دابة] شبه الأرض بدابة تحمل على ظهرها أنواع المخلوقات ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الظهر ، بطريق الاستعارة المكنية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

6 - السجع غير المتكلف ، البالغ نهاية الروعة والجمال مثل [وجاءكم النذير ، فذوقوا فما للظالمين من نصير] وهو من المحسنات البديعية .

سورة يس

سورة يس مكية

بين يدي السورة

* سورة يس مكية وقد تناولت مواضيع أساسية ثلاثة وهى : (الإيمان بالبعث والنشور ، وقصة أهل القرية ، والأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين) .

* ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بالقرآن العظيم على صحة الوحي ، وصدق رسالة محمد (ص) ثم تحدثت عن كفار قريش ، الذين تمادوا في الغي والضلال ، وكذبوا سيد الرسل محمد بن عبد الله ، فحق عليهم عذاب الله وإنتقامه. ثم ساقت قصة أهل القرية " إنطاكية " الذين كذبوا الرسل ، لتحذر من عاقبة التكذيب بالوحي والرسالة ، على طريقة القرآن في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إستخدام القصص للعظة والإعتبار .
* وذكرت موقف الداعية المؤمن (حبيب النجار) الذى نصح قومه فقتلوه فأدخله الله الجنة ، ولم يمهل المجرمين بل أخذهم بصيحة الهلاك والدمار .
* وتحدثت السورة عن دلائل القدرة والوحدانية ، في هذا الكون العجيب ، بدءا من مشهد الأرض الجرداء تدب فيها الحياة ، ثم مشهد الليل ينسلخ عنه النهار ، فإذا هو ظلام دامس ، ثم مشهد الشمس الساطعة تدور بقدرة الله في فلك لا تتخطاه ، ثم مشهد القمر يتدرج في منازله ، ثم مشهد الفلك المشحون يحمل ذرية البشر الأولين ، وكلها دلائل باهرة على قدرة الله جل وعلا .
* وتحدثت عن القيامة وأهوالها ، وعن نفخة البعث والنشور ، التي يقوم الناس فيها من القبور ، وعن أهل الجنة وأهل النار ، والتفريق بين المؤمنين والمجرمين في ذلك اليوم الرهيب ، حتى يستقر السعداء في روضات النعيم ، والأشقياء في دركات الجحيم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* وختمت السورة الكريمة بالحديث عن الموضوع الأساسي ، وهو موضوع " البعث والجزاء " وأقامت الأدلة والبراهين على حدوثه ، وعلى صدقه .

التسمية :

سميت السورة " سورة يس " لأن الله تعالى افتتح السورة الكريمة بها ، وفي الإفتتاح بها إشارة الى إعجاز القرآن الكريم .

فضلها :

قال (ص) : (إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ، وددت أنها في قلب كل انسان من أمتي).

قال الله تعالى : [يس والقرآن الحكيم . . .] إلى قوله [إن كل لما جميع لدينا محضرون] . من آية (1) إلى نهاية آية (32) .

اللغة :

[أغلالا] جمع غل وهو القيد الذي يوضع في اليد ، وقد تشد به اليد مع العنق

[مقمحون] رافعو الرءوس مع غض البصر ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أهل اللغة : الإقماح : رفع الرأس وغض البصر يقال : أقمح البعير إذا رفع رأسه عند الحوض وامتنع من الشرب ، قال بشر يصف سفينة : ونحن على جوانبها قعود نغض الطرف كالإبل القماح

[سدا] السد : الحاجز والمانع بين الشيئين

[فعززنا] عززه قواه وشد من أزره

[تطيرنا] تشاءمنا ، والتطير التشاؤم ، وأصله من الطير إذا طار إلى جهة اليسار تشاءموا به

[خامدون] ميتون لا حراك بهم كما تخمد النار .

التفسير :

[يس] الحروف المقطعة في أوائل بعض السور الكريمة للتنبيه على إعجاز القرآن ، وأنه مصوغ من جنس هذه الحروف الهجائية التي يعرفونها ويتكلمون بها ، ولكن نظمه البديع المعجز آية على كونه من عند الله وقال ابن عباس : معنى " يس " يا إنسان في لغة طيء ، وقيل : هو إسم من أسماء النبي (ص) بدليل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قوله بعده [إنك لمن المرسلين] وقيل معناه : يا سيد البشر قاله ابو بكر الوراق

[والقرآن الحكيم] قسم من الله تعالى بالقرآن ، و(الحكيم) معناه المحكم ، الذي لا يلحقه تغيير ولا تبديل ، ولا يعتريه تناقض أو بطلان قال القرطبي : أحكم في نظمه ومعانيه فلا يلحقه خلل وقال ابو السعود : أي المتضمن للحكمة أو الناطق بالحكمة ، من حيث نظمه المعجز ، المنطوي على بدائع الحكم. . والخلاصة فقد أقسم تعالى بهذا الكتاب المحكم ، المعجز في نظمه ، وبديع معانيه ، المتقن في تشريعه وأحكامه ، الذي بلغ أعلى طبقات البلاغة ، على أن محمدا رسوله ، وفي هذا القسم من التعظيم والتفخيم لشأن الرسول ما فيه

[إنك لمن المرسلين] جواب القسم أي إنك يا محمد لمن المرسلين ، من رب العالمين لهداية الخلق ، قال ابن عباس : قالت كفار قريش : لست يا محمد مرسلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، وما أرسلك الله إلينا ، فأقسم الله بالقرآن العظيم المحكم ، إن محمدا (ص) من المرسلين

[على صراط مستقيم] أي على طريق ونهج مستقيم ، لا إنحراف فيه ولا إعوجاج ، هو الإسلام دين الرسل قبلك ، الذين جاءوا بالإيمان والتوحيد قال الطبرى : أي على طريق لا إعوجاج فيه من الهدى وهو الإسلام كما قال قتادة ، والتنكير للتفخيم والتعظيم

[تنزيل العزيز الرحيم] أي هذا القرآن الهادي المنير ، تنزيل من رب العزة جل وعلا ، العزيز في ملكه ، الرحيم بخلقه

[لتنذر قوما ما أنذر أباؤهم] أي لتنذر يا محمد بهذا القرآن العرب ، الذين ما جاءهم رسول ولا كتاب ، لتطاول زمن الفترة عليهم ، والمراد بالإنذار تخويفهم من عذاب الله

[فهم غافلون] أي فهم بسبب ذلك غافلون عن الهدى والإيمان ، يتخبطون في ظلمات الشرك وعبادة الأوثان . . ثم بين تعالى إستحقاقهم للعذاب بإصرارهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على الكفر والتكذيب ، فقال سبحانه

[لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون] اللام موطئة للقسم ، أي والله لقد وجب عذاب النار على أكثر هؤلاء المشركين ، بسبب إصرارهم على الكفر والإنكار ، وعدم تأثرهم بالتذكير والإنذار ، فهم لذلك لا يؤمنون بما جئتهم به يا محمد . . ثم بين تعالى سبب تركهم الإيمان فقال

[إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون] تمثيل وتصوير لحال المشركين في ضلالهم ، بحال الذي جعل في يده غل وجمعت يده إلى عنقه ، فبقي رافعا رأسه لا يخفضه قال في الجلالين : وهذا تمثيل والمراد أنهم لا يذعنون للإيمان ، ولا يخفضون رءوسهم لة قال ابن كثير : ومعنى الآية : إنا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء ، كمن جعل في عنقه غل ، وجمعت يداه مع عنقه تحت ذقنه ، فإرتفع رأسه فصار مقمحا ، والمقمح هو الرافع رأسه ، وإكتفى بذكر الغل في العنق عن ذكر اليدين ، لأن الغل إنما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يعرف فيما جمع اليدين مع العنق وقال ابو السعود : مثل حالهم بحال الذين غلت أعناقهم [فهى إلى الإذقان] أي فالأغلال منتهية إلى أذقانهم ، فلا تدعهم يلتفتون إلى الحق ، ولا يعطفون أعناقهم نحوه ، ولا يطاطئون رءوسهم ، غاضون أبصارهم ، بحيث لا يكادون يرون الحق ، أو ينظرون إلى جهته

[وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا] هذا تتمة للتمثيل وتكميل له ، أي وجعلنا من أمامهم سدا عظيما ، ومن ورائهم سدا كذلك

[فأغشيناهم فهم لا يبصرون] أي فغطينا بهما أبصارهم ، فهم بسبب ذلك لا يبصرون شيئا أصلا ، لأنهم أصبحوا محصورين بين سدين هائلين ، وهذا بيان لكمال فظاعة حالهم ، وكونهم محبوسين في مطمورة الغى والجهالات ، محرومين عن النظر في الأدلة والآيات ، قال المفسرون : وهذا كله تمثيل لسد طرق الإيمان عليهم ، بمن سدت عليه الطرق فهو لا يهتدي لمقصوده

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم] أي يستوي عندهم إنذارك لهم يا محمد ، وتخويفك لهم وعدمه ، لأن من خيم على عقله ظلام الضلال ، وعشعشت في قلبه شهوات الطغيان ، لا تنفعه القوارع والزواجر

[لا يؤمنون] أي فهم بسبب ذلك لا يؤمنون ، لأن الإنذار لا يخلق القلوب الميتة ، إنما يوقظ القلب الحى المستعد لتلقي الإيمان ، وهذا تسلية له (ص) وكشف لحقيقة ما إنطوت عليه قلوبهم من الطغيان

[إنما تنذر من إتبع الذكر] أي إنما ينفع إنذارك يا أيها الرسول ، من آمن بالقرآن وعمل بما فيه

[وخشي الرحمن بالغيب] أي وخاف الله دون أن يراه قال ابو حيان : [وخشي الرحمن] أي المتصف بالرحمة ، والرحمة تدعو إلى الرجاء ، لكنه مع علمه برحمته يخشاه جل وعلا ، خوفا من أن يسلبه ما أنعم به عليه ، ومعنى " بالغيب " أي بالخلوة عند مغيب الإنسان عن عيون البشر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فبشره بمغفرة وأجر كريم] لما انتفع بالإنذار كان جديرا بالبشارة ، أي فبشره يا محمد بمغفرة عظيمة من الله لذنوبه ، وأجر كريم في الآخرة فى جنات النعيم قال ابن كثير : الأجر الكريم هو الكثير الواسع ، الحسن الجميل وذلك إنما يكون في الجنة . ولما ذكر تعالى أمر الرسالة ، ذكر بعدها أمر البعث والنشور فقال سبحانه

[إنا نحن نحي الموتى] أي نبعثهم من قبورهم بعد موتهم ، للحساب والجزاء

[ونكتب ما قدموا وآثارهم] قال الطبري : أي ونكتب ما قدموا فى الدنيا من خير وشر ، ومن صالح الأعمال وسيئها [وآثارهم] أي وآثار خطاهم بأرجلهم إلى المساجد ، وفي الحديث عن جابر قال (أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد - والبقاع خالية - فبلغ ذلك النبى (ص) فقال : (يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم ، دياركم تكتب آثاركم) فقالوا : ما كان يسرنا أنا كنا تحولنا).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وكل شيء أحصيناه في إمام مبين] أي وكل شيء من الأشياء ، أو أمر من الأمور ، جمعناه وضبطناه في كتاب مسطور هو صحائف الأعمال ، كقوله تعالى [يوم ندعوا كل أناس بإمامهم] أي بكتاب أعمالهم ، الشاهد عليهم بما عملوه من خير أو شر ، وقال مجاهد وقتادة : هو اللوح المحفوظ وقال ابو حيان : [ونكتب ما قدموا] أي ونحصي فعبر عن إحاطة علمه جل وعلا بأعمالهم ، بالكتابة التي تضبط بها الأشياء. . ثم ذكر تعالى للمشركين قصة أهل القرية ، الذين كذبوا الرسل فأهلكهم الله بصيحة من السماء ، فقال سبحانه [واضرب لهم مثلا أصحاب القرية] أي وأذكر يا محمد لقومك الذين كذبوك قصة أصحاب القرية (إنطاكية) التي هي في الغرابة كالمثل السائر ، والقول العجيب

[إذ جاءها المرسلون] أي حين جاءهم رسلنا الذين أرسلناهم لهدايتهم قال القرطبي : وهذه القرية هي(إنطاكية) في قول جميع المفسرين ، أرسل الله إليهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثلاثة رسل ، وأمر (ص) بإنذار هؤلاء المشركين ، أن يحل بهم ما حل بكفار أهل القرية المبعوث إليهم ثلاثة رسل من الله ، وقيل : هم رسل عيسى ((وما ذكره من أنهم رسل عيسى قول مرجوح لأن قوله تعالى : {ما أنتم الا بشر مثلنا} إنما يقال لمن ادعى أن الله أرسله كذا في التسهيل))

[إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما] أي حين بعثنا إليهم رسولين فبادروهما بالتكذيب

[فعززنا بثالث] أي قويناهما وشددنا أزرهما برسول ثالث

[فقالوا إنا إليكم مرسلون] أي نحن رسل الله مرسلون لهدايتكم

[قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا] أي ليس لكم فضل علينا وما أنتم إلا بشر مثلنا ، فكيف أوحى الله إليكم دوننا ؟

[وما أنزل الرحمن من شيء] أي لم ينزل الله شيئا من الوحي والرسالة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن أنتم إلا تكذبون] أي ما أنتم إلا قوم تكذبون في دعوى الرسالة

[قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون] أي أجابهم الرسل بقولهم : الله يعلم إننا رسله إليكم ، ولو كنا كذبة لإنتقم الله منا أشد الإنتقام قال ابن جزي : أكدوا الخبر هنا باللام [لمرسلون] لأنه جواب المنكرين ، بخلاف الموضع الأول ، فإنه إخبار مجرد

[وما علينا إلا البلاغ المبين] أي وليس علينا إلا أن نبلغكم رسالة الله ، بلاغا واضحا جليا لا غموض فيه ، فإن آمنتم فلكم السعادة ، وإن كذبتم فلكم الشقاوة قال ابو حيان : وفي هذا وعيد لهم ، ووصف البلاغ ب [المبين] لأنه الواضح بالآيات الشاهدة بصحة الإرسال ، كما روي في هذه القصة من المعجزات الدالة على صدق الرسل ، من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الميت

[قالوا إنا تطيرنا بكم] أي قال لهم أهل القرية : إنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تشاءمنا بكم وبدعوتكم القبيحة لنا إلى الإيمان ، وترك عبادة الأوثان ، قال المفسرون : ووجه تشاؤمهم بالرسل أنهم دعوهم إلى دين غير ما يدينون به ، فإستغربوه ، وإستقبحوه ، ونفرت عنه طبيعتهم المعوجة ، فتشاءموا بمن دعا إليه ، كأنهم قالوا : أعاذنا الله مما تدعوننا إليه ، ثم توعدوا الرسل بقولهم

[لئن لم تنتهوا] أي والله لئن لم تمتنعوا عن قولكم ، ودعوتكم لنا إلى التوحيد ، ورفض ديننا

[لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم] اي لنرجمنكم بالحجارة حتى تموتوا ، ولنقتلنكم شر قتلة

[قالوا طائركم معكم] أي قالت الرسل لهم : ليس شؤمكم بسببنا ، وإنما شؤمكم بسببكم ، وبكفركم ، وعصيانكم ، وسوء أعمالكم

[أئن ذكرتم] ؟ شرط جوابه محذوف لدلالة السياق عليه أي أئن ذكرناكم ووعظناكم ودعوناكم إلى توحيد الله ، تشاءمتم بنا وتوعدتمونا بالرجم والتعذيب ؟

[بل أنتم قوم مسرفون] أي ليس الأمر كما زعمتم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بل أنتم قوم عادتكم الإسراف في العصيان والإجرام ، وهو توبيخ لهم مع الزجر والتقريع

[وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى] أي وجاء من أبعد أطراف المدينة رجل يعدو ، يسرع في مشيه وهو " حبيب النجار " قال ابن كثير : إن أهل القرية هموا بقتل رسلهم ، فجاءهم رجل من أقصى المدينة يسعى لينصرهم من قومه ، وهو - حبيب النجار - كان يعمل الحرير وهو الحباك ، وكان كثير الصدقة يتصدق بنصف كسبه ((والقول بأن اسم الرجل " حبيب النجار " مروي عن ابن عباس)) وقال القرطبي : كان(حبيب) مجذوما ومنزله عند أقصى أبواب المدينة ، وكان يعكف على عبادة الأصنام سبعين سنة ، يدعوهم لعلهم يرحمونه ويكشفون ضره ، فما استجابوا له ، فلما أبصر الرسل ودعوه إلى الله قال : هل من آية ؟ قالوا : نعم نحن ندعو ربنا القادر ، فيفرج عنك ما بك! فقال : إن هذا لعجيب ، إني أدعو هذه الآلهة سبعين سنة لتفرج عني فلم تستطع ، فكيف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يفرجه ربكم في غداة واحدة ؟ قالوا : نعم ربنا على ما يشاء قدير ، وهذه لا تنفع شيئا ولا تضر ، فآمن ودعوا ربهم فكشف الله ما به ، فلما هم قومه بقتل الرسل ، جاءهم مسرعا وقال ما قصه القرآن

[قال يا قوم اتبعوا المرسلين] أي اتبعوا الرسل الكرام الداعين إلى توحيد الله ، وإنما قال [يا قوم] تأليفا لقلوبهم ، وإستمالة لها لقبول النصيحة ، ثم كرر القول تأكيدا وبيانا للسبب ، فقال :

[اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون] أي اتبعوا هؤلاء الرسل الصادقين المخلصين ، الذين لا يسألونكم أجرة على الإيمان ، وهم على هدى وبصيرة ، فيما يدعونكم إليه من توحيد الله

[وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون] تلطف فى الإرشاد لهم ، كأنه ينصح نفسه ، ويختار لهم ما يختار لنفسه ، وفيه نوع تقريع على ترك عبادة خالقهم ، والمعنى : أي شيء يمنعني من أن أعبد خالقي الذي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أبدع خلقي ؟ وإليه مرجعكم بعد الموت فيجازي كلا بعمله ؟

[أأتخذ من دونه آلهة] إستفهام إنكاري أي كيف أتخذ من دون الله آلهة لا تسمع ولا تنفع ، ولا تغني عن عابدها شيئا ؟

[إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا] أي هي في المهانة والحقارة ، بحيث لو أراد الله أن ينزل بي شيئا من الضر والأذى ، وشفعت لي لم تنفع شفاعتهم ، ولم يقدروا على إنقاذي ، فكيف وهي أحجار لا تسمع ، ولا تنفع ولا تشفع ؟

[ولا ينقذون] أى ولا يقدرون على إنقاذي من عذاب الله

[إني إذا لفي ضلال مبين] أي إني إن عبدت غير الله واتخذت الأصنام آلهة ، لفي خسران ظاهر جلي . .

وبعد النصح والتذكير أعلن إسلامه ، وأشهر إيمانه ، فقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إني آمنت بربكم فاسمعون] أي إني آمنت بربكم الذي خلقكم ، فاسمعوا قولي واعملوا بنصيحتي ، قال المفسرون : لما قال لهم ذلك ونصحهم وأعلن إيمانه ، وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه ، ولم يكن له أحد يمنع عنه أذاهم قال القرطبي : وثبوا عليه فوطئوه بأقدامهم حتى مات ، وقيل : رموه بالحجارة حتى مات [قيل ادخل الجنة] أي فلما مات قال الله له : ادخل الجنة مع الشهداء الأبرار ، جزاة على صدق إيمانك وفوزك بالشهادة ، قال ابن مسعود : إنهم وطئوه بأرجلهم حتى خرجت أمعاؤه من دبره ، وقال الله له [ادخل الجنة] فدخلها فهو يرزق فيها ، قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها

[قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربى وجعلني من المكرمين] أي فلما دخل الجنة وعاين ما أكرمه الله بها لإيمانه وصبره ، تمنى أن يعلم قومه بحاله ، ليعلموا حسن مآله ، أي يا ليتهم يعلمون بالسبب الذي من أجله غفر لي ربي ذنوبي ، وأكرمني بدخول جنات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النعيم قال ابن عباس : نصح قومه في حياته ، ونصحهم بعد مماته قال ابو السعود : وإنما تمنى علم قومه بحاله ، ليحملهم ذلك على إكتساب الثواب والأجر ، بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان ، جريا على سنن الأولياء في الترحم على الأعداء

[وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين] هذا تحقير لهم وتصغير لشأنهم ، أي ما احتاج الأمر ، أن نرسل عليهم ملائكة من السماء لإهلاكهم ، فهم أحقر وأصغر من ذلك

[إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون] أي ما كانت عقوبتهم إلا صيحة واحدة صاح بهم جبريل ، فإذا هم ميتون لا حراك بهم ، قد أخمدت أنفاسهم حتى صاروا كالنار الخامدة ، قال المفسرون : وفي الآية إستحقار لإهلاكهم ، فإنهم أذل وأهون على الله من أن يرسل الملائكة لإهلاكهم ، وقد روي أنه لما قتل " حبيب النجار " غضب الله تعالى له ، فعجل لهم النقمة فأمر جبريل فصاح بهم صيحة واحدة ، فماتوا عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آخرهم ، فجعل طرق استئصالهم بالصيحة ، ثم قال
تعالى
[يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به
يستهزءون] أي يا أسفا علئ هؤلاء المكذبين لرسل الله
، المنكرين لآياته ، ويا حسرة عليهم ، ما جاءهم
رسول إلا كذبوه واستهزءوا به ، وهكذا عادة
المجرمين في كل زمان ومكان ، قال البيضاوي : إنهم
أحقاء بأن يتحسروا على أنفسهم أو يتحسر عليهم ، فإن
الأمر لفخامته وشدته ، بلغ إلى حيث إن كل من يتأتى
منه التلهف ، إذا نظر إلى حال استهزائهم بالرسل
تحسر عليهم ، وقال : يا لها من حسرة وخيبة على
هؤلاء المحرومين ، حيث بدلوا الإيمان بالكفر ،
والسعادة بالشقاوة ، وفي الآية تعريض بكفار قريش
حيث كذبوا سيد المرسلين . ولما مثل حال كفار مكة
بحال أصحاب القرية ، وبخ المشركين على عدم
اعتبارهم بمن سبقهم ، فقال سبحانه
[ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يرجعون] أي ألم يتعظ هؤلاء المشركون ، بمن أهلكهم الله قبلهم من المكذبين للرسل ؟ ليعلموا أن هؤلاء المهلكين لا عودة لهم إلى الدنيا بعد هلاكهم ؟

[وإن كل لما جميع لدينا محضرون] أي وإن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب والجزاء يوم القيامة بين يدي أحكم الحاكمين ، فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها ؟ قال ابو حيان : وجاءت هذه الجملة بعد ذكر الإهلاك تبيينا إلى أن الله تعالى لا يترك المهلكين ، بل بعد الهلاك جمع وحساب ، وثواب وعقاب .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - التأكيد بأكثر من مؤكد لأن المخاطب منكر مثل [إنك لمن المرسلين ، إنا إليكم لمرسلون] فقد أكد كل منهما ب " إن " و " اللام " ويسمى هذا الضرب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إنكاريا .

2 - الإستعارة التمثيلية [إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا. .] الآية شبه حال الكفار في إمتناعهم من الهدى والإيمان ، بمن غلت يده إلى عنقه بالسلاسل والأغلال ، فأصبح رأسه مرفوعا لا يستطيع خفضا له ولا التفاتا ، وبمن سدت الطرق في وجهه فلم يهتد لمقصوده ، وذلك بطريق الإستعارة التمثيلية .

3 - الطباق [من بين أيديهم . . ومن خلفهم] .

4- طباق السلب [أأنذرتهم أم لم تنذرهم] .

5- الجناس الناقص [نحن نحي] لتغير بعض الحروف .

6- الإطناب بتكرار الفعل [اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لا يسألكم أجرا] .

7- الإستفهام للتوبيخ [أأتخذ من دونه آلهة] ؟

8- الحذف لدلالة السياق عليه [قيل ادخل الجنة] أي فلما أشهر إيمانه قتلوه فقيل له ادخل الجنة .

9- جناس الإشتقاق بين [تطيرنا . . وطائركم] وبين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أرسلنا . . والمرسلون] .

10- مراعاة الفواصل وهو من خصائص القرآن لما فيه من روعة البيان ، وحسن الوقع على السمع ، كقوله [يستهزءون] [محضرون] [مهتدون] .

تنبيه :

من محاسن التنزيل الكريم ، وبلاغته الخارقة ، هو الإيجاز في القصص والأنباء ، والإشارة إلى روحها وسرها ، لأن القصد من القصص التذكير والإعتبار ، ولهذا لم يذكر في القصة إسم البلدة ، ولا إسم الشخص الذي دعاهم إلى الله ، ولا إسم الرسل الكرام ، لأن كل ذلك ليس هو الهدف من القصة ، وقس على هذا سائر قصص القرآن

قال الله تعالى : [وآية لهم الأرض الميتة أحييناها . .] إلى قوله [سلام قولا من رب رحيم] من آية (33) إلى نهاية آية (58) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى قصة أهل القرية ، وإهلاك الله لهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالصيحة بسبب تكذيبهم المرسلين ، ذكر هنا الأدلة والبراهين على القدرة والوحدانية ، في إخراج الزروع والثمار ، وتعاقب الليل والنهار ، وفي الشمس والقمر يجريان بقدرة الواحد القهار ، ثم ذكر شبهات المشركين حول البعث ، ورد عليها بالأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة .

اللغة :

[آية] علامة لأنها دالة على وجود الله ، قال ابو العتاهية : فياعجبا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد ؟ ولله في كل تحريكة وتسكينة أبدا شاهد وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

[الأزواج] الأصناف والأنواع

[نسلخ] السلخ : الكشط والنزع قال تعالى [فانسلخ منها] ويقال فسلخ الجزار جلد الشاة أي نزع الجلد عن اللحم

[العرجون] من الإنعراج وهو الإنعطاف ، والعرجون : عود عذق النخلة الذي فيه عناقيد الرطب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الجوهري : هو أصل العذق الذى يعوج وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا

[المشحون] المملوء الموقر بالأشياء الثقيلة

[صريخ] مغيث

[يخصمون] يختصمون في أمورهم غافلين عما حولهم

[الأجداث] جمع جدث وهو القبر

[ينسلون] يسرعون في الخروج ، يقال : عسل الذئب ونسل أي أسرع في المشي.

التفسير :

[وآية لهم الأرض الميتة أحييناها] أي ومن الآيات الباهرة والعلامات الظاهرة ، الدالة على كمال قدرة الله ووحدانيته هذه الآية العظيمة ، وهي الأرض اليابسة الهامدة ، التي لا نبات فيها ولا زرع ، أحييناها بالمطر قال المفسرون : موت الأرض جدبها ، وإحياؤها بالغيث ، فإذا أنزل الله عليها الماء اهتزت وربت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأنبتت من كل زوج بهيج ، ولهذا قال تعالى بعده
[وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون] أي وأخرجنا بهذا
الماء أنواع الحبوب ، ليتغذوا به ويعيشوا قال
القرطبي : نبههم تعالى بهذا على إحياء الموتى ،
وذكرهم على توحيده وكمال قدرته ، بالأرض الميتة
أحياها بالنبات ، وإخراج الحب منها ، فمن الحب
يأكلون وبه يتغذون
[وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب] أي وجعلنا في
الأرض بساتين ناضرة فيها من أنواع النخيل والعنب
[وفجرنا فيها من العيون] أي وجعلنا فيها ينابيع من
الماء العذب ، والأنهار السارحة في بلدان كثيرة
[ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم] أي ليأكلوا من
ثمرات ما ذكر من الجنات والنخيل التي أنشأها لهم ،
ومما عملته أيديهم مما غرسوه وزرعوه بأنفسهم قال
ابن كثير : لما امتن على خلقه بإيجاد الزروع لهم ،
عطف بذكر الثمار وأنواعها وأصنافها ، وما ذاك كله
إلا من رحمة الله تعالى بهم ، لا بسعيهم وكدهم ، ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بحولهم وقوتهم ولهذا قال

[أفلا يشكرون] ؟ أي أفلا يشكرونه على ما أنعم به عليهم ؟ واختار ابن جرير أن " ما " بمعنى الذي أي ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم أي من الذي غرسوه ونصبوه

[سبحان الذي خلق الأزواج كلها] أي تنزه وتقدس الله العلي الجليل ، الذى خلق الأصناف كلها ، المختلفة الألوان والطعوم والأشكال من جميع الأشياء

[مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون] أي مما تخرج الأرض من النخيل والأشجار ، والزروع والثمار ، ومن أنفسهم من الذكور والإناث ، ومما لا يعلمون من المخلوقات العجيبة والأشياء ((سبحان الله ما أعظم قدرة الله لقد كان السائد أن الزوجية إنما تكون بين الانسان والحيوان فقط ، وجاء القرآن بالمعجزة الباهرة ، المثبتة لما اكتشفه العلم الحديث منذ زمن قريب وهي ان الزوجية بين الإنسان والحيوان والنبات والذرة وسائر الكائنات ، فقد ثبت أن الذرة - وهي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أصغر أجزاء المادة - مؤلفة من زوجين مختلفين من الاشعاع الكهربائي " سالب وموجب " يتزاوجان ويتحدان ، وأن بين النبات أعضاء مذكرة واعضاء مؤنثة ، فسبحان العلي القدير القائل : {سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون })) الغريبة كما قال تعالى [ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون]

[وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون] أي وعلامة أخرى لهم على كمال قدرتنا ، الليل نزيل عنه الضوء ونفصله عن النهار ، فإذا هم داخلون في الظلام ، وفي الآية رمز إلى أن الأصل هو الظلام ، والنور عارض ، فإذا غربت الشمس ، ينسلخ النهار من الليل ويكشف ويزول ، فيظهر الأصل وهو الظلمة

[والشمس تجرى لمستقر لها] أي وآية أخرى لهم الشمس تسير بقدرة الله ، في فلك لا تتجاوزه ولا تتخطاه لزمن تستقر فيه ، ولوقت تنتهي إليه ، وهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(يوم القيامة) حيث ينقطع جريانها عند خراب العالم قال ابن كثير : وفي قوله تعالى [لمستقر لها] قولان : أحدهما : أن المراد مستقرها المكاني وهو تحت العرش مما يلي الأرض لحديث البخاري أن النبي (ص) قال : (يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش..) الحديث . والثاني : أن المراد بمستقرها هو منتهى سيرها وهو يوم القيامة ، حيث يبطل سيرها ، وتسكن حركتها ، وتكور وينتهي هذا العالم إلى غايته ، وقرىء (لا مستقر لها) أي لا قرار لها ولا سكون ، بل هي سائرة ليلا ونهارا ، لا تفتر ولا تقف

[ذلك تقدير العزيز العليم] أي ذلك الجري ((يقول الشهيد سيد قطب في تفسيره الظلال : " الشمس تدور حول نفسها وكان المظنون أنها ثابتة في موضعها الذي تدور فيه ، ولكن عرف أخيرا أنها ليست مستقرة فى مكانها إنما هى تجري فعلا في اتجاه واحد ، في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفضاء الكوني الهائل بسرعة حسبها الفلكيون باثني عشر ميلا فى الثانية ، والله ربها الخبير بها وبجريانها وبمصيرها يقول إنها : {تجري لمستقر لها} هذا المستقر الذي تنتهى إليه لا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى . . وحين تصور أن حجم هذه الشمس يبلغ نحو مليون ضعف لحجم أرضنا هذه ، وأن هذه الكتلة الهائلة تتحرك وتجري في الفضاء لا يسندها شيء ، ندرك طرفا من صفة القدرة التى تصرف هذا الوجود عن قوة وعن علم ، وصدق الله {ذلك تقدير العزيز العليم } ")) والدوران بإنتظام ، وبحساب دقيق هو تقدير الإله العزيز في ملكه ، العليم بخلقه

[والقمر قدرناه منازل] أي والقمر قدرنا مسيره في منازل يسير فيها لمعرفة الشهور ، وهي ثمانية وعشرون منزلا في ثمانية وعشرين ليلة ، ينزل كل ليلة في واحد منها ، لا يتخطاها ولا يتعداها ، فإذا كان في آخر منازله دق واستقوس

[حتى عاد كالعرجون القديم] أى حتى صار كغصن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النخل اليابس ، وهو عنقود التمر حين يجف ويصفر ويتقوس قال ابن كثير : جعل الله القمر لمعرفة الشهور ، كما جعل الشمس لمعرفة الليل والنهار ، وفاوت بين سير الشمس وسير القمر فالشمس تطلع كل يوم وتغرب في آخره ، وتنتقل في مطالعها ومغاربها صيفا وشتاء ، يطول بسبب ذلك النهار ويقصر الليل ، ثم يطول الليل ويقصر النهار ، وهي كوكب نهاري ، وأما القمر فقدره منازل يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلا قليل النور ، ثم يزداد نورا في الليلة الثانية ويرتفع منزلة ، ثم كلما ارتفع ازداد ضياؤه ، حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة ، ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر حتى يصير كالعرجون القديم قال مجاهد : اي العذق اليابس وهو عنقود الرطب إذا عتق وييبس وانحنى ، ثم يبدأ جديدا في أول الشهر الآخر

[لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر] أي لا يمكن للشمس ولا يصح لها أن تجتمع مع القمر بالليل فتمحو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نوره ، لأن ذلك يخل بتلوين النبات ، ومصلحة العباد ، قال الطبرى : أي لا الشمس يصلح لها إدراك القمر ، فيذهب ضوءها نوره ، فتكون الأوقات كلها نهارا لا ليل فيها

[ولا الليل سابق النهار] أي ولا الليل يسبق النهار حتى يدركه فيذهب بضيائه ، فتكون الأوقات كلها ليلا

[وكل في فلك يسبحون] أي وكل من الشمس والقمر والنجوم تدور في فلك السماء قال الحسن : الشمس والقمر والنجوم في فلك بين السماء والأرض ، غير ملصقة بشيء ولو كانت ملصقة ما جرت والغرض من الآية : بيان قدرة الله في تسيير هذا الكون بنظام دقيق ، فالشمس لها مدار ، والقمر له مدار ، وكل كوكب من الكواكب له مدار ، لا يتجاوزه في جريانه أو دورانه ، ولا يطغى أحدهما على الآخر - كما قال قتادة : " لكل حد وعلم لا يعدوه ، ولا يقصر دونه " حتى يأتي الأجل المعلوم بخراب العالم ، فيجمع الله بين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشمس والقمر كما قال تعالى [وجمع الشمس والقمر] فيختل نظام الكون ، وتقوم القيامة ، وتنتهي حياة البشرية عن سطح هذا الكوكب الأرضى ((يقول سيد قطب رحمه الله : " المسافات بين النجوم والكواكب مسافات هائلة وقد قدر الله خالق هذا الكون أن تقوم هذه المسافات الهائلة بين مدارات النجوم ليحفظه بمعرفته من التصادم والتصدع ، وحركة هذه الأجرام في الفضاء الهائل أشبه بحركة السفين في الخضم الفسيح ، فهي - على ضخامتها - لا تزيد على أن تكون نقطا سابحة في ذلك الفضاء المرهوب " ! !))

[وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون] أي وعلامة أخرى واضحة للناس على كمال قدرتنا ، إننا حملنا أباءهم الأقدمين -وهم ذرية آدم -في سفينة نوح عليه السلام ، التي أمره الله أن يحمل فيها من كل زوجين إثنين قال في التسهيل : وإنما خص ذريتهم بالذكر ، لأنه أبلغ في الإمتنان عليهم ، ولأن فيه إشارة إلى حمل أعقابهم إلى يوم القيامة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وخلقنا لهم من مثله ما يركبون] أي وخلقنا لهم من مثل سفينة نوح ، السفن العظيمة التي يركبونها ويبلغون عليها أقصى البلدان ، وإنما نسب الخلق إليه لأنها بتعليم الله جل وعلا للإنسان وقال ابن عباس : هي الإبل وسائر المركوبات ، فهي في البر مثل السفن في البحر ((وهناك قول آخر عن عباس أن المراد بقوله : {من مثله } السفن أى خلق لهم سفنا أمثال سفينة نوح يركبونها ، وهو الأظهر لقوله بعده : {وإن نشأ نغرقهم } فالحديث عن البحر وأهواله ، والسفن الجاريات فيه بقدرة الله))

[وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم] ولو أردنا لأغرقناهم في البحر فلا مغيث لهم

[ولا هم ينقذون] أي ولا أحد يستطيع أن ينقذهم من الغرق

[إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين] أي لا ينقذهم أحد إلا نحن ، لأجل رحمتنا إياهم ، وتمتيعنا لهم إلى إنقضاء آجالهم . . بين تعالى أن ركوبهم السفن في البحر من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الآيات العظيمة ، فإن سير السفينة بما فيها من الرجال والأثقال ، فوق سطح الماء آية باهرة ، فقد حملتهم قدرة الله ونواميسه ، التي تحكم الكون وتصرفه بحكم خواص السفن ، وخواص الماء ، وخواص الريح ، وكلها من أمر الله وخلقه وتقديره ، والسفينة في البحر الخضم كالريشة في مهب الهواء ، وإلا تدركها رحمة الله فهي هالكة في لحظة من ليل أو نهار ، والذين ركبوا البحار ، وشاهدوا الأخطار ، يدركون هول البحر المخيف ، ويحسون معنى (رحمة الله) وإنها وحدها هي المنجى لهم من بين العواصف والتيارات ، في هذا الخضم الهائل الذي تمسكه يد الرحمة ويعرفون معنى قوله تعالى [إلا رحمة منا] فسبحان الله القدير الرحيم ! !

[وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون] لما ذكرهم تعالى بدلائل قدرته ، وآثار رحمته ، أخبر هنا عن تعاميهم عن الحق ، وإعراضهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن الهدى والإيمان ، مع كثرة الآيات الواضحات ، والشواهد الباهرات ، والمعنى : وإذا قيل للمشركين احذروا سخط الله وغضبه ، واعتبروا بما حل بالأمم السابقين قبلكم من العذاب بسبب تكذيبهم الرسل ، واحذروا ما وراءكم من عذاب الآخرة لكي ترحموا ، وجواب الشرط محذوف ، تقديره : أعرضوا واستكبروا ، ودل عليه قوله تعالى [إلا كانوا عنها معرضين] قال القرطبي : والجواب محذوف والتقدير : إذا قيل لهم ذلك أعرضوا ، ودليله الآية التي بعدها [وما تأتيهم من آية . .] فاكتفى بهذا عن ذلك [وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين] أي وما تأتي هؤلاء المشركين علامة من العلامات الواضحة ، الدالة على صدق الرسول - كالمعجزات الباهرة التي أيده الله بها -إلا أعرضوا عنها على وجه التكذيب والإستهزاء قال ابو السعود : وإضافة الآيات إلى إسم الرب جل وعلا لتفخيم شأنها ، المستتبع لتهويل ما اجترءوا عليه في حقها ، والمراد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالآيات إما الآيات التنزيلية ، التي من جملتها الآيات الناطقة ببدائع صنع الله وسوابغ آلائه ، أو الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات ، التي من جملتها ما ذكر من شئونه الشاهدة بوحدانيته تعالى ، وتفرده بالألوهية

[وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله] أي وإذا قيل لهؤلاء الكفار بطريق النصيحة : أنفقوا بعض ما أعطاكم الله من فضله على الفقراء والمساكين

[قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه] أي قال الكفار للمؤمنين تهكما بهم : أننفق أموالنا على هؤلاء المساكين الذين أفقرهم الله ؟

[إن أنتم إلا في ضلال مبين] أي ما أنتم أيها المؤمنون إلا في ضلال ظاهر واضح ، حيث تأمروننا أن ننفق أموالنا على من أفقرهم الله قال ابن عباس : كان بمكة زنادقة ، فإذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا : لا والله لا نفعل ، أيفقره الله ونطعمه نحن ؟ وغرضهم الرد على المؤمنين ، فكأنهم يقولون : لو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كان الأمر كما تزعمون إن الله رازق ، لأطعم هؤلاء الفقراء ، فما بالكم تطلبون إطعامهم منا ؟ وما علم هؤلاء السفهاء أن خزائن الأرزاق بيد الخلاق ، وأنه تعالى أغنى بعض الخلق ، وأفقر بعض الخلق إبتلاء ، لينظر كيف عطف الغني ، وكيف صبر الفقير ، فقد منع الدنيا عن الفقير لا بخلا ، وأمر الغنى بالإنفاق عليه لا حاجة إلى ماله ، ولكن للإبتلاء ، والله يفعل ما يشاء ، لا إعتراض لأحد عليه في مشيئته ، ولا في حكمه [لا يسأل عما يفعل وهم يسألون] ثم أخبر عن إنكار المشركين للآخرة ، وإستبعادهم لقيام الساعة فقال [ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين] أي متى يوم القيامة الذي تتوعدوننا به ؟ ومتى هذا العذاب الذي تخوفوننا به ، إن كنتم صادقين في دعواكم ، أن هناك بعثا ونشورا وحسابا وعذابا ؟ قال تعالى ردا عليهم [ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم] أي ما ينتظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم مفاجأة من حيث لا يشعرون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وهم يخصمون] أي وهم يتخاصمون في معاملاتهم وأسواقهم ، فلا يشعرون إلا بالصيحة قد أخذتهم ، فيموتون في أماكنهم قال ابن كثير : وهذه - والله اعلم - نفخة الفزع ، ينفخ اسرافيل في الصور ، والناس في أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم ، فبينما هم كذلك إذ أمر الله اسرافيل فنفخ في الصور ، نفخة يطولها ويمدها ، فلا يبقى أحد على وجه الأرض ، إلا حنى عنقه ليسمع الصوت من قبل السماء فذلك قوله تعالى

[فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون] أي فلا يستطيع بعضهم أن يوصي بعضا بأمر من الأمور ، ولا يستطيعون أن يرجعوا إلى أهلهم ومنازلهم ، لأن الأمر أسرع من ذلك ، وفي الحديث : (لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبا بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه - أي يصلحه بالطين - فلا يسقي فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أكلته إلى فيه فلا يطعمها) ثم تكون هناك النفخة الثانية وهي " نفخة الصعق " التي يموت بها الأحياء كلهم ما عدا الحي القيوم ، ثم تكون النفخة الثالثة هي نفخة (البعث والنشور) التى يخرج الناس بها من القبور ، وهي التي أشارت إليها الآية الكريمة

[ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون] أي ونفخ في الصور فإذا هؤلاء الأموات يخرجون من قبورهم يسرعون المشي ، قال الطبرى : [ينسلون] يخرجون سراعا ، والنسلان : الإسراع في المشى

[قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا] ؟ أى يقولون يا هلاكنا من الذي أخرجنا من قبورنا التي كنا فيها ؟ قال ابن كثير : وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم ، لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد ، فإذا قالوا ذلك أجابتهم الملائكة أو المؤمنون

[هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون] أي هذا الذي وعدكم الله به من البعث بعد الموت والحساب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والجزاء ، وصدق رسله الكرام فيما أخبرونا به عن الله

[إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون] أي ما كان أمر بعثهم إلا صيحة واحدة ، يصيح بهم فيها اسرافيل فإذا هم جميع عندنا حاضرون قال الصاوى : وهذه الصيحة هي قول اسرافيل : أيتها العظام النخرة ، والأوصال المتقطعة ، والأجزاء المتفرقة ، والشعور المتمزقة ، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء ، ثم ينفخ في الصور فإذا هم مجموعون في موقف الحساب

[فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون] أي ففي هذا اليوم - يوم القيامة - لا تظلم نفس شيئا ، سواء كانت هذه النفس برة أو فاجرة ، ولا يحمل الإنسان وزر غيره ، وإنما يجازى كل بعمله ، قال ابو السعود : وهذه حكاية لما سيقال لهم في الآخرة ، حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقا للحق ، وتقريعا لهم. . ولما أخبر عن مآل المجرمين ، أخبر عن حال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأبرار المتقين ، فقال سبحانه
[إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون] أي إن أصحاب الجنة في ذلك اليوم - يوم الجزاء - مشغولون بما هم فيه من اللذات والنعيم عن التفكير بأهل النار ، يتفكهون ويتلذذون بالحور العين ، وبالأكل والشرب والسماع للأوتار قال ابو حيان : والظاهر أن الشغل هو النعيم ، الذي قد شغلهم عن كل ما يخطر بالبال وقال ابن عباس : شغلوا بإفتضاض الأبكار ، وسماع الأوتار ، عن أهاليهم من أهل النار ، لا يذكرونهم لئلا يتنغصوا
[هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون] أي هم وزوجاتهم في ظلال الجنان الوارفة ، حيث لا شمس فيها ولا زمهرير ، متكئون على السرر المزينة بالثياب والستور
[لهم فيها فاكهة] أي لهم في الجنة فاكهة كثيرة من كل أنواع الفواكه
[ولهم ما يدعون] أي ولهم فيها ما يتمنون ويشتهون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كقوله تعالى [وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين] [سلام قولا من رب رحيم] أي لهم سلام كريم ، من ربهم الرحيم ، وفي الحديث (بينما أهل الجنة في نعيمهم ، إذ سطع عليهم نور ، فرفعوا رءوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم ، فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة ، فذلك قوله تعالى [سلام قولا من رب رحيم] قال : فينظر إليهم وينظرون إليه ، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ، ما داموا ينظرون إليه ، حتى يحتجب عنهم ، ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم) .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

---

1 - التنكير للتفخيم والتعظيم [وآية لهم] أي آية عظيمة باهرة على قدرة الله عز وجل .

2- الطباق بين الموت والإحياء [الأرض الميتة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أحييناها] وبين الليل والنهار [الليل نسلخ منه النهار] .

3- الإستعارة التصريحية [وآية لهم الليل نسلخ منه النهار] شبه إزالة ضوء النهار وإنكشاف ظلمة الليل ، بسلخ الجلد عن الشاة ، وإستعار إسم السلخ للإزالة والإخراج ، وإشتق منه نسلخ بمعنى نخرج منه النهار بطريق الإستعارة التصريحية ، وهذا من بليغ الإستعارة ، وبين الليل والنهار طباق .

4- التشبيه المرسل المجمل [حتى عاد كالعرجون القديم] وجه الشبه مركب من ثلاثة أشياء : الرقة ، والإنحناء ، والصفرة ، ولما لم يذكر سمي مجملا.

5- تقديم المسند إليه لتقوية الحكم المنفي [لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر] فإنه أبلغ من أن يقول " لا ينبغي للشمس أن تدرك القمر " وأكد في إفادة أنها مسخرة ، لا يتيسر لها إلا ما أريد بها ، فإن قولك " أنت لا تكذب " بتقديم المسند إليه أبلغ من قولك " لا تكذب " فإنه أشد لنفي الكذب من العبارة الثانية فتدبر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أسرار القرآن .

6- تنزيل غير العاقل منزلة العاقل [وكل في فلك يسبحون] بدل يسبح ، فقد عبر عن الشمس والقمر والكواكب بضمير " جمع المذكر " والذي سوغ ذلك وصفهم بالسباحة لأنها من صفات العقلاء.

7- الإستعارة اللطيفة [من بعثنا من مرقدنا] المرقد هنا عبارة عن الممات ، فشبهوا حال موتهم بحال نومهم ، لأنها أشبه الأشياء بها وأبلغ من قوله : من بعثنا من مماتنا.

8- الإيجاز بالحذف [هذا ما وعد الرحمن] أي تقول لهم الملائكة هذا ما وعدكم به الرحمن .

9- الطباق [قال الذين كفروا للذين آمنوا] والإستفهام الذي يراد منه التهكم [أنطعم من لو يشاء الله أطعمه] .

10- السجع غير المتكلف في ختام الآيات الكريمة مثل [وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون] [وفجرنا فيها من العيون] [من أنفسهم ومما لا يعلمون] [فإذا هم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مظلمون] ومثل [ذلك تقدير العزيز العليم] و[حتى عاد كالعرجون القديم] وهو من المحسنات البديعية.

قال الله تعالى : [وامتازوا اليوم أيها المجرمون . .] إلى قوله [ملكوت كل شيء وإليه ترجعون] . من آية (59) إلى آية (83) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما ذكر تعالى حال السعداء الأبرار وما لهم في الجنة من النعيم المقيم ، أعقبه بذكر حال الأشقياء الفجار ، وما لهم من الخزي والدمار على طريقة القرآن في الترغيب والترهيب ، وختم السورة الكريمة ببيان أدلة البعث بعد الموت ، والحساب والجزاء ، تثبيتا للعقيدة ، ليتناسب البدء مع الختام .

اللغة :

[امتازوا] تميزوا وانفصلوا ، والتمييز : التفريق بين أمرين

[جبلا] بكسر الجيم خلقا جمع جبلة ومنه

[والجبلة الأولين] مشتق من جبل الله الخلق أي خلقهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[طمسنا] الطمس : إذهاب الشيء وأثره جملة كأنه لم يوجد

[اصلوها] ادخلوها وذوقوا سعيرها

[مسخناهم] المسخ : التحويل من صورة إلى صورة منكرة

[نعمره] التعمير : إطالة العمر حتى يبلغ سن الشيخوخة

[ننكسه] التنكيس : قلب الشيء رأسا على عقب ، يقال : نكست الشىء نكسا إذا قلبته على رأسه ومنه [ثم نكسوا على رءوسهم]

[رميم] الرميم : البالي المفتت يقال : رم العظم أي بلي فهو رميم .

سبب النزول :

روي أن " أبي بن خلف " من صناديد كفار قريش جاء بعظم بال إلى النبي (ص) ففته بيده ، ثم قال : أتزعم يا محمد أن الله يحيي هذا بعد ما رم ؟ فقال له النبي (ص) : نعم يحييه ، ثم يبعثك الله ويدخلك النار فأنزل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله تعالى [أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم] .

التفسير :

بعد أن بين تعالى حال السعداء ، ذكر حال الأشقياء فقال سبحانه

[وامتازوا اليوم أيها المجرمون] أي تميزوا وانفصلوا يا معشر الكفرة المجرمين عن عبادي المؤمنين ، انفردوا عنهم وكونوا جانبا قال القرطبي : يقال لهم هذا عند الوقوف للسؤال ، وحين يؤمر بأهل الجنة إلى الجنة

[ألم أعهد إليكم يا بني آدم] الإستفهام للتوبيخ والتقريع ، وهو توبيخ للكفرة المجرمين أي ألم أوصكم وآمركم يا بني آدم على ألسنة رسلي

[أن لا تعبدوا الشيطان] أي ألا تطيعوا الشيطان ، فيما دعاكم إليه من معصيتي ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنه لكم عدو مبين] تعليل للنهى أي لأنه عدو لكم ظاهر العداوة ، فكيف يطيع الإنسان عدوه ؟

[وأن اعبدوني] أي وأمرتكم بأن تعبدوني وحدي ، بتوحيدي وطاعتي ، وإمتثال أمري

[هذا صراط مستقيم] أي هذا هو الدين الصحيح ، والطريق الحق المستقيم

[ولقد أضل منكم جبلا كثيرا] تأكيد للتعليل أي ولقد أضل الشيطان خلقا منكم كثيرين ، وأغواهم عن سلوك طريق الحق قال الطبري : أي صد الشيطان منكم خلقا كثيرا عن طاعتي حتى عبدوه

[أفلم تكونوا تعقلون] أي أفما كان لكم عقل يردعكم عن طاعة الشيطان ومخالفة أمر ربكم ؟ وهو توبيخ آخر للكفرة الفجار . . ثم بشرهم بما ينتظرهم من العذاب فقال سبحانه

[هذه جهنم التي كنتم توعدون] أي هذه نار جهنم التي أوعدكم بها الرسل وكذبتم بها قال الصاوى : هذا خطاب لهم وهم على شفير جهنم ، والمقصود منه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

زيادة التبكيت والتقريع

[اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون] أي ذوقوا حرارتها وقاسوا أنواع عذابها اليوم ، بسبب كفركم في الدنيا ، وهو أمر إهانة وتحقير مثل قوله [ذق إنك أنت العزيز الكريم] ثم أخبر تعالى عن فضيحتهم يوم القيامة على رءوس الأشهاد ، فقال سبحانه

[اليوم نختم على أفواههم] أي في هذا اليوم - يوم القيامة - نختم على أفواه الكفار ، ختما يمنعها عن الكلام

[وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون] أي تنطق عليهم جوارحهم أيديهم وأرجلهم بأعمالهم القبيحة ، روى ابن جرير الطبري عن أبي موسى الأشعري أنه قال (يدعى الكافر والمنافق يوم القيامة للحساب ، فيعرض عليه ربه عمله فيجحده ويقول : أي رب وعزتك لقد كتب علي هذا الملك ما لم أعمل ! فيقول الملك : أما عملت كذا في يوم كذا ، في مكان كذا ، فيقول : لا وعزتك أي رب ما عملته ، فإذا فعل ذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ختم على فيه ، وتكلمت أعضاؤه ثم تلا [اليوم نختم على أفواههم]) وفي الحديث (يقول العبد يا رب ألم تجرني من الظلم ؟ فيقول : بلى ، فيقول العبد فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني ، فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا ، وبالكرام الكاتبين شهودا ، ثم يختم على فيه ويقال لجوارحه : انطقي ، فتنطق بأعماله ، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول : بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل)

[ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون] أي لو شئنا لأعميناهم فابتدروا طريقهم ذاهبين كعادتهم ، فكيف يبصرون حينئذ ؟ قال ابن عباس : المعنى لو نشاء لأعميناهم عن الهدى ، فلا يهتدون أبدا إلى طريق الحق ، وهو تهديد لقريش

[ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم] أي لو نشاء لمسخناهم مسخا يقعدهم في مكانهم

[فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون] أي إذا مسخوا في مكانهم لم يقدروا أن يذهبوا ولا أن يرجعوا ، وهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تهديد آخر للكفرة المجرمين ، ثم ذكر تعالى دلائل قدرته على مسخ الكفار بتطاول الأعمار فقال

[ومن نعمره ننكسه في الخلق] أي ومن نطل عمره ، نقلبه في أطوار منتكسا في الخلق ، فيصير كالطفل لا يعلم شيئا قال قتادة : يصير إلى حال الهرم الذي يشبه حال الصبا ، فطول العمر يصير الشباب هرما ، والقوة ضعفا ، والزيادة نقصا

[أفلا يعقلون] ؟ أى أفلا يعقلون أن من قدر على ذلك ، قادر على إعمائهم أو مسخهم ؟ قال ابن جزي : والقصد من ذلك الإستدلال على قدرته تعالى على مسخ الكفار ، كما قدر على تنكيس الإنسان إذا هرم

[وما علمناه الشعر وما ينبغي له] أي وما علمنا محمدا الشعر ، ولا يصح ولا يليق به أن يكون شاعرا قال القرطبي : هذا رد على الكفار في قولهم إنه شاعر ، وإن ما اتى به من قبيل الشعر ، فالرسول (ص) ليس بشاعر ، والقرآن ليس بشعر ، لأن الشعر كلام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مزخرف موزون ، مبني على خيالات وأوهام واهية ، حتى قيل " أعذبه أكذبه " فأين ذلك من القرآن العزيز ، الذي تنزه عن مماثلة كلام البشر! ! وقد أكثر الناس في ذم الشعر ومدحه ، وإنما الإنصاف ما قاله الشافعي رحمه الله " الشعر كلام ، والكلام منه حسن ، ومنه قبيح "

[إن هو إلا ذكر وقرآن مبين] أي ما هذا الذي يتلوه محمد(ص) إلا عظة وتذكير من الله جل وعلا لعباده ، وقرآن واضح ساطع ، لا يلتبس به الشعر بحال من الأحوال

[لينذر من كان حيا] أي لينذر بهذا القرآن من كان حي القلب ، مستنير البصيرة ، وهم المؤمنون لأنهم المنتفعون به

[ويحق القول على الكافرين] أي وتجب كلمة العذاب على الكافرين لأنهم كالأموات لا يعقلون ما يخاطبون به قال البيضاوي : وجعلهم في مقابلة من كان حيا ، إشعار بأنهم لكفرهم ، وسقوط حجتهم ، وعدم تأملهم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أموات في الحقيقة.. ثم ذكرهم تعالى بنعمه ، وأعاد ذكر دلائل القدرة والوحدانية ، ليستدلوا على وجوده جل وعلا من آثاره ، فقال سبحانه

[أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما]

الهمزة للإنكار والتعجيب أي أولم ينظروا نظر اعتبار ، ويتفكروا فيما أبدعته أيدينا - من غير واسطة ، وبلا شريك ولا معين - مما خلقناه لهم ولأجلهم من الأنعام ، وهي (الإبل والبقر والغنم) ، فيستدلوا بذلك على وحدانيتنا وكمال قدرتنا ؟

[فهم لها مالكون] أي فهم متصرفون فيها كيف يشاءون تصرف المالك بماله

[وذللناها لهم] قال ابن كثير : المعنى جعلهم يقهرونها ، وهى ذليلة لهم لا تمتنع منهم ، بل لو جاء صغير إلى بعير لأناخه ، ولو شاء لأقامه وساقه ، وهو ذليل منقاد معه ، وكذا لو كان القطار مائة بعير ، لسار الجميع بسير الصغير ، فسبحان من سخر هذا لعباده! !

[فمنها ركوبهم ومنها يأكلون] أي فمن هذه الأنعام ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يركبونه فى الأسفار ، ويحملون عليه الأثقال ، كالإبل التى هي سفن البر ، ومنها ما يأكلون لحمه كالبقر والغنم

[ولهم فيها منافع ومشارب] أي ولهم فيها منافع عديدة - غير الأكل والركوب - كالجلود والأصواف والأوبار ، ولهم فيها مشارب أيضا يشربون من ألبانها

[من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين]

[أفلا يشكرون] أي أفلا يشكرون ربهم على هذه النعم الجليلة ؟ والغرض من الآيات تعديد النعم ، لإقامة الحجة عليهم . . ثم وبخهم تعالى وعنفهم في عبادة ما لا يسمع ولا ينفع ، من الأوثان والأصنام ، وذلك نهاية الغي والضلال ، فقال سبحانه

[واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون] أي وعبد المشركون آلهة من الأحجار ، رجاء أن ينصروا بها ، وهي صماء بكماء ، لا تسمع الدعاء ولا تستجيب للنداء

[لا يستطيعون نصرهم] أي لا تستطيع هذه الآلهة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المزعومة نصرهم بحال من الأحوال ، لا بشفاعة ، ولا بنصرة ، ولا إعانة

[وهم لهم جند محضرون] أي وهؤلاء المشركون كالجند والخدم لأصنامهم في التعصب لهم ، والذب عنهم ، وفدائهم بالروح والمال ، مع أنهم لا ينفعونهم أي نفع قال قتادة : المشركون يغضبون للآلهة في الدنيا ، وهي لا تسوق إليهم خيرا ، ولا تدفع عنهم شرا ، إنما هي أصنام والمشركون كأنهم خدام وقال القرطبي : المعنى إنهم قد رأوا هذه الآيات من قدرتنا ، ثم اتخذوا من دوننا آلهة لا قدرة لها على فعل شيء أصلا ، والكفار يمنعون منهم ويدفعون عنهم ، فهم لهم بمنزلة الجند ، والأصنام لا تستطيع أن تنصرهم .

[فلا يحزنك قولهم] أي لا تحزن يا أيها الرسول على تكذيبهم لك ، وإتهامهم بأنك شاعر أو ساحر ، وهذه تسلية للنبي عليه السلام ، وهنا تم الكلام ، ثم قال تعالى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون] أي نحن أعلم بما يخفونه في صدورهم ، وما يظهرونه من أقوالهم وأفعالهم ، فنجازيهم عليه ، وكفى بربك أنه على كل شيء شهيد . . ثم أقام الدليل القاطع ، والبرهان الساطع ، على البعث والنشور ، فقال سبحانه

[أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة] إستفهام إنكاري للتوبيخ والتقريع ، أي أولم ينظر هذا الإنسان الكافر نظر إعتبار ؟ ويتفكر في قدرة الله ، فيعلم إنا خلقناه من شيء مهين حقير ؟ هو النطفة " المني " الخارج من مخرج النجاسة ؟

[فإذا هو خصيم مبين] أي فإذا هو شديد الخصومة والجدال بالباطل ، يخاصم ربه وينكر قدرته ، ويكذب بالبعث والنشور ، أفليس الإله الذي قدر على خلق الإنسان من نطفة ؟ قادر على أن يخلقه مرة أخرى عند البعث ؟ قال المفسرون : نزلت في " أبي بن خلف " جاء بعظم رميم ، وفتته في وجه النبي الكريم وقال ساخرا : أتزعم يا محمد أن الله يحيينا بعد أن نصبح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رفاتا مثل هذا ؟ فقال (ص) له : نعم يبعثك ويدخلك النار ((قال في البحر : وقيل إنها نزلت في " العاص بن وائل " والأصح انها في " أبي بن خلف ")).

[وضرب لنا مثلا ونسي خلقه] أي وضرب لنا هذا الكافر المثل بالعظم الرميم ، مستبعدا على الله إعادة خلق الإنسان بعد موته وفنائه ، ونسي أنا أنشأناه من نطفة ميتة ، وركبنا فيه الحياة ، نسي خلقه العجيب وبدأه الغريب ، وجوابه من نفسه حاضر

[قال من يحي العظام وهي رميم] أي وقال هذا الكافر : من يحي العظام وهي بالية أشد البلى ، متفتتة متلاشية ؟ قال الصاوي : أي أورد كلاما عجيبا في الغرابة هو كالمثل ، حيث قاس قدرتنا على قدرة الخلق

[قل يحييها الذي أنشأها أول مرة] أي قل يا محمد تخريسا وتبكيتا لهذا الكافر وأمثاله : يخلقها ويحييها الذي أوجدها من العدم ، وأبدع خلقها أول مرة من غير شيء ، فالذي قدر على البداءة ، قادر على الإعادة!!

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وهو بكل خلق عليم] أي يعلم كيف يخلق ويبدع ، فلا يصعب عليه بعث الأجساد بعد الفناء

[الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا] أي الذي جعل لكم بقدرته من الشجر الأخضر ، نارا تحرق الشجر ، لا يمتنع عليه فعل ما أراد ، ولا يعجزه إحياء العظام البالية ، وإعادتها خلقا جديدا وقال أبو حيان : ذكر تعالى لهم ما هو أغرب من خلق الإنسان من النطفة ، وهو إبراز الشيء من ضده ، وذلك أبدع شيء ، وهو اقتداح النار من الشيء الأخضر ، ألا ترى الماء يطفىء النار ومع ذلك خرجت مما هو مشتمل على الماء ، والأعراب توري النار من المرخ والعفار ، وفي أمثالهم (في كل شيء نار ، واستمجد المرخ والعفار)!! ولقد أحسن القائل : جمع النقيضين من أسرار قدرته هذا السحاب به ماء به نار

[فإذا أنتم منه توقدون] أي فإذا أنتم تقدحون النار من هذا الشجر الأخضر

[أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يخلق مثلهم] ؟ أي أوليس الذي خلق السموات والأرض مع كبر جرمهما ، وعظم شأنهما ؟ قادر على ان يخلق أجساد بني آدم بعد فنائها ؟

[بلى وهو الخلاق العليم] أي بلى هو القادر على ذلك ، فهو الخلاق المبدع في الخلق والتكوين ، العليم بكل شيء

[إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون] أي لا يصعب عليه جل وعلا شيء لأن أمره بين الكاف والنون ، فمتى أراد تعالى شيئا وجد ، بدون تعب ولا جهد ، ولا كلفة ولا عناء

[فسبحان الذي بيده ملكوت كل شىء] أي تنزه الله وتمجد عن صفات العجز والنقص ، الإله العظيم الجليل ، الذي بيده الملك الواسع ، والقدرة التامة على كل الأشياء

[وإليه ترجعون] أي وإليه وحده مرجع الخلائق للحساب والجزاء . . ختم تعالى السورة الكريمة بهذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الختم الرائع ، الدال على كمال القدرة ، وعظمة الملك والسلطان ، الذي تفرد به خالق الأكوان جل وعلا .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - طباق السلب [أن لا تعبدوا الشيطان . . وأن اعبدوني] فالأول سلب ، والآخر إيجاب

2- الإستفهام الإنكاري للتوبيخ والتقريع [أفلم تكونوا تعقلون] ؟ [أفلا يشكرون] ؟

3-الطباق بين [مضيا . . ويرجعون] وبين [يسرون . . ويعلنون] وهو من المحسنات البديعية .

4- التشبيه البليغ [وهم لهم جند محضرون] أي كالجند في الخدمة والدفاع ، حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه فأصبح بليغا .

5- ذكر العام بعد الخاص [ولهم فيها منافع ومشارب] بعد قوله [فمنها ركوبهم] الآية وفائدته تفخيم النعمة ، وتعظيم المنة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

6- المقابلة [ليندر من كان حيا] الآية قابل بين الإنذار والإعذار ، وبين المؤمنين والكفار [ويحق القول على الكافرين] وهو من ألطف التعبير .

7- الإستعارة التمثيلية [مما عملت أيدينا أنعاما] الأنعام تخلق ولا تعمل ، ولكنه تعالى شبه اختصاصه بالخلق والتكوين ، بمن يعمل أمرا بيديه ويصنعه بنفسه ، واستعار لفظ العمل للخلق ، بطريق الإستعارة التمثيلية .

8- صيغة المبالغة [خصيم مبين] . . [الخلاق العليم] .

9- الإستعارة التمثيلية [أن يقول له كن فيكون] شبه سرعة تأثير قدرته تعالى ونفاذها في الأشياء بأمر المطاع من غير توقف ولا إمتناع ، فإذا أراد شيئا وجد من غير إبطاء ولا تأخير ، وهو من لطائف الإستعارة .

فائدة :

الملكوت صيغة مبالغة من الملك ، ومعناه الملك الواسع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التام مثل الجبروت والرحموت للمبالغة.

تنبيه :

قال العلامة ابن كثير : ما ثبت عنه (ص) أنه تمثل يوم الخندق بأبيات ابن رواحة " اللهم لولا أنت ما اهتدينا " وما ثبت أنه قال يوم حنين وهو راكب على بغلته " أنا النبي لا كذب : أنا ابن عبد المطلب " وقوله " هل أنت إلا أصبع دميت : وفي سبيل الله ما لقيت " الخ إنما وقع اتفاقا من غير قصد إلى قول الشعر ، بل جرى هذا على لسانه (ص) عفوا ، وكل هذا لا ينافي قوله تعالى [وما علمناه الشعر وما ينبغي له] فتدبره فإنه نفيس .

سورة الصافات

مكية وآياتها ثمان وثمانون آية

بين يدي السورة

* سورة الصافات من السور المكية التي تعني بأصول العقيدة الإسلامية " التوحيد ، الوحي ، البعث والجزاء "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شأنها كشأن سائر السور المكية التي تهدف إلي تثبيت دعائم الإيمان. .

*ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن الملائكة الأبرار ، الصافات قوائمها في الصلاة ، أو أجنحتها في إرتقاب أمر الله ، الزاجرين للسحاب يسوقونه حيث شاء الله . . ثم تحدثت عن الجن وتعرضهم للرجم بالشهب الثاقبة ، ردا علي أساطير أهل الجاهلية في إعتقادهم بأن هناك قرابة بين الله سبحانه وبين الجن ، وتحدثت السورة عن البعث والجزاء لإنكار المشركين له ، واستبعادهم للحياة مرة ثانية بعد أن يصبحوا عظاما ورفاتا [والصافات صفا فالزاجرات زجرا . .] الآيات .

*وتأكيدا لعقيدة الإيمان بالبعث ذكرت السورة قصة المؤمن والكافر " والحوار الذي دار بينهما في الدنيا ، ثم النتيجة التي آل إليها أمر كل منهما بخلود المؤمن في الجنة ، وخلود الكافر في النار [فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون . قال قائل منهم إني كان لي قرين .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقول أئنك لمن المصدقين . .] الآيات .
* واستعرضت السورة الكريمة قصص بعض الأنبياء ، بدءا بنوح ، ثم إبراهيم ، ثم إسماعيل ، ثم قصة موسي وهارون ، ثم إلياس ولوط ، وذكرت بالتفصيل قصة (الإيمان والإبتلاء) في حادثة الذبيح (إسماعيل) وما جري من أمر الرؤيا للخليل إبراهيم حتى أمر بذبح ولده ثم جاءه الفداء ، تعليما للمؤمنين كيف يكون أمر الإنقياد والإستسلام لأمر أحكم الحاكمين [ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون . .] الآيات .
*وختمت السورة الكريمة ببيان نصرة الله لأنبيائه وأوليائه في الدنيا والآخرة ، وإن العاقبة للمتقين [ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون . .] الآيات إلى خاتمة السورة الكريمة .
التسمية :
سميت السورة (سورة الصافات) تذكيرا للعباد بالملأ الأعلي من الملائكة الأطهار ، الذين لا ينفكون عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عبادة الله [يسبحون الليل والنهار لا يفترون] وبيان وظائفهم التي كلفوا بها .

قال الله تعالي : [والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا . .] إلي قوله [لمثل هذا فليعمل العاملون] . من آية (1) إلي نهاية آية (61) .

اللغة :

[الزاجرات] الزجر : الدفع عن الشيء بقوة أو صياح ، والزجرة : الصيحة من قولك : زجر الراعي الغنم إذا صاح عليها فرجعت لصوته

[مارد] عاتي متمرد

[ثاقب] محرق شديد النفاذ

[واصب] دائم لا ينقطع

[لازب] ملتصق بعضه ببعض

[معين] شراب نابع من العيون

[غول] الغول : كل ما يغتال العقل ويفسده ، قال أبو عبيدة : الغول ما يغتال العقل ويذهبه وأنشد قول ابن عباس : وما زالت الخمر تغتالنا وتذهب بالأول فالأول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[كأس] قال أهل اللغة : العرب تقول للإناء إذا كان فيه خمر كأس ، فإذا لم يكن فيه خمر قالوا : إناء وقدح ، قال الشاعر : وكأس شربت علي لذة وأخري تداويت منها بها

[ينزفون] يسكرون يقال : نزف الرجل فهو نزيف ومنزوف إذا سكر ، قال الشاعر : لعمري لئن أنزفتمو أو صحوتمو لبئس الندامي كنتم آل أبجرا

التفسير :

[والصافات صفا] إفتتح تعالي هذه السورة بالقسم ببعض مخلوقاته ، إظهارا لعظم شأنها ، وكبر فوائدها ، وتنبيها للعباد على جلالة قدرها والمعني : أقسم بهذه الطوائف من الملائكة ، الصافات قوائمها في الصلاة ، أو أجنحتها في إرتقاب أمر الله قال ابن مسعود : هم الملائكة تصف في السماء في العبادة والذكر صفوفا ، وفي الحديث (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم ؟ قلنا : وكيف يا رسول الله ؟ قال : يتمون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصفوف المتقدمة ، ويراصون في الصف) أقسم تعالي بالملائكة تنبيها على جلالة قدرهم ، وكثرة عبادتهم ، فهم مع عظيم خلقهم ورفعة شأنهم ، لا ينفكون عن عبادة الله ، يصطفون للعبادة كاصطفاف المؤمنين في الصلاة ، مع الخشوع والخضوع للعزيز الجبار ، الذي دانت له الخلائق ، وخضعت لجلال هيبته الرقاب ، بما فيهم حملة العرش والملائكة الأطهار

[فالزاجرات زجرا] أي الملائكة التي تزجر السحاب ، يسوقونه إلي حيث شاء الله ، من الزجر بمعني السوق والحث

[فالتاليات ذكرا] وصف ثالث للملائكة الأبرار ، إشادة بذكر محاسنهم ومناقبهم العلوية أي وأقسم بالملائكة التالين لآيات الله علي أنبيائه وأوليائه ، مع التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد

[إن إلهكم لواحد] هذا هو المقسم عليه أي إن إلهكم الذي تعبدونه - أيها الناس - إلة واحد لا شريك له ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال مقاتل : إن الكفار بمكة قالوا : أجعل الآلهة إلها واحدا ؟ وكيف يسع هذا الخلق إله فرد ؟ فأقسم الله بهؤلاء تشريفا ، ثم بين تعالي معنى وحدانيته وألوهيته فقال

[رب السموات والأرض وما بينهما] أي هو تعالي خالق السموات والأرض ، ومالكهما وما بينهما من المخلوقات والموجودات ، فإن وجودهما وإنتظامهما على هذا النمط البديع ، من أوضح الدلائل على وجود الله ووحدانيته

[ورب المشارق] أي وهو رب مشارق الشمس ومغاربها في الشتاء والصيف قال الطبري : واكتفى بذكر (المشارق) عن (المغارب) لدلالة الكلام عليه ثم أخبر عن قدرته بتزيين السماء بالكواكب ، بعد أن أخبر عن وحدانيته فقال

[إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب] أي زينا السماء القريبة منكم بالكواكب المنيرة المضيئة ، التي تبدو وكأنها جواهر تتلألأ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وحفظا من كل شيطان مارد] أي وللحفظ من كل شيطان عات متمرد ، خارج عن طاعة الله قال قتادة : خلقت النجوم لثلاث : رجوما للشياطين ، ونورا يهتدى بها ، وزينة للسماء الدنيا وقال أبو حيان : خلق السماء الدنيا بالذكر لأنها هي التي تشاهد بالأبصار ، وفيها وحدها يكون الحفظ من الشياطين

[لا يسمعون إلي الملأ الأعلي] أي لا يقدرون أن يستمعوا إلي الملائكة الذين هم في العالم العلوي ، وقيل المعني : لئلا يستمعوا إلي الملأ الأعلى

[ويقذفون من كل جانب] أي ويرجمون بالشهب من كل جهة يقصدون السماء منها

[دحورا] أي طردا لهم عن السماع لأخبار السماء قال الطبرى : أي مطرودين ، من الدحر وهو الدفع والإبعاد

[ولهم عذاب واصب] أي ولهم في الآخرة عذاب موصول لا ينقطع

[إلا من خطف الخطفة] أي إلا من اختلس شيئا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسارقة

[فأتبعه شهاب ثاقب] أي فلحقه شهاب مضيء ، نافذ بضوئه وشعاعه فأحرقه قال المفسرون : قد يخطف الشيطان المارد خطفة سريعة ، مما يدور في الملأ الأعلي ، فيتبعه شهاب يلاحقه في هبوطه ، فيصيبه ويحرقه حرقا ، قال القرطبي : وليست الشهب التي يرجم بها الشياطين من الكواكب الثوابت ، لأن الثابتة تجري ولا تري حركاتها ، وهذه الشهب تري حركاتها [فاستفتهم] أي فسل يا محمد هؤلاء المنكرين للبعث [أهم أشد خلقا أم من خلقنا] ؟ أي أيهم أقوي بنية وأشد خلقا ؟ هل هم أم السموات والأرض ؟ وما بينهما من الملائكة والمخلوقات العظيمة العجيبة ؟

[إنا خلقناهم من طين لازب] أي من طين رخو لزج لا قوة فيه ، قال الطبري : وإنما وصفه باللزوب لأنه تراب مخلوط بماء ، وكذلك خلق ابن آدم من تراب وماء ، ونار وهواء ، والتراب إذا خلط بماء صار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

طينا لازبا ، والغرض من الآية إقامة البرهان علي إعادة الإنسان ، فالذي خلقه من العدم وخلق هذه الخلائق ، قادر على إعادة الأجسام بعد إلينا

[بل عجبت ويسخرون] أي بل عجبت يا محمد من تكذيبهم للبعث ، مع رؤيتهم آثار قدرة الله الباهرة ، وهم يسخرون منك ومما تقول لهم في ذلك قال أبو السعود : المعنى عجبت من قدرة الله تعالي علي هذه الخلائق العظيمة لإنكارهم للبعث ، وهم يسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث

[وإذا ذكروا لا يذكرون] أي وإذا وعظوا بالقرآن وخوفوا به ، لا يتعظون ولا يتدبرون

[وإذا رأوا آية يستسخرون] أي وإذا رأوا آية باهرة ، أو معجزة قاهرة تدل علي صدقك كانشقاق القمر ، وتكليم الشجر والحجر ، يبالغون في السخرية أو يدعون غيرهم للسخرية والاستهزاء

[وقالوا إن هذا إلا سحر مبين] أي ما هذا الذي جئتنا به يا محمد إلا سحر واضح بين قال في البحر :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والاشارة ب " هذا " إلي ما ظهر على يديه عليه السلام من الخارق المعجز

[أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون] الاستفهام للإنكار والاستهزاء أي أئذا أصبحت أجسادنا بالية ، وتفتت أجزاؤها إلي تراب وعظام سوف نبعث ؟

[أو آباؤنا الأولون] أي أو آباؤنا الأولون كذلك سيبعثون ؟ قال الزمخشري : أي أيبعث أيضا آباؤنا ؟ وهذا زيادة في استبعاد الأمر ، يعنون أنهم أقدم ، فبعثهم أبعد وأبطل

[قل نعم وأنتم داخرون] أي قل لهم نعم تبعثون وأنتم صاغرون

[فإنما هي زجرة واحدة] أي وما هي إلا صيحة واحدة ينفخ فيها إسرافيل في الصور للقيام من القبور

[فإذا هم ينظرون] أي فإذا هم قيام في أرض المحشر ، ينظر بعضهم إلي بعض قال القرطبي : الزجرة : الصيحة وهي النفخة الثانية ، وسميت زجرة لأن مقصودها الزجر ، كزجر الإبل ، والخيل عند

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السوق . . ثم أخبر تعالي عن حسرتهم وندامتهم عند معاينتهم أهوال القيامة فقال

[وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين] أي يا هلاكنا وخسارتنا هذا هو يوم الجزاء والحساب ! ! فتقول لهم الملائكة علي سبيل التوبيخ والتقريع

[هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون] أي هذا يوم الفصل بين الخلائق الذي كنتم تنكرونه وتكذبون به قال البيضاوي : الفصل : القضاء والتفريق بين المحسن والمسئ

[احشروا الذين ظلموا وأزواجهم] أي اجمعوا الظالمين وأشباههم من العصاة والمجرمين ، كل إنسان مع نظرائه قال القرطبي : الزاني مع الزاني ، وشارب الخمر مع شارب الخمر ، والسارق مع السارق وقال ابن عباس : اجمعوا الظالمين ونساءهم الكافرات ، وعنه المراد به أشباههم من العصاه

[وما كانوا يعبدون من دون الله] أي وما كانوا يعبدون من الأوثان والأصنام ، وذلك زيادة في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تحسيرهم وتخجيلهم

[فاهدوهم إلي صراط الجحيم] أي فعرفوهم طريق الجحيم ووجهوهم إليها ، وفي لفظ [اهدوهم] تهكم وسخرية ، فإذا لم يهتدوا في الدنيا الي الصراط المستقيم ، فليهتدوا اليوم إلي صراط الجحيم

[وقفوهم أنهم مسئولون] أي احبسوهم عند الصراط ، لأنهم سيسألون عن جميع أقوالهم وأفعالهم ، ثم يقال لهم على سبيل التقريع والتوبيخ

[ما لكم لا تناصرون] أي ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا وأنتم هنا جميعا وكلكم في حاجة إلى الناصر والمعين ؟ قال المفسرون : هذا إشارة إلي قول أبي جهل يوم بدر (نحن جميع منتصر) وأصل

[تناصرون] تتناصرون حذفت إحدي التاءين تخفيفا ، قال تعالي

[بل هم اليوم مستسلمون] أي بل هم اليوم أذلاء منقادون ، عاجزون عن الإنتصار ، سواء منهم العابدون والمعبودون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأقبل بعضهم علي بعض يتساءلون] أي أقبل الرؤساء والأتباع يتلاومون ويتخاصمون قال أبو السعود : وسؤالهم إنما هو سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال

[قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين] أي قال الأتباع منهم للمتبوعين : إنكم كنتم تأتوننا من قبل الحق ، وتزينون لنا الباطل ، وتصدوننا عن اتباع طريق الهدي ، قال الطبرى : أي كنتم تأتوننا من قبل الدين والحق ، فتخدعوننا بأقوي الوجوه ، قال : واليمين في كلام العرب : القوة والقدرة ، كقول الشاعر : إذا ما راية رفعت لمجد! تلقاها عرابة باليمين " وقيل : المراد تأتوننا بطريق الوسوسة عن يميننا ، كما هو المعتاد في حالة الوسوسة بالأسرار غالبا

[قالوا بل لم تكونوا مؤمنين] أي يقول لهم الرؤساء : لم نحملكم نحن على الضلال ، ولم نمنعكم من الإيمان ، بل كفرتم ولم تؤمنوا بإختياركم قال ابن كثير : أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ليس الأمر كما تزعمون ، بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان ، قابلة للكفر والعصيان

[وما كان لنا عليكم من سلطان] أي ما كان لنا عليكم من قوة وقدرة نقهركم بها علي متابعتنا

[بل كنتم قوما طاغين] أي بل كان فيكم فجور وطغيان ، واستعداد للعصيان ، فلذلك استجبتم لنا واتبعتمونا

[فحق علينا قول ربنا] أي فوجب علينا جميعا وعيد الله لنا بالعذاب

[إنا لذائقون] أي فإنا لذائقو هذا العذاب لا محالة

[فأغويناكم إنا كنا غاوين] أي فزينا لكم الباطل ، ودعوناكم إلي الغي ، لأننا كنا على غي وضلال ، قال تعالي مخبرا عن حالهم

[فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون] أي فإنهم يوم القيامة مشتركون في العذاب ، كما كانوا مشتركين في الغواية ، ولكن كما قال تعالي [ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنا كذلك نفعل بالمجرمين] أي مثل هذا الفعل بهؤلاء ، نفعل بالأشقياء المجرمين ، ثم بين تعالي السبب فقال [إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون] أي إذا قيل لهم قولوا [لا إله إلا الله] يتكبرون ويتعظمون [ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون] ؟ أي ويقولون عندما يدعون إلي التوحيد : أنترك عبادة الأوثان لقول شاعر مجنون ؟ يعنون بذلك رسول الله(ص) ، قاتلهم الله ! ! قال تعالي ردا عليهم [بل جاء بالحق وصدق المرسلين] أي ليس الأمر كما يفترون ، بل جاءهم محمد بالتوحيد والإسلام الذي هو الحق الأبلج ، وجاء بمثل ما جاء به الرسل قبله قال أبو حيان : جمع المشركون بين إنكار الوحدانية ، وإنكار الرسالة ، ثم خلطوا في كلامهم بقولهم " شاعر مجنون " فإن الشاعر عنده من الفهم والحذق ما ينظم به المعاني الغريبة ، ويصوغها في قالب الألفاظ البديعة ، ومن كان مجنونا لا يصل إلي شيء من ذلك ، فكلامهم تخليط وهذيان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنكم لذائقوا العذاب الأليم] أي إنكم أيها المجرمون لمعذبون أشد العذاب

[وما تجزون إلا ما كنتم تعملون] أي لا تعاقبون إلا جزاء مثل عملكم قال الصاوي : لأن الشر يكون جزاؤه بقدره ، بخلاف الخير فجزاؤه بأضعاف مضاعفة. . ولما ذكر شيئا من أحوال الكفار وعذابهم ، ذكر شيئا من أحوال المؤمنين ونعيمهم ، على طريقة القرآن في الموازنة بين الفريقين ترغيبا وترهيبا ، فقال سبحانه

[إلا عباد الله المخلصين] الاستثناء منقطع أي لكن عباد الله المخلصين الموحدين ، فإنهم لا يذوقون العذاب ، ولا يناقشون الحساب ، بل يتجاوز الله عن سيئاتهم ، يجزون الحسنة بعشر أمثالها إلي سبعمائة ضعف . . ثم أخبر عن جزائهم ، فقال سبحانه

[أولئك لهم رزق معلوم] أي أولئك الأخيار الأبرار ، لهم رزقهم في الجنة صباحا ومساء كما قال تعالي

[ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا] وقال أبو السعود :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معلوم الخصائص من حسن المنظر ، ولذة الطعم ، وطيب الرائحه ، ثم فسر الرزق بقوله

[فواكه وهم مكرمون] أي فواكة متنوعة من جميع ما يشتهون ، وهم في الجنة معززون مكرمون ، وخص الفواكه بالذكر ، لأن كل ما يؤكل في الجنة ، إنما هو علي سبيل التفكه والتلذذ ، لا بسبب الجوع ، لأنهم في دار السعادة والهناء

[في جنات النعيم] أي في رياض وبساتين يتنعمون فيها

[علي سرر متقابلين] أي على أسرة مكللة بالدر والياقوت ، تدور بهم كيف شاءوا قال مجاهد :

[متقابلين] أي لا ينظر بعضهم إلي قفا بعض ، تواصلا وتحابيا

[يطاف عليهم بكأس من معين] لما ذكر طعام أهل الجنة ، أعقبه بذكر الشراب أي يطوف عليهم خدم الجنة بكأس من الخمر ، من نهر جار خارج من عيون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجنة قال الصاوى : وصف به خمر الجنة لأنه يجري كالماء النابع وقال ابن عباس : كل كأس في القرآن فهي الخمر ، والمعين هي الجارية

[بيضاء لذة للشاربين] أي هذه الخمر بيضاء ذات لذة للشاربين ، يلتذ بها من شربها قال الحسن : خمر الجنة أشد بياضا من اللبن

[لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون] أي ليس فيها ما يغتال عقولهم فيفسدها ، ولا هم يسكرون بشربها كما تفعل خمر الدنيا قال ابن كثير : نزه الله سبحانه خمر الجنة عن الآفات التي هي في خمر الدنيا ، من (صداع الرأس ، ووجع البطن ، وذهاب العقل) ، فخمر الجنة طعمها طيب كلونها ، والمراد بالغول هنا صداع الرأس قاله ابن عباس ، وقال قتادة : هو صداع الرأس ووجع البطن وتلك هي أجمل أوصاف الشراب ، التي تحقق لذة الشراب ، وتنفي أكداره وأضراره ، فلا خمار يصدع الرءوس ، ولا سكر ولا عربدة يذهب لذة الاستمتاع كما هي الحال في خمرة الدنيا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وعندهم قاصرات الطرف] أي وعندهم الحور العين ، العفيفات اللواتي قصرن أعينهن علي النظر إلي أزواجهن ، فلا ينظرن إلي غيرهم حياء وعفة ، قال ابن عباس : [قاصرات الطرف] أي عفيفات ، لا ينظرن إلي غير أزواجهن

[عين] أي وهن مع العفة واسعات جميلات العيون قال الطبري : أي نُجل العيون جمع عيناء ، وهي المرأة الواسعة العين ، مع الحسن والجمال ، وهي أحسن ما تكون من العيون

[كأنهن بيض مكنون] أي كأنهن اللولؤ المكنون في أصدافه قاله ابن عباس ، واستشهد بقوله تعالي [وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون] وقال الحسن : [المكنون] المصون الذي لم تمسه الأيدي ، والغرض أنهن مع هذا الجمال الباهر ، مصونات كالدر في أصدافه ، مع رقة ولطف ونعومة [كأنهن بيض مكنون] لا تبتذله الأيدي ولا العيون ، والعرب تشبه المرأة بالبيضة لصفائها وبياضها قال أبو حيان : ذكر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالي في هذه الآيات أولا الرزق وهو ما تتلذذ به الأجسام ، وثانيا الإكرام وهو ما تتلذذ به النفوس ، ثم ذكر المحل وهو جنات النعيم ، ثم لذة التآنس والاجتماع [علي سرر متقابلين] وهو أتم للسرور وآنس ، ثم ذكر المشروب وهو الخمر ، التي تدار عليهم بالكؤوس ، ولا يتناولونها بأنفسهم ، ثم ختم باللذة الجسدية - أبلغ الملاذ - وهي التآنس بالنساء ثم أخبر تعالي عما يتحدث به أهل الجنة للأنس والسرور ، وهم على موائد الشراب يتلذذون بكل ممتع ، وينعمون بتجاذب أطراف الحديث ، فقال سبحانه

[فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون] أي جلسوا يتحدثون عما جري لهم في الدنيا ، يتذاكرون نعيمهم وحال الدنيا وثمرة الإيمان

[قال قائل منهم إني كان لي قرين] أي قال قائل من أهل الجنة : إني كان لي في الدنيا صديق وجليس ينكر البعث

[يقول أئنك لمن المصدقين] أي يقول لي : أتصدق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالبعث والجزاء ؟
[أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون] ؟ أي هل إذا متنا وأصبحنا ذرات من التراب وعظاما نخرة ، أئنا لمحاسبون ومجزيون بأعمالنا ؟ يقول ذلك علي وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد

[قال هل أنتم مطلعون] ؟ أي قال ذلك المؤمن لإخوانه في الجنة : هل أنتم مطلعون إلي النار لننظر كيف حال ذلك القرين ؟ قال تعالي
[فاطلع فرآه في سواء الجحيم] أي فنظر فأبصر صاحبه الكافر في وسط الجحيم يتلظي سعيرها
[قال تالله إن كدت لتردين] أي فخاطبه المؤمن شامتا وقال له : والله لقد قاربت أن تهلكني بإغوائك
[ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين] أي ولولا فضل الله علي بتثبيتي علي الإيمان ، لكنت معك في النار محضرا ومعذبا في الجحيم ، ثم يخاطبه مستهزءا ساخرا ، كما كان ذلك الكافر يستهزىء به في الدنيا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولي وما نحن بمعذبين] ؟ أي هل لا تزال على اعتقادك بأننا لن نموت إلا موتة واحدة ؟ وأنه لا بعث ولا جزاء ، ولا حساب ولا عذاب ؟ وهو أسلوب ساخر لاذع يظهر فيه التشفي من ذلك القرين الكافر! ! وللتحدث بنعمة الله ، قال تعالي مخبرا عن المؤمن :

[إن هذا لهو الفوز العظيم] أي إن هذا النعيم الذي ناله أهل الجنة لهو الفوز العظيم

[لمثل هذا فليعمل العاملون] أي لمثل هذا الجزاء الكريم ، يجب أن يعمل العاملون ويجتهد المجتهدون .

قال المفسرون : أشارت الآيات الكريمة إلي قصة شريكين كان لهما ثمانية آلاف درهم ، فكان أحدهما يعبد الله ، ويقصر في التجارة والنظر إلي أمور الدنيا ، وكان الآخر مقبلا على تكثير ماله ، فانفصل من شريكه لتقصيره ، وكان كلما إشتري دارا أو جارية أو بستانا أو نحو ذلك عرضه على المؤمن ، وفخر عليه بكثرة ماله ، وكان المؤمن إذا سمع ذلك يتصدق بنحو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من ذلك ليشتري له به قصرا في الجنة ، فإذا لقيه صديقه قال : ما صنعت بمالك ؟ قال : تصدقت به لله ! فكان يسخر منه ويقول : أئنك لمن المصدقين ؟ فكان أمرهما ما قص الله علينا في كتابه العزيز.

البلاغه :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الطباق [بل عجبت ويسخرون] لأن السخرية في مقابلة التعجب .

2 - التأكيد بإن واللام [إن إلهكم لواحد] ومقتضي الكلام يقتضيه لإنكار المخاطبين للوحدانية .

3 - الأسلوب التهكمي [فاهدوهم إلي صراط الجحيم] وردت الهداية بطريق التهكم ، لأن الهداية تكون إلي طريق النعيم لا الجحيم .

4 - الإيجاز بالحذف [إذا قيل لهم لا إله إلا الله] أي قولوا لا إله إلا الله ، وحذف لدلالة السياق عليه .

5 - الالتفات من الغيبة إلي الخطاب [إنكم لذائقوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العذاب الأليم] والأصل إنهم لذائقو وإنما التفت لزيادة التقبيح والتشنيع عليهم .

6 - الكناية [قاصرات الطرف] كنى بذلك عن الحور العين لأنهن عفيفات لا ينظرن إلي غير أزواجهن .

7 - التشبيه المرسل والمجمل [كأنهن بيض مكنون] حذف منه وجه الشبه فأصبح مجملا .

8 - مراعاة الفواصل وهو من المحسنات البديعية مثل [شهاب ثاقب ، عذاب واصب ، طين لازب] إلي آخره .

قال الله تعالي : [أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم . .] إلي قوله [ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين] . من آية (62) إلي آية (113) .

المناسبة :

لما ذكر تعالي ما أعده للأبرار في دار النعيم ، ذكر ما أعده للأشرار في دار الجحيم ، ليظهر التمييز بين الفريقين ، ثم ذكر قصة " نوح " وقصة " إبراهيم " ، وما فيهما من العظات والعبر للمعتبرين .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللغة :

[نزلا] النزل : الضيافة والتكرمة ، وأصله ما يعد للأضياف من الطعام والشراب وغيرهما

[طلعها] ثمرها ، سمي طلعا لطلوعه

[شوبا] خلطا ومزاجا من شاب الطعام يشوبه إذا خلطه بشيء آخر

[يهرعون] يسرعون قال الفراء : الإهراع : الإسراع مع رعدة ، وقال المبرد : المهرع : المستحث يقال : جاء فلان يهرع إلي النار ، إذا استحثه البرد إليها

[شيعته] شيعة الرجل أعوانه وأنصاره ، ومن سار على طريقته ومنهاجه

[إفكا] كذبا وباطلا

[سقيم] مريض وعليل

[راغ] راغ إليه : أقبل عليه ومال نحوه خفية وأصله من الميل ، قال الشاعر : ويريك من طرف اللسان حلاوة ويروغ فيك كما يروغ الثعلب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التفسير :

[أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم] أي أنعيم الجنة خير ضيافة وعطاء ، أم شجرة الزقوم التي في جهنم ؟ أيهما خير وأفضل ؟ فالفواكه والثمار طعام أهل الجنة ، وشجرة الزقوم طعام أهل النار! ؟ والغرض منه توبيخ الكفار

[إنا جعلناها فتنة للظالمين] أي إنا جعلنا شجرة الزقوم فتنة وإبتلاء لأهل الضلالة قال المفسرون : لما سمع الكفار ذكر (شجرة الزقوم) قالوا : كيف يكون في النار شجرة ، والنار تحرق الشجر ؟ وكان أبو جهل يقول لأصحابه : أتدرون ما الزقوم ؟ إنه الزبد والتمر! ! ثم يأتيهم به ويقول : تزقموا ، هذا الذي يخوفنا به محمد

[إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم] أي تنبت في قعر جهنم ثم هي متفرعة فيها

[طلعها كأنه رءوس الشياطين] أي ثمرها وحملها كأنه رءوس الشياطين ، في تناهي القبح البشاعة قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ابن كثير : وإنما شبهها برءوس الشياطين ، وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين ، لأنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر

[فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون] أي فإن هؤلاء الكفار لشدة جوعهم ، مضطرون إلي الأكل منها ، حتى تمتلىء منها بطونهم ، فهي طعامهم وفاكهتهم ، بدل رزق أهل الجنة ، وفي الحديث (لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت علي أهل الأرض معايشهم ، فكيف بمن تكون طعامه)

[ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم] أي ثم إن لهم بعدما شبعوا منها ، وغلبهم العطش [لشوبا] أي مزاجا من ماء حار قد أنتهت حرارته يشاب به الطعام - أي يخلط - ليجمع لهم بين مرارة الزقوم ، وحرارة الحميم ، تغليظا لعذابهم

[ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم] أي ثم مصيرهم ومرجعهم إلي دركات الجحيم قال مقاتل : الحميم خارج الجحيم ، فهم يوردون الحميم لشربه ثم يردون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلي الجحيم وقال أبو السعود : الزقوم والحميم نزل يقدم إليهم قبل دخولها

[إنهم ألفوا آباءهم ضالين] أي وجدوهم على الضلالة فاقتدوا بهم

[فهم علي آثارهم يهرعون] أي فهم يسرعون في اتباع خطاهم من غير دليل ولا برهان قال مجاهد : شبهه بالهرولة كمن يسرع إسراعا نحو الشيء

[ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين] أي ضل قبل قومك أكثر الأمم الماضية

[ولقد أرسلنا فيهم منذرين] أي أرسلنا فيهم رسلا كثيرين يخوفونهم من عذاب الله ، ولكنهم تمادوا في الغي والضلال

[فأنظر كيف كان عاقبة المنذرين] أي فأنظر يا محمد كيف كان مصير أمر هؤلاء المكذبين ؟ ألم نهلكهم فنصيرهم عبرة للعباد ؟

[إلا عباد الله المخلصين] أي لكن عباد الله المؤمنين الذين أخلصهم تعالي لطاعته ، فإنهم نجوا من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العذاب . . ثم شرع في بيان قصة نوح فقال
[ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون] اللام موطئة للقسم أي والله لقد استغاث بنا نوح ، لما كذبه قومه ، فلنعم المجيبون نحن له ، وصيغة الجمع [المجيبون] للعظمة والكبرياء قال الصاوي : ذكر تعالي في هذه السورة سبع قصص : (قصة نوح ، وقصة إبراهيم ، وقصة الذبيح إسماعيل ، وقصة موسي وهارون ، وقصة إلياس ، وقصة لوط ، وقصة يونس) ، وكل ذلك تسلية له ، وتحذيرا لمن كفر من أمته
[ونجيناه وأهله من الكرب العظيم] أي ونجيناه ومن آمن معه - أهله وأتباعه - من الغرق قال المفسرون : وكانوا ثمانين ما بين رجل وامرأة
[وجعلنا ذريته هم الباقين] أي وجعلنا ذرية نوح هم الذين بقوا في الأرض بعد هلاك قومه قال ابن عباس : أهل الأرض كلهم من ذرية نوح ، قال في التسهيل : وذلك لأنه لما غرق الناس في الطوفان ، ونجا نوح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن كان معه في السفينة ، تناسل الناس من أولاده الثلاثة (سام ، وحام ، ويافث)

[وتركنا عليه في الآخرين] أي تركنا عليه ثناء حسنا في كل أمة إلي يوم القيامة

[سلام علي نوح في العالمين] أي سلام عطر من الله تعالي والخلائق على نوح باق على الدوام بدون إنقطاع

[إنا كذلك نجزي المحسنين] أي هكذا نجزي من أحسن من العباد ، نبقي له الذكر الجميل إلي آخر الدهر

[إنه من عبادنا المؤمنين] أي كان مخلصا في العبودية لله ، كامل الإيمان واليقين قال في حاشية البيضاوي : علل هذه التكرمة السنية بكونه من أولي الإحسان ، ثم علل كونه محسنا بأنه كان عبدا مؤمنا ، إظهارا لجلالة قدر الإيمان وأصالة أمره ، وجعل الدنيا مملوءة من ذريته ، تبقية لذكره الجميل في ألسنة العالمين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ثم أغرقنا الأخرين] أي أغرقنا الكافرين الذين لم يؤمنوا بنوح عن آخرهم ، فلم تبق منهم عين تطرف ولا ذكر ولا أثر. . ثم شرع تعالي في بيان قصة إبراهيم فقال

[وإن من شيعته لإبراهيم] أي وإن من أنصار نوح وأعوانه ، وممن كان على منهاجه وسنته (إبراهيم) الخليل ، قال البيضاوى : وكان بين نوح وإبراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة ، وكان بينهما نبيان هما " هود " و " صالح " صلوات الله عليهم أجمعين

[إذ جاء ربه بقلب سليم] أي حين جاء ربه بقلب نقي طاهر ، مخلص من الشك والشرك

[إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون] أي حين قال لأبيه آزر وقومه موبخا لهم : ما الذي تعبدونه من الأوثان والأصنام ؟ وهو إنكار لهم وتوبيخ

[أئفكا آلهة دون الله تريدون] ؟ أي أتعبدون آلهة من دون الله من أجل الإفك والكذب والزور ؟ وإنما قدم المفعول لأجله [أئفكا] علي المفعول به لأجل التقبيح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليهم ، بأنهم علي إفك وباطل في شركهم ، والأصل : أتريدون آلهة من دون الله إفكا ؟ قال القرطبي : والإفك أسوأ الكذب وهو الذي لا يثبت ويضطرب

[فما ظنكم برب العالمين] استفهام توبيخ وتحذير أي أي شئ تظنون برب العالمين ؟ هل تظنون أنه يترككم بلا عقاب وقد عبدتم غيره ؟ قال الطبري : المعني أي شئ تظنون أيها القوم أن الله يصنع بكم إن لقيتموه وقد عبدتم غيره ؟

[فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم] لما وبخهم على عبادة غير الله ، أراد أن يريهم أن أصنامهم لا تضر ولا تنفع ، وأراد أن يخلو بها حتى يكسرها ، فاحتال للبقاء وعدم الخروج معهم إلي العيد ، فنظر في السماء - على عادتهم حيث كانوا نجامين - وأوهمهم أن النجوم تدل علي أنه سيسقم غدا ، فقال : إني سقيم أي سأمرض إن خرجت معكم ، وهذا ليس بكذب وإنما هو من المعاريض الجائزة لمقصد شرعي ، كما ورد (إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب) أو أراد أنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سقيم القلب من عبادتهم للأوثان
[فتولوا عنه مدبرين] أي فتركوه إعراضا عنه وخرجوا إلى عيدهم
[فراغ إلي آلهتهم] أي فلما ذهبوا وتركوه توجه إلي الأصنام ومال إليها في خفية قال ابن كثير : أي ذهب إليها بعد ما خرجوا في سرعة واختفاء
[فقال ألا تأكلون] ؟ أي ألا تأكلون من هذا الطعام ؟ قال ابن كثير : وذلك إنهم كانوا قد وضعوا بين أيديها طعاما قربانا لتبارك لهم فيه
[ما لكم لا تنطقون] ؟ أي ما لكم لا تجيبوني علي سؤالي ؟ قال أبو حيان : وعرض الدليل عليها واستفهامها عن النطق إنما هو على سبيل الهزء ، لأنها منحطة عن رتبة عابديها ، إذ هم يأكلون وينطقون بخلافها! !
[فراغ عليهم ضربا باليمين] أي فأقبل على الأصنام مستخفيا يحطمها بيمينه بفأس كان معه قال البيضاوي : وتقييده باليمين للدلالة علي قوته ، وقوة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الآلة تستدعي قوة الفعل وقال القرطبي : خص الضرب باليمين لأنها أقوي ، والضرب بها أشد [فأقبلوا اليه يزفون] أي أقبلوا نحوه مسرعين ، كان بعضهم يدفع بعضا ، فلما أدركوه قالوا : ويحك نحن نعبدها وأنت تكسرها ؟ فأجابهم موبخا

[قال أتعبدون ما تنحتون] ؟ أي أتعبدون أصناما نحتموها بأيديكم ، وصنعتموها بأنفسكم ؟
[والله خلقكم وما تعملون] أي والله جل وعلا خلقكم وخلق عملكم ، وكل الأشياء مخلوقة له ، فكيف تعبدون المخلوق وتتركون الخالق ؟ أليس لكم عقل أيها الناس ؟ قال ابن جزي : ذهب بعض المفسرين إلي أن [ما] مصدرية والمعني : الله خلقكم وأعمالكم ، وهذه الآية عندهم قاعدة في خلق أفعال العباد ، وذهب بعضهم إلي أن [ما] موصولة بمعنى الذي والمعني : خلقكم وخلق أصنامكم التي تعملونها ، وهذا أليق بسياق الكلام ، وأقوى في قصد الاحتجاج على الذين عبدوا الأصنام .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم] أي ابنوا له مكانا وأضرموه نارا ، ثم ألقوه في تلك النار المتأججة المستعرة قال المفسرون : لما غلبهم إبراهيم عليه السلام في الحجة ، مالوا إلي الغلبة بقوة البطش والشدة ، وتشاوروا فيما بينهم ، ثم قرروا أن يطرحوه في النار ، إنتصارا لأصنامهم وآلهتهم

[فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين] أي أرادوا المكر بإبراهيم واحتالوا لإهلاكه ، فنجيناه من النار وجعلناها بردا وسلاما عليه ، وجعلناهم الأذلين المقهورين ، لأنه لم ينفذ فيه مكرهم ، ولا كيدهم

[وقال إني ذاهب إلي ربي سيهدين] لما نجاه الله من النار ، وخلصه من كيد الفجار ، هجر قومه وإعتزلهم ، والمعني : إني مهاجر من بلد قومي إلي حيث أمرني ربي قال مقاتل : هو أول من هاجر من الخلق مع سارة إلي أرض الشام

[رب هب لي من الصالحين] أي ارزقني ولدا من الصالحين يؤنسني في غربتي قال ابن كثير : يريد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولادا مطيعين يكونون عوضا عن قومه وعشيرته
الذين فارقهم
[فبشرناه بغلام حليم] أي فاستجبنا دعاءه ، وبشرناه
بغلام يكون حليما في كبره قال أبو السعود : جمع الله
له فيه بشارات ثلاث : بشارة أنه غلام ، وأنه يبلغ
أوان الحلم ، وأنه يكون حليما ، لأن الصغير لا
يوصف بذلك ، وأي حلم يعادل حلمه عليه السلام ؟
حين عرض عليه أبوه الذبح فقال [يا أبت إفعل ما
تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين] ! !
وجمهور المفسرين علي أن هذا الغلام المبشر به هو
(إسماعيل) لأن الله تعالي قال بعد تمام قصة الذبيح
[وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين] فدل ذلك على
أن الذبيح هو إسماعيل
[فلما بلغ معه السعي] أي فلما ترعرع وشب وبلغ
السن الذي يمكنه أن يسعي مع أبيه في أشغاله
وحوائجه قال المفسرون : وهو سن الثالثة عشرة
[قال يا بني إني أري في المنام أني أذبحك] أي إني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمرت في المنام أن أذبحك ، قال ابن عباس : رؤيا الأنبياء وحي وتلا الآية وقال محمد بن كعب : كانت الرسل يأتيهم الوحي من الله تعالي ، أيقاظا ورقودا ، لأن الأنبياء تنام عيونهم ولا تنام قلوبهم

[فانظر ماذا تري] ؟ أي فانظر في الأمر ، ما رأيك فيه ؟ قال ابن كثير : وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه ، وليختبر صبره وجلده وعزمه على طاعة الله تعالي وطاعة أبيه . فإن قيل : لم شاوره في أمر هو حسم من الله ؟ فالجواب : أنه لم يشاوره ليرجع إلي رأيه ، ولكن ليعلم ما عنده فيثبت قلبه ، ويوطن نفسه على الصبر ، فأجابه بأحسن جواب

[قال يا أبت إفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين] أي امض لما أمرك الله به من ذبحي ، فستجدني صابرا إن شاء الله ، وهو جواب من أوتي الحلم والصبر ، وامتثال الأمر ، والرضا بقضاء الله

[فلما أسلما وتله للجبين] أي فلما استسلما - الأب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والابن - لأمر الله ، وصرعه على وجهه ليذبحه ، قال ابن عباس : [تله للجبين] أكبه على وجهه

[وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا] هذه جواب " لما " والواو مقحمة أي ناديناه -يا إبراهيم قد نفذت ما أمرت به ، وحصل المقصود من رؤياك ، بإضجاعك ولدك للذبح ، روي أنه أمر السكين بقوته علي حلقه مرارا فلم يقطع قال الصاوي : والحكمة في هذه القصة أن إبراهيم اتخذه الله تعالي خليلا ، فلما سأل ربه الولد ووهبه له ، تعلقت شعبة من قلبه بمحبة ولده ، فأمر بذبح المحبوب لتظهر صفاء الخلة ، فامتثل أمر ربه ، وقدم محبته على محبة ولده ، قال ابن عباس : فلما عزم على ذبح ولده ورماه على شقه قال الإبن : يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب ، واكفف ثيابك لئلا ينتضح عليها شئ : من دمي فتراه أمي فتحزن ، وأحد شفرتك وأسرع بها علي حلقى ليكون الموت أهون علي ، وإذا أتيت أمي فاقرئها مني السلام ، وإن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رأيت أن ترد قميصي عليها فافعل فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني ، فقال له إبراهيم : نعم العون أنت يا بني على أمر الله

[إنا كذلك نجزي المحسنين] تعليل لتفريج الكربة أي كما فرجنا شدتك ، كذلك نجازي المحسنين بتفريج الشدة عنهم ، ونجعل لهم من أمرهم فرجا ومخرجا

[إن هذا لهو البلاء المبين] أي إن هذا لهو الإبتلاء والامتحان الشاق الواضح ، الذي يتميز فيه المخلص من المنافق

[وفديناه بذبح عظيم] أي وفديناه بكبش من الجنة فداة عنه قال ابن عباس : كبش عظيم قد رعي في الجنة أربعين خريفا

[وتركنا عليه في الآخرين] أي وأبقينا عليه ثناء حسنا إلي يوم الدين

[سلام علي إبراهيم] أي سلام منا علي إبراهيم عاطر كريم

[كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين] كرر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذكر الجزاء مبالغة في الثناء ، ثم علل ذلك بأنه كان من الراسخين في الإيمان مع الإيقان والإطمئنان

[وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين] أي وبشرناه بغلام آخر بعد تلك الحادثة هو (إسحاق) الذي سيكون نبيا قال ابن عباس : بشر بنبوته حين ولد ، وحين نبئ ، وتكاد تكون الآية صريحة في أن الذبيح هو " إسماعيل " لا " إسحاق " لأنه تعالى ذكره بعد قصة النداء .

[وباركنا عليه وعلي إسحق] أي أفضنا علي إبراهيم لإسحاق بركات الدنيا والدين

[ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين] أي ومن ذريتهما محسن ومسيء قال الطبري : المحسن هو المؤمن ، والظالم لنفسه هو الكافر وقال أبو حيان : وفي الآية وعيد لليهود ومن كان من ذريتهما ممن لم يؤمن بمحمد ، وفيها دليل على أن البر قد يلد الفاجر ، ولا يلحقه من ذلك عيب ولا منقصة.

البلاغه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الأسلوب التهكمي [أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم] ؟ التعبير ب " خير " تهكم بهم لأن شجرة الزقوم لا خير فيها ولا بركة .

2 - الجناس الناقص [المُنذِرين . . والمُنذَرين] لأن المراد بالأول الرسل ، وبالثاني الأمم .

3 - التشبيه [طلعها كأنه رءوس الشياطين] أي في الهول والشناعة ويسمى تشبيها مرسلا مجملا .

4 - الاستعارة التبعية [إذ جاء ربه بقلب سليم] شبه إقباله علي ربه مخلصا بقلبه بمن قدم على الملك بتحفة ثمينة جميلة ففاز بالرضي والقبول ففيه استعارة تبعية .

5 - الطباق بين [محسن . . وظالم] .

6 - جناس الاشتقاق بين [ابنوا . . بنيانا] .

7 - الكناية اللطيفة [وتركنا عليه في الآخرين] كنى به عن الثناء الحسن الجميل .

8 - مراعاة الفواصل مثل [وإن من شيعته لإبراهيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذ جاء ربه بقلب سليم] إلخ وهو من المحسنات البديعية ، وهو من خصائص القرآن ، وفيه من الروعة والجمال ، وحسن الوقع علي السمع ما يزيده روعة وجمالا .

قال تعالى : [ولقد مننا على موسى وهارون] الى قوله [والحمد لله رب العالمين] من آية (114) إلى آية (182) نهاية السورة الكريمة .

المناسبه :

لما ذكر قصة الخليل إبراهيم ، وقصة الذبيح والفداء ، أعقبها بذكر قصص بعض الأنبياء ، كموسى وهارون ، ويونس ولوط ، وما في هذه القصص من العظات والعبر ، وختم السورة الكريمة ببيان أن النصر والغلبة للرسل وأتباعهم المؤمنين .

اللغه :

[أبق] هرب

[المشحون] المملوء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ساهم] قارع أي ضرب القرعة قال المبرد : وأصله من السهام التي تجال

[المدحضين] المغلوبين ، وأصله من الزلق ، يقال : دحضت حجته وأدحضها الله أي غلب وهزم ، قال الشاعر : قتلنا المدحضين بكل فج فقد قرت بقتلهم العيون

[مليم] آت بما يلام عليه

[العراء] الأرض الفيحاء التي لا شجر فيها ، ولا معلم ، قال الفراء : العراء المكان الخالى

[يقطين] القرع المعروف المسمي بالدباء ، قال الجوهرى : اليقطين ما لا ساق له كشجر القرع ونحوه

[ساحتهم] الساحة : الفناء الواسع .

التفسير :

[ولقد مننا علي موسي وهارون] اللام موطئة للقسم أي وعزتنا وجلالنا لقد أنعمنا علي موسي وهارون بأنواع النعم ، والمنافع الدينية والدنيوية ومنها نعمة النبوة والرسالة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم] أي ونجيناهما وقومهما - بني إسرائيل - من الغم والمكروه العظيم ، وهو استعباد فرعون إياهم مع التعذيب بقتل الأبناء ، واستحياء النساء

[ونصرناهم فكانوا هم الغالبين] الضمير يعود على موسي وهارون وبني إسرائيل أي ونصرناهم على أعدائهم - الأقباط - فكانوا الغالبين عليهم بعد أن كانوا تحت أيديهم مقهورين

[وآتيناهما الكتاب المستبين] أي أعطيناهما الكتاب البليغ في بيانه ، الكامل في حدوده وأحكامه ، وهو التوراة

[وهديناهما الصراط المستقيم] أي وهديناهما الطريق المستقيم الذي لا إعوجاج فيه قال الطبرى : وهو الإسلام دين الله الذي ابتعث به أنبياءه

[وتركنا عليهما في الآخرين] أي تركنا عليهما الثناء الجميل ، والذكر الحسن

[سلام على موسي وهارون] أي سلام منا على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

موسى وهارون
[إنا كذلك نجزى المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين]
أي كذلك نفعل بمن أحسن وأخلص العبودية لله
[وإن إلياس لمن المرسلين] أي وإن إلياس - أحد أنبياء بني إسرائيل - لمن الرسل الكرام الذين أرسلتهم لهداية الخلق قال أبو السعود : هو إلياس بن ياسين من سبط هارون أخي موسى
[إذ قال لقومه ألا تتقون] أي حين قال لقومه من بني إسرائيل : ألا تخافون الله في عبادتكم غيره ؟
[أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين] أتعبدون هذا الصنم - المسمى بعلا - وتتركون عبادة ربكم أحسن الخالقين ؟
[الله ربكم ورب آبائكم الأولين] أي تتركون عبادة أحسن الخالقين ، الذي هو ربكم ورب آبائكم السابقين قال القرطبي : و " بعل " إسم صنم لهم كانوا يعبدونه ، وبذلك سميت مدينتهم " بعلبك " ، والمعني : أتدعون ربا اختلقتموه وهو هذا الصنم ، وتتركون أحسن من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقال له خالق وهو الله " ربكم ورب آبائكم الأولين ؟

[فكذبوه فإنهم لمحضرون] أي فكذبوا نبيهم فإنهم لمحضرون في العذاب

[إلا عباد الله المخلصين] أي لكن عباد الله المؤمنين فإنهم نجوا من العذاب

[وتركنا عليه في الآخرين] أي تركنا علي إلياس الثناء الحسن الجميل إلي يوم الدين

[سلام علي آل ياسين] أي سلام منا عليه وعلى آل ياسين قال المفسرون : المراد ب [آل ياسين] هو إلياس ومن آمن معه ، جمعوا معه تغليبا كما قالوا للمهلب وقومه المهلبون ، واختار الطبري أنه إسم لإلياس فيقال : إلياس ، وآل ياسين مثل ميكال وميكائيل ، وإن له اسمين فيسمى " إلياس " [وآل ياسين]

[إنا كذلك نجزى المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين] تقدم تفسيره ، وإنما ختم الآيات بعد ذكر كل رسول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالسلام عليه ، وبهاتين الآيتين الكريمتين ، لبيان فضل الإحسان والإيمان ، وإن هؤلاء الرسل الكرام كانوا جميعا من المتصفين بهذه الصفات ، فلذلك استحقوا التحية والسلام ، والذكر الحسن بين الأنام ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

[وإن لوطا لمن المرسلين] أي وإن لوطا لأحد رسلنا لهداية قومه

[إذ نجيناه وأهله أجمعين] أي اذكر حين خلصناه من العذاب هو ومن آمن معه من أهله وأولاده

[إلا عجوزا في الغابرين] أي إلا امرأته الكافرة فإنها لم تؤمن فكانت من الباقين في العذاب ، ومن الهالكين

[ثم دمرنا الآخرين] أي ثم أهلكنا المكذبين من قومه أشد إهلاك وأفظعه ، وذلك بقلب قراهم حيث جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ، ولهذا عبر ب " دمرنا "

[وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل] أي وإنكم يا أهل مكة لتمرون على منازلهم في أسفاركم وتشاهدون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آثار هلاكهم صباحا ومساءا وليلا ونهارا
[أفلا تعقلون] ؟ أي أتشاهدون ذلك ثم لا تعتبرون ؟
ألا تخافون أن يصيبكم مثل ما أصابهم ؟
[وإن يونس لمن المرسلين] أي وإن يونس لأحد رسلنا المرسلين لهداية قومه
[إذ أبق إلي الفلك المشحون] أي اذكر حين هرب إلي السفينة المملوءة بالرجال
[فساهم فكان من المدحضين] أي فقارع أهل السفينة فكان من المغلوبين بالقرعة فألقوه في البحر قال المفسرون : إن يونس ضاق صدرا بتكذيب قومه ، فأنذرهم بعذاب قريب ، وغادرهم مغضبا لأنهم كذبوه ، فقاده الغضب إلي شاطىء البحر ، حيث ركب سفينة مشحونة ، فناوأتها الرياح والأمواج ، فقال الملاحون : ههنا عبد أبق من سيده ، ولابد لنجاة السفينة من إلقائه في الماء لتنجو من الغرق ، فاقترعوا فخرجت القرعة علي يونس فألقوه في البحر
[فالتقمه الحوت وهو مليم] أي فابتلعه الحوت وهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آت بما يلام عليه ، من تخليه عن المهمة التي أرسله الله بها ، وترك قومه مغاضبا لهم ، وخروجه بغير إذن من ربه

[فلولا أنه كان من المسبحين] أي لو لا أنه كان من الذاكرين الله كثيرا في حياته

[للبث في بطنه إلي يوم يبعثون] أي لبقي في بطن الحوت إلي يوم القيامة ، وأصبح بطنه قبرا له فلم ينج أبدا ، ولكنه سبح الله واستغفره ، وناداه وهو في بطن الحوت بقوله [لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين] فاستجاب الله تضرعه ونداءه

[فنبذناه بالعراء وهو سقيم] أي فألقيناه من بطن الحوت على الساحل ، بالأرض الفضاء التي لا شجر فيها ولا ظل ، وهو سقيم مريض مما ناله من الكرب قال عطاء : أوحي الله تعالي إلي الحوت إني قد جعلت بطنك له سجنا ، ولم أجعله لك طعاما ، فلذلك بقى سالما لم يتغير منه شيء

[وأنبتنا عليه شجرة من يقطين] أي وأنبتنا فوقه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شجرة لتظله وتقيه حر الشمس ، وهي شجرة القرع ذات الأوراق العريضة قال ابن جزي : وإنما خص القرع بالذكر لأنه يجمع كبر الورق ، وبرد الظل ، والذباب لا يقربه ، فإن لحم يونس لما خرج من البحر كان لا يحتمل الذباب ، وكان هذا من تدبير الله ولطفه ، فلما استكمل قوته وعافيته ، رده الله إلي قومه ولهذا قال

[وأرسلناه إلي مائة ألف أو يزيدون] أي وأرسلناه بعد ذلك إلي قومه الذين هرب منهم ، وهم مائة ألف بل يزيدون قال المفسرون : كانوا مائة وعشرين ألفا وقيل : سبعين ألفا وهم أهل نينوي بجهة الموصل ، و " أو " بمعني بل أي بل يزيدون

[فآمنوا فمتعناهم إلي حين] أي فآمنوا بعد أن شاهدوا أمارات العذاب الذي وعدوا به فأبقيناهم ممتعين في الدنيا إلي حين إنقضاء آجالهم قال في التسهيل : روي أنهم خرجوا بالأطفال وأولاد البهائم ، وفرقوا بينهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبين الأمهات ، وناحوا وتضرعوا إلي الله ، فرفع الله العذاب عنهم. . ولما إنتهي من الحديث عن الرسل الكرام رجع إلي الحديث عن المكذبين من كفار مكة فقال

[فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون] ؟ أي إسال يا محمد واستخبر كفار مكة - علي سبيل التوبيخ والتقريع لهم - كيف زعموا أن الملائكة بنات الله ، فجعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور ؟ إنهم يكرهون البنات ولا يرضون نسبتهن لأنفسهم ، فكيف يرضونها لله عز وجل ويختصون بالبنين ؟

[أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون] توبيخ آخر علي بهتانهم واستهزاء بهم وتجهيل أي بل أخلقنا الملائكة الأطهار حين خلقناهم ، وجعلناهم إناثا وهم شاهدون لذلك ، حتي يقولوا مثل هذا البهتان ؟

[ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله] أي ألا فانتبهوا أيها الناس إن هؤلاء المشركين من كذبهم وإفترائهم ينسبون إلي الله الذرية والولد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإنهم لكاذبون] أي وهم كاذبون قطعا في قولهم : الملائكة بنات الله قال أبو السعود : والآية استئناف مسوق لإبطال أصل مذهبهم الفاسد ، ببيان أن مبناه ليس إلا الإفك الصريح ، والإفتراء القبيح ، من غير أن يكون لهم دليل قطعا

[أصطفي البنات علي البنين] ؟ توبيخ وتقريع أي هل إختار جل وعلا البنات وفضلهن علي البنين ؟

[ما لكم كيف تحكمون] تسفية لهم وتجهيل أي أي شيء حصل لكم حتي حكمتم بهذا الحكم الجائر ؟ كيف يختار لنفسه أخس الجنسين على زعمكم ؟

[أفلا تذكرون] أي أفليس لكم تمييز وإدراك ، تعرفون به خطأ هذا الكلام ؟ قال أبو السعود : أي أفلا تتذكرون بطلان هذا ببديهة العقل ، فإنه مركوز في عقل كل ذكي وغبي

[أم لكم سلطان مبين] توبيخ آخر أي أم لكم برهان بين وحجة واضحة على أن الله إتخذ الملائكة بنات له ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين] أي فأتوا بهذا الكتاب الذى يشهد بصحة دعواكم فيما تزعمون ؟ ! والغرض تعجيزهم وبيان أنهم لا يستندون - في أقوالهم الباطلة - علي دليل شرعي ، ولا منطق عقلى . . وينتقل إلي أسطورة أخري لفقها المشركون ، حيث زعموا أن هناك صلة بين الله سبحانه وبين الجن ، وأنه من التزاوج بين الله تعالي والجنة ولدت الملائكة فيقول [وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا] أي جعل المشركون بين الله وبين الجن قرابة ونسبا ، حيث قالوا أنه نكح من الجن فولدت له الملائكة ، سبحانه وتعالي عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، ثم زعموا أن الملائكة إناث ، وأنهن بنات الله

[ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون] أي لقد علمت الشياطين أنهم محضرون في العذاب قال الصاوي : وهذا زيادة في تبكيتهم وتكذيبهم كأنه قيل : هؤلاء الذين عظمتموهم وجعلتموهم بنات الله ، أعلم بحالكم وما يئول إليه أمركم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[سبحان الله عما يصفون] أي تنزه وتقدس الله عما يصفه به هؤلاء الظالمون

[إلا عباد الله المخلصين] استثناء منقطع أي لكن عباد الله المخلصين فإنهم ينزهون الله تعالي عما يصفه به هؤلاء

[فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم] أي فإنكم أيها الكفار وكل ما تعبدونه من الأصنام والشياطين ، لستم بقادرين علي أن تضلوا أحدا من عباد الله ، إلا من قضى الله عليه الشقاوة ، وقدر أنه يدخل النار ويصلاها ، ثم ذكر تعالي إعتراف الملائكة بالعبودية لله فقال

[وما منا إلا له مقام معلوم] أي وما منا ملك إلا له مرتبة ومنزلة ووظيفة لا يتعداها ، فمنا الموكل بالأرزاق ، ومنا الموكل بالآجال ، ومنا من يتنزل بالوحي ، ولكل منزلته من العبادة ، والتقريب ، والتشريف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإنا لنحن الصافون] أي الواقفون في العبادة صفوفا

[وإنا لنحن المسبحون] أي المنزهون الله سبحانه عن كل ما لا يليق بعظمته وكبريائه ، نسبح الله في كل وقت وحين قال في التسهيل : وفي هذا الكلام الذي قالته الملائكة رد على من قال أنهم بنات الله ، وشركاء الله ، لأنهم إعترفوا علي أنفسهم بالعبودية والطاعة لله ، والتنزيه له جل وعلا

[وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين] الضمير لكفار قريش و[إن] هي المخففة من " إن " الثقيلة أي وإن كان الحال والشأن أن كفار مكة كانوا - قبل أن ينزل عليهم القرآن - يقولون لو نزل علينا كتاب من كتب الأولين كالتوراة والأنجيل ، لكنا أعظم إيمانا منهم وأكثر عبادة وإخلاصا لله منهم ، فلما جاءهم القرآن كفروا به ، ولهذا قال

[فكفروا به] أي فكفروا وكذبوا بالقرآن أشرف الكتب السماوية

[فسوف يعلمون] أي فسوف يرون عاقبة كفرهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بآيات الله ، وهو وعيد وتهديد

[ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين] أي سبق وعدنا وقضاؤنا للرسل الكرام

[إنهم لهم المنصورون] أي إنهم هم المنصورون علي أعدائهم ، والإشارة إلي قوله تعالي [كتب الله لأغلبن أنا ورسلي]

[وإن جندنا لهم الغالبون] أي وإن جندنا المؤمنين لهم الغالبون في الدنيا والآخرة ، في الدنيا بالحجة والبرهان ، وفي الآخرة بدخول الجنان قال المفسرون : نصر الله للمؤمنين محقق ، ولا يقدح في ذلك انهزامهم في بعض المعارك ، فإن القاعدة هي بالظفر والنصرة ، وإنما يغلبون في بعض الأحيان بسبب تقصير منهم أو إبتلاء ومحنة

[فتول عنهم حتي حين] أي أعرض عنهم يا محمد إلي مدة يسيرة ، إلي أن تؤمر بقتالهم

[وأبصرهم فسوف يبصرون] أي وأبصرهم حين ينزل بهم العذاب ، فسوف يبصرون عاقبة كفرهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أفبعذابنا يستعجلون] ؟ استفهام إنكاري للتهديد أي أيستعجلون بعذاب الله ؟ روي أنه لما نزل [فسوف يبصرون] استهزءوا وقالوا متي هذا يكون ؟ فنزلت الآية ثم قال تعالي

[فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين] أي لا يستبعدوا ذلك فإن العذاب إذا نزل بفناء المكذبين ، فبئس هذا الصباح صباحهم ، شبهه بجيش هجم عليهم وقت الصباح فقطع دابرهم

[وتول عنهم حتي حين وأبصر فسوف يبصرون] كرره تأكيدا للتهديد وتسلية للرسول(ص) ،

[سبحان ربك رب العزة عما يصفون] أي تنزه وتقدس ذو العزة والجبروت عما يصفه به المشركون

[وسلام علي المرسلين والحمد لله رب العالمين] أي وسلام منا على الرسل الكرام ، والحمد لله في البدء والختام ، لله رب الخلائق أجمعين ! ! نزه تعالي نفسه عما وصفه به الكفار مما لا يليق به سبحانه ، فإنه حكى عنهم في هذه السورة أقوالا كثيرة شنيعة ، وختم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بتعميم السلام على الرسل الكرام وبحمده سبحانه ، وهو تعليم للعباد أساس الحمد والثناء على الله ورسله .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الطبا ق بين [تدعون . . وتذرون] وبين [البنات . . والبنين] .

2 - تتابع التوبيخ وتكراره مثل [ألربك البنات] ؟ [أم خلقنا الملائكة إناثا] ؟ [ما لكم كيف تحكمون] ؟ [أفلا تذكرون] ؟ [أم لكم سلطان مبين] ؟ وكلها للتوبيخ والتبكيت .

3 - التأكيد بعدة مؤكدات لتحقيق المعني وتقريره مثل [إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون] فقد أكدت كل من الجملتين بإن واللام .

4 - الاستعارة التصريحية [إذ أبق إلي الفلك المشحون] شبه خروجه بغير إذن ربه بإباق العبد من سيده .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

5 - الالتفات من الخطاب إلي الغيبة [وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا] الأصل وتجعلون ، والالتفات للإشارة إلي أنهم ليسوا أهلا للخطاب ، وهم بعيدون من رحمة رب الأرباب .

---

6 - الاستعارة التمثيلية [فإذا نزل بساحتهم] مثل للعذاب النازل بهم بجيش هجم عليهم ، فأناخ بفنائهم بغتة ، ونصحهم بعض النصاح فلم يلتفتوا إلي إنذاره ، ولا أخذوا أهبتهم ، حتى اجتاحهم الجيش . قال الزمخشرى : وما فصحت هذه الجملة ولا كانت لها الروعة التي يروقك موردها إلا لمجيئها على طريقة التمثيل.

فائدة :

روي ابن أبي حاتم عن الشعبي قال : قال رسول الله(ص) : (من سره أن يكتال بالمكيال الأوفي فليقل آخر مجلسه حين يريد أن يقوم [سبحان ربك رب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العزة عما يصفون وسلام علي المرسلين والحمد لله رب العالمين] .

سورة ص

مكية وآياتها ثمان وثمانون آية

بين يدي السورة

سورة ص مكية ، وهدفها نفس هدف السور المكية ، التي تعالج أصول العقيدة الإسلامية

*ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بالقرآن المعجز المنزل على النبي الأمي ، المشتمل على المواعظ البليغة ، والأخبار العجيبة - على أن القرآن حق ، وأن محمدا نبي مرسل [ص . والقرآن ذي الذكر . بل الذين كفروا في عزة وشقاق . .] الآيات .

*ثم تحدثت عن الوحدانية وإنكار المشركين لها ، ومبالغتهم في العجب من دعوة الرسول (ص) لهم إلي توحيد الله [أجعل الآلهة إلها واحدا ؟ إن هذا لشيء عجاب] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

*وانتقلت السورة لتضرب الأمثال لكفار مكة بمن سبقهم من الطغاة المتجبرين ، الذين أسرفوا بالتكذيب والضلال ، وما حل بهم من العذاب والنكال ، بسبب إفسادهم وإجرامهم [كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد] الآيات .

* ثم تناولت قصص بعض الرسل الكرام ، تسلية للنبي عليه الصلاة والسلام ، عما يلقاه من كفار مكة من الاستهزاء والتكذيب ، وتخفيفا لآلامه وأحزانه ، فذكرت قصة نبي الله (داود) ، وولده (سليمان) ، الذي جمع الله له بين النبوة والملك ، وما نال كلا منهما من الفتنة والابتلاء ، ثم أعقبتها بذكر فتنة (أيوب ، وإسحاق ويعقوب ، وإسماعيل وذا الكفل) ، هكذا في عرض سريع لبيان سنة الله ، في إبتلاء أنبيائه وأصفيائه [اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب . .] الآيات .

*وأشارت السورة الكريمة إلي دلائل القدرة والوحدانية ، في هذا الكون المنظور وما فيه من بدائع الصنعة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للتنبيه على أن هذا الكون لم يخلق عبثا ، وأنه لابد من دار ثانية يجازي فيها المحسن والمسيء [وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . .] الآيات .

* وختمت السورة الكريمة ببيان وظيفة الرسول ومهمته الأساسية التي هي مهمة جميع الرسل الكرام [قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار . رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار . .] الآيات .

التسمية :

تسمى السورة الكريمة " سورة ص " وهو حرف من حروف الهجاء للإشادة بالكتاب المعجز الذي تحدى الله به الأولين والآخرين ، وهو المنظوم من أمثال هذه الحروف الهجائية .

اللغة :

[عزة] تكبر وامتناع عن قبول الحق ، وأصلها الغلبة والقهر ومنه قولهم " من عزيز " يعني من غلب سلب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[شقاق] مخالفة ومباينة

[مناص] المناص : الملجأ والغوث والخلاص

[عجاب] بالغ الغاية في العجب قال الخليل : العجيب : العجب ، والعجاب الذي قد تجاوز حد العجب

[اختلاق] كذب وافتراء

[فواق] الفواق : الاستراحة الإفاقة قال الجوهري : الفواق والفواق : ما بين الحلبتين من الوقت ، لأنها تحلب ثم تترك ساعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب وقوله تعالى : [ما لها من فواق] أي ما لها من انتظار وراحة لافاقة

[قطنا] القط : الحظ والنصيب

[الأبد] القوة في العبادة والطاعة

[تسوروا] تسور الحائط علا أعلاه وتسلقه ، والسور : الحائط

[تشطط] قال علماء اللغة الشطط : مجاوزة الحد وتخطي الحق ، يقال : شط في الحكم أي جار فيه ولم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يعدل ، والأصل فيه : البعد من شطت الدار بمعني بعدت . تفسيرسورة ص

التفسير :

[ص] تقدم الكلام على الحروف الهجائية ، وبينا أن فيها إشارة إلى إعجاز القرآن

[والقرآن ذى الذكر] قسم أقسم به الباري جل وعلا أي والقرآن ذي الشرف الرفيع ، وذي الشأن والمكانة ، وجواب القسم محذوف تقديره إن هذا القرآن لمعجز ، لأن محمدا لصادق قال ابن عبس : [ذي الذكر] أي ذي الشرف

[بل الذين كفروا في عزة وشقاق] أي بل الكافرون في حمية وتكبر عن الإيمان ، وفي خلاف وعداوة للرسول ، قال البيضاوي : أي ما كفر من كفر بالقرآن لخلل! وجده فيه بل الذين كفروا به [في عزة] أي استكبار عن الحق [وشقاق] أي خلاف لله ولرسوله ، ولذلك كفروا به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[كم أهلكنا من قبلهم من قرن] أي كم أهلكنا قبل أهل مكة ، من أمم كثيرة من القرون الخالية ، لكبرهم عن الحق ومعاداتهم لرسلهم ، قال أبو السعود : والآية وعيد لأهل مكة على كفرهم واستكبارهم ببيان ما أصاب من قبلهم من المستكبرين

[فنادوا ولات حين مناص] أي فاستغاثوا واستجاروا عند نزول العذاب طلبا للنجاة ، وليس الحين حين فرار ومهرب ونجاة ، قال ابن جزي : المعنى أن القرون الذين هلكوا دعوا واستغاثوا حين لم ينفعهم ذلك ، إذ ليس الحين الذي دعوا فيه حين مناص أي مفر ونجاة من ناص ينوص إذا فر ، " ولات " بمعنى ليس ، وأصلها لا النافية زيدت عليها علامة التأنيث

[وعجبوا أن جاءهم منذر منهم] أي وعجب المشركون من بعثة محمد(ص) ، واستبعدوا أن يبعث الله رسولا من البشر

[وقال الكافرون هذا ساحر كذاب] أي وقال كفار مكة : إن محمدا ساحر فيما يأتي به من المعجزات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[كذاب] أي مبالغ في الكذب في دعوى أنه رسول الله ، وإنما وضع الاسم الظاهر [الكافرون] مكان الضمير " وقالوا " غضبا عليهم ، وذما لهم ، وتسجيلا لجريمة الكفر عليهم ، فإن هذا الإتهام لا يقوله إلا المتوغلون في الكفر والفسوق

[أجعل الآلهة إلها واحدا] ؟ أي أزعم أن الرب المعبود واحد لا إله إلا هو ؟

[إن هذا لشئ عجاب] أي إن هذا الذي يقوله محمد – أن الإله واحد - شيء بليغ في العجب قال ابن كثير : أنكر المشركون ذلك - قبحهم الله - وتعجبوا من ترك الشرك بالله ، فإنهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان ، وأشربته قلوبهم ، فلما دعاهم رسول الله(ص) ، إلى خلع الأوثان وإفراد الإله بالوحدانية ، اعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا : [أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب] قال المفسرون : إن قريشا اجتمعوا وقالوا لأبي طالب : كف إبن أخيك عنا ، فإنه يعيب ديننا ، ويذم آلهتنا ، ويسفه أحلامنا ، فدعاه أبو طالب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكلمه في ذلك ، فقال (ص) يا عم : إنما أريد منهم كلمة واحدة ، يملكون بها العجم ، وتدين لهم بها العرب ، فقال أبو جهل والمشركون : نعم نعطيكها وعشر كلمات معها! ! فقال قولوا : " لا إله الا الله " فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم ويقولون : [أجعل الآلهة إلها واحدا . .] ؟ فنزلت الآيات

[وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم] أي وانطلق أشراف قريش ورؤساء الضلال فيهم ، وخرجوا من عند الرسول ، يقول بعضهم لبعض : امشوا واصبروا على عبادة آلهتكم ، ولا تطيعوا محمدا فيما يدعوكم إليه من عبادة الله الواحد الأحد

[إن هذا لشيء يراد] أي هذا أمر مدبر ، يريد من ورائه محمد أن يصرفكم عن دين آبائكم ، لتكون له العزة والسيادة عليكم ، فاحذروا أن تطيعوه

[ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة] أي ما سمعنا بمثل هذا القول في ملة النصرانية التي هي آخر الملل ، فإنهم يقولون بالتثليث لا بالتوحيد ، فكيف يزعم محمد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن الله واحد ؟ قال ابن عباس : يعنون بالملة الآخرة (دين النصرانية) وقال مجاهد وقتادة : يعنون دين قريش أي ليس هذا في الدين الذي أدركنا عليه آباءنا [إن هذا إلا إختلاق] أي ما هذا الذي يدعيه محمد إلا كذب وإفتراء ، ثم انكروا اختصاصه عليه السلام بالوحي من بينهم فقالوا :

[أأنزل عليه الذكر من بيننا] ؟ الاستفهام للإنكار أي هل تنزل القرآن على محمد دوننا ، مع أن فينا من هو أكثر منه مالا ، وأعلى رياسة ؟ قال الزمخشري : انكروا أن يختص(ص) بالشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم ، وهذا الإنكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم ، من الحسد على ما أوتي من شرف النبوة من بينهم

[بل هم في شك من ذكري] إضراب عن محذوف تقديره : إنكارهم للذكر - يعني القرآن - ليس عن علم ، بل هم في شك منه فلذلك كفروا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[بل لما يذوقوا عذاب] إضراب انتقالي وغرضه التهديد ، والمعنى : سبب شكهم أنهم لم يذوقوا العذاب إلى الآن ، ولو ذاقوه لأيقنوا بالقرآن وآمنوا به

[أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب] ؟ هذا رد على المشركين فيما أنكروا من اختصاص محمد (ص) بالنبوة ، والمعنى : هل عندهم خزائن رحمته تعالى حتى يعطوا النبوة من شاءوا ، ويمنعوها من شاءوا ؟ قال البيضاوي : يريد أن النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده ، فإنه [العزيز] أي الغالب الذي لا يغلب [الوهاب] أي الذي له أن يهب ما يشاء لمن يشاء

[أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما] ؟ أي هل لهم شيء من ملك السموات والأرض ؟ وهو إنكار وتوبيخ

[فليرتقوا في الأسباب] أي إن كان لهم شيء من ذلك ، فليصعدوا في المعارج التي توصلهم إلى السماء ، وليدبروا شئون الكون ؟ وهو تهكم بهم وإستهزاء ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرمخشري : تهكم بهم غاية التهكم فقال : إن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق ، والتصرف في قسمة الرحمة ، وكان عندهم من الحكمة ما يميزون بها ، بين من هو حقيق بالنبوة من غيره ، فليصعدوا في المعارج التي يتوصلون بها الى العرش ، حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم ، وينزلوا الوحي على من يختارون ، وهو غاية التهكم بهم)

[جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب] التنكير للتقليل والتحقير ، و[ما] لتأكيد القلة أي ما هم إلا جند من الكفار ، المتحزبين على رسل الله ، هم عما قليل يهزمون ويولون الأدبار ، فلا تبال بما يقولون ، ولا تكترث بما يهذون . . ثم أخبر تعالى عما نال أسلافهم الكفار من العذاب والدمار فقال :

[كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد] أي كذب قبل كفار قريش ، أمم كثيرون منهم قوم نوح ، وقوم هود وهم قبيلة (عاد) وفرعون الجبار ، ذو الملك الثابت بالأوتاد أو ذو الجموع الكثيرة ، قال بعض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المفسرين : سمي بذي الأوتاد لأنه كان يوتد من يريد تعذيبه بأربعة أوتاد في يديه ورجليه ويتركه حتى يموت وقيل : لأنه صاحب الأهرامات والمباني العظيمة الثابتة التي تقوم في الأرض كالأوتاد

[وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة] أي وكذبت ثمود وهم (قوم صالح) ، وقوم لوط ، وأصحاب الأيكة أي الشجر الكثير الملتف وهم (قوم شعيب)

[أولئك الأحزاب] أي أولئك هم الكفار الذين تحزبوا على رسلهم فأهلكهم الله ، فليحذر هؤلاء المكذبون لرسول الله أن يصيبهم ما أصاب أسلافهم

[إن كل إلا كذب الرسل] أي ما كل من هؤلاء الأحزاب والأمم ، إلا كذب رسوله الذي أرسل إليه

[فحق عقاب] أي فثبت ووجب عليهم عقابي ، وحذفت الياء مراعاة لرءوس الآيات

[وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة] أي وما ينتظر هؤلاء المشركون كفار مكة ، إلا نفخة واحدة ينفخ فيها إسرافيل في الصور فيصعقون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ما لها من فواق] أي ليس لها من توقف ولا تكرار ، قال ابن عباس : أي ما لها من رجوع قال المفسرون : أي إن هذه الصيحة إذا جاءت لا تستأخر ولو فترة قصيرة ، مقدار فواق ناقة وهي المسافة بين الحلبتين ، لأنها تجيء في موعدها المحدد ، الذي لا يتقدم ولا يتأخر ، قال الزمخشري : يريد أنها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد

[وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب] أي وقال كفار مكة على سبيل الاستهزاء والسخرية : عجل لنا يا ربنا نصيبنا من العذاب الذي وعدتنا به ، ، قبل أن يجيء يوم القيامة ، إن كان الأمر كما يقول محمد ، قال المفسرون : وإنما قالوا هذا على سبيل الاستهزاء ، كقوله تعالى : [ويستعجلونك بالعذاب] قال تعالى لرسوله :

[اصبر على ما يقولون] أي اصبر يا محمد على تكذيبهم ، فإن الله ناصرك عليهم ، قال الصاوي : وفيه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تسلية للرسول(ص) ، وتهديد للكفار

[واذكر عبدنا داود ذا الأيد] أي وتذكر عبدنا داود ، ذلك النبي الشاكر الصابر ، ذا القوة في الدين ، والقوة في البدن ، فقد كان يصوم يوما ويفطر يوما ، وكان يقوم نصف الليل

[إنه أواب] أي كثير الرجوع والإنابة إلى الله ، والأواب : الرجاع الى الله ، قال أبو حيان : لما كانت مقالة المشركين تقتضي الاستخفاف بالدين ، أمر تعالى نبيه بالصبر على أذاهم ، وذكر قصصا للأنبياء (داود ، وسليمان ، وأيوب) وغيرهم ، وما عرض لهم فصبروا ، حتى فرج الله عنهم ، وصارت عاقبتهم أحسن عاقبة ، فكذلك أنت تصبر ويئول أمرك إلى أحسن مآل

[إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق] أي سخرنا الجبال لداود تسبح معه في المساء والصباح ، وتسبح الجبال حقيقة وكان معجزة لداود عليه السلام كما قال تعالى : [يا جبال أوبي معه والطير]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والطير محشورة كل له أواب] أي وسخرنا له الطير مجموعة إليه تسبح معه ، كل من الجبال والطير رجاع إلى طاعته تعالى ، بالتسبيح والتقدير ، قال ابن كثير : كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجيعه ، إذا مر به الطير وهو سابح في الهواء فسمعه يترنم بقراءة الزبور يقف في الهواء ، ويسبح معه ، وكذلك الجبال الشامخات كانت ترتجع معه وتسبح تبعا له ، قال قتادة : [أواب] أى مطيع

[وشددنا ملكه] أي قوينا ملكه وثبتناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود

[وآتيناه الحكمة] أي أعطيناه النبوة والفهم والإصابة في الأمور

[وفصل الخطاب] أي الكلام البين الذي يفهمه من يخاطب به قال مجاهد : يعني إصابة القضاء وفهمه وقال القرطبي : البيان الفاصل بين الحق والباطل قال المفسرون : كان ملك داود قويا عزيزا ، وكان يسوسه بالحكمة والحزم معا ، ويقطع ويجزم برأي لا تردد فيه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، مع الحكمة والقوة ، وذلك غاية الكمال في الحكم والسلطان

[وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب] هذا الإستفهام للتعجيب وتشويق السامع الى ما يلقى إليه ، كما تقول لجليسك : هل نعلم ما وقع اليوم ؟ تريد تشويقه لسماع كلامك ، والمعنى : هل أتاك يا محمد خبر الجماعة المتنازعين الذين تسوروا على داود مسجده ، في وقت اشتغاله بالعبادة والطاعة ؟

[إذ دخلوا على داود ففزع منهم] أي حين دخلوا عليه من أعلى السور فخاف وارتعد منهم ، قال المفسرون : وإنما فزع داود منهم ، لأنهم دخلوا عليه بغير إذن ، ودخلوا من غير الباب ، في وقت كان قد خصصه للعبادة

[قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض] أي لا تخف منا فنحن فوجان مختصمان تعدى بعضنا على بعض

[فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط] أي فاحكم بيننا بالعدل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، ولا تجر ولا تظلم في الحكم
[واهدنا الى سواء الصراط] أي وأرشدنا إلى وسط الطريق يعني إلى الطريق الحق الواضح

[إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة] هذه بداية قصة الخصمين أي قال أحدهما : إن صاحبي هذا يملك تسعة وتسعين نعجة - وهي أنثى الضأن - وأملك أنا نعجة واحدة قال المفسرون : وقد يكنى بها عن المرأة فيكون الغرض أن عنده تسعا وتسعين امرأة وعندي امرأة واحدة ((وقع بعض المفسرين في خطأ فاحش حين نقلوا بعض الأقوال الواهية في تفاسيرهم اعتمادا على ما جاء عند أهل الكتاب من غير تحقيق ولا تمحيص ، مما لم يصح سنده ولا يجوز اعتماده ، لأنه من القصص الاسرائيلية التي تتنافى مع العقيدة الاسلامية في " عصمة الأنبياء " . من هذه الأباطيل المدسوسة ما روي من أمر عشقه لزوجة قائد جيشه وخلاصتها " أن داود كان يمشي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على سطح داره فنظر إلى امرأة تستحم فأعجبته وعشقها ، وكانت زوجة أحد قواده ويسمى " أوريا " فأراد أن يتخلص منه ليتزوج بها ، فأرسله في إحدى المعارك وحمله الراية وأمره بالتقدم فانتصر ، فأرسله مرارا ليتخلص منه حتى قتل فتزوجها . . " الخ ما هنالك من الكذب والبهتان قال ابن كثير : وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصصا وأخبارا أكثرها إسرائيليات ، ومنها ما هو مكذوب لا محالة ، تركنا ايرادها في كتابنا قصدا ، اكتفاء بمجرد تلاوة القصة من القرآن الكريم ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . وقال البيضاوى : وما قيل إنه أرسل " أوريا " مرارا إلى الحرب ، وأمره أن يتقدم حتى قتل فتزوجها داود ، فزور وإفتراء ، ولذلك قال على رضى الله عنه " من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة " وهو حد الفرية على الانبياء . والصحيح فى موضوع هذه القصة ما ذكره المحققون من أئمة التفسير وعلمائه الأعلام ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبيان هذه القصة أن داود عليه السلام كان يخصص بعض وقته لتصريف شوؤن الملك ، وللقضاء بين الناس ، ويخصص البعض الاخر للخلوة والعبادة ، وترتيل الزبور تسبيحا لله فى المحراب ، وكان إذا دخل المحراب للعبادة والخلوة لم يدخل إليه أحد حتى يخرج هو إلى الناس ، و فى ذات يوم فوجىء بشخصين يتسوران المحراب الذى يتعبد فيه ، ففزع منهما واضمر فى نفسه أن يبطش بهما ، فبادرا يطمئنانه أنهما خصمان اختلفا فى أمر بينهما ، وبدأ أحدهما فعرض خصومته كما قصها القرآن الكريم فى آياته البينات . والقضية كما عرضها أحد الخصمين تحمل ظلما صارخا مثيرا لا يحتمل التأويل ، ومن ثم اندفع داود يقضى على إثر سماعه لهذه المظلمة الصارخة ، ولم يوجه إلى الخصم الآخر حديثا ، ولم يطلب إليه بيانا ، ولم يسمع له حجة ، ولكنه مضى يحكم بقوله : " لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه .... " إلى آخر الايات فعاتبه الله على ذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونبهه إلى ضرورة تثبت القاضى من حكمه ، وسماعه للخصم الاخر ... أما ما قاله البعض إعتمادا على بعض الروايات الاسرائيلية مما ذكرناه وحذرنا منه ، فإنه لا يصح بالنسبة إلى عوام المسلمين وجهلة الفساق ، فما بالك بالأنبياء بل بخواص الأنبياء " فليتدبر هذا من له عقل سليم ودين قويم ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم "

[فقال أكفلنيها] أي ملكنيها واجعلها تحت كفالتي

[وعزني في الخطاب] أي غلبني في الخصومة ، وشدد علي في القول وأغلظ

[قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه] أي قال له داود لقد ظلمك بهذا الطلب حين أراد انتزاع نعجتك منك ليكمل ما عنده الى مائة

[وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض] أي وإن الكثيرين من الشركاء ليتعدى بعضهم على بعض

[إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم] أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلا المؤمنين الذين يعملون الصالحات فإنهم لا يبغون وهم قليل

[وظن داود أنما فتناه] أي علم وأيقن أنما اختبرناه بهذه الحادثة وتلك الحكومة

[فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب] أي طلب المغفرة من الله وخر ساجدا لله تعالى ، ورجع إليه بالتوبة والندم على ما فرط منه ، قال أبو حيان : وذكر المفسرون في هذه القصة أشياء لا تناسب مناصب الأنبياء ، ضربنا عن ذكرها صفحا ، والذي يدل عليه ظاهر الآية ، من أن المتسورين المحراب كانوا من الإنس ، دخلوا عليه من غير المدخل وفي غير وقت جلوسه للحكم ، وأنه فزع منهم ظنا منه أنهم يغتالونه ، إذ كان منفردا في محرابه لعبادة ربه ، فلما اتضح له أنهم جاءوا في حكومة ، وبرز منهم إثنان للتحاكم كما قص الله تعالى فاستغفر من ذلك الظن ، وخر ساجدا لله عز وجل ، ونحن نعلم قطعا أن الأنبياء معصومون من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخطايا ، إذ لو جوزنا عليهم شيئا من ذلك لبطلت الشرائع ، ولم نثق بشيء مما يذكرون ، فما حكى الله في كتابه يمر على ما أراده الله ، وما حكى القصاص مما فيه غض من منصب النبوة طرحناه ثم قال تعالى :

[فغفرنا له ذلك] أي فسامحناه وعفونا عنه ذلك الظن السيىء بالرجلين قال ابن كثير : أي غفرنا له ما كان منه مما يقال فيه : " حسنات الأبرار سيئات المقربين "

[وإن له عندنا لزلفى] وإن له لقربة وكرامة بعد المغفرة

[وحسن مآب] أي وحسن مرجع في الآخرة

[يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض] أي استخلفناك على الناس لتدبير شئونهم ومصالحهم

[فاحكم بين الناس بالحق] أي فاحكم بينهم بالعدل وبشريعة الله التي أنزلها عليك

[ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله] أي لا تتبع هوى النفس في الحكومات وغيرها ، فيضلك إتباع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الهوى عن دين الله القويم ، وشرعه المستقيم

[إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد] أي إن الذين ينحرفون عن دين الله وشرعه ، لهم عذاب شديد يوم القيامة

[بما نسوا يوم الحساب] أي بسبب نسيانهم وتركهم سلوك سبيل الله ، وعدم إيمانهم بيوم الحساب ، لأنهم لو آمنوا به لأعدوا الزاد ليوم المعاد ، قال أبو حيان : وجعله تعالى داود خليفة في الأرض يدل على مكانته عليه السلام وإصطفائه له ، ويدفع في صدر من نسب إليه شيئا مما لا يليق بمنصب النبوة.

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - المجاز المرسل [كم أهلكنا من قبلهم من قرن] القرن مائة عام والهلاك لأهله ، ففيه مجاز مرسل ، من إطلاق القرن وإرادة أهل ذلك الزمان .

2 - وضع الظاهر مكان الضمير [وقال الكافرون]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بدل وقالوا ، لتسجيل جريمة الكفر عليهم .

3 - صيغة المبالغة في كل من [كذاب ، العزيز ، الوهاب ، أواب] .

4 - التنوين للتقليل والتحقير وزيادة [ما] لتأكيد القلة [جند ما هنالك] .

5 - تأكيد الجملة الخبرية بإن واللام لزيادة التعجب والإنكار [إن هذا لشيء عجاب] .

6 - الاستعارة البليغة [وفرعون ذو الأوتاد] شبه الملك بخيمة عظيمة شدت أطنابها بالأوتاد ، لتثبت وترسخ ولا تقتلعها الرياح ففيه استعارة مكنية وذكر الأوتاد تخييل .

7 - الطباق [يسبحن بالعشي والاشراق] لأن المراد المساء والصباح .

8 - أسلوب التشويق [وهل أتاك نبأ الخصم] ورد الأسلوب بطريق التشويق لسماع القصة .

9 - أسلوب الإطناب [ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله] إلخ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

10 - توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات مثل [إن هذا لشيء عجاب . . فليرتقوا في الأسباب . . جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب] مما يزيد في روعة الكلام وجماله .

لطيفة :

روى ابن كثير أن أبا زرعة دخل على الوليد بن عبد الملك فقال له الوليد : أخبرني أيحاسب الخليفة ؟ فإنك قد قرأت القرآن وفقهت فقال : يا أمير المؤمنين أقول ؟ قال : قل في أمان الله ، قال يا أمير المؤمنين : أنت أكرم على الله أو (داود) عليه الصلاة والسلام ؟ إن الله تعالى جمع له بين الخلافة والنبوة ، ثم توعده في كتابه فقال : [يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله . .] الآية ، فكانت هذه الكلمات موعظة بليغة للخليفة الوليد ، تأثر بها بالغ التأثر .

قال الة تعالى : [وما خلقنا السماء والأرض وما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بينهما . .] إلى قوله [إن هذا لرزقنا ما له من نفاد] . من آية (27) إلى نهاية آية (54) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى إنكار المشركين للقرآن والرسالة ، والحشر والنشر ، وأعقبها بذكر قصة داود تسلية للنبي (ص) ، ذكر هنا بعض البراهين على البعث والنشور ، ثم بين الحكمة من نزول القرآن ، ثم تابع الحديث عن قصة " سليمان بن داود " تتميما وتكميلا للهدف السامي من ذكر قصص القرآن .

اللغه :

[الألباب] العقول واحدها لب ، ولب الشيء صفوته وخلاصته ولذلك سمي العقل لبا

[الصافنات] الخيول الواقفة على ثلاثة قوائم وطرف حافر الرابعة جمع صافن ، قال الفراء : الصافن في كلام العرب الواقف من الخيل أو غيرها ، قال الشاعر : تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة أعنتها صفونا

[الجياد] السراع السوابق فى العدو قال المبرد :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجياد جمع جواد وهو الشديد الجري كما أن الجواد من الناس هو السريع البذل

[توارت] إختفت

[رخاء] لينة أو منقادة حيث أراد

[الأصفاد] سلاسل الحديد والأغلال واحدها صفد وفي الحديث " صفدت الشياطين " أي ربطت بالسلاسل ، قال ا لشا عر : فآبوا بالنهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفدينا

[ضغثا] الضغث : حزمة من الحشيش أو غيره مختلطة الرطب باليابس ، وأصله : الشيء المختلط ومنه أضغاث أحلام ، للرؤيا المختلطة .

التفسير :

[وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا] أي ما خلقنا هذا الكون البديع ، بما فيه من المخلوقات العجيبة عبثا وسدى

[ذلك ظن الذين كفروا] أي خلق ما ذكر لا لحكمة ، هو ظن الكفار الفجار الذين لا يؤمنون بالبعث والنشور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فويل للذين كفروا من النار] أي فويل للكفار من عذاب النار . . ثم وبخهم تعالى على هذا الظن السىء ، فقال سبحانه :

[أم نجعل الذين أمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض] ؟ أي هل نجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين ؟

[أم نجعل المتقين كالفجار] ؟ أي أم نجعل الأخيار الأبرار كالأشرار الفجار ؟والغرض : أنه لا يتساوى في حكمته تعالى المحسن مع المسيء ، ولا البر مع الفاجر ، ففي الآية استدلال على الحشر والجزاء ، وفيها أيضا وعد ووعيد ، قال ابن كثير : بين تعالى أنه ليس من عدله وحكمته أن يساوي بين المؤمنين والكافرين ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلابد من جزاء يثاب فيها المطيع ، ويعاقب فيها الفاجر ، وقد دلت العقول السليمة على أنه لابد من جزاء ومعاد ، فإنا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت دون عقاب ، ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فلابد في حكمة الحكيم العليم ، إنصاف هذا من هذا ، وإذا لم يقع هذا في هذه الدار ، فتعين أن هناك دارا أخرى لهذا الجزاء والمواساة وهي الدار الآخرة. . ثم بين تعالى الغاية من نزول القرآن وهي العمل والتفكر فقال :

[كتاب أنزلناه إليك مبارك] أي هذا الكتاب الذي أنزلناه عليك يا محمد كتاب عظيم جليل ، كثير الخيرات والمنافع الدينية والدنيوية

[ليدبروا آياته] أي أنزلناه ليتدبروا آياته ، ويتفكروا بما فيها من الأسرار العجيبة ، والحكم الجليلة

[وليتذكر أولوا الألباب] أي وليتعظ بهذا القرآن أصحاب العقول السليمة قال الحسن البصري : والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده ، حتى إن أحدهم ليقول : والله لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفا ، وقد أسقطه والله كله ، ما يرى للقرآن عليه أثر ، في خلق ولا عمل 00 اللهم اجعلنا ممن قرأه وتدبره وعمل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بما فيه

[ووهبنا لداود سليمان] شروع في بيان قصة سليمان بن داود عليهما السلام أي رزقنا عبدنا داود الولد الصالح المسمى " سليمان " وأعطيناه النبوة ، قال المفسرون : المراد بالهبة هنا هبة النبوة كما قال تعالى : [وورث سليمان داود] أي في النبوة ، وإلا فقد كان له أولاد كثيرون غيره

[نعم العبد إنه أواب] أي نعم العبد (سليمان) فإنه كان كثير الرجوع الى الله بالتوبة والإنابة

[إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد] أي اذكر حين عرض على سليمان عشية يوم من الأيام - أي بعد العصر - الخيل الواقفة على طرف الحافر ، السريعة الجري ، قال الرازي : وصفت تلك الخيل بوصفين : الأول : الصفون وهو صفة دالة على فضيلة الفرس ، والثاني : الجياد وهي الشديدة الجري ، والمراد وصفها بالفضيلة والكمال في حالي الوقوف والحركة ، فإذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، وإذا جرت كانت سراعا في جريها

[فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي] أي آثرت حب الخيل حتى شغلتني عن ذكر الله ، قال المفسرون : عرضت عليه آلاف من الخيل تركها له أبوه ، فأجريت بين يديه عشيا فتشاغل بحسنها وجريها ومحبتها عن ذكر له خاص حتى غابت الشمس

[حتى توارت بالحجاب] أي حتى غابت الشمس واختفت عن الأنظار

[ردوها علي] أي قال سليمان ردوا هذه الخيل علي

[فطفق مسحا بالسوق والأعناق] أي فشرع يذبحها ويقطع أرجلها تقربا إلى الله ، لتكون طعاما للفقراء لأنها شغلته عن ذكر الله ، قال الحسن : لما ردت عليه قال : لا والله لا تشغليني عن طاعة ربي ، ثم أمر بها فعقرت ، وكذلك قال السدي ، وأما قول من قال : إنها شغلته عن صلاة العصر حتى غابت الشمس فضعيف ، لأنه لا يتصور من نبي أن يترك صلاة العصر من أجل اشتغاله بالدنيا ، والنص صريح [عن ذكر ربى]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

((روي عن ابن عباس أنه قال : جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حبا لها وتكرمة ، وهذا القول اختاره ابن جرير ، والأظهر قول الحسن البصري والسدي أنه ضرب أعناقها بالسيف ونحرها لأنها شغلته عن طاعة ، ولهذا عوضه الله ما هو خير منها الريح التي هي اسرع من الخيل ، وما نحرها لإتلاف المال ، لانما لتكون طعاما للمساكين)).

[ولقد فتنا سليمان وألقينا عل كرسيه جسدا ثم أناب] هذه إشارة إلى ابتلاء آخر لسليمان ابتلي به ، ثم تاب وأناب من تلك الهفوة والزلة ، ولعل هذه الفتنة ما روي في الصحيح عن أبي هريرة أن النبي(ص) ، قال : (قال سليمان : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة ، كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله - ولم يقل : إن شاء الله -فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل ، والذي نفسي بيده : لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون)قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ابن كثير : " وقد أورد بعض المفسرين آثارا كثيرة عن جماعة من السلف ، وأكثرها أوكلها متلقاة من الإسرائيليات ، وفي كثير منها نكارة شديدة ((اشار ابن كثير إلى ما ذكره بعض المغرمين بالروايات الضعيفة ، والحكايات الإسرائيلية المصطنعة ، حول فتنة سليمان التي أشار إليها القرآن الكريم هذه الاشارة الخاطفة {ولتد فتنا سليمان } ومن أغربها وأنكرها ما رواه ابن أبى حاتم أن سليمان عليه السلام أراد أن يدخل الخلاء ، فأعطى الجرادة - زوجته - خاتمه ، وكانت أحب نسائه إليه فجاءها الشيطان في صورة سليمان فقال لها : هاتي خاتمي فظنته سليمان فأعطته إياه ، فلما لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين . . إلخ وكل هذه الروايات خرافات وأباطيل ردها المحققون من العلماء كابن كثير ، والفخر الرازي والبيضاوي والنسفي وغيرهم)). واختار الإمام الفخر أن الفتنة المذكورة في الآية الكريمة يقصد بها فتنته في جسده ، حيث إن سليمان ابتلي بمرض شديد نحل منه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وضعف ، حتى صار لشدة المرض كأنه جسد ملقى على كرسي ، قال : والعرب تقول في الضيف : إنه لحم على وضم ، وجسم بلا روح ، ثم أناب أي رجع إلى حالة الصحة

[قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي] أي اغفر لي ما صدر مني ، وأعطني ملكا واسعا لا يكون لأحد غيري ، ليكون دلالة على نبوتي

[إنك أنت الوهاب] أي واسع الفضل كثير العطاء

[فسخرنا له الريح] أي فذللنا الريح لطاعته إجابة لدعوته

[تجري بأمره رخاء حيث أصاب] أي تسير بأمره لينة طيبة حيث قصد واراد

[والشياطين كل بناء وغواص] أي وسخرنا له الشياطين كذلك تعمل بأمره ، منهم من يستخدمه لبناء الأبنية الهائلة العجيبة ، ومنهم من يغوص في البحار لاستخراج اللؤلؤ والمرجان

[وآخرين مقرنين في الأصفاد] أي وآخرين من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشياطين - وهم المردة - موثوقون في الأغلال ، مربوطون بالقيود والسلاسل ، لكفرهم وتمردهم عن طاعة سليمان

[هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب] أي وقلنا له : هذا عطاؤنا الواسع لك ، فأعط من شئت وامنع من شئت ، ولا حساب عليك في ذلك ، لأنك مطلق اليد فيما وهب الله لك من سلطة ومن نعمة

[وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب] أي وإن له عندنا لمكانة رفيعة في الدنيا ، وحسن مرجع في الآخرة

[واذكر عبدنا أيوب] هذه هي القصة الثالثة في هذه السورة ، والإضافة للتشريف أى اذكر يا محمد عبدنا الصالح " أيوب " عليه السلام ، الذي ابتلي بأنواع البلاء فصبر .

[إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب] أي حين نادى ربه متضرعا إليه قائلا : إني مسني الشيطان بتعب ومشقة ، وألم شديد في بدني ، قال المفسرون : وإنما نسب ذلك إلى الشيطان تأدبا مع الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى ، وإن كانت الأشياء كلها خيرها وشرها من الله تعالى ، وكان أيوب قد أصيب في ماله وأهله وبدنه ، وبقي في البلاء ثمان عشرة سنة ، وقد تقدمت قصته [اركض برجلك] أي وقلنا له اضرب برجلك الأرض فضربها فنبعت له عين ماء صافية

[هذا مغتسل بارد وشراب] أي وقلنا له هذا ماء تغتسل به ، وشراب تشرب منه ، فاغتسل منها فذهب ما كان بظاهر جسده ، وشرب منها فذهب كل مرض كان داخل جسده ، قال أبو حيان : [هذا مغتسل] أي ما يغتسل به [وشراب] أي ما يشرب منه ، فباغتسالك يبرأ ظاهرك ، وبشربك يبرأ باطنك ، والجمهور على أنه نبعت له عينان ، شرب من أحداهما واغتسل من الأخرى فشفي

[ووهبنا له أهله ومثلهم معهم] أي أحيا الله من مات من أولاده ورزقه مثلهم ، قال الرازي : الأقرب أن الله تعالى متعه بصحته وبماله ، وقواه حتى كثر نسله ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وصار أهله ضعف ما كان وأضعاف ذلك ، وعن الحسن أنه أحياهم بعد أن هلكوا وقال أبو حيان : الجمهور على أنه تعالى أحيا له من مات من أهله ، وعافى المرضى ، وجصع عليه من شتت منهم

[رحمة منا] أي رحمة منا به لصبره وإخلاصه

[وذكرى لأولي الألباب] أي وعبرة لذوي العقول المستنيرة ، قال ابن كثير : أي وذكرى لذوي العقول ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج

[وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث] أي وقلنا له خذ بيدك حزمة من القضبان الرفيعة ، فاضرب بها زوجتك لتبر بيمينك ولا تحنث ، قال المفسرون : كان أيوب قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط إذا برىء من مرضه ، وسبب ذلك أنها كانت تخدمه في حالة مرضه ، فلما اشتد به البلاء وطالت به المدة ، وسوس إليها الشيطان : إلى متى تصبرين ؟ فجاءت إلى أيوب وفي نفسها الضجر ، فقالت له : إلى متى هذا البلاء ؟ فغضب من هذا الكلام وحلف إن شفاه الله ليضربنها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مائة سوط ، فأمره الله أن يأخذ حزمة من قضبان خفيفة ، فيها مائة عود ، ويضربها بها ضربة واحدة ، ويبر في يمينه ، رحمة من الله به وبزوجه التى قامت على رعايته ، وصبرت على بلائه ، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأطاعه ، ولهذا قال تعالى :

[إنا وجدناه صابرا] أي إبتليناه فوجدناه صابرا على الضراء

[نعم العبد إنه أواب] أي نعم العبد أيوب ، إنه كثير الرجوع إلى الله بالتوبة والإنابة والعبادة

[واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار] أي اذكر يا محمد هؤلاء الأنبياء الأخيار وتأس بهم ، الذين جمعوا بين القوة في العبادة ، والبصائر في الدين ، قال الطبري : أي أهل القوة في عبادة الله ، وأهل العقول المبصرة

[إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار] أي خصصناهم بخصلة خالصة عظيمة الشأن ، هي عدم إلتفاتهم إلى الدنيا وتذكرهم للدار الباقية ، قال مجاهد : جعلناهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يعملون للآخرة ليس لهم هم غيرها

[وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار] أي وهم عندنا المختارون المجتبون على سائر الناس لأنهم أخيار أبرار

[واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار] أي واذكر يا محمد هؤلاء الرسل أيضا وكل من خيرة خلق الله ، فاقتد بهم في الصبر وتحمل الأذى في سبيل الله

[هذا ذكر] أي هذاالذي قصصناه عليك من سيرة الرسل الكرام ، ذكر جميل لهم في الدنيا ، وشرف يذكرون به أبدا

[وإن للمتقن لحسن مآب] أي وإن لكل متق لله مطيع لرسله ، لحسن مرجع ومنقلب ، ثم فسره بقوله :

[جنات عدن مفتحة لهم الأبواب] أي جنات إقامة في دار الخلد والنعيم قد فتحت لهم أبوابها انتظارا لقدومهم ، قال الرازي : إن الملائكة الموكلين بالجنان إذا رأوا المؤمنين فتحوا لهم أبوابها ، وحيوهم بالسلام ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيدخلون كذلك محفوفين بالملائكة ، على أعز حال ، وأجمل هيئة

[متكئين فيها] أي متكئين في الجنة على الأرائك وهي السرر الوثيرة

[يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب] أي وهم متكئون على الأسرة يطلبون أنواع الفواكه ، وألوان الشراب كعادة الملوك في الدنيا ، قال ابن كثير : أي مهما طلبوا وجدوا ، ومن أي أنواعه شاءوا أتتهم به الخدام قال الصاوي : والاقتصار على دعاء الفاكهة ، للإيذان بأن مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ ، دون التغذي لأنه لا جوع في الجنة

[وعندهم قاصرات الطرف أتراب] أي وعندهم الحور العين اللواتي لا ينظرن إلى غير أزواجهن (أتراب) أي في سن واحدة

[هذا ما توعدون ليوم الحساب] أي هذا جزاؤكم الذي وعدتم به في الدنيا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن هذا لرزقنا ما له من نفاد] أي هذا النعيم عطاؤنا لأهل الجنة ، لا زوال له ولاانقطاع ولا إنتهاء أبدا ، قال في الظلال : يبدأ هذا المشهد بمنظرين متقابلين تمام التقابل في المجموع والأجزاء ، وفي السمات والهيئات : منظر المتقين ، لهم [حسن مآب] ومنظر الطاغين ، لهم [شر مآب] فأما الأولون فلهم جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ، ولهم فيها راحة الاتكاء ومتعة الطعام والشراب ، ولهم كذلك متعة الحوريات الشواب ، وهن مع شبابهن [قاصرات الطرف] لا يتطلعن ولا يمددن بأبصارهن ، وكلهن شواب أتراب ، وهو متاع دائم ، ورزق من عند الله ما له من نفاد.

قال الله تعالى : [هذا وإن للطاغين لشر مآب . .]
إلى قوله [ولتعلمن نبأه بعد حين] . من آية (55)
إلى آية (88) نهاية السورة .

المناسبة :

لما ذكر تعالى مآل السعداء المتقين ، ثني بذكر حال الأشقياء المجرمين ، ثم ذكر بعض الأدلة على صدق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسالة محمد ، وختم السورة الكريمة بذكر قصة آدم وإبليس ، وإمتناعه عن السجود لآدم ، تحذيرا للبشر من عدوهم الأكبر ، ومن وساوسه وإغوائه .

اللغة :

[غساق] الغساق : ما يخرج من لحوم الكفرة من الصديد والقيح والنتن

[زاغت] مالت

[سخريا] بكسر السين وهو الهزء والسخرية

[مقتحم] الاقتحام : ركوب الشدة والدخول فيها ، ومنه اقتحام المخاطر

[سويته] اتممت خلقه على أكمل الوجوه

[العالين] المتكبرين ، وعلا في الأرض : تكبر وتجبر

[رجيم] مرجوم بالكواكب والشهب .

التفسير :

[هذا وإن للطاغين لشر مآب] [هذا] خبر لمبتدأ محذوف تقديره الأمر هذا وهي بمنزلة أما بعد ، ثم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال : [وإن للطاغين لشر مآب] أي وإن للكافرين الذين كذبوا الرسل ، لشر منقلب يصيرون إليه في الآخرة ، ثم فسر هذا المصير بقوله :

[جهنم يصلونها فبئس المهاد] أي جهنم يذوقونها ويصلون سعيرها ، وبئست جهنم فراشا ومهادا لهم ، قال ابن جزي : لما تم ذكر أهل الجنة ختمه بقوله : [هذا] ثم إبتدأ بذكر وصف أهل النار ، وعنى بالطاغين الكفار

[هذا فليذوقوه حميم وغساق] أي هذا هو العذاب الأليم فليذوقوه وهو الحميم أي الماء الحار المحرق ، والغساق وهو ما يسيل من صديد أهل النار ، قال الطبري : في الآية تقديم وتأخير أي هذا حميم وغساق فليذوقوه ، والحميم الذي أغلى حتى انتهى حره ، والغساق ما يسيل من جلودهم من الصديد والدم

[وآخر من شكله أزواج] أى وعذاب آخر من مثل هذا العذاب المذكور كالزمهرير ، والسموم ، وأكل الزقوم ، لهم منه أنواع وأصناف . . ثم حكى ما يقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للرؤساء الطاغين إذا دخلوا النار ، فقال سبحانه : [هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم] أي تقول لهم خزنة جهنم : هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار ، ودخلوها بصحبتكم كما اقتحموا معكم في الجهل والضلال ، لا أهلا ولا مرحبا بهم

[إنهم صالوا النار] أي إنهم ذائقو النار ، وداخلوها كما دخلتموها أنتم ، قال الرازي : والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها ، وهذا من كلام خزنة جهنم لرؤساء الكفرة عن أتباعهم ، والعرب تقول لمن يدعون له : مرحبا أي أتيت رحبا في البلاد لا ضيقا ، ثم يدخلون عليها كلمة " لا " في دعاء السوء

[قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم] أي قال الأتباع للرؤساء الطغاة الذين أضلوهم : بل أنتم لا أهلا بكم ولا مرحبا ، قال المفسرون : عندما يدخل الأتباع جهنم ، تتلقاهم الرؤساء بقولهم : [لا مرحبا بكم] أي لا تلقون هنا رحبا ولا خيرا - وهذه تحية أهل النار - كما قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى : [كلما دخلت أمة لعنت أختها] فعند ذلك يقول لهم الداخلون : [بل أنتم لا مرحبا بكم] وهذا على حد قول القائل " تحية بينهم ضرب وجيع " فكذلك أهل النار يتلقون بعضهم باللعنات والشتائم ، بدل التحايا والسلام ، ثم يعلل الأتباع ذلك بقولهم :

[أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار] أي أنتم قدمتم لنا هذا العذاب ، وكنتم السبب في ضلالنا ، فبئس المنزل والمستقر لنا ولكم نار جهنم

[قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار] هذا أيضا من كلام الأتباع دعوا الله أن يضاعف العذاب لرؤسائهم ، الذين أوجبوا لهم العذاب ، فهو كقولهم [ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا في النار] والضعف زيادة المثل قال البيضاوي : وقال الأتباع أيضا : [ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا] أي مضاعفا وذلك أن يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين

[وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

؟ أي وقال الطغاة من رؤساء الكفر وأئمة الضلال : ما لنا لا نرى في النار ، هؤلاء الذين كنا نعدهم في الدنيا من الأشرار ؟ يعنون بهم المومنين ، قال ابن عباس : يريدون أصحاب محمد (ص) يقول أبو جهل : أين بلال ؟ أين صهيب ؟ أين عمار ؟ أولئك فى الفردوس ! واعجبا لأبي جهل ! مسكين ، أسلم ابنه عكرمة ، وابنته جويرية ، وأسلمت أمه ، وأسلم أخوه ، وكفر هو قال ابن كثير : هذا إخبار عن الكفار في النار ، إنهم يفتقدون رجالا كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة وهم المؤمنون ، يقول أبو جهل : ما لي لا أرى بلالا وعمارا وصهيبا وفلانا وفلانا ؟ وهذا ضرب مثل وإلا فكل الكفار هذا حالهم ، يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار ، فلما دخلها الكفار افتقدوهم فلم يجدوهم ثم قالوا :

[أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار] ؟ أي يؤنبون أنفسهم قائلين : أجعلنا هؤلاء المؤمنين في الدنيا هزوا وسخرية ؟ أم هم معنا في النار ولكن لا نراهم ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال البيضاوي : إنكار على أنفسهم وتأنيب لها في الاستسخار من المؤمنين ، كأنهم قالوا : ليسوا ههنا في النار ؟ أم مالت عنهم أبصارنا فلا نراهم ؟ قال تعالى : [إن ذلك لحق تخاصم أهل النار] أي إن هذا الذي أخبرناك به يا محمد ، من أقوال أهل النار وتخاصمهم ، لهو الحق الذي لا بد وأن يتكلموا به ، فنحن نخبرك عن تخاصمهم في جهنم ، وعن أقوالهم وهم فيها ، قال الرازي : وإنما سمى الله تعالى تلك الكلمات تخاصما لأن قول الرؤساء [لا مرحبا بهم] وقول الأتباع : [بل أنتم لا مرحبا بكم] من باب الخصومة

[قل إنما أنا منذر] هذا شروع في بيان مهمة الرسول (ص) وفي إثبات الوحدانية ، والمعاد ، والجزاء ، أي قل يا أيها الرسول لهؤلاء المشركين : إنما أنا رسول من رب العالمين ، أنذركم وأخوفكم من عذابه ، إن لم تؤمنوا ، ولست بساحر ولا شاعر ولا كاهن

[وما من إله إلا الله الواحد القهار] أي وليس لكم رب ولا معبود إلا الواحد الأحد ، الغالب على خلقه ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القاهر لكل شيء

[رب السموات والأرض وما بينهما] أى خالق جميع ما في الكون من الخلائق والعجائب ، والمتصرف فيها بالإيجاد والإعدام

[العزيز الغفار] أي القاهر على أمره الذي لا يغلب ، المبالغ في المغفرة لمن شاء من العباد ، قال الرازي : لما ذكر أنه [قهار] وهذا مشعر بالترهيب والتخويف ، أردفه بما يدل على الرجاء والترغيب ، وذكر ثلاث صفات دالة على الرحمة والفضل والكرم ، وهي : (الرب ، العزيز ، الغفار) ، فكونه ربا مشعر بالتربية والإحسان ، وكونه " عزيزا " مشعر بأنه قادر على كل شيء ، ولا يعجزه شيء ، وكونه " غفارا " مشعر بالترغيب وأنه يرجى فضله وثوابه ، فلو بقي الإنسان على الكفر سبعين سنة ، ثم تاب فإن الله سبحانه يغفر له برحمته جميع ذنوبه ، ويمحو اسمه من ديوان المذنبين ، ويوصله إلى درجات الأبرار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون] أى قل لهم يا محمد : إن هذا القرآن الذي جئتكم به هو نبأ هام وأمر عظيم الشأن ، أنتم عنه غافلون لا تلتفتون إليه ولا تعلمون قدره

[ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون] أي من أين لي العلم باختلاف الملائكة في شأن خلق آدم ، لولا الوحي المنزل علي ؟ قال ابن جزي : والقصد الاحتجاج على نبوة محمد (ص) لأنه أخبر بأمور لم يكن يعلمها قبل ذلك ، والإشارة إلى إختصام الملائكة هو ما جاء في قصة آدم حين قال تعالى لهم : [إني جاعل في الأرض خليفة] حسبما تضمنته قصته في مواضع من القرآن

[إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين] أي ما يوحي إلي إلا لأني رسول مرسل إليكم ، لأنذركم عذاب الله ، ومعنى النذير المنذر المخوف من عذاب الله . . ثم شرع تعالى في ذكر قصة آدم فقال :

[إذ قال ربك للملائكةإني خالق بشرا من طين] أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اذكر حين أعلم ربك الملائكة أنه سيخلق إنسانا من طين وهو آدم عليه السلام " فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين] أي فإذا أتممت خلقه ونفخت فيه من الروح ، فاسجدوا إكراما له وإعظاما ، قال القرطبي : وهذا سجود تحية لا سجود عبادة

[فسجد الملائكة كلهم أجمعون] أي فسجد جميع الملائكة خضوعا له وتعظيما لأمر الله بالسجود له

[إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين] أي لكن إبليس استكبر عن طاعة الله ، وأبى السجود لآدم فصار من الكافرين ، قال ابن كثير : امتثل الملائكة كلهم سوى (إبليس) ، ولم يكن منهم جنسا كان من الجن ، فخانه طبعه وجبلته فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه ، وادعى أنه خير من آدم ، فكفر بذلك وطرده الله عن باب رحمته ، ومحل أنسه ، وحضرة قدسه ((هذا هو الرأي الصحيح أن إبليس من الجن وليس من الملائكة ، وقد تقدم قول الحسن البصرى " لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين " وهذا هو الذي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تطمئن إليه النفس وترتاح وتدل عليه النصوص الكريمة كقوله تعالى {كان من الجن ففسق عن أمر ربه })) .

[قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي] ؟ أي قال له ربه : ما الذي صرفك وصدك عن السجود لمن خلقته بذاتي من غير واسطة أب وأم ؟ قال القرطبي : أضاف خلقه إلى نفسه (تكريما لآدم) ، وإن كان خالق كل شيء ، كما أضاف إلى نفسه الروح ، والبيت ، والناقة ، والمساجد ، فخاطب الناس بما يعرفونه

[أستكبرت أم كنت من العالين] ؟ أي هل استكبرت الآن عن السجود ؟ أم كنت قديما من المتكبرين على ربك ؟ وهذا على جهة التوبيخ له لاستنكافه عن السجود

[قال أنا خير منه] أي قال اللعين : أنا خير من آدم وأشرف وأفضل

[خلقتني من نار وخلقته من طين] أي لأنني مخلوق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من النار ، وآدم مخلوق من الطين ، والنار خير من الطين ، فكيف يسجد الفاضل للمفضول ؟

[قال فاخرج منها فإنك رجيم] أي أخرج من الجنة فإنك لعين مطرود من كل خير وكرامة

[وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين] أي وأنت مبعد عن رحمتي إلى يوم الجزاء والعقوبة ، ثم تلقى ما هو أفظع وأشنع من اللعنة

[قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون] أي أخرني وأمهلني إلى اليوم الذي تبعث فيه الخلائق من القبور ، قال أبو السعود : أراد بذلك أن يجد فسحة لإغوائهم ، ويأخذ منهم ثأره ، وينجو من الموت بالكلية ، إذ لا موت بعد البعث ، فأجابه الله بأنه مؤخر إلى وقت النفخة الأولى ، لا إلى وقت البعث الذي طلبه

[قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم] أي إنك من الممهلين إلى وقت النفخة الأولى ، حيث يموت الناس وتنتهي مهمتك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين] أي قال اللعين : أقسم بعزتك لأضلن بني آدم أجمعين ، إلا الذين أخلصتهم لعبادتك وعصتهم مني

[قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين] أي قال تعالى : أقسم بالحق ، ولا أقول إلا الحق ، لأملأن جهنم منك ومن أتباعك ، قال السدي : هو قسم أقسم الله به ، وجملة " والحق أقول " إعتراضية لتأكيد القسم

[قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين] أي قل لهم يا محمد : لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجرا ، ولست من الذين يتصنعون ويتحيلون ، حتى انتحل النبوة وأتقول القرآن

[إن هو الا ذكر للعالمين] أي ما هذا القرآن إلا عظة وذكرى للإنس والجن والعقلاء

[ولتعلمن نبأه بعد حين] أي ولتعلمن خبره وصدقه عن قريب ، وهذا وعيد وتهديد ، قال الحسن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البصري : يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين ! ! .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - المقابلة بين المؤمنين والمفسدين ، وبين المتقين والفجار [أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار] وهذه من ألطف أنواع البديع .

2 - الكناية [فطفق مسحا بالسوق والأعناق] كنى عن العقر والذبح بالمسح وهي كناية بليغة .

3 - الطباق بين [فامنن أو أمسك] لأنها بمعنى أعط من شئت ، وامنع من شئت .

4 - مراعاة الأدب [إني مسني الشيطان] أسند الضرر إلى الشيطان أدبا ، والخير والشر بيد الله تعالى ، ولكن لا يضاف الشر إليه أدبا.

5 - الإستعارة التصريحية [أولي الأيدي والأبصار]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استعار الأيدي للقوة في العبادة ، والأبصار للبصيرة في الدين .

6 - المقابلة الرائعة [هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الأبواب] ثم قابل ذلك بقوله : [هذا وإن للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد] وياله من تصوير رائع ! .

7 - التأكيد بمؤكدين [فسجد الملائكة كلهم أجمعون] فقد أكده أولا بلفظ كل ثم بلفظ أجمعون .

8 - مراعاة الفواصل وهي من خصائص القرآن [وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخدناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار إن ذلك لحق تخاصم أهل النار] فمثل هذا البيان الرائع والجرس العذب ، يسري في النفس سريان الروح في الجسد ، وأقسم بالله أنني أشعر بهزة في نفسى كلما قرأت القرآن ، لما له من وقع عذب على السمع ، وما ذلك إلا لروعة البيان في هذا القرآن ، وصدق رسول الله حين قال : " إن من البيان لسحرا " .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سورة الزمر

مكية وآياتها خمس وسبعون آيه

بين يدي السورة

*سورة الزمر مكية ، وقد تحدثت عن (عقيدة التوحيد) بالاسهاب ، حتى لتكاد تكون هي المحور الرئيسي للسورة الكريمة ، لأنها أصل الإيمان ، وأساس العقيدة السليمة ، وأصل كل عمل صالح ، وبدون الإيمان لا يقبل عمل ولا يرفع .

*ابتدأت السورة بالحديث عن القرآن (المعجزة الكبري) الدائمة الخالدة لمحمد بن عبد الله ، وأمرت الرسول باخلاص الدين لله ، وتنزيهه جل وعلا عن مشابهة المخلوقين ، وذكرت شبهة المشركين في عبادتهم للأوثان وإتخاذهم شفعاء ، وردت على ذلك بالدليل القاطع [إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين . .] الآيات .

* ثم ذكرت الأدلة والبراهين علي وحدانية رب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العالمين ، في إبداعه لخلق السموات والأرض ، وفي ظاهرة الليل والنهار ، وفي تسييره للشموس والأقمار ، وفي خلق الإنسان في أطوار في ظلمات الأرحام ، وكلها براهين ساطعة على قدرة الله ووحدانية [خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار . .] الآيات .

* وتناولت السورة موضوع العقيدة بوضوح وجلاء ، وكشفت عن مشهد الخسران المبين للكفرة المجرمين في دار الجزاء ، حيث يذوقون ألوان العذاب ، وتغشاهم ظلل من النار من فوقهم ومن تحتهم [لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون . .] الآيات .

*وذكرت السورة مثلا يوضح الفارق الكبير بين من يعبد إلها واحدا ، ومن يعبد آلهة متعددة ، لا تسمع ولا تستجيب ، وهو مثل للعبد الذي يملكه شركاء متخاصمون ، والعبد الذي يملكه سيد واحد ، ثم ذكرت حالة المشركين النفسية عندما يسمعون توحيد الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تنقبض قلوبهم ، وإذا سمعوا ذكر الطواغيت هشوا وبشوا [ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل ، هل يستويان مثلا ؟ الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون . .] الآيات .

*ثم جاءت الآيات طرية ندية تدعو العباد إلي الإنابة لربهم ، والرجوع إليه ، قبل أن يداهمهم الموت بغتة ، أو يفاجئهم العذاب من حيث لا يشعرون ، وحينئذ يتوبون ويندمون ، في وقت لا ينفع فيه توبة ولا ندم [قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا ، إنه هو الغفور الرحيم . .] الآيات .

*وختمت السورة الكريمة بذكر نفخة الصعق ، ثم نفخة البعث والنشور ، وما يعقبهما من أهوال الآخرة وشدائدها ، وتحدثت عن يوم الحشر الأكبر ، حيث يساق المتقون الأبرار إلي الجنة زمرا ، ويساق المجرمون الأشرار إلى جهنم زمرا ، في مشهد هائل ، يحضره الأنبياء والصديقون والشهداء الأبرار ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والوجود كله يتجه إلي ربه بالحمد والثناء فى خشوع واستسلام [ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون . .] الآيات إلى نهاية السورة الكريمة

التسمية :

سميت " سورة الزمر " لأن الله تعالي ذكر فيها زمرة السعداء من أهل الجنة ، وزمرة الأشقياء من أهل النار ، أولئك مع الإجلال والإكرام ، وهؤلاء مع الهوان والصغار .

قال الله تعالى : [تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . .] إلى قوله [وعد الله لا يخلف الله الميعاد] . من آية (1) إلى نهاية آية (20) .

اللغة :

[زلفى] قربى ومنه [وأزلفت الجنة للمتقين] أي قربت لهم

[يكور] التكوير : اللف واللى ، يقال : كور العمامة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أي لفها

[خوله] أعطاه وملكه

[قانت] مطيع خاضع عابد

[أندادا] أوثانا وأصناما

[ظلل] جمع ظلة وهي ما يظل الإنسان من سقف ونحوه

[الطاغوت] من الطغيان وهو مجاوزة الحد والمراد بالطاغوت كل ما عبد من دون الله من وثن أو بشر أو حجر

[أنابوا] رجعوا

[غرف] منازل رفيعة عالية في الجنة ، والغرفة : المنزلة والمكانة السامية ومنه قوله تعالى : [أولئك يجزون الغرفة بما صبروا] .

التفسير :

[تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم] أي هذا القرآن تنزيل من الله جل وعلا [العزيز] أي القادر الذي لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يغلب [الحكيم] أي الذي يفعل كل شيء بحكمة وتقدير وتدبير

[إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق] أي نحن أنزلنا عليك يا محمد القرآن العظيم ، متضمنا الحق الذي لا مرية فيه ، والصدق الذي لا يشوبه باطل أو هزل

[فاعبد الله مخلصا له الدين] أي فاعبد الله وحده ، مخلصا له في عبادتك ، ولا تقصد بعملك ونيتك غير ربك

[ألا لله الدين الخالص] أي ألا فانتبهوا أيها الناس : إن الله تعالى لا يقبل إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم ، لأنه المتفرد بصفات الألوهية ، المطلع على السرائر والضمائر ، ومعنى (الخالص) : الصافي من شوائب الشرك والرياء

[والذين اتخذوا من دونه أولياء] أي وهؤلاء المشركون الذين عبدوا من دونه الأوثان يقولون :

[ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى] أي ما نعبد هذه الآلهة والأصنام ، إلا ليقربونا إلى الله قربى ويشفعوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لنا عنده ، قال الصاوي : كان المشركون إذا قيل لهم : من خلقكم ؟ ومن خلق السموات والأرض ؟ ومن ربكم ورب آبائكم الأولين ؟ فيقولون : الله ، فيقال لهم : فما معنى عبادتكم الأصنام ؟ فيقولون : لتقربنا إلى الله زلفى ، وتشفع لنا عنده

[إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون] أي يحكم بين الخلائق يوم القيامة فيما اختلفوا فيه من أمر الدين ، فيدخل المؤمنين الجنة ، والكافرين النار

[إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار] أي لا يوفق للهدى ، ولا يرشد للدين الحق ، من كان كاذبا على ربه ، مبالغا في كفره ، وفي الآية إشارة إلى كذبهم في تلك الدعوى

[لو أراد الله أن يتخذ ولدا] أي لو شاء الله إتخاذ ولد على سبيل الفرض والتقدير

[لاصطفى مما يخلق ما يشاء] أي لاختار من مخلوقاته ما يشاء ولدا على سبيل التبني -إذ يستحيل أن يكون ذلك في حقه تعالى بطريق التوالد المعروف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- ولكنه لم يشأ ذلك لقوله : [وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا] وقوله : [مما يخلق] أي من المخلوقات التي أنشأها وإخترعها ، لأنه تعالى ليس له مثيل ولا نظير ، ولا والد ولا ولد! !

[سبحانه هو الله الواحد القهار] أي تنزه جل وعلا وتقدس ، عن الشريك والولد ، لأنه هو الإله الواحد الأحد ، المنزه عن النظير والمثيل ، القاهر لعباده بعظمته وجلاله ، قال في التسهيل : نزه تعالى نفسه من إتخاذ الولد ، ثم وصف نفسه بالواحد لأن الوحدانية تنافي إتخاذ الولد ، لأنه لو كان له ولد لكان منه جنسه ، ولا جنس له ، لأنه واحد ، ووصف نفسه بالقفار ليدل على نفي الشركاء والأنداد ، لأن كل شيء مقهور تحت قهره تعالى ، فكيف يكون شريكا له ؟ ثم ذكر تعالى بعض دلائل قدرته ووحدانيته وعظمته ، فقال :

[خلق السموات والأرض بالحق] أي خلقهما على أكمل الوجوه وأبلغ الصفات ، بالحق الواضح والبرهان الساطع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل] أي يغشي الليل على النهار ، ويغشي النهار على الليل ، وكأنه يلف عليه لف اللباس على اللابس ، قال القرطبي : وتكوير الليل على النهار : تغشيته إياه حتى يذهب ضوءه ، ويغشي النهار على الليل فيذهب ظلمته ، وهذا منقول عن قتادة وهو معنى قوله تعالى :

[يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا]

[وسخر الشمس والقمر] أي ذللهما لمصالح العباد

[كل يجري لأجل مسمى] أي كل منهما يسير إلى مدة معلومة عند الله تعالى ، ثم ينقضي يوم القيامة ، حين تكور الشمس وتنكدر النجوم

[ألا هو العزيز الغفار] أي هو جل وعلا كامل القدرة لا يغلبه شيء ، عظيم الرحمة والمغفرة والإحسان ، قال الصاوي : صدرت الجملة بحرف التنبيه " ألا " للدلالة على كمال الإعتناء بمضمونها كأنه قال : تنبهوا يا عبادي ، فإني أنا الغالب على أمري ، الستار لذنوب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خلقي ، فأخلصوا عبادتكم ولا تشركوا بي أحدا
[خلقكم من نفس واحدة] أي خلقكم أيها الناس من نفس واحدة هي آدم ، وهذا من جملة أدلة وحدانيته ، وإنفراده بالعزة والقهر ، وجميع صفات الألوهية
[ثم جعل منها زوجها] أي ثم خلق من آدم " حواء " ليحصل التجانس والتناسل ، قال الطبري : المعنى :
[خلقكم من نفس واحدة] يعني آدم
[ثم خلق منها زوجها] يعني حواء خلقها من ضلع من أضلاعه
[وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج] أي وأوجد لكم من الأنعام المأكولة وهي (الإبل ، والبقر ، والغنم ، والمعز) ثمانية أزواج ، من كل نوع ذكرا وأنثى ، قال قتادة : من الإبل إثنين ، ومن البقر إثنين ، ومن المعز إثنين ، ومن الضأن إثنين ، كل واحد زوج) ، وسميت أزواجا لأن الذكر زوج الأنثى ، والأنثى زوج الذكر ، قال المفسرون : والإنزال عبارة عن نزول أمره وقضائه ، أي خلق وقدر إيجاد هذه الأنعام نعمة للعباد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق] أي يخلقكم في بطون أمهاتكم أطوارا ، فإن الإنسان يكون نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، إلى أن يتم خلقه ، ثم ينفخ فيه الروح فيصير خلقا آخر

[في ظلمات ثلاث] وهي البطن ، والرحم ، والمشيمة وهو الكيس الذي يغلف الجنين ((يقول سيد قطب في الظلال : " في ظلمات ثلاث " هي ظلمة الكيس الذي يغلف الجنين ، وظلمة الرحم الذي يستقر فيه الجنين ، وظلمة البطن الذي يستقر فيه الرحم ، ويد الله تخلق هذه الخلية الصغيرة ، وعين الله ترعى هذه الخليقة وتودعها القدرة على النمو ، والقدرة على التطور ، والقدرة على الارتقاء ، كما قدر لها بارئها ")).

[ذلكم الله ربكم] أي ذلكم الخالق المبدع المصور هو الله رب العالمين ، ربكم ورب آبائكم الأولين

[له الملك] أي له الملك والتصرف التام ، في الإيجاد والإعدام

[لا اله إلا هو] أي لا معبود بحق إلا الله ولا رب لكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سواه

[فأنى تصرفون] ؟ أي فكيف تتصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ؟ ثم بعد أن ذكرهم بآياته ونعمه ، حذرهم من الكفر والجحود لفضله وإحسانه ، فقال سبحانه :

[إن تكفروا فإن الله غني عنكم] أي إن تكفروا أيها الناس ، بعدما شاهدتم من آثار قدرته وفنون نعمائه ، فإن الله مستغن عنكم وعن إيمانكم وشكركم وعبادتكم

[ولا يرضى لعباده الكفر] أي لا يرضى الكفر لأحد من البشر ، قال الرازي : أشار تعالى إلى أنه وإن كان لا ينفعه إيمان ، ولا يضره كفران ، إلا أنه لا يرضى بالكفر ، بمعنى أنه لا يمدح صاحبه ، ولا يعيبه عليه وإن كان واقعا بمشيئته وقضائه

[وإن تشكروا يرضه لكم] أي وإن تشكروا ربكم يرض هذا الشكر منكم ، لأجلكم ومنفعتكم ، لا لإنتفاعه بطاعتكم ، قال أبو السعود : عدم رضائه بكفر عباده لأجل منفعتهم ، ودفع مضرتهم ، رحمة بهم ، لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لتضرره تعالى بذلك ، ورضاه بشكرهم لأجلهم ومنفعتهم ، لأنه سبب فوزهم بسعادة الدارين ، ولهذا فرق بين اللفظين فقال : [ولا يرضى لعباده الكفر] وقال هنا : [يرضه لكم] لأن المراد بالأول تعميم الحكم ، ثم تعليله بكونهم عباده

[ولا تزر وازرة وزر أخرى] أي ولا تحمل نفس ذنب نفس أخرى ، بل كل يؤاخذ بذنبه

[ثم إلى ربكم مرجعكم] أي ثم مرجعكم ومصيركم إليه تعالى

[فينبئكم بما كنتم تعملون] أي فيحاسبكم ويجازيكم على أعمالكم

[إنه عليم بذات الصدور] أي يعلم ما تكنه السرائر وتخفيه الضمائر ، وفيه تهديد وبشارة للمطيع

[وإذا مس الإنسان ضر] أي لم إذا أصاب الإنسان الكافر شدة من فقر ومرض ، وبلاء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[دعا ربه منيبا إليه] أي تضرع إلى ربه في إزالة تلك الشدة مقبلا إليه مخبتا مطيعا

[ثم إذا خوله نعمة منه] أي ثم إذا أعطاه نعمة منه ، وفرج عنه كربته

[نسي ما كان يدعوا إليه من قبل] أي نسي الضر الذى كان يدعو ربه لكشفه ، وتمرد وطغى

[وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله] أى وجعل لله شركاء في العبادة ، ليصد عن دين الله وطاعته

[قل تمتع بكفرك قليلا] أمر للتهديد أى تمتع بهذه الحياة الدنيا الفانية ، وتلذذ فيها وأنت على كفرك ، عمرا قليلا وزمنا يسيرا

[إنك من أصحاب النار] أي فمصيرك إلى نار جهنم ، وأنت من المخلدين فيها

[أفمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما] استفهام حذف جوابه لدلالة الكلام عليه ، أي هل من هو مطيع عابد في ساعات الليل ، يتعبد ربه في صلاته ساجدا وقائما ؟ كمن أشرك بالله وجعل له أندادا ؟ قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القرطبي : بين تعالى أن المؤمن ليس كالكافر الذي مضى ذكره

[يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه] أي حال كونه خائفا من عذاب الآخرة ، راجيا رحمة ربه وهي الجنة ، هل يستوي هذا المؤمن التقي ، مع ذلك الكافر الفاجر ؟ لا يستوون عند الله ! ا ثم ضرب تعالى مثلا فقال :

[قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون] ؟ أي هل يتساوى العالم والجاهل ؟ فكما لا يستوي هذان ، كذلك لا يستوي المطيع والعاصي

[إنما يتذكر أولوا الألباب] أي إنما يعتبر ويتعظ أصحاب العقول السليمة ، قال الأمام الفخر : واعلم أن هذه الآية دالة على أسرار عجيبة ، فأولها أنه بدأ فيها بذكر العمل ، وختم فيها بذكر العلم ، أما العمل فهو القنوت ، والسجود ، والقيام ، وأما العلم ففي قوله :

[هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون] ؟ وهذا يدل على أن كمال الإنسان محصور في هذين المقصودين : فالعمل هو البداية ، والعلم والمكاشفة هو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النهاية ، وفي الكلام حذف تقديره أمن هو قانت كغيره ؟ وإنما حسن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه ، لأنه تعالى ذكر قبل هذه الآية الكافر ، ثم مثل بالذين يعلمون ، والذين لا يعلمون ، وفيه تنبيه عظيم على فضيلة العلم

[قل يا عباد الذين أمنوا إتقوا ربكم] أي قل يا محمد لعبادي المؤمنين ، قل لهم أن يجمعوا بين الإيمان وتقوى الرحمن ، وهي البعد عن محارم الله ، قال المفسرون : نزلت في (جعفر بن أبي طالب) وأصحابه حين عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة ، والغرض منها التأنيس لهم والتنشيط إلى الهجرة ومعنى التقوى : امتثال الأوامر ، وإجتناب النواهي ، وكان العبد بذلك يجعل بينه وبين النار وقاية

[للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة] أي لمن أحسن العمل في هذه الدنيا ، حسنة عظيمة في الآخرة ، وهي الجنة دار الأبرار

[وأرض الله واسعة] أي وأرض الله فسيحة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهاجروا من دار الكفر إلى دار الإيمان ، ولا تقيموا في أرض لا تتمكنون فيها من إقامة شعائر الله

[إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب] أي إنما يعطى الصابرون جزاءهم بغير حصر ، وبدون عدد أو وزن ، قال الأوزاعي : ليس يوزن لهم ولا يكال ، إنما يغرف غرفا

[قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين] أي قل يا محمد : إني أمرت باخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، وإنما خص الله تعالى الرسول بهذا الأمر ، لينبه على أن غيره بذلك أحق ، فهو كالترغيب للغير

[وأمرت لأن أكون أول المسلمين] أي وأمرت أيضا بأن أكون أول المسلمين من هذه الأمة ، قال القرطبي : وكذلك كان ، فإنه أول من خالف دين آبائه ، وخلع الأصنام وحطمها ، وأسلم وجهه لله ، وآمن به ودعا إليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم] أي وأخاف إن عصيت أمره أن يعذبني يوم القيامة بنار جهنم ! ! والمقصود منها زجر الغير عن المعاصي ، لأنه (ص) إذا كان خائفا ، مع كمال طهارته وعصمته ، فغيره أولى ، وذلك سنة الأنبياء والصالحين ، حيث يخبرون غيرهم بما اتصفوا به ليكونوا مثلهم

[قل الله أعبد مخلصا له ديني] أي قل لهم يا محمد لا أعبد إلا الله وحده مخلصا له طاعتي وعبادتي ، من كل شائبة ، وليس هذا بتكرار لأن الأول إخبار بأنه(ص) مأمور بالعبادة والثاني إخبار بخوفه من عذاب الله ، إن عصي أمره ، والثالث إخبار بامتثاله الأمر مع إفادة الحصر ، كأنه يقول : أعبد الله ولا أعبد أحدا سواه

[فاعبدوا ما شئتم من دونه] صيغة أمر على جهة التهديد والوعيد ، أي اعبدوا ما شئتم من دون الله من الأوثان والأصنام ، فسوف ترون عاقبة كفركم وضلالكم ؟ كقوله تعالى : [اعملوا ما شئتم]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة] أى حقيقة الخسران الذين خسروا أنفسهم وأهليهم ، حيث صاروا إلى نار مؤبدة ، يصلون سعيرها يوم القيامة ، فهؤلاء هم الخاسرون كل الخسران ، قال ابن عباس : إن لكل رجل منزلا وأهلا وخدما في الجنة ، فإن أطاع الله أعطي ذلك ، وإن كان من أهل النار حرم ذلك ، فخسر نفسه وأهله ومنزله

[ألا ذلك هو الخسران المبين] أي ألا فانتبهوا أيها القوم . ذلك هو الخسران الواضح ، الذي ليس بعده خسران ! قال أبو حيان : بالغ في بيان الخسران بأداة التنبيه " ألا " وبالإشارة إليه " ذلك " وتأكيده بأداة الحصر " هو " وتعريفه بأل ووصفه بأنه بين

[الخسران المبين] أي الواضح لمن تأمله أدنى تأمل ، ثم لما ذكر خسرانهم فى الدنيا ، ذكر حالهم ومآلهم في الآخرة فقال سبحانه

[لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل] أي تغشاهم نار جهنم من فوقهم ومن تحتهم ، وتحيط بهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من جميع جوانبهم ، ومعنى الظلل : أطباق من نار جهنم ، وتسميتها (ظللا) تهكم بهم ، لأنها محرقة والظلة تقي من الحر

[ذلك يخوف الله به عباده] أي ذلك العذاب الشديد الفظيع ، إنما يقصه تعالى ليخوف به عباده ، لينزجروا عن المحارم والمآثم

[يا عباد فاتقون] أي يا عبادي وأوليائي المؤمنين ، خافوا عذابي ، ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي ، قال الزمخشرى : وهذه عظة من الله تعالى لعباده ونصيحة بالغة. . والحكمة من ذكر أحوال النار تخويف المؤمنين منها ، ليتقوها بطاعة ربهم

[والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها] لما ذكر وعيد عبدة الأوثان ، ذكر وعد أهل الفضل والإحسان ، ممن احترز عن الشرك والعصيان ، ليكون الوعد مقرونا بالوعيد ، فيحصل كمال الترغيب والترهيب ، والمعنى : والذين انتهوا عن عبادة الأوثان وطاعة الشيطان ، وتباعدوا عنها كل البعد ، قال أبو السعود :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(الطاغوت) البالغ أقصى غاية الطغيان ، كالرحموت والعظموت ، والمراد به الشيطان وصف به للمبالغة

[وأنابوا إلى الله] أي رجعوا إلى طاعة الله وعبادته

[لهم البشرى] أي لهم البشرى السارة من الله تعالى ، بالفوز العظيم بجنات النعيم

[فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه] أي فبشر عبادي المتقين ، الذين يستمعون الحديث والكلام ، فيتبعون أحسن ما فيه ، قال ابن عباس : هو الرجل يسمع الحسن والقبيح ، فيتحدث بالحسن وينكف عن القبيح فلا يتحدث به . . وهذا ثناء من الله تعالى عليهم بنفوذ بصائرهم ، وتمييزهم الأحسن من الكلام ، فإذا سمعوا قولا تبصروه ، وعملوا بما فيه ، وأحسن الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وإنما وضع الظاهر [فبشر عباد] بدل الضمير " فبشرهم " تشريفا لهم ، وتكريما بالإضافة إليه سبحانه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أولئك الذين هداهم الله] أي أولئك المتصفون بتلك الصفات الجليلة ، هم الذين هداهم الله لما يرضاه ، ووفقهم لنيل رضاه

[وأولئك هم أولوا الألباب] أي وأولئك هم أصحاب العقول السليمة ، والفطر المستقيمة

[أفمن حق عليه كلمة العذاب] أي أفمن وجبت له الشقاوة من الله تعالى ، وجوابه محذوف دل عليه ما بعده ، أي هل تقدر على هدايته ؟ لا ثم قال تعالى

[أفأنت تنقذ من في النار] ؟ أي هل تستطيع يا محمد أن تنقذ من هو في الضلال والهلاك ؟ قال القرطبي : كان النبي(ص) يحرص على إيمان قومه ، وقد سبقت لهم من الله الشقاوة ، فنزلت الآية ، وقال ابن عباس : يريد " أبا لهب " ، وولده ومن تخلف من عشيرة النبي(ص) ، عن الإيمان ، وكرر الاستفهام " أفأنت " ؟ تأكيدا لطول الكلام ، والمعنى : أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذه ؟

[لكن الذين اتقوا ربهم] أي لكن المؤمنون الأبرار ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المتقون لله في الدنيا ، المتمسكون بشريعته وطاعته
[لهم غرف من فوقها غرف مبنية] أي لهم في الجنة
درجات عالية ، وقصور شاهقة ، بعضها فوق بعض ،
مبنية من زبرجد وياقوت
[تجرى من تحتها الأنهار] أي تجري من تحت
قصورها وأشجارها أنهار الجنة ، من غير أخدود
[وعد الله لا يخلف الله الميعاد] أي وعدهم الله بذلك
وعدا مؤكدا ، لا يمكن أن يتخلف ، لأنه وعد العزيز
القدير ، الذي لا يخلف الوعد .
تنبيه :
قال الزمخشري : أفاد قوله تعالى : [يستمعون القول
فيتبعون أحسنه] إن المؤمنين ينبغي أن يكونوا نقادا في
الدين ، يميزون بين الحسن والأحسن ، والفاضل
والأفضل ، ويدخل تحته المذاهب واختيار أثبتها دليلا ،
وأبينها إمارة ، وألا يكونوا في مذهبهم كما قال القائل :
" ولا تكن مثل غير قيد فانقادا " .
قال الله تعالى : [ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فسلكه ينابيع . .] إلى قوله [عند ربكم تختصمون] .
من آية (21) إلى نهاية آية (31) .
المناسبة :
لما ذكر تعالى أحوال المشركين وضلالاتهم في عبادة غير الله ، أردفه بذكر دلائل الوحدانية ، ثم ذكر القرآن العظيم أشرف الكتب السماوية المنزلة ، فأشاد بذكره ، ومع إقرارهم بفصاحته وإعجازه ، كذب به المكذبون ، ثم ضرب للمشرك والموحد مثلا في غاية الوضوح والبيان !
اللغة :
[سلكه] أدخله
[ينابيع] جمع ينبوع وهو عين الماء النابع من الأرض
[يهيج] ييبس ، قال الأصمعي : هاجت الأرض تهيج إذا أدبر نبتها وولي ، وقال الجوهري : هاج النبت هياجا إذا يبس ، وأرض هائجة إذا يبس بقلها أو اصفر
[حطاما] فتاتا وهشيما ، من تحطم العود إذا تفتت من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اليبس

[شرح] فتح ووسع

[قاسية] قسا القلب : إذا صلب وكذلك عتا وعسا ، وقلب قاسى أي صلب لا يرق ولا يلين

[مثاني] مكررا فيه الحكم والمواعظ والأمثال

[تقشعر] تضطرب وتتحرك من الخوف

[الخزي] الذل والهوان

[متشاكسون] متنازعون ومختلفون ، ورجل شكس : شرس الخلق والطباع .

التفسير :

[ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء] أي ألم تر أيها الإنسان العاقل ، أن الله بقدرته أنزل المطر من السحاب

[فسلكه ينابيع في الأرض] أي أدخله مسالك وعيونا في الأرض ، وأجراه فيها ، قال المفسرون : وهذا دليل على أن ماء العيون من المطر ، تحبسه الأرض ثم ينبع شيئا فشيئا ، قال ابن عباس : ليس في الأرض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ماء إلا نزل من السماء ، ولكن عروق في الأرض تغيره
[ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه] أي ثم يخرج بهذا الماء النازل من السماء والنابع من الأرض ، أنواع الزروع ، المختلفة الأشكال ، والألوان ، من أحمر وأبيض وأصفر ، والمختلفة الأصناف من قمح ، وأرز ، وعدس ، وغير ذلك ، قال البيضاوي : [مختلفا ألوانه] أي أصنافه من بر وشعير وغيرهما ، أو كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما
[ثم يهيج فتراه مصفرا] أي ثم ييبس فتراه بعد خضرته مصفرا

[ثم يجعله حطاما] أي ثم يصبح فتاتا وهشيما متكسرا
[إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب] أي إن فيما ذكر لعظة وعبرة ، ودلالة على قدرة الله ووحدانيته ، لذوي العقول المستنيرة . . والآية فيها تمثيل لحياة الإنسان بالحياة الدنيا ، فمهما طال عمر الإنسان ، فلابد من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإنتهاء ، إلى أن يصير مصفر اللون ، متحطم
الأعضاء ، متكسرا كالزرع بعد نضرته ، ثم تكون
عاقبته الموت ، قال ابن كثير : هكذا الدنيا تكون
خضرة نضرة حسناء ، ثم تعود عجوزا شوهاء ،
وكذلك الشاب يعود شيخا هرما ، كبيرا ضعيفا ، وبعد
ذلك كله الموت ، فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير
[أفمن شرح الله صدره للإسلام] أي وسع صدره
للإسلام ، واستضاء قلبه بنوره ، حتى ثبت ورسخ فيه
[فهو على نور من ربه] أي فهو على بصيرة ويقين
من أمر دينه ، وعلى هدي من ربه بتنوير الحق في
قلبه ، وفي الآية محذوف دل عليه سياق الكلام ،
تفسيره : كمن هو أعمى القلب ، معرض عن الإسلام
؟ قال الطبري : وترك الجواب اجتراء بمعرفة
السامعين ، وبدلالة ما بعده ، وتقديره : كمن أقسى الله
قلبه وأخلاه من ذكره ، حتى ضاق عن استماع الحق ،
واتباع الهدى ؟
[فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله] أي فويل للذين لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تلين قلوبهم ، ولا تخشع عند ذكر الله ، والمراد ب " ذكر الله " القرآن الذي نزله الله تذكرة لعباده

[أولئك في ضلال مبين] أي أولئك الذين قست قلوبهم ، في بعد عن الحق ظاهر . . ولما بين تعالى ذلك أردفه بما يدل على أن القرآن ، سبب لحصول النور والهداية والشفاء ، فقال سبحانه :

[الله نزل أحسن الحديث] أى الله نزل القرآن العظيم أحسن الكلام ، قال أبو حيان : والابتداء باسم " الله " وإسناد " نزل " لضميره ، فيه تفخيم للمنزل ، ورفع من قدره كما تقول : الملك أكرم فلانا ، فإنه أفخم من أكرم الملك فلانا ، وحكمة ذلك البداءة

[كتابا متشابها] أي قرآنا متشابها يشبه بعضه بعضا في الفصاحة ، والبلاغة ، والتناسب ، بدون تعارض ولا تناقض

[مثاني] أي تتثني وتكرر فيه المواعظ والأحكام ، والحلال والحرام ، وتردد فيه القصص والأخبار ، دون سأم أو ملل ، قال الطبري : تثنى - أي تكرر -

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيه الأنباء والأخبار والقضاء والأحكام والحجج
[تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم] أي تعترى
هؤلاء المؤمنين خشية ، وتأخذهم قشعريرة عند تلاوة
آيات القرآن ، هيبة من الرحمن ، إجلالا لكلامه
[ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله] أي تطمئن
وتسكن قلوبهم وجلودهم إلى ذكر الله ، قال
المفسرون : إنهم عند سماع آيات الرحمة والإحسان ،
تلين جلودهم وقلوبهم ، فإذا نظروا إلى عالم الجلال
طاشوا ، وإن لاح لهم أثر من عالم الجمال عاشوا .
قال ابن كثير : هذه صفة الأبرار عند سماع كلام
الجبار ، إذا قرءوا آيات الوعد والوعيد ، والتخويف
والتهديد ، تقشعر جلودهم من الخشية والخوف ، وإذا
قرءوا آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم ، لما
يرجون ويؤملون من رحمته ولطفة
[ذلك هدى الله يهدي به من يشاء] أي ذلك القرآن
الذي تلك صفته ، هو هدى الله يهدي به من شاء من
خلقه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ومن يضلل الله فما له من هاد] أي ومن يخذله الله فيجعل قلبه قاسيا مظلما ، فليس له مرشد ولا هاد بعد الله

[أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة] أي أفمن يجعل وجهه وقاية من عذاب جهنم الشديد ، وخبره محذوف تقديره : كمن هو آمن من العذاب ؟ قال المفسرون : الوجه أشرف الأعضاء ، فإذا وقع الإنسان في شيء من المخاوف ، فإنه يجعل يده وقاية لوجهه ، وأيدي الكفار مغلولة يوم القيامة ، فإذا ألقوا فى النار ، لم يجدوا شيئا يتقونها به إلا وجوههم

[وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون] أي وتقول خزنة جهنم للكافرين : ذوقوا وبال ما كنتم تكسبونه في الدنيا من الكفر والمعاصي

[كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون] أي كذب من قبلهم من الأمم السالفة ، فأتاهم العذاب من جهة لا تخطر ببالهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا] أي فأذاقهم الله الذل والصغار والهوان في الدنيا

[ولعذاب الآخرة أكبر] أي ولعذاب الآخرة الذي أعد لهم ، أعظم بكثير من عذاب الدنيا

[لو كانوا يعلمون] أي لو كان عندهم علم وفهم ما كذبوا

[ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل] أي ولقد بينا ووضحنا للناس في هذا القرآن ، من كل الأمثال النافعة ، والأخبار الواضحة ، ما يحتاجون إليه

[لعلهم يتذكرون] أي لعلهم يتعظون ويعتبرون بتلك الأمثال والزواجر

[قرآنا عربيا غير ذي عوج] أي حال كونه قرآنا عربيا لا إختلاف فيه بوجه من الوجوه ، ولا تعارض ولا تناقض

[لعلهم يتقون] أي لكي يتقوا الله ويجتنبوا محارمه . .

ثم ذكر تعالى مثلا لمن يشرك بالله ، ولمن يوحده فقال سبحانه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون] أي ضرب الله لكم أيها الناس هذا المثل : رجل من العبيد المماليك ، اشترك فيه ملاك سيئو الأخلاق ، بينهم اختلاف وتنازع ، يتجاذبونه في حوائجهم ، هذا يأمره بأمر ، وذاك يأمره بمخالفته ، وهو متحير موزع القلب ، لا يدري لمن يرضي ؟

[ورجلا سلما لرجل] هذا من تتمة المثل ، أي ورجلا آخر لا يملكه إلا شخص واحد ، حسن الأخلاق ، فهو عبد مملوك لسيد واحد ، يخدمه بإخلاص ، وبتفانى في خدمته ، ولا يلقى من سيده إلا إحسانا

[هل يستويان مثلا] أي هل يستوي هذا وهذا في حسن الحال ، وراحة البال ؟ فكذلك لا يتساوى المؤمن الموحد مع المشرك الذي يعبد آلهة شتى . قال ابن عباس : هذه الآية ضربت مثلا للمشرك والمخلص وقال الرازي : وهذا مثل ضرب في غاية الحسن في تقبيح الشرك ، وتحسين التوحيد

[الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون] لما كان المثل بينا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واضحا في غاية الجلاء والوضوح ، ختم الله به الآية ، والمعنى : الحمد لله على إقامة الحجة عليهم ، بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الحق ، فهم لفرط جهلهم يشركون بالله

[إنك ميت وإنهم ميتون] أي إنك يا محمد ستموت كما يموت هؤلاء ، ولا يخلد أحد في هذه الدار

[ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون] أي ثم تجتمعون عند الله في الدار الآخرة ، وتختصمون فيما وقع بينكم من المظالم ، وأمر الدنيا والدين ، ويفصل بينكم أحكم الحاكمين ، الحكم العدل الذي لا يظلم عنده أحدا ! !.

قال الله تعالى : [فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق . .] إلى قوله [لآيات لقوم يؤمنون] . من آية (32) إلى نهاية آية (52) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى أن الخلق صائرون إلى الموت ، وأن المؤمنين والكافرين سيختصمون عند ربهم ، في أمر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التوحيد والشرك ، وإنه تعالى يفصل بينهم ، ذكر هنا جزاء كل من الفريقين ، ثم أتبعه بذكر قبائح المشركين وإعتدادهم بشفاعة الأوثان والأصنام .

اللغة :

[مثوى] مأوى ومقام ، مشتق من ثوى بالمكان إذا أقام به

[يخزيه] يهينه ويذله

[اشمأزت] نفرت وانقبضت

[فاطر] خالق ومبدع

[يحتسبون] يظنون ويؤملون ، يقال : جاءه الأمر من حيث لا يحتسب أي من حيث لا يظن

[ساق] نزل وأحاط من كل جانب

[خولناه] منحناه وأعطيناه تفضلا وكرما

[معجزين] فائتين من العذاب

[يقدر] يضيق ويقتر على عباده ، حسب الحكمة والمشيئة .

التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فمن أظلم ممن كذب على الله] الاستفهام إنكاري بمعنى النفي أي لا أحد أظلم ممن كذب على الله بنسبة الشريك له والولد

[وكذب بالصدق إذ جاءه] أي وكذب بالقرآن والشريعة ، وقت مجيئه من غير تدبر ، ولا تأمل ؟ أي لا أحد أظلم ممن حاله ذلك ، فإنه أظلم من كل ظالم

[أليس في جهنم مثوي للكافرين] ؟ أي أليس في جهنم مقام ومسكن لهؤلاء الكافرين المكذبين ؟ والاستفهام هنا تقريري ، أي بلى لهم مأوى ومكان

[والذى جاء بالصدق وصدق به] أي وأما الذين جاءوا بالصدق وهم (الأنبياء) والذين صدقوا به وهم (المؤمنون)أتباع الرسل

[أولئك هم المتقون] أي فأولئك الموصوفون بالصفات الحميدة ، هم أهل التقوى والصلاح ، الذين يستحقون كل إحسان وإكرام

[لهم ما يشاءون عند ربهم] أي لهم كل ما يشتهون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الجنة من الحور ، والقصور ، والملاذ ، والنعيم

[ذلك جزاء المحسنين] أي ذلك الذي ينالونه هو ثواب كل محسن ، أحسن في هذه الحياة ، قال بعض المفسرين : [الذي جاء بالصدق] هو محمد ، [وصدق به] هو أبو بكر رضي الله عنه ، والإختيار أن يكون على العموم ، حتى يشترك في هذه الصفة كل الرسل الكرام ، وكل من دعا إلى هذا الصدق ، عن عقيدة وإيمان من إتباع الرسل ، ويدل عليه [أولئك هم المتقون] بصيغة الجمع ، وهذا إختيار ابن عطية

[ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا] أي هؤلاء الذين صدقوا الأنبياء سيغفر الله لهم ما أسلفوا من الأعمال السيئة ، فلا يعاقبهم بها

[ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون] أي ويثيبهم على طاعاتهم في الدنيا ، بحساب الأحسن الذي عملوه ، فضلا منه وكرما ، قال المفسرون : العدل أن تحسب الحسنات وتحسب السيئات ، ثم يكون الجزاء ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والفضل هو ما يتفضل الله به على عباده المتقين ، فيكفر عنهم أسوأ أعمالهم ، فلا يبقى لها حساب في ميزانهم ، وأن يجزيهم أجرهم بحساب أحسن الأعمال ، فتزيد حسناتهم وتعلو وترجح كفة الميزان ، وهذا من زيادة الكرم والإحسان

[أليس الله بكاف عبده] ؟ الهمزة للتقرير ، أي أليس الله كافيا عبده ورسوله محمدا(ص) ، من شر من يريده بسوء ؟ وهذه تسلية لرسول الله(ص) ، عما قالت له قريش : لتكف عن شتم آلهتنا ، أو ليصيبنك منها خبل أو جنون وقال أبو حيان : قالت قريش : لئن لم ينته محمد عن سب آلهتنا وتعييبنا ، لنسلطنها عليه فتصيبه بخبل وتعتريه بسوء ، فأنزل الله [أليس الله بكافي عبده] أي هو كافي عبده ، وإضافته إليه تشريف عظيم لنبيه

[ويخوفونك بالذين من دونه] أي ويخوفونك يا محمد بهذه الأوثان ، التي لا تضر ولا تنفع

[ومن يضلل الله فما له من هاد] أي ومن أشقاه الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأضله فلن يهديه أحد كائنا من كان

[ومن يهد الله فما له من مضل] أي ومن أراد الله سعادته فهداه إلى الحق ، ووفقه لسلوك طريق المهتدين ، فلن يقدر أحد على إضلاله

[أليس الله بعزيز ذي إنتقام] ؟ أي هو تعالى منيع الجناب ، لا يضام من لجأ إلى بابه ، وهو القادر على أن ينتقم من أعدائه لأوليائه ، لأنه غالب لا يغلب ، ذو إنتقام من أعدائه ، وفي الآية وعيد للمشركين ، ووعد للمؤمنين

[ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله] هذه الآية إقامة برهان على تزييف طريقة عبدة الأوثان أي ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين ، عمن خلق السموات والأرض ؟ ليقولن (الله) خالقهما ، لوضوح الدليل على تفرده تعالى بالخالقية ، قال الرازي : إن العلم بوجود الله القادر الحكيم ، لا نزاع فيه بين جمهور الخلائق ، وفطرة العقل شاهدة بصحة هذا العلم ، فإن من تأمل في عجائب أحوال السموات والأرض ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي عجائب أحوال النبات والحيوان ، وفي عجائب بدن الإنسان وما فيه من أنواع الحكم الغريبة ، والمصالح العجيبة ، علم أنه لابد من الاعتراف ، بالإله القادر ، الحكيم الرحيم ، ولهذا أقر المشركون بوجود الله

[قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله] أي قل لهم يا محمد توبيخا وتبكيتا : أخبروني - بعد أن تحققتم أن خالق العالم هو الله - عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله

[إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره] ؟ أخبروني لو أراد الله أن يصيبني بشدة أو بلاء ، هل تستطيع هذه الأصنام أن تدفع عنى ذلك السوء والضر ؟

[أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته] ؟ أي ولو أراد الله بي نفعا ، من نعمة ورخاء ، هل تستطيع أن تمنع عني هذه الرحمة ؟ والجواب محذوف لدلالة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكلام عليه ، يعني فسيقولون : لا ، لا تكشف السوء ، ولا تمنع الرحمة

[قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون] أي الله كافيني فلا ألتفت إلى غيره ، وعليه وحده يعتمد المعتمدون ، والغرض الاحتجاج على المشركين في عبادة ما لا يضر ولا ينفع ، وإقامة البرهان على الوحدانية

[قل يا قوم اعملوا على مكانتكم] أي اعملوا على طريقتكم ، من المكر والكيد والخداع

[إني عامل] أي إني عامل على طريقتي ، من الدعوة إلى الله وإظهار دينه

[فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه] أي فسوف تعلمون لمن سيكون العذاب ، الذي يذل ويخزي الإنسان

[ويحل عليه عذاب مقيم] أي وينزل عليه عذاب دائم لا ينقطع وهو عذاب النار ، هل هذا العذاب سيصيبنى أو يصيبكم ؟ والغرض التهديد والتخويف ، قال أبو السعود : وفي الآية مبالغة في الوعيد ، وإشعار بأن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حاله عليه السلام لا تزال تزداد قوة بنصر الله وتأييده ، وفي خزي أعدائه دليل غلبته عليه الصلاة والسلام ، وقد عذبهم الله وأخزاهم يوم بدر

[إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق] أي نحن أنزلنا عليك يا محمد هذا القرآن ، المعجز فى بيانه ، الساطع في برهانه ، لجميع الخلق ، بالحق الواضح الذي لا يلتبس به الباطل

[فمن إهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها] أي فمن إهتدى فنفعه يعود عليه ، ومن ضل فضرر ضلاله لا يعود إلا عليه

[وما أنت عليهم بوكيل] أي لست بموكل عليهم ، حتى تجبرهم على الإيمان قال الصاوى : وفي هذه تسلية لرسول الله (ص) والمعنى : ليس هداهم بيدك حتى تقهرهم وتجبرهم عليه ، وإنما هو بيدنا ، فإن شئنا هديناهم ، وإن شئنا أبقيناهم على ما هم عليه من الضلال

[الله يتوفى الأنفس حين موتها] أي يقبضها من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأبدان عند فناء آجالها وهي (الوفاة الكبرى)
[والتي لم تمت في منامها] أي ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها ، وهي (الوفاة الصغرى) قال في التسهيل : هذه الآية للاعتبار ومعناها أن الله يتوفى النفوس على وجهين : أحدهما : وفاة كاملة حقيقية وهي الموت ، والأخر : وفاة النوم لأن النائم كالميت ، في كونه لا يبصر ولا يسمع ، ومنه قوله تعالى :
[وهو الذي يتوفاكم بالليل] وفي الآية عطف والتقدير : ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها وقال ابن كثير : أخبر تعالى بأنه المتصرف في الوجود كما يشاء ، وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى ، بما يرسل من الحفظة - الملائكة - الذين يقبضونها من الأبدان ، والوفاة الصغرى عند المنام
[فيمسك التي قضى عليها الموت] أي فيمسك الروح التي قضى على صاحبها الموت ، فلا يردها إلى البدن
[ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى] أي ويرسل الأنفس النائمة إلى بدنها عند اليقظة ، إلى وقت محدود ، هو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أجل موتها الحقيقي ، قال ابن عباس : إن أرواح الأحياء والأموات تلتقى في المنام ، فتتعارف ما شاء الله لها ، فإذا أرادت الرجوع إلى أجسادها ، أمسك الله أرواح الأموات عنده ، وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها قال القرطبي : وفي الآية تنبيه على عظيم قدرته تعالى ، وإنفراده بالألوهية ، وأنه يحيي ويميت ، ويفعل ما يشاء ، لا يقدر على ذلك سواه ، ولهذا قال : [إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون] أي إن في هذه الأفعال العجيبة ، لعلامات واضحة قاطعة ، على كمال قدرة الله وعلمه ، لقوم يجيلون أفكارهم فيها فيعتبرون ! !

[أم إتخذوا من دون الله شفعاء] أم للإضراب أي لم يتفكروا ، بل إتخذوا لهم شفعاء من الأوثان والأصنام ، فانظر إلى فرط جهالتهم ، حيث اتخذوا من لا يملك شيئا أصلا ، شفعاء لهم عند الله ، قال ابن كثير : هذا ذم للمشركين في اتخاذهم شفعاء من دون الله - وهي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأصنام - والأوثان التي اتخذوها من تلقاء أنفسهم ، بلا دليل ولا برهان ، وهي لا تملك شيئا من الأمر ، وليس لها عقل تعقل به ، ولا سمع تسمع به ، ولا بصر تبصر به ، بل هي جمادات أسوا حالا بكثير من الحيوانات

[قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون] الاستفهام توبيخى ، أي قل لهم يا محمد : أتتخذونهم شفعاء ، ولو كانوا على هذه الصفة ؟ جمادات لا تقدر على شيء ، ولا عقل لها ولا شعور ؟

[قل لله الشفاعة جميعا] أي قل لهم : الشفاعة لله وحده ، لا يملكها أحد إلا الله تعالى ، ولا يستطيع أحد أن يشفع إلا باذنه

[له ملك السموات والأرض] أي هو المتصرف في الملك والملكوت ، قال البيضاوي : أي هو تعالى مالك الملك كله ، لا يملك أحد أن يتكلم في أمره دون إذنه ورضاه

[ثم إليه ترجعون] أي ثم مصيركم إليه يوم القيامة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيحكم بينكم بعدله ، ويجازي كلا بعمله . . ثم ذكر تعالى نوعا آخر من أفعالهم القبيحة فقال :

[وإذا ذكر الله وحده] أي وإذا أفرد الله بالذكر ، ولم يذكر معه آلهتهم ، وقيل أمام المشركين : لا إله إلا الله [إشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة] أي نفرت وإنقبضت ، من شدة الكراهة قلوب هؤلاء المشركين [وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون] أي وإذا ذكرت الأوثان والأصنام ، إذا هم يفرحون ويسرون ، قال الأمام الفخر : هذا نوع آخر من قبائح المشركين ، فإنك إذا ذكرت الله وحده وقلت : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) ، ظهرت آثار النفرة من وجوههم وقلوبهم ، وإذا ذكرت الأصنام والأوثان ، ظهرت آثار الفرح والبشارة في قلوبهم وصدورهم ، وذلك يدل على الجهل والحماقة ، لأن ذكر الله رأس السعادات ، وعنوان الخيرات ، وذكر الأصنام الجمادات ، رأس الجهالات والحماقات ، فنفرتهم عن ذكر الله ، واستبشارهم بذكر الأصنام ، من أقوى الدلائل على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجهل الغليظ ، والحمق الشديد
[قل اللهم فاطر السموات والأرض] أي قل : يا الله ، يا خالق ومبدع السموات والأرض
[عالم الغيب والشهادة] أي يا عالم السر والعلانية ، يا من لا تخفى عليه خافية ، مما هو غائب عن الأعين أو مشاهد بالأبصار
[أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون] أي أنت تفصل بين الخلائق ، بعدلك وقضائك ، فافصل بينى وبين هؤلاء المشركين ، قال في البحر : لما أخبر عن سخافة عقولهم باشمئزازهم من ذكر الله ، واستبشارهم بذكر الأصنام ، أمر رسوله أن يدعوه بأسمائه العظمى ، من القدرة والعلم ، ليفصل بينه وبين أعدائه ، وفي ذلك وعيد للمشركين ، وتسلية للرسول عليه الصلاة والسلام ، وقال الصاوي : أي إلتجئ إلى ربك بالدعاء والتضرع ، فإنه القادر على كل شيء
[ولو أن للذين ظلموا] أي ولو أن لهؤلاء المشركين ، الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب القرآن والرسول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ما في الأرض جميعا ومثله معه] أي لو ملكوا كل ما في الأرض من أموال ، وملكوا مثل ذلك معه

[لإفتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة] أي لجعلوا كل ما لديهم من أموال وذخائر ، فدية لأنفسهم من ذلك العقاب الشديد يوم القيامة

[وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون] أي وظهر له من أنواع العقوبات ، ما لم يكن في حسابهم ، قال أبو السعود : وهذه غاية من الوعيد لا غاية وراءها ، ونظيرها في الوعد [فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين]

[وبدا لهم سيئات ما كسبوا] أي وظهر لهم في ذلك اليوم المفزع ، سيئات أعمالهم التي اكتسبوها

[وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون] أي وأحاط ونزل بهم من كل الجوانب ، جزاء ما كانوا يستهزئون به ، قال ابن كثير : أي أحاط بهم من العذاب والنكال ، ما كانوا يستهزئون به في الدنيا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فإذا مس الإنسان ضر دعانا] أي فإذا أصاب هذا الإنسان الكافر شئ من الشدة والبلاء ، تضرع إلى الله وأناب إليه

[ثم إذا خولناه نعمة منا] أي ثم إذا أعطيناه نعمة منا تفضلا عليه وكرما

[قال إنما أوتيته على علم] أي قال ذلك الإنسان الكافر الجاحد : إنما أعطيته على علم مني بوجوه المكاسب والمتاجر

[بل هي فتنة] أي ليس الأمر كما زعم ، بل هي اختبار وامتحان له ، لنختبره فيما أنعمنا عليه أيطيع أم يعصي ؟

[ولكن أكثرهم لا يعلمون] أي ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن إعطاءهم المال ، اختبار وابتلاء فلذلك يبطرون

[قد قالها الذين من قبلهم] أي قال تلك الكلمة والمقالة الكفار قبلهم ، كقارون وغيره حيث قال : [إنما أوتيته على علم عندى]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون] أي فما نفعهم ما جمعوه من الأموال ، ولا ما حسبوه من الحطام

[فأصابهم سيئات ما كسبوا] أي فنالهم جزاء أعمالهم السيئة

[والذين ظلموا من هؤلاء] أي والذين ظلموا من هؤلاء المشركين كفار قريش.

[سيصيبهم سيئات ما كسبوا] أي سينالهم جزاء أعمالهم القبيحة كما أصاب أولئك ، قال البيضاوي : وقد أصابهم ذلك فإنهم قد قحطوا سبع سنين ، حتى أكلوا الجيف ، وقتل ببدر صناديدهم

[وما هم بمعجزين] أي وليسوا بفائتين من عذابنا ، لا يعجزوننا هربا ، ولا يفوتوننا طلبا! ! ثم رد تعالى عليهم زعمهم فيما أوتوا من المال وسعة الحال ، فقال :

[أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر] ؟ أي أولم يعلم هؤلاء المشركون ، أن الله يوسع الرزق على قوم ، ويضيقه على آخرين ؟ فليس أمر الرزق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تابعا لذكاء الإنسان أو غبائه ، إنما هو نابع للقسمة والحكمة

[إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون] أي إن في الذي ذكر ، لعبرة وحججا لقوم يصدقون بآيات الله ، وخص المؤمن بالذكر ، لأنه هو الذي يتدبر الآيات وينتفع بها ، ويعلم أن سعة الرزق قد يكون استدراجا ، وأن تقتيره قد يكون إعظاما

قال الله تعالى : [قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم . .] إلى قوله [وقيل الحمد لله رب العالمين] . من آية (53) إلى آية (75) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما ذكر تعالى أحوال الفجرة المشركين ، وذكر ما يكونون عليه في الآخرة من الذل والهوان ، دعا المؤمنين إلى الإنابة والتوبة قبل فوات الأوان ، وختم السورة بذكر عظمة الله وجلاله يوم الحشر الأكبر ، حيث يكون العدل الإلهي والقسطاس المستقيم ، ويساق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السعداء إلى الجنة زمرا ، والأشقياء إلى النار زمرا

[وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا . .] الآية .

اللغه :

[بغتة] فجأة

[مثوى] مكان إقامة يقال : ثوى بالمكان أقام فيه

[مقاليد] خزائن ومفاتيح

[زمرا] جماعات جماعات جمع زمرة وهي الجماعة

[خزنتها] حراسها الموكلون عليها

[نتبوأ] تبوأ المكان حل ونزل فيه

[حافين] محيطين به من أطرافه وجهاته .

التفسير :

[قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم] بشر يا أيها الرسول عبادي المؤمنين ، الذين أفرطوا في الجناية على أنفسهم بالمعاصي والآثام ، وقل لهم :

[لا تقنطوا من رحمة الله] أي لا تيأسوا من مغفرة الله ورحمته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن الله يغفر الذنوب جميعا] أي إنه تعالى يعفو عن جميع الذنوب لمن شاء ، وإن كانت مثل زبد البحر

[إنه هو الغفور الرحيم] أي عظيم المغفرة ، واسع الرحمة ، وظاهر الآية أنها دعوة للمؤمنين إلى عدم اليأس من رحمة الله لقوله : [قل يا عبادي] وقال ابن كثير : هي دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة ، وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعا ، لمن تاب منها ورجع عنها مهما كثرت

[وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له] أي ارجعوا إلى الله واستسلموا له ، بالطاعة والخضوع ؟ والعمل الصالح

[من قبل أن يأتيكم العذاب] من قبل حلول نقمته تعالى بكم

[ثم لا تنصرون] أي ثم لا تجدون من يمنعكم من عذابه

[واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم] أي اتبعوا القرآن العظيم ، بامتثال أوامره ، واجتناب نواهية ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والزموا أحسن كتاب أنزل إليكم فيه سعادتكم وفلاحكم

[من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون] أي من قبل أن ينزل بكم ، العذاب فجأة ، وأنتم غافون ، لا تدرون بمجيئه لتتداركوا وتتأهبوا

[أن تقول نفس] أي لئلا تقول بعض النفوس التي أسرفت في العصيان

[يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله] أي يا حسرتي وندامتي على تفريطي وتقصيري في طاعة الله وفي حقه ، قال مجاهد : يا حسرتا على ما ضيعت من أمر الله

[وإن كنت لمن الساخرين] أي وإن حسرتي ولهفتى أننى كنت من المستهزئين بشريعة الله ودينه ، قال قتادة : لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها

[أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين] أي يقول الكافر والفاجر : لو إن الله هداني لاهتديت إلى الحق ، وأطعت الله ، وكنت من عباده الصالحين ، قال ابن كثير : يتحسر المجرم ويود لو كان من المحسنين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المخلصين ، المطيعين لله عز وجل

[أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين] أي تقول تلك النفس الفاجرة ، حين مشاهدتها العذاب ، لو أن لي رجعة إلى الدنيا لأعمل بطاعة الله ، وأحسن سيرتي وعملي

[بلى قد جاءتك آياتي] هو جواب قوله : [لو أن الله هداني] والمعنى : بلى قد جاءك الهدى من الله ، بإرساله الرسل ، وإنزاله الكتب

[فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين] أي فكذبت بالآيات ، وتكبرت عن الإيمان ، وكنت من الجاحدين ، قال الصاوي : إن الكافر أولا يتحسر ، ثم يحتج بحجج واهية ، ثم يتمنى الرجوع إلى الدنيا ، ولو رد لعاد إلى ضلاله كما قال تعالى : [ولو ردروا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون]

[ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة] أي ويوم القيامة ترى أيها المخاطب الذين كذبوا على الله ، بنسبة الشريك له والولد ، وجوههم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سوداء مظلمة ، بكذبهم وإفترائهم
[أليس في جهنم مثوى للمتكبرين] استفهام تقريري أي أليس في جهنم مقام ومأوى للمستكبرين عن الإيمان ، وعن طاعة الرحمن ؟ بلى إن لهم منزلا ومأوى في دار الجحيم ! ! ولما ذكر حال الكاذبين على الله ، ذكر حال المتقين لله ، فقال سبحانه :
[وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم] أي وينجي الله المتقين ، بسبب سعادتهم وفوزهم بمطلوبهم ، وهو الجنة دار الأبرار
[لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون] أي لا ينالهم هلع ولا جزع ، ولا هم يحزنون في الآخرة ، بل هم آمنون [في مقعد صدق عند مليك مقتدر] ثم عاد إلى دلائل الألوهية والتوحيد ، بعد أن أفاض فى الوعد والوعيد ، فقال سبحانه :
[الله خالق كل شيء] أي الله جل وعلا خالق جميع الأشياء ، وموجد جميع المخلوقات ، والمتصرف فيها كيف يشاء ، لا إله غيره ، ولا رب سواه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وهو على كل شئ وكيل] أي هو القائم بتدبير كل شيء

[له مقاليد السموات والأرض] أي بيده جل وعلا مفاتيح خزائن كل الأشياء ، لا يملك أمرها ، ولا يتصرف فيها غيره ، قال ابن عباس : " مقاليد " مفاتيح ، وقال السدي : خزائن السموات والأرض بيده

[والذي كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون] أي والذين كذبوا بآيات القرآن الظاهرة ، والمعجزات الباهرة ، أولئك هم الخاسرون أشد الخسران

[قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون] ؟ أي قل يا محمد أتأمرونني أن أعبد غير الله ؟ بعد سطوع الآيات والدلائل على وحدانيته ؟ يا أيها الجاهلون ؟ قال ابن كثير : إن المشركين من جهلهم دعوا رسول الله(ص) ، إلى عبادة آلهتهم ، ويعبدوا معه إلهه ، فنزلت الآية

[ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك] اللام موطئة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للقسم أي والله لقد أوحي الله إليك وإلى الأنبياء قبلك

[لئن أشركت ليحبطن عملك] أي لئن أشركت يا محمد ليبطلن ويفسدن عملك الصالح

[ولتكونن من الخاسرين] أي ولتكونن في الآخرة من جملة الخاسرين بسبب ذلك . . وهذا على سبيل الفرض والتقدير ، وإلا فالرسول (ص) قد عصمه الله ، وحاشا له أن يشرك بالله ، وهو الذي جاء لإقامة صرح الإيمان والتوحيد ، قال أبو السعود والكلام وارد على طريقة الفرض ، لتهييج الرسل ، وإقناط الكفرة ، والإيذان بغاية شناعة الإشراك وقبحه

[بل الله فاعبد] أي أخلص العبادة لله وحده ، ولا تعبد أحدا سواه

[وكن من الشاكرين] أي وكن من الشاكرين لإنعام ربك

[وما قدروا الله حق قدره] أي وما عرفوا الله حق معرفته ، ولا عظموه حق تعظيمه ، قال أبو حيان : أي ما عظموه حق تعظيمه ، وما قدروه في أنفسهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حق تقديره ، إذ أشركوا معه غيره ، وساووا بينه وبين الحجر والوثن في العبادة ! ! ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه فقال :

[والأرض جميعا قبضته يوم القيامة] والمعنى : ما عظموه حق تعظيمه ، والحال أنه موصوف بهذه القدرة الباهرة ، التي هي غاية العظمة والجلال فالأرض مع سعتها وبسطتها ، في قبضة الرحمن يوم القيامة .

[والسموات مطويات بيمينه] والسموات مضمومات ومجموعات على سعتها وعظمها مطويات بيمينه ، قال الزمخشري : والغرض من هذا الكلام تصوير عظمتة والتوقيف علي كنه جلاله لا غير ، من غير ذهاب بالقبضة واليمين إلي جهه وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية ، والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف ، وفي الحديث (يقبض الله تعالى الأرض ، ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض) ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[سبحانه وتعالى عما يشركون] أي تنزه الله وتقدس عما يصفه به المشركون ، من صفات العجز والنقص ، ثم ذكر تعالى أهوال الآخرة فقال سبحانه :

[ونفخ في الصور] هو قرن ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام بأمر الله ، والمراد بالنفخة هنا (نفخة الصعق) التي تكون بعد نفخة الفزع ، قال ابن كثير : وهي النفخة الثانية التي يموت بها الأحياء ، من أهل السموات والأرض

[فصعق من في السموات ومن في الأرض] أي فخر ميتا كل من في السموات والأرض

[إلا من شاء الله] أي إلا من شاء الله بقاءه ، كحملة العرش ، والحور العين ، والولدان

[ثم نفخ فيه أخرى] أي نفخ فيه نفخة أخرى وهي (نفخة الإحياء)

[فإذا هم قيام ينظرون] أي فإذا جميع الخلائق الأموات ، يقومون من القبور ينظرون هول الحشر الأكبر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأشرقت الأرض بنور ربها] أي وأضاءت أرض المحشر ، بنور الله يوم القيامة ، حين تجلى الباري جل وعلا ، لفصل القضاء بين العباد

[ووضع الكتاب] أي أحضرت صحائف أعمال الخلائق للحساب

[وجيء بالنبيين والشهداء] أي وجيء بالأنبياء ، ليسألهم رب العزة عما أجابتهم به أممهم ، وبالشهداء وهم " الحفظة " من الملائكة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم ((هذا قول ابن زيد وهو الأظهر كما في قوله تعالى {وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد} فالسائق يسوقها إلى الحساب ، والشاهد يشهد عليها ، وهو الملك الموكل بالإنسان)) . وقال السدي : هم الذين استشهدوا في سبيل الله

[وقضي بينهم بالحق] أي وقضي بين العباد جميعا ، بالقسط والعدل

[وهم لا يظلمون] أي وهم في الآخرة لا يظلمون شيئا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من أعمالهم ، لا بنقص ثواب ، ولا بزيادة عقاب ، قال ابن جبير : لا ينقص من حسناتهم ، ولا يزاد على سيئاتهم

[ووفيت كل نفس ما عملت] أي جوزي كل إنسان بما عمل ، من خير أو شر

[وهو أعلم بما يفعلون] أي هو تعالى أعلم بما عمل كل إنسان ، لا حاجة به إلى كتاب ولا إلى شاهد ، ومع ذلك تشهد الكتب إلزاما للحجة . . ثم فضل تعالى مآل كل من الأشقياء والسعداء ، فقال سبحانه :

[وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا] أي وسيق الكفرة المجرمون إلى نار جهنم ، جماعات جماعات ، كما يساق الأشقياء في الدنيا إلى السجون

[حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها] أي حتى إذا وصلوا إليها فتحت أبواب جهنم فجأة لتستقبلهم

[وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم] ؟ أي وقال لهم خزنة جهنم ، تقريعا وتوبيخا : ألم يأتكم رسل من البشر ؟ يتلون عليكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكتب المنزلة من السماء ؟

[وينذرونكم لقاء يومكم هذا] ؟ أي ويخوفونكم من شر هذا اليوم العصيب ؟

[قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين] أي قالوا : بلى قد جاءونا وأنذرونا ، وأقاموا علينا الحجج والبراهين ، ولكننا كذبناهم وخالفناهم ، لما سبق لنا من الشقاوة ، قال القرطبي : وهذا إعتراف منهم بقيام الحجة عليهم ، والمراد بكلمة العذاب ، قوله تعالى [لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين]

[قيل أدخلوا أبواب جهنم خالدين فيها] أي قيل لهم : ادخلوا جهنم لتصلوا سعيرها ماكثين فيها أبدا ، بلا زوال ولا إنتقال

[فبئس مثوى المتكبرين] أي فبئس المقام والمأوى والمسكن (جهنم) للمتكبرين عن الإيمان بالله ، وتصديق رسل الرحمن ! ؟

[وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا] أي وسيق الأبرار المتقون لله ، إلى الجنة جماعات ، جماعات ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

راكبين على النجائب ، قال القرطبي : سوق أهل النار طردهم إليها بالخزي والهوان ، كما يفعل بالمجرمين الخارجين على السلطان ، وسوق أهل الجنان سوق مراكبهم إلى دار الكرامة والرضوان ، لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين ، كما يفعل بالوافدين على الملوك ، فشتان ما بين السوقين

[حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها] أي حتي إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها ، كقوله تعالى : [جنات عدن مفتحة لهم الأبواب] قال الصاوي : والحكمة في زيادة الواو هنا [وفتحت] دون التي قبلها ، أن أبواب السجون تكون مغلقة إلى أن يجيئها أصحاب الجرائم ، فتفتح لهم ثم تغلق عليهم ، بخلاف أبواب السرور والفرح ، فإنها تفتح إنتظارا لمن يدخلها ، فناسب دخول (الواو) هنا دون التى قبلها

[وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين] أي وقال لهم حراس الجنة : سلام عليكم أيها المتقون الأبرار [طبتم] أي طهرتم من دنس المعاصي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والذنوب ، فادخلوا الجنة دار الخلود ، قال البيضاوى ؟ وجواب " إذا " محذوف ، للدلالة على أن لهم من الكرامة والتعظيم ، ما لا يحيط به الوصف والبيان قال ابن كثير : وتقديره إذا كان هذا سعدوا ، وطابوا ، وسروا وفرحوا ، بقدر ما يكون لهم من النعيم

[وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده] أي وقالوا عند دخولهم الجنة ، واستقرارهم فيها : الحمد لله الذي حقق لنا ما وعدنا به من دخول الجنة ، والإشارة إلى وعده تعالى لهم بقوله : [تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا]

[وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء] أي وملكنا أرض الجنة نتصرف فيها تصرف المالك في ملكه ، وننزل فيها حيث نشاء ، لا ينازعنا فيها أحد

[فنعم أجر العاملين] أي فنعم أجر العاملين بطاعة الله الجنة

[وترى الملائكة حافين من حول العرش] أي وترى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يا أيها الرسول الملائكة محيطين بعرش الرحمن ، محدقين به من كل جانب

[يسبحون بحمد ربهم] أي يسبحون الله ويمجدونه ، تلذذا دون جهل! ولا عناء

[وقضي بينهم بالحق] أي وقضى بين العباد بالعدل

[وقيل الحمد لله رب العالمين] أي وقيل الحمد لله على عدله وقضائه ، قال المفسرون : القائل هم المؤمنون والكافرون ، المؤمنون يحمدون الله على فضله ، والكافرون يحمدونه على عدله ، وقال ابن كثير : نطق الكون أجمعه ، ناطقه وبهيمه ، لله رب العالمين بالحمد في حكمه وعدله ، ولهذا لم يسند القول إلى قائل ، بل أطلقه ، فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد.

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1 - ا لطباق بين [تكفروا . . وتشكروا] وبين [يرجو . . ويحذر] وبين [فوقهم . . وتحتهم] وبين [ضر . . ورحمة] وبين [الغيب . . والشهادة] وبين [يبسط . . ويقدر] وبين [إهتدى . . وضل] إلخ .

2 - جناس الاشتقاق [يتوكل المتوكلون] وكذلك في قوله : [أحسنوا في هذه الدنيا حسنة] .

3 - الأسلوب التهكمي [لهم من فوقهم ظلل من النار] إطلاق الظلة عليها تهكم لأنها محرقة ، والظلة تقي من الحر.

4 - المقابلة الرائعة [وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة . .] الآية فقد قابل بين الله والأصنام ، وبين السرور والاشمئزاز ، وكذلك توجد مقابلة بين آيتي السعداء والأشقياء [وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا] وقابل ذلك بقوله : [وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا . .] والمقابلة أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب وهو من المحسنات البديعية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

5 - الإيجاز بالحذف لدلالة السياق عليه [أفمن شرح الله صدره للإسلام] ؟ حذف خبره وتقديره كمن طبع الله على قلبه ؟ ومثله [أفمن هو قانت آناء الليل] ؟ أي كمن هو كافر جاحد لربه ؟ .

6 - الأمر الذي يراد منه التهديد [قل تمتع بكفرك] ومثله [اعملوا على مكانتكم] للمبالغة في الوعيد .

7 - المجاز المرسل [أفأنت تنقذ من في النار] ؟ أطلق المسبب وأراد السبب ، لأن الضلال سبب لدخول النار .

8 - الاستعارة اللطيفة [له مقاليد السموات والأرض] أي مفاتيح خيراتهما ، ومعادن بركاتهما ، فشبه الخيرات والبركات بخزائن واستعار لها لفظ المقاليد ، بمعنى المفاتيح ، ومعنى الآية : خزائن رحمته وفضله بيده تعالي .

9 - الاستعارة التمثيلية [والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه] مثل لعظمته وكمال قدرته ، وحقارة الأجرام العظام التي تتحير فيها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأوهام ، بالنسبة لقدرته تعالي بمن قبض شيئا عظيما بكفه ، وطوى السموات بيمينه بطريق (الاستعارة التمثيلية) . والأظهر أن الآية على ظاهرها ، كما جاء في الحديث الصحيح : (يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أنا الملك ، أين ملوك الأرض 00) أخرجه البخاري .

10 - الكناية [أن تقول نفس يا حسرتا علي ما فرطت في جنب الله] جنب الله كناية عن حق الله وطاعته ، وهذا من لطيف الكنايات ، أي يا حسرتا على ما فرطت في حق الله تعالى ، وما قصرت في واجب طاعته وعبادته .

11 - الالتفات من التكلم إلي الغيبة [لا تقنطوا من رحمة الله] والأصل : لا تقنطوا من رحمتي ، قال علماء البيان : وفي الآية الكريمة [قل يا عبادى الذين أسرفوا علي أنفسهم . .] الآية من أنواع المعاني والبيان أمور حسان : منها الالتفات من المتكلم إلي الغيبة [من رحمة الله] ومنها إضافة الرحمة للفظ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجلالة الجامع لجميع الأسماء والصفات ، ومنها الإتيان بالجملة المعرفة الطرفين المؤكدة بإن وضمير الفصل [إنه هو الغفور الرحيم] . 1

---

12 - توافق الفواصل في الحرف الأخير ، وهو نهاية في الروعة والجمال إقرأ مثلا قوله تعالى : [ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخري فإذا هم قيام ينظرون وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون *ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون] ألا تأخذك روعة هذا البيان ، برونقه ، وجماله ، وأدائه ، فينطلق لسانك بذكر الرحمن ؟ !

سورة غافر

مكية وآياتها خمس وثمانون آية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بين يدي السورة

سورة غافر مكية ، وهي تعنى بأمور العقيدة كشأن سائر السور المكية ، ويكاد يكون موضوع السورة البارز ، هو المعركة بين (الحق) و(الباطل) و(الهدى) و(الضلال) ولهذا جاء جو السورة مشحونا بطابع العنف والشدة ، وكأنه جو معركة رهيبة ، يكون فيها الطعن والنزال ، ثم تسفر عن مصارع الطغاة ، فإذا بهم حطأم وركام .

* ابتدأت السورة الكريمة بالإشادة بصفات الله الحسنى ، وآيته العظمى ، ثم عرضت لمجادلة الكافرين في آيات الله ، فمع وضوح الحق وسطوعه ، جادل فيه المجادلون ، وكابر فيه المكابرون [حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم. .] .

* وعرضت السورة لمصارع الغابرين وقد أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ، فلم يفلت منهم إنسان [كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم . .] الآيات .

* وفي ثنايا هذا الجو الرهيب ، يأتي مشهد حملة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العرش ، في دعائهم الخاشع المنيب [الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم . .] الآيات .

* وتحدثت السورة عن بعض مشاهد الآخرة وأهوالها ، فإذا العباد واقفون للحساب ، بارزون أمام الملك الديان ، يغمرهم رهبة وخشوع ، وإذا القلوب لدى الحناجر ، تكاد لشدة الفزع والهول تتخلع ، وفي ذلك الموقف الرهيب ، واليوم العصيب ، يلقى الإنسان جزاءه ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر [يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار. اليوم تجزى كل نفس بما كسبت . .] الآيات .

* ثم يأتي الحديث عن قصة الإيمان والطغيان ، ممثلة في دعوة موسى عليه السلام لفرعون الطاغية الجبار ، ففرعون يريد - بكبريائه وجبروته - أن يقضي على موسى وأتباعه ، خشية أن ينتشر الإيمان بين الأقوام ، وتبرز في ثنايا هذه القصة حلقة جديدة ، لم تعرض في قصة موسى من قبل ، ألا وهي ظهور رجل (مؤمن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من آل فرعون) يخفي إيمانه ، يصدع بكلمة الحق في تلطف وحذر ، ثم في صراحة ووضوح ، وتنتهي القصة بهلاك فرعون الطاغية الجبار بالغرق في البحر مع أعوانه وأنصاره ، وبنجاة الداعية المؤمن وسائر المؤمنين [ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين . إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب . .] الآيات .

* ثم تعرض السورة إلى بعض الآيات الكونية ، الشاهدة بعظمة الله ، الناطقة بوحدانيته وجلاله ، الذي يشركون به ويكفرون بآياته ، وتضرب مثلا للمؤمن والكافر : بالبصير والأعمى ، فالمؤمن على نور من الله وبصيرة ، والكافر يتخبط في الظلام [وما يستوي الأعمى والبصير ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون . أن الساعة لآتية لا ريب فيها . .] الآيات .

* وتختم السورة الكريمة بالحديث عن مصارع المكذبين ، والطغاة المتجبرين ، ومشهد العذاب يأخذهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهم في غفلتهم سادرون [فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون . .] إلى نهاية السورة الكريمة .

التسمية :

سميت " سورة غافر " لأن الله تعالى ذكر هذا الوصف الجليل - الذي هو من صفات الله الحسنى - في مطلع السورة الكريمة [غافر الذنب وقابل التوب] وكرر ذكر المغفرة في دعوة الرجل المؤمن [وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار] وتسمى سورة " المؤمن " لذكر قصة مؤمن آل فرعون .

اللغة :

[غافر] الغفر : الستر والمحو والتكفير

[الطول] الإنعام والتفضيل

[يدحضوا] يبطلوا ويزيلوا ، يقال : الباطل داحض ، لأنه يزلق ويزل فلا يستقر

[حقت] وجبت ولزمت

[مقت] المقت : شدة البغض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الروح] الوحي والنبؤة سمي روحا لأن القلوب تحيا به كما تحيا الأبدان بالأرواح

[التلاق] الاجتماع في الحشر

[بارزون] ظاهرون لا يسترهم شيء

[الآزفة] اسم للقيامة سميت آزفة لقربها ، يقال أزف الشيء إذا اقترب

[واق] دافع يدفع عنهم العذاب . تفسير سورة غافر

التفسير :

[حم] الحروف المقطعة للتنبيه على إعجاز القرآن ، وللإرشاد على أن هذا القرآن المعجز منظوم من أمثال .هذه الحروف الهجائية

[تنزيل الكتاب من الله] أي هذا القرآن تنزيل من الله

[العزيز العليم] أي العزيز في ملكه ، العليم في خلقه

[غافر الذنب وقابل التوب] أي الذي يعفو عن ذنوب العباد ، ويقبل توبة العصاة لمن تاب منهم وأناب

[شديد العقاب] أي شديد العقاب لمن تكبر وطغى ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأعرض عن طاعة المولى

[ذي الطول] أي ذي الفضل والإنعام

[لا إله إلا هو] أي لا معبود بحق إلا الله ، ولا رب في الوجود سواه

[إليه المصير] أي إليه وحده مرجع الخلائق فيجازيهم بأعمالهم ، وإنما قدم المغفرة والتوبة على العقاب ، للإشارة إلى سعة الفضل وأن رحمته سبقت عذابه . . ثم لما ذكر أن القرآن هداية الله للعالمين ، أعقبه بذكر المجادلين المعاندين فقال

[ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا] أي ما يدفع الحق ويجادل في هذا القرآن - بعد وضوح آياته وظهور إعجازه - إلا الجاحدون لآيات الله ، المعاندون لرسله

[فلا يغررك تقلبهم في البلاد] أي فلا تغتر أيها العاقل بتصرفهم وتقلبهم في هذه الدنيا ، بالمساكن والمزارع ، والممالك والتجارات ، فإنهم أشقى الناس ، وما هم عليه من النعيم متاع قليل ، وظل زائل ، فإني وإن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمهلتهم لا أهملهم ، بل آخذهم بعد ذلك النعيم أخذ عزيز مقتدر ، قال في التسهيل : والآية تسلية للنبي (ص) ووعيد شديد للكفار

[كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم] أي كذب قبل كفار مكة أقوام كثيرون ، منهم قوم نوح ، والأمم الذين تحزبوا على أنبيائهم ، ولم يقبلوا ما جاءوا به من عند الله ، كقوم عاد ، وثمود ، وفرعون وأمثالهم

[وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه] أي وهمت كل أمة من الأمم المكذبين ، أن يقتلوا رسولهم ويبطشوا به ، قال ابن كثير : أي حرصوا على قتله بكل ممكن ومنهم من قتل رسوله

[وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق] أي جادلوا رسلهم بالباطل ليزيلوا ويبطلوا به الحق الواضح الجلي

[فأخدتهم] أي فأهلكتهم إهلاكا مريعا

[فكيف كان عقاب] استفهام تعجيب ، أي فكيف كان عقابي لهم ؟ ألم يكن شديدا فظيعا ؟

[وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا] آي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكذلك وجبت كلمة العذاب على هؤلاء المكذبين من قومك ، كما وجبت لمن سبقهم من الكفار

[أنهم أصحاب النار] أي لأنهم أهل النار ، قال الطبري : أي كما حق على الأمم التي كذبت رسلها وحل بها عقابي ، كذلك وجبت كلمة العذاب على الذين كفروا بالله من قومك ، لأنهم أصحاب النار . . ثم ذكر تعالى حال الملائكة الأطهار ، والمؤمنين الأبرار ، بعد أن ذكر حال الكفار والفجار فقال

[الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم] أي هؤلاء العباد المقربون - حملة العرش - ومن حول العرش من أشراف الملائكة وأكابرهم ، ممن لا يحصي عددهم إلا الله ، هم في عبادة دائبة لله ، ينزهونه عن صفات النقص ، ويثنون عليه بصفات الكمال

[ويؤمنون به] أي ويصدقون بوجوده تعالى ، وبأنه لا إله لهم سواه ، ولا يستكبرون عن عبادته قال الزمخشري : فإن قلت : ما فائدة قوله [ويؤمنون به]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا يخفى أن حملة العرش وجميع الملائكة يؤمنون بالله ؟ فالجواب أن ذلك إظهار لفضيلة الإيمان وشرفه ، والترغيب فيه ، فإيمانهم بالله ، وتعظيمهم له راسخ لا يتزعزع

[ويستغفرون للذين آمنوا] أي وهم مع عبادتهم واستغراقهم في تسبيح الله وتمجيده ، يطلبون من الله المغفرة للمؤمنين قائلين

[ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما] أي يا ربنا وسعت رحمتك وعلمك كل شيء قال المفسرون : وفي وصف الله تعالى بالرحمة والعلم - وهو ثناء قبل الدعاء - تعليم العباد أدب السؤال والدعاء ، فهم يبدأون دعاءهم بأدب ، ويستمطرون إحسانه وفضله وإنعامه

[فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك] أي فأصفح عن المسيئين المذنبين ، التائبين عن الشرك والمعاصي ، المتبعين لسبيل الحق الذي جاء به أنبياؤك ورسلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وقهم عذاب الجحيم] أي واحفظهم من عذاب جهنم

[ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم] أي أدخلهم جنات النعيم والإقامة التي وعدتهم إياها

[ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم] آي وأدخل الصالحين من الآباء والأزواج والأولاد في جنات النعيم أيضا ليتم سرورهم بهم قال ابن كثير : اي اجمع بينهم وبينهم لتقر بذلك أعينهم ، بالاجتماع في الجنة بمنازل متجاورة

[إنك أنت العزيز الحكيم] أي العزيز الذي لا يغلب ولا يمتنع عليه شيء ، الحكيم الذي لا يفعل إلا ما فيه الحكمة والمصلحة

[وقهم السيئات] هذا من تمام دعاء الملائكة أي احفظهم يا رب من فعل المنكرات وإلىواحش التي توبق أصحابها

[ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته] أي ومن حفظته من نتائجها وعواقبها يوم القيامة ، فقد لطفت به ونجيته من العقوبة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وذلك هو الفوز العظيم] أي وذلك الغفران ودخول الجنان ، هو الظفر العظيم الذي لا ظفر مثله . . ولما تحدث عن أحوال المؤمنين ، ذكر شيئا من أحوال الكافرين ، فقال سبحانه

[إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم] أي تناديهم الملائكة يوم القيامة على جهة التوبيخ والتقريع : لبغض الله الشديد لكم في الدنيا ، أعظم من بغضكم اليوم لأنفسكم

[إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون] آي حين كنتم تدعون إلى الإيمان فتكفرون بالله ورسله ، كبرا وعتوا قال قتادة : بغض الله لأهل الضلالة حين عرض عليهم الإيمان في الدنيا فأبوا أن يقبلوه ، أكبر مما مقتوا أنفسهم حين عاينوا عذاب الله

[قالوا ربنا أمتنا إثنتين وأحييتنا إثنتين] أي قال الكفار لما رأوا الشدائد والأهوال : يا ربنا أمتنا مرتين ، وأحييتنا مرتين

[فاعترفنا بذنوبنا] أي فاعترفنا بما جنيناه من الذنوب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الدنيا

[فهل إلى خروج من سبيل] أي فهل تردنا إلى الدنيا لنعمل بطاعتك ؟ وهل تخرجنا من النار لنسلك طريق الأبرار ؟ قال المفسرون : الموتة الأولى حين كانوا في العدم ، والموتة الثانية حين ماتوا في الدنيا ، والحياة الأولى حياة الدنيا ، والحياة الثانية حياة البعث يوم القيامة ، فهاتان موتتان وحياتان ، وإنما قالوا ذلك على سبيل التعطف والتوسل الن رضى الله ، بعد أن عاينوا العذاب ، وقد كانوا يكفرون وينكرون ، ولهذا جاء الجواب

[ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم] أي ذلكم العذاب والخلود في نار جهنم ، بسبب كفركم وعدم إيمانكم بالله ، فإذا دعيتم إلى التوحيد كفرتم

[وإن يشرك به تؤمنوا] وإن دعيتم إلى اللات والعزى وأمثالهما من الأصنام ، آمنتم وصدقتم بألوهيتها

[فالحكم لله العلى الكبير] أي فالقضاء لله وحده ، لا للأوثان والأصنام ، ، ولا سبيل إلى نجاتكم ، لأن الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هو المتعالي على خلقه ، العظيم في ملكه ، الذي يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد . . ولما ذكر تعالى ما يوجب التهديد الشديد للمشركين ، أردفه بذكر ما يدل على كمال قدرته وحكمته ، ليصير بمنزلة البرهان على عدم جواز عبادة الأوثان ، فقال سبحانه

[هو الذي يريكم آياته] أي الله جل وعلا هو الذي يريكم ايها الناس ، العلامات الدالة على قدرته الباهرة في مخلوقاته ، في العالم العلوي والسفلي ، الدالة على كمال خالقها ومبدعها ومنشئها

[وينزل لكم من السماء رزقا] أي وينزل لكم من السماء المطر ، الذي هو سبب للرزق ، به تخرج الزروع والثمار

[وما يتذكر إلا من ينيب] أي وما يعتبر ويتعظ بهذه الآيات الباهرة ، إلا من يرجع إلى الله بالتوبة والإنابة ، والعمل الصالح ، البعيد عن الرياء والنفاق

[فادعوا الله مخلصين له الدين] أي فاعبدوا الله أيها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المؤمنون ، مخلصين لربكم العبادة والطاعة ، ولا تعبدوا معه غيره

[ولو كره الكافرون] هذا للمبالغة أي اعبدوه واخلصوا له قلوبكم ، حتى ولو كره الكافرون ذلك ، وغاظهم إخلاصكم وقاتلوكم عليه

[رفيع الدرجات] أي عظيم الشأن والسلطان ، صاحب الرفعة والمقام العالي

[ذو العرش] اي صاحب العرش العظيم ، الذي هو أعظم المخلوقات ، ولا شيء يشبهه من مخلوقات الله قال ابن كثير : أخبر تعالى عن عظمته وكبريائه ، وارتفاع عرشه العظيم ، العالي على جميع مخلوقاته كالسقف لها ، وقد ذكر أن العرش من ياقوتة حمراء ولا يعلم سعته إلا الله وقال أبو السعود : وكون العرش العظيم المحيط بأكناف العالم العلوي والسفلي ، تحت ملكوته وقبضة قدرته ، مما يقضي بكون علو شأنه وعظم سلطانه ، في غاية لا غاية وراءها

[يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده] أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ينزل الوحي على من شاء من خلقه ، ويكرم بالرسالة والنبؤة من أراد من عباده ، وإنما سمى الوحي (روحا) لأنه يسري في القلوب كسريان الروح في الجسد قال القرطبي : سماه روحا لأن الناس يحيون به من موت الكفر ، كما تحيا الأبدان بالأرواح

[لينذر يوم التلاق] أي ليخوف الرسول الموحى إليه يوم القيامة الكبرى ، حيث يلتقي العباد جميعا ، ليحاسبوا على أعمالهم ، ويلتقي الخلق بالخالق في ساعة الحساب قال قتادة : يلتقي فيه أهل السماء بأهل الأرض ، والخالق والخلق

[يوم هم بارزون] أي يوم هم ظاهرون بادون للعيان ، لا شيء يكنهم ولا يظلهم ، ولا يسترهم من جبل! أو أكمة أو بناء ، لأنهم في أرض مستوية هي أرض المحشر

[لا يخفى على الله منهم شيء] أي لا يخفى على الله شيء من أحوالهم وأعمالهم ، ولا من سرائرهم وبواطنهم قال الصاوي : والحكمة في تخصيص ذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اليوم - مع أن الله لا يخفى عليه شيء في سائر الأيام - أنهم كانوا يتوهمون في الدنيا ، إنهم إذا استتروا بالحيطان مثلا ، لا يراهم الله ، وفي هذا اليوم لا يتوهمون هذا التوهم

[لمن الملك اليوم] ؟ أي ينادي الله سبحانه والناس بارزون في أرض المحشر : لمن الملك اليوم ؟ ويسكت الخلائق هيبة لله تعالى وفزعا ، فيجيب تعالى نفسه قائلا

[لله الواحد القهار] أي لله المتفرد بالملك ، الذي قهر بالغلبة كل ما سواه قال الحسن : هو تعالى السائل وهو المجيب ، لأنه يقول ذلك حين لا أحد يجيبه ، فيجيب نفسه

[آليوم تجزى كل نفس بما كسبت] أي في ذلك اليوم - يوم القضاء وإلىصل بين العباد - تجازى كل نفس بما عملت من خير أو شر

[لا ظلم اليوم] أي لا يظلم أحد شيئا ، لا بنقص ثواب ، ولا بزيادة عقاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن الله سريع الحساب] أي سريع حسابه ، لا يشغله شأن عن شأن ، فيحاسب الخلائق جميعا في وقت واحد قال القرطبي : كما يرزقهم في ساعة واحدة ، يحاسبهم كذلك في ساعة واحدة ، وفي الخبر : " لا ينتصف النهار حتى يقيل أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار "

[وأنذرهم يوم الأزفة] أي خوفهم ذلك اليوم الرهيب يوم القيامة قال ابن كثير : " الآزفة " اسم من أسماء القيامة ، سميت بذلك لقربها كقوله تعالى [أزفت الأزفة]

[إذ القلوب لدى الحناجر] أي تكاد قلوبهم لشدة الخوف والجزع تبلغ الحناجر - وهى الحلوق - مكان البلعوم

[كاظمين] أي ممتلئين غما وحسرة شأن المكروب قال في التسهيل : معنى الآية أن القلوب قد صعدت من الصدور ، لشدة الخوف حتى بلغت الحناجر ، ويحتمل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن يكون ذلك مجازا ، عبر به عن شدة الخوف ، والحنجرة هي الحلق

[ما للظالمين من حميم] أي ليس للظالمين صديق ينفعهم

[ولا شفيع يطاع] أي ولا شفيع يشفع لهم لينقذهم من شدة العذاب

[يعلم خائنة الأعين] أي يعلم جل وعلا العين الخائنة ، بمسارقتها النظر إلى محرم قال ابن عباس : هو الرجل يكون جالسا مع الناس ، فتمر المرأة فيسارقهم النظر إليها

[وما تخفي الصدور] أي ويعلم السر المستور الذي تخفيه الصدور

[والله يقضى بالحق] أي يقضي ويحكم بالعدل

[والذين يدعون من دونه] أي والذين يعبدونهم من دون الله من الأوثان والأصنام

[لا يقضون بشيء] أي لا حكم لهم أصلا فكيف يكونون شركاء لله ؟ قال أبو السعود : وهذا تهكم بهم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لأن الجماد لا يقال في حقه يقضى أو لا يقضى
[إن الله هو السميع البصير] أي هو السميع لأقوال العباد ، البصير بأفعالهم
[أو لم يسيروا في الأرض] ؟ اي أو لم يعتبر هؤلاء المشركون في أسفارهم بما يرون من آثار المكذبين
[فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم] أي فينظروا ما حل بالمكذبين من العذاب والنكال ؟ فإن العاقل من اعتبر بغيره
[كانوا هم أشد منهم قوة] أي كانوا أشد قوة من هؤلاء الكفار من قومك
[وآثارا في الأرض] أي وأقوى آثارا فى الأرض من الحصون والقصور والجند الأشداء ، ومع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد ، أهلكهم الله لما كذبوا الرسل
[فأخذهم الله بذنوبهم] أي أهلكهم الله إهلاكا فظيعا ، بسبب إجرامهم وتكذيبهم رسل الله
[وما كان لهم من الله من واق] أي وما كان لهم أحد يدفع عنهم عذاب الله ، ولا يقيهم من عقابه . . ثم ذكر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى سبب عقابه لهم ، فقال سبحانه

[ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات] أي ذلك العذاب بسبب أنهم كانت تأتيهم رسلهم بالمعجزات الباهرات ، والآيات الساطعات الواضحات

[فكفروا فأخذهم الله] أي فكفروا مع هذا البيان والبرهان ، فأهلكهم الله ودمرهم

[إنه قوى] أي إنه تعالى قوي لا يقهر ، ذو قوة عظيمة وبأس شديد

[شديد العقاب] أي عقابه شديد لمن عصاه ، وعذابه أليم وجيع لمن كفر به ، أعاذنا الله من عقابه ، وأجارنا من عذابه .

قال الله تعالى : [ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين . .] إلى قوله [أدخلوا آل فرعون أشد العذاب] . من آية (23) إلى نهاية آية (46) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى ما حل بالكفار من العذاب والدمار ، أردفه بذكر قصة موسى مع فرعون ، تسلية لرسول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله (ص) عما يلقاه من الأذى والتكذيب ، وبيانا لسنة الله تعالى في إهلاك الظالمين ، ثم ذكر موقف مؤمن آل فرعون ونصيحته لقومه ، وهي مواقف بطولية مشرفة في وجه الطغيان .

اللغة :

[استحيوا] استبقوا بناتهم على قيد الحياة

[ضلال] ضياع وبطلان

[يكتم] يخفي ، يقال : كتمت عنه الأمر أي أخفيته

[عدت] اعتصمت وتحصنت والتجأت

[ظاهرين] غالبين مستعلين

[بأس الله] عذابه وانتقامه

[دأب] عادة وشأن

[التناد] يوم القيامة للنداء فيه إلى المحشر ، أو لمناداة بعضهم بعضا ، قال أمية بن الصلت : وبث الخلق فيها إذ دحاها فهم سكانها حتى التناد

[عاصم] مانع ودافع

[صرحا] قصرا وبناة عظيما عاليا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[تباب] خسران وهلاك

[لا جرم] حقا ولا محالة

[حاق] نزل وأحاط .

التفسير :

[ولقد أرسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين] اللام موطئة للقسم أي والله لقد بعثنا رسولنا موسى ، بالآيات البينات ، والدلائل الواضحات ، وبالبرهان البين الظاهر ، وهو معجزة اليد والعصا

[إلى فرعون وهامان وقارون] أي إلى فرعون الطاغية الجبار ، ووزيره هامان ، وقارون صاحب الكنوز والأموال ، قال في البحر : وخص قارون وهامان بالذكر لمكانتهما في الكفر ، ولأنهما أشهر أتباع فرعون

[فقالوا ساحر كذاب] أي فقالوا عن موسى : إنه ساحر فيما أظهر من المعجزات ، كذاب فيما ادعاه أنه من عند الله ، وصيغة كذاب للمبالغة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فلما جاءهم بالحق من عندنا] أي فلما جاءهم بالمعجزات الباهرة ، التي تدل على صدقه ، والتي أيده الله بها
[قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم] اي اقتلوا الذكور لئلا يتناسلوا ، وإستبقوا الإناث للخدمة ، قال الصاوي : وهذا القتل غير الأول ، لأن فرعون بعد ولادة موسى ، أمسك عن قتل الأولاد ، فلما بعث موسى وعجز عن معارضته ، أعاد القتل في الأولاد ، ليمتنع الناس من الإيمان ، ولئلا يكثر جمعهم فيكيدوه ، فأرسل الله عليهم أنواع العذاب كالضفادع ، والقمل ، والدم ، والطوفان ، إلى أن خرجوا من مصر فأغرقهم الله تعالى ، وجعل كيدهم في نحورهم
[وما كيد الكافرين إلا في ضلال] أي وما تدبيرهم ومكرهم ، إلا في خسران وهلاك ، لأن الله لم ينجح سعيهم
[وقال فرعون ذروني أقتل موسى] أي قال فرعون الجبار : أتركوني حتى أقتل لكم موسى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وليدع ربه] أي وليناد ربه حتى يخلصه مني ، وإنما ذكره على سبيل الإستهزاء وكأنه يقول : لا يهولنكم ما يدعيه من ربه ، فإنه لا حقيقة له ، وأنا ربكم الأعلى ، وغرضه أن يوهمهم بأنه إنما امتنع عن قتله ، رعاية لقلوب أصحابه ، قال أبو حيان : والظاهر أن فرعون لعنه الله ، كان قد استيقن أنه نبى ، وأن ما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر ، ولكن الرجل كان فيه خبث وجبروت ، وكان قتالا سفاكا للدماء لأهون شيء ، فكيف لا يقتل من أحس منه بأنه يثل عرشه ، ويهدم ملكه ، ولكنه يخاف إن هم بقتله أن يعاجل بالهلاك ، وكان كلامه للتمويه على قومه ، وإيهامهم إنهم هم الذين يكفونه ، وما كان يكفه إلا شدة الخوف وإلىزع

[إني أخاف أن يبدل دينكم] أي إني أخشى أن يغير ما أنتم عليه من عبادتكم لى إلى عبادة ربه

[أو أن يظهر في الأرض الفساد] أي أو أن يثير الفتن والقلاقل في بلدكم ، ويكون بسببه الهرج ، وهذا كما قال المثل " صار فرعون واعظا " ((قال فى الظلال "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هل هناك أطرف من أن يقول فرعون الضال عن موسى تلك المقالة ؟ أليست هي بعينها كلمة كل طاغية مفسد عن كل داعية مصلح ؟ أليست هى كلمة الباطل الكالح فى وجه الحق الجميل ؟ أليست هي بعينها كلمة الخداع الخبيث ، لإثارة الشبهات في وجه الإيمان الهادىء ؟ إنه منطق واحد يتكرر كلما التقى الحق والباطل ، والإيمان والكفر ، والصلاح والطغيان ، على توالي الزمان واختلاف المكان ، والقصة قديمة تعرض بين الحين والحين ")).

[وقال موسى إني عذت بربي وربكم] أي إني استجرت بالله واعتصمت به ليحفظني

[من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب] أي من شر كل جبار عنيد متكبر عن الإيمان بالله ، لا يصدق بالآخرة ، قال قي التسهيل : وإنما قال [من كل متكبر] ولم يذكره باسمه لئلا يثير ليشمل فرعون وغيره ، وليكون فيه وصف لغير فرعون ، بذلك الوصف القبيح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه] قال المفسرون : كان هذا الرجل ابن عم فرعون ، وكان قبطيا يخفي إيمانه عن فرعون ، فلما سمع قول الجبار متوعدا موسى بالقتل ، نصحهم بقوله

[أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله] استفهام إنكاري للتبكيت عليهم أي أتقتلون رجلا لا ذنب له إلا لأجل أن قال : ربي الله ، من غير تفكر ولا تأمل! في أمره ؟

[وقد جاءكم بالبينات من ربكم] أي والحال إنه قد أتاكم بالمعجزات الظاهرة التي شاهدتموها من عند ربكم

[وإن يك كاذبا فعليه كذبه] أي إن كان كاذبا في دعوى الرسالة ، فضرر كذبه لا يتعداه قال القرطبي : ولم يكن ذلك لشك منه في رسالته وصدقه ، ولكن تلطفا في الكف عنه ، واستنزالا عن الأذى

[وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم] أي وإن كان صادقا في دعواه ، أصابكم بعض ما وعدكم به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من العذاب

[إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب] أي لا يوفق للهداية والإيمان ، من هو مسرف في الضلال ، مبالغ في الكذب على الله قال الإمام الفخر : وفي هذا إشارة إلى رفع شأن موسى ، لأن الله هداه وأيده بالمعجزات ، وتعريض بفرعون في إنه مسرف في عزمه على قتل موسى ، كذاب في إقدامه على إدعاء الإلهية ، والله لا يهدي من هذا شأنه وصفته ، بل يبطله ويهدم أمره وقال في البحر : هذا نوع من أنواع علم البيان يسميه علماؤنا " استدراج المخاطب " وذلك أنه لما رأى فرعون قد عزم على قتل موسى ، وشاهد قومه مصممين علئ تكذيبه ، أراد الانتصار له بطريق يخفي عليهم بها إنه متعصب له ، وإنه من أتباعه ، فجاءهم بطريق النصح والملاطفة فقال [أتقتلون رجلا] ولم يذكر اسمه بل قال رجلا ليوهمهم أنه لا يعرفه ، ثم قال [أن يقول ربي الله] ولم يقل رجلا مومنا بالله أو هو نبي الله ، إذ لو قال ذلك لعلموا أنه متعصب له ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولم يقبلوا قوله ، ثم أتبعه بقوله [وإن يك كاذبا] فقدم الكذب على الصدق موافقة لرأيهم فيه ، ثم تلاه بقوله [وإن يك صادقا] ولم يقل هو صادق ، وكذلك قال [يصبكم بعض الذى يعدكم] ولم يقل كل ما يعدكم ، ولو قال ذلك لعلموا أنه متعصب له ، وأنه يزعم نبؤته وأنه يصدقه ، ثم أتبعه بكلام يفهم منه أنه ليس بمصدق له وهو قوله [إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب] وفيه تعريض بفرعون ، إذ هو في غاية الإسراف والكذب على الله ، إذ ادعى الألوهية والربوبية

[يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض] كرر النصح مع التلطف ، والمعنى : أنتم غالبون عالون على بني إسرائيل فى ارض مصر ، قد قهرتموهم واستعبدتموهم اليوم

[فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا] أي فمن ينقذنا من عذاب الله ، وينجينا منه إن قتلتم رسوله قال الرازى : وإنما قال [ينصرنا] و[جاءنا] لأنه كان يظهر لهم أنه منهم ، وأن الذي ينصحهم به هو مشارك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لهم فيه . . وهنا تأخذ فرعون العزة بالإثم ، ويشتد به الجبروت والطغيان

[قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى] أي ما أشير عليكم برأى سوى ما ذكر له ، من قتل موسى حسما لمادة إلىتنة

[وما أهديكم إلا سبيل الرشاد] أي وما أهديكم بهذا الرأي إلا طريق الصواب والصلاح

[وقال الذى آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب] أي أخشى عليكم مثل أيام العذاب ، التي عذب بها الكفرة المتحزبون على الأنبياء

[مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود] هذا تفسير للأحزاب أي مثل عادة قوم نوح وعاد وثمود ، وما أصابهم من العذاب والدمار بتكذيبهم لرسلهم

[والذين من بعدهم] أي والمكذبين بعد أولئك كقوم لوط

[وما الله يريد ظلما للعباد] أي لا يعاقب العباد بدون ذنب قال الزمخشري : أي إن تدميرهم كان عدلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقسطا لأنهم استوجبوه بأعمالهم ، وفيه مبالغة حيث جعل المنفي إرادة الظلم ، ومن كان بعيدا عن إرادة الظلم ، كان عن الظلم أبعد

[ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد] خوفهم بعذاب الآخرة بعد أن خوفهم بعذاب الدنيا ، والمعنى : إني أخاف عليكم من ذلك اليوم الرهيب يوم الحشر الأكبر ، حيث ينادي المجرمون بالويل والثبور [دعوا هنالك ثبورا]

[يوم تولون مدبرون] أي تولون منهزمين من هول عذاب جهنم قال المفسرون : إن الكفار إذا سمعوا زفير النار أدبروا هاربين ، فلا يأتون قطرا من الأقطار إلا وجدوا الملائكة يتلقونهم يضربون وجوههم ، فيرجعون إلى مكانهم ، فتتلقفهم جهنم

[ما لكم من الله من عاصم] أي ليس لكم مانع ولا دافع يصرف عنكم عذاب الله

[ومن يضلل الله فما له من هاد] أي ومن يضلله الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فليس له من يهديه إلى طريق النجاة
[ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات] أي ووالله لقد جاءكم يوسف بن يعقوب من قبل موسى بالمعجزات الظاهرات
[فما زلتم في شك مما جاءكم به] أي فلم تزالوا شاكين في رسالته ، كافرين بما جاء به من عند الله
قال المفسرون : المراد آبأؤكم وأصولكم
[حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا] أي حتى إذا مات قلتم على سبيل التشفي والتمني من غير حجة ولا برهان : لن يأتي أحد يدعي الرسالة بعد يوسف قال أبو حيان : وليس هذا تصديقا لرسالة يوسف ، كيف وما زالوا فى شك منه ، وإنما المعنى : لا رسول من عند الله يرسله ، فيبعثه إلى الخلق ، ففيه نفي الرسول ونفي بعثته
[كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب] أي مثل ذلك الضلال إلىظيع ، يضل الله كل مسرف في العصيان ، شاك فى الدين ، بعد وضوح الحجج والبراهين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم] هذا من تتمة كلام الرجل المؤمن ، والمعنى : الذين يجادلون فى شريعة الله ، بغير حجة أو برهان جاءهم من عند الله

[كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا] أي عظم بغضا عند الله وعند المؤمنين جدالهم بغير برهان قال في البحر : عدل الواعظ عن مخاطبتهم إلى الإسم الغالب ، لحسن محاورته لهم واستجلاب قلوبهم ، لئلا يفجأهم بالخطاب ، وفي قوله [كبر مقتا] ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم ، كأنه خارج عن حد أمثاله من الكبائر

[كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار] أي كما ختم على قلوب هؤلاء المجادلين ، كذلك يختم بالضلال على قلب كل متكبر عن الإيمان ، متجبر على العباد ، حتى لا يعقل الرشاد ، ولا يقبل الحق ، وإنما وصف القلب بالتكبر والجبروت ، لكونه مركزهما ومنبعهما ، وهو سلطان الأعضاء ، فمتى فسد فسدت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا] أي قال فرعون لوزيره هامان : ابن لي قصرا عاليا ، وبناء شامخا منيفا قال القرطبي : لما قال مؤمن آل فرعون ما قال ، وخاف فرعون أن يتمكن كلامه في قلوب القوم ، أوهم أنه يمتحن ما جاء به موسى من التوحيد ، فأمر وزيره هامان ببناء الصرح

[لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات] أي لعلي أصل وأنتهي إلى طرق السموات وما يودي إليها ، وكررها للتفخيم والبيان

[فأطلع إلى إله موسى] أي فأنظر إلى إله موسى نظر عيان

[وإني لأظنه كاذبا] أي وإني لأعتقد موسى كاذبا في ادعائه أن له إلها غيري ، قال أبو حيان : وبلوغ أسباب السموات غير ممكن ، لكن فرعون أبرزه في صورة الممكن تمويها على سامعيه ، ولما قال [فأطلع إلى إله موسى] كان ذلك إقرارا بالإله ، فلذلك استدرك هذا الإقرار بقوله [وإني لأظنه كاذبا]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وكذلك زين لفرعون سوء عمله] أي ومثل ذلك التزيين ، زين لفرعون عمله السيىء حتى رآه حسنا

[وصد عن السبيل] أي ومنع بضلاله عن طريق الهدى

[وما كيد فرعون إلا في تباب] أي وما تدبير فرعون ومكره إلا في خسار وهلاك ، خسر ملكه وحياته في الدنيا بالغرق ، وفي الآخرة بالخلود في نار الجحيم

[وقال الذى آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد] كرر مؤمن آل فرعون نصحه لهم ، بعد تلك المراوغة التي لقيها من فرعون ، ودعا قومه إلى الإيمان بالله الواحد الأحد ، وكشف لهم عن قيمة الحياة الزائلة ، وشوقهم إلى نعيم الحياة الباقية ، وحذرهم من عذاب الله ، ومعنى الآية : امتثلوا يا قوم أمري واسلكوا طريقي ، أرشدكم إلى طريق الفوز والنجاة - طريق الجنة -

[يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع] أي ليست الدنيا إلا متاعا زائلا ، لا ثبات له ولا دوام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإن الآخرة هي دار القرار] أي إن الدار الآخرة هي دار الاستقرار والخلود التي لا زوال لها ولا انتقال منها ، فإما خلود في النعيم ، أو خلود فى الجحيم قال القرطبي : ومراده بالدار الآخرة الجنة والنار لأنهما لا يفنيان

[من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها] أي من عمل في هذه الدنيا سيئة ، فلا يعاقب في الآخرة إلا بمقدارها دون زيادة ، رحمة منه تعالى بالعباد

[ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن] أي ومن فعل في الدنيا العمل الصالح ، سواء كان ذكرا أو أنثى بشرط الإيمان

[فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب] أي فأولئك المحسنون يدخلون جنات النعيم ، ويعطون جزاءهم بغير تقدير ، بل أضعافا مضاعفة ، فضلا من الله وكرما ، فقد اقتضى فضله تعالى أن تضاعف الحسنات دون السيئات ، قال ابن كثير : [بغير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حساب] أي لا يتقدر بجزاء ، بل يثيبه الله ثوابا كثيرا عظيما ، لا انقضاء له ولا نفاد

[ويا قوم ما لي ادعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار] ؟ أي ما لي أدعوكم إلى الإيمان الموصل إلى الجنان ، وتدعونني إلى الكفر الموصل إلى النار ؟ والاستفهام للتعجب كأنه يقول : أنا أتعجب من حالكم هذه ، أدعوكم إلى النجاة والخير ، وتدعونني إلى النار والشر ؟ ثم وضح ذلك بقوله

[تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم] أي تدعونني للكفر بالله ، وأن أعبد ما ليس لي علم بربوبيته ، وما ليس بإله فرعون

[وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار] أي وأنا أدعوكم إلى عبادة الله الواحد الأحد ، العزيز الذي لا يغلب ، الغفار لذنوب العباد

[لا جرم أنما تدعونني إليه] أي حقا إنما تدعرنني لعبادته

[ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة] أي لا يصلح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن يعبد ، لأنه لا يستجيب لنداء داعيه ، ولا يقدر على تفريج كربته ، لا في الدنيا ولا في الآخرة

[وأن مردنا إلى الله] أي وأن مرجعنا إلى الله وحده فيجازي كلا بعمله

[وأن المسرفين هم أصحاب النار] أي وأن المسرفين في الضلال والطغيان ، سيخلدون في النار

[فستذكرون ما أقول لكم] أي فستذكرون صدق كلامي عندما يحل بكم العذاب ، وهو تهديد ووعيد

[وأفوض أمري إلى الله] أي أتوكل على الله ، وأسلم أمري إليه قال القرطبي : وهذا يدل على أنهم هددوه وأرادوا قتله

[إن الله بصير بالعباد] أي مطلع على أعمالهم ، لا تخفى عليه خافية من أحوالهم

[فوقاه الله سيئات ما مكروا] أي فنجاه الله من شدائد مكرهم ، ومن أنواع العذاب الذي أرادوا إلحاقه به

[وحاق بآل فرعون سوء العذاب] أي ونزل بفرعون وجماعته أسوأ العذاب ، وهو الغرق في الدنيا ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والحرق في الآخرة ، ثم فسره بقوله
[النار يعرضون عليها غدوا وعشيا] أي النار يحرقون بها صباحا ومساء قال لمفسرون : المراد بالنار هنا (نار القبر) وعذابهم في القبور بدليل قوله بعده
[ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب]
أي ويوم القيامة يقال للملائكة : أدخلوا فرعون وقومه نار جهنم ، التي هي أشد من عذاب الدنيا .
قال الله تعالى : [وإذ يتحاجون في النار . .] إلى قوله [وأمرت أن أسلم لرب العالمين] . من آية (47) إلى نهاية آية (66) .
المناسبة :
لما ذكر تعالى ما حل بآل فرعون من العذاب والدمار ، ذكر بعده النزاع والخصام الذي يكون بين أهل النار ، واستغاثة المجرمين ، وهم في عذاب الجحيم ، يصلون سعيرها فلا يجابون ، ثم ذكر الأدلة والبراهين على قدرة الله ووحدانيته ، لإقامة الحجة على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المشركين .

اللغة :

[يتحاجون] يختصمون

[خزنة] جمع خازن وهو المتكفل بحفظ الشيء وحراسته

[الأشهاد] جمع شاهد وهو الذي يشهد بالحجة على غيره

[داخرين] أذلاء صاغرين

[تؤفكون] تصرفون عن الإيمان إلى الكفر

[قرارا] مستقرا

[أسلم] أذل وأخضع .

التفسير :

[وإذ يتحاجون في النار] أي وأذكر حين يختصم الرؤساء والأتلباع فى نار جهنم

[فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا] أي فيقول الأتباع الضعفاء للرؤساء المستكبرين عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإيمان واتباع الرسل ، إنا كنا لكم في الدنيا أتباعا كالخدم ، ننقاد لأوامركم ، ونطيعكم فيما تدعوننا إليه من الكفر والضلال

[فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار] ؟ أي فهل أنتم دافعون عنا جزءا من هذا العذاب الذي نحن فيه ؟ قال الرازي : علموا أن أولئك الرؤساء لا قدرة لهم على ذلك التخفيف ، وإنما مقصودهم من هذا الكلام المبالغة في تخجيل الرؤساء ، وإيلام قلوبهم ، لأنهم سعوا في إيقاعهم في أنواع الضلالات

[قال الذين استكبروا إنا كل فيها] أي قال الرؤساء جوابا لهم : إنا جميعا في نار جهنم ، فلو قدرنا على إزالة العذاب عنكم ، لدفعناه عن أنفسنا

[أن الله قد حكم بين العباد] أي قضى قضاء مبرما لا مرد له ، بدخول المؤمنين الجنة ، والكافرين النار ، فلا نستطيع أن نفعل لكم شيئا

[وقال الذين في النار لخزنة جهنم] لما يئس أهل النار بعضهم من بعض ، إلتجأوا إلى حراس جهنم يطلبون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منهم التخفيف قال البيضاوي : وإنما وضع جهنم موضع الضمير [لخزنة جهنم] بدلا من " لخزنتها " للتهويل والتفظيع

[ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب] أي ادعوا لنا الله أن يخفف عنا ولو مقدار يوم واحد من هذا العذاب

[قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات] ؟ أي أجابتهم الملائكة على سبيل التوبيخ والتقريع : ألم تأتكم الرسل بالمعجزات الظاهرات فكفرتم بهم وكذبتموهم ؟

[قالوا بلى] أي قال الكفار بلى جاءونا

[قالوا فادعوا] أي قالت لهم الملائكة : فادعوا الله أنتم ، فإنا لا نجترىء على ذلك قال الرازي : وليس قولهم [فادعوا] لرجاء المنفعة ، ولكن للدلالة على الخيبة ، فإن الملائكة المقربين ، إذا لم يسمع دعاؤهم ، فكيف يسمع دعاء الكفار ؟ ثم يصرحون لهم بأنه لا أثر لدعائهم فيقولون

[وما دعاء الكافرين إلا في ضلال] أي دعاؤكم لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ينفع ولا يجدى ، لأن دعاء الكافرين ما هو إلا في خسار وتبار

[إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا] أي ننصر الرسل والمؤمنين بالحجة والظفر ، والانتقام لهم من الكفرة المجرمين ، في هذه الحياة الدنيا

[ويوم يقوم الأشهاد] أي وفي الآخرة يوم يحضر الأشهاد الذين يشهدون بأعمال العباد ، من ملك ، ونبي ، ومؤمن ، قال الرازي : الآية وعد من الله تعالى لرسوله بأن ينصره على أعدائه في الحياة الدنيا وفي الآخرة

[يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم] أي لا ينفع المجرمين اعتذارهم قال ابن جرير : لا ينفع أهل الشرك اعتذارهم ، لأنهم لا يعتذرون إلا بباطل

[ولهم اللعنة] أي الطرد من رحمة الله

[ولهم سوء الدار] أي ولهم جهنم أسوأ مرجع ومصير ، قال ابن عباس : [سوء الدار] سوء العاقبة

[ولقد آتينا موسى الهدى] أي والله لقد أعطينا " موسئ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بن عمران " ما يهتدى به في الدين ، من المعجزات والصحف والشرائع

[وأورثنا بني اسرائيل الكتاب] أي أورثناهم العلم النافع ، والكتاب الهادي وهو " التوراة "

[هدى وذكرى لأولي الألباب] أي هاديا وتذكرة لأصحاب العقول السليمة

[فاصبر إن وعد الله حق] أي فاصبر يا محمد على أذى المشركين ، فإن وعد الله لك ولأتباعك بالنصر على الأعداء ، حق لا يمكن أن يتخلف ، لأن الله لا يخلف الميعاد ، قال الإمام الفخر : لما بين تعالى إنه ينصر رسله ، وضرب المثال في ذلك بحال موسى ، خاطب بعده رسوله بقوله [فاصبر أن وعد الله حق] والمراد ان الله ناصرك كما نصرهم ، ومنجز وعده لك ، كما أنجزه في حقهم

[واستغفر لذنبك] اي واطلب المغفرة من ربك على ما فرط منك من ترك الأولى والأفضل ، قال الصاوي :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمقصود من هذا الأمر تعليم الأمة ذلك ، وإلا فرسول الله (ص) معصوم من الذنوب جميعا ، صغائر وكبائر قبل النبؤة وبعدها على التحقيق وقال ابن كثير : وهذا تهييج للأمة على الاستغفار

[وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار] أي ودم على تسبيح ربك في المساء والصباح ، قال الرازي : والمراد منه الأمر بالمواظبة على ذكر الله ، وألأ يفتر اللسان عنه ، حتى يصبح فى زمرة الملائكة الأبرار ، الذين [يسبحون الليل والنهار لا يفترون] والمراد بالتسبيح تنزيه الله عن كل ما لا يليق به ، ثم نبه تعالى إلى السبب الدافع للكفار إلى المجادلة بالباطل فقال

[إن الذين يجادلون في آيات الله] أي يخاصمون في الآيات المنزلة

[بغير سلطان أتاهم] أي بلا برهان ولا حجة من الله

[إن في صدورهم إلا كبر] أي ما في قلوبهم إلا تكبر وتعاظم ، يمنعهم من اتباعك والانقياد إليك

[ما هم ببالغيه] أي ما هم بواصلين إذ مرادهم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إطفاء نور الله ، ولا بمؤملين مقصودهم بالعلو عليك
[فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير] أي فإلتجيء
وتحصن بالله من كيدهم ، فإن الله يدفع عنك شرهم ،
لأنه هو السميع لأقوالهم ، العليم بأحوالهم . . ثم ذكر
تعالى الدلائل الدالة على قدرته ووحدانيته ، فقال
سبحانه
[لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس] اللام
لام الإبتداء وفيها معنى القسم أي لخلق الله للسموات
والأرض ، وإنشاؤهما وابتداعهما من غير شيء ،
أعظم من خلق البشر ، فمن قدر على خلقهما مع
عظمهما كيف يعجز عن خلق ما هو أحقر وأهون ؟
قال في التسهيل : والغرض الاستدلال على البعث ،
لأن الإله الذي خلق السموات والأرض على كبرها ،
قادر على إعادة الأجسام بعد فنائها
[ولكن أكثر الناس لا يعلمون] أي ولكن أكثر الناس
لا يعلمون ذلك ، لأنهم لا يتأملون في ملكوت السموات
والأرض ، لغلبة الجهل عليهم ، وفرط غفلتهم واتباعهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لأهوائهم

[وما يستوي الأعمى والبصير] أي لا يتساوى المؤمن والكافر

[والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيىء] أي ولا البر والفاجر

[قليلا ما تتذكرون] أي لا تتعظون بهذه الأمثال إلا قليلا قال ابن كثير : والمراد أنه كما لا يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئا ، والبصير الذي يرى ما انتهى إليه بصره ، كذلك لا يستوي المؤمنون الأبرار ، والكفرة الفجار ، ما أقل ما يتذكر كثير من الناس ؟

[إن الساعة لآتية لا ريب فيها] أي إن القيامة آتية لا محالة ، لا شك في ذلك ولا مرية

[ولكن أكثر الناس لا يؤمنون] أي ولكن أكثر الناس لا يعتقدون بمجيئها ، ولذلك ينكرون البعث والجزاء ، قال الرازى : والمراد بأكثر الناس : (الكفار) الذين ينكرون البعث والقيامة

[وقال ربكم ادعوني أستجب لكم] أي ادعوني أجبكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيما طلبتم ، وأعطكم ما سألتم ، قال ابن كثير : ندب تعالى عباده إلى دعائه ، وتكفل لهم بالإجابة فضلا منه وكرما ((ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد بالدعاء العبادة ، قال القرطبي والمعنى : وحدوني واعبدوني أتقبل عبادتكم وأغفر لكم . . الخ وما أثبتناه هو اختيار ابن كثير وهو الأظهر وكذلك قال الشهاب ورجحه الرازي)).

[إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين] أي إن الذين يتكبرون عن دعاء الله ، سيدخلون جهنم أذلاء صاغرين . . ثم ذكر تعالى من آثار قدرته ووحدانيته ، ما يلزم منه إفراده بالعبادة والشكر فقال

[الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا] أي الله جل وعلا بقدرته وحكمته هو الذي جعل لكم الليل مظلما ، لتستريحوا فيه من تعب وعناء العمل بالنهار ، وجعل النهار مضيئا لتتصرفوا فيه بأسباب الرزق وطلب المعاش

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن الله لذو فضل على الناس] أي إنه تعالى متفضل على العباد ، وهو صاحب الجود والإحسان إليهم

[ولكن أكثر الناس لا يشكرون] أي ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على إحسانه ، ويجحدون فضله وأنعامه

[ذلكم الله ربكم خالق كل شيىء] أي ذلكم المتفرد بالخلق والإنعام هو الله ربكم ، خالق كل شيء

[لا اله إلا هو] اي لا معبود بحق في الوجود سواه

[فأنى تؤفكون] أي فكيف تصرفون عن عبادة الخالق المالك ، إلى عبادة الأوثان ؟

[كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون] أي كذلك يصرف عن الهدى والحق الذين جحدوا بآيات الله وأنكروها قال الصاوي : وهذه تسلية للنبي (ص) والمعنى : لا تحزن يا محمد على إنكار المشركين لنبوتك ، فإن من قبلهم فعل ذلك ، ثم زاد في البيان ودلائل القدرة فقال

[الله الذي جعل لكم الأرض قرارا] أي جعلها مستقرا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكم في حياتكم وبعد مماتكم قال ابن عباس : جعلها منزلا لكم في حال الحياة وبعد الموت

[والسماء بناء] أي وجعل السماء سقفا محفوظا ، كالقبة المبنية مرفوعة فوقكم

[وصوركم فأحسن صوركم] أي صوركم أحسن تصوير ، وخلقكم في أحسن الأشكال ، متناسبي الأعضاء ، ولم يجعلكم كالبهائم منكوسين تمشون على أربع قال الزمخشري : لم يخلق تعالى حيوانا أحسن صورة من الإنسان ، وهذه مثل قوله تعالى [لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم]

[ورزقكم من الطيبات] أي ورزقكم من أنواع اللذائذ

[ذلكم الله ربكم] أي ذلكم الفاعل لهذه الأشياء ، والمنعم بهذه النعم ، هو ربكم لا إله إلا هو

[فتبارك الله رب العالمين] أي فتعالى وتمجد وتقدس رب جميع المخلوقات ، الذي لا تصلح الربوبية إلا له

[هو الحى لا إله إلا هو] أي هو تعالى المتفرد بالحياة الذاتية الحقيقة ، الباقي الذي لا يموت ، لا إله سواه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فادعوه مخلصين له الدين] أي فاعبدوه وحده ، مخلصين له العبادة والطاعة وادعوه ظاهرا وباطنا قائلين
[الحمد لله رب العالمين] أي الثناء والشكر لله مالك جميع المخلوقات ، لا للأوثان التي لا تملك شيئا! !
ولما بين صفات الجلال والعظمة ، نهى عن عبادة غير الله ، فقال سبحانه
[قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله] أي قل يا محمد إن ربي العظيم الجليل ، نهاني أن أعبد هذه الآلهة التي تعبدونها من الأوثان والأصنام ، قال الصاوي : أمر تعالى نبيه أن يخاطب قومه بذلك ، زجرا لهم ، حيث استمروا على عبادة غير الله ، بعد ظهور الأدلة العقلية والنقلية ،
[لما جاءني البينات من ربي] أي حين جاءتني الآيات الواضحات من عنده ، الدالة على وحدانيته قال الرازي : والبينات هي أن إله العالم قد ثبت كونه موصوفا بصفات الجلال والعظمة ، وصريح العقل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يشهد بأن العبادة لا تليق إلا به ، وأن جعل الحجارة المنحوتة والأخشاب المصورة ، شركاء له في المعبودية ، مستنكر في بديهة العقل

[وأمرت أن أسلم لرب العالمين] أي وأمرت أن أذل وأخضع لله وحده ، وأن أخلص له ديني ، وأطهر نفسي من عبادة غيره .

قال الله تعالى : [هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من عالقة . .] إلى قوله [وخسر هنالك الكافرون] . من آية (66) إلى آية (85) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لا تزال الآيات الكريمة تتحدث عن دلائل القدرة والوحدانية ، فبعد أن ذكر تعالى دلائل القدرة في الآفاق ، أردفها بدلائل القدرة في الأنفس ، ثم تحدث عن أحوال المشركين يوم القيامة ، وختم السورة الكريمة بالوعيد والتهديد لأهل الكفر والضلال .

اللغة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الأغلال] القيود جمع غل وهو القيد الذي يجمع اليد إلى العنق

[الحميم] الماء الحار البالغ نهاية الحرارة

[يسجرون] توقد بهم النار يقال : سجر التنور : أوقده

[تمرحون] تبطرون وتأشرون

[مثوى] مأوى ومكان إقامة ، من ثوى بالمكان إذا أقام فيه

[خلت] مضت .

التفسير :

[هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة] هذا بيان للأطوار التي مر بها خلق الإنسان ، أي هو جل وعلا بقدرته الذي أوجدكم أيها الناس من العدم ، فخلق أصلكم آدم من تراب ، ثم خلق ذريته من النطفة وهى المنى ، ثم من علقة وهي الدم الغليظ ، إلى آخر تلك الأطوار

[ثم يخرجكم طفلا] أي ثم بعد أن ينفصل الجنين من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بطن الأم يكون طفلا

[ثم لتبلغوا أشدكم] أي ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل ، وهو سن الأربعين

[ثم تكونوا شيوخا] أي ثم لتصبحوا في سن الهرم والشيخوخة ، قال الإمام الفخر : رتب تعالى عمر الإنسان على ثلاث مراتب : الطفولة ، وبلوغ الأشد ، والشيخوخة ، وهذا ترتيب مطابق للعقل ، فإن الإنسان في أول عمره يكون في النماء والنشوء ، وهو المسمى بالطفولة ، إلى أن يبلغ إلى كمال النشوء من غير أن يحصل له ضعف ، وهذا بلوغ الأشد ، ثم يبدأ بالتراجع ويبدأ فيه الضعف والنقص ، وهذه مرتبة الشيخوخة

[ومنكم من يتوفى من قبل] أي ومنكم من يتوفى قبل أن يخرج إلى العالم وهو السقط ، وقال مجاهد : من قبل سن الشيخوخة

[ولتبلغوا أجلا مسمى] أي ولتصلوا إلى الزمان الذي حدد لكل شخص وهو الموت

[ولعلكم تعقلون] أي ولكي تعقلوا قدرته تعالى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتؤمنوا بأنه الواحد الأحد

[هو الذي يحيي ويميت] أي هو القادر جل وعلا على الإحياء والإماتة

[فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون] أي فإذا أراد أمرا من الأمور فلا يحتاج إلى تعب وعناء ، وإنما يوجد فورا دون تأخير قال أبو السعود : وهذا تمثيل لكمال قدرته ، وتصوير لسرعة وجودها من غير أن يكون هناك أمر ومأمور . . . ثم عاد إلى ذم المجادلين في آيات الله بالباطل ، فقال :

[ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون] الاستفهام للتعجيب أي ألا ترى أيها السامع وتعجب من حال هؤلاء المكابرين ؟ الذين يجادلون في آيات الله الواضحة ، كيف تصرف عقولهم عن الهدى إلى الضلال ؟ ثم بينهم بقوله

[الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا] أي الذين كذبوا بالقرآن ، وبسائر الكتب والشرائع السماوية

[فسوف يعلمون] وعيد وتهديد أي سوف يعلمون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عاقبة تكذيبهم

[إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل] أي حين يدخلون النار ، وتربط أيديهم إلى أعناقهم بالأغلال والسلاسل

[يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون] أي يسحبون بتلك السلاسل ، في الماء الحار المسخن بنار جهنم ، ثم يوقدون ويحرقون فيها قال ابن كثير : ومعنى الآية أن السلاسل متصلة بالأغلال وهي بأيدي الزبانية ، يسحبونهم على وجوههم تارة إلى الحميم ، وتارة إلى الجحيم كما قال تعالى [يطوفون بينها وبين حميم أنى]

[ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله] أي ثم قيل لهم تبكيتا : أين هم الأوثان والأصنام التي كنتم تعبدونها وتجعلونها شركاء لله ؟

[قالوا ضلوا عنا] أي فيقولون : غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا نستشفع بهم

[بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا] أي بل لم نكن نعبد شيئا قال المفسرون : جحدوا عبادتهم ، وإنما فعلوا ذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لحيرتهم واضطرابهم
[كذلك يضل الله الكافرين] اي مثل إضلال هؤلاء المكذبين يضل الله كل كافر
[ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق] أي ذلكم العذاب بما كنتم تظهرونه في الدنيا ، من السرور بالمعصية وكثرة المال ، وإنفاقه في المحرمات
[وبما كنتم تمرحون] أي وبسبب بطركم وأشركم وخيلائكم قال الصاوي : وهذا وإن كان ذما في الكفار ، إلا أنه يجر بذيله على كل من توسع في معاصي الله ، فله من هذا الوعيد نصيب
[آدخلوا أبواب جهنم خالدين فيها] أي ادخلوا من أبواب جهنم السبعة المقسومة لكم ، ماكثين فيهأ أبدا

[فبئس مثوى المتكبرين] أي بئست جهنم مقرا وسكنا للمستكبربن عن آيات الله ، المعرضين عن دلائل الإيمان والتوحيد ، وإنما قال [مثوى المتكبرين] ولم يقل فبئس مدخل المتكبرين وهو مقتضى النظم ، لأن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدخول لا يدوم ، وإنما يدوم المثوى ، ولذا خصه بالذم

[فاصبر إن وعد الله حق] أي فاصبر يا محمد على تكذيب قومك لك ، فإن وعد الله بتعذيبهم كائن لا محالة

قال الصاوي : هذا تسلية من الله لنبيه (ص) ووعد حسن بالنصر له على أعدائه

[فإما نرينك بعض الذي نعدهم] أي إن أريناك بعض الذي نعدهم من العذاب ، وجواب الشرط محذوف تقديره : فذلك هو المطلوب ، أو لتقر به عينك

[أو نتوفينك فإلينا يرجعون] أي أو نتوفينك يا محمد قبل إنزال العذاب عليهم ، فإلينا مرجعهم يوم القيامة ، فننتقم منهم أشد الانتقام ، ثم أخبره تعالى بأنباء الرسل تسلية له عليه السلام فقال

[ولقد أرسلنا رسلا من قبلك] أي والله لقد بعثنا رسلا كثيرين قبلك ، وأيدناهم بالمعجزات الباهرة ، فجادلهم قومهم وكذبوهم ، فتأس بهم في الصبر على ما ينالك

قال القرطبي : عزاه تعالى بما لقيت الرسل من قبله

[منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أي من هؤلاء الرسل من أخبرناك عن قصصهم مع قومهم ، ومنهم من لم نخبرك عن قصصهم وأخبارهم

[وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله] أي وما صح ولا استقام لرسول من الرسل ، أن يأتي قومه بشيء من المعجزات إلآ بأمر الله ، وهذا رد على قريش حيث قالوا للنبي (ص) اجعل لنا الصفا ذهبا وغير ذلك من مقترحاتهم

[فإذا جاء أمر الله قضي بالحق] أي فإذا جاء الوقت المسمى لعذابهم أهلكهم الله

[وخسر هنالك المبطلون] أي خسر في ذلك الحين المعاندون الذين يجادلون في آيات الله ، ويقترحون المعجزات على سبيل التعنت ، ثم ذكرهم تعالى بنعمه فقال

[الله الذى جعل لكم الأنعام] أي الله جل وعلا الذي لا تصلح الألوهية إلا له ، هو الذي سخر لكم هذه الأنعام وهي (الإبل والبقر والغنم) وخلقها لكم ولمصلحتكم

[لتركبوا منها ، ومنها تأكلون] أي لتركبوا على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ظهور بعض هذه الحيوانات ، وتأكلوا من لحومها وألبانها ،
[ولكم فيها منافع] أي ولكم في هذه الأنعام منافع عديدة فى الوبر والصوف والشعر ، واللبن والزبد والسمن
[ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم] أي بحمل الأثقال فى الأسفار البعيدة
[وعليها وعلى الفلك تحملون] أي وعلى هذه الإبل في البر ، وعلى السفن في البحر ئحملون ، وإنما قرن بين الإبل والسفن لما بينهما من شدة المناسبة ، حتى سميت الإبل سفن البر
[ويريكم آياته] أي ويريكم أيها الناس حججه وأدلته على وحدانيته في الآفاق والأنفس
[فأي آيات الله تنكرون] توبيخ لهم على إنكارهم لوحدانيته مع ظهور آياته الكثيرة ، والمعنى : أى آية من تلك الآيات الباهرة ، والدلائل الكثيرة الساطعة ، تنكرون مع وضوحها وجلالها وكثرتها ؟ فإن هذه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدلائل لظهورها لا تقبل آلإنكار

[أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم] الاستفهام إنكاري أي أفلم يسر هؤلاء المشركون في أطراف الأرض ؟ ليعرفوا عاقبة المتكبرين المتمردين ، وآثار الأمم السالفة قبلهم ؟ ماإذا حل بهم من العذاب والدمار بسبب كفرهم وتكذيبهم ؟

[كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الأرض] أي كانوا أكثر عددا من أهل مكة ، وأقوى منهم قوة ، وآثارهم لا تزال باقية بعدهم ، من الأبنية والقصور والمباني الضخمة

[فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون] أي فلم ينفعهم ما كانوا يكسبونه من الأبنية والأموال شيئا ، ولا دفع عنهم شيئا من العذاب

[فلما جاءتهم رسلهم بالبينات] أي فلما جاءتهم الرسل بالمعجزات الظاهرات ، والآيات الواضحات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فرحوا بما عندهم من العلم] أي فرح الكفار بما هم عليه من العلم الدنيوي ، الخالي عن نور الهداية والوحي ، فرح بطر وأشر ، واغتروا بذلك العلم

[وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون] أي نزل بهم جزاء كفرهم واستهزائهم بالرسل والآيات

[فلما رأوا بأسنا قالوا أمنا بالله وحده] أي فلما رأوا شدة العذاب ، وعاينوا أهواله وشدائده ، قالوا آمنا بالله الواحد الأحد

[وكفرنا بما كنا به مشركين] أي كفرنا بالأصنام والأوثان التي أشركناها في العبادة مع الله

[فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا] أي فلم يكن ينفعهم ذلك الإيمان حين شاهدوا العذاب ، لأنه إيمان عن قسر وإلجاء

[سنة الله التي قد خلت فى عباده] أي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد ، انه لا ينفع الإيمان إذا رأوا العذاب

[وخسر هنالك الكافرون] أي وخسر فى ذلك الوقت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكافرون بربهم ، الجاحدون لتوحيد خالقهم ومالكهم ، ويا لها من خسارة فادحة ؟ ! .

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - ا لطبا ق بين [الذنب . . والتوب] وبين [أمتنا . . وأحييتنا] وبين [صادقا . . وكاذبا] وبين [غدوا . . وعشيا] وبين [يحيي . . ويميت] وبين [الأعمى . . والبصير] .

2 - المقابلة [ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم ، وإن يشرك به تؤمنوا] فقد قابل بين التوحيد والإشراك ، والكفر والإيمان وكذلك توجد المقابلة بين قوله تعالى [يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع ، وإن الآخرة هي دار القرار] وهذه من المحسنات البديعية .

3 - المجاز المرسل [وينزل لكم من السماء رزقا] أطلق الرزق وأراد المطر ، لأن الماء سبب في جميع الأرزاق ، فهو من إطلاق المسبب وإرادة السبب .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4 - الاستعارة اللطيفة [وما يستوي الأعمى والبصير] استعار الأعمى للكافر ، والبصير للمؤمن ، على طريقة الاستعارة التمثيلية .

5 - المجاز العقلي [والنهار مبصرا] من إسناد الشيء إلى زمانه ، لأن النهار زمن للإبصار ، والنهار نفسه لايبصر!

6 - الكناية [يلقي الروح من أمره] الروح هنا كناية عن الوحي ، لأنه كالروح للجسد .

7 - صيغ المبالغة مثل : " كذاب ، جبار ، سميع ، بصير ، عليم " إلخ .

8 - الجناس الناقص [تفرحون . . تمرحون] وكذلك [صوركم فأحسن صوركم] .

9 - التأكيد بإن واللام [إن الساعة لآتية] .

10 - صيغة الحصر [ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا] .

11 - جناس الاشتقاق [أرسلنا رسلا] .

12 -طباق السلب [منهم من قصصنا عليك ومنهم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لم نقصص عليك] . 1

13 - توافق رءوس الآيات مع السجع البديع ، والكلام الذي يأخذ بالألباب ، انظر روعة البيان ، وتمعن قول القرآن وهو يتحدث عن مؤمن آل فرعون بذلك البيان الإلهى المعجز [ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار . تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار . .] الخ الآيات الكريمة التي هي أحلى من عقود الجمان .

سورة فصلت

ممكية نزلت بعد غافر وآياتها أربع وخمسون آية

بين يدي السورة

هذه السورة الكريمة مكية ، وهي تتناول جوانب العقيدة الإسلامية (الوحدانية ، الرسالة ، البعث والجزاء) وهي الأهداف الأساسية لسائر السور المكية التي تهتم بأركان الإيمان

* ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن القرآن ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المنزل من عند الرحمن ، بالحجج الواضحة ، والبراهين الساطعة ، الدالة على صدق محمد عليه الصلاة والسلام ، فهو المعجزة الدائمة الخالدة للنبي الكريم .

* وتحدثت السورة عن أمر " الوحي والرسالة " فقررت حقيقة الرسول (ص) وأنه بشر خصه الله تعالى بالوحي ، وأكرمه بالنبوة ، وإختاره من بين سائر الخلق ليكون داعيا إلى الله ، مرشدا إلى دينه المستقيم .

* ثم انتقلت السورة للحديث عن مشهد الخلق الأول للحياة ، خلق السموات والأرض ، بذلك الشكل الدقيق المحكم ، الذي يلفت أنظار المعرضين عن آيات الله ، للنظر والتفكر والتدبر ، ولكن ظلمات الكفر هي التي تحول بينهم وبين الإيمان ، فالكون كله ناطق بعظمة الله ، شاهد بوحدانيته جل وعلا .

* وعرضت السورة للتذكير بمصارع المكذبين ، وضربت على ذلك الأمثلة بأقوى الأمم وأعتاها ، قوم "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عاد " الذين بلغ من جبروتهم أن يقولوا [من أشد منا قوة] ؟ وذكرت ما حل بهم وبثمود من الدمار الشامل ، والهلاك المبين ، حين تمادوا في الطغيان وكذبوا رسل الله .

* وبعد الحديث عن المجرمين يأتي الحديث عن المؤمنين المتقين ، الذين استقاموا على شريعة الله ودينه ، فأكرمهم الله بالأمن والأمان في دار الجنان ، مع النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين .

* ثم تحدثت السورة عن الآيات الكونية المعروضة للأنظار ، في هذا الكون الفسيح ، الزاخر بالحكم والعجائب ، وموقف الملحدين بآيات الله ، المتعامين عن كل تلك الآيات الظاهرة الباهرة .

* وختمت السورة بوعد الله للبشرية ، بأن يطلعهم على بعض أسرار هذا الكون في آخر الزمان ، ليستدلوا على صدق ما أخبر عنه القرآن [سنريهم آياتنا في الآفاق ، وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التسمية :

سميت " سورة فصلت " لأن الله تعالى فصل فيها الآيات ، ووضح فيها الدلائل على قدرته ووحدانيته ، وأقام البراهين القاطعة على وجوده وعظمته ، وخلقه لهذا الكون البديع ، الذي ينطق بجلال الله وعظيم سلطانه ! !

قال الله تعالى : [حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته . .] إلى قوله [ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون] .

اللغة :

[فصلت] بينت ووضحت

[أكنة] جمع كنان وهو الغطاء

[وقر] صمم وثقل يمنع سماع الكلام

[ممنون] مقطوع من مننت الحبل إذا قطعته ، قال الشاعر : إني لعمرك ما بابي بذي غلق على الصديق ولا خيري بممنون

[صرصر] الصرصر : الريح الباردة العاصفة مع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصوت الشديد

[نحسات] مشئومات من النحس بمعنى الشؤم وهو ضد السعد ، قال الشاعر : سواء عليه أي حين أتيته أساعة نحس تتقى أم بأسعد

[أخزى] أشد إهانة وإذلالا من الخزي بمعنى الإهانة

[الهون] الإهانة والذل .

التفسير :

[حم] الحروف المقطعة للتنبيه على إعجاز القرآن

[تنزيل من الرحمن الرحيم] أي هذا القرآن المجيد منزل من الرحمن الرحيم ، أنزله جل وعلا رحمة بعباده ، وإنما خص هذين الإسمين [الرحمن الرحيم] إشارة إلى أن نزوله من أكبر النعم ، ولا شك أن القرآن نعمة باقية إلى يوم القيامة

[كتاب فصلت آياته] أي كتاب جامع للمصالح الدينية والدنيوية ، بينت معانيه ، ووضحت أحكامه ، بطريق القصص والمواعظ ، والأحكام والأمثال ، في غاية البيان والكمال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قرآنا عربيا] أي في حال كونه قرآنا عربيا ، واضحا جليا نزل بلسان العرب

[لقوم يعلمون] أي لقوم يفهمون تفاصيل آياته ، ودلائل إعجازه ، فإنه في أعلى طبقات البلاغة ، ولا يتذوق أسراره إلا من كان عالما بلغة العرب

[بشيرا ونذيرا] أي مبشرا للمؤمنين بجنات النعيم ، ومنذرا للكافرين بعذاب الجحيم

[فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون] أي فأعرض أكثر المشركين عن تدبر آياته ، مع كونه نزل بلغتهم ، فهم لا يسمعون سماع تفكر وتأمل ، قال أبو حيان : المعنى : أعرض أكثر أولئك القوم مع كونهم من أهل العلم ، ولكن لم ينظروا النظر التام بل أعرضوا ، فهم لإعراضهم لا يسمعون ما احتوى عليه من الحجج والبراهين وقال القرطبي : السورة نزلت تقريعا وتوبيخا لقريش في إعجاز القرآن ، فهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به ، ثم أخبر تعالى عن عتوهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وضلالهم فقال

[وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه] أي وقالوا للرسول (ص) حين دعاهم إلى الإيمان : قلوبنا في أغطية متكاثفة ، لا يصل إليها شىء مما تدعونا إليه من التوحيد والإيمان

[وفي آذاننا وقر] أي وفي آذاننا صمم وثقل ، يمنعنا من فهم ما تقول قال الصاوي : شبهوا أسماعهم بآذان فيها صمم ، من حيث إنها تمج الحق ، ولا تميل إلى استماعه

[ومن بيننا وبينك حجاب] أي وبيننا وبينك يا محمد حاجز يمنع أن يصل إلينا شيء مما تقول ، فنحن معذورون في عدم اتباعك ، لوجود المانع من جهتنا وجهتك

[فاعمل إننا عاملون] أي اعمل أنت على طريقتك ، ونحن على طريقتنا ، استمر على دينك فإنا مستمرون على ديننا

[قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما إلهكم إله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واحد] أي قل يا محمد لأولئك المشركين : لست إلا بشرا مثلكم ، خصني الله بالرسالة والوحي ، وأنا داع لكم إلى توحيد خالقكم وموجدكم ، الذي قامت الأدلة العقلية والشرعية على وحدانيته ووجوده ، فلا داعي إلى تكذيبى

[فاستقيموا إليه واستغفروه] أي توجهوا إليه بالإستقامة على التوحيد والإيمان ، والإخلاص في الأعمال ، واسألوه المغفرة لسالف الذنوب

[وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة] أي دمار وهلاك للمشركين الذين لا يفعلون الخير ، ولا يتصدقون ولا ينفقون في طاعة الله قال القرطبي : قرعهم بالشح الذي يأنف منه الفضلاء ، وفي الآية دلالة على أن الكافر يعذب بمنع الزكاة مع عذابه على كفره وقال ابن عباس : المراد زكاة الأنفس ، والمعنى : لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد ، ولا يقولون لا إله إلا الله ((هذا القول ذكره ابن كثير ونسبه لابن عباس أن المراد به طهارة النفس من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشرك وهو قول مرجوح ، والصحيح ما ذكره المفسرون أن المراد زكاة المال وهو اختيار ابن جرير والجمهور))

[وهم بالآخرة هم كافرون] أي كفروا بالبعث والنشور ، وكذبوا بالحساب والجزاء قال الصاوي : وإنما خص منع الزكاة وقرنه بالكفر بالآخرة ، لأن المال شقيق الروح ، فإذا بذله الإنسان في سبيل الله ، كان دليلا على قوته وثباته في الدين

[إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون] لما ذكر حال الكفار ، ووعيدهم ، أردفه بذكر حال المؤمنين ، وما لهم من الوعد الكريم والمعنى : إن الذين صدقوا الله ورسوله ، وجمعوا بين الإيمان والعمل الصالح ، لهم في الآخرة أجر غير مقطوع عند ربهم ، بل هو دائم مستمر بدوام الجنة . . ثم ذكر تعالى دلائل قدرته ووحدانيته ، فقال سبحانه

[قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين] الإستفهام للتوبيخ والتعجب أي كيف تكفرون بالله وهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإله العلي الشأن ، القادر على كل شيء ، خالق الأرض في يومين ؟

[وتجعلون له أندادا] أي تجعلون له شركاء وأمثالا تعبدونها معه

[ذلك رب العالمين] أي ذلك الخالق المبدع ، هو رب العالمين كلهم ، فكيف يجوز جعل الأصنام الخسيسة ، شركاء له في الإلهية والمعبودية ؟ قال الصاوى : الإستفهام [أئنكم] للإنكار والتشنيع عليهم ، والمعنى : أنتم تعلمون أنه لا شريك له في العالم العلوي والسفلي ، فكيف تجعلون له شريك ؟

[وجعل فيها رواسي من فوقها] أي جعل في الأرض جبالا ثوابت لئلا تضطرب وتتزلزل بالبشر

[وبارك فيها] أي أكثر خيرها ، بما جعل فيها من المياه ، والزروع ، والضروع

[وقدر فيها أقواتها] أي قدر أرزاق أهلها ومعاشهم قال مجاهد : خلق فيها أنهارها وأشجارها ودوابها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[في أربعة أيام سواء للسائلين] أي في تمام أربعة أيام كاملة مستوية ، بلا زيادة ولا نقصان ، للسائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها

[ثم استوى إلى السماء وهي دخان] أي عمد إلى خلقها وقصد إلى تسويتها وهي بهيئة الدخان قال ابن كثير : والمراد بالدخان بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض

[فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها] أي استجيبا لأمري طائعتين أو مكرهتين

[قالتا أتينا طائعين] أي قالت السموات والأرض : أتينا أمرك طائعين قال الزمخشري : وهذا على التمثيل أي أنه تعالى أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ، وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع ، إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع ، والغرض تصوير أثر قدرته في المقدورات من غير أن يكون هناك خطاب وجواب ، ومثله قول القائل : قال الحائط للمسمار لم تشقني ؟ قال : سل من يدقني ، وروي عن ابن عباس قال : قال الله تعالى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للسماء : اطلعي شمسك وقمرك ونجومك ، وقال للأرض : شققي أنهارك وأخرجي شجرك وثمارك طائعتين أو كارهتين " قالتا أتينا أمرك طائعتين " واختاره ابن جرير

[فقضاهن سبع سموات في يومين] أي صنعهن وأبدع خلقهن سبع سموات في وقت مقدر بيومين ، فتم خلق السموات والأرض في ستة أيام ، ولو شاء لخلقهن بلمح البصر ، ولكن أراد أن يعلم عباده الحلم والأناة

[وأوحى في كل سماء أمرها] أي أوحى في كل سماء ما أراده ، وما أمر به فيها قال ابن كثير : أي رتب في كل سماء ما تحتاج إليه من الملائكة ، وما فيها من الأشياء التي لا يعلمها إلا هو

[وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا] أي وزينا السماء الأولى القريبة منكم ، بالكواكب المنيرة المشرقة على أهل الأرض ، وحرسا من الشياطين أن تستمع إلى الملأ الأعلى

[ذلك تقدير العزيز العليم] أي ذلك المذكور من الخلق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والإبداع هو صنع الله ، العزيز في ملكه ، العليم بمصالح خلقه

[فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود] أي فإن أعرضوا عن الإيمان بعد هذا البيان ، فقل لهم : إني أخوفكم عذابا هائلا ، وهلاكا فظيعا مثل هلاك عاد وثمود ، وعبر بالماضي إشارة إلى تحققه وحصوله

[إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم] أي حين جاءتهم الرسل من كل جوانبهم ، واجتهدوا في هدايتهم من كل جهة ، وأعملوا فيهم كل حيلة ، فلم يروا منهم إلا العتو والإعراض

[ألا تعبدوا إلا الله] أي بأن لا تعبدوا إلا الله وحده

[قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة] أي لو شاء ربنا إرسال رسول ، لجعله ملكا لا بشرا

[فإنا بما أرسلتم به كافرون] أى فإنا كافرون برسالتكم ، لا نتبعكم وأنتم بشر مثلنا ، وفي قولهم [بما أرسلتم] ضرب من التهكم والسخرية برسل الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق] هذا تفصيل لما حل بعاد وثمود من العذاب ، أي فأما عاد فبغوا وعتوا وعصوا ، وتكبروا على نبي الله " هود " ومن آمن منهم معه ، بغير استحقاق للتعظم والإستعلاء

[وقالوا من أشد منا قوة] ؟ أي وقالوا اغترارا بقوتهم لما خوفوا بالعذاب : لا أحد أقوى منا فنحن نستطيع أن ندفع العذاب عن أنفسنا بفضل قوتنا قال ابو السعود : كانوا ذوي أجسام طوال ، وخلق عظيم ، وقد بلغ من قوتهم أن الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده

[أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة] جملة إعتراضية للتعجيب من مقالتهم الشنيعة ، والمعنى : أغفلوا عن قدرة الله ولم يعلموا أن الله العظيم الجليل ، الذي خلقهم وخلق الكائنات ، هو أعظم منهم قوة وقدرة ؟

[وكانوا بآياتنا يجحدون] أي وكانوا بمعجزاتنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يجحدون قال الرازى : إنهم كانوا يعرفون أنها حق ولكنهم جحدوا كما يجحد المودع الوديعة

[فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا] أي فأرسلنا على (عاد) ريحا باردة شديدة البرد ، وشديدة الصوت والهبوب ، تهلك بشدة صوتها وبردها

[في أيام نحسات] أى في أيام مشئومات غير مباركات

[لنذيقهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا] أي لكي نذيقهم العذاب المخزي المذل في الدنيا ، قال الرازى : [عذاب الخزي] أي عذاب الهوان والذل ، والسبب أنهم استكبروا عن الإيمان ، فقابل الله ذلك الإستكبار بإيصال الذل والهوان إليهم

[ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون] أي ولعذابهم في الآخرة ، أعظم وأشد إهانة وخزيا من عذاب الدنيا ، وليس لهم ناصر يدفع عنهم ذلك العذاب

[وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى] أى وأما ثمود فبينا لهم طريق الهدى ، ودللناهم على سبيل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السعادة ، فاختاروا الضلالة على الهداية ، والكفر على الإيمان

[فأخذتهم صاعقة العذاب الهون] أي فأخذتهم قارعة العذاب ، الموقع لهم في الإهانة والذل

[بما كانوا يكسبون] أي بسبب إجرامهم وطغيانهم ، وتكذيبهم لنبي الله " صالح " عليه السلام ، قال ابن كثير : بعث الله عليهم صيحة ورجفة ، وذلا وهوانا ، وعذابا ونكالا ، بتكذيبهم صالح وعقرهم الناقة

[ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون] أى ونجينا صالحا ومن آمن به من ذلك العذاب ، بسبب إيمانهم وتقواهم لله عز وجل .

قال الله تعالى : [ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون . .] إلى قوله [يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون] . من آية (19) إلى نهاية آية (38) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى قصة عاد وثمود ، وما أصابهم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العقوبة في الدنيا بطغيانهم وإجرامهم ، ذكر هنا ما يصيب الكفار عامة في الآخرة من العذاب والدمار ، ليحصل منه تمام الإعتبار ، في الزجر والتحذير عن إرتكاب المعاصي والكفر بنعم الله .

اللغة :

[يوزعون] يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا

[تستترون] تستخفون ، من الإستتار بمعنى الإختفاء عن الأعين

[أرداكم] أهلككم وأوقعكم في المهالك

[يستعتبوا] يطلبوا رضاء الله

[المعتبين] جمع معتب وهو المقبول عتابه قال النابغة : فإن أك مظلوما فعبد ظلمته وإن تك ذا عتبى فمثلك يعتب

[قيضنا] هيأنا

[نزلا] ضيافة وكرامة

[يسأمون] يملون .

سبب النزول :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن ابن مسعود قال : اجتمع عند البيت ثلاثة نفر : قرشيان وثقفي ، قليل فقه قلوبهم ، كثير شحم بطونهم ، فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع ما نقول ؟ فقال أحدهم : يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا ، وقال الآخر : إن كان يسمع إن جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا ، فأنزل الله عز وجل [وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم . .] الآية .

التفسير :

[ويوم يحشر أعداء الله إلى النار] أي واذكر يوم يجمع أعداء الله المجرمون ، في أرض المحشر ، لسوقهم إلى النار

[فهم يوزعون] أي يحبس أولهم على آخرهم ، ليتلاحقوا ويجتمعوا قال ابن كثير : تجمع الزبانية أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا

[حتى إذا ما جاءوها] أي حتى إذا وقفوا للحساب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون] أي نطقت جوارحهم وشهدت عليهم بما اقترفوه من إجرام وآثام ، وفي الحديث (فيختم على فيه - أي فمه - ثم يقال لجوارحه انطقي ، فتنطق بأعماله ، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول : بعدا لكن وسحقا ، فعنكن كنت أناضل

[وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا] أي وقالوا لأعضائهم وجلودهم توبيخا وتعجبا من هذا الأمر الغريب : لم أقررتم علينا وشهدتم بما فعلنا ؟ وإنما كنا نجادل وندافع عنكم ؟

[قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء] أي قالوا معتذرين : ليس الأمر بيدنا ، وإنما أنطقنا الله بقدرته ، الذي ينطق الجماد والإنسان والحيوان ، فشهدنا عليكم بما عملتم من القبائح

[وهو خلقكم أول مرة] أي هو أوجدكم من العدم ، واحياكم بعد أن لم تكونوا شيئا ، فمن قدر على هذا قدر على إنطاقنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإليه ترجعون] أي وإليه وحده تردون بالبعث للحساب والجزاء ، قال أبو السعود : المعنى ليس نطقنا بعجب من قدرة الله ، الذي أنطق كل حي ، فإن من قدر على خلقكم وإنشائكم أولا ، وعلى إعادتكم ورجعكم إلى جزائه ثانيا ، لا يتعجب من إنطاقه لجوارحكم

[وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم] أي وما كنتم تستخفون من هؤلاء الشهود في الدنيا ، حين مباشرتكم الفواحش ، لأنكم لم تظنوا أنها تشهد عليكم قال البيضاوي : أي كنتم تستترون عن الناس ، عند إرتكاب الفواحش مخافة الفضيحة ، وما ظننتم أن أعضاءكم تشهد عليكم ؟ فما استخفيتم منها! ! وفيه تنبيه على أن المؤمن ينبغي ألا يمر عليه حال إلا وعليه رقيب

[ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون] أي ولكن ظننتم أن الله تعالى لا يعلم كثيرا من القبائح المخفية ، ولذلك اجترأتم على المعاصي والآثام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم] أي وذلكم الظن القبيح برب العالمين - أنه لا يعلم كثيرا من الخفايا - هو الذي أوقعكم في الهلاك والدمار ، فأوردكم النار

[فأصبحتم من الخاسرين] أي فخسرتم سعادتكم وأنفسكم وأهليكم ، وهذا تمام الخسران والشقاء

[فإن يصبروا فالنار مثوى لهم] أي فإن يصبروا على العذاب ، فالنار مقامهم ومنزلهم ، لا محيد ولا محيص لهم عنها

[وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين] أي وإن يطلبوا إرضاء الله ، فما هم من المرضى عليهم ، قال القرطبى : والعتبى : رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب ، تقول : استعتبته فأعتبني أي استرضيته فأرضانى

[وقيضنا لهم قرناء] أي هيأنا للمشركين ، ويسرنا لهم قرناء سوء من الشياطين ، ومن غواة الإنس

[فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم] أي حسنوا لهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أعمالهم القبيحة ، الحاضرة والمستقبلة قال ابن كثير : حسنوا لهم أعمالهم فلم يروا أنفسهم إلا محسنين

[وحق عليهم القول] أي ثبت وتحقق عليهم كلمة العذاب ، وهو القضاء المحتم بشقائهم

[في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس] أي في جملة أمم من الأشقياء المجرمين ، قد مضت من قبلهم ، ممن فعلوا كفعلهم من الجن والإنس

[إنهم كانوا خاسرين] تعليل لإستحقاقهم العذاب أي لأنهم كانوا من الخاسرين لسعادتهم وآخرتهم ، فلذلك إستحقوا العذاب الأبدي

[وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن] لما أخبر تعالى عن كفر (عاد وثمود) وغيرهم ، أخبر عن مشركي قريش ، وأنهم كذبوا القرآن ، والمعنى : قال الكافرون بعضهم لبعض : لا تستمعوا لمحمد إذا قرأ القرآن ، وتشاغلوا عنه

[والغوا فيه لعلكم تغلبون] أي إرفعوا أصواتكم عند قراءته ، حتى لا يسمعه أحد ، لكي تغلبوه على دينه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال ابن عباس : قال ابو جهل إذا قرأ محمد فصيحوا في وجهه حتى لا يدري ما يقول

[فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا] أي فوالله لنذيقن هؤلاء الكفار المستهزئين بالقرآن ، عذابا شديدا ، لا يخف ولا ينقطع

[ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون] أي ولنجازينهم بشر أعمالهم ، وسيىء أفعالهم ، أسوأ وأقبح الجزاء

[ذلك جزاء أعداء الله النار] أي ذلك العذاب الشديد - الذي هو أسوأ الجزاء - هو نار جهنم جزاء المجرمين ، أعداء الله ورسوله

[لهم فيها دار الخلد] أي لهم في جهنم دار الإقامة ، لا يخرجون منها أبدا

[جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون] أي جزاء لهم على كفرهم بالقرآن ، واستهزائهم بآيات الرحمن قال الرازي : وسمى لغوهم بالقرآن جحودا ، لأنهم لما علموا أن القرآن بالغ إلى حد الإعجاز ، خافوا إن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سمعه الناس أن يؤمنوا به ، فاخترعوا تلك الطريقة الفاسدة ، وذلك يدل على إنهم علموا كونه معجزا إلا أنهم جحدوه حسدا

[وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس] أي ويقول الكفار إذا دخلوا جهنم : ربنا أرنا كل من أغوانا وأضلنا من الجن والإنس ، وإنما جاء بلفظ الماضي " وقال " لتحققه ومعناه المستقبل قال ابو حيان والظاهر أن المراد ب [الذين] يراد بهما الجنس أي كل مغو من هذين النوعين

[نجعلهما تحت أقدامنا] أي نطأهما بأقدامنا ، انتقاما وتشفيا

[ليكونا من الأسفلين] أي ليكونا في الدرك الأسفل من النار ، وهي أشد العذاب في نار جهنم ، لأنها درك المنافقين . . ولما ذكر تعالى حال الأشقياء المجرمين ، أردفه بذكر حال السعداء المؤمنين ، فقال

[إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا] أي آمنوا بالله إيمانا صادقا ، وأخلصوا العمل له ، ثم إستقاموا على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

توحيد الله وطاعته ، وثبتوا على ذلك حتى الممات ، وعن عمر رضي الله عنه إنه قال على المنبر ، بعد أن تلا الآية الكريمة : " استقاموا والله على الطريقة لطاعته ، ثم لم يروغوا روغان الثعالب " والغرض : إنهم استقاموا على شريعة الله في سلوكهم ، وأخلاقهم وأقوالهم ، وأفعالهم ، فكانوا مؤمنين حقا ، مسلمين صدقا ، وفي الحديث الشريف : (قل آمنت بالله ثم استقم) ، وقد سئل بعض العارفين عن تعريف الكرامة فقال : الإستقامة عين الكرامة ، وعن الحسن أنه كان يقول : اللهم أنت ربنا فارزقنا الإستقامة

[تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا] أي تتنزل عليهم ملائكة الرحمة عند الموت ، بأن لا تخافوا مما تقدمون عليه من أحوال القيامة ، ولا تحزنوا على ما خلفتموه في الدنيا من أهل ومال وولد ، فنحن نخلفكم فيه

[وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون] أي وأبشروا بجنة الخلد التى وعدكم الله بها على لسان الرسل ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شيخ زاده : إن الملائكة تتنزل حين الإحتضار على المؤمنين بهذه البشارة أن لا تخافوا من هول الموت ، ولا من هول القبر ، وشدائد يوم القيامة ، وإن المؤمن ينظر إلى حافظيه قائمين على رأسه يقولان له : لا تخف اليوم ولا تحزن ، وأبشر بالجنة الي كنت توعد وإنك سترى اليوم أمورا لم تر مثلها ، فلا تهولنك فإنما يراد بها غيرك

[نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة] أي تقول لهم الملائكة : نحن أنصاركم وأعوانكم في الدنيا والآخرة نرشدكم إلى ما فيه خيركم وسعادتكم في الدارين

[ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون] أي ولكم في الجنة ما تشتهيه نفوسكم ، وتقر به عيونكم ، من أنواع اللذائذ والشهوات ، ولكم فيها ما تطلبون وتتمنون

[نزلا من غفور رحيم] أى ضيافة وكرامة من رب واسع المغفرة عظيم الرحمة لعباده المتقين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين] أي دعا إلى توحيد الله وطاعته ، بقوله وفعله وحاله وفعل الصالحات ، وجعل الإسلام دينه ومذهبه ، قال ابن كثير : وهذه الآية عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد وقال الزمخشري : والآية عامة في كل من جمع بين هذه الثلاث : أن يكون مؤمنا ، معتقدا لدين الإسلام ، عاملا بالخير ، داعيا إليه وما هم إلا طبقة العلماء العاملين

[ولا تستوي الحسنة ولا السيئة] أى لا يتساوى فعل الحسنة مع فعل السيئة ، بل بينهما فرق عظيم ، في الجزاء وحسن العاقبة

[ادفع بالتي هي أحسن] أي ادفع السيئة بالخصلة التي هي أحسن ، مثل أن تدفع الغضب بالصبر ، والجهل بالحلم ، والإساءة بالعفو ، قال ابن عباس : ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك

[فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم] أي فإذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فعلت ذلك صار عدوك كالصديق القريب ، الخالص الصداقة في مودته ومحبته لك

[وما يلقاها إلا الذين صبروا] أي وما ينال هذه المنزلة الرفيعة والخصلة الحميدة إلا من جاهد نفسه ، بكظم الغيظ وإحتمال الأذى

[وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم] أى وما يصل إليها وينالها ، إلا ذو نصيب وافر من السعادة والخير

[وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله] أى وإن وسوس إليك الشيطان بترك ما أمرت به ، من الدفع بالتي هي أحسن ، وأراد أن يحملك على البطش والإنتقام ، فاستعذ بالله من كيده وشره

[إنه هو السميع العليم] أي هو السميع لأقوال العباد ، العليم بأفعالهم وأحوالهم . . ثم ذكر تعالى بعض دلائل قدرته الباهرة وحكمته البالغة ، فقال سبحانه

[ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر] أي ومن علاماته الدالة على وحدانيته وقدرته ، تعاقب الليل والنهار وتذليل الشمس والقمر ، مسخرين لمصالح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البشر

[لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذي خلقهن] أي لا تسجدوا للمخلوق واسجدوا للخالق ، الذي خلق هذه الأشياء وأبدعها

[إن كنتم إياه تعبدون] أي إن كنتم تفردونه بالعبادة فلا تسجدوا لأحد سواه

[فإن استكبروا] أي فإن استكبر الكفار عن السجود لله

[فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار] أي فالملائكة الأبرار يعبدونه بالليل والنهار

[وهم لا يسأمون] أي لا يملون عبادته ، بل يتلذذون بها على الدوام .

قال الله تعالى : [ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة . .] إلى قوله [ألا إنه بكل شيء محيط] .

من آية (39) إلى نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما ذكر تعالى صفات المؤمنين الأبرار ، وأردفها بذكر الدلائل الدالة على وجوده سبحانه ووحدانيته ، وكمال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

علمه وحكمته ، ذكر هنا ما يدل على البعث والنشور ، من صفحات هذا الكون المنظور ، ثم أعقبه بذكر الملحدين في آياته المكذبين برسله وأنبيائه ، وختم السورة الكريمة ببيان حال الأشقياء المجرمين ، المنكرين للقرآن العظيم ، يوم الحساب والجزاء .

اللغة :

[يلحدون] يميلون عن الحق والإستقامة ، والإلحاد : الميل والعدول يقال : ألحد في دين الله أى حاد عنه وعدل

[أعجميا] بلغة العجم

[وقر] صمم مانع من سماعه

[أكمامها] جمع كم وهو وعاء الثمرة بضم الكاف وكسرها

[محيص] فرار ومهرب من حاص يحيص حيصا إذا هرب

[نأى] تباعد وأعرض

[الآفاق] أقطار السموات والأرض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[مرية] شك وارتياب عظيم .

التفسير :

[ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة] أى ومن البراهين والعلامات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته ، أنك ترى الأرض يابسة جرداء لا نبات فيها ، تشبه الرجل الخاضع الذليل

[فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت] أي فإذا أنزلنا عليها المطر ، تحركت حركة شديدة ، وانتفخت وعلت بالنبات ، وأخرجت من جميع ألوان الزروع والثمار

[إن الذي أحياها لمحي الموتى] أي إن الإله الذى أحيا الأرض بعد موتها ، هو الذي يحي الأموات ويبعثهم من القبور

[إنه على كل شيء قدير] أي لا يعجزه جل وعلا شيء ، فكما أخرج الزروع والثمار من الأرض المجدبة ، فإنه قادر على إحياء الموتى . . ثم توعد تعالى من يلحد في آياته بعد ظهور الأدلة والبراهين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على وجوده ، فقال سبحانه

[إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا] أي إن الذين يطعنون في آياتنا ، بالتحريف والتكذيب والإنكار لها ، لا يغيب أمرهم عنا فنحن لهم بالمرصاد ، وفيه وعيد وتهديد قال قتادة : الإلحاد الكفر والعناد قال ابن عباس : هو تبديل الكلام ووضعه في غير موضعه

[أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة] أى أفمن يطرح في جهنم مع الخوف ، أفضل أم من يكون في الجنة آمنا من عذاب الله يوم القيامة ؟ قال الرازي : والغرض التنبيه على أن الملحدين في آيات الله يلقون في النار ، وإن المؤمنين بآيات الله يكونون آمنين يوم القيامة ، وشتان ما بينهما

[اعملوا ما شئتم] أي افعلوا ما تشاءون في هذه الحياة ، وهو تهديد لا إباحة ، ملفع بظل الوعيد ، بدليل قوله تعالى

[إنه بما تعملون بصير] أي هو تعالى مطلع على أعمالكم ، لا تخفى عليه خافية من أحوالكم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسيجازيكم عليها
[إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم] أي إن الذين كذبوا بالقرآن حين جاءهم من عند الله ، وخبر " إن " محذوف لتهويل الأمر ، كأنه قيل : سيجازون بكفرهم جزاء لا يكاد يوصف ، لشدة بشاعته وفظاعته ،
[وإنه لكتاب عزيز] أي وإنه لكتاب غالب بقوة الحجة ، لا نظير له ، لما احتوى عليه من الإعجاز ، يدفع كل جاحد ، ويقمع كل معاند
[لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه] أي لا يتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات ، ولا مجال للطعن فيه قال ابن كثير : أي ليس للبطلان إليه سبيل ، لأنه منزل من رب العالمين
[تنزيل من حكيم حميد] أي هو تنزيل من إله حكيم في تشريعه وأحواله وأفعاله ، محمود من خلقه بسبب كثرة نعمه . . ثم سلى تعالى نبيه على ما يصيبه من أذى الكفار فقال
[ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك] أي ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقول لك كفار قومك ، إلا ما قد قال الكفار للرسل قبلهم ، من الكلام المؤذي ، والطعن فيما أنزل الله قال القرطبي : يعزي نبيه ويسليه من أذى وتكذيب قومه

[إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم] أي إن ربك يا محمد ، لهو الغفور لذنوب المؤمنين ، ذو العقاب الشديد للكافرين ، ففوض أمرك إليه فإنه ينتقم لك من أعدائك . . ثم ذكر تعالى تعنت الكافرين ومكابرتهم للحق بعد سطوعه وظهوره فقال

[ولو جعلناه قرآنا أعجميا] أي لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم

[لقالوا لولا فصلت آياته] أي لقال المشركون : هلا بينت آياته بلسان نفهمه ، وهلا نزل بلغتنا ؟

[أأعجمى وعربى] ؟ استفهام إنكاري أي أقرآن أعجمى ونبى عربي ؟ قال الرازي : ذكر أن الكفار كانوا يقولون لتعنتهم : هلا نزل القرآن بلغة العجم ؟! فأجيبوا بأن الأمر لو كان كما تقترحون لم تتركوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإعتراض ، ثم قال : والحق عندي أن هذه السورة من أولها إلى آخرها كلام واحد متعلق بعضه ببعض ، وقد حكى تعالى عنهم في أول السورة أنهم قالوا [قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه] فرد تعالى عليهم هنا بأنه لو أنزل هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا : كيف أرسلت الكلام العجمي إلى القوم العرب !! ولصح لهم أن يقولوا [قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه] لأنا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه !! أما وقد نزل بلغة العرب ، وهم من أهل هذه اللغة ، فكيف يمكنهم أن يقولوا ذلك ؟ فظهر أن الآية على أحسن وجوه النظم ((وهذا الذي ذكره الإمام الفخر هو الأظهر ، فإنهم لم يقترحوا أن ينزل بلغة العجم وإنما هو على سبيل الفرض ، بدليل {ولو أنزلنا قرآنا أعجميا لقالوا} وهذا الذي رجحناه هو ما ذهب إليه العلامة القرطبي حيث قال في تفسير الآية : المعنى لو جعلنا هذا القرآن بلغة غير العرب لقالوا لولا بينت آياته بلغتنا فإنا عرب لا نفهم الأعجمية ، فبين تعالى أنه أنزل بلسانهم ليتقرر به معنى الإعجاز

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، إذ هم أعلم الناس بأنواع الكلام نظما ونثرا ، وإذا عجزوا عن معارضته فذلك أدل دليل على أنه من عند الله))

[قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء] أي قل لهم يا محمد : إن هذا القرآن هدى للمؤمنين من الضلالة ، وشفاء لهم من الجهل والشك والريب

[والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر] أي والذين لا يصدقون بهذا القرآن ، في آذانهم صمم عن سماعه ، ولذلك تواصوا باللغو فيه

[وهو عليهم عمى] أي وكما أن هذا القرآن رحمة للمؤمنين ، هو شقاء وتعاسة على الكافرين ، كقوله تعالى [وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين إلا خسارا] قال في حاشية البيضاوى : إن القرآن لوضوح آياته ، وسطوع براهينه ، هاد إلى الحق ، ومزيل لريب الشك ، وشفاء من داء الجهل ، والكفر والإرتياب ، ومن إرتاب فيه ولم يؤمن به ، فإرتيابه إنما نشأ عن توغله في إتباع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشهوات ، وتقاعده عن تفقد ما يسعده وينجيه

[أولئك ينادون من مكان بعيد] أي أولئك الكافرون بالقرآن ، كمن ينادى من مكان بعيد ، فإنه لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به ، وهذا على سبيل التمثيل قال ابن عباس : يريد مثل البهيمة التي لا تفهم إلا دعاء ونداء

[ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه] أي والله لقد أعطينا موسى التوراة فإختلف فيها قومه ما بين مصدق لها ومكذب ، هكذا حال قومك بالنسبة للقرآن قال القرطبي : وهذا تسلية للنبي (ص) أي لا يحزنك إختلاف قومك في كتابك ، فقد إختلف من قبلهم في كتابهم ، فآمن به قوم وكذب به قوم

[ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم] أي ولولا أن الله حكم بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ، لعذبهم وأهلكهم في الدنيا

[وإنهم لفي شك منه مريب] أي وإن هؤلاء الكفار لفي شك من القرآن ، لتبلد عقولهم وعمى بصائرهم ، موقع لهم في أشد الريبة والإضطراب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها] أي من عمل شيئا من الصالحات في هذه الدنيا ، فإنما يعود نفع ذلك على نفسه ، ومن أساء في الدنيا ، فإنما يرجع وبال ذلك وضرره عليه

[وما ربك بظلام للعبيد] أي وليس الله منسوبا إلى الظلم حتى يعذب بغير إساءة ، فهو تعالى لا يعاقب أحدا إلا بذنبه ، ولا يؤاخذه إلا بجرمه ، قال المفسرون : ليست صيغة " ظلام " هنا للمبالغة ، وإنما هي صيغة نسبة مثل عطار ، ونجار ، وتمار ، ولو كانت للمبالغة ، لأوهم أنه تعالى ليس كثير الظلم ولكنه يظلم أحيانا ، وهذا المعنى فاسد ، لأنه يستحيل عليه الظلم جل وعلا

[إليه يرد علم الساعة] أي إليه تعالى وحده علم وقت الساعة لا يعلمه غيره قال الإمام الفخر : أي لا يعلم وقت الساعة بعينه إلا الله ، ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما هدد الكفار بقوله [من عمل صالحا فلنفسه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن أساء فعليها] ومعناه أن جزاء كل أحد يصل إليه في يوم القيامة ، فكأن سائلا قال : ومتى يكون ذلك اليوم ؟ فبين تعالى أن معرفة ذلك اليوم لا يعلمه إلا الله

[وما تخرج من ثمرات من أكمامها] أي وما تخرج ثمرة من الثمرات من غلافها ووعائها

[وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه] أي ولا تحمل أنثى جنينا في بطنها ولا تلده إلا ملتبسا بعلمه تعالى ، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء

[ويوم يناديهم أين شركائي] ؟ أي ويوم القيامة ينادي الله المشركين أي شركائى الذين زعمتم أنهم آلهة ؟ وفيه تقريع وتهكم بهم

[قالوا آذناك ما منا من شهيد] أي قال المشركون : أعلمناك وأخبرناك الآن بالحقيقة ، ما منا من يشهد اليوم بأن لك شريكا قال المفسرون : لما عاينوا القيامة تبرءوا من الأصنام ، وتبرأت الأصنام منهم ، وأعلنوا إيمانهم وتوحيدهم في وقت لا ينفع فيه إيمان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل] أي وغاب عنهم ما كانوا يعبدونه في الدنيا ، من الآلهة المزعومة

[وظنوا ما لهم من محيص] أي وأيقنوا أنه لا مهرب ولا مخلص لهم من عذاب الله

[لا يسأم الإنسان من دعاء الخير] أي لا يمل الإنسان من سؤاله ودعائه بالخير لنفسه ، كالمال والصحة والعز والسلطان

[وإن مسه الشر فيئوس قنوط] أي وإن أصابه فقر أو مرض فهو عظيم اليأس ، قانط من روح الله ورحمته

[ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته] أي ولئن أعطيناه غنى وصحة ، من بعد شدة وبلاء

[ليقولن هذا لي] أي ليقولن هذا بسعيي وإجتهادي قال أبو حيان : سمى النعمة رحمة إذ هي من آثار رحمة الله

[وما أظن الساعة قائمة] أي وما أعتقد أن القيامة ستكون

[ولئن رجعت إلى ربى إن لي عنده للحسنى] أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعلى فرض أن القيامة حاصلة ، فليحسنن إليى ربي
كما أحسن إلى في هذه الدنيا قال ابن كثير : يتمنى
على الله عز وجل مع إساءته العمل وعدم اليقين
[فلننبئن الذين كفروا بما عملوا] أي فوالله لنعلمن
هؤلاء الكافرين بحقيقة أعمالهم ، ولنبصرنهم بإجرامهم
[ولنذيقنهم من عذاب غليظ] أي ولنعذبنهم أشد العذاب
، وهو الخلود في نار جهنم
[وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونئا بجانبه] أي
وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض عن شكر ربه ،
وإستكبر عن الإنقياد لأوامره ، وشمخ بأنفه تكبرا
وترفعا
[وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض] أي وإذا أصابه
المكروه فهو ذو دعاء كثير ، يديم التضرع ويكثر من
الإبتهال ، وهكذا طبيعة الإنسان الجحود والنكران ،
يعرف ربه في البلاء ، وينساه في الرخاء قال
الرازي : استعير العرض لكثرة الدعاء ، كما استعير
الغلظ لشدة العذاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به] أي قل لهم يا أيها الرسول : أخبروني يا معشر المشركين ، إن كان هذا القرآن من عند الله ، وكفرتم به ، من غير تأمل ولا نظر ، كيف يكون حالكم ؟

[من أضل ممن هو في شقاق بعيد] الإستفهام إنكاري بمعنى النفي أي لا أحد أضل منكم لفرط شقاقكم وعداوتكم ، قال ابو السعود : وضع الموصول " من أضل " موضع الضمير " منكم " شرحا لحالهم ، وتعليلا لمزيد ضلالهم

[سنريهم آياتنا] أي سنظهر لهؤلاء المشركين دلالاتنا وحججنا الواضحة القاطعة ، على أن القرآن حق منزل من عند الرحمن

[في الآفاق] أى في أقطار السموات والأرض ، من الشمس والقمر والنجوم ، والأشجار والنبات ، وغير ذلك من العجائب العلوية والسفلية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وفي أنفسهم] أي وفي عجائب قدرة الله في خلقهم وتكوينهم قال القرطبي : المراد ما في أنفسهم من لطيف الصنعة ، وبديع الحكمة ، حتى سبيل الغائط والبول ، فإن الرجل يأكل ويشرب من مكان واحد ، ويتميز ذلك من مكانين ، ومن بديع صنعة الله وحكمته ، في عينيه اللتين هما قطرة ماء ، ينظر بهما من الأرض إلى السماء ، مسيرة خمسمائة عام ، وفي أذنيه اللتين يفرق بهما بين الأصوات المختلفة ، وغير ذلك من بديع حكمة الله فيه

[حتى يتبين لهم أنه الحق] أي حتى يظهر لهم أن القرآن حق ، وأن الرسول صادق ،

[أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد] ؟ أي أولم يكفهم برهانا على صدقك ، أن ربك لا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء ؟ وأنه مطلع على كل شيء لا تخفى عليه خافية ؟

[ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم] ألا أداة إستفتاح ، لتنبيه السامع إلى ما يقال أى ألا فإنتبهوا أيها القوم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن هؤلاء المشركين في شك من الحساب والبعث
والجزاء ، ولهذا لا يتفكرون ولا يؤمنون
[ألا إنه بكل شىء محيط] أي ألا فإنتبهوا فإنه تعالى
قد أحاط علمه ، بكل الأشياء جملة وتفصيلا ، فهو
يجازيهم على كفرهم أبلغ الجزاء ، بإدخالهم نار
الجحيم !!

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع
نوجزها فيما يلي :

1 - الطباق بين [بشيرا . . ونذيرا] وبين
[طوعا . . وكرها] وبين [ما بين أيديهم . . وما
خلفهم] وبين [الحسنة . . والسيئة] وبين [مغفرة . .
وعقاب] وبين [أعجمي . . وعربي] وبين
[تحمل . . وتضع] وبين [الخير . . والشر] .

2 - طباق السلب [لا تسجدوا للشمس . . واسجدوا
لله] وكذلك [آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون] .

3 - الإلتفات [فإن أعرضوا] بعد قوله [قل أئنكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لتكفرون] وهو إلتفات من الخطاب إلى الغيبة ، وناسب الإعراض عن مخاطبتهم لكونهم أعرضوا عن الحق ، وهو تناسب حسن .

4 - الإستعارة التمثيلية [فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها] مثل تأثير قدرته تعالى في السموات والأرض ، بأمر السلطان لأحد رعيته أو عبيده بأمر من الأمور ، وإمتثال الأمر سريعا ، فالسموات والأرض منقادة لحكمه ، لا تخرج عن طوعه وإرادته .

5 - الإستعارة التصريحية [وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر] ليس هناك على الحقيقة شيء مما قالوه ، وإنما أخرجوا هذا الكلام مخرج الدلالة على إستثقالهم ما يسمعونه من قوارع القرآن ، وجوامع البيان ، فكأنهم من شدة الكراهية له ، قد صمت أسماعهم عن فهمه ، وقلوبهم عن علمه .

6 - الإستعارة التمثيلية اللطيفة [أولئك ينادون من مكان بعيد] شبه حالهم في عدم قبول المواعظ ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإعراضهم عن القرآن وما فيه ، بحال من ينادى من مكان بعيد ، فلا يسمع ولا يفهم ما ينادى به ، والجامع عدم الفهم في كل ، بطريق الإستعارة التمثيلية .

8 - الأمر التهديدي [اعملوا ما شئتم] خرج الأمر عن صيغته الأصلية إلى معنى الوعيد والتهديد .

9 - التشبيه المرسل المجمل [كأنه ولي حميم] ذكرت أداة التشبيه وحذف وجه الشبه فهو مرسل مجمل .

10 - إن اللسان عاجز عن تصوير البلاغة في جمال الإسلوب القرآني ، فتأمل الروعة البيانية في قوله تعالى [ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ، إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير] وتصور التناسق الفني في التعبير والأداء ، وتأمل لفظ الخشوع والإهتزاز والإنتفاخ للأرض الميتة ، يبعثها الله كما يبعث الموتى من القبور ، إنه جو بعث وإخراج وإحياء ، ويا له من تصوير رائع يأخذ بالألباب .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سورة الشورى

مكية وآياتها ثلاث وخمسون آية

بين يدي السورة

* هذه السورة الكريمة مكية ، وموضوعها نفس موضوع السور المكية التي تعالج أمور العقيدة (الوحدانية ، الرسالة ، البعث والجزاء) والمحور الذي تدور عليه السورة هو " الوحي والرسالة " وهو الهدف الأساسي للسورة الكريمة .

* تبتدىء السورة بتقرير مصدر الوحي ، ومصدر الرسالة ، فالله رب العالمين ، هو الذي أنزل الوحي على الأنبياء والمرسلين ، وهو الذي اصطفى لرسالاته من شاء من عباده ، ليخرجوا الإنسانية من ظلمات الشرك والضلال ، إلى نور الهداية والإيمان [كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم . .] الآيات .

* ثم تعرض السورة لحالة بعض المشركين ، ونسبتهم لله الذرية والولد ، حتى إن السموات ليكدن يتفطرن ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من هول تلك المقالة الشنيعة ، وبينما هؤلاء المشركون في ضلالهم يتخبطون ، إذا بالملأ الأعلى في تسبيحهم وتمجيدهم لله يستغرقون ، وذلك للمقارنة بين كفر أهل الأرض وطغيانهم ، وإيمان أهل السماء وإذعانهم [تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض . .] الآيات .

* ثم تعود السورة للحديث عن حقيقة (الوحي والرسالة) فتقرر أن الدين واحد أرسل الله تعالى به جميع المرسلين ، وأن شرائع الأنبياء وإن اختلفت في الفروع ، إلا أن دينهم في الأصول واحد ، وهو الإسلام الذي بعث به نوحا وموسى وعيسى وسائر الرسل الكرام [شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى] الآيات .

* وتنتقل السورة للحديث عن المكذبين بالقرآن ، المنكرين للبعث والجزاء ، وتنذرهم بالعذاب الشديد ، في يوم تشيب له الرءوس ، وتطير لهوله الأفئدة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بينما هم في الدنيا يستهزءون ويسخرون ، ويستعجلوا قيام الساعة [الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها . .] الآيات .

* وبعد أن تتحدث السورة عن دلائل الإيمان في هذا العالم المنظور ، الذي هو (ألر من الار) صنع الله الباهر ، وحكمته وقدرته ، تدعو الناس إلى الاستجابة لدعوة الله ، والإنقياد والاستسلام لحكمه ، قبل أن يفأجئهم ذلك اليوم العصيب ، الذي لا ينفع فيه مال ولا قريب [استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله] الآيات . ، وتختم السورة بالحديث عن الوحي وعن القرآن ، كما بدأت به في مطلع السورة الكريمة ، ليتناسق الكلام في البدء والختام [وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان . .] الآية .

التسمية :

سميت " سورة الشورى " تنويها بمكانة الشورى في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإسلام ، وتعليما للمؤمنين أن يقيموا حياتهم ، على هذا المنهج الأصيل الأكمل (منهج الشورى) لما له من أثر عظيم جليل في حياة الفرد والمجتمع ، كما قال تعالى [وأمرهم شورى بينهم] .

اللغة :

[يتفطرن] يتشققن ، والفطور : الشقوق ومنه [وما لها من فطور]

[فاطر] خالق ومبدع ومخترع

[يوم الجمع] يوم القيامة لاجتماع الخلائق فيه

[أم القرى] مكة المكرمة

[يذرؤكم] ينشئكم ويكثركم

[مقاليد] مفاتيح جمع إقليد على غير قياس

[شرع] بين وسن وأوضح

[كبر] عظم وشق

[ينيب] يرجع ويتوب من ذنبه

[مريب] موقع في الريبة والقلق

[داحضة] باطلة وزائلة يقال : دحضت حجته أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بطلت ، ودحضت رجله أي زلقت .

التفسير :

[حم عسق] الحروف المقطعة للتنبيه على إعجاز القرآن ، وإثارة انتباه الإنسان بحروف أولية ، وبدء غير مألوف

[كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم] أي مثل ما أوحى إليك ربك يا محمد هذا القرآن ، أوحى الله إلى الرسل من قبلك ، في الكتب السابقة المنزلة ، الله العزيز في ملكه ، الحكيم في صنعه

[له ما في السموات وما في الأرض] أي له جميع ما في الكون ، ملكا وخلقا وعبيدا

[وهو العلى العظيم] أي هو المتعالي فوق خلقه ، المنفرد بالكبرياء والعظمة

[تكاد السموات يتفطرن من فوقهن] أي تكاد السموات يتشققن من عظمة الله وجلاله ، ومن شناعة ما يقوله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المشركون ، من اتخاذ الله الولد
[والملائكة يسبحون بحمد ربهم] أي والملائكة الأبرار دائبون في تسبيح الله ، ينزهونه عما لا يليق به
[ويستغفرون لمن في الأرض] أي ويطلبون المغفرة لذنوب من في الأرض من المؤمنين ، قال في التسهيل : والآية عموم يراد به الخصوص ، لأن الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين من أهل الأرض ، فهي كقوله تعالى [ويستغفرون للذين آمنوا]
[ألا إن الله هو الغفور الرحيم] أي ألا فانتبهوا أيها القوم ، إن الله هو الغفور لذنوب عباده ، الرحيم بهم ، حيث لا يعاجلهم بالعقوبة ، مع كفرهم وعصيانهم قال القرطبي : هيب وعظم جل وعلا في الابتداء ، وألطف وبشر في الانتهاء
[والذين اتخذوا من دونه أولياء] أي جعلوا له شركاء وأندادا
[الله حفيظ عليهم] أي الله تعالى رقيب على أحوالهم وأعمالهم ، لا يفوته منها شي : ، وهو محاسبهم عليها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وما أنت عليهم بوكيل] أي وما أنت يا محمد بموكل على أعمالهم ، حتى تقسرهم على الإيمان ، إنما أنت منذر فحسب

[وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا] أي وكما أوحينا إلى الرسل قبلك ، أوحينا إليك يا محمد قرانا عربيا معجزا ، بلسان العرب ، لا لبس فيه ولا غموض

[لتنذر أم القرى ومن حولها] أي لتنذر بهذا القرآن أهل مكة ، ومن حولها من البلدان قال الإمام الفخر : وأم القرى أصل القرى وهى مكة ، وسميت بهذا الاسم إجلالا لها ، لأن فيها البيت ، ومقام إبراهيم ، والعرب تسمي أصل كل شيء أم ، حتى يقال : هذه القصيدة من أمهات قصائد فلان

[وتنذر يوم الجمع] أي وتخوف الناس ذلك اليوم الرهيب ، يوم اجتماع الخلائق للحساب ، في صعيد واحد ، يبصرهم الناظر ، ويسمعهم السامع

[لا ريب فيه] أي لا شك في وقوعه ، ولا محالة من حدوثه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فريق في الجنة وفريق في السعير] اي فريق منهم في جنات النعيم وهم المؤمنون ، وفريق منهم في دركات الجحيم وهم الكافرون ، حيث ينقسمون بعد الحساب إلى أشقياء وسعداء كقوله تعالى [فمنهم شقى وسعيد]

[ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة] أي لو شاء الله لجعل الناس كلهم مهتدين ، أهل دين واحد ، وملة واحدة ، وهي (الإسلام) قال الضحاك : أهل دين واحد ، أهل ضلالة أو أهل هدى

[ولكن يدخل من يشاء في رحمته] أي ولكنه تعالى حكيم ، لا يفعل إلا ما فيه المصلحة ، فمن علم منه اختيار الهدى يهديه ، فيدخله بذلك في جنته ، ومن علم منه اختيار الضلال ، يضله فيدخله بذلك السعير ، ولهذا قال

[والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير] أي والكافرون ليس لهم ولى يتولاهم يوم القيامة ، ولا نصير ينصرهم من عذاب الله قال أبو حيان : والآية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تسلية للرسول (ص) عما كان يقاسيه من كفر قومه ، وتوقيف على أن ذلك راجع إلى مشيئته جل وعلا ، ولكن من سبقت له السعادة ، أدخله الله في رحمته ، يعني دين الإسلام

[أم اتخذوا من دونه أولياء] استفهام على سبيل الإنكار أي بل هل اتخذ المشركون من دون الله آلهة ؟ يستعينون بهم ، ويطلبون نصرهم وشفاعتهم ؟

[فالله هو الولى] أي فالله وحده هو الولى الحق ، الناصر للمؤمنين ، لا ولي سواه

[وهو يحي الموتى] أي هو تعالى القادر على إحياء الموتى ، لا تلك الأصنام التي لا تضر ولا تنفع

[وهو على كل شيء قدير] أي والله جل وعلا لا يعجزه شيء ، فهو الحقيق بأن يتخذ وليا من دون ما سواه

[وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله] أي وما اختلفتم فيه أيها المؤمنون من شيء من أمر الدنيا أو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدين ، فالحكم فيه إلى الله جل وعلا ، هو الحاكم فيه بكتابه أو بسنة نبيه عليه السلام

[ذلكم الله ربى] أي الموصوف بهذه الصفات هو ربي وحده ، وليي ومالك أمري فقال القرطبي : وفيه اضمار أي قل لهم يا محمد : ذلكم الذي يحي الموتى ، ويحكم بين المختلفين هو ربي

[عليه توكلت] أى عليه وحده اعتمدت في جميع أموري

[وإليه أنيب] أي وإليه وحده أرجع في كل ما يعرض على من مشكلات ومعضلات ، لا إلى أحد سواه قال الرازي : والعبارة تفيد الحصر أي لا أتوكل إلا عليه ، ولا أنيب إلا إليه ، وهو إشارة إلى تزييف طريقة من اتخذ غير الله وليا . . ثم بين تعالى صفاته الجليلة القدسية ، التي هي من آثار ومظاهر الربوبية ، فقال سبحانه

[فاطر السموات والأرض] أي هو جل وعلا خالقهما ومبدعهما ، على غير مثال سابق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[جعل لكم من أنفسكم أزواجا] أي أوجد لكم بقدرته من جنسكم نساء من الآدميات

[ومن الأنعام أزواجا] أي وخلق لكم كذلك مما تأكلون من الإبل والبقر والضان والماعز أصنافا ، ذكورا وإناثا

[يذرؤكم فيه] أي يكثركم بسببه بالتوالد ، ولولا أنه خلق الذكر والأنثى ، لما كان ثمة تناسل ولا توالد

[ليس كمثله شيء] أي ليس له تعالى مثيل ولا نظير ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، فهو الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، والغرض : تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين ، والكاف هنا لتأكيد النفي أي ليس مثله شيء ، قال ابن قتيبة : العرب تقيم المثل مقام النفس ، فتقول : مثلي لا يقال له هذا أي أنه لا يقال لي هذا ، ومعنى الآية ليس كالله جل وعلا شيء وقال القرطبى : والذي يعتقد في هذا الباب أن الله - جل اسمه - في عظمته وكبريائه ، وملكوته ، وحسنى أسمائه ، لا يشبه شيئا من مخلوقاته ، ولا يشبه به أحد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، وما أطلقه الشرع على الخالق والمخلوق ، فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقى ، إذ صفات القديم - عز وجل - بخلاف صفات المخلوق ، إذ صفاتهم لا تنفك عن الأعراض والأغراض ، وهو تعالى منزه عن ذلك ، وقد قال بعض المحققين : التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ، ولا معطلة من الصفات ، وزاد الواسطى فقال : ليس كذاته ذات ، ولا كإسمه اسم ، ولا كفعله فعل ، وهذا مذهب أهل الحق ، أهل السنة والجماعة

[وهو السميع البصير] أي وهو تعالى السميع لأقوال العباد ، البصير بأفعالهم

[له مقاليد السموات والأرض] أي بيده جل وعلا مفاتيح خزائنهما ، من المطر والنبات والرزق ، وسائر الحاجات

[يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر] أي يوضع الرزق على من يشاء ، ويضيق على من يشاء ، حسب الحكمة الإلهية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنه بكل شيء عليم] تعليل لما سبق أي إن علمه تعالى محيط بكل الأشياء ، فهو واسع العلم ، يعلم إذا كان الغنى خيرا للعبد أو الفقر

[شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحيناه إليك] أي سن وبين لكم أيها المؤمنون ، من االشريعة السمحة والدين الحنيف ، ما وصى به الرسل ، وأرباب الشرائع من مشاهير الأنبياء ، كنوح ومحمد عليهما السلام

[وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى] أي وما أمرنا به بطريق الإلزام ، إبراهيم وموسى وعيسى من أصول الشرائع والأحكام قال الصاوي : خص هؤلاء بالذكر لأنهم أكابر الأنبياء ، وأولوا العزم ، وأصحاب الشرائع المعظمة ، فلكل واحد من هؤلاء الرسل شرع جديد ، وأما من عداهم ، فإنما كأن يبعث بتبليغ شرع من قبله ، ولم يزل الأمر يتأكد بالرسل ، ويتناصر بالأنبياء ، واحدا بعد واحد ، وشريعة إثر شريعة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حتى ختمها الله بخير الملل ، منة أكرم الرسل نبينا محمد (ص) ، فتبين أن شرعنا - معشر الأمة المحمدية - قد جمع جميع الشرائع المتقدمة في أصول الاعتقادات ، وأصول الأحكام ولهذا قال تعالى

[أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه] أي وصيناهم بأن أقيموا الدين الحق - دين الإسلام - الذي هو توحيد الله وطاعته ، والإيمان بكتبه ورسله ، وبالبعث والجزاء قال القرطبي : المراد اجعلوا الدين قائما مستمرا ، محفوظا من غير خلاف فيه ولا اضطراب ، في الأصول التى لا تختلف فيها الشريعة وهى : (التوحيد ، والصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج) وغيرها ، فهذا كله مشروع دينا واحدا وملة متحدة .

[كبر على المشركين ما تدعوهم إليه] أي عظم وشق على الكفار ما تدعوهم إليه من عبادة الرحمن ، وتوحيد الواحد القهار

[الله يجتبي إليه من يشاء يهدى إليه من ينيب] أي الله يصطفي ويختار للإيمان والتوحيد ، من يشاء من عباده

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، ويهدي إلى دينه من يرجع إلى طاعته ، فيوفقه له ويقربه إليه ، رحمة وإكراما

[وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم] أي وما تفرق أهل الأديان المختلفة ، من اليهود والنصارى وغيرهم ، إلا من بعدما قامت عليهم الحجج والبراهين من النبي المرسل إليهم

[بغيا بينهم] أي ظلما وتعديا ، وحسدا وعنادا

[ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى] أي ولولا أن الله قضى بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة

[لقضي بينهم] أي لعجل الله لهم العقوبة فى الدنيا سريعا بإستئصالهم قال ابن كثير : أي لولا الكلمة السالفة من الله تعالى ، بإنظار العباد إلى يوم المعاد ، لعجل لهم العقوبة سريعا

[وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم] اي وإن بقية أهل الكتاب الذين عاصروا رسول الله (ص) من بعد أسلافهم السابقين

[لفي شك منه مريب] أي لفى شك من التوراة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والإنجيل ، موقع لهم في أشد الحيرة والريبة ، لأنهم ليسوا على يقين من أمر دينهم وكتابهم ، وإنما هم مقلدون لآبائهم وأسلافهم ، بلا دليل ولا برهان قال البيضاوي : لا يعلمون كتابهم كما هو ، ولا يؤمنون به حق الإيمان ، فهم في شك مقلق

[فلذلك فادع واستقم كما أمرت] أي فلأجل ذلك التفرق الذي حدث لأهل الكتاب ، أمرناك يا أيها الرسول أن تدعو الناس إلى دين الحنيفية السمحة ، الذي وصينا به جميع المرسلين قبلك ، فادع يا محمد إليه ، وإلزم النهج القويم ، مع الاستقامة على الدين الحق كما أمرك ربك

[ولا تتبع أهواءهم] أي ولا تتبع أهواء المشركين الباطلة ، فيما يدعونك إليه من ترك دعوة التوحيد

[وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب] أي صدقت بكل كتاب أنزله الله تعالى قال الرازي : يعني الإيمان بجميع الكتب السماوية ، لأن أهل الكتاب المتفرقين في دينهم آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وامرت لأعدل بينكم] أي وأمرني ربي بأن أعدل بينكم في الحكم قال ابن جزي : يعني العدل في الأحكام إذا تخاصموا إليه
[الله ربنا وربكم] أي الله خالقنا جميعا ومتولي أمورنا ، فيجب أن نفرده بالعبادة

[لنا أعمالنا ولكم أعمالكم] أي لنا جزاء أعمالنا ، ولكم جزاء أعمالكم ، من خير أو شر ، لا نستفيد من حسناتكم ، ولا نتضرر من سيئاتكم قال ابن كثير : هذا تبرؤ منهم أي نحن براء منكم ، كقوله تعالى : [وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم ، أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون]
[لا حجة بيننا وبينكم] أي لا جدال ولا مناظرة بيننا وبينكم ، فإن الحق قد ظهر وبان ، كالشمس في رابعة النهار ، وأنتم تعاندون وتكابرون
[الله يجمع بيننا وإليه المصير] أي الله يجمع بيننا يوم القيامة لفصل القضاء ، وإليه المرجع والمآب ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيجازي كل أحد بعمله ، من خير وشر قال الصاوي : والغرض أن الحق قد ظهر ، والحجج قد قامت ، فلم يبق إلا العناد ، وبعد العناد لا حجة ولا جدل ، والله يفصل بين الخلائق يوم المعاد ، ويجازي كلا بعمله

[والذين يحاجون في الله] أي يخاصمون في دينه لصد الناس عن الإيمان

[من بعد ما استجيب له] أي من بعد ما استجاب الناس له ، ودخلوا في دينه

[حجتهم داحضة عند ربهم] أي حجتهم باطلة لا ثبوت لها عند الله ، قال ابن عباس : نزلت في طائفة من " بني إسرائيل " همت برد الناس عن الإسلام وإضلالهم ، ومحاجتهم بالباطل

[وعليهم غضب ولهم عذاب شديد] أي وعليهم غضب عظيم في الدنيا ، وعذاب شديد في الآخرة

[الله الذى أنزل الكتاب بالحق] أي نزل القرآن وسائر الكتب الإلهية ، بالصدق القاطع ، والحق الساطع ، في أحكامه وتشريعاته وأخباره

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والميزان] أي ونزل الميزان أي العدل والإنصاف ، قال ابن عباس قال المفسرون : وسمي العدل ميزانا لأن الميزان يحصل به العدل والإنصاف ، فهو من تسمية الشيء باسم السبب

[وما يدريك لعل الساعة قريب] أي وما ينبئك أيها المخاطب لعل وقت الساعة قريب ؟ فإن الواجب على العاقل ان يحذر منها ، ويستعذ لها ، قال أبو حيان : ووجه اتصال الآية بما سبق ، أن الساعة يوم الحساب فكأنه قيل : أمركم الله بالعدل والتسوية ، قبل أن يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم الله فيه ويزن أعمالكم

[يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها] أي يستعجل بالقيامة المشركون الذين لا يصدقون بها ، فيقولون على سبيل الاستهزاء : متى تكون ؟

[والذين آمنوا مشفقون منها] أي والمؤمنون المصدقون بها خائفون وجلون من قيامها

[ويعلمون أنها الحق] أي ويعلمون أنها كائنة وحاصلة لا محالة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إلا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد]

أي إن الذين يجادلون في أمر القيامة ، لفى ضلال بعيد عن الحق ، لإغراقهم في الفجور والعناد ، لإنكارهم عدل الله وحكمته ! !

قال الله تعالى : [الله لطيف بعباده يرزق من يشاء . .] إلى قوله [وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير] . من آية (19) إلى نهاية آية (31) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى الساعة وما يلقاه عند قيامها المؤمنون الأبرار والكفرة الفجار من الحساب والجزاء ، ذكر هنا انه لطيف بالعباد لا يعاجل العقوبة للعصاة مع استحقاقهم للعذاب ، ثم ذكر مآل المتقين ، ومآل المجرمين في الآخرة ، دار العدل والجزاء .

اللغة :

[لطيف] بر رفيق رحيم

[حرث الآخرة] الحرث في الأصل : إلقاء البذور في الأرض ، ويطلق على الزرع الحاصل منه ، ثم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استعمل في ثمرات الأعمال ونتائجها ، بطريق الاستعارة

[الفضل] القضاء السابق

[يقترف] يكتسب

[روضات] جمع روضة وهو الموضع الكثير الأزهار والأشجار والثمار ، كالمنتزه وغيره

[يقترف] يكتسب

[الغيث] المطر سمي غيثا لأنه يغيث الخلق

[قنطوا] يئسوا

[بث] فرق ونشر

[معجزين] فائتين من عذاب الله بالهرب .

التفسير :

[الله لطيف بعباده] أي بار رحيم بالخلق ، كثير الإحسان بهم ، يفيض عليهم من الخيرات والبركات مع عصيانهم ، قال مقاتل : لطيف بالبر والفاجر ، حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يرزق من يشاء] أي يوسع الرزق على من يشاء قال القرطبي : وفي تفضيل قوم بالمال حكمة ، ليحتاج البعض إلى البعض ، وهذا من لطفه بالعباد ، وأيضا ليمتحن الغنى بالفقير ، والفقير بالغني ، كقوله تعالى
[وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون]
[وهو القوى] أي القادر على كل ما يشاء
[العزيز] أي الغالب الذي لا يغالب ولا يدافع ! ! ثم لما بين كونه لطيفا بالعباد ، كثير الإحسان إليهم ، أشار إلى أن الإنسان ما دام في هذه الحياة فعليه أن يسعى في طلب الخيرات لأسباب السعادة ، فقال سبحانه
[من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه] أي من كان يريد بعمله ثواب الآخرة ونعيمها ، نزد له في أجره وثوابه ، بمضاعفة حسناته
[ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها] أي ومن كان يريد بعمله متاع الدنيا ونعيمها فقط ، نعطه بعض ما يطلبه من المتاع العاجل ، مما قدر له
[وما له في الآخرة من نصيب] أي وليس له في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الآخرة حظ من الثواب والنعيم قال الزمخشري : سمى ما يعمله العامل مما يبتغي به الفائدة حرثا على سبيل المجاز ، وفرق بينهما بأن من عمل للآخرة ضوعفت حسناته ، ومن عمل للدنيا أعطى شيئا منها ، لا ما يريده ويبتغيه وقال في التسهيل : حرث الآخرة عبارة عن العمل لها ، وكذلك حرث الدنيا ، وهو مستعار من حرث الأرض ، لأن الحارث يعمل وينتظر المنفعة بما عمل . . ثم أخذ ينكر على الكفار عبادتهم لغير الله ، مع إنه الخالق المتفضل على العباد فقال

[أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله] ؟ الاستفهام للتقريع والتوبيخ أي الهؤلاء الكفار شركاء من الشياطين ، أو آلهة من الأوثان ؟ شرعوا لهم الشرك والعصيان ، الذي لم يأمر به الرحمن ؟ قال شيخ زاده : وإسناد الشرع الى الأوثان ، وهي جمادات إسناد مجازي ، من إسناد الفعل إلى السبب ، وسماه دينا للمشاكلة والتهكم

[ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم] أي لولا أن الله حكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقضى في سابق أزله ، أن الثواب والعقاب يكونان يوم القيامة ، لحكم بين الكفار والمؤمنين ، بتعجيل العقوبة للظالم ، وإثابة المؤمن

[وإن الظالمين لهم عذاب أليم] أي وإن الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والعصيان ، لهم عذاب موجع مؤلم

[ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا] أي ترى أيها المخاطب الكافرين يوم القيامة ، خائفين خوفا شديدا من جزاء السيئات التي ارتكبوها في الدنيا

[وهو واقع بهم] أي والجزاء عليها نازل بهم يوم القيامة لا محالة ، سواء خافوا أو لم يخافوا

[والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات] أي والمؤمنون الصالحون في رياض الجنة يتمتعون ، في أطيب بقاعها ، وفي أعلى منازلها

[لهم ما يشاءون عند ربهم] أي لهم في الجنات ما يشتهونه من أنواع اللذائذ والنعيم ، والثواب العظيم عند رب كريم قال ابن كثير : فأين هذا من هذا ؟ أين من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هو في الذل والهوان ، ممن هو في روضات الجنان ؟ فيما يشاء من مآكل ومشارب وملاذ ولهذا قال تعالى [ذلك هو الفضل الكبير] أي ذلك النعيم والجزاء ، هو الفوز الأكبر الذي لا يوازيه شيء قال القرطبي : أي الفضل الذي لا يوصف ، ولا تهتدي العقول إلى حقيقة صفته ، لأن الحق جل وعلا إذا قال " كبير " فمن ذا الذي يقدر قدره

[ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات] أي ذلك الإكرام والإنعام ، هو الذي يبشر الله به عباده المؤمنين المتقين ، ليتعجلوا السرور ، ويزدادوا شوقا إلى لقائه

[قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى] أي قل لهم يا محمد : أنا لا أسألكم على تبليغ الرسالة شيئا من الأجر والمال ، إلا أن تحفظوا حق القربى ولا تؤذوني ، حتى أبلغ رسالة ربي قال ابن كثير : أي لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح مالا ، وإنما أطلب أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تذروني حتى أبلغ رسالات ربي ، فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة قال آبن عباس : يقول إلا أن تصلوآ ما بيني وبينكم من القرابة ، وتوذوني في نفسي لقرابتى منكم

[ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا] أي ومن يكتسب ويفعل طاعة من الطاعات نضاعف له ثوابها

[إن الله غفور شكور] أي غفور للذنوب شاكر الإحسان المحسن ، لا يضيع عنده عمل العامل ، ولهذا ينفر الكثير من السيئات ، ويكثر القليل من الحسنات

[أم يقولون افترى على الله كذبا] ؟ أي هل يقول كفار قريش ، أن محمدا اختلق الكذب على الله ، بنسبة القرآن إليه ؟ قال أبو حيان : وهذا استفهام انكار وتوبيخ للمشركين على هذه المقالة ، أي مثله لا ينسب إلى الكذب على الله ، مع اعترافكم له من قبل بالصدق والأمانة

[فإن يشإ الله يختم على قلبك] أي لو افتريت على الله الكذب ، كما يزعم هؤلاء المجرمون ، لختم على قلبك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فأنساك هذا القرآن ، وسلبه من صدرك ، ولكنك لم تفتر على الله كذبا ، ولهذا أيدك وسددك قال ابن كثير : وهذه كقوله جل وعلا [ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين] وقال أبو السعود : والآية استشهاد على بطلان ما قالوا ، ببيان أنه عليه السلام لو افترى على الله تعالى ، لمنعه من ذلك قطع ، بالختم على قلبه بحيث لا يخطر بباله معنى من معانيه ، ولم ينطق بحرف من حروفه

[ويمح الله الباطل] أي يزيل الله الباطل بالكلية

[ويحق الحق بكلماته] أي ويثبت الله الحق ويوضحه بكلامه المنزل ، وقضائه المبرم وقال ابن كثير : بكلماته أي بحججه وبراهينه

[إنه عليم بذات الصدور] أي عالم بما في القلوب ، يعلم ما تكنه الضمائر ، وتنطوي عليه السرائر ، وقال القرطبي : والمراد أنك لو حدثت نفسك أن تفتري الكذب ، لعلمه الله وطبع علئ قلبك

[وهو الذي يقبل التوبة عن عباده] هذا امتنان من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرحمن على العباد ، أي هو جل وعلا بفضله وكرمه
يتقبل التوبة من عباده ، إذا أقلعوا عن المعاصي ،
وأنابوا بصدق وإخلاص نية
[ويعفوا عن السيئات] أي يصفح عن الذنوب
صغيرها وكبيرها لمن يشاء
[ويعلم ما تفعلون] أي يعلم جميع ما تصنعون من
خير أو شر
[ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات] أي
ويستجيب الله دعاء المؤمنين الصالحين ، قال
الرازي : أي ويستجيب الله للمؤمنين ، إلا إنه حذف
اللام كما حذف في قوله [واذا كالوهم] أي كالوا لهم
[ويزيدهم من فضله] أي ويزيدهم من جوده وكرمه
فوق ما سألوا واستحقوا ، لأنه الجواد الكريم ، البر
الرحيم
[والكافرون لهم عذاب شديد] أي وأما الكافرون بالله ،
فلهم العذاب الموجع الأليم ، في دار الجحيم
[ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض] أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولو وسع الله الرزق على عباده ، لطغوا وبغوا وأفسدوا في الأرض ، بالمعاصى والآثام ، لأن الغنى يوجب الطغيان ، قال ابن كثير : أي لو أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والطغيان من بعضهم على بعض ، أشرا وبطرا ، وقال قتادة : خير العيش ما لا يلهيك ولا يطغيك

[ولكن ينزل بقدر ما يشاء] أي ولكنه تعالى ينزل أرزاق العباد ، بما تقتضيه الحكمة والمصلحة ، كما جاء فى الحديث القدسي (إن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه ، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ، ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه)

[إنه بعباده خبير بصير] أي عالم بأحوالهم وما يصلحهم ، فيعطي ويمنع ، ويبسط ويقبض ، حسبما تقتضيه الحكمة الربانية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا] تعديد لنعمه على العباد ، أي هو تعالى الذي ينزل المطر ، الذي يغيثهم من الجدب ، من بعد ما يئسوا من نزوله [وينشر رحمته] أي ويبسط خيراته وبركاته على العباد

[وهو الولى الحميد] أي وهو الولي الذي يتولى عباده ، المحمود بكل لسان ، على ما أسدى من النعماء والإحسان

[ومن آياته خلق السموات والأرض] أي ومن دلائل قدرته ، وعجانب حكمته ، الدالة علئ وحدانيته ، خلق السموات والأرض ، بهذا الشكل البديع

[وما بث فيهما من دابة] أي وما نشر وفرق في السموات والأرض من مخلوقات قال ابن كثير : وهذا يشمل الملائكة والإنس والجن ، وسائر الحيوانات على اختلاف أشكالهم وألوانهم وأجناسهم وأنواعهم وقال مجاهد : هم الناس والملائكة

[وهو على جمعهم إذا يشاء قدير] أي وهو تعالى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قادر على جمع الخلائق للحشر والحساب والجزاء ، في أي وقت شاء

[وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم] أي وما أصابكم أيها الناس مصيبة من المصائب ، في النفس أو المال ، فإنما ير بسبب معاصيكم التي اكتسبتموها قال الجلال : وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول بها

[ويعفوا عن كثير] أي ويصفح عن كثير من الذنوب فلا يعاقبكم عليها ، ولو أخذكم بكل ما كسبتم لهلكتم ، وفى الحديث (لا يصيب ابن آدم خدش عود ، أو عثرة قدم ، ولا اختلاج عرق إلا بذنب ، وما يعفو عنه أكثر

[وما أنتم بمعجزين في الأرض] أى ولستم أيها المشركون فائتين من عذاب الله ، ولا هاربين من قضائه ، وإن هربتم من أقطارها كل مهرب

[وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير] أي وليس لكم غير الله ولن يتولى أموركم ، ويتعهد مصالحكم ، ولا نصير غيره يدفع عنكم عذابه وانتقامه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فائدة :

المصائب التي تصيب الناس لتكفير السيئات ، وأما الأنبياء فإنما هي لرفع الدرجات ، لأنهم معصومون عن الذنوب والآثام .

تنبيه :

قال بعض العلماء : لا يستبعد أن يكون في الكواكب السيارة ، والعوالم العلوية مخلوقات - غير الملائكة - تشبه مخلوقات الأرض ، وأن يكون فيها حيوانات تشبه الحيوانات التي على أرضنا كما تدل الدلائل الفلكية على وجود حياة في المريخ ، واستدلوا بهذه الآية [ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة] الآية ، أقول : يحتمل أن يوجد في هذا الفضاء الواسع ، مخلوقات حية غير الإنسان ، أما الإنسان فإننا نقطع بأنه لا يوجد إلا فوق سطح هذا الكوكب الأرضي ، لقوله تعالى : [قال فيها تحيون ، وفيها تموتون ، ومنها تخرجون] .

قال الله تعالى : [ومن آياته الجوار في البحر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كالأعلام . .] إلى قوله [ألا إلى الله تصير الأمور] .
من آية (32) إلى آية (53) نهاية السورة الكريمة .
المناسبة :
لما ذكر تعالى بعض الدلائل على وحدانيته في خلق السموات والأرض ، وما بث فيهما من مخلوقات لا تحصى ، أتبعه بذكر آية أخرى تدل على وجود الإله القادر الحكيم ، وهى السفن الضخمة التي تشبه الجبال ، تسير بقدرته تعالى فوق سطح البحر ، محملة بالأقوات والأرزاق ، وختم السورة الكريمة ببيان إثبات الوحي ، وصدق القرآن ، ليتناسب البدء مع الختام .
اللغة :
[الجوار] جمع جارية وهي السفينة سميت جارية لأنها تجري في الماء
[كالأعلام] جمع علم وهو الجبل العظيم الشاهق ، قالت الخنساء : وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
[رواكد] ثوابت ساكنة لا تسير ، من ركد الماء إذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سكن ووقف عن الجري

[محيص] مهرب ومخلص من العذاب

[يوبقهن] يهلكهن يقال : أوبقه أي أهلكه

[الفواحش] جمع فاحشة وهي ما تناهي قبحه كالزنى والقتل والشرك وغيرها

[نكير] منكر ينكر ما ينزل بكم من العذاب

[عقيما] العقيم : المرأة التي لا تلد ، سواء كانت شابة أو مسنة.

التفسير :

[ومن أياته الجوار في البحر كالأعلام] أي ومن علاماته الدالة على قدرته الباهرة ، وسلطانه العظيم ، السفن الجارية في البحر ، كأنها الجبال من عظمها وضخامتها

[إن يشاء يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره] أي لو شاء تعالى لأسكن الرياح وأوقفها ، فتبقى السفن سواكن وثوابت على ظهر البحر لا تجري

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن في ذلك لأيات لكل صبار شكور] أي إن في تسييرها لعبرا وعظات ، لكل مؤمن صابر في البأساء ، شاكر في الرخاء قال الصاوي : أي كثير الصبر على البلايا ، عظيم الشكر على العطايا وقال أبو حيان : وإنما ذكر السفن الجارية في البحر ، لما فيها من عظيم دلائل القدرة ، من جهة أن الماء جسم لطيف شفاف ، يغوص فيه الثقيل ، والسفن تحمل الأجسام الثقيلة الكثيفة ، ومع ذلك جعل الله تعالى في الماء قوة ، يحملها بها ويمنعها من الغوص ، ثم جعل الرياح سببا لسيرها ، فإذا أراد أن ترسو أسكن الريح فلا تبرح عن مكانها

[أو يوبقهن بما كسبوا] أي وإن يشأ يجعل الرياح عواصف ، فيغرق هذه السفن وأهلها ، بسبب ما اقترفوا من جرائم

[ويعف عن كثير] أي ويتجاوز عن كثير من الذنوب فينجيهم الله من الهلاك

[ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أي وليعلم الكفار المجادلون في آيات الله بالباطل ، أنه لا ملجأ لهم ولا مهرب من عذاب الله قال القرطبي :
أي ليعلم الكفار إذا توسطوا البحر وغشيتهم الرياح من كل مكان ، أنه لا ملجأ لهم سوى الله ، ولا دافع لهم إن أراد الله إهلاكهم ، فيخلصون له العبادة
[فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا] أي فما أعطيتم ايها الناس من شيء ، من نعيم الدنيا وزهرتها الفانية ، فإنما هو نعيم زائل ، تتمتعون به مدة حياتكم ثم يزول
[وما عند الله خير وأبقى] أي وما عند الله من الثواب والنعيم ، خير من الدنيا وما فيها ، لأن نعيم الآخرة دائم مستمر ، فلا تقدموا آلفاني على الباقي
[للذين آمنوا] أي للذين صدقوا الله ورسوله ، وصبروا على ترك الملاذ في الدنيا
[وعلى ربهم يتوكلون] أي واعتمدوا على الله وحده في جميع أمورهم
[والذين يجتنبون كبائر الإثم] أي وهؤلاء المؤمنون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هم الذين يجتنبون كبائر الذنوب كالشرك والقتل وعقوق الوالدين

[والفواحش] قال ابن عباس : يعني الزنى

[وإذا ما غضبوا هم يغفرون] أي إذا غضبوا على أحد ممن اعتدى عليهم ، عفوا وصفحوآ قال الصاوى : من مكارم الأخلاق التجاوز ، والحلم عند حصول الغضب ، ولكن يشترط أن يكون الحلم غير مخل بالمروءة ولا واجبا كما إذا انتهكت حرمات الله ، فالواجب حينئذ الغضب لا الحلم ، وعليه قول الشافعي " من استغضب ولم يغضب فهو حمار " وقال الشاعر : " وحلم الفتى في غير موضعه جهل "

[والذين استجابوا لربهم] أى أجابوا ربهم إلى ما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة قال البيضاوي : نزلت في الأنصار دعاهم رسول الله (ص) إلى الإيمان فاستجابوا

[وأقاموا الصلاة] أى أدوها بشروطها وآدابها ، وحافظوا عليها في أوقاتها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأمرهم شورى بينهم] أى يتشاورون في الأمور ، ولا يعجلون ، ولا يبرمون أمرا من مهمات الدنيا والدين ، إلا بعد المشورة

[ومما رزقناهم ينفقون] أى وينفقون مما أعطاهم الله في سبيل الله ، بالإحسان إلى خلق الله

[والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون] أى ينتقمون ممن بغى عليهم ، ولا يستسلمون لظلم المعتدي ، قال إبراهيم النخعى : كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فتجترىء عليهم الفساق قال أبو السعود : وهو وصف لهم بالشجاعة ، بعد وصفهم بسائر الفضائل ، وهذا لا ينافي وصفهم بالغفران فإن كلا في موضعه محمود

[وجزاء سيئة سيئة مثلها] أى وجزاء العدوان أن ينتصر ممن ظلمه ، من غير أن يعتدي عليه بالزيادة قال الإمام الفخر : لما قال تعالى [والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون] أردفه بما يدل على أن ذلك الانتصار ، يجب أن يكون مقيدا بالمثل دون زيادة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإنما سمى ذلك سيئة ، لأنها تسوء من تنزل به

[فمن عفى وأصلح فأجره على الله] أى فمن عفا عن الظالم ، وأصلح بينه وبين عدوه ، فإن الله يثيبه على ذلك الأجر الجزيل قال ابن كثير : شرع تعالى العدل وهو القصاص ، وندب الى الفضل وهو العفو ، فمن عفا فإن الله لا يضيع له ذلك ، كما جاء في الحديث

(وما زاد الله تعالى عبدا بعفو إلا عزا)

[إنه لا يحب الظالمين] أي إنه جل وعلا يبغض البادئين بالظلم ، والمعتدين في الانتقام

[ولمن انتصر بعد ظلمه] أى انتصر ممن ظلمه دون عدوان

[فأولئك ما عليهم من سبيل] أي فليس عليهم عقوبة ولا مؤاخذة لأنهم أتوا بما أبيح لهم من الانتصار

[إنما السبيل على الذين يظلمون الناس] أى إنما العقوبة والمؤاخذة على المعتدين الذين يظلمون الناس بعدوانهم

[ويبغون في الأرض بغير الحق] أي ويتكبرون في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأرض تجبرا وفسادا ، بالمعاصي والاعتداء على الناس ، في النفوس والأموال

[أولئك لهم عذاب أليم] أى أولئك الظالمون الباغون ، لهم عذاب مؤلم موجع ، بسبب ظلمهم وبغيهم

[ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور] أى ولمن صبر على الأذى وترك الانتصار لوجه الله تعالى ، فإن ذلك الصبر والتجاوز من الأمور الحميدة التي أمر الله بها وأكد عليها قال الصاوي : كرر الصبر اهتماما به وترغيبا فيه وللإشارة إلى أنه محمود العاقبة

[ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده] اي ومن يضلله الله فليس له ناصر ، ولا هاد يهديه إلى الحق

[وترى الظالمين لما رأوا العذاب] أى وترى الكافرين حين شاهدوا عذاب جهنم

[يقولون هل إلى مرد من سبيل] أي يطلبون الرجوع إلى الدنيا لهول ما يشاهدون من العذاب ، يقولون : هل هناك طريق لعودتنا إلى الدنيا ؟ قال القرطبي :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يطلبون ان يردوا إلى الدنيا ليعملوا بطاعة الله عز وجل فلا يجابون

[وتراهم يعرضون عليها] أي وتراهم أيها المخاطب يعرضون على النار

[خاشعين من الذل] أي متضائلين صاغرين مما يلحقهم من الذل والهوان

[ينظرون من طرف خفي] أي يسارقون النظر خوفا منها وفزعا ، كما ينظر من قدم ليقتل بالسيف ، فإنه لا يقدر أن ينظر إليه بملء عينه قال ابن عباس : ينظرون بطرف ذابل ذليل ، وقال قتادة والسدي : يسارقون النظر من شدة الخوف

[وقال الذين آمنوا أن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة] أي يقول المؤمنون في الجنة ، لما عاينوا ما حل بالكفار : إن الخسران في الحقيقة ما صار إليه هؤلاء ، فإنهم خسروا أنفسهم وآهليهم ، بخلودهم في نار جهنم

[ألا أن الظالمين في عذاب مقيم] أي ألا إنهم في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عذاب دائم لا ينقطع

[وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله] أي وما كان لهم من أعوان ونصراء ، ينصرونهم من عذاب الله ، كما كانوا يرجون ذلك في الدنيا

[ومن يضلل الله فما له من سبيل] أي ومن يضلله الله ، فليس له طريق يصل به إلى الحق في الدنيا ، وإلى الجنة في آلاخرة ، لأنه قد سدت عليه طريق النجاة قال ابن كثير : من يضلله الله فليس له خلاص

[استجيبوا لربكم] أي استجيبوا ايها الناس إلى ما دعاكم إليه ربكم من الإيمان والطاعة

[من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله] أي من قبل أن يأتي ذلك اليوم الرهيب ، الذي لا يقدر أحد على رده ، لأنه ليس له دافع ولا مانع

[ما لكم من ملجأ يومئذ] أي ليس لكم مفر تلتجئون إليه في ذلك اليوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وما لكم من نكير] أي وليس لكم منكر ينكر ما ينزل بكم من العذاب وقال أبو السعود : أي ما لكم انكار لما اقترفتموه ، لأنه مدون في صحائف أعمالكم ، وتشهد عليه جوارحكم

[فإن أعرضوا] أي فإن أعرض المشركون عن الإيمان ، ولم يقبلوا هداية الرحمن

[فما أرسلناك عليهم حفيظا] أي فما أرسلناك يا محمد رقيبا على اعمالهم ، ولا محاسبا لهم

[إن عليك إلا البلاغ] أي ما عليك إلا أن تبلغهم رسالة ربك وقد فعلت قال أبو حيان : والآية تسلية للرسول (ص) وتأنيس له ، وإزالة لهمه بهم . . ثم أخبر تعالى أن طبيعة الإنسان الكفران لنعم الله ، فقال سبحانه

[وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها] أراد بالإنسان الجنس ، بدليل قوله [وإن تصبهم]

والمعنى : إنا إذا أكرمنا الإنسان بنعمة من النعم ، من صحة وغنى ، وأمن وراحة ، وغيرها بطر وتكبر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور] أي وإن أصاب الناس جدب ونقمة ، وبلاء وشدة ، بسبب ما اقترفوه من آثام ، فإن آلإنسان مبالغ في الجحود والكفران ، ينسى النعمة ويذكر البلية قال الصاوي : والحكمة في تصدير النعمة ب " إذا " والبلاء ب " إن " الإشارة إلى أن النعمة محققة الحصول ، بخلاف البلاء ، لأن رحمة الله تغلب غضبه وقال الإمام الفخر : نعم الله في الدنيا وإن كانت عظيمة ، إلا إنها بالنسبة إلى سعادة الآخرة ، كالقطرة بالنسبة إلى البحر ، فلذلك سماها ذوقا ، فبين تعالى أن الإنسان إذا فاز بهذا القدر الحقير في الدنيا ، فإنه يفرح بها ويعظم غروره بسببها ، ويقع في العجب والكبر ، ويظن إنه فاز بكل المنى ، وذلك لجهله بحال الدنيا وبحال الآخرة

[لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء] أي هو تعالى المالك للكون كله ، علويه وسفليه ، والمتصرف فيه بالخلق والإيجاد ، كيفما شاء ، والمقصود من الآية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن لا يغتر الإنسان ، بما يملكه من المال والجاه ، وأن يعلم أن الكل ملك الله وحده ، وبيده مقاليد التصرف في السموات والأرض ، يعطي ويمنع ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه

[يهب لمن يشاء إناثا] آي يخص من شاء من عباده بالإناث دون البنين

[ويهب لمن يشاء الذكور] أي ويخص من شاء بالذكور دون الإناث

[أو يزوجهم ذكرانا وإناثا] أي يجعلهم إن شاء من النوعين ، فيجمع للإنسان بين البنين والبنات

[ويجعل من يشاء عقيما] أي ويجعل بعض الرجال عقيما فلا يولد له ، وبعض النساء عقيما فلا تلد قال البيضاوي : والمعنئ يجعل أحوال العباد في الأولاد مختلفة ، على مقتضى المشيئة ، فيهب لبعض إما صنفا واحدا من ذكر أو أنثى ، أو الصنفين جميعا ، ويعقم أخرين ، والمراد من الآية بيان نفاذ قدرته تعالى في الكائنات كيف يشاء ، ولهذا قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنه عليم قدير] أي مبالغ في العلم والقدرة ، يفعل ما فيه مصلحة وحكمة قال ابن كثير : جعل تعالى الناس أربعة أقسام : منهم من يعطيه (البنات) ومنهم من يعطيه (البنين) ومنهم من يعطيه النوعين (الذكور والإناث) ومنهم من يمنعه هذا وهذا فيجعله عقيما ، لا نسل له ولا ولد ، فسبحان العليم القدير . . ثم ذكر تعالى الوحي وأقسامه وأنواعه فقال

[وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا] أي وما صح لأحد من البشر ايا كان ، أن يكلمه الله إلا بطريق الوحي في المنام أو بالإلهام ، لأن رؤيا الانبياء حق ، كما وقع للخليل إبراهيم عليه السلام [إني أرى في المنام أني أذبحك]

[أو من وراء حجاب] أي أو يكلمه من وراء حجاب كما كلم موسى عليه السلام

[أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء] أي أو يرسل ملكا فيبلغ الوحي إلى الرسول ، بأمره تعالى ما يشاء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تبليغه ، كما نزل جبريل بالوحي على الأنبياء قال في التسهيل : بين تعالى في الآية أن كلامه لعباده على ثلاثة أوجه : أحدها الوحي بطريق الإلهام ، أو المنام ، والآخر أن يسمعه كلامه من وراء حجاب ، والثالث : الوحي بواسطة الملك ، وهذا خاص بالأنبياء ، والثاني خاص بموسى وبمحمد ، إذ كلمه الله ليلة الإسراء ، وأما الأول فيكون للأنبياء والأولياء وقال الصاوي : وقد يقع الإلهام لغير الأنبياء كالأولياء ، غير أن إلهام الأولياء قد يختلط به الشيطان ، لأنهم غير معصومين ، بخلاف الأنبياء فإلهامهم محفوظ منة

[إنه على حكيم] أي إنه تعالى متعالي عن صفات المخلوقين ، حكيم في أفعاله وصنعه ، تجري أفعاله على موجب الحكمة

[وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا] أي وكما أوحينا إلى غيرك من الرسل أوحينا إليك يا محمد هذا القرآن ، وسماه روحا لأن فيه حياة النفوس من موت الجهل ، وكان مالك بن دينار يقولى : يا أهل القرآن ماذا زرع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القرآن في قلوبكم ؟ فإن القرآن ربيع القلوب ، كما أن الغيث ربيع الأرض

[ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان] أي ما كنت يا محمد تعرف قبل الوحي ما هو القرآن ، ولا كنت تعرف شرائع الإيمان ، ومعالمه على وجه التفصيل

[ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا] أي ولكن جعلنا هذا القرآن نورا وضياء نهدي به عبادنا المتقين

[وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم] أي وإنك يا محمد لترشد إلى دين قيم مستقيم هو الإسلام

[صراط الله الذى له ما في السموات وما في الأرض] أي هذا الدين الذي لا اعوجاج فيه ، هو دين الله الذي له كل ما في الكون ، ملكا وخلقا وعبيدا

[ألا إلى الله تصير الأمور] أي ألا إلى الله وحده ترجع الأمور فيفصل فيها بين العباد ، بحكمه العادل وقضائه المبرم .

البلاغة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - المجاز المرسل [لتنذر أم القرى] أي لتنذر أهل مكة لأن الإنذار لأهل القرية لا لها . وفي الآية احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبته في الآخر وتقديره : لتنذر أم القرى العذاب ، وتنذر الناس يوم الجمع وهو يوم القيامة .

2 - توالي المؤكدات مع صيغة المبالغة [ألا إن الله هو الغفور الرحيم] وهي " ألا " ، و " إن " وضمير الفصل " هو " لأن أكثر الناس يجحدون فضل الله .

3 - الطباق بين [الجنة . . والسعير] وبين [يبسط . . يقدر] وبين [ذكرانا . . إناثا] .

4 - طباق السلب [يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها] .

5 - الاستعارة اللطيفة [من كان يريد حرث الآخرة] الآية شبه العمل للآخرة بالزارع يزرع الزرع ، ليجني منه الثمرة والحب ، بطريق الاستعارة التمثيلية وهي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من لطائف الاستعارة .

6 - المقابلة [ويمحو الله الباطل ، ويحق الحق بكلماته] .

7 - عطف العام على الخاص [ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته] فالغيث خاص والرحمة عام .

8 - التشبيه المرسل المجمل [ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام] أي كالجبال في الضخامة والعظم .

9 - التقسيم [يهب لمن يشاء إناثاً ، ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا] .

10 - جناس الاشتقاق [وما أصابكم من مصيبة] .

11 - صيغة المبالغة [لكل صبار شكور] أي عظيم الصبر ، كبير الشكر. 1

12 - المشاكلة [وجزاء سيئة سيئة مثلها] سميت الثانية سيئة لمشابهتها للأولى في الصورة . 1

13 - توافق الفواصل وهو من المحسنات البديعية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهو كثير في القرآن العظيم [ومما رزقناهم ينفقون] [هم ينتصرون] وأمثال ذلك .

سورة الزخرف

مكية وآياتها تسع وثمانون آية

بين يدي السورة

* سورة الزخرف مكية ، وقد تناولت أسس العقيدة الإسلامية وأصول الإيمان ، (الإيمان بالوحدانية ، وبالرسالة ، وبالبعث والجزاء) كشأن سائر السور المكية

* عرضت السورة لإثبات مصدر الوحي ، وصدق هذا القرآن ، الذي أنزله الله على النبي الأمي ، بأفصح لسان ، وأنصع بيان ، ليكون معجزة واضحة للنبي العربي [حم . والكتاب المبين . إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . .] الآيات .

* ثم عرضت لذكر دلائل قدرته تعالى ووحدانيته ، منبثة في هذا الكون الفسيح ، في السماء والأرض ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والجبال والوهاد ، والبحار والأنهار ، والماء آلهأطل من السماء ، والسفن التي تسير فوق سطح الماء ، والأنعام التي سخرها الله للبشر ، ليأكلوا لحومها ويركبوا ظهورها [الذي جعل لكم الأرض مهدا ، وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون

* والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون . .] الآيات .

*ثم تناولت السورة ما كان عليه (المجتمع الجاهلي) من الخرافات والوثنيات ، فقد كانوا يكرهون البنات ، ومع ذلك اختاروا لله البنات سفها وجهلا ، فزعموا أن الملائكة بنات الله ، فجاءت الآيات لتصحيح تلك الإنحرافات ، وترد النفوس إلى الفطرة ، وإلى الحقائق الأولى القطعية [وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين . أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين . .] ؟ الآيات .

*وتحدثت السورة بايجاز عن دعوة (الخليل إبراهيم) عليه السلام ، الذي يزعم المشركون أنهم من سلالته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعلى ملته ، فكذبتهم في تلك الدعوى ، وبينت الآيات أن إبراهيم أول من تبرأ من الأوثان [وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون . .] الآيات .

* ثم انتقلت إلى تفنيد تلك الشبهة السقيمة ، التي أثارها المشركون حول رسالة محمد عليه السلام ، فقد اقترحوا أن تتنزل الرسالة على رجل من أهل الجاه والثراء ، لا على يتيم فقير كمحمد (ص) فجاءت الآيات لتقرير أن الجاه والثراء ليسا ميزانا لكرامة الإنسان ، واستحقاقه المناصب الرفيعة ، وأن الدنيا من الحقارة والمهانة ، بحيث لو شاء الله لأغدقها على الكافرين ، ومنعها عباده المؤمنين [وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ؟ أهم يقسمون رحمة ربك . .] الآيات .

* وذكرت السورة قصة (موسى وفرعون لتأكيد تلك الحقيقة السابقة ، فها هو فرعون الجبار ، يعتز ويفخر على موسى بملكه وسلطانه ، كما يعتز الجاهلون من رؤساء قريش على النبي (ص) ثم تكون نتيجته الغرق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والدمار
[ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فقال إني رسول رب العالمين . فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون . .] الآيات .
* وختمت السورة الكريمة ببيان بعض أحوال الآخرة وشدائدها وأهوالها ، وبيان حال الأشقياء المجرمين ، وهم يتقلبون في غمرات الجحيم [إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين . .] آلايات إلى نهاية السورة الكريمة .
التسمية :
سميت سورة " الزخرف " لما فيها من التمثيل الرائع - لمتاع الدنيا الزائل وبريقها الخادع - بالزخرف اللامع ، الذي ينخدع به الكثيرون ، مع أنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة ، ولهذا يعطيها الله للأبرار والفجار ، وينالها الأخيار والأشرار ، أما الآخرة فلا يمنحها الله إلا لعباده المتقين ، فالدنيا دار الفناء ، والآخرة دار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البقاء .

قال الله تعالى : [حم * والكتاب المبين * إنا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون . . .] إلى قوله [فانظر كيف كان عاقبة المكذبين] . من آية (1) إلى نهاية آية (25) .

اللغة :

[صفحا] إعراضا يقال : ضربت عنه صفحا إذا أعرضت عنه وتركته

[بطشا] قوة وانتقاما ، وبطش به أخذه بشدة وعنف

[مهدا] فراشا وبساطا

[أنشرنا] أحيينا ، والنشور : الإحياء بعد الموت

[تستووا] تستقروا وتركبوا

[مقرنين] مطيقين

[كظيم] مملوء غما وغيظا

[يخرصون] يكذبون

[أمة] دين وطريقة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[مترفوها] المترف : المتنعم المنغمس في الشهوات .
تفسير سورة الزخرف
التفسير :
[حم] الحروف المقطعة للتنبيه على إعجاز القرآن
[والكتاب المبين] أى أقسم الله به أى أقسم بالقرآن البين الواضح الجلي ، المظهر طريق الهدى من طريق الضلال ، المبين للبشرية ما تحتاج إليه من الأحكام والدلائل الشرعية
[إنا جعلناه قرآنا عربيا] هذا هو المقسم عليه أى أنزلناه بلغة العرب ، مشتملا على كمال الفصاحة والبلاغة ، بأسلوب محكم ، وبيان معجز
[لعلكم تعقلون] أى لكي تفهموا أحكامه ، وتتدبروا معانيه ، وتعقلوا أن اسلوبه الحكيم ، خارج عن طوق البشر قال البيضاوي : أقسم تعالى بالقرآن على أنه جعله قرآنا عربيا ، وهو من البدائع البلاغية لتناسب القسم والمقسم عليه ، تنبيها على أنه لا شيء أعلا منه فيقسم به ، وهذا يدل على شرف القرآن وعزته ، بأبلغ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجه وأدقه

[وإنه في أم الكتاب لدينا] أى وإنه في اللوح المحفوظ عندنا

[لعلى حكيم] أى رفيع الشأن عظيم القدر ، ذو حكمة بالغة ، ومكانة فائقة قال ابن كثير : بين شرف القرآن في الملأ الأعلى ، ليشرفه ويعظمه أهل الأرض ، أى وأن القرآن في اللوح المحفوظ عندنا ذو مكانة عظيمة ، وشرف وفضل

[أفنضرب عنكم الذكر صفحا] الاستفهام إنكاري أى أنترك تذكيركم إعراضا عنكم ، ونعتبركم كالبهائم فلا نعظكم بالقرآن ؟

[أن كنتم قوما مسرفين] أى لأجل أنكم مسرفون في التكذيب والعصيان ؟ لا ، بل نذكركم ونعظكم به ، إلى أن ترجعوا إلى طريق الحق قال قتادة : لو أن هذا القرآن رفع حين رده الأوائل لهلكوا ، ولكن الله برحمته كرره عليهم ، ودعاهم إليه عشرين سنة قال ابن كثير : وقول قتادة لطيف المعنى جدا ، وحاصله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنه تعالى من لطفه ورحمته بخلقه ، لا يترك دعاءهم إلى الخير ، وإلى الذكر الحكيم ، وإن كانوا مسرفين معرضين عنه ، بل يأمر به ليهتدي به من قدر هدايته ، وتقوم الحجة على من كتب الله شقاوته

[وكم أرسلنا من نبى في الأولين] ؟ تسلية للنبي عليه السلام أى ما أكثر ما أرسلنا من الأنبياء في الأمم الأولين ؟

[وما يأتيهم من نبى إلا كانوا به يستهزءون] أى ولم يكن يأتيهم نبى إلا سخروا منه واستهزءوا به قال الصاوي : وهذا تسلية له (ص) المعنى تسل يا محمد ولا تحزن لإستهزائهم ، فإنه وقع للرسل قبلك ما وقع لك

[فأهلكنا أشد منهم بطشا] أى فأهلكنا قوما كانوآ أشد قوة من كفار مكة ، وأعتى منهم وأطغى

[ومضى مثل الأولين] أى وسبق في القرآن أحاديث إهلاكهم ، ليكونوا عظة وعبرة لمن بعدهم من المكذبين قال الإمام الفخر : إن كفار مكة سلكوا في الكفر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتكذيب ، مسلك من كان قبلهم ، فليحذروا أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك ، فقد ضربنا لهم مثلهم

[ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض] أى ولئن سألت يا أيها الرسول هؤلاء المشركين : من خلق السموات والأرض بهذا الشكل البديع

[ليقولن خلقهن العزيز العليم] أى ليقولن خلقهن الله وحده ، العزيز في ملكه ، العليم بخلقه قال القرطبي : أقروا له بالخلق والإيجاد ، ثم عبدوا معه غيره ، جهلا منهم وسفها. . ثم بين تعالى لهم صفاته الجليلة ، الدالة على كمال القدرة والحكمة ، فقال سبحانه

[الذى جعل لكم الأرض مهدا] أى بسط الأرض ، وجعلها كالفراش لكم ، تستقرون عليها وتقومون وتنامون

[وجعل لكم فيها سبلا] أى وجعل لكم فيها طرقا تسلكونها في أسفاركم

[لعلكم تهتدون] أى لكي تهتدوا إلى قدرة الخالق الحكيم ، موزع هذا النظام العجيب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والذى نزل من السماء ماء بقدر] أى نزل بقدرته الماء من السماء ، بمقدار ووزن معلوم ، بحسب الحاجة والكفاية قال البيضاوي : أى بمقدار ينفع ولا يضر

[فأنشرنا به بلدا ميتا] أى فأحيينا به أرضأ ميتة مثمرة من النبات

[كذلك تخرجون] أى كذلك نخرجكم من قبوركم ، كما نخرج النبات من الأرض الميتة

[والذى خلق الأزواج كلها] أى خلق جميع الأصناف من الحيوان والنبات وغير ذلك قال ابن عباس : " الأزواج " الأصناف والأنواع كلها كالحلو والحامض ، والأبيض والأسود ، والذكر والأنثى

[وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون] أى وسخر لكم من السفن في البحر ، والإبل في البر ما تركبونه في أسفاركم قال ابن كثير : أى ذللها وسخرها ويسرها لكم ، لتأكلوا لحومها ، وتركبوا ظهورها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لتستووا على ظهوره] أى لتستقروا على ظهور هذا المركوب ، سفينة كانت أو جملا

[ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه] أى وتذكروا نعمة ربكم الجليلة عليكم حين تستقرون فوقها ، فتشكروه بقلوبكم

[وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا] أى وتقولوا بألسنتكم عند ركوبكم : سبحان الله الذى ذلل ويسر لنا ركوب هذا المركوب

[وما كنا له مقرنين] أى وما كنا قادرين ولا مطيقين لركوبه ، لولا تسخيره تعالى لنا

[وإنا إلى ربنا لمنقلبون] أى وإنا إلى ربنا لراجعون ، وصائرون إليه بعد الموت قال في حاشية البيضاوي : وليس المراد من ذكر النعمة تصورها لأخطارها في البال ، بل المراد تذكر أنها نعمة حاصلة بتدبير القادر العليم الحكيم ، مستدعية لطاعته وشكره ، فإن من يتفكر في أن ما يركبه الإنسان من الفلك والأنعام ، أكثر قوة ، وكبر جثة من راكبه ، ومع ذلك كان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسخرا لراكبه ، يتمكن من تصريفه إلى أى جانب شاء ، وتفكر أيضا في خلق البحر والريح ، وفي كونهما مسخرين للإنسان مع ما فيهما من المهابة والأهوال ، استغرق في معرفة عظمة الله تعالى وكبريائه ، وكمال قدرته وحكمته ، فيحمله ذلك الاستغراق على أن يقول متعجبا من عظمة الله [سبحان الذين سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين] . . ولما ذكر تعالى اعتراف المشركين ، بأن خالق السموات والأرض ، هو الله رب العالمين ، ذكر بعده ما يدل على سفههم وجهلهم في عبادة غير الله ، فقال سبحانه

[وجعلوا له من عباده جزءا] أى جعل المشركون لله ولدا ، حيث قالوا : الملائكة بنات الله

[إن الإنسان لكفور مبين] أى أن القائل لهذا الزور والبهتان ، لمبالغ في الكفر ، عظيم الجحود والطغيان قال البيضاوي : أى ظاهر الكفران ، وإن نسبة الولد إليه تعالى ، من فرط الجهل به ، والتحقير لشأنه

[أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين] إنكار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتعجب من حالهم أى هل اتخذ تعالى لنفسه البنات ، وخصكم واختار لكم البنين ؟ قال ابن كثير : وهذا إنكار عليهم غاية الإنكار ، ثم ذكر تعالى تمام التوبيخ والإنكار ، فقال

[وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا] أى وإذا بشر أحد المشركين بالأنثى ، التي جعلها مثلا لله بنسبة البنات له

[ظل وجهه مسودا وهو كظيم] أى صار وجهه كأنه أسود من الكآبة والحزن ، وهو ممتلىء فى غيظا وغما ، من سوء ما بشر به قال الإمام الفخر : والمقصود من الآية التنبيه على قلة عقولهم ، وسخافة تفكيرهم ، فإن الذي بلغ حاله في النقص إلى هذا الحد ، كيف يجوز للعاقل إثباته لله تعالى ؟ وقد روي عن بعض العرب أن امرأته وضعت انثى فهجر البيت الذي فيه المرأة

[أومن ينشأ في الحلية] أى أيجعلون لله من يربى في الزينة وينشأ ويكبر عليها ومن الإناث ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وهو في الخصام غير مبين] أي ومن هو في الجدال غير مظهر لحجته ، لضعف رأيه ؟ أومن يكون هكذا ينسب إلى جناب الله العظيم ؟ قال في التسهيل : والمقصد الرد على الذين قالوا : الملائكة بنات الله ، كأنه قال : أجعلتم لله من ينشأ في الحلية ؟ يعني بكبر وينبت في استعمالها ، وذلك صفة النقص ، ثم أتبعها بصفة نقص أخرى فقال [وهو في الخصام غير مبين] يعني أن الأنثى إذا خاصمت أو تكلمت ، لم تقدر أن تبين حجتها لنقص عقلها ، وقلما تجد امرأة إلا تفسد الكلام ، وتخلط المعاني ، فكيف ينسب لله من يتصف بهذه النقائص ؟ ؟ وقال ابن كثير : المرأة ناقصة في الصورة والمعنى ، فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلي ، ليجبر ما فيها من نقص ، كما قال بعض الشعراء : ومالحلي إلا زينة مني نقيصة يتمم من حسن إذا الحسن قصرا وأما نقص معناها فإنها ضعيفة عاجزة عن الانتصار ، كما قال بعض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العرب وقد بشر ببنت " ما هي بنعم الولد ، نصرها بكاء ، وبرها سرقة "

[وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا] كفر أخر تضمنه قولهم الشنيع ، أى وأعتقد كفار العرب بأن الملائكة - الذين هم أكمل العباد وأكرمهم على الله - أنهم إناث وحكموا عليهم بذلك

[اشهدوا خلقهم] أى أحضروا وقت خلق الله لهم حتى عرفوا أنهم إناث ؟ وهذا تجهيل وتهكم بهم

[ستكتب شهادتهم ويسألون] أى سنأمر الملائكة بكتابة شهادتهم الكاذبة ، في ديوان أعمالهم ، ويسألون عنها يوم القيامة ، وهو وعيد شديد مع التهديد قال المفسرون : حكى تعالى عن كفار العرب ثلاثة أقوال شنيعة : الأول : أنهم نسبوا إلى الله الولد ، الثاني : أنهم نسبوا إليه البنات دون البنين ، الثالث : أنهم حكموا على الملائكة المكرمين بالأنوثة بلا دليل ولا برهان ، فكذبهم القرآن الكريم في تلك الأقوال ، ثم زادوا ضلالا وبهتانا فزعموا أن ذلك برضى الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم] أى قالوا على سبيل السخرية والإستهزاء : لو شاء الله ما عبدنا هؤلاء الملائكة ولا الأصنام ، ولما كانت عبادتنا واقعة بمشيئته ، فهو راضى بها قال القرطبي : وهذا منهم كلمة حق أريد بها باطل ، فكل شيء بإرادة الله ، والمشيئة غير الرضى ، ولا يصح الاحتجاج بالمشيئة ، فإنهم لو عبدوا الله بدل الأصنام لعلمنا أن الله أراد منهم ذلك ، وقد كذبهم الله بقوله

[ما لهم بذلك من علم] أى ما لهم بذلك القول حجة ولا برهان

[إن هم إلا يخرصون] أى ما هم إلا يكذبون ولتقولون على الله كذبا وزورا

[أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون] رد أخر عليهم ، أى أم أنزلنا على هؤلاء المشركين كتابا من قبل القرآن ؟ فهم بذلك الكتاب متمسكون يعملون بتوجيهاته ؟ قال الإمام الفخر : والمعنى : هل وجدوا ذلك الباطل في كتاب منزل قبل القرآن ، حتى يعولوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليه ويتمسكوا به

[بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة] بل للإضراب وهو الانتقال من كلام إلى آخر ، أى لم يأتوا بحجة عقلية أو نقلية على ما زعموا ، بل اعترفوا بأنه لا مستند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة قال أبو السعود : والأمة : الدين والطريقة ، سميت أمة لأنها تؤم وتقصد

[وإنا على آثارهم مقتدون] أى ونحن ماشون على طريقتهم مهتدون بآثارهم

[وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير] أى وكما تبع هؤلاء الكفار ، آباءهم بغير حجة ولا برهان ، كذلك فعل من قبلهم من المكذبين ، فما بعثنا قبلك رسولا في أمة من الأمم

[إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون] أي إلا قال المتنعمون فيها الذين أبطرتهم النعمة ، وأعمتهم الشهوات والملاهي ، عن تحمل المشاق في طلب الحق : إنا وجدنا أسلافنا على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ملة ودين ، وإنا مقتدون بهم في طريقتهم قال البيضاوي : والآية تسلية لرسول الله ، ودلالة على أن التقليد في نحو هذا ضلال قديم ، وأسلافهم لم يكن لهم سند منظور يعتد به ، وإنما خصص المترفين بالذكر ، للإشعار بأن التنعم وحب البطالة ، صرفهم عن النظر إلى التقليد الأعمى ، وذكر هنا [مقتدون] وهناك [مهتدون] تفننا لأن معناهما وا حد

[قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم] ؟ أى قال كل نبى لقومه حين انذرهم عذاب الله : اتقتدون بآبائكم ولو جئتكم بدين أهدى وأرشد مما كانوا عليه ؟

[قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون] أى قالوا إنا كافرون بكل ما أرسلتم به من التوحيد والإيمان ، والبعث والنشور

[فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين] أى فانتقمنا من الأمم المكذبة بأنواع العذاب ، فانظر أيها السامع كيف صار حالهم ومآلهم ! ! ألم يجعلهم عبرة للمعتبرين ! !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الله تعالى : [وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون . .] إلى قوله [من دون الرحمن آلهة يعبدون] . من آية (26) إلى نهاية آية (45) .

المناسبة :

لما حكى عن المشركين تقليدهم الأعمى للآباء ، ذكر هنا إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام ، الذي يفتخر به العرب وينتسبون إليه ، وتبرءه من قومه ومن عبادة الأوثان ، للمقارنة بين الهدى والضلال ، وبين منطق العقل السديد ، ومنطق الهوى والتقليد .

اللغة :

[براء] مصدر بمعنى بريء أى متبرىء يقال : تبرات من الأمر أى تخليت عنه بالكلية

[عقبه] ذريته ونسله قال ابن شهاب : العقب : الولد وولد الولد

[سخريا] أى مسخرا في العمل مستخدما فيه

[معارج] مصاعد ومراقي جمع معراج وهو ما يصعد عليه الإنسان كالدرج ونحوه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يظهرون] يرتقون ويصعدون

[زخرف] زينة من ذهب وفضة وغيرهما

[يعش] يعرض وأصله من عشي البصر إذا ضعف ، قال الخليل : العشو هو النظر ببصر ضعيف .

التفسير :

[وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون]

أى واذكر يا محمد حين قال إبراهيم الخليل لأبيه وقومه المشركين : إننى بريء : من هذه الأوثان ، التي تعبدونها من دون الرحمن

[إلا الذى فطرني فإنه سيهدين] أى لكن ربي الذي خلقنى وأنشأنى من العدم ، فإنه يرشدني إلى الدين الحق ، ويهديني إلى طريق السعادة

[وجعلها كلمة باقية في عقبه] أى وجعل إبراهيم هذه الكلمة - كلمة التوحيد - باقية في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله

[لعلهم يرجعون] أى رجاء أن يرجع إلى الإيمان من أشرك منهم قال مجاهد : " وجعلها كلمة " يعني " لا إله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلا الله " لا يزال في ذريته من يقولها إلى يوم الدين

[بل متعت هؤلاء وآباءهم] أى بل متعت أهل مكة وآباءهم - وهم من نسل إبراهيم - بالإمداد في العمر والنعمة ، فاغتزوا بالمهلة ، واشتغلوا بالتنعم ، واتباع الشهوات عن كلمة التوحيد

[حتى جاءهم الحق ورسول مبين] أى حتى جاءهم القرآن ، ورسول ظاهر الرسالة ، مؤيد بالمعجزات الباهرة من عند الله قال الإمام الفخر : وجه نظم الآية أنهم لما عولوا على تقليد الآباء ، ولم يتفكروا في الحجة ، اغتروا بطول الإمهال ، وإمتاع الله إياهم بنعيم الدنيا ، فأعرضوا عن الحق

[ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر] أي ولما جاءهم القرآن لينبههم من غفلتهم ، وبرشدهم إلى التوحيد ، ازدادوا عتوأ وضلالاً ، فقالوا عن القرآن : إنه سحر

[وإنا به كافرون] أى ونحن كافرون به ، لا نصدق إنه كلام الله قال أبو السعود : سموا القرآن سحرا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكفروا به واستحقروا الرسول عليه السلام ، فضموا إلى كفرهم السابق ، معاندة الحق والاستهانة به [وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من الفريقين عظيم] أي وقال المشركون : هلا أنزل هذا القرآن ، على رجل عظيم كبير ، في مكة أو الطائف ! ! قال المفسرون : يعنون " الوليد بن المغيرة " في مكة أو " عروة بن مسعود الثقفي " في الطائف . . استبعدت قريش نزول القرآن على محمد ، وهو فقير يتيم ، واقترحوا أن ينزل على أحد الرؤساء والعظماء ، ظنا منهم أن العظيم هو الذي يكون له مال وجاه ، وفاتهم أن العظيم هو الذي يكون ذا صفات سامية ، ومناقب حميدة ، فيصبح عند الله تعالى عظيما ، وهم يعتبرون مقياس العظمة : الجاه ، والمال ، وهذا رآي الجاهلين في كل زمان ومكان ، أما مقياس العظمة الحقيقية عند الله تعالى وعند العقلاء ، فإنما هو عظمة النفس ، وسمو الروح ، ومن أعظم نفسا واسمى روحا من (محمد بن عبد الله) عليه الصلاة والسلام ! ! ولهذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رد تبارك وتعالى عليهم بقوله

[أهم يقسمون رحمت ربك] ؟ أى أهم يمنحون النبوة ، ويخصون بها من شاءوا من العباد ، حتى يقترحوا أن تكون لفلان الغني ، أو فلان الكبير من الناس ؟

[نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا] أى نحن بحكمتنا جعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا ، وفاوتنا بينهم في الأموال والأرزاق ، وإذا كان أمر المعيشة - وهو تافه حقير – لم نتركه لهم ، بل تولينا قسمته بأنفسنا ، فكيف نترك أمر النبوة - وهو عظيم وخطير - لأهوائهم ومشتهياتهم ! ! قال في التسهيل : كما قسمنا المعايش في الدنيا ، كذلك قسمنا المواهب الدينية ، وإذا كنا لم نهمل الحظوظ الحقيرة الفانية ، فأولى وأحرى ألا نهمل الحظوظ الشريفة الباقية

[ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات] أى فاضلنا بين الخلق في الرزق والعيش ، وجعلناهم مراتب : هذا غني ، وهذا فقير ، وهذا متوسط الحال

[ليتخذ بعضهم بعضا سخريا] أى ليكون كل منهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسخرا للآخر ، يخدم بعضهم بعضا ، لينتظم أمر الحياة قال الصاوى : إن القصد من جعل الناس متفاوتين في الرزق ، لينتفع بعضهم ببعض ، ولو كانوا سواء في جميع الأحوال ، لم يخدم أحد أحدا ، فيفضي إلى خراب العالم ، وفساد نظامه وقال أبو حيان : وقوله تعالى [سخريا] بضم السين من التسخير بمعنى الاستخدام ، لا من السخرية بمعنى الهزء ، والحكمة هي أن يرتفق بعضهم ببعض ، ويصلوا إلى منافعهم ، ولو تولى كل واحد جميع أشغاله بنفسه ، ما أطاق ذلك ، وضاع وهلك ، وفي قوله [نحن قسمنا] تزهيد في الإكباب على طلب الدنيا ، وعون على التوكل على الله ، وقال قتادة : تلقى إنسانا ضعيف القوة ، قليل الحيلة ، عيى اللسان ، وهو موسع عليه في الرزق ، وتلقى شديد الحيلة ، بسيط اللسان ، وهو مقتر عليه في الرزق ، وقال الشافعى :

ومن الدليل على القضاء وحكمه بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ورحمت ربك خير مما يجمعون] أى وإنعامه تعالى عليك بالنبوة ، خير مما يجمع الناس من حطام الدنيا الفاني ! ! ثم بين تعالى حقارة الدنيا ودناءة قدرها عند الله ، فتال سبحانه

[ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة] أى ولولا أن يرغب الناس في الكفر ، إذا رآوا الكافر في سعة من الرزق ، ويصيروا أمة واحدة في الكفر ، لخصصنا هذه الدنيا بالكفار ، وجعلنا لهم القصور الشاهقة ، المزخرفة بأنواع الزينة والنقوش ، سقفها من الفضة الخالصة

[ومعارج عليها يظهرون] أى وجعلنا لهم مصاعد وسلالم من فضة ، عليها يرتقون ويصعدون

[ولبيوتهم أبوابا وسررا] أي ولبيولهم أبوابا من فضة وسررا من فضة ، زيادة في الرفاهية والنعيم

[عليها يتكئون] أى على تلك الأسرة الفضية ، يتكئون ويجلسون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وزخرفا] أى وجعلنا لهم زينة من ستور ونمارق ونقوش وقال ابن عباس : [زخرفآ] ذهبا أى جعلنا لهم سقفا وأبوابا وسررا من فضة وذهب

[وإن كذلك لما متاع الحياة الدنيا] أى وما كل ذلك النعيم العاجل الذي نعطيه للكفار ، إلا شيء يتمتع به في الحياة الدنيا الزائلة الحقيرة

[والأخرة عند ربك للمتقين] أى والجنة وما فيها من أنواع الملاذ والنعم ، التي يقصر عنها البيان ، هي خاصة بالمتقين لا يشاركهم فيها أحد قال المفسرون : والآيات سبقت لبيان حقارة الدنيا وقلة شأنها ، وأنها من الهوان ، بحيث لولا الفتنة لخص بها الكافرين ، فجعل بيوت الكفار ، ودرجها وسقوفها من ذهب وفضة ، وأعطى الكافر كل ذلك النعيم في الدنيا ، لعدم حظه في الآخرة ، ولكنه تعالى رحيم بالعباد ، فلذلك أغنى بعض الكفار وأفقر بعضهم ، وأغنى بعض المؤمنين وأفقر بعضهم ، وفي الحديث الشريف (لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها جرعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ماء) قال الزمخشرى : فإن قلت : فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدي إليها التوسعة عليهم ، من إطباق الناس على الكفر ، لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها ، فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الإسلام ؟ قلت : التوسعة عليهم مفسدة أيضا ، لما تؤدي إليها من دخول الناس في الإسلام لأجل الدنيا ، وذلك من دين المنافقين ، فكانت الحكمة في ما دبر ، حيث جعل الفريقين أغنياء وفقراء ، وبغلب الفقر على الغنى

[ومن يعش عن ذكر الرحمن] أى ومن يعرض عن القرآن وعبادة الرحمن

[نقيض له شيطانا] أى نهيء ونيسر له شيطانا ، لا ينفك عن الوسوسة له والإغواء ، كقوله تعالى [ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا]

[فهو له قرين] أى فهو ملازم ومصاحب له لا يفارقه

[وإنهم ليصدونهم عن السبيل] أى وإن الشياطين ليصدون هؤلاء الكفار ، الضالين عن طريق الهدى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويحسبون أنهم مهتدون] أي ويحسب الكفار أنهم على نور وبصيرة ، وهداية من أمرهم

[حتى إذا جاءنا] أى حتى إذا جاء الكافر مع قرينه ، وقد ربطا بسلسلة واحدة

[قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين] أى قال الكافر لقرينه : يا ليت بيني وبينك مثل بعد ما بين المشرق والمغرب قال الطبري : وهذا من باب التغليب كما يقال : القمران ، والعمران ، والأبوان ، فغلب ههنا المشرق على المغرب

[فبئس القرين] أى فبئس الصاحب أنت ، لأنك كنت سببا في شقائي ، بتزيينك الباطل لي قال أبو سعيد الخدري : إذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين ، فلا يفارقه حتئ يصير به إلى النار

[ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون] أى ولن ينفعكم ويفيدكم اشتراككم في العذاب ، ولن يخفف ذلك عنكم شيئا بسبب ظلمكم ، فإن لكل واحد نصيبه الأوفر منه قال في التسهيل :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المراد أنه لا ينفعهم اشتراكهم في العذاب ، ولا يجدون راحة التأسي ، التي يجدها المكروب في الدنيا إذا رأى غيره قد أصابه مثل ما أصابه لأن المصيبة إذا عمت هانت ، فدفع تعالى ذلك التوهم بأن اشتراكهم في العذاب ، لا يخفف عنهم البلاء

[أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمي ومن كان في ضلال مبين] أى هل أنت يا محمد تقدر أن تسمع هؤلاء الكفار ، الذين هم كالصم والعمي ، ومن كان في ضلال واضح ؟ ليس لك ذلك ، فلا يضق صدرك إن كفروا ، قال المفسرون : والآية تسلية للنبي (ص) فقد كان يجتهد في دعائهم إلى الإيمان ، ولا يزدادون إلا تعاميا عن الحق ، وطغيانا وضلالا

[فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون] أى إن عجلنا وفاتك قبل الانتقام منهم ، فإنا سننتقم منهم بعد وفاتك

[أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون] أى أو نرينك يا محمد العذاب الذي وعدناهم به في حياتك ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإنا قادرون عليهم ، فهم في قبضتنا لا يفوتوننا قال ابن عباس : قد أراه الله ذلك يوم بدر وقال ابن كثير : المعنى لابد أن ننتقم منهم ونعاقبهم في حياتك ، أو بعد وفاتك ، ولم يقبض الله تعالى رسوله ، حتى أقر عينه من أعدائه ، وحكمه في نواصيهم

[فاستمسك بالذي أوحي إليك] أى فتمسك يا أيها الرسول بالقرآن الذي أوحيناه لك

[إنك على صراط مستقيم] أى فإنك على الحق الواضح والطريق المستقيم ، الموصل إلى جنات النعيم

[وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون] أي وإن هذا القرآن لشرف عظيم ، لك ولقومك من قريش ، إذ أنزل بلغتهم وعلى رجل منهم ، وسوف سألون عن شكر هذه النعمة قال في التسهيل : والذكر هنا بمعنى الشرف ، وقوم النبي (ص) هم قريش وسائر العرب ، فإنهم نالوا بالإسلام شرف الدنيا والآخرة ، ويكفيك أن فتحوا مشارق الدنيا ومغاربها ، وصارت فيهم الخلافة والملك ، وهذا القرآن شرف لكل من تبعه ، وهذه الآية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نظير قوله تعالى [لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون] ؟

[وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا] هذا على سبيل الفرض ، وفي الكلام محذوف أي إن كنت يا محمد شاكا في أمر التوحيد ، فسل من سبقك من الرسل

[أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون] ؟ أي هل هناك أحد من الرسل ، دعا لعبادة غير الله ؟ والآية كقوله تعالى [فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك] قال أبو السعود : والمراد بالآية الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد ، والتنبيه على أنه ليس ببدع ابتدعه ، حتى يكذب ويعادى وقال أبو حيان : ويظهر أن الخطاب هنا للسامع ، والسؤال هنا مجاز عن النظر في أديان الأنبياء ، هل جاءت عبادة الأوثان في ملة من مللهم ؟ وهذا كما يساءل الشعراء الديار والأطلال ، ومنه قولهم : (سل الأرض من شق أنهارك ، وغرس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اشجارك ، وجنى ثمارك ؟ فإنها إن لم تجبك حوارا ، أجابتك اعتبارا) ، وهذا كله من باب المجاز .

قال الله تعالى : [ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه . .] إلى قوله [هذا صراط مستقيم] . من آية (46) إلى نهاية آية (64) .

المناسبة :

لما طعنت قريش على الرسول (ص) في أمر النبوة ، بسبب أنه فقير عديم المال والجاه ، واختاروا أن يتنزل القرآن على رجل كثير المال عظيم الجاه ، ذكر تعالى قصة " موسى مع فرعون " ليشير إلى أن منطق العناد والطغيان واحد ، فقد سبقهم فرعون إلى التجبر بماله وسلطانه ، ورفض قبول دعوة الحق بحجة إنه أكثر مالا وجاها من موسى ، فردت الآيات الكريمة هذه الشبهة السقيمة بالحجة والبرهان .

اللغة :

[ينكثون] نكث العهد : نقضه

[مهين] حقير لا قدر له ولا مكانة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[آسفونا] أغضبونا وغاظونا

[سلفا] قدوة

[يصدون] بكسر الصاد بمعنى يضجون ويصيحون ، وبضمها بمعنى الإعراض ومنع الناس عن الإيمان قال الجوهري : صد يصد صديدا أى ضج ، وقيل إنه بالضم من الصدود وهو الإعراض ، وبالكسر من الضجيج ، وقال الفراء : هما سواء

[تمترن] الامتراء : الشك ، امترى في الأمر شك فيه ، والمرية : الشك .

سبب النزول :

عن مجاهد قال : إن قريشا قالت إن محمدا يريد أن نعبده كما عبد النصارى عيسى ابن مريم ، فأنزل الله [ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون] .

التفسير :

[ولقد ارسلنا يوسف بآياتنا إلى فرعون وملائه] أى والله لقد أرسلنا موسى بالمعجزات الباهرة ، الدالة على صدقه ، إلى فرعون وقومه الأقباط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فقال إني رسول رب العالمين] أى فقال له موسى : إني رسول الله إليك ، أرسلني لأدعوك وقومك إلى عبادة الله وحده

[فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون] أى فلما جاءهم بتلك الآيات الباهرة ، الدالة على رسالته ضحكوا سخرية واستهزاء به قال القرطبي : إنما ضحكوا منها ليوهموا أتباعهم أن تلك الآيات سحر ، وأنهم قادرون عليها ، قال تعالى

[وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها] أى وما نريهم آية من آيات العذاب ، كالطوفان ، والجراد ، والقمل ، إلا وهي في غاية الكبر والظهور ، بحيث تكون أوضح من سابقتها قال الصاوي : والمعنى إلا وهي بالغة الغاية في الإعجاز ، بحيث يظن الناظر إليها أنها أكبر من غيرها

[وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون] أى عاقبناهم بأنواع العذاب الشديد ، لعلهم يرجعون عما هم عليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الكفر والتكذيب
[وقالوا يا أيه الساحر ادع لنا ربك] أى وقالوا لما عاينوا العذاب يا ايها الساحر ادع لنا ربك ليكشف عنا هذا البلاء والعذاب
[بما عهد عندك] أى بالعهد الذي أعطاك إياه من استجابة دعائك
[إننا لمهتدون] أى لنؤمنن بك إن كشف عنا العذاب بدعائك ، قال المفسرون : ليس قولهم [يا أيه الساحر] على سبيل الانتقاص ، وإنما هو تعظيم في زعمهم ، لأن السحر كان علم زمانهم ، ولم يكن مذموما ، فنادوه بذلك على سبيل التعظيم ، قال ابن عباس : معناه يا أيها العالم ، وكان الساحر فيهم عظيما يوقرونه
[فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون] أى فلما رفعنا عنهم العذاب بدعوة موسى ، إذا هم ينقضون العهد ، ويصرون على الكفر والعصيان
[ونادى فرعون في قومه] أى نادى فرعون روساء القبط وعظماءهم ، لما رأى الآيات الباهرة من موسى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، وخاف أن يؤمنوا
[قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي] ؟ أي قال مفتخرا متبجحا : أليست بلاد مصر الواسعة الشاسعة ملكا لي ؟ وهذه الخلجان والأنهار المتفرعة من نهر النيل تجري من تحتى قصوري ؟ قال القرطبي : ومعظمها أربعة : نهر الملك ، ونهر طولون ، ونهر دمياط ، ونهر تينس وكلها من النيل وقال قتادة : كانت جنانها وأنهارها تجري من تحت قصره
[أفلا تبصرون] ؟ أى أفلا تبصرون عظمتي وسعة ملكي ، وقلة موسى وذلته ؟
[أم أنا خير من هذا الذي هو مهين] أى بل أنا خير من هذا الضعيف الحقير ، الذي لا عز له ولا جاه ولا سلطان ، فهو يمتهن نفسه في حاجاته لحقارته وضعفه ؟ يعني بذلك موسى عليه السلام
[ولا يكاد يبين] أى لا يكاد يفصح عن كلامه ، ويوضح مقصوده ، فكيف يصلح للرسالة ؟ قال ابو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السعود : قال فرعون ذلك افتراء على موسى ، وتنقيصا له عليه السلام في أعين الناس ، باعتبار ما كان في لسانه من عقدة ، ولكن الله أذهبها عنه بدعائه [واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي]

[فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب] ؟ أى فهلا ألقى الله إليه أسورة من ذهب ، كرامة له ودلالة على نبوته ! ! قال مجاهد : كانوا إذا أرادوا أن يجعلوا رجلاً رئيسا عليهم ، سوروه بسوارين وطوقوه بطوق من ذهب علامة لسيادته

[أو جاء معه الملائكة مقترنين] أى أو جاءت معه الملائكة يكتنفونه ، خدمة له وشهادة بصدقه قال أبو حيان : لما وصف فرعون نفسه بالعزة والملك ، ووازن بينه وبين موسى عليه السلام ، ووصفه بالضعف وقلة الأعوان ، اعترض فقال : إن كان صادقا فهلا ملكه ربه وسوره وجعل الملائكة أنصاره!

[فاستخف قومه فأطاعوه] أى فاستخف بعقول قومه واستجهلهم لخفة أحلامم ، فأطاعوه فيما دعاهم إليه من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الضلالة

[إنهم كانوا قوما فاسقين] أى إنما أجابوه لفسقهم وخروجهم عن طاعة الله

[فلما آسفونا انتقمنا منهم] أى فلما أغضبونا وغاظونا انتقمنا منهم بأشد أنواع العقاب

[فأغرقناهم أجمعين] أى فأغرقنا فرعون وقومه في البحر أجمعين ، فلم نبق منهم أحدا قال المفسرون : اغتر فرعون بالعظمة والسلطان ، والأنهار التي تجري من تحته ، فأهلكه الله بجنس ما تكبر به هو وقومه ، وذلك بالغرق بماء البحر ، وفيه إشارة إلى أن من تعزز بشيء ، أهلكه الله به

[فجعلناهم سلفا ومثلا للأخرين] أى جعلنا قوم فرعون قدوة لمن بعدهم من الكفار ، في استحقاق العذاب والدمار ، ومثلا يعتبرون به لئلا يصيبهم مثل ذلك قال مجاهد : سلفا لكفار قريش يتقدمونهم إلى النار ، وعظة وعبرة لمن يأتي بعدهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون] أى ولما ذكر عيسى ابن مريم في القرآن ، وضرب المثل بالآلهة التي عبدت من دون الله ، إذا مشركو قريش يضجون وترتفع أصواتهم بالصباح قال المفسرون : لما قرأ رسول الله (ص) : [إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم] قال ابن الزبعرى : أهذا لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم ؟ فقال عليه السلام : هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم ، فقال : قد خصمتك ورب الكعبة ؟ أليست النصارى يعبدون المسيح ، واليهود يعبدون عزيرا ؟ وبنو فلان يعبدون الملائكة فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم فسكت عليه الصلاة والسلام إنتظارا للوحي ، فظنوا أنه ألزم الحجة ، فضحك المشركون وضجوا وارتفعت أصواتهم) فأنزل الله [إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون] قال القرطبي : ولو تأمل ابن الزبعرى الآية ما اعترض عليها ، لأنه تعالى قال [انكم وما تعبدون] ولم يقل "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن تعبدون " وإنما أراد الأصنام ونحوها مما لا يعقل ، ولم يرد المسيح ولا الملائكة وإن كانوا معبودين

[وقالوا أآلهتنا خير أم هو] أى أآلهتنا خير أم عيسى ؟ فإن كان عيسى في النار ، فلتكن آلهتنا معه

[ما ضربوه لك إلا جدلا] أى ما قالوا هذا القول لك إلا على وجه الجدل والمكابرة ، لا لطلب الحق

[بل هم قوم خصون] أى بل هم قوم شديدو الخصومة ، واللجاج بالباطل قال في التسهيل : أى ما ضربوا لك هذا المثال ، إلا على وجه الجدل ، وهو أن يقصد الإنسان أن يغلب من يناظره ، سواء غلبه بحق أو بباطل ، فإن ابن الزبعرى وأمثاله ممن لا يخفى عليه أن عيسى لم يدخل في قوله تعالى [حصب جهنم] ولكنهم أرادوا المغالطة فوصفهم الله بأنهم قوم خصمون

[إن هو إلا عبد أنعمنا عليه] أى ما عيسى إلا عبد كسائر العبيد ، أنعمنا عليه بالنبوة ، وشرفناه بالرسالة ، وليس هو إلها ولا ابن إله ، كما زعم النصارى

[وجعلناه مثلا لبني إسرائيل] أى وجعلناه آية وعبرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لبنى إسرائيل ، يستدلون بها على قدرة الله تعالى ، حيث خلق من أم بلا أب قال الرازي : أى صيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر ، حيث خلقناه من غير أب كما خلقنا آدم

[ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون] أى لو أردنا لجعلنا بدلا منكم ملائكة ، يسكنون في الأرض ، يكونون خلفا عنكم ، قال مجاهد : ملائكة يعمرون الأرض بدلا منكم

[وإنه لعلم للساعة] أى وأن عيسى علامة على قرب الساعة ، قال ابن عباس وقتادة : إن خروج عيسى عليه السلام من أعلام الساعة ، لأن الله ينزله من السماء قبيل قيام الساعة ،

[فلا تمترن بها] أى فلا تشكوا في أمر الساعة ، فإنها آتية لا محالة ، وفي الحديث (يوشك أن ينزل فيكم عيسى ابن مريم حكما قسطا00) الحديث

[واتبعون هذا صراط مستقيم] أى وقل لهم يا محمد : اتبعوا هداي وشرعي ، فإن هذا الذي أدعوكم إليه ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دين قيم وطريق مستقيم

[ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين] أى لا تغتروا بوساوس الشيطان ، واحذروا أن يصدكم عن اتباع الحق ، فإنه لكم عدو ظاهر العداوة ، حيث أخرج أباكم من الجنة ، ونزع عنه لباس النور

[ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة] أى ولما جاء عيسى بالمعجزات ، وبالشرائع البينات الواضحات ، قال قد جئتكم بما تقتضيه الحكمة الإلهية من الشرائع

[ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه] أى وجئتكم لأبين لكم ما اختلفتم فيه من أمور الدين ، قال ابن جزي : وإنما قال [بعض الذي تختلفون فيه] دون الكل ، لأن الأنبياء إنما يبينون أمور الدين لا أمور الدنياوقال الطبري : يعني من الأمور الدينية لا الدنيوية

[فاتقوا الله وأطيعون] أي فاتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، وأطيعوا أمري فيما أبلغه إليكم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التكاليف

[إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه] أى إن الله جل وعلا هو الرب المعبود لا رب سواه ، فأخلصوا له الطاعة والعبادة قال ابن كثير : أى أنا وأنتم عببد له ، فقراء إليه ، مشتركون في عبادته وحده

[هذا صراط مستقيم] أي هذا التوحيد والتعبد بالشرائع ، طريق مستقيم ، موصل إلى جنات النعيم.

قال الله تعالى : [فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم . .] إلى قوله [فسوف يعلمون] من آية (65) إلى آية (89) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما ذكر تعالى أمر عيسى ودعوته إلى الدين الحق ، أتبعه بذكر ضلال أهل الكتاب ، حيث تفرقوا شيعا وأحزابا في شأنه ، فقال بعضهم إنه إله ، وقال بعضهم إنه ابن الإله ، وقال آخرون إنه ثالث ثلاثة ، ثم ذكر تعالى أحوال القيامة وأهوالها ، وختم السورة الكريمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ببيان صفات المعبود الحق ، الواحد الأحد جل وعلا ، الذي أبدع خلق كل شيء ، وهو القوي المتين .

اللغة :

[الأخلاء] جمع خليل وهو الصديق الحميم

[تحبرون] تسرون وتفرحون ، والحبور : السرور والفرح

[أكواب] جمع كوب وهو القدح الذي لا عروة له

[مبلسون] آيسون من الرحمة ، وحزينون من شدة اليأس

[أبرموا] أحكموا الشيء يقال : أبرم القوم آمرهم : أحكموه ، والإبرام : الإحكام

[يؤفكون] يقلبون ويصرفون ، أفكه أفكا أى قلبه وصرفه عن الشيء .

سبب النزول :

عن مقاتل قال : مكر المشركون بالنبي (ص) في دار الندوة ، وتآمروا على قتله ، حين استقر أمرهم على ما أشار به أبو جهل عليهم ، وهو أن يبرز من كل قبيلة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رجل ليشتركوا في قتله ، وتضعف المطالبة بدمه فنزلت : [أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون] .

التفسير :

[فاختلف الأحزاب من بينهم] أى اختلفت فرق النصارى في شأن عيسى ، وصاروا شيعا وأحزابا فيه قال آبن كثير : صاروا شيعا فيه ، منهم من يقر بأنه عبد الله ورسوله - وهو الحق - ، ومنهم من يدعي أنه ولد الله ، ومنهم من يقول إن عيسى هو الله ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا

[فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم] أى فهلاك ودمار لهؤلاء الكفرة الظالمين ، من عذاب يوم مؤلم ، هو يوم القيامة

[هل ينظرون إلا الساعة أن تآتيهم بغتة] أى هل ينتظر هؤلاء المشركون المكذبون إلا إتيان الساعة ومجيئها فجأة

[وهم لا يشعرون] أى وهم غافلون عنها مشتغلون بأمور الدنيا ، وحينئذ يندمون حيث لا ينفعهم الندم ، ثم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذكر تعالى أحوال القيامة ، فقال سبحانه

[الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين] أى الأصدقاء والأحباب يوم القيامة يصبحون أعداء ، إلا من كانت صداقته ومحبته لله قال ابن كثير : كل خلة وصداقة لغير الله ، فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة ، إلا ما كان لله عز وجل فإنه دائم بدوامه قال ابن عباس : صارت كل خلة عداوة يوم القيامة ، إلا المتقين تشريفا وتطييبا لقلوبهم

[يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون] هذا نداء من الرب لعباده المتقين ، يقول : يا عباد المؤمنين الذين تحققتم في العبودية لرب العالمين ، لا خوف عليكم في هذا اليوم العصيب ، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من الدنيا ، ثم وضحهم ووصفهم بقوله

[الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين] أى هم الذين صدقوا بالقرآن ، واستسلموا لحكم الرحمن ، وانقادوا لطاعته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون] أى يقال لهم : ادخلوا الجنة أنتم ونساؤكم المؤمنات ، تنعمون فيها وتسرون سرورا يظهر أثره على وجوهكم

[يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب] أى يطاف على أهل الجنة بأكواب من الذهب فيها الطعام ، وأقداح من ذهب فيها الشراب قال المفسرون : آنية أهل الجنة التي يأكلون فيها الطعام ، والكؤوس التي يشربون فيها الشراب ، كلها من ذهب وفضة ، كما قال تعالى

[ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب] وفي الحديث " لا تلبسوآ الحرير ولا الديباج ، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا في صحافها ، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الاخرة "

[وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين] أى وفي الجنة ما تشتهيه النفوس ، من أنواع اللذائذ والمشتهيات ، وتسر به الأعين من فنون المناظر الجميلة ، والمشاهد اللطيفة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأنتم فيها خالدون] أى وأنتم في الجنة باقون دائمون ، لا تخرجون منها أبدا قال أبو السعود : وهذا إتمام للنعمة وإكمال للسرور ، فإن كل نعيم زائل ، موجب لخوف الزوال . . لما ذكر الجنة وأنها موضع الحبور ، ذكر ما فيها من النعم ، فذكر أولا المطاعم ، ثم ذكر المشارب ، ثم بعد ذلك التفصيل ذكر بيانا كليا بقوله [وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين] ثم ذكر تمام النعمة بالخلود في دار النعيم ، وهذا حصر لأنواع النعم ، لأئها إما مشتهاة في القلوب ، أو مستلذة في العيون

[وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون] أى وتلك الجنة الموصوفة بتلك الأوصاف الجليلة ، أعطيتموها بسبب أعمالكم الصالحة التي قدمتموها في الدنيا قال ابن كثير : أى أعمالكم الصالحة كانت سببا لشمول رحمة الله إياكم ، فإنه لا يدخل أحد الجنة بعمله ، ولكن برحمة الله وفضله ، وإنما الدرجات ينال تفاوتها بحسب الأعمال الصالحات وفى الحديث (ما من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار ، الكافر يرث المؤمن منزله في النار ، والمؤمن يرث الكافر منزله في الجنة ، وذلك قوله تعالى [وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون]

[لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون] أى لكم في الجنة من أنواع الفواكه والثمار الشيء الكثير - سوى الطعام والشراب - من هذه الفواكه تأكلون تفكها وتلذذا قال المفسرون : يأكل أهل الجنة من بعض الثمار ، وأما الباقي فعلى الأشجار على الدوام ، لا ترى فيها شجرة تخلو من ثمرها لحظة ، فهي مزينة بالثمار أبدا ، لأن كل ما يؤكل يخلف بدله ، وفي الحديث " لا ينزع رجل في الجنة من ثمرة إلا نبت مثلها مكانها " ولما ذكر حال السعداء الأبرار ، أعقبه بذكر حال الأشقياء الفجار ، فقال سبحانه

[إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون] أى إن الكافرين الراسخين في الإجرام ، في العذاب الشديد في جهنم ، دائمون فيها أبدا قال الصاوي : والمراد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالمجرمين الكفار لأنهم ذكروا في مقابلة المؤمنين

[لا يفترعنهم] أى لا يخفف عنهم العذاب لحظة

[وهم فيه مبلسون] أى وهم في ذلك العذاب يائسون من كل خير ، يائسون من النجاة

[وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين] أى وما ظلمناهم بعقابنا لهم ، ولكن كانوا هم الظالمين ، لتعريضهم أنفسهم للعذاب الخالد

[ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك] أى ونادى الكفار مالكا خازن النار قائلين : ليمتنا الله حتى نستريح من العذاب قال ابن كثبر : أى ليقبض أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه قال ابن عباس : فلم يجبهم إلا بعد ألف سنة

[قال آنكم ماكثون] أى أجابهم إنكم مقيمون في العذاب أبدا ، لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره

[لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون] خطاب توبيخ وتقريع ، أى لقد جئناكم أيها الكفار بالحق الساطع المبين ، ولكنكم كنتم كارهين لدين الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مشمئزين منه ، لكونه مخالفا لأهوائكم وشهواتكم قال الرازي : هذا كالعلة لما ذكر ، والمراد نفرتهم عن محمد وعن القرآن ، وشدة بغضهم لقبول الدين الحق

[أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون] الكلام عن كفار قريش أى هل أحكم هؤلاء المشركون أمرا في كيد محمد (ص) فإنا محكمون أمرنا في نصرته وحمايته ، وإهلاكهم وتدميرهم قال مقاتل : نزلت في تدبيرهم المكر بالنبي (ص) في دار الندوة

[أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم] اي أم يظنون أنا لا نسمع ما حدثوا به أنفسهم ، وما تكلموا به فيما بينهم بطريق التناجي قال في التسهيل : السر ما يحدث به الإنسان نفسه أو غيره في خفية ، والنجوى ما تكلموا به بينهم

[بلى ورسلنا لديهم يكتبون] أى بلى إنا نسمع سرهم وعلانيتهم ، وملائكتنا الحفظة يكتبون عليهم أعمالهم ، روي إنها نزلت في " الأخنس بن شريق " و " الأسود بن عبد يغوث " اجتمعا فقال الأخنس : أترى الله يسمع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سرنا فقال الآخر : يسمع نجوانا ولا يسمع سرنا

[قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين] أى قل يا محمد لهولاء المشركين : لو فرض أن لله ولدا ، لكنت أنا أول من يعبد ذلك الولد ، ولكنه جد وعلا منزه عن الزوجة والولدد قال القرطبي : وهذا كما تقول لمن تناظره : إن ثبت ما قلت بالدليل فأنا أول من يعتقده ، وهذا مبالغة في الاستبعاد ، وترقيق في الكلام وقال الطبري : هو ملاطفة في الخطاب وقال الببضاوي : ولا يلزم من هذا الكلام صحة وجود الولد وعبادته له ، بل المراد نفيهما على أبلغ الوجوه ، وإنكاره للولد ليس للعناد والمراء ، بل لو كان لكان أولى الناس بالاعتراف به ، فإن النبي يكون أعلم بالله ، وبما يصح له وما لا يصح ((هذا قول جيد وهو الصحيح فى معنى الآية ، وقيل " إن " بمعنى " ما " أي ما كان للرحمن ولد وتم الكلام ثم ابتدأ فقال : {فأنا أول العابدين} ، وهذا قول ضعيف)).

[سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يصفون] أى تنزه وتقدس الله العظيم الجليل ، رب السموات والأرض ، ورب العرش العظيم ، عما يصفه به الكافرون من نسبة الولد إليه

[فذرهم يخوضوا ويلعبوا] أى اترك كفار مكة في جهلهم وضلالهم ، يخوضوا في باطلهم ويلعبوا بدنياهم

[حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون] أى إلى ذلك اليوم الرهيب الذي وعدوه - وهو يوم القيامة - فسوف يعلمون حينئذ كيف يكون حالهم ومصيرهم ومآلهم

[وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله] أي هو جل وعلا معبود في السماء ، ومعبود في الأرض ، لأنه هو الإله الحق ، المستحق للعبادة في السماء والأرض قال في التسهيل : أى هو الإله لأهل الأرض وأهل السماء وقال ابن كثير : أى هو إله من في السماء وإله من في الأرض ، يعبده أهلهما ، وكلهم خاضعون له أذلاء بين يديه

[وهو الحكيم العليم] أى هو الحكيم في تدبير خلقه ، العليم بمصالحهم ، وهذا كالدليل على وحدانيته تعالى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما] أى تمجد وتعظم الله الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات ، من الإنس واآلجن والملائكة ، فهو الخالق والمالك والمتصرف في الكائنات ، بلا ممانعة ولا مدافعة

[وعنده علم الساعة] أى وعنده وحده علم زمان قيام الساعة

[وإليه ترجعون] أي وإليه لا إلى غيره مرجع الخلائق للجزاء ، فيجازي كلا بعمله

[ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة] أي ولا يملك أحد ممن يعبدونهم من دون الله أن يشفع عند الله لأحد ، لأنه لا شفاعة إلا بإذنه

[إلا من شهد بالحق] أى إلا لمن شهد بالحق ، وآمن عن علم وبصيرة ، فإنه تنفع شفاعته عند الله

[وهم يعلمون] أى وهم يعلمون أن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه قال المفسرون : والمراد ب [من شهد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالحق] عيسى ، وعزير ، والملائكة ، فإنهم يشهدون بالحق والوحدانية لله ، فهؤلاء تنفع شفاعتهم للمؤمنين ، وإن كانوا قد عبدوا من دون الله

[ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله] أى ولئن سألت يا محمد كفار مكة ، من الذي خلقهم وأوجدهم ؟ ليقولن الله خلقنا ، فهم يعترفون بأنه الخالق ، ثم يعبدون غيره ممن لا يقدر على شيء

[فأنى يؤفكون] أى فكيف ينصرفون عن عبادة الرحمن إلى عبادة الأوثان ؟ فهم في غاية الجهل والسفاهة ، وسخافة العقول

[وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون] أى وقول محمد في شكواه لربه : يا رب إن هؤلاء قوم عاندون جبارون ، لا يصدقون برسالتي ، ولا بالقرآن قال قتادة : هذا قول نبيكم (ص) يشكو قومه إلى ربه عز وجل

[فاصفح عنهم وقل سلام] أى فأعرض عنهم يا محمد وسامحهم ، ولا تقابلهم بمثل ما يقابلونك به ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصاوى : وهو تباعد وتبرؤ منهم ، وليس في الآية مشروعية السلام على الكفار وقال قتادة : أمر بالصفح عنهم ثم أمر بقتالهم ، فصار الصفح منسوخا بالسيف [فسوف يعلمون] أى فسوف يعلمون عاقبة إجرامهم وتكذيبهم ، وهو وعيد وتهديد للمشركين ، وتسليةٌ لرسول الله (ص) .

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من آلبيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - التشبيه البليغ [جعل لكم الأرض مهدا] أى كالمهد والفراش في السعة وإمكان الزراعة فيها والبناء ، حذفت منه الأداة ووجه الشبه فأصبح بليغا .

2 - الاستعارة التبعية [فأنشرنا به بلدة ميتا] شبه الأرض قبل نزول المطر بالإنسان الميت لم أنشرها الله أى أحياها بالمطر ففيه آستعارة تبعية .

3 - التأكيد بأن واللام مع صيغة المبالغة [إن الإنسان لكفوز مبين] لأن فعول وفعيل من صيغ المبالغة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4 - الأسلوب التهكمي للتوبيخ والتقريع [أم اتخذ مما يخلق بنهات وأصفاكم بالبنين] ؟ توبيخ وتقريع للمشركين ، وبين لفظ البنات والبنين طباق .

5 - المجاز المرسل [وجعلها كلمة باقية في عقبه] المراد بالكلمة الجملة التي قالها [إنني براء مما تعبدون] ففي اللفظ مجاز مرسل ، بإطلاق الجزء وإرادة الكل .

6 - الاستعارة التمثيلية [أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمى] شبه الكفار بالصم والعمي بطريق الاستعارة التمثيلية ، وهي من بديع ألفاظ الاستعارة .

7 - جناس الاشتقاق [أرسلنا من قبلك من رسلنا] لتغير الشكل وبعض الحروف بين أرسلنا . . ور سلنا .

8 - حذف الإيجاز [بصحاف من ذهب وأكواب] أى أكواب من ذهب وحذف لدلالة السابق عليه .

9 - ذكر العام بعد الخاص [وفيها ما تشتهيه الأنفس] بعد قوله [يطاف عليهم بصحاف] الآية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

10 - الطباق [أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم] بين السر ، والنجوى ، لأن المراد سرهم وعلا نيتهم .

11 - السجع الرصين غير المتكلف مثل [كذلك نخرجون] [من الفلك والأنعام ما تركبون] [وإنا إلى ربنا لمنقلبون] وغير ذلك وهو من المحسنات البديعية .

سورة الدخان

مكية وآياتها تسع وخمسون آية

بين يدي السورة

* سورة الدخان مكية وهي تتناول أهداف السور المكية (التوحيد ، الرسالة ، البعث) لترسيخ العقيدة وتثبيت دعائم الإيمان .

* ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن القرآن العظيم - المعجزة الخالدة - الباقي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وإليه يرجعون ، وقد تحدثت عن إنزال الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى له في ليلة مباركة ، من أفضل ليالي العمر هي " ليلة القدر " وبينت شرف تلك الليلة العظيمة التي تفضل وتدبر فيها أمور الخلق ، والتي اختارها الله لإنزال خاتمة الكتب السماوية ، على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (ص) [حم

* والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . .] الآيات .

* ثم تحدثت عن موقف المشركين من هذا القرآن العظيم ، وأنهم في شك وارتياب من أمره ، مع وضوح آياته ، وسطوع براهينه ؟ وأنذرتهم بالعذاب الشديد [بل هم في شك يلعبون فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين 00] الآيات .

* ثم تحدثت عن قوم فرعون ، وما حل بهم من العذاب والنكال ، نتيجة الطغيان والإجرام ، وعن الآثار التي تركوها بعد هلاكهم ، من قصور ودور ، وحدائق وبساتين ، وأنهار وعيون ، وعن ميراث بني إسرائيل لهم ، لم ما حدث لهم من تشرد وضياع ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بسبب عصيانهم لأوامر الله [كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين . .] الآيات .

* وتناولت السورة الكريمة مشركي قريش ، وإنكارهم للبعث والنشور ، واستبعادهم للحياة مرة أخرى ، ولذلك كذبوا الرسول ، وبينت أن هؤلاء المكذبين ليسوا بإكرم على الله ، ممن سبقهم من الأمم الطاغية ، وأن سنة الله لا تتخلف في إهلاك الطغاة المجرمين [أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين .] الآيات .

* وختمت السورة الكريمة ببيان مصير الأبرار ومصير الفجار ، بطريق الجمع بين الترغيب والترهيب ، والتبشير والإنذار [إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم . .] الآيات إلى نهاية السورة الكريمة .

التسمية :

سميت " سورة الدخان " لأن الله تعالى جعله آية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لتخويف الكفار ، حيث أصيبوا بالقحط والمجاعة ، بسبب تكذيبهم للرسول (ص) وبعث الله عليهم الدخان حتى كادوا يهلكون ، ثم نجاهم الله بعد ذلك ببركة دعاء النبي (ص) .

قال الله تعالى : [حم والكتاب المبين إنا انزلناه في ليلة مباركة . .] إلى قوله [وما كانوا منظرين] . من آية (1) إلى نهاية آية (29) .

اللغة :

[يفرق] يبين ويفصل

[ارتقب] انتظر

[يغشى] يغطي ويحيط

[نبطش] نأخذ بشدة وعنف

[فتنا] ابتلينا وامتحنا

[تعلوا] تتكبروآ وتتطاولوا

[عذت] استجرت والتجأت إلى الله

[أسر] سر ليلا

[رهوا] ساكنا ، والرهو عند العرب الساكن ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشاعر : والخيل تمرح رهوا في أعنتها كالطير تنجو من الشئبوب ذي البرد قال الجوهري : رها البحر أي سكن ، وجاءت الخيل رهوا أي برفق وسكينة

[منظرين] مؤخرين

[نعمة] النعمة بفتح النون من التنعيم وهو سعة العيش والراحة ، وبالكسر من المنة وهي العطية والإفضال .

سبب النزول :

عن ابن مسعود قال : إن قريشا لما استعصت على النبي (ص) دعا عليهم بسنين كسنى يوسف ، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام ، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، فأنزل الله تعالى [فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين] فأتي رسول الله (ص) فقيل يا رسول الله : استسق لمضر فإنها قد هلكت ، فاستسق فسقوا فنزلت [إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون] فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم فأنزل الله [يوم نبطش

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البطشة الكبرى إنا منتقمون] . تفسير سورة الدخان

التفسير :

[حم] الحروف المقطعة للتنبيه على إعجاز القرآن وقد تقدم

[والكتاب المبين] أي أقسم بالقرآن البين الواضح ، إلىارق بين طريق الهدى والضلال ، البين في إعجازه ، الواضح في احكامه ، وجوابه

[إنا أنزلناه في ليلة مباركة] أي أنزلنا القرآن في ليلة فاضلة كريمة ، هي " ليلة القدر " من شهر رمضان المبارك [شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن] قال ابن جزي : وكيفية إنزاله فيها إنه أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة ، ثم نزل به جبريل على النبي (ص) شيئا بعد شيء ، وقيل : المعنى ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر ، قال القرطبي : ووصف الليلة بالبركة ، لما ينزل الله فيها على عباده من البركات والخيرات والثواب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنا كنا منذرين] أي لننذر به الخلق ، لأن من شأننا وعادتنا ألا نترك الناس دون إنذار ، وتحذير من العقاب ، لتقوم الحجة عليهم

[فيها يفرق كل أمر حكيم] أي في ليلة القدر يفصل ويبين كل أمر محكم ، من أرزاق العباد وآجالهم ، وسائر أحوالهم ، فلا يبدل ولا يغير قال ابن عباس : يحكم الله أمر الدنيا إلى السنة القابلة ما كان من حياة ، أو موت ، أو رزق قال المفسرون : إن الله تعالى ينسخ من اللوح المحفوظ في ليلة القدر ، ما يكون في تلك السنة من أرزاق العباد ، وآجالهم ، وجميع أمورهم من خير وشر ، وصالح وطالح ، حتى أن الرجل ليمشي في الأسواق ، وينكح ويولد له ، وقد وقع اسمه في الموتى

[أمرا من عندنا] أي جميع ما نقدره في تلك الليلة وما نوحي به إلى الملائكة من شئون العباد ، هو أمر حاصل من جهتنا ، بعلمنا وتدبيرنا

[إنا كنا مرسلين] أي نرسل الأنبياء إلى البشر ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالشرائع الإلهية لهدايتهم وإرشادهم
[رحمة من ربك] أي من أجل الرأفة والرحمة بالعباد
قال في البحر : وضع الظاهر [ربك] موضع الضمير
" رحمة منا " إيذانا بأن الربوبية تقتضي الرحمة على
المربوبين
[إنه هو السميع العليم] أي السميع لأقوال العباد ،
العليم بأفعالهم وأحوالهم
[رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين]
أي الذي أنزل القرآن هو رب السموات الأرض ،
وخالقهما ومالكهما ومن فيهما ، إن كنتم من أهل
الإيمان واليقين
[لا إله إلا هو يحيي ويميت] أي لا رب غيره ولا
معبود بحق سواه ، لأنه المتصف بصفات الجلال
والكمال ، يحي الأموات ، ويميت الأحياء
[ربكم ورب أبائكم الأولين] أي هو خالقكم وخالق من
سبقكم من الأمم الماضين قال الرازي : والمقصود من
الآية أن المنزل إذا كان موصوفا بهذه الجلالة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والكبرياء ، كان المنزل - الذي هو القرآن - في غاية الشرف والرفعة

[بل هم في شك يلعبون] أي ليسوا موقنين فيما يظهرونه من الإيمان ، في قولهم : الله خالقنا ، بل هم في شك من أمر البعث ، فهم يلعبون ويسخرون ويهزءون قال شيخ زاده : التفت من الخطاب للغيبة فقال [بل هم في شك يلعبون] تحقيرا لشأنهم ، وإبعادا لهم عن موقف الخطاب ، لكونهم من أهل الشك والإمتراء ، وكون أفعالهم الهزء واللعب ، لعدم التفاتهم إلى البراهين القاطعة ، وعدم تمييزهم بين الحق والباطل ، والضار والنافع ، ثم لما بين أن شأنهم الحماقة والطغيان ، التفت إلى حبيبه (ص) تسلية له ، وإقناطا من إيمانهم فقال

[فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين] أي فانتظر يا محمد عذابهم يوم تأتي السماء بدخان كثيف ، بين واضح ، يراه كل أحد قال ابن مسعود : إن قريشا لما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عصت الرسول (ص) دعا عليهم فقال : " اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف " فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف ، وكان الرجل يحدث أخاه فيسمع صوته ولا يراه لشدة الدخان المنتشر بين السماء والأرض ، ثم قال ابن مسعود : (أفيكشف عنهم العذاب يوم القيامة ؟ خمس قد مضين : الدخان ، والروم ، والقمر ، والبطشة ، واللزام " وقال ابن عباس : لم يمض الدخان بل هو من أمارات الساعة ، وهو يأتي قبيل القيامة ، يصيب المؤمن منه مثل الزكام ، وينضج رءوس الكافرين والمنافقين ، حتى يصبح رأس الواحد كالرأس المشوي ، ويغدو كالسكران ، فيملأ الدخان جوفه ، ويخرج من منخريه وأذنيه ودبره [يغشى الناس هذا عذاب أليم] أي يشمل كفار قريش ويعمهم من كل جانب ويقولون حين يصيبهم الدخان : هذا عذاب أليم

[ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون] أي ويقولون مستغيثين : ربنا ارفع عنا العذاب فإننا مؤمنون بمحمد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبالقرآن إن كشفته عنا قال البيضاوي : وهذا وعد بالإيمان إن كشف العذاب عنهم

[أنى لهم الذكرى] استبعاد لإيمانهم أي من أين يتذكرون ويتعظون عند كشف العذاب

[وقد جاءهم رسول مبين] استبعاد لإيمانهم أي والحال إنه قد أتاهم رسول بين الرسالة ، مؤيد بالبينات الباهرة ، والمعجزات القاهرة ، ومع هذا لم يؤمنوا به ولم يتبعوه ؟

[ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون] أي ثم أعرضوا عنه وبهتوه ، ونسبوه إلى الجنون - وحاشاه - فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم ، أن يتأثروا بالعظة والتذكير قال الإمام الفخر : إن كفار مكة كان لهم في ظهور القرآن على محمد (ص) قولان : منهم من كان يقول : إن محمدا لتعلم هذا الكلام من بعض الناس ، ومنهم من كان يقول : إنه مجنون والجن تلقى عليه هذا الكلام حال تخبطه

[إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون] أي سنكشف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عنكم العذاب زمنا قليلا ، ثم تعودون إلى ما كنتم عليه من الشرك والعصيان قال الرازي : والمقصود التنبيه على أنهم لا يوفون بعهدهم ، وأنهم في حال العجز والخوف يتضرعون إلى الله تعالى ، فإذا زال الخوف عادوا إلى الكفر وتقليد الأسلاف قال ابن مسعود : لما كشف عنهم العذاب باستسقاء النبي (ص) عادوا إلى تكذيبه

[يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون] أي واذكر يوم نبطش بالكفار بطشتنا الكبرى انتقاما منهم ، والبطش : الأخذ بقوة وشدة قال ابن مسعود : " البطشة الكبرى " يوم " بدر " وقال ابن عباس : هي يوم القيامة قال ابن كثير : والظاهر أن ذلك يوم القيامة ، وإن كان يوم بدر يوم بطشة أيضاوقال الرازي : القول الثانى أصح لأن يوم بدر لا يبلغ هذا المبلغ الذي يوصف به هذا الوصف العظيم ، ولأن الانتقام التام إنما يحصل يوم القيامة ، ولما وصف بكونها " كبرى " وجب أن تكون أعظم أنواع البطش على الإطلاق ، وذلك إنما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يكون في القيامة. . ثم ذكر تعالى كفار قريش بما حل بالطاغين من قوم فرعون فقال

[ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون] أي ولقد اختبرنا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون وهم أقباط مصر

[وجاءهم رسول كريم] أي وجاءهم رسول شريف الحسب والنسب ، من أكرم عباد الله ، وهو موسى الكليم عليه أفضل الصلاة والتسليم

[أن أدوا إلى عباد الله] أي فقال لهم موسى : ادفعوا إلى عباد الله ، وأطلقوهم من العذاب ، يريد بني إسرائيل كقوله تعالى [فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم]

[إني لكم رسول أمين] أي إني رسول مؤتمن على الوحي غير متهم ، وأنا لكم ناصح آمين ، فاقبلوا نصحي

[وإن لا تعلوا على الله] أي لا تتكبروا على الله ، ولا تترفعوا عن طاعته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إني آتيكم بسلطان مبين] أي قد جئتكم بحجة واضحة ، وبرهان ساطع ، يعترف بهما كل عاقل

[وإني عذت بربى وربكم أن ترجمون] أي إلتجأت إليه تعالى واستجرت به من أن تقتلوني قال القرطبي : كأنهم توعدوه بالقتل فاستجار بالله

[وإن لم تؤمنوا لى فاعتزلون] أي إن لم تصدقوني ولم تؤمنوا بالله ، لأجل ما آتيتكم به من الحجة ، فكفوا عن أذاي وخلوا سبيلي قال ابن كثير : أي لا تتعرضوا لي ، ودعوا الأمر مسالمة إلى أن يقضى الله بيننا

[فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون] أي فدعا عليهم لما كذبوه قائلا : يا رب إن هؤلاء قوم مجرمون فانتقم منهم

[فأسر بعبادي ليلا إنكم متبعون] في الكلام حذف تقديره : فأوحينا إليه وقلنا له : أسر بعبادي أي اخرج ببنى إسرائيل ليلا ، فإن فرعون وقومه يتبعونكم ، ويكون ذلك سببا لهلاكهم

[واترك البحر رهوا] أي واترك البحر ساكنا منفرجا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على هيئته بعد أن تجاوزه
[إنهم جند مغرقون] أي إن فرعون وقومه يغرقون فيه قال في التسهيل : لما جاوز موسى البحر ، أراد ان يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق ، فأمره الله بأن يتركه ساكنا كما هو ليدخله فرعون وقومه فيغرقوا فيه ، وإنما أخبره تعالى بذلك ليبقى فارغ القلب من شرهم وإيذائهم ، مطمئنا إلى أنهم لن يدركوا بني إسرائيل ، ثم أخبر تعالى عن هلاكهم فقال
[كم تركوا من جنات وعيون] كم للتكثير أي لقد تركوا كثيرا من البساتين ، والحدائق الغناء ، والأنهار والعيون الجارية
[وزروع ومقام كريم] أي ومزارع عديدة فيها أنواع المزروعات ومجالس ومنازل حسنة قال قتادة :
[ومقام كريم] هي المواضع الحسان من المجالس والمساكن وغيرها
[ونعمة كانوا فيها فاكهين] أي وتنعم بالعيش مع الحسن والنضارة ، كانوا فيها ناعمين بالرفاهية وكمال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السرور قال الإمام الفخر : بين تعالى أنهم بعد غرقهم تركوا هذه الأشياء الخمسة وهي : الجنات ، والعيون ، والزروع ، والمقام الكريم - وهو المجالس والمنازل الحسنة - ونعمة العيش بفتح النون وهي حسنه ونضارته

[كذلك وأورثناها قوما آخرين] أي كذلك فعلنا بهم حيث أهلكناهم ، وأورثنا ملكهم وديارهم لقوم آخرين ، كانوا مستعبدين في يد القبط وهم بنو إسرائيل قال ابن كثير : والمراد بهم بنو إسرائيل فقد استولوا - بعد غرق فرعون وقومه - على الممالك القبطية ، والبلاد المصرية كما قال تعالى [وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها] وقال تعالى في مكان آخر [وأورثناها بني إسرائيل]

[فما بكت عليهم السماء والأرض] أي فما حزن على فقدهم أحد ، ولا تأثر بموتهم كائن من الخلق

[وما كانوا منظرين] أي وما كانوا مؤخرين وممهلين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى وقت آخر ، بل عجل عقابهم في الدنيا قال القرطبي : تقول العرب عند موت السيد منهم : بكت له السماء والأرض ، أي عمت مصيبته الأشياء حتى بكته الأرض والسماء ، والريح والبرق ، قال الشاعر : فيا شجر الخابور ما لك مورقا كأنك لم تجزع لموت طريف وذلك على سبيل التمثيل والتخييل ، مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه والمعنى : أنهم هلكوا فلم تعظم مصيبتهم ، ولم يوجد لهم فقد ، وقيل : هو على حذف مضاف أي ما بكى عليهم أهل السماء وأهل الأرض .

قال الله تعالى : [ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين . .] إلى قوله [فارتقب إنهم مرتقبون] من آية (30) إلى آية (59) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما ذكر تعالى إهلاك فرعون وقومه ، أردفه بذكر إحسانه لبني إسرائيل ، ليشكروا ربهم على إنعامه وإحسانه ، ثم حذر كفار مكة من بطش الله وانتقامه ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وختم السورة الكريمة ببيان حال الأشقياء والسعداء ، في يوم الفصل والجزاء .

اللغة :

[عاليا] متكبرا جبارا

[بلاء] اختبار وامتحان

[منشرين] مبعوثين بعد الموت ، وأنشر الله الموتى أحياهم

[قوم تبع] ملوك اليمن ، وكانوا يسمون ملوكهم التبابعة قال الجوهري : التبابعة ملوك اليمن ، وأحدهم تبع ، وقال أهل اللغة : تبع لقب للملك منهم ، كالقياصرة للروم ، والأكاسرة للفرس ، والخلفاء للمسلمين

[يوم الفصل] يوم القيامة

[مولى] قريب وناصر

[المهل] النحاس المذاب

[الأثيم] الفاجر من إثم الرجل يأثم إذا وقع في الإثم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والفجور

[اعتلوه] جروه وسوقوه بعنف وشدة

[سندس] رقيق الديباج

[استبرق] غليظ الديباج

[عين] واسعات الأعين جمع عيناء

[ارتقب] انتظر .

التفسير :

[ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين] أي والله لقد أنقذنا بني إسرائيل من العذاب الشديد ، المفرط في الإذلال والإهانة ، وهو قتل أبنائهم واستخدام نسائهم ، ثم إرهاقهم في الأعمال الشاقة

[من فرعون إنه كان عاليا من المسرفين] أي من طغيان فرعون وجبروته إنه كان متكبرا جبارا ، متجاوزا الحد في الطغيان والإجرام قال الصاوي : هذا من جملة تعداد النعم على بني إسرائيل ، والمقصود من ذلك تسليته (ص) بأنه سينجيه وقومه المؤمنين من أيدي المشركين ، فإنهم لم يبلغوا في التجبر مثل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فرعون وقومه

[ولقد أخترناهم على علم على العالمين] أي اصطفيناهم وشرفناهم على علم منا ، باستحقاقهم لذلك الشرف على جميع الناس في زمانهم قال قتادة : على أهل زمانهم ، لا على أمة محمد لقوله تعالى [كنتم خير أمة أخرجت للناس]

[وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين] أي وآتيناهم من الحجج والبراهين وخوارق العادات ما فيه اختبار وامتحان ظاهر جلى لمن تدبر وتبصر قال الرازي : والآيات مثل فلق البحر ، وتظليل الغمام ، وإنزال المن والسلوى وغيرها من الآيات الباهرة ، التي ما أظهر الله مثلها على أحد سواهم

[إن هؤلاء ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى] أي إن كفار قريش ليقولون : لن نموت إلا موتة واحدة ، وهي موتتنا الأولى في الدنيا ، وفي قوله تعالى [هؤلاء] تحقير لهم وازدراء بهم قال المفسرون : لما كان الحديث في أول السورة عن كفار مكة ، وجاءت قصة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فرعون وقومه مسوقة للدلالة على أنهم مثلهم في الإصرار على الضلالة والكفر ، رجع إلى الحديث عن كفار قريش ، والغرض من قولهم [إن هي إلا موتتنا الأولى] إنكار البعث كأنهم قالوا : إذا متنا فلا بعث ولا حياة ولا نشور ، ثم صرحوا بذلك بقولهم [وما نحن بمنشرين] أي وما نحن بمبعوثين [فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين] خطاب للرسول (ص) والمؤمنين على وجه التعجيز أي أحيوا لنا آباءنا ، ليخبرونا بصدقكم إن كنتم صادقين في أن هناك حياة بعد هذه الحياة قال الإمام الفخر : إن الكفار احتجوا على نفي الحشر والنشر بأن قالوا : إن كان البعث والنشور ممكنا معقولا ، فعجلوا لنا إحياء من مات من آبائنا ، ليصير ذلك دليلا عندنا على صدق دعواكم في البعث يوم القيامة وقال القرطبي : قائل هذا أبو جهل ، قال يا محمد : إن كنت صادقا في قولك فأبعث لنا رجلين من آبالنا أحدهما : (قصى بن كلاب) فإنه كان رجلا صادقا ، لنسأله عما يكون بعد الموت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أهم خير أم قوم تبع] استفهام إنكار مع التهديد الشديد أي أهؤلاء المشركون أقوى وأشد أم أهل سبأ ملوك اليمن ؟ الذين كانوا أكثر أموالا ، وأعظم نعيما من كفار مكة ؟

[والذين من قبلهم أهلكناهم] أي والذين سبقوهم من الأمم العاتية أهلكناهم ، وخربنا بلادهم ، وفرقناهم شذر مذر قال أبو السعود : والمراد بهم (عاد وثمود) وأضرابهم من كل جبار عنيد ، أولى بأس شديد ، فأولئك كانوا أقوى من هؤلاء ، وقد أهلكهم الله مع ما كانوا عليه ، من غاية القوة والشدة ، فإهلاك هؤلاء أولى

[إنهم كانوا مجرمين] تعليل للإهلاك أي أهكلناهم ودمرناهم بسبب إجرامهم ، وفيه وعيد وتهديد لقريش أن يفعل الله بهم ، كما فعل بقوم تبع والمكذبين . . ثم نبه تعالى إلى دلائل البعث وهو خلق العالم بالحق فقال سبحانه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين] أي وما خلقنا هذا الكون وما فيه من المخلوقات البديعة لعبا وعبثا

[ما خلقناهما إلا بالحق] أي ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات إلا بالعدل ، والحق المبين ، لنجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته

[ولكن أكثرهم لا يعلمون] اي ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك ، فينكرون البعث والجزاء ، قال المفسرون : إن الله تعالى خلق النوع الإنساني ، وخلق ما ينتظم به أسباب معاشهم ، من السقف المرفوع ، والمهاد المفروش ، وما بينهما من عجائب المصنوعات ، وبدائع المخلوقات ، ثم كلفهم بالإيمان والطاعة ، فآمن البعض وكفر البعض ، فلابد إذا من دار جزاء يثاب فيها المحسن ، ويعاقب فيها المسيء ، لتجزى كل نفس بما كسبت ، ولو لم يحصل البعث والجزاء ، لكان هذا الخلق لهوا وعبثا ، وتنزه الله عن ذلك ، ولهذا قال بعده

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين] آي أن يوم القيامة موعد حساب الخلائق أجمعين ، سمي [يوم الفصل] لأن الله تعالى يفصل فيه بين الخلق ، كما قال تعالى [يوم القيامة يفصل بينكم]

[يوم لا يغني مولى عن مولى شيأ ولا هم ينصرون] أي في ذلك اليوم الرهيب ، لا يدفع قريب عن قريبه ، ولا صديق عن صديقه ، ولا ينفع أحد أحدا ، ولا ينصره ولو كان قريبه ، كقوله [يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ، ولا مولود هو جازى عن والده شيئا]

[إلا من رحم الله] استثناء متصل أي لا يغني قريب عن قريب إلا المؤمنين ، فإنه يؤذن لهم في شفاعة بعضهم لبعض وقيل : منقطع أي لكن من رحمه الله فإنه يشفع وينفع قال ابن عباس : يريد المؤمن فإنه تشفع له الأنبياء والملائكة

[إنه هو العزيز الرحيم] أي هو المنتقم من أعدائه ، الرحيم بأوليائه . . ولما ذكر الأدلة على القيامة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أردفه بوصف ذلك اليوم العصيب ، فذكر وعيد الكفار أولا ثم وعد الأبرار ثانيا ، للجمع بين الترهيب والترغيب فقال

[إن شجرت الزقوم طعام الأثيم] أي إن هذه الشجرة الخبيثة - شجرة الزقوم - التي تنبت في أصل الجحيم ، طعام كل فاجر ، ليس له طعام غيرها قال أبو حيان : الأليم صفة مبالغة وهو الكثير الآثام ، وفسر بالمشرك

[كالمهل يغلي فى البطون] أي هي في شناعتها وفظاعتها إذا أكلها الإنسان ، كالنحاس المذاب الذي تناهى حره ، فهو يجرجر في البطن

[كغلي الحميم] أي كغليان الماء الشديد الحرارة قال القرطبي : وشجرة الزقوم هي الشجرة التي خلقها الله فى جهنم ، وسماها الشجرة الملعونة ، فإذا جاع أهل النار ألجئوا إليها فأكلوا منها ، فغلت في بطونهم كما يغلي الماء الحار ، وشبه تعالى ما يصير منها إلى بطونهم بالمهل وهو النحاس المذاب ، والمراد بالأثيم :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفاجر ذو الإثم وهو " أبو جهل " ، وذلك أنه كان يقول : يعدنا محمد أن في جهنم الزقوم ، وإنما هو الثريد بالزبد والتمر ، ثم يأتي بالزبد والتمر يقول لأصحابه : تزقموا ، سخرية واستهزاء بكلام الله ، قال تعالى

[خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم] أي يقال للزبانية : خذوا هذا الفاجر اللئيم ، فسوقوه وجروه من تلابيبه بعنف وشدة إلى وسط الجحيم

[ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم] أي ثم صبوا فوق رأس هذا الفاجر ، عذاب ذلك الحميم الذي تناهى حره

[ذق إنك أنت العزيز الكريم] أي يقال له على سبيل الاستهزاء والإهانة : ذق هذا العذاب فإنك أنت المعزز المكرم قال عكرمة : التقى النبي (ص) بأبي جهل فقال النبي (ص) : إن الله أمرني أن أقول لك [أولى لك فأولى] فقال : بأي شيء تهددنى والله ما تستطيع أنت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا ربك أن تفعلا بي شيئا ، إني لمن أعز هذا الوادي ، وأكرمه على قومه ، فقتله الله يوم بدر وأذله ، ونزلت هذه الآية

[إن هذا ما كنتم به تفترون] أي إن هذا العذاب هو ما كنتم تشكون به في الدنيا ، فذوقوه اليوم ، هل هو كما كنتم تزعمون وتقولون : إنه سحر ؟ [أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون] والجمع في الآية باعتبار المعنى لأن المراد جنس الأليم . . ولما ذكر تعالى أحوال أهل النار ، أتبعه بذكر أحوال أهل الجنة ، فقال سبحانه

[إن المتقين في مقام أمين] أي الذين اتقوا الله في الدنيا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، هم اليوم في موضع إقامة في جنات الخلد ، يأمنون فيها من الآفات والمنغصات والمكاره ، ولهذا قال بعده

[في جنات وعيون] أي في حدائق وبساتين ناضرة ، وعيون جارية

[يلبسون من سندس واستبرق] أي يلبسون ثياب الحرير ، الرقيق منه وهو (السندس) والسميك ، منه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهو (الاستبرق)
[متقابلين] أي متقابلين في المجالس ليستأنس بعضهم ببعض
[كذلك وزوجناهم بحور عين] أي كذلك أكرمناهم بأنواع الإكرام ، وزوجناهم أيضا بالحور الحسان في الجنان قال البيضاوي : أي قرناهم بالحور العين ، والحوراء : البيضاء ، والعيناء ، عظيمة العينين ، وإنما وصف تعالى نعيمهم بذلك ، لأن الجنات والأنهار من أقوى أسباب نزهة الخاطر ، وذهاب الغم ثم ذكر تعالى الحور الحسان ، لأن بها اكتمال سعادة الإنسان ، كما قيل : (ثلاثة تنفي عن القلب الحزن : الماء ، والخضرة ، والوجه الحسن) ثم زاد في بيان النعيم فقال
[يدعون فيها بكل فاكهة آمنين] أي يطلبون من الخدم إحضار جميع أنواع الفواكه في الجنة ، لأجل أنهم آمنون من التخم والأمراض ، فلا تعب في الجنة ولا وصب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى] استثناء منقطع أي لا يذوقون في الجنة الموت ، لكنهم قد ذاقوا الموتة الأولى في الدنيا ، فلم يعد ثمة موت ، بل خلود أبد الآبدين

[ووقاهم عذاب الجحيم] أي خصهم ونجاهم من عذاب جهنم العديد الأليم

[فضلا من ربك] اي فعل ذلك بهم تفضلا منه تعالى عليهم

[ذلك هو الفوز العظيم] أي ذلك الذي أعطوه من النعيم ، هو الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه

[فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون] أي فإنما سهلنا القرآن بلغتك - وهي لسان العرب - لعلهم يتعظون وينزجرون

[فارتقب إنهم مرتقبون] أي فانتظر يا محمد ما يحل بهم ، إنهم منتظرون هلاكك ، وسيعلمون لمن تكون النصرة والظفر في الدنيا والآخرة ، وفيه وعد للرسول (ص) ووعيد للمشركين الفجرة ، بما أعده الله لهم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العذاب المقيم ، في دار الجحيم.

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلى :

1 - صيغة المبالغة [السميع العليم] [العزيز الرحيم] [العزيز الكريم] .

2 - الطباق بين [يحيى ويميت] وكذلك بين [إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين] .

3 - تحريك الهمة للإيمان والتبصر [إن كنتم موقنين] .

4 - الإيجاز بحذف بعض الكلام [أن أسر بعبادي] أي وقلنا له بأن أسر .

5 - الاستعارة اللطيفة [فما بكت عليهم السماء والأرض] أي لم يتغير بهلاككم شىء ولم تحزن عليهم السماء والأرض بعد انقطاع آثارهم ، والعرب يقولون في التعظيم : بكت عليه السماء والأرض ، وأظلمت له الدنيا ، ويقولون في التحقير : مات فلان فلم تخشع له

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجبال .

6 - الأمر الذي يراد به التعجيز [فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين] .

---

7 - أسلوب التهكم والسخرية [ذق إنك أنت العزيز الكريم]

8 - التفجع وإظهار الأسى والحسرة [كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم] ؟

9 - التشبيه المرسل المجمل [كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم] .

10 - السجع الرصين غير المتكلف ، الذي يزيد في رونق الكلام وجماله اقرأ مثلا قوله تعالى [إن شجرت الزقوم طعام الأثيم . كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم 0 خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم . ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم . ذق إنك أنت العزيز الكريم] تجد فيه روعة الإبداع ، دون تكلف ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إسراف ، وهو من خصائص المحسنات البديعية في القرآن العظيم .

سورة الجاثية

مكية نزلت بعد الدخان وآياتها سبع وثلاثون آية

بين يدي السورة

* سورة الجاثية مكية ، وقد تناولت العقيدة الإسلامية في إطارها الواسع الإيمان بالله تعالى ، ووحدانيته ، والإيمان بالقرآن ، ونبوة محمد عليه السلام ، والإيمان بالآخرة والبعث والجزاء ويكاد يكون المحور الذي تدور حوله السورة الكريمة ، هو : إقامة الأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين .

*تبتدىء السورة الكريمة بالحديث عن القرآن ومصدره ، وهو الله العزيز في ملكه ، الحكيم في خلقه ، الذي أنزل كتابه المجيد رحمة بعباده ، ليكون نبراسا مضيئاآ ، ينير للبشرية طريق السعادة والخير [حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم إن في السموات والأرض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لآيات للمؤمنين 00 الآيات .
* ثم ذكرت بعض الآيات الكونية المنبثة في هذا العالم الفسيح ، ففي السموات البديعة آيات ، وفي الأرض الفسيحة آيات ، وفي خلق البشر وسائر الأنعام والمخلوقات آيات ، وفي تعاقب الليل وإلىهار ، وتسخير الرياح الأمطار آيات ، وكلها شواهد ناطقة بعظمة الله وجلاله ، وقدرته ووحدانيته ، ثم تحدثت عن المجرمين المكذبين بالقرآن ، الذين يسمعون آياته المنيرة ، فلا يزدادون إلا استكبارا وطغيانا ، وأنذرتهم بالعذاب الأليم ، في دركات الجحيم [ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها . .] الآيات .
* وتحدثت السورة عن نعم الله الجليلة على عباده ليشكروه ، ويتفكروا في آلائه التي أسبغها عليهم ، ويعلموا أن الله وحده هو مصدر هذه إلىعم ، الظاهرة والباطنة ، وإنه لا خالق ولا رازق إلا الله [الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فضله ولعلكم تشكرون . .] الآيات .
* وتحدثت عن إكرام الله لبني إسرائيل بأنواع التكريم ، ومقابلتهم ذلك الفضل والإحسان ، بالجحود والعصيان ، وذكرت موقف الطغاة المجرمين من دعوة الرسل الكرام ، وبينت أنه لا يتساوى في عدل الله وحكمته ، أن يجعل المجرمين كالمحسنين ، ولا أن يجعل الأشرار كالأبرار ، ثم بينت سبب ضلال المشركين ، وهو إجرامهم واتخاذهم الهوى إلها ومعبودا حتى طمست بصيرتهم فلم يهتدوا إلى الحق أبدا [ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم . .] الآيات .
* وختمت السورة بذكر الجزاء العادل يوم الدين ، حيث تنقسم الإنسانية إلى فريقين : فريق في الجنة ، وفريق في السعير [فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين وأما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين] الآيات إلى نهاية السورة الكريمة] .

التسمية :

سميت " سورة الجاثية " للأهوال التي يلقاها الناس يوم الحساب ، حيث تجثو الخلائق من الفزع على الركب في انتظار الحساب ، ويغشى الناس من الأهوال ما لا يخطر على البال [وترى كل أمة جاثية ، كل أمين تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون] وحقا إنه ليوم رهيب ، يشيب له الولدان ! !

قال الله تعالى : [حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . .] إلى قوله [وهدى ورحمة لقوم يوقنون] . من آية (1) إلى نهاية آية (20) .

اللغة :

[يبث] ينشر ويفرق

[تصريف] تقليب ، صرف الله الريح قلبها من جهة إلى جهة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويل] كلمة تستعمل في العذاب والدمار

[أفاك] كذاب ، والإفك : الكذب

[أثيم] كثير الإثم والإجرام

[رجز] أشد العذاب

[يصر] أصر على الشيء : عزم على البقاء عليه بقوة وشدة

[يغني] ينفع أو يدفع ومنه

[ما أغنى عني مالية]

[بصائر] دلائل ومعالم تنير للإنسان طريق الحق والهدى . تفسير سورة الجاثية

التفسير :

[حم] الحروف المقطعة للتنبيه على إعجاز القرآن

[تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم] أي هذا القرآن تنزيل من الله ، العزيز فى ملكه ، الحكيم في صنعه ، الذي لا يصدر عنه إلا كل ما فيه حكمة ومصلحة للعباد ، ثم أخبر تعالى عن دلائل الوحدانية والقدرة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقال سبحانه
[إن في السموات والأرض لأيات للمؤمنين] أي إن في خلق السموات والأرض وما فيهما من المخلوقات العجيبة ، والأحوال الغريبة ، والأمور البديعة ، لعلامات باهرة على كمال قدرة الله وحكمته ، لقوم يصدقون بوجود الله ووحدانيته
[وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون] أي وفي خلقكم أيها الناس من نطفة ثم من علقة ، متقلبة في أطوار مختلفة إلى تمام الخلق ، وفيما ينشره تعالى ويفرقه من أنواع المخلوقات التي تدب على وجه الأرض ، آيات باهرة أيضا لقوم بصدقون عن إذعان ويقين بقدرة رب العالمين
[واختلاف الليل والنهار] آي وفي تعاقب الليل والنهار ، دائبين لا يفتران ، هذا بظلامه وذاك بضيائه ، بنظام محكم دقيق
[وما أنزل الله من السماء من رزق] أي وفيما أنزله الله تبارك وتعالى من السحاب ، من المطر الذي به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حياة البشر في معاشهم وأرزاقهم قال ابن كثير :
وسمى تعالى المطر رزقا لأن به يحصل الرزق
[فأحيا به الأرض بعد موتها] أي فأحيا بالمطر
الأرض ، بعدما كانت هامدة يابسة ، لا نبات فيها ولا
زرع ، فأخرج فيها من أنواع الزروع والثمرات
والنبات
[وتصريف الرياح] أي وفي تقليب الرياح جنوبا
وشمالا ، باردة وحارة
[آيات لقوم يعقلون] أي علامات ساطعة واضحة على
وجود الله ووحدانيته ، لقوم لهم عقول نيرة وبصائر
مشرقة قال الصاوي : ذكر الله سبحانه وتعالى من
الدلائل ستة في ثلاث آيات ، ختم الأولى ب
[للمؤمنين] ، والثانية ب [يوقنون] والثالثة ب
[يعقلون] ووجه التغاير بينها في التعبير أن الإنسان
إذا تأمل في السموات والأرض ، وانه لابد لهما من
صانع آمن ، وإذا نظر في خلق نفسه ونحوها ازداد
إيمانا فأيقن ، وإذا نظر في سائر الحوادث ، كمل عقله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واستحكم علمه فعقل وتدبر

[تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق] أي هذه آيات الله وحججه وبراهينه ، الدالة على وحدانيته وقدرته ، نقصها عليك يا محمد بالحق المبين ، الذي لا غموض فيه ولا التباس

[فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون] ؟ أي وإذا لم يصدق كفار مكة بكلام الله ، ولم يؤمنوا بحججه وبراهينه ، فبأي كلام يؤمنون ويصدقون ؟ والغرض استعظام تكذيبهم للقرآن ، بعد وضوح بيانه وإعجازه

[ويل لكل أفاك أثيم] أي هلاك ودمار لكل كذاب مبالغ في اقتراف الآثام قال الرازي : وهذا وعيد عظيم ، والأفاك الكذاب ، والأثيم المبالغ في اقتراف الآثام

[يسمع آيات الله تتلى عليه] أي يسمع آيات القرآن تقرأ عليه ، وهي في غاية الوضوح والبيان

[ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها] أي ثم يدوم على حاله من الكفر ، ويتمادى في غيه وضلاله ، مستكبرا عن الإيمان بالآيات ، كأنه لم يسمعها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فبشره بعذاب أليم] أي فبشره يا محمد بعذاب شديد مؤلم ، وسماه " بشارة " تهكما بهم ، لأن البشارة هي الخبر السار قال في التسهيل : وإنما عطفه " اثم " لإستعظام الإصرار على الكفر بعد سماعه آيات الله ، واستبعاد ذلك في العقل والطبع قال المفسرون : نزلت " النضر بن لحارث " كان يشتري أحاديث الأعاجم ، ويشغل بها الناس عن استماع القرآن ، والآية عامة في كل من كان موصوفا بالصفة المذكورة

[وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا] أي إذا بلغه شيء من الآيات التي أنزلها الله على محمد (ص) سخر واستهزأ بها

[أولئك لهم عذاب مهين] أي أولئك الأفاكون المستهزءون بالقرآن ، لهم عذاب شديد مع الذل والإهانة

[من ورائهم جهنم] أي أمامهم جهنم تنتظرهم ، لما كانوا عليه من التعزز في الدنيا والتكبر عن الحق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا] أي لا ينفعهم ما ملكوه في الدنيا من المال والولد

[ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء] أي ولا تنفعهم الأصنام التي عبدوها من دون الله

[ولهم عذاب عظيم] أي ولهم عذاب دائم مؤلم قال أبو السعود : وتوسيط النفى [ولا ما اتخذوآ] مع أن عدم إغناء الأصنام ، أظهر وأجلى من عدم إغناء الأموال والأولاد ، مبنى على زعمهم الفاسد ، حيث كانوا يطمعون في شفاعتهم ، وفيه تهكم بهم)

[هذا هدى] أي هذا القرآن كامل في الهداية ، لمن آمن به واتبعه

[والذين كفروا بآيات ربهم] أي جحدوا بالقرآن مع سطوعه ، وفيه زيادة تشنيع على كفرهم به ، وتفظيع حالهم

[لهم عذاب من رجز أليم] أي لهم عذاب من أشد أنواع العذاب ، مؤلم موجع قال الزمخشري : والرجز أشد العذاب والمراد ب [آيات ربهم] القرآن . . ثم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لما توعدهم بأنواع العذاب ، ذكرهم تعالى بنعمه الجليلة ليشكروه ويوخدوه ، فقال سبحانه

[الله الذي سخر لكم البحر] أي الله تعالى بقدرته وحكمته هو الذي ذلل لكم البحر على ضخامته وعظمه

[لتجري الفلك فيه بأمره] أي لتسير السفن على سطحه بمشيئته وإرادته ، دون أن تغوص في أعماقه قال الإمام الفخر : خلق وجه الماء على الملاسة التي تجري عليها السفن ، وخلق الخشبة على وجيما تبقى طافية على وجه الماء ، دون أن تغوص فيه ، وذلك لا يقدر عليه أحد إلا الله

[ولتبتغوا من فضله] أي ولتطلبوا من فضل الله بسبب التجارة ، والغوص على اللؤلؤ والمرجان ، وصيد الأسماك وغيرها

[ولعلكم تشكرون] أي ولأجل أن تشكروا ربكم على ما أنعم به عليكم وتفضل قال القرطبي : ذكر تعالى كمال قدرته ، وتمام نعمته على عباده ، وبين أنه خلق ما خلق لمنافعهم ، وكل ذلك من فعله وخلقه ، إحسان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليهم منه وإنعام ؟

[وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه] أي وخلق لكم كل ما في هذا الكون ، من كواكب ، وجبال ، وبحار ، وأنهار ، ونبات ، وأشجار ، الجميع من فضله وإحسانه وامتنانه ، من عنده وحده جل وعلا

[إن في ذلك لأيات لقوم يتفكرون] أي إن فيما ذكر لعبرا وعظات لقوم يتأملون في بدائع صنع الله ، فيستدلون على قدرته ووحدانيته ويؤمنون به جل وعلا . . ثم لما بين تعالى دلائل التوحيد والقدرة والحكمة ، أردفه بتعليم فضائل الأخلاق ، ومحاسن الأفعال ، فقال سبحانه

[قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله] أي قل يا محمد للمؤمنين : يصفحوا عن الكفار ، ويتجاوزوا عما يصدر عنهم من الأذى ، والأفعال الموحشة قال مقاتل : شتم رجل من الكفار عمر بمكة ، فهم أن يبطش به ، فأمره الله بالعفو والتجاوز وأنزل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذه الآية ، والمراد من قوله [لا يرجون أيام الله] أي لا يخافون بأس الله وعقابه ، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة ولا بلقاء الله قال ابن كثير : أمر المسلمون أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب ، ليكون ذلك تأليفا لهم ، ثم لما اصروا على العناد ، شرع الله للمؤمنين الجلاد والجهاد

[ليجزي قوما بما كانوا يكسبون] وعيد وتهديد أي ليجازي الكفرة المجرمين بما اقترفوه من الإثم والإجرام ، والتنكير للتحقير

[من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها] أى من فعل خيرا في الدنيا فنفعه لنفسه ، ومن ارتكب سوءا وشرا فضرره عائد عليها ، ولا يكاد يسري عمل إلى غير عامله

[ثم إلى ربكم ترجعون] أي ثم مرجعكم يوم القيامة إلى الله وحده ، فيجازي كلا بعمله ، المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته . . ولما ذكر بالنعم العامة أردفه بذكر النعم الخاصة على بنى إسرائيل ، فقال سبحانه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة] أي والله لقد أعطينا بني إسرائيل التوراة ، وفصل الحكومات بين الناس ، وجعلنا فيهم الأنبياء والمرسلين [ورزقناهم من الطيبات] أي ورزقناهم من أنواع النعم الكثيرة من المآكل والمشارب ، والأقوات والثمار [وفضلناهم على العالمين] أي وفضلناهم على سائر الأمم في زمانهم قال الصاوي : والمقصود من ذلك تسليته (ص) كأنه قال : لا تحزن يا محمد على كفر قومك ، فإننا آتينا بني إسرائيل الكتاب والنعم العظيمة ، فلم يشكروا ، بل أصروا عل الكفر ، فكذلك قومك [وآتيناهم بينات من الأمر] أي وبينا لهم في التوراة أمر الشريعة ، وأمر رسالة محمد (ص) على أكمل وجه قال ابن عباس : يعني أمر النبى (ص) وشواهد نبوته بأنه يهاجر من تهامة إلى يثرب وينصره أهلها [فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم] أي فما اختلفوا في ذلك لأمر ، غلا من بعد ما جاءتهم الحجج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والبراهين ، والأدلة القاطعة على صدقه

[بغيا بينهم] أي حسدا وعنادا وطلبا للرياسة قال الإمام الفخر : والمقصود من الآية التعجب من هذه الحالة ، لأن حصول العلم يوجب ارتفاع الخلاف ، وههنا صار العلم سببا لحصول الاختلاف ، لأنه لم يكن مقصودهم نفس العلم ، وإنما المقصود منه طلب الرياسة والتقدم ، فلذلك علموا وعاندو

[إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون] أي هو جل وعلا الذي يفصل بين العباد يوم القيامة ، فيما اختلفوا فيه من أمر الدين ، وفي الآية زجر للمشركين أن يسلكوا مسلك من سبقهم من الأمم العاتية الطاغية

[ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها] اي ثم جعلناك يا محمد على طريقة واضحة ، ومنهاج سديد رشيد من أمر الدين ، فاتبع ما أوحى إليك ربك من الدين القيم

[ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون] أي لا تتبع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ضلالات المشركين قال البيضاوى : لا تتبع آراء الجهال التابعة للشهوات ، وهم رؤساء قريش حيث قالوا : ارجع إلى دين آبائك

[إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا] أي لن يدفعو عنك شيئا من العذاب إن سايرتهم على ضلالهم

[وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض] أي إن الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا ولا ولي لهم في الآخرة

[والله ولى المتقين] أي وهو تعالى ناصر ومعين المؤمنين المتقين في الدنيا والآخرة

[هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون] أي هذا القرآن نور وضياء للناس ، بمنزلة البصائر في القلوب ، وهو رحمة لمن آمن به وأيقن .

قال الله تعالى : [آم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا . .] إلى قوله [وهو العزيز الحكيم] . من آية (21) إلى نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما حكى تعالى ضلالات بني إسرائيل ، وبين أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القرآن نور وهداية لمن تمسك به ، آعقبه ببيان أنه لا يتساوى المؤمن مع الكافر ، ولا البر مع الفاجر ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ثم ذكر الأدلة على البعث والنشور .

اللغة :

[اجترحوا] اكتسبوا والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح

[غشاوة] غطاء وغشئ الشيء غطاه

[جاثية] باركة على الركب لشدة الهول جثا - يجثو إذا قعد على ركبتيه

[نستنسخ] استنسخ الشييء أمر بكتابته وتدوينه

[حاق] نزل وأحاط

[يستعتبون] يطلب منهم إرضاء ربهم يقال : استعتبته فأعتبني أى استرضيته فقبل مني عذري

[الكبرياء] العظمة والملك والجلال .

سبب النزول :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

روي أن أبا جهل طاف بالبيت ذات ليلة ومعه الوليد بن المغيرة ، فتحدثا في شأن النبى (ص) فقال أبو جهل : والله إني لأعلم أنه لصادق ، فقال له : مه ، وما دل على ذلك ؟ فقال يا أبا عبد شمس : كنا نسميه في صباه الصادق الأمين ، فلما تم عقله وكمل رشده نسميه الكذاب الخائن والله إني لأعلم أنه لصادق ، قال : فما يمنعك ان لصدقه وتؤمن به ؟ قال : تتحدث عني بنات قريش أني اتبعت يتيم آبي طالب من أجل كسرة ، واللات والعزى لاأتبعه أبدا فنزلت [أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه . .] الآية .

التفسير :

[أم حسب الذين اجترحوا السيئات] الاستفهام للإنكار والمعنى هل يظن الكفار الفجار ، الذين اكتسبوا المعاصي والآثام

[أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات] أي أن نجعلهم كالمؤمنين الأبرار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[سواء محياهم ومماتهم] أي نساوي بينهم في المحيا والممات ؟ لا يمكن أن نساوي بين المؤمنين والكفار ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، فإن المؤمنين عاشوا على التقوى والطاعة ، والكفار عاشوا على الكفر والمعصية ، وشتان بين الفريقين كقوله تعالى [أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون] قال مجاهد : المؤمن يموت مؤمنا ويبعث مؤمنا ، والكافر يموت كافرا ويبعث كافرا

[ساء ما يحكمون] أي ساء حكمهم في تسويتهم بين أنفسهم وبين المؤمنين قال ابن كثير : ساء ما ظنوا بنا وبعدلنا ، أن نساوي بين الأبرار والفجار ، فكما لا يجتبى من الشوك العنب ، كذلك لا ينال الفخار منازل الأبرار

[وخلق الله السموات والأرض بالحق] أي وخلق الله السموات والأرض بالعدل والأمر الحق ليدل بهما على قدرته ووحدانيته

[ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون] أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولكي يجزى كل إنسان بعمله ، وبما اكتسب من خير أو شر ، دون أن ينقص في ثواب المؤمن أو يزاد في عذاب الكافر قال شيخ زاده : لما خلق تعالى السموات والأرض لأجل إظهار الحق والعدل ، وكان خلقهما من جملة حكمته وعدله ، لزم من ذلك أن ينتقم من الظالم للمظلوم ، فثبت بذلك حشر الخلائق للحساب

[أفرأيت من اتخذ إلهه هواه] أي أخبرني يا محمد عن حال من ترك عبادة الله وعبد هواه ! ! قال في البحر : أي هو مطواع لهوى نفسه ، يتبع ما تدعوه إليه ، فكأنه يعبده كما يعبد الرجل إلهه قال ابن عباس : ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه ، فلا يهوى شيئا إلا ركبه

[وأضله الله على علم] أي وأضل الله ذلك الشقي ، في حال كونه عالما بالحق غير جاهل به ، فهو أشد قبحا وشناعة ممن يضل عن جهل ، لأنه تعرض عن الحق والهدى عنادا ، كقوله تعالى [وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا]

[وختم على سمعه وقلبه] أي وطبع على سمعه وقلبه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، بحيث لا يتأثر بالمواعظ ، ولا يتفكر في الآيات والنذر

[وجعل على بصره غشاوة] أي وجعل على بصره غطاء حتى لا يبصر الرشد ، ولا يرى حجة يستضيء بها

[فمن يهديه من بعد الله] ؟ أي فمن الذي يستطيع أن يهديه بعد أن أضله الله ؟ لا أحد يقدر على ذلك إلا الله

[أفلا تذكرون] أي أفلا تعتبرون أيها الناس وتتعظون ؟ قال الصاوي : وصف تعالى الكفار بأربعة أوصاف : الأول : عبادة الهوى ، الثاني : ضلالهم على علم الثالث : الطبع على أسماعهم وقلوبهم الرابع : جعل الغشاوة على أبصارهم ، وكل وصف منها مقتض للضلالة ، فلا يمكن إيصال الهدى إليهم بوجه من الوجوه . . ثم حكى تعالى عن المشركين شبهتهم في إنكار القيامة ، وفي إنكار الإله القادر العليم ، فقال سبحانه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا] أي وقال المشركون : لا حياة إلا هذه الحياة الدنيا ، يموت بعضنا ويحيا بعضنا ، ولا آخرة ، ولا بعث ، ولا نشور قال ابن كثير : هذا قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد ، ومرادهم ما ثم إلا هذه الدار ، يموت قوم ويعيش آخرون ، وليس هناك معاد ولا قيامة ، وهذا قول الفلاسفة الدهريين ، المنكرين للصانع ، المعتقدين أن كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه

[وما يهلكنا إلا الدهر] أي وما يهلكنا إلا مرور الزمان ، وتعاقب الأيام قال الرازي : يريدون أن الموجب للحياة والموت تأثيرات الطبائع وحركات الأفلاك ، ولا حاجة إلى إثبات الخالق المختار ، فهذه الطائفة جمعوا بين إنكار الإله ، وبين إنكار البعث والقيامة ، قال تعالى ردا عليهم

[وما لهم بذلك من علم] أي وليس لهم مستند من عقل او نقل ، ولذلك أنكروا وجود الله من غير حجة ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بينة

[إن هم إلا يظنون] أي ما هم إلا قوم يتوهمون ويتخيلون ، يتكلمون بالظن من غير يقين

[وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات] أي وإذا قرئت آيات القرآن على المشركين ، واضحات الدلالة على البعث والنشور

[ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين] أي ما كان متمسكهم في دفع الحق الصريح ، إلا أن يقولوا : أحيوا لنا آباءنا الأولين ، إن كان ما تقولونه حقا ، سمي قولهم الباطل (حجة) على سبيل التهكم

[قل الله يحييكم ثم يميتكم] آي قل لهم يا محمد : الله الذي خلقكم ابتداء حين كنتم نطفا هو الذي يميتكم عند انقضاء آجالكم ، لا كما زعمتم إنكم تحيون وتموتون بحكم الدهر

[ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه] أي ثم بعد الموت يبعثكم للحساب والجزاء ، كما أحياكم في الدنيا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، فإن من قدر على البدء يقدر على الإعادة ، والحكمة اقتضت الجمع للجزاء في يوم القيامة ، الذي لا شك فيه ولا ارتياب

[ولكن أكثر الناس لا يعلمون] أي ولكن اكثر الناس لجهلهم وقصورهم في النظر والتفكر ، لا يعلمون قدرة الله فينكرون البعث والجزاء . . ثم بيم إمكان الحشر والنشر ، وذكر تفاصيل آحوال يوم القيامة فقال سبحانه

[ولله ملك السموات والأرض] أي هو جل وعلا المالك لجميع الكائنات العلوية والسفلية

[ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون] أي ويوم القيامة يخسر الكافرون الجاحدون بآيات الله

[وترى كل أمة جاثية] أي وترى أيها المخاطب كل أمة من الأمم ، جالسة على الركب من شدة الهول والفزع ، كما يجثو الخصوم بين يدي الحاكم ، بهيئة الخائف الذليل قال ابن كثير : وهذا إذا جيء بجهنم فإنها تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا على ركبتيه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[كل أمة تدعى إلى كتابها] اي كل أمة من تلك الأمم ، تدعى إلى صحاف أعمالها

[اليوم تجزون ما كنتم تعملون] أي يقال لهم : في هذا اليوم الرهيب تنالون جزاء أعمالكم ، وكتابكم يشهد عليكم بالحق من غير زيادة ولا نقصان قال في التسهيل : فإن قيل : كيف أضاف الكتاب تارة إليهم وتارة إلى الله تعالى ؟ فالجواب أنه أضافه إليهم لأن أعمالهم ثابتة فيه ، وأضافه إلى الله تعالى ، لأنه مالكه وأنه هو الذي امر الملائكة أن يكتبوا [إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون] أي كنا نأمر الملائكة بكتابة أعمالكم ، وإثباتها عليكم قال المفسرون : تنسخ هنا بمعنى تكتب ، وحقيقة النسخ هو النقل من أصل إلى آخر ، قال ابن عباس : تكتب الملائكة أعمال العباد ، ثم تصعد بها إلى السماء ، فيقابل الملائكة الموكلون بديوان الأعمال ما كتبه الحفظة ، مما قد أبرز لهم من اللوح المحفوظ في كل ليلة قدر ، مما كتبه الله في القدم على العباد قبل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن يخلقهم ، فلا يزيد حرفا ولا ينقص حرفا ، فذلك هو الاستنساخ ، وكان ابن عباس يقول : ألستم عربا ، هل يكون الاستنساخ إلا من أصل ؟ ثم يبين تعالىك أحوال كل من المطيعين والعاصين فقال

[فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته] أي فأما المؤمنون الصالحون ، المتقون لله في الحياة الدنيا ، فيدخلهم الله في الجنة ، سميت الجنة رحمة لأنها مكان تنزل رحمة الله

[ذلك هو الفوز المبين] أي ذلك هو الفوز العظيم ، البين الظاهر الذي لا فوز وراءه

[وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم] أي وأما الكافرون فيقال لهم توبيخا وتقريعا : أفلم تكن الرسل تتلو عليكم آيات الله ؟

[فاستكبرتم وكنتم قوم مجرمين] أي فتكبرتم عن الإيمان بها ، وأعرضتم عن سماعها ، وكنتم قوما مغرقين في الإجرام

[وإذا قيل إن وعد الله حق] أي وإذا قيل لكم إن البعث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كائن لا محالة

[والساعة لا ريب فيها] أي والقيامة آتية لا شك في ذلك ولا ريب

[قلتم ما ندري ما الساعة] أي قلتم لغاية عتوكم : أي شيء هي ؟ أحق أم باطل ؟ قال البيبضاوي : قالوا هذا استغرابا واستبعادا وإنكارا لها

[إن نظن إلا ظنا] أي لا نصدق بها ، ولكن نسمع الناس يقولون : إن هناك آخرة فنتوهم بها توهما

[وما نحن بمستيقنين] أي ولسنا مصدقين بالآخرة يقينا ، يقولون : وهذا تأكيد منهم لإنكار القيامة

[وبدا لهم سيئات ما عملوا] أي وظهر لهم في الآخرة قبائح أعمالهم

[وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون] أي ونزل وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يستهزءون به في الدنيا

[وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا] أي ويقال لهم : اليوم نترككم في العذاب ونعاملكم معاملة الناسى ، كما تركتم الطاعة التي هي الزاد ليوم المعاد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، فلم تعملوا لآخرتكم

[ومأواكم النار] أي ومستقركم في نار جهنم

[وما لكم من ناصرين] أي وليس لكم من ينصركم ويخلصكم من عذاب الله

[ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا] أي إنما جازيناكم هذا الجزاء ، بسبب أنكم سخرتم من كلام الله واستهزأتم به

[وغرتكم الحياة الدنيا] أي خدعتكم الدنيا بزخارفها وأباطيلها ، حتى ظننتم الأ حياة سواها ، وألأ بعث ولا نشور

[فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون] أي فاليوم لا يخرجون من النار ، ولا يطلب منهم أن يرضوا ربهم بالتوبة والطاعة لعدم نفعها يومئذ

[فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين] أي فلله الحمد خاصة لا يستحق الحمد أحد سواه ، لأنه الخالق والمالك لجميع المخلوقات والكائنات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وله الكبرياء في السموات والأرض] أي وله العظمة والجلال ، والبقاء والكمال في السموات والأرض

[وهو العزيز الحكيم] أي الغالب الذي لا يغلب ، الحكيم في صنعه وفعله وتدبيره .

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

---

1 - التأكيد بإن واللام [إن في السموات والأرض لآيات] لأن المخاطبين منكرون لوحدانية الله .

2 - صيغة المبالغة [ويل لكل أفاك أثيم] لأن فعال وفعيل من صيغ المبالغة .

3 - الأسلوب التهكمي [فبشره بعذاب أليم] لأن البشارة تكون بالخير واستعمالها بالشر تهكم .

4 - المجاز المرسل [وما أنزل الله من السماء من رزق] أي مطر ، مجاز مرسل علاقته السببية لأن الرزق لا ينزل من السماء ، ولكن ينزل المطر الذي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ينشأ عنه النبات والرزق .
5 - التشبيه المرسل المجمل [بصر مستكبرا كأن لم يسمعها] أي كأنه لم يسمع آيات القرآن سماع عاقل متبصر.
6 - المبالغة بذكر المصدر [هذا هدى] كأن القرآن لوضوح حجته عين الهدى .
7 - الإطناب بتكرار اللفظ [سخر لكم البحر . . وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض] لإظهار الامتنان .
8 - طباق السلب [فأتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون] .
9 - المجاز المرسل [فيدخلهم في رحمته] أي في الجنة لأنها مكان تنزل رحمة الله .
10 - الطباق بين [من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها] وبين [نموت ونحيا] وبين [يحييكم ثم يميتكم] .
11 - الاستعارة التصريحية [هذا كتابنا ينطق عليكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالحق] أي يشهد عليكم ، والاستعارة هنا أبلغ من الحقيقة ، لأن شهادة الكتاب ببيانه أقوى من شهادة الإنسان بلسانه . 1

12 - الالتفات [فاليوم لا يخرجون منها] فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة لإسقاطهم من رتبة الخطاب . 1

13 - الاستعارة التمثيلية [فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا] مثل تركهم في العذاب ، بمن حبس في مكان ثم نسيه السجان من الطعام والشراب حتى هلك ، بطريق الاستعارة التمثيلية ، والمراد من الآية نترككم في العذاب ونعاملكم معاملة الناسي ، لأن الله تعالى لا ينسئ ولا يعرض عليه النسيان .

سورة الأحقاف

مكية وآياتها خمس وثلاثون آية

بين يدي السورة

* هذه السورة مكية وأهدافها نفس أهداف السور المكية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، العقيدة في أصولها الكبرى (الوحدانية ، الرسالة ، البعث والجزاء) ومحور السورة الكريمة يدور حول " الرسالة والرسول " لإثبات صحة رسالة محمد (ص) وصدق القرآن .

* تحدثت السورة في البدء عن القرآن العظيم ، المنزل من عند الله بالحق ، ثم تناولت الأوثان التي عبدها المشركون ، وزعموا أنها آلهة مع الله تشفع لهم عنده ، فبينت ضلالهم وخطأهم في عبادة ما لا يسمع ولا ينفع ، لم تحدثت عن شبهة المشركين حول القرآن ، فردت على ذلك بالحجة الدامغة ، والبرهان الناصع .

* ثم تناولت نموذجين من نماذج البشرية في هدايتها وضلالها ، فذكرت نموذج (الولد الصالح) المستقيم في فطرته ، البار بوالديه ، الذي كلما زادت سنه وتقدم في العمر ، ازداد تقى وصلاحا وإحسانا لوالديه . .

ونموذج (الولد الشقي) المنحرف عن الفطرة ، العاق لوالديه ، الذي يهزأ ويسخر من الإيمان والبعث والنشور ومال كل منهما .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* ثم تحدثت السورة عن قصة " هود " عليه السلام مع قومه الطاغين " عاد " الذين طغوا في البلاد ، واغتروا بما كانوا عليه من القوة والجبروت ، وما كان من نتيجتهم حيث أهكلهم الله بالريح العقيم ، تحذيرا لكفار قريش في طغيانهم واستكبارهم على أوامر الله وتكذيبهم للرسول (ص).

* وختمت السورة الكريمة بقصة النفر من الجن الذين استمعوآ إلى القرآن وآمنوا به ثم رجعوا منذرين إلى قومهم يدعونهم إلى الإيمان ، تذكيرا للمعاندين من الإنس بسبق الجن لهم إلى الاسلام .

التسمية :

سميت " سورة الأحقاف " لأنها مساكن عاد الذين أهلكهم الله بطغيانهم وجبروتهم ، وكانت مساكنهم بالأحقاف من أرض اليمن [واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف . .] الآية .

اللغة :

[شرك] شركة ونصيب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أثارة] بقية من الشيء

[تفيضون] الإفاضة في الشيء : الخوض فيه والاندفاع يقال : أفاضوا في الحديث اندفعوا فيه ، وأفاض الناس من عرفات أي دفعوا منها

[بدعا] البدع بالكسر الشيء المبتدع قال الرازي : والبدع والبديع من كل شيء المبدع ، والبدعة ما اخترع مما لم يكن موجودا قبله بحكم السنة

[إفك] كذب

[كرها] بكره ومشقة

[فصاله] فطامه

[أوزعني] ألهمني

[أف] كلمة تضجر وتبرم

[خلت] مضت . تفسير سورة الأحقاف

التفسير :

[حم] الحروف المقطعة للتنبيه على إعجاز القرآن ، وأنه منظوم من أمثال هذه الحروف الهجائية

[تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم] أي هذا الكتاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المجيد منزل من عند الإله العزيز في ملكه ، الحكيم في صنعه

[ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق] أي ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات عبثا ، وإنما خلقناهما خلقا متلبسا بالحكمة ، لندل على وحدانيتنا وكمال قدرتنا

[وأجل مسمى] أي وإلى زمن معين هو زمن فنائهما يوم القيامة [يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار

[والذين كفروا عما إنذروا معرضون] أي وهؤلاء الكفار معرضون عما خوفوا به من العذاب ومن أهوال الآخرة ، لا يتفكرون فيه ولا يستعدون له . . ثم لما بين وجود الإله العزيز الحكيم رد على عبده الأصنام فقال سبحانه :

[قل أرأيتم ما تدعون من دون الله] آي قل يا محمد لهؤلاء المشركين : أخبرونى عن هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله ، وتزعمون أنها آلهة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أروني ماذا خلقوا من الأرض] ؟ أي أرشدوني واخبروني أى شيىء خلقوا من أجزاء الأرض ، ومما على سطحها من إنسان أو حيوان ؟
[أم لهم شرك في السموات] ؟ أي أم لهم مشاركة ونصيب مع الله في خلق السموات

[ائتوني بكتاب من قبل هذا] أي هاتوا كتابا من الكتب المنزلة من عند الله من قبل هذا القرآن يأمركم بعبادة هذه الأصنام ؟ وهو أمر تعجيز لأنهم ليس لهم كتاب يدل على الإشراك بالله ، بل الكتب كلها ناطقة بالتوحيد
[أو أثارة من علم] أي أو بقية من علم من علوم الأولين شاهدة بذلك
[إن كنتم صادقين] أي إن كنتم صادقين في دعواكم أنها شركاء مع الله قال في البحر : طلب منهم أن يأتوا بكتاب واحد ، يشهد بصحة ما هم عليه من عبادة غير الله ، أو بقية من علوم الأولين ، والغرض توبيخهم لأن كل كتب الله المنزلة ناطقة بالتوحيد وإبطال الشرك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، فليس لهم مستند من نقل أو عقل . . ثم أخبر تعالى عن ضلال المشركين فقال سبحانه

[ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة] ؟ أي لا أحد أضل وأجهل ممن يعبد أصناما لا تسمع دعاء الداعين ، ولا تعلم حاجات المحتاجين ، ولا تستجيب لمن ناداها أبدا لأنها جمادات لا تسمع ولا تعقل

[وهم عن دعائهم غافلون] أى وهم لا يسمعون ولا يفهمون دعاء العابدين ، وفيه تهكم بها وبعبدتها ، وغنما ذكر الأصنام بضمير العقلاء ، لأنهم لما عبدوها ونزلوها منزلة من يضر وينفع ، صح أن توصف بعدم الاستجابة ، وبعدم السمع والنفع ، مجاراة لزعم الكفار

[وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء] أي وإذا جمع الناس للحساب يوم القيامة ، كانت الأصنام أعداء لعابديها يضرونهم ولا ينفعونهم

[وكانوا بعبادتهم كافرين] أي وتتبرأ الأصنام من الذين عبدوها قال المفسرون : إن الله تعالى يحي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأصنام يوم القيامة ، فتتبرأ من عابديها وتقول [تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون] وهذه الآية كقوله تعالى [كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا] والله على كل شيء قدير

[وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات] أي وإذا قرأت عليهم آيات القرآن واضحات ظاهرات أنها من كلام الله

[قال الذين كفروا للحق لما جاءهم] أي قال الكافرون عن القرآن الحق الذي جاءهم من عند الله

[هذا سحر مبين] أي هذا سحر لا شبهة فيه ظاهر كونه سحرا ، وإنما وضع الظاهر [آلذين كفروا] موضع الضمير " قالوا " تسجيلا عليهم بكمال الكفر والضلالة قال في البحر : وفي قوله [لما جاءهم] تنبيه على أنهم لم يتأملوا ما يتلى عليهم ، بل بادروا أول سماعه إلى نسبته إلى السحر ، عنادا وظلما ، ووصفوه بأنه [مبين] أي ظاهر إنه سحر لا شبهة فيه

[أم يقولون افتراه] أي هل يقولون اختلق محمد هذا القرآن وافتراه من تلقاء نفسه ؟ وهو إنكار توبيخي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا] آي قل إن افتريته - على سبيل الفرض - فالله حسبي في ذلك وهو الذي يعاقبني على الافتراء عليه ، ولا تقدرون أنتم على أن تردوا عني عذاب الله ، فكيف أفتريه من أجلكم وأتعرض لعقابه ؟

[هو أعلم بما تفيضون فيه] أي هو جل وعلا أعلم بما تخوضون في القرآن وتقدحون به ، من قولكم هو شعر ، هو سحر ، هو افتراء ، وغير ذلك من وجوه الطعن

[كفى به شهيدا بيني وبينكم] اي كفى أن يكون تعالى شاهدا بيني وبينكم ، يشهد لي بالصدق والتبليغ ، ويشهد عليكم بالجحود والتكذيب

[وهو الغفور الرحيم] أي وهو الغفور لمن تاب ، الرحيم بعباده المؤمنين قال أبو حيان : وفيه وعد لهم بالغفران والرحمة إن رجعوا عن الكفر ، واشعار بحلمه تعالى عليهم ، إذ لم يعاجلهم بالعقوبة

[قل ما كنت بدعا من الرسل] أي لست أول رسول طرق العالم ، ولا جئت بأمر لم يجيء به أحد قبلي ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بل جئت بما جاء به ناس كثيرون قبلي ، فأى شيء تنكرون ذلك على ؟ والبدع والبديع من الأشياء هو الذي لم ير مثله قال ابن كثير : أي ما أنا بالأمر الذي لا نظير له ، حتى تستنكروني وتستبعدوا بعثتي إليكم ، فقد أرسل الله قبلي جميع الأنبياء إلى الأمم

[وما أدري ما يفعل بي ولا بكم] أي ولا أدري بما يقضي الله على وعليكم ، فإن قدر الله مغيب
[إن أتبع إلا ما يوحى إلى] أي لا أتبع إلا ما ينزله الله على من الوحي ، ولا ابتدع شيئا من عندي
[وما أنا إلا نذير مبين] أي وما انا إلا رسول منذر لكم من عذاب الله ، بين الإنذار بالشواهد الظاهرة ، والمعجزات الباهرة
[قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به] أي قل يا محمد : أخبروني يا معشر المشركين إن كان هذا القرآن كلام الله حقا ، وقد كذبتم به وجحدتموه ! !
وجوابه محذوف تقديره : كيف يكون حالكم ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم] أي وقد شهد رجل من علماء بني إسرائيل على صدق القرآن ، فآمن به واستكبرتم أنتم عن الإيمان ، كيف يكون حالكم ، ألستم أضل الناس ؟ قال الزمخشري : وجواب الشرط محذوف تقديره : إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ؟ ودل على هذآ المحذوف قوله تعالى

[إن الله لا يهدي القوم الظالمين] أي لا يوفق للخير والإيمان من كان فاجرا ظالما قال المفسرون : والشاهد من بني إسرائيل هو (عبد الله بن سلام) رئيس أحبار اليهود ، وسيدهم وأعلمهم ، وذلك حين قدم رسول الله (ص) المدينة جاء إليه ابن سلام ليمتحنه ، فلما نظر إلى وجهه علمه إنه ليس بوجه كذاب ، وتأمله فتحقق أنه هو النبي المنتظر ، فقال له : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه ؟ فلمأ أجابه (ص)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال : أشهد أنك رسول الله حقا . فآمن به (ص) وحسن إسلامه ، وقصته مشهورة ، وكان (ص) يثني عليه ويقول : من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى عبد الله بن سلام . . إلخ ثم رد تعالى على شبهة أخرى من شبه المشركين فقال

[وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه] أي وقال كفار مكة في حق المؤمنين : لو كان هذا القرآن والدين خيرا ، ما سبقنا إليه هؤلاء الفقراء الضعفاء! ! قال ابن كثير : يعنون " بلالا " و " عمارا " و " صهيبا ، و " خباباً " وأشباههم من المستضعفين والعبيد والإماء من أسلم وآمن بالنبي (ص)

[وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم] أي ولما لم يهتدوا بالقرآن مع وضوح إعجازه ، قالوا هذا كذب قديم مأثور عن الأقدمين ، أتى به محمد ونسبه إلى الله تعالى

[ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة] أي ومن قبل القرآن التوراة التي أنزلها الله على موسى قدوة يؤتم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بها في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالإمام ، ورحمة لمن آمن بها وعمل بما فيها قال الإمام الفخر : ووجه تعلق الآية بما قبلها أن المشركين طعنوا في صحة القرآن ، وقالوا لو كان خيرا ما سبقنا إليه هؤلاء الضعفاء الصعاليك ، فرد الله عليهم بأنكم لا تنازعون أن الله أنزل التوراة على موسى ، وجعل هذا الكتاب - التوراة - إماما يقتدى به ، ثم إن التوراة مشتملة على البشارة بمحمد (ص) فإذا سلمتم كونها من عند الله ، فاقبلوا حكمها بأن محمدا (ص) رسول حقا من عند الله [وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا] أي وهذا القرآن كتاب عظيم الشأن ، مصدق للكتب قبله بلسان عربي فصيح ، فكيف ينكرونه وهو أفصح بيانا ، وأظهر برهانا ، وأبلغ إعجازا من التوراة

[لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين] أي ليخوف كفار مكة الظالمين من عذاب الجحيم ، ويبشر المؤمنين المحسنين بجنات النعيم . . ولما بين تعالى أحوال المشركين المكذبين بالقرآن ، أردفه بذكر أحوال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المؤمنين المستقيمين على شريعة الرحمن ، فقال سبحانه :
[إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا] أي جمعوا بين الإيمان والتوحيد والاستقامة على شريعة الله
[فلا خوف عليهم] أي فلا يلحقهم مكروه في الآخرة يخافون منه

[ولا هم يحزنون] أي ولا هم يحزنون على ما خلفوا في الدنيا
[أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها] أي أولئك المؤمنون المستقيمون في دينهم ، هم أهل الجنة ماكثين فيها أبدا
[جزاء بما كانوا يعملون] أي نالوا ذلك النعيم جزاء لهم على أعمالهم الصالحة
[ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا] لما كان رضا الله في رضا الوالدين ، وسخطه في سخطهما ، حث تعالى العباد عليه ، والمعنى : أمرنا الإنسان أمرا جازما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مؤكدا ، بالإحسان إلى الوالدين ، ثم بين السبب فقال
[حملته أمه كرها ووضعته كرها] أي حملته بكره
ومشقة ، ووضعته بكره ومشقة
[وحمله وفصاله ثلاثون شهرا] أي ومدة حمله
ورضاعه عامان ونصف ، فهي لا تزال تعاني التعب
والمشقة طيلة هذه المدة قال ابن كثير : أي قاست
بسببه في حال حمله مشقة وتعبا ، من وحم ، وغثيان ،
وثقل ، وكرب إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من
التعب والمشقة ، ووضعته بمشقة ايضا من الطلق
وشدته ، وقد استدل العلماء بهذه الآية مع التى في
لقمان [وفصاله في عامين] على أن أقل مدة الحمل
ستة أشهر ، وهو استنباط قوي صحيح
[حتى إذا بلغ أشده] أي حتى إذا عاش هذا الطفل
وبلغ كمال قوته وعقله
[وبلغ أربعين سنة] أي استمر في الشباب والقوة حتى
بلغ اربعين سنة ، وهو نهاية اكتمال العقل والرشد
((قال العلماء : ولذلك لم يبعث نبى قبل الأربعين من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العمر)).

[قال ربى أوزعني أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى] أي قال رب ألهمني شكر نعمتك ، التي أنعمت بها على وعلى والدي حتى ربياني صغيرا

[وأن أعمل صالحا ترضاه] أي ووفقني لكي أعمل عملا صالحا يرضيك عني

[وأصلح لي في ذريتي] أي اجعل في ذريتي ونسلي أناسا صالحين قال شيخ زاده : طلب هذا الداعي من الله ثلاثة أشياء : الأول : أن يوفقه الله للشكر على النعمة والثانى : أن يوفقه للإتيان بالطاعة المرضية عند الله والثالث : أن يصلح له في ذريته ، وهذه كمال السعادة البشرية

[إني تبت إليك وإني من المسلمين] أي إني يا رب تبت إليك من جميع الذنوب ، وإني من المستمسكين بالإسلام قال ابن كثير : وفي الآية إرشاد لمن بلغ الأربعين من العمر ، أن يجدد التوبة والإنابة إلى الله عز وجل ويعزم عليها ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا] أي أولئك الموصوفون بما ذكر نتقبل منهم طاعاتهم ونجازيهم على أعمالهم بأفضلها

[ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة] أي ونصفح عن خطيئاتهم وزلاتهم ، في جملة أصحاب الجنة الذين نكرمهم بالعفو والغفران

[وعد الصدق الذي كانوا يوعدون] أي بذلك الوعد الصادق الذي وعدناهم به ، على ألسنة الرسل الكرام ، بأن نتقبل من محسنهم ونتجاوز عن مسيئهم . . ولما مثل تعالى لحال الإنسان البار بوالديه ، وما يئول إليه حاله من الخير والسعادة ، مثل لحال الإنسان العاق لوالديه ، وما يئول إليه أمره من الشقاوة والتعاسة ، فقال سبحانه

[والذي قال لوالديه أف لكما] أي وأما الولد الفاجر الذي يقول لوالديه إذا دعواه إلى الإيمان : أف لكما أي قبحا لكما على هذه الدعوة

[أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي] ؟ أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أتعدانني أن أبعث بعد الموت ، وقد مضت قرون من الناس قبلي ، ولم يبعث منهم أحد ؟

[وهما يستغيثان الله ويلك آمن] أي وأبواه يسألان الله أن يغيثه ويهديه للإسلام ، قائلهين له : ويلك آمن بالله وصدق بالبعث والنشور ، وإلا هلكت

[إن وعد الله حق] أي وعد الله صدق لا خلف فيه

[فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين] أي فيقول ذلك الشقي : ما هذا الذي تقولان من أمر البعث ، إلا خرافات وأباطيل السابقين ، سطرها الأولون في الكتب مما لا أصل له ، قال تعالى

[أولئك الذين حق عليهم القول] أي أولئك المجرمون هم الذين حق عليهم قول الله ، بأنهم أهل الجحيم قال القرطبي : أي وجب عليهم العذاب وهي كلمة الله كما في الحديث (هؤلاء في النار ولا أبالي)

[في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس] أي في جملة أمم من أصحاب النار ، قد مضت قبلهم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكفرة الفجار ، من الجن والإنس

[إنهم كانوا خاسرين] أي كانوا كافرين لذلك ضاع سعيهم وخسروا آخرتهم ، وهو تعليل لدخولهم جهنم قال الإمام الفخر : قال بعضهم : إن الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قبل إسلامه ، والصحيح أنه لا يراد بالآية شخص معين ، بل المراد منها كل من كان موصوفا بهذه الصفة ، وهو كل من دعاه أبواه إلى الدين الحق فأباه وأنكره ، ويدل عليه أن الله تعالى وصف هذا الذي قال لوالديه [أف لكما] بأنه من الذين حق عليهم القول بالعذاب ، ولا شك أن (عبد الرحمن) آمن وحسن إسلامه ، وكان من سادات المسلمين ، فبطل حمل الآية عليه ((وهذا اختيار المحققين من المفسرين كابن كثير والقرطبي وابي السعود وصاحب البحر المحيط ، وهو يرد على الرواية التي ذكرها البخاري في صحيحه أن (مروان) استعمله معاوية على الحجاز ، فخطب فى الناس يدعوهم إلى البيعة (ليزيد بن معاوية) لكي يبايع له بعد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أبيه ، فعارضه عبد الرحمن وقال له : أجعلتموها هرقلية ! ! فقال مروان للجنود : خذوه - أي اقبضوا عليه - فدخل بيت أخته " عائشة " رضى الله عنها ، فلم يستطيعوا إمساكه ، فقال عند ذلك مروان : إن هذا الذي أنزل الله فيه {والذي قال لوالديه أف لكما} فسمعته عائشة من وراء الحجاب ، فكذبته وقالت : " ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن ، إلا أن الله أنزل براءتي " ! !)).

[ولكل درجات مما عملوا] أي لكل من المؤمنين والكافرين مراتب ومنازل بحسب أعمالهم ، فمراتب المؤمنين في الجنة عالية ، ومراتب الكافرين في جهنم سافلة

[وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون] أي وليعطيهم جزاء أعمالهم وافية كاملة ، المؤمنون بحسب الدرجات ، والكافرون بحسب الدركات ، من غير نقصان بالثواب ، ولا زيادة في العقاب .

قال الله تعالى : [ويوم يعرض الذين كفروا على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النار . .] إلى قوله [فهل يهلك إلا القوم الفاسقون]
من آية (20) إلى آية (39) نهاية السورة .
المناسبة :
لما ذكر تعالى أحوال بعض الأشقياء ، أعقبه بذكر حال الكفار الفجار في الآخرة ، ثم ذكر قصة عاد الذين أهلكهم الله بطغيانهم مع ما كانوا عليه من القوة والشدة ، تذكيرا لكفار قريش بعاقبة التكذيب والطغيان ، وختم السورة الكريمة بقصة النفر من الجن الذين آمنوا بالقرآن حين سمعوه ودعوا قومهم إلى الإيمان بالله الواحد الأحد .
اللغة :
[الهون] الهوان والذل
[آلأحقاف] الرمال العظيمة جمع حقف وهو ما استطال من الرمل العظيم واعوخ ، والأحقاف ديار عاد
[لتأفكنا] لتصرفنا وتزيلنا ، والإفك : الكذب
[عارضا] سحابا يعرض في الأفق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[تدمر] تهلك ، والتدمير الهلاك وكذلك الدمار

[صرفنا] بعثنا ووجهنا

[يعى] يضعف ويعجز من الإعياء وهو التعب والعجز.

التفسير :

[ويوم يعرض الذين كفروا على النار] أي وذكرهم يا أيها الرسول يوم يكشف الغطاء عن نار جهنم ، وتبرز للكافرين فيقربون منها وينظرون إليها

[أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا] في الكلام حذف أي ويقال لهم تقريعا وتوبيخا : أذهبتم طيباتكم أي لقد نلتم وأصبتم لذائذ الدنيا وشهواتها ، فلم يبق لكم نصيب اليوم في الآخرة قال في البحر : والطيبات هنا المستلذات من المآكل والمشارب ، والملابس والمفارش ، والمراكب والمواطىء ، وغير ذلك مما يتنعم به أهل الرفاهية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[واستمتعتم بها] أي وتمتعتم بتلك اللذائذ والطيبات في الدنيا قال المفسرون : المراد بالآية إنكم لم تؤمنوا حتى تنالوا نعيم الآخرة ، بل اشتغلتم بشهوات الدنيا ولذائذها ، عن الإيمان والطاعة ، وافنيتم شبابكم في الكفر والمعاصي ، وآثرتم الفاني على الباقي ، فلم يبق لكم بعد ذلك شيء من النعيم ، ولهذا قال بعده

[فاليوم تجزون عذاب الهون] أي ففي هذا اليوم - يوم الجزاء - تنالون عذاب الذل والهوان

[بما كننم تستكبرون في الأرض بغير الحق] أي بسبب استكباركم في الدنيا عن الإيمان وعن الطاعة

[وبما كنتم تفسقون] أي وبسبب فسقكم وخروجكم عن طاعة الله ، وارتكاب الفجور والآثام قال الإمام الفخر : وهذه الآية لا تدل على المنع من التنعم ، لأن هذه الآية وردت في حق الكافر ، وإنما وبخ الله الكافر ، لأنه يتمتع بالدنيا ولا يؤدى شكر المنعم ، بطاعته والإيمان به ، وأما المؤمن فإنه يؤدى بإيمانه شكر المنعم فلا يوبخ بتمتعه ، ودليله قوله تعالى [قل من حرم زينة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق] ! ! نعم لا ينكر أن الاحتراز عن التنعم أولى ، وعليه يحمل قول عمر : (لو شئت لكتمت أطيبكم طعاما ، وأحسنكم لباسا ، ولكنى استبقي طيباتي لحياتي الآخرة) وقال في التسهيل : الآية في الكفار بدليل قوله تعالى [ويوم يعرض الذين كفروا] وهي مع ذلك واعظة لأهل التقوى من المؤمنين ، ولذلك قال عمر لجابر بن عبد الله - وقد رآه اشترى لحما : أو كلما اشتهى أحدكم شيئا جعله في بطنه ! أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية ؟ ممن قال الله فيهم [أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا]

[واذكر أخا عاد] أي اذكر يا محمد لهؤلاء المشركين قصة نبي الله (هود) عليه السلام مع قومه عاد ليعتبروا بها

[إذ أنذر قومه بالأحقاف] أي حين حذر قومه من عذاب الله أن لم يؤمنوا ، وهم مقيمون بالأحقاف - وهي تلال عظيمة من الرمل في بلاد اليمن - قال ابن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كثير : الأحقاف جمع حقف وهو الجبل من الرمل ، قال قتادة : كانوا حيا باليمن أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها : الشحر

[وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه] أي وقد مضت الرسل بالإنذار ، من قبل هود ومن بعده ، والجملة اعتراضية وهي اخبار من الله تعالى أنه قد بعث رسلا متقدمين قبل هود وبعده

[ألا تعبدوا إلا الله] أي حذرهم هود عليه السلام قائلا لهم : بأن لا تعبدوا إلا الله

[إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم] أي إني أخاف عليكم إن عبدتم غير الله ، عذاب يوم هائل شديد ، وهو يوم القيامة

[قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا] أي قالوا جوابا لإنذاره : أجئتنا يا هود لتصرفنا عن عبادة آلهتنا ؟ وهو استفهام ، يراد منه التسفيه والتجهيل لما دعاهم إليه

[فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين] أي فأتنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالعذاب الذي وعدتنا به ، إن كنت صادقا فيما تقول

قال ابن كثير : استعجلوا عذاب الله وعقوبته ، استبعادا منهم لوقوعه

[قال إنما العلم عند الله] أي قال لهم هود : ليس علم وقت العذاب عندي إنما علمه عند الله

[وأبلغكم ما أرسلت به] أي وإنما أنا مبلغ ما أرسلني به الله إليكم

[ولكنى أراكم قوما تجهلون] أي قوما جهلة سفهاء ، لا تعرفون عقاب الله ، ولذلك تستعجلون العذاب

[فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم] أي فلما رأوا السحاب معترضا في أفق السماء ، متجها نحو أوديتهم استبشروا به

[قالوا هذا عارض ممطرنا] أي وقالوا هذا السحاب يأتينا بالمطر قال المفسرون : كانت عاد قد أبطأ عنهم المطر ، وقحطوا مدة طويلة من الزمن ، فلما رأوا ذلك السحاب العارض ظنوا أنه مطر ففرحوا به واستبشروا وقالوا : هذا عارض ممطرنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[بل هو ما استعجلتم به] أي قال لهم هود : ليس الأمر كما زعمتم أنه مطر ، بل هو ما استعجلتم به من العذاب ، ثم فسره بقوله

[ريح فيها عذاب أليم] أي هو ريح عاصفة مدمرة ، فيها عذاب فظيع مؤلم

[تدمر كل شيء بأمر ربها] أي تخرب وتهلك كل شيء أتت عليه ، من رجال ومواش وأموال ، بأمره تعالى وإذنه قال ابن عباس : أول ما جاءت الريح على قوم عاد ، كانت تأتي على الرجال والمواش فترفعهم من الأرض ، فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم ، فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم ، فهي التى قال الله فيها

[تدمر كل شيء بأمر ربها] أي تدمر كل شيء مرت عليه من رجال عاد وأموالها ، والتدمير الهلاك ، وفي الحديث عن عائشة قالت : (كان (ص) إذا رأى غيما أو ريحا عرف في وجهه ، فقلت يا رسول الله : الناس إذا رأوا الغيم فرحوا ، رجاء أن يكون فيه المطر ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية ؟ فقال يا عائشة : ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب ، عذب قوم بالريح ، وقد رأى قوم العذاب فقالوا [هذا عارض ممطرنا]

[فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم] أي فأصبحوا هلكى لا ترى إلا مساكنهم ، لأن الريح لم تبين منهم إلا الآثار ، والديار خاوية

[كذلك نجزى القوم المجرمين] أي بمثل هذه العقوبة الشديدة نعاقب من كان عاصيا مجرما قال الرازي : والمقصود منه تخويف أهل مكة ، ولهذا قال بعده

[ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه] " إن " نافية بمعنى " ما " أي ولقد مكنا عادا في الذي لم نمكنكم فيه يا أهل مكة ، من القوة ، والسعة ، وطول الأعمار ، وهو خطاب لكفار مكة على وجه التهديد ((ذهب بعض المفسرين إلى أن " إن " زائدة والمعنى ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه أي في مثل الذي مكناكم فيه ، والأول ارجح لأن المقصود أنهم كانوا أقوى منكم ومع ذلك ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نجوا من عقاب الله فكيف يكون حالكم ؟ وإنما لم يؤت ب " ما " فيقال : فيما ما مكناكم فيه ، دفعا لثقل التكرار ؟)).

[وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة] أي وأعطيناهم الأسماع والأبصار والقلوب ، ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على الخالق المنعم

[فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء] أي فما نفعتهم تلك الحواس أي نفع ، ولا دفعت عنهم شيئا من عذاب الله قال الإمام الفخر : المعنى أنا فتحنا عليهم أبواب النعم : أعطيناهم سمعا فما استعملوها في تأمل العبر ، وأعطيناهم أفئدة فما استعملوها في طلب معرفة الله ، بل صرفوا كل هذه القوى إلى طلب الدنيا ولذاتها ، فلا جرم أنها لم تغن عنهم من عذاب الله شيئا

[إذ كانوا يجحدون بآيات الله] تعليل لما سبق أي لأنهم كانوا يكفرون وينكرون آيات الله المنزلة على رسله ويكذبون رسله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون] أي ونزل وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلون به بطريق الاستهزاء

[ولقد أهلكنا من حولكم من القرى] تخويف آخر لكفار مكة أي ولقد أهلكنا القرى المجاورة لكم يا أهل مكة والمحيطة بكم ، كقرى عاد وثمود وسبأ وقوم لوط ، والمراد بإهلاك القرى إهلاك أهلها

[وصرفنا الأيات لعلهم يرجعون] أي وكررنا الحجج والدلالات ، والمواعظ والبينات ، أوضحناها وبيناها لهم ، لعلهم يرجعون عن كفرهم وضلالهم ! !

[فلولا نصرهم الذين اتخدوا من دون الله قربانا آلهة] أي فهلا نصرتهم آلهتهم التي تقربوا بها إلى الله بزعمهم ، وجعلوها شفعاءهم لتدفع عنهم العذاب ؟ " لولا " تحضيضية بمعنى هلا ومعناها النفي أي هلا نفعتهم آلهتهم التي عبدوها من دون الله ؟ أنها لم تنصرهم ولم تدفع عنهم عذاب الله

[بل ضلوا عنهم] أي غابوا عن نصرتهم وهم أحوج ما يكونون إليهم ، فإن الصديق وقت الضيق ، قال ابو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السعود : وفي الآية تهكم بهم ، كأن عدم نصرهم كان لغيبتهم

[وذلك إفكهم وما كانوا يفترون] أي وذلك الذي أصابهم هو كذبهم وافتراؤهم على الله ، حيث زعموا أن الأصنام شركاء لله وشفعاء لهم عند الله

[وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن] أي واذكر يا أيها الرسول حين وجهنا إليك وبعثنا جماعة من الجن ليستمعوا القرآن قال البيضاوى : والنفر دون العشرة ، روي أنهم وافوا رسول الله (ص) بوادي النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ في تهجده القرآن

[فلما حضروه قالوا أنصتوا] أي فلما حضروا القرآن عند تلاوته ، قال بعضهم لبعض : اسكتوا لإستماع القرآن قال القرطبي : هذا توبيخ لمشركي قريش ، أي إن الجن سمعوا القرآن فآمنوا به ، وعلموا أنه من عند الله ، وأنتم معرضون مصرون على الكفر

[فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين] أي فلما فرغ من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قراءة القرآن ، رجعوا إلى قومهم مخوفين لهم من عذاب الله ، إن لم يؤمنوا قال الرازى : وذلك لا يكون إلا بعد إيمانهم ، لأنهم لا يدعون غيرهم إلى استماع القرآن والتصديق به إلا وقد آمنوا

[قالوآ يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى] أي سمعنا كتابا رائعا مجيدا ، منزلا على رسول من بعد موسى قال ابن عباس : إن الجن لم تكن قد سمعت بأمر عيسى عليه السلام ((أقول : إنما لم يذكروا رسالة عيسى عليه السلام ، لأنه جاء متمما لرسالة موسى ، فألتوراة هي الأصل في شريعة بني إسرائيل ، كما قال تعالى {وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد . . } الآية)).

[مصدقا لما بين يديه] أي مصدقا لما قبله من التوراة

[يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم] أي هذا القرآن يرشد إلى الحق المبين ، وإلى دين الله القويم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به] أي أجيبوا محمدا (ص) فيما يدعوكم إليه من الإيمان ، وصدقوا برسالته

[يغفر لكم من ذنوبكم] أي يمحو الله عنكم الذنوب والآثام

[ويجركم من عذاب أليم] أي ويخلصكم وينجيكم من عذاب شديد مؤلم

[ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض] هذا ترهيب بعد الترغيب أي ومن لم يؤمن بالله ويستجب لدعوة رسوله ، فإنه لا يفوت الله طلبا ، ولا يعجزه هربا

[وليس له من دونه أولياء] أي وليس له أنصار يمنعونه من عذاب الله

[أولئك في ضلال مبين] أي أولئك الذين لا يستجيبون لدعوة الله ، في خسران واضح !!وإلى هنا آخر كلام الجن الذين سمعوا القرآن ، ثم ذكر تعالى الأدلة على قدرته ووحدانيته ، فقال سبحانه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ألم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض] أي أولم يعلم هؤلاء الكفار المنكرون للبعث والنشور أن الله العظيم القدير ، الذي خلق السموات والأرض ابتداء ، من غير مثال سابق

[ولم يعى بخلقهن] أي ولم يضعف ولم يتعب بخلقهن

[بقادر على أن يحيى الموتى] ؟ أي قادر على أن يعيد الموتى بعد الفناء ، ويحييهم بعد تمزق الأشلاء ؟

[بلى إنه على كل شيء قدير] أي بلى إنه تعالى قادر لا يعجزه شيء ، فكما خلقهم يعيدهم

[ويوم يعرض الذين كفروا على النار] أي واذكر يا محمد لهؤلاء المشركين ، الأهوال والشدائد التي يرونها في الآخرة ، وذكرهم يوم يعرضون على النار فيقال لهم

[أليس هذا بالحق] ؟ أي أليس هذا العذاب الذي تذوقونه حق ؟ [أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون]

[قالوا بلى وربنا] أي قالوا : بلى وعزة ربنا ، أكدوا كلامهم بالقسم طمعا في الخلاص قال الفخر الرازي :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمقصود بالآية التهكم بهم ، والتوبيخ على استهزائهم بوعد الله ووعيده ، وقولهم : [وما نحن بمعذبين]
[قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون] أي فيقال لهم : ذوقوا العذاب الأليم بسبب كفركم

[فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل] أي فاصبر يا محمد على أذى المشركين ، كما صبر قبلك مشاهير الرسل الكرام ، وهم (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى) أصحاب الهمم والعزائم في نصرة دين الله
[ولا تستعجل لهم] أي ولا تدع على كفار قريش بتعجيل العذاب ، فإنه نازل بهم لا محالة
[كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار] أي كأنهم حين يعاينون العذاب في الآخرة ، لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة واحدة من النهار ، لما يشاهدون من شدة العذاب وطوله
[بلاغ] أي هذا بلاغ وإنذار
[فهل يهلك إلا القوم الفاسقون] أي لا يكون الهلاك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والدمار ، إلا للكافرين الخارجين عن طاعة الله ، المكذبين لرسله .

تنبيه :

قال المفسرون : " إن الجن كانوا يسترقون السمع ، فلما حرست السماء بالشهب ، قال إبليس : إن هذا الذي حدث بالسماء من أمر حدث في الأرض ، فبعث سراياه ليعرف الخبر ، فذهب ركب من نصيبين وهم أشراف الجن إلى تهامة ، فلما بلغوا بطن نخلة ، سمعوا النبي (ص) يصلي ويتلو القرآن ، فاستمعوا له وقالوا : أنصتوا ثم لما انتهى(ص) من القراءة آمنوا لم رجعوا إلى قومهم منذرين قدعوهم إلى الإيمان ، وجاءوا بعد ذلك جماعات جماعاتي إلى النبي (ص) فذلك سبب قوله تعالى [وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن] .

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1 - التعجيز [أتونى بكتاب من قبل هذا] أمر يراد منه التعجيز .

2 - جناس الاشتقاق [يدعو . . وهم عن دعائهم] ومثله [وشهد شاهد] .

3 - الطباق بين [آمن . . وكفرتم] وبين [ينذر . . وبشرى] .

4 - ذكر الخاص بعد العام [ووصينا الإنسان بوالديه] ثم قال [حملته أمه كرها] فذكر الخاص بعد العام لزيادة العناية والاهتمام بشأن الأم لحقها العظيم .

5 - الطباق بين [حملته . . ووضعته] .

6 - صيغة الحصر [ما هذا إلا أساطير الأولين] .

7 - الاستعارة [ولكل درجات مما عملوا] استعار الدرجات للمراتب ، للسعداء والأشقياء

8 - الإيجاز بالحذف مع التوبيخ والتقريع [أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا] أي يقال لهم أذهبتم .

9 - الإطناب بتكرار اللفظ [وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة] ثم قال [فما أغنى عنهم سمعهم ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أبصارهم ولا أفئدتهم] لزيادة التقبيح والتشنيع عليهم .
10 - تواقق الفواصل مما يزيد في جمال الكلام وحسن تناسقه وهو من المحسنات البديعية مثل [وحاق بهم ما كانوا يستهزءون] [وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون] [وذلك إفكهم وما كانوا يفترون] إلخ .

سورة محمد

مدنية وآياتها ثمانى وثلاثون آية

بين يدي السورة

* سورة محمد من السور المدنية ، وهي تعنى بالأحكام التشريعية ، شأن سائر السور المدنية ، وقد تناولت السورة أحكا م (القتال ، والأسرى ، والغنائم ، وأحوال المنافقين) ، ولكن المحور الذي تدور عليه السورة هو موضوع (الجهاد في سبيل الله) . ، ابتدأت السورة الكريمة بدءا عجيبا ، بإعلان حرب سافرة على الكفار أعداء الله ، وأعداء رسوله ، الذين حاربوا الإسلام ، وكذبوا الرسول (ص) ، ووقفوا في وجه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدعوة المحمدية ، ليصدوا الناس عن دين الله [الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم . .] الآيات .

* ثم أمرت المؤمنين بقتال الكافرين ، وحصدهم بسيوف المجاهدين ، لتطهير الأرض من رجسهم ، حتى لا تبقى لهم شوكة ولا قوة ، ثم دعت إلى أسرهم بعد إكثار القتل فيهم والجراحات [فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق . .] الآيات .

* ثم بينت طريق العزة والنصر ، ووضعت الشروط لنصرة الله لعباده المؤمنين ، وذلك بالتمسك بشريعته ، ونصرة دينه [يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم . .] . الآيات . وضربت لكفار مكة الأمثال بالطغاة المتجبرين من الأمم السابقة ، وكيف دمر الله عليهم بسبب إجرامهم وطغيانهم [أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* وتحدثت السورة بإسهاب عن صفات المنافقين ، باعتبارهم الخطر الداهم على الإسلام والمسلمين ، فكشفت عن مساوئهم ومخازيهم ليحذر إلىاس مكرهم وخبثهم [ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم . .] الآيات .

* وختمت السورة الكريمة بدعوة المؤمنين إلى سلوك طريق العزة والنصر ، بالجهاد في سبيل الله ، وعدم الوهن والضعف أمام قوى الشر والبغي ، وحذرت من الدعوة إلى الصلح مع الأعداء ، حرصا على الحياة والبقاء ، فإن الحياة الدنيا زائلة فانية ، وما عند الله خير للأبرار [فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم

* إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أهوالكم . .] إلى نهاية السورة الكريمة . وهكذا ختمت السورة بالدعوة إلى الجهاد ، كما بدأت بالدعوة إليه ، حفزا لعزائم المؤمنين ، وليتناسق البدء من الختاء ألطف التثام !!

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الله تعالى : [الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم . .] إلى قوله [والله يعلم متقلبكم ومثواكم] . من آية (1) إلى نهاية آية (19) .

اللغة :

[كفر] أزال ومحا

[أثخنتموهم] أكثرتم فيهم القتل والجراح والأسر قال في المصباح : أثخن في الأرض إثخانا ، سار إلى العدو وأوسعهم قتلا ، واثخنته الجراحة أوهنته وأضعفته

[الوثاق] القيد والحبل الذي يربط به

[منا] إطلاق أسير من غير فدية

[أوزارها] آلاتها وأثقالها وهي الأسلحة والعتاد يقال : وضعت الحرب أوزارها أي انقضت الحرب وانتهت ، وأصل الأوزار الأثقال من السلاح والخيل ، قال الشاعر : وأعددت للحرب أوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا

[تعسا] شقاء وهلاكا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[آسن] متغير ومنتن

[حميما] حارا شديد الحرارة

[آنفا] الآن ، من قولهم ، استأنف الأمر إذا ابتدأ به

[أشراط] أمارات وعلامات .

التفسير :

[الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله] هذا إعلان حرب من الله تعالى على أعداء دينه ، والمعنى : الذين جحدوا بآيات الله ، وأعرضوا عن الإسلام ، ومنعوا الناس عن الدخول فيه

[أضل أعمالهم] أي أبطلها وأحبطها وجعلها ضائعة لا ثواب لها ، لأنها لم تكن لله فبطلت ، والمراد أعمالهم الصالحة ، كإطعام الطعام ، وصلة الأرحام ، وقرئ الضيف قال الزمخشري : وحقيقة إضلال الأعمال : جعلها ضالة ضائعة ، ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها ، كالضالة من الإبل ، التي لا رب لها يحفظها ويعتني بأمرها ، والمراد أعمالهم التي عملوها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في كفرهم ، بما كانوا يسمونه " مكارم الأخلاق " ، من صلة ا لأرحام ، وفك الأسارى ، وقرئ الأضياف ، وحفظ الجوار

[والذين آمنوا وعملوا الصالحات] أي جمعوا بين الإيمان الصادق ، والعمل الصالح

[وآمنوا بما نزل على محمد] أي صدقوا بما أنزل الله على رسوله محمد (ص) تصديقا جازما لا يخالجه شك ولا ارتياب ، وهو عطف خاص على عام ، وإلىكتة فيه تعظيم أمره والاعتناء بشأنه ، إشارة إلى أن الإيمان لا يتم بدونه ، ولذا أكده بقوله

[وهو الحق من ربهم] أي وهو الثابت المؤكد المقطوع بأنه كلام الله ووحيه المنزل من عند الله ، والجملة اعتراضية لتأكيد السابق

[كفر عنها سيئاتهم] أي أزال ومحا عنهم ما مضئ من الذنوب والأوزار

[وأصلح بالهم] أي أصلح شأنهم وحالهم ، في دينهم ودنياهم . . ثم بين تعالى سبب ضلال الكفار ، واهتداء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المؤمنين ، فقال سبحانه

[ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل] أي ذلك الإضلال لأعمال الكفار ، أنهم سلكوا طريق الضلال ، واختاروا الباطل على الحق

[وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم] أي وأن المؤمنين سلكوا طريق الهدى ، وتمسكوا بالحق والإيمان ، المنزل من عند الرحمن

[كذلك يضرب الله للناس أمثالهم] أي مثل ذلك البيان الواضح ، بين الله أمر كل من الفريقين - المؤمنين والكافرين - بأوضح بيان ، وأجلى برهان ، ليعتبر إلىاس ويتعظوا ، وبعد إعلان هذه الحرب السافرة على الكافرين ، أمرتعالى المؤمنين بجهادهم فقال

[فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب] أي فإذا ادركتم الكفار في الحرب ، فاحصدوهم حصدا بالسيوف قال في التسهيل : وأصله فاضربوا الرقاب لأنه الغالب في صفة القتل

[حتى إذا أثخنتموه فشدوا الوثاق] أي حتى إذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هزمتموهم وأكثرتم فيهم القتل والجراحات ، ولم تبق لهم قوة للمقاومة فأسروهم وكفوا عن قتلهم قال الزمخشري : وفي هذه العبارة [فضرب الرقاب] من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل ، لما فيها من تصوير القتل بأشنع صورة ، وهو حز العنق ، وإطارة رأس البدن ، ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله تعالى [فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان] ومعنى [أثخنتموهم] أكثرتم قتلهم وأغلظتموه [فشدوا الوثاق] أي فأسروهم ، والوثاق اسم لما يربط به من حبل وغيره

[فإما منا بعد وإما فداء] أي ثم أنتم مخيرون بعد أسرهم ، إما أن تمنوا عليهم وتطلقوا سراحهم ، بلا مقابل من مال ، أو تأخذوا منهم مالا فداء لأنفسهم ، ولكن بعد أن تكونوا قد كسرتم شوكتهم ، واعجزتموهم بكثرة القتل والجراح

[حتى تضع الحرب أوزارها] أي حتى تنقضى الحرب ، وتنتهي بوضع الآتها وأثقالها ، وتنتهى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحرب بين المسلمين والمناوئين لهم ، وذلك بعزة الإسلام واندحار المشركين

[ذلك ولو يشاء الله لأنتصر منهم] أي الأمر فيهم ما ذكر ، ولو أراد الله لأنتقم منهم وأهلكهم بقدرته ، دون ان يكلفكم - أيها المؤمنون - إلى قتالهم قال ابن كثير : أي لو شاء الله لأنتقم من الكافرين ، بعقوبة ونكال من عنده

[ولكن ليبلوا بعضكم ببعض] أي ولكنه أمركم بجهادهم ، ليختبر إيمانكم وثباتكم ، فيظهر حال الصادق في الإيمان من غيره ، كما قال تعالى

[ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين] وليبتلي المؤمنين بالكافرين والكافرين بالمؤمنين ، فيصير من قتل من المؤمنين إلى الجنة ، ومن قتل من الكافرين إلى النار ، ولهذا قال

[والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم] أي والذين استشهدوا في سبيل الله ، فلن يبطل الله عملهم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بل يكثره ويضاعفه وينقيه

[سيهديهم] أي سيهديهم إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة ، بتوفيقهم إلى العمل الصالح ، وارشادهم إلى الجنة دار الأبرار

[ويصلح بالهم] أي ويصلح حالهم وشأنهم

[ويدخلهم الجنة عرفها لهم] أي ويدخلهم الجنة دار النعيم بينها لهم ، بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدي إليه قال مجاهد : يهتدي أهلها إلى بيولهم ومساكنهم ، لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا وفي الحديث الشريف (والذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة ، أهدى منه بمنزله الذي كان في الدنيا)

[يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم] أي إن تنصروا دينه ، ينصركم على أعدائكم

[ويثبت أقدامكم] أي ويثبتكم في مواطن الحرب

[والذين كفروا فتعسا لهم] أي والذين كفروا بالله وآياته ، فهلاكا وشقاء لهم ، وهو دعا : عليهم بالتعاسة والخيبة والخذلان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأضل أعمالهم] أي أبطلها وأحبطها ، لأنها كانت في طاعة الشيطان

[ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله] أي ذلك التعس والإضلال بسبب إنهم كرهوا ما أنزل الله من الكتب والشرائع قال الزمخشري : أي كرهوا القرآن وما أنزل الله فيه من التكاليف والأحكام ، لأنهم قد ألفوا الإهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ ، فشق عليهم ذلك وتعاظمهم

[فأحبط أعمالهم] أي أذهبها وأضاعها ، لأن الإيمان شرط لقبول الأعمال ، والشرك محبط للعمل ((قال في الظلال : " وإحباط الأعمال تعبير تصويري على طريقة القرآن في التصوير ، فالحبوط انتفاخ بطون الماشية عند أكلها نوعا من المرعى أو النبات السام ، ينتهي بها إلى الهلاك والموت ، وكذلك هؤلاء الكفار انتفخت أعمالهم وورمت ثم انتهت إلى الهلاك والضياع ، إنها صورة وحركة مطابقة لحال من كرهوا ما أنزل الله ، ثم تباهوا بالأعمال الضخام المنتفخة كبطون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأنعام ، حين ترعى ذلك النبت السام ")) . ثم خوفهم تعالى عاقبة الكفر ، فقال سبحانه

[أفلم يسيروآ في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم] اي افلم يسافر هؤلاء ؟ ليروا ما حل بمن سبقهم من الأمم الطاغية ؟ كعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم من المجرمين ، كيف كان مالهم ؟ وماذا حل بهم من العذاب ؟ فإن آثار ديارهم تتبىء عن أخبارهم

[دمر الله عليهم] أي أهلكهم الله ، واستأصل كل ما يخصهم من مال وبنين ومتاع ، فإذا هو أنقاض متراكمة ، وإذا هم تحت هذه الأنقاض " ودمر عليهم " أبلغ من دمرهم لأن معناها أهلكهم مع أموالهم ودورهم وأولادهم ، وأطبق عليهم الهلاك إطباقا ، فلم يبق شيء إلا شمله الدمار

[وللكافرين أمثالها] أي ولكفار مكة أمثال تلك العاقبة الوخيمة والعذاب المدمر

[ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا] أي وليهم وناصرهم

[وأن الكافرين لا مولى لهم] أي لا ناصر لهم ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معين ولا مغيث ، ثم بين تعالى مال كل من الفريقين - المؤمنين والكافرين - في الآخرة فقال

[إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار] أي يدخل المؤمنين جنات النعيم ، التي فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر

[والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام] أي والكافرون في الدنيا ، ينتفعون بشهواتها ولذائذها ، ولأكلون كما تأكل البهائم ، ليس لهم هم إلا بطونهم وفروجهم

[والنار مثوى لهم] أي وجهنم مقامهم ومنزلهم في الآخرة قال الزمخشري : المراد أنهم ينتفعون بمتاع الدنيا أياما قلائل ، ويأكلون غافلين غير مفكرين في العاقبة ، كما تأكل الأنعام في مسارحها ومعالفها ، غافلة عما هي بصدده ، من النحر والذبح ، والنار منزل ومقام لهم في الآخرة . ثم سلى تعالى رسوله (ص) فقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك] أي وكم من أهل قرية عاتية ظالمة ((الكلام على حذف مضاف اي من أهل قرية وهو مجاز مشهور)) . كانوا أقوى من أهل مكة الذين أخرجوك منها

[أهلكناهم فلا ناصر لهم] أي أهكلناهم بأنواع العذاب فلم ينصرهم أحد ، فكذلك نفعل بهؤلاء قال ابن عباس : لما خرج النبى (ص) من مكة واختفى بالغار ثم خرج مهاجرا إلى المدينة ، التفت إلى مكة ثم قال " إنك لأحب البلاد إلى الله ، وأحب البلاد إلى ، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت " فنزلت الآية

[أفمن كان على بينة من ربه] أي هل من كان على حجة وبصيرة ، وثبات ويقين من أمر دينه

[كمن زين له سوء عمله] ؟ أي كمن زين له عمله القبيح فرأه حسنا ؟

[واتبعوا أهوائهم] أي انهمكوا في الضلال حتى عبدوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الهوى ؟ ليس هذا كهذا ، وإنما جاء بصيغة الجمع مراعاة للمعنى قال المفسرون : يريد ب [من كان على بينة] رسول الله (ص) وبمن [زين له سوء عمله] أبا جهل وكفار قريش . . واللفظ أعم لأن الغرض المباينة بين من يعبد الله ، وبين من يعبد هواه ، ولذلك مثل بعده بالفارق الكبير بين الجنة والنار فقال [مثل الجنة التى وعد المتقون] أي صفة الجنة الغريبة العجيبة الشأن ، التي وعد الله بها عباده الأبرار ، وأعدها للمتقين الأخيار

[فيها أنهار من ماء غير آسن] أي فيها أنهار جاريات من ماء غير متغير الرائحة قال ابن مسعود : أنهار الجنة تفجر من جبل من مسك

[وأنهار من لبن لم يتغير طعمه] أي وأنهار جاريات من حليب في غاية البياض والحلاوة والدسامة ، لم يحمض بطول المقام ، ولم يفسد كما تفسد ألبان الدنيا ، وفي حديث مرفوع " لم يخرج من ضروع الماشية " ،

[وأنهار من خمر لذة للشاربين] أي وأنهار جاريات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من خمر لذيذة الطعم ، يتلذذ بها الشاربون ، لأنها كما قال تعالى [لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون] وإنما قيدها بأنها لذة للشاربين ، لأن الخمر كريهة الطعم في الدنيا ، لا يلتذ بها إلا فاسد المزاج ، وأما خمر الآخرة فهي طيبة الطعم والرائحة ، يشربها اهل الجنة ، لمجرد الإلتذاذ

[وأنهار من عسل مصفى] آي وأنهار جاريات من عسل ، في غاية الصفاء وحسن اللون والريح ، لم يخرج من بطون النحل ، قال أبو السعود : [عسل مصفى] أي لم يخالطه الشمع وفضلات النحل

[ولهم فيها من كل الثمرات] آي ولهم في الجنة أنواع متعددة ، من جميع أصناف الفواكه والثمار قال في حاشية البيضاوي : وفي ذكر الثمرات بعد المشروب إشارة إلى أن مأكول أهل الجنة ، للذة لا للحاجة

[ومغفرة من ربهم] ولهم فوق ذلك النعيم الحسن ، نعيم روحي وهو المغفرة من الله مع الرحمة والرضوان ، وفي الحديث " أحل عليكم رضواني فلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أسخط عليكم بعده أبدا " قال الصاوي : في الجنة ترفع عنهم التكاليف فيما يأكلونه ويشربونه ، بخلاف الدنيا فإن مأكولها ومشروبها يترتب عليه الحساب والعقاب ، ونعيم الآخرة لا حساب عليه ولا عقاب فيه

[كمن هو خالد في النار] أي كمن هو مخلد في الجحيم ؟ والاستفهام للإنكار أي لا يستوي من هو في ذلك النعيم المقيم ، بمن هو خالد في الجحيم ؟

[وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم] أي وسقوا مكان تلك الأشربة ، ماء حارا شديد الغليان ، فقطع أحشاءهم من فرط حرارته ؟ قال المفسرون : بلغ الماء الغاية في الحرارة ، إذا دنا منهم شوى وجوههم ، ووقعت فروة رءوسهم ، فإذا شربوه قطع أمعاءهم واخرجها من دبورهم ولما بين تعالى حال الكافرين ، ذكر حال المنافقين فقال :

[ومنهم من يستمع إليك] أي ومن هؤلاء المنافقين جماعة يستمعون إلى حديثك يا محمد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[حتى إذا خرجوا من عندك] أي حتى إذا خرجوا من مجلسك

[قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا] أي قالوا لعلماء الصحابة - كأبن عباس وابن مسعود - ماذا قال محمد قريبا في تلك الساعة ؟ قال ابن كثير : أخبر تعالى عن المنافقين في بلادتهم وقلة فهمهم ، حيث كانوا يجلسون إلى رسول الله (ص) ويستمعون كلامه ، فلا يفهمون منه شيئا ، فإذا خرجوا من عنده ، قالوا لأهل العلم من الصحابة : ماذا قال محمد [آنفا] أي الساعة ، لا يعقلون ما قال ، ولا يكترثون به

[أولئك الذين طبع الله على قلوبهم] أي ختم على قلوبهم بالكفر

[واتبعوا أهواءهم] أي ساروا وراء أهوائهم الباطلة

[والذين اهتدوا زادهم هدى وأتاهم تقواهم] أي وأما المؤمنون المتقون ، فقد زادهم الله هدى ، وألهمهم رشدهم قال الإمام الفخر : لما بين تعالى أن المنافق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يستمع ولا ينتفع ، ويستعيد ولا يستفيد ، بين أن حال المؤمن المهتدي بخلافه ، فإنه يستمع فيفهم ، ويعمل بما يعلم ، وفيه فائدة وهو قطع عذر المنافق ، فإنه لو قال ما فهمت كلامه لغموضه ، يرد عليه بأن المؤمن فهم واستنبط ، فذلك لعماء القلوب ، لا لخفاء المطلوب

[فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة] أي فهل ينتظرون إلا قيام الساعة فجأة ، فتبغتهم وهم سادرون غارون غافلون ؟

[فقد جاء أشراطها] أي فقد جاءت أماراتها وعلاماتها ، ومنها بعثة خاتم الرسل (ص)

[فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم] أي فمن أين لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة ، وقرعتهم الصاخة ، حيث لا ينفع ندم ولا توبة ؟

[فاعلم أنه لا إله إلا الله] أي فدم يا محمد على ما أنمت عليه من العلم بوحدانية الله

[واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات] أي اطلب من الله المغفرة لك وللمؤنين والمؤمنات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والله يعلم متقلبكم ومثواكم] أي يعلم تصرفكم في الدنيا ، ومصيركم في الآخرة ، فأعدوا الزاد ليوم المعاد .

قال الله تعالى : [ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة . .] إلى قوله [ثم لا يكونوا أمثالكم] . من آية(20) إلى آية (38) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

كان بدء السورة في الحديث عن الكافرين ، لم جاء عن المؤمنين ، وهنا يأتي الحديث عن المنافقين ، وقد استغرق الجانب الأكبر من السورة ، باعتبارهم الخطر الداهم على الإسلام والمسلمين ، والآيات الكريمة تتحدث عن الجهاد وعن موقف المنافقين منه .

اللغة :

[سول] زين وسفل

[أضغانهم] أحقادهم الدفينة قال الجوهري : الضغن والضغينة : الحقد ، وتضاغن القوم أبطنوا على الأحقاد

[سيماهم] علامتهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[السلم] الصلح والموادعة

[يحفكم] يلح عليكم يقال : أحفى بالمسألة وألحف وألخ بمعنى واحد

[يتركم] ينقصكم يقال : وتره حفه أي نقصه .

التفسير :

[ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة] أي ويقول المؤمنون المخلصون شوقا إلى الجهاد ، وحرصا على ثوابه : هلا أنزلت سورة فيها الأمر بالجهاد

[فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال] أي فإذا أنزلت سورة صريحة ، ظاهرة الدلالة على الأمر بالقتال ، قال القرطبي : [محكمة] أي لم تنسخ وقد قال قتادة : كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة ، وهي أشد القرآن على المنافقين

[رأيت الذين في قلوبهم مرض] أي رأيت المنافقين الذين في قلوبهم شك ونفاق

[ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت] أي ينظرون إليك يا محمد تشخص أبصارهم جبنا وهلعا ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما ينظر من أصابته الغشية من حلول الموت
[فأولى لهم] أي فويل لهم ، قال فى التسهيل : وهى كلمة معناها التهديد والدعاء عليهم ، كقوله تعالى [أولى لك أولى]

[طاعة وقول معروف] مبتدأ محذوف الخبر أي طاعة لك يا محمد ، وقول جميل طيب ، خير لهم وأفضل وأحسن ، قال الرازي : وهو كلام مستأنف محذوف الخبر تقديره خير لهم أي أحسن وأمثل ، وإنما جاز الابتداء بالنكرة لأنها موصوفة ويدل عليه قوله [وقول معروف] كأنه قال : طاعة مخلصة ، وقول معروف خير لهم
[فإذا عزم الأمر] أي فإذا جد الجد وفرض القتال
[فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم] أي فلو أخلصوا نياتهم ، وجاهدوا بصدق ويقين لكان ذلك خيرا لهم من التقاعس والعصيان ، والجملة جواب الشرط
[فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أرحامكم] أي فلعلكم إن أعرضتم عن الإسلام ، أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية ، من الإفساد في الأرض بالمعاصي ، وقطع الأرحام ! ! قال قتادة : كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ، ألم يسفكوا الدم الحرام ، ويقطعوا الأرحام ، ويعصوا الرحمن ؟ ! قال أبو حيان : يريد ما جرى من الفترة بعد زمان الرسول (ص)

[أولئك الذين لعنهم الله] أي طردهم وأبعدهم من رحمته

[فأصمهم وأعمى أبصارهم] أي فأصمهم عن استماع الحق ، وأعمى قلوبهم عن طريق الهدى فلا يهتدون إلى سبيل الرشاد قال القرطبى : أخبر تعالى أن من فعل ذلك حقت عليه اللعنة ، وسلبه الله الانتفاع بسمعه وبصره ، حتى لا ينقاد للحق وإن سمعه ، فجعله كالبهيمة التي لا تعقل

[أفلا يتدبرون القرآن] ؟ الاستفهام توبيخي أي أفلا يتفهمون القرآن ويتصفحونه ، ليروا ما فيه من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المواعظ والزواجر ، حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات ! ؟

[أم على قلوب أقفالها] " أم " بمعنى " بل " وهو انتقال من توبيخهم على عدم التدبر ، إلى توبيخهم على ظلمة القلوب وقسوتها ، حتى لا تقبل التفكر والتدبر

والمعنى : بل قلوبهم قاسية مظلمة كأنها مقفلة بالأقفال الحديدية ، فلا ينفذ إليها نور ولا إيمان قال لرازي : إن القلب خلق للمعرفة ، فإذا لم تكن فيه المعرفة فكأنه غير موجود ، وهذا كما يقول القائل في الإنسان المؤذي : هذا ليس بإنسان هذا وحش ، وهذا ليس بقلب هذا حجر

[إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى] أي رجعوا إلى الكفر بعد الإيمان ، وبعد أن وضح لهم طريق الهدى ، بالدلائل الظاهرة والمعجزات الواضحة

[الشيطان سول لهم وأملى لهم] أي الشيطان زين لهم ذلك الأمر ، وغرهم وخدعهم بالأمل ، وطول الأجل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله] أي ذلك الإضلال بسبب أنهم قالوا لليهود الذين كرهوا القرآن الذي نزله الله حسدا وبغيا

[سنطيعكم في بعض الأمر] أي سنطيعكم في بعض ما تأمروننا به كالقعود عن الجهاد ، وتثبيط المسلمين عنه وغير ذلك

[والله يعلم إسرارهم] أي وهو جل وعلا يعلم خفاياهم ، وما يبطنونه من الكيد والدس والتآمر على الإسلام والمسلمين قال المفسرون : قال المنافقون لليهود ذلك سرا ، فأظهره الله تعالى وفضحهم

[فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم] أي فكيف يكون حالهم حين تحضرهم ملائكة العذاب لقبض أرواحهم ، ومعهم مقامع من حديد يضربون بها وجوههم وظهورهم ؟ قال القرطبي : والمعنى على التخويف والتهديد ، أي إن تأخر عنهم العذاب فإلى انقضاء العمر قال ابن عباس : لا يتوفى أحد على معصية إلا تضرب الملائكة في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجهه وفي دبره ،

[ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه] أي ذلك العذاب بسبب أنهم سلكوا طريق النفاق ، وكرهوا ما يرضي الله من الإيمان والجهاد ، وغيرهما من الطاعات

[فأحبط أعمالهم] أي أبطل ما عملوه حال إيمانهم من أعمال البر

[أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم] ؟ أي هل يعتقد المنافقون الذين في قلوبهم شك ونفاق ، أن الله لن يكشف أمرهم لعباده المؤمنين ؟ وأنه لن يظهر بغضهم وأحقادهم على الإسلام والمسلمين ؟ لا بد أن يفضحهم ويكشف أمرهم

[ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم] أي لو أردنا لأريناك يا محمد أشخاصهم فعرفتهم عيانا بعلامتهم ، ولكن الله ستر عليهم ، إبقاء عليهم ، وعلى أقاربهم من المسلمين لعلهم يتوبون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولتعرفنهم في لحن القول] أي ولتعرفن يا أيها الرسول المناقين من فحوى كلامهم وأسلوبه ، فيما يعرضونه بك من القول الذي ظاهره إيمان وإسلام ، وباطنه كفر ومسبة قال الكلبي : لم يتكلم بعد نزولها عند النبى (ص) أحد إلا عرفه (ص)

[والله يعلم أعمالكم] أي لا يخفئ عليه شيء من أعمالكم ، فيجازيكم بحسب قصدكم ، ففيه وعد ووعيد

[ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين] أي ولنختبرنكم أيهت الناس بالجهاد وغيره من التكاليف الشاقة ، حتى نعلم - علم ظهور - أي نطلع الناس على المجاهدين في سبيل الله ، والصابرين على مشاق الجهاد

[ونبلوا أخباركم] أي ونختبر أعمالكم ، حسنها وقبيحها قال في التسهيل : المراد بقوله [حتى نعلم] أي نعلمه علما ظاهرا في الوجود ، تقوم به الحجة عليكم ، وقد علم الله الأشياء قبل كونها ، ولكنه أراد إقامة الحجة على عباده بما يصدر منهم ، وكان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية بكى وقال : اللهم لا تبتلنا ، فإنك إذا ابتليتنا فضحتنا ، وهتكت أستارنا! !

[إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله] أي جحدوا بآيات الله ، ومنعوا الناس عن الدخول في الإسلام

[وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى] أي عادوا الرسول وخرجوا عن طاعته ، من بعد ما ظهر لهم صدقه ، وأنه رسول الله بالحجج والآيات

[لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم] أي لن يضروا الله بكفرهم وصدهم شيئا من الضرر ، وسيبطل أعمالهم من صدقة ونحوها ، فلا يرون لها في الآخرة ثوابا

[يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول] أي امتثلوا أوامر الله وأوامر رسوله

[ولا تبطلوا أعمالكم] أي ولا تبطلوا أعمالكم بمأ أبطل به هؤلاء أعمالهم من الكفر والنفاق ، والعجب والرياء

[إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله] أي جحدوا بآيات الله ، وصدوا الناس عن طريق الهدى والإيمان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ثم ماتوا وهم كفار] أي وماتوا على الكفر

[فلن يغفر الله لهم] أي فلن يغفر الله لهم بحال من الأحوال ، وهذا قطع لأطماع المنافقين والكفار ، بأن من مات على الكفر لا يغفر الله له ، لقوله تعالى [إن الله لا يغفر أن يشرك به] قال أبو السعود : وهذا حكم يعم كل من مات على الكفر ، وإن صح نزوله في أصحاب القليب

[فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم] أي فلا تضعفوا وتدعوا إلى المهادنة والصلح مع الكفار إذا لقيتموهم

[وأنتم الأعلون] أي وأنتم الأعزة الغالبون لأنكم مؤمنون

[والله معكم] أي والله معكم بالعون والنصر

[ولن يتركم أعمالكم] آي لن ينقصكم شيئا من ثواب أعمالكم قال ابن كثير : وفي قوله [والله معكم] بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الأعداء

[إنما الحياة الدنيا لعب ولهو] أي ما الحياة الدنيا إلا زائلة فانية ، لا قرار لها ولا ثبات ، كاللعب واللهو ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذي يتلهى به الأولاد قال شيخ زاده : بين تعالى أن الدنيا وما فيها من الحظوظ العاجلة ، لا يصلح مانعا من الإقدام إلى الجهاد ، وما يؤدي إلى ثواب الآخرة ، لكونها بمنزلة اللهو واللعب في سرعة زوالها ، وأن الآخرة هي الحياة الباقية ، فلا ينبغي أن يكون حب الدنيا ، والحرص على ما فيها من اللذات والشهوات ، سببا للجبن عن الغزو ، والتخلف عن جهاد

[وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم] أي وإن تؤمنوا بالله وتتقوه حق تقواه ، يعطكم ثواب أعمالكم كاملا

[ولا يسألكم أموالكم] أي ولا يطلب منكم أن تنفقوا جميع أموالكم ، بل الزكاة المفروضة فيها قال ابن كثير : أي هو غنى عنكم ، لا يطلب منكم شيئا ، وإنما فرض عليكم الصدقات من الأموال ، مواساة لإخوانكم الفقراء ، ليعود ذلك ثوابه عليكم

[إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا] أي إن يسألكم جميع أموالكم ، ويبالغ في طلبها ، ويلح عليكم في إنفاقها ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تبخلوا

[ويخرج أضغانكم] أي ويخرج ما في قلوبكم من البخل وكراهة الإنفاق قال في التسهيل : وذلك لأن الإنسان جبل على محبة الأموال ، ومن نوزع في حبيبه ظهرت سرائره ، فمن رحمته تعالى على عباده ، عدم التشديد عليهم في التكاليف

[ها إنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله] أي ما أنتم معشر المخاطبين تدعون للإنفاق في سبيل الله ، وقد كلفتم ما تطيقون

[فمنكم من يبخل] أي فمنكم من يشح عن الإنفاق ويمسك عنه

[ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه] أي ومن بخل عن الإنفاق في سبيل الله ، فإنما يعود ضرر بخله على نفسه ، لأنه يمنعها الأجر والثواب قال الصاوي : وبخل يتعدى ب " على " إذا ضمن معنى شح ، وب " عن " إذا ضمن معنى أمسك

[والله الغنى وأنتم الفقراء] أي والله مستغني عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إنفاقكم ، ليس بمحتاج إلى أموالكم ، وأنتم محتاجون إليه

[وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم] أي وإن تعرضوا عن طاعته واتباع أوامره ، يستخلف مكانكم قوما آخرين ، يكونون أطوع لله منكم

[ثم لا يكونوا أمثالكم] أي لا يكونون مثلكم في البخل عن الإنفاق ، بل يكونوا كرماء أسخياء ، ينفقون لمرضاة الله ، ويجاهدون في سبيل الله 0

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - المقابلة بين الآية الأولى والثانية [الذين كفروا وصدوا عن سببل الله أضل أعمالهم] وبين [والذين آمنوا وعملوا الصالحات . .] الآية وهو من المحسنات البديعية .

2 - ذكر الخاص بعد العام [وآمنوا بما نزل على محمد] والنكتة تعظيمه والاعتناء بشأن الإيمان به .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3 - الاستعارة التبعية [تضع الحرب أوزارها] شبه ترك القتال بوضع الله ، واشتق من الوضع " تضع " بمعنى تنتهي وتترك بطريق الاستعارة التبعية .

4 - المجاز المرسل [ويثبت أقدامكم] أطلق الجزء وأراد الكل أي يثبتكم ، وعبر بالأقدام لأن الثبات والتزلزل يظهران فيها ، وهو مثل [بما كسبت أيديكم] لأن العمل يكون بالأيدي

5 - ا لطباق بين [منا . . وفداء] وبين [آمنوا . . وكفروا] وبين [الغني . . والفقراء]

6 - المجاز العقلي [فإذا عزم الأمر] نسب العزم إلى الأمر وهو لأهله ، مثل قولنا : المحسن نهاره صائم .

7 - الالتفات [فهل عسيتم إن توليتم] وهو التفات من الغيبة إلى الخطاب لتأكيد التوبيخ وتشديد التقريع .

9 - الاستعارة التصريحية [أم على قلوب أقفالها] شبه قلوبهم بالأبواب المقفلة ، فإنها لا تنفتح لوعظ واعظ ، ولا يفيد فيها عدل عادل ، وهي من لطائف الاستعارات .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

10 - الإطناب بتكرار ذكر الأنهار [فيها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين . .] الآية وذلك لزيادة التشويق إلى نعيم الجنة .

11 - الكناية [ارتدوا على أدبارهم] كناية عن الكفر بعد الإيمان .

12 - السجع الرصين غير المتكلف [أضل أعمالهم . واتبعوا أهواءهم . وأعمى أبصارهم] إلخ . وهو من المحسنات البديعية .

سورة الفتح

مدنية وآياتها تسع وعشرون آية

بين يدي السورة

* هذه السورة الكريمة مدنية ، وهي تعنى بجانب التشريع شأن سائر السور المدنية التي تعالج الأسس التشريعية في المعاملات ، والعبادات ، والأخلاق ، والتوجيه إلى مكارم الأخلاق .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* تحدثت السورة الكريمة عن (صلح الحديبية) الذي تم بين الرسول (ص) وبين المشركين سنة ست من الهجرة ، والذي كان بداية للفتح الأعظم " فتح مكة " وبه تم العز والنصر والتمكين للمؤمنين ، ودخل الناس في دين الله أفواجا أفواجا [إنا فتحنا لك فتحا مبينا . .] الآيات .

* وتحدثت السورة عن جهاد المؤمنين ، وعن (بيعة الرضوان) التي بايع فيها الصحابة رضوان الله عليهم رسول الله (ص) على الجهاد في سبيل الله حتى الموت ، وكانت بيعة جليلة الشأن ولذلك باركها الله ، ورضي عن أصحابها ، وسجلها في كتابه العظيم ، في سطور من نور [لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة .] الآية .

* وتحدثت عن الذين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله (ص) من الأعراب الذين في قلوبهم مرض ، ومن لمنافقين الذين ظنوا الظنون السيئة برسول الله (ص) وبالمؤمنين ، فلم يخرجوا معهم ، فجاءت الآيات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تفضحهم وتكشف سرائرهم [سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا . .] الآيات .

* وتحدثت السورة عن الرؤيا التي رأها رسول الله (ص) في منامه -في المدينة المنورة-وحدث بها أصحابه ففرحوا واستبشروا ، وهي دخول الرسول (ص) والمسلمين مكة آمنين مطمئنين ، وقد تحققت تلك الرؤيا الصادقة فدخلها المؤمنون معتمرين مع الأمن والطمأنينة [لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لاتخافون] الآيات .

* وختمت السورة الكريمة بالثناء على الرسول (ص) وأصحابه الأطهار الأخيار ، وبينت فضلهم ، ورفعت قدرهم ، وقد أكرمهم الله عز وجل بالرضى عنهم ، وإدخالهم جنان الخلد والنعيم ، تكريما لجهادهم وصبرهم [محمد رسول الله (ص) والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم . .] آلاية .

التسمية :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سميت سورة الفتح لأن الله تعالى بشر فيها المؤمنين بالفتح المبين [إنا فتحنا لك فتحا مبينا. . الآيات .

فضلها :

نزلت السورة الكريمة على رسول الله (ص) بعد مرجعه من الحديبية ، ولما نزلت هذه السورة قال صلوات الله عليه : لقد أنزلت علي الليلة سورة هي أحب إلى من الدنيا وما فيها [إنا فتحنا لك فتحا مبينا] أخرجه الإمام أحمد .

قال الله تعالى : [إنا فتحنا لك فتحا مبينا . .] إلى قوله [ومن يتول يعذبه عذابا أليما] من آية (1) إلى آية رقم (17) .

اللغة :

[السكينة] السكون والطمأنينة والثبات

[السوء] المساءة والحزن والألم قال الجوهري : ساءه سوءا بالفتح ومساءة نقيض سره ، والاسم السوء بالضم ، ودائرة السوء يعني الهزيمة والشر ، ومن فتح فهو من المساءة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[تعزروه] تعظموه وتنصروه وتمنعوا الأذى عنه ، وسمي التعزير في الحدود تعزيرا لأنه مانع من فعل القبيح

[بكرة] صباحا

[أصيلا] مساء ، أي تسبحوا ربكم في الصباح والمساء

[ينقلب] يرجع

[زين] حسن وجمل أي رأيتم الأمر حسنا وجميلا وهو في منتهى القبح

[نكث] نقض البيعة والعهد

[بورا] هلكى ، قال الجوهري : البور : الرجل الفاسد الهالك الذي لا خير فيه ، و " قوما بورا " جمع بائر ، وبار فلان أي هلك

[حرج] إثم وذنب .

سبب النزول :

عن ابن عباس قال : تخلف عن رسول الله (ص) أعراب المدينة ، حين أراد السفر إلى مكة عام الفتح ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعد أن كان استنفرهم معه حذرا من قريش ، وأحرم بعمرة وساق معه الهدي ، ليعلم الناس أنه لا يريد حربا ، فتثاقلوا عنه واعتنوا بالشغل فنزلت [سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا] .

التفسير :

[إنا فتحنا لك فتحا مبينا] أي قد فتحنا لك يا محمد (مكة) فتحا بينا ظاهرا ، وحكمنا لك بالفتح المبين على أعدائك ، والمراد بالفتح (فتح مكة) وعده الله به قبل أن يكون ، وذكره بلفظ الماضي لتحققه ، وكانت بشارة عظيمة من الله تعالى لرسوله وللمؤمنين قال الزمخشري : هو فتح مكة ، وقد نزلت مرجع رسول الله (ص) عن مكة عام الحديبية ، وهو وعد له بالفتح ، وجيء به بلفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في أخباره ، لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة ، وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شأن الفتح ما لا يخفى ((وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالفتح " صلح الحديبية " لما ترتب عليه من الآثار العظيمة ، من بيعة الرضوان ، ومن الصلح الذي عقده رسول الله (ص) مع قريش ، ومن دخول كثير في الإسلام ، إلى غير ما هنالك ، والى هذا ذهب الحافظ ابن كثير)).

[ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر] أي ليغفر لك ربك يا محمد جميع ما فرط منك من ترك الأولى قال أبو السعود : وتسميته ذنبا بالنظر إلى منصبه الجليل وقال ابن كثير : هذا من خصائصه (ص) التي لا يشاركه فيها غيره ، وفيه تشريف عظيم لرسول الله (ص) إذ هو أكمل البشر على الإطلاق ، وسيدهم في الدنيا والآخرة ، وهو في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة ، التي لم ينلها بشر سواه ، لا من الأولين ولا من الآخرين ، ولما كان أطوع خلق الله ، بشره الله بالفتح المبين ، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويتم نعمته عليك] أي ويكمل نعمته عليك بإعلاء الدين ورفع مناره

[ويهديك صراطا مستقيما] أي ويرشدك إلى الطريق القويم ، الموصل إلى جنات النعيم بما يشرعه لك من الدين العظيم

[وينصرك الله نصرا عزيزا] أي وينصرك الله على أعدائك ، نصرا قويا منيعا ، فيه عزة وغلبة ، يجمع لك به بين عز الدنيا والآخرة

[هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين] أي هو جل وعلا الذي جعل السكون والطمأنينة في قلوب المؤمنين

[ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم] أي ليزدادوا يقينا مع يقينهم ، وتصديقا مع تصديقهم ، برسوخ العقيدة في القلوب ، والتوكل على علام الغيوب

[ولله جنود السموات والأرض] أي ولله - جلت عظمته - كل جنود السموات والأرض ، من الملائكة ، والجن ، والحيوانات ، والصواعق المدمرة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والزلازل ، والخسف ، والغرق ، جنود لا تحصى ولا تغلب ، يسلطها على من يشاء قال ابن كثير : ولو أرسل عليهم ملكا واحدا لأباد خضراءهم ، ولكنه تعالى شرع لعباده الجهاد ، لما له في ذلك من الحجة القاطعة ، والحكمة البالغة ولذلك قال

[وكان الله عليما حكيما] أي عليما بأحوال خلقه ، حكيما في تقديره وتدبيره قال المفسرون : أراد بإنزال السكينة في قلوب المؤمنين هم المؤمنون من " أهل الحديبيةا حين بايعوا رسول الله (ص) على مناجزة الحرب مع أهل مكة ، بعد أن حصل لهم ما يزعج النفوس ويزيغ القلوب ، من صد الكفار لهم عن دخول مكة ، ورجوع الصحابة دون بلوغ مقصودهم ، ، فلم يرجع منهم أحد عن الإيمان ، بعد أن هاج الناس وماجوا ، وزلزلوا حتى جاء عمر بن الخطاب إلى النبى (ص) وقال : ألست نبى الله حقا ؟ قال : بلى ، قال : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى ، قال : فلم نعط الدنية في ديننا إذن ؟ قال إني رسول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله ، ولست أعصيه وهو ناصري . . إلخ .
[ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها] أي ليدخلهم - على طاعتهم وجهادهم – حدائق وبساتين ناضرة ، تجري من تحتها أنهار الجنة ماكثين فيها أبدا
[ويكفر عنهم سيئاتهم] أي ويمحو عنهم خطاياهم وذنوبهم

[وكان ذلك عند الله فوزا عظيما] أي وكان ذلك الإدخال في الجنات ، والتكفير عن السيئات ، فوزا كبيرا وسعادة لا مزيد عليها ، إذ ليس بعد نعيم الجنة نعيم
[ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات] أي ويعذب الله أهل النفاق الإشراك ، وقدمهم على المشركبن ، لأنهم أعظم خطرا ، وأشد ضررا من الكفار المجاهرين بالكفر
[الظانين بالله ظن السوء] أي الظانين بربهم أسوأ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الظنون ، ظنوا أن الله تعالى لن ينصر رسوله والمؤمنين ، وأن المشركين يستأصلونهم جميعا ، كما قال تعالى [بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا] قال القرطبي : ظنوا أن النبي (ص) لا يرجع إلى المدينة ولا أحد من أصحابه حين خرج إلى الحديبية

[عليهم دائرة السوء] دعاء عليهم أي عليهم ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين من الهلاك والدمار

[وغضب الله عليهم ولعنهم] أي سخط تعالى عليهم بكفرهم ونفاقهم ، وأبعدهم عن رحمته

[وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا] أي وهيأ لهم في الآخرة نارا مستعرة هي (نار جهنم) وساءت مرجعا ومنقلب لأهل النفاق والضلال

[ولله جنود السموات والأرض] تأكيد للإنتقام من الأعداء أعداء الإسلام من الكفرة والمنافقين . قال الرازي : كرر اللفظ لأن جنود الله قد يكون إنزالهم للرحمة ، وقد يكون للعذاب ، فذكرهم أولا لبيان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرحمة بالمؤمنين ، وثانيا لبيان إنزال العذاب على الكافرين

[وكان الله عزيزا حكيما] أي عزيزا في ملكه وسلطانه ، حكيما في صنعه وتدبيره قال الصاوي : ذكر هذه الآية أولا في معرض الخلق والتدبير فذيلها بقوله [عليما حكيما] وذكرها ثانيا في معرض الإنتقام فذيلها بقوله [عزيزا حكيما] وهو في منتهى الترتيب الحسن ، لأنه تعالى ينزل جنود الرحمة لنصرة المؤمنين ، وجنود العذاب لإهلاك الكافرين . . ثم امتن تعالى على رسوله الكريم بتشريفه بالرسالة ، وبعثه إلى كافة الخلق ، فقال سبحانه

[إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا] أي إنا أرسلناك يا محمد ، شاهدا على الخلق يوم القيامة ، ومبشرا للمؤمنين بالجنة ، ومنذرا للكافرين من عذاب النار

[لتؤمنوا بالله ورسوله] أي أرسلنا الرسول لتؤمنوا أيها الناس ، بربكم ورسولكم حق الإيمان ، إيمانا عن اعتقاد ويقين ، لا يخالطه شك ولا ارتياب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وتعزروه] أي تفخموه وتعظموه

[وتوقروه] أي تحترموا وتجلوا أمره ، مع التعظيم والتكريم ، والضمير فيهما للنبي (ص)

[وتسبحوه بكرة وأصيلا] أي تسبحوا ربكم في الصباح والمساء ، ليكون القلب متصلا بالله في كل حين وآن . . ثم ذكر تعالى بيعة الرضوان ، ورضى الله عن أصحابها فقال سبحانه

[إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله] أي إن الذين يبايعونك يا محمد في الحديبية (بيعة الرضوان) إنما يبايعون في الحقيقة الله ، وهذا تشريف للنبي (ص) حيث جعل مبايعته (ص) بمنزلة مبايعة الله ، لأن الرسول في في سفير ومعبر عن الله ، قال المفسرون : المراد بالبيعة هنا " بيعة الرضوان " بالحديبية ، حين بايع الصحابة رسول الله (ص) على الموت ، كما روى الشيخان عن سلمة بن الأكوع أنه قال : (بايعنا رسول الله (ص)على الموت) وسميت " بيعة الرضوان " لقول الله فيها [لقد رضي الله عن المؤمنين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذ يبايعونك تحت الشجرة]
[يد الله فوق أيديهم] قال ابن كثير : أي هو تعالى حاضر معهم ، يسمع أقوالهم ، ويرى مكانهم ، ويعلم ضمائرهم وظواهرهم ، فهو تعالى المبايع بواسطة رسوله (ص) وقال الزمخشري : يريد أن يد رسول الله (ص) التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله ، والمعنى : أن من بايع الرسول فقد بايع الله ، كقوله تعالى [من يطع الرسول فقد أطاع الله]

[فمن نكث فإنما ينكث على نفسه] أي فمن نقض البيعة فإنما يعود ضرر نكثه عليه ، لأنه حرم نفسه الثواب ، وألزمها العقاب ، بنقضه العهد والميثاق ، الذي عاهد به ربه !
[ومن أوفى بما عاهد عليه الله] أي ومن وقف بعهده [فسيؤتيه أجرا عظيما] أي فسيعطيه الله ثوابا جزيلا ، وهو الجنة دار الأبرار
[سيقول لك المخلفون من الأعراب] أي سيقول لك يا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محمد المناققون ، الذين تخلفوا عن الخروج معك عام الحديبية ، من أعراب المدينة

[شغلتنا أموالنا وأهلونا فاسغفر لنا] أي شغلنا عن الخروج معك بالأمول والأولاد ، فاطلب لنا من الله المغفرة ، لأن تخلفنا لم يكن باختيار بل عن اضطرار قال في التسهيل : سماهم تعالى بالمخلفين لأنهم تخلفوا عن غزوة الحديبية ، - والأعراب هم أهل البوادي من العرب – لما خرج رسول الله (ص) إلى مكة يعتمر ، رأوا أنه يستقبل عدوا كثيرا من قريش وغيرهم ، فقعدوا عن الخروج معه ، ولم يكن إيمانهم متمكنا من قلوبهم ، فظنوا أنه لا يرجع هو والمؤمنون من ذلك السفر ، ففضحهم الله في هذه السورة ، وأعلم تعالى رسوله (ص) بقولهم وإعتذارهم ، قبل أن يصل إليهم ، وأعلمه أنهم كاذبون في إعتذارهم

[يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم] أي يقولون خلاف ما يبطنون ، وهذا هو النفاق المحض ، فهم كاذبون في الاعتذار وطلب الاستغفار ، لأنهم قالوه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رياء من غير صدق ولا توبة

[قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا] ؟ أي قل لهم : من يمنعكم من مشيئة الله وقضائه ، إن أراد أن يلحق بكم أمرا يضركم كالهزيمة ، أو أمرا ينفعكم كالنصر والغنيمة ؟ قال القرطبي : وهذا رد عليهم حين ظنوا أن التخلف عن الرسول (ص) يدفع عنهم الضر ، ويعجل لهم النفع

[بل كان الله بما تعملون خبيرا] أي ليس الأمر كما زعمتم ، بل الله مطلع على ما في قلوبكم من الكذب والنفاق . . ثم أظهر تعالى ما يخفونه في نفوسهم ، فقال سبحانه

[بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا] أي بل ظننتم أيها المنافقون أن محمدا وأصحابه لن يرجعوا إلى المدينة أبدا

[وزين ذلك في قلوبكم] أي وزين لكم الشيطان ذلك الضلال في قلوبكم

[وظننتم ظن السوء] أي طننتم أنهم يستأصلون بالقتل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، ولا يرجع منهم أحد

[وكنتم قوما بورا] أي وكنتم قوما هالكين عند الله ، مستوجبين لسخطه وعقابه بنفاقكم ، وعدم خروجكم مع الرسول (ص) ، ونواياكم الخبيثة

[ومن لم يؤمن بالله ورسوله] لما بين حال المتخلفين عن رسول الله ، وبين حال ظنهم الفاسد ، وأنه يفضي بصاحبه إلى الكفر ، حرضهم على الإيمان والتوبة على سبيل العموم ، والمعنى : من لم يؤمن بالله ورسوله بطريق الإخلاص والصدق

[فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا] أي فإنا هيأنا للكافرين نارا شديدة مستعرة ، وهو وعيد شديد للمنافقين

[ولله ملك السموات والأرض] أي له جد وعلا جميع ما في السموات والأرض ، يتصرف في الكل كيف يشاء

[يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء] أي يرحم من يشاء من عباده ويعذب من يشاء ، وهذا قطع لطمعهم في استغفار رسول الله (ص) لهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وكان الله غفورا رحيما] أي واسع المغفرة عظيم الرحمة

[سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها] أي سييقول الذين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله (ص) في عمرة الحديبية ، عند ذهابكم إلى مغانم خيبر لتحصلوا عليها

[ذرونا نتبعكم] أي اتركونا نخرج معكم إلى خيبر لنقاتل معكم

[يريدون أن يبدلوا كلام الله] أي يريدون أن يغيروا وعد الله الذي وعده لأهل الحديبية ، من جعل غنائم خيبر لهم خاصة ، لا يشاركهم فيها أحد قال القرطبي : إن الله تعالى جعل لأهل الحديبية غنائم خيبر ، عوضا عن فتح مكة ، إذا رجعوا من الحديبية على صلح

[قل لن تتبعونا] أي قل لهم لا تتبعونا ، فلن يكون لكم فيها نصيب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[كذلكم قال الله من قبل] أي كذلكم حكم الله تعالى بأن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ، ليس لغيرهم فيها نصيب [من قبل] أي قبل رجوعنا منها

[فسيقولون بل تحسدوننا] أي فسيقولون ليس هذا من الله ، بل هو حسد منكم لنا على معاركتكم في الغنيمة ، قال تعالى رذا عليهم

[بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا] أي لا يفهمون إلا فهما قليلا ، وهو حرصهم على الغنائم وأمور الدنيا

[قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد] أي قل لهؤلاء الذين تخلفوا عن الحديبية - كرر وصفهم بالمخلفين ظهارا لشناعته ، ومبالغة قي ذمهم - ستدعون إلى حرب قوم أشداء ، هم بنو حنيفة - قوم مسيلمة الكذاب - أصحاب الردة

[تقاتلونهم أو يسلمون] أي إما أن تقتلوهم أو يدخلوا في دينكم بلا قتال

[فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا] أي فإن تستجيبوا وتخرجوا لقتالهم ، يعطكم الله الغنيمة والنصر في الدنيا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، والجنة في الآخرة

[وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما] أي وإن تتخلفوا عن الخروج كما تخلفتم زمن الحديبية ، يعذبكم الله عذابا شديدا مؤلمأ في نار جهنم . . ثم ذكر تعالى الأعذار المبيحة في ترك الجهاد ، فقال سبحانه [ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج] أي ليس على هؤلاء إثم أو ذنب في ترك الخروج للجهاد ، لما بهم من الأعذار الظاهرة [ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار] أي من يطع أمر الله وأمر الرسول ، يدخله جنات النعيم خالدا فيها ، تجري من تحت قصورها ومساكنها أنهار الجنة

[ومن يتول يعذبه عذابا أليما] أي ومن ينكل عن الجهاد لغير عذر ، يعذبه الله عذابا شديدا ، في الدنيا بالمذلة والهوان ، وفي الآخرة بالخلود في نار الجحيم . قال الله تعالى : [لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة . .] إلى قوله [مغفرة وأجرا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عظيما] . من آية (18) إلى نهاية السورة الكريمة آية (29) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى حال المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله (ص) ، ذكر تعالى حال المؤمنين المجاهدين الذين بايعوا الرسول " بيعة الرضوان " ، تسجيلا لرضى الله تعالى عنهم ، وتخليدا لمآثرهم الكريمة ، وختم السورة الكريمة بالثناء على الصحابة الأبرار ، بأبلغ ثناء وأكرم تمجيد .

اللغه :

[أظفركم] أظهركم وأعلاكم ، ظفر بالشيء غلب عليه ، وأظفره غلبه

[معكوفا] محبوسا ومنه الاعتكاف

[معرة] المعرة : العيب والمشقة اللاصقة بالإنسان ، مأخوذة من العر وهو الجرب

[تزيلوا] تميزوا

[الحمئة] الأنفة والغضب الشديد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[سيماهم] علامتهم

[شطأه] الشطء : الفراخ قال الجوهري : شطء الزرع والنبات : فراخه والجمع أشطاء ، وقال البخاري في كتاب التفسير

[شطأه] شطء السنبل : تنبت الحبة عشرأ أو ثمانيا فيقوى بعضه ببعض

[أزره] قواه وأعانه وشده .

سبب النزول :

عن أنس رضي الله عنه أن ثمانين من أهل مكة هبطوا على النبي (ص) من التنعيم ، متسلحين يريدون الغدر به وبأصحابه ، فأخذناهم أسرى فأنزل الله تعالى [وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة . .] الآية .

التفسير :

[لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة] اللام موطنة لقسم محذوف أي والله لقد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رضي الله عن المؤمنين ، حين بايعوك يا محمد " بيعة الرضوان " تحت ظل الشجرة بالحديبية قال المفسرون : كان سبب هذه البيعة أن رسول الله (ص) لما بلغ الحديبية ، أرسل (عثمان بن عفان) إلى أهل مكة يخبرهم أنه إنما جاء معتمرا ، وأنه لا يريد حربا ، فلما ذهب عثمان حبسوه عندهم ، وجاء الخبر إلى رسول الله (ص) أن عثمان قد قتل ، فدعا رسول الله (ص) الناس إلى البيعة ، على أن يدخلوا مكة حربا ، وبايعوه على الموت ، فكانت (بيعة الرضوان) فلما بلغ المشركين ذلك أخذهم الرعب وأطلقوا عثمان ، وطلبوا الصلح من رسول الله (ص) على أن يأتي في العام القابل ، ويدخلها ويقيم فيها ثلاثة أيام ، وكانت هذه البيعة تحت شجرة سمرة بالحديبية وقد سميت (بيعة الرضوان) ولما رجع المسلمون يعلوهم الحزن والكآبة ، أراد الله تسليتهم وإذهاب الحزن عنهم ، فأنزل هذه السورة على رسوله (ص) بعد مرجعه من الحديبية ، فكانت فرحة لهم وأنسا [إنا فتحنا لك فتحا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مبينا] وكان عدد الذين بايعوا رسول الله (ص) ألفا وأربعمائة رجل ، وفيهم نزلت الآية الكريمة [لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة] ولم يتخلف عن البيعة إلا " الجذ بن قيس " وكان من المنافقين ، وحضر هذه البيعة " روح القدس " جبريل الأمين ، ولهذا سطرت في الكتاب المبين

[فعلم ما في قلوبهم] أي فعلم تعالى ما في قلوبهم من الصدق والوفاء ، عند مبايعتهم لك على حرب الأعداء

[فأنزل السكينة عليهم] أي رزقهم الطمأنينة وسكون النفس عند البيعة

[وأثابهم فتحا قريبا] أي وجازاهم على بيعة الرضوان بفتح خيبر ، وما فيها من النصر والغنائم ، زيادة على ثواب الآخرة

[ومغانم كثيرة يأخذونها] أي وجعل لهم الغنائم الكثيرة التى غنموها من خيبر ، قال ابن كثير : هو ما أجرى الله عز وجل على أيديهم ، من الصلح بينهم وبين أعدائهم ، وما حصل بذلك من الخير العائم بفتح خيبر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، ثم فتح سائر البلاد والأقاليم ، وما حصل لهم من العز والنصر ، والرفعة في الدنيا والآخرة ، ولهذا قال تعالى :

[وكان الله عزيزا حكيما] أي غالبا على أمره ، حكيما في تدبيره وصنعه ، ولهذا نصركم عليهم وغنمكم أرضهم وديارهم وأموالهم

[وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها] أي وعدكم الله معشر المؤمنين - على جهادكم وصبركم - الفتوحات الكثيرة ، والغنائم الوفيرة تأخذونها من أعدائكم ، قال ابن عباس : هي المغانم التي تكون إلى يوم القيامة قال في البحر : ولقد اتسع نطاق الإسلام ، وفتح المسلمون فتوحا لا تحصى ، وغنموا مغانم لا تعد ، وذلك في شرق البلاد وغربها ، حتى في الهند والسودان - تصديقا لوعده تعالى - وقدم علينا أحد ملوك غانة من بلاد التكرور ، وقد فتح أكثر من خمسة وعشرين مملكة من بلاد السودان ، وأسلموا معه ، وقدم علينا ببعض ملوكهم يحج معه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فعجل لكم هذه] أي فعجل لكم غنائم خيبر بدون جهد وقتال

[وكف أيدي الناس عنكم] أي ومنع أيدي الناس أن تمتد إليكم بسوء ، قال المفسرون : المراد أيدي أهل خيبر وحلفائهم من بني أسد وغطفان ، حين جاءوا لنصرتهم ، فقذف الله في قلوبهم الرعب

[ولتكون آية للمؤمنين] أي ولتكون الغنائم ، وفتح مكة ، ودخول المسجد الحرام ، علامة واضحة تعرفون بها صدق الرسول ، فيما أخبركم به عن الله

[ويهديكم صراطا مستقيما] أي ويهديكم تعالى إلى الطريق القويم ، الموصل إلى جنات النعيم ، بجهادكم وإخلاصكم قال الإمام الفخر : والآية للإشارة إلى أن ما أعطاهم من الفتح والمغانم ، ليس هو كل الثواب ، بل الجزاء أمامهم ، وإنما هو شيء عاجل ، عجله لهم لينتفعوا به ، ولتكون آية لمن بعدهم من المؤمنين ، تدل على صدق وعد الله ، في وصول ما وعدهم به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما وصل إليكم ((وما ذكره ابن كثير هو الراجح وهو اختيار الطبري وأبي حيان ، وهو منقول عن قتادة والحسن ، ويؤيده أن الله تعالى قال : {لم تقدروا عليها} وهذا يدل على تقدم محاولة لفتحها وهو منطبق على " فتح مكة " وقيل إن المراد : فتح فارس والروم ، وقيل هوازن في حنين ، وما ذكرناه أرجح والله أعلم)).

[وأخرى لم تقدروا عليها] أي وغنيمة أخرى يسرها لكم ، لم تكونوا بقدرتكم الاستطاعة عليها ، ولكن الله بفضله وكرمه فتحها لكم ، والمراد بها فتح مكة

[قد أحاط الله بها] أي قد استولى الله عليها بقدرته ، ووهبها لكم ، من غير قتال ، فهى كالشيء المحاط به من جوانبه ، محبوس لكم لا يفوتكم

[وكان الله على كل شيء قديرا] أي قادرا على كل شيء ، لا يعجزه شيء أبدا ، فهو القادر على نصرة أوليائه ، وهزم أعدائه ، قال ابن كثير : المعنى : أي وغنيمة أخرى وفتحا آخر معينا ، لم تكونوا تقدرون عليها ، قد يسرها الله عليكم وأحاط بها لكم ، فإنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى يرزق عباده المتقين من حيث لا يحتسبون ، والمراد بها في هذه الآية " فتح مكة " وهو اختيار الطبري

[ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار] تذكير لهم بنعمة أخرى ، أي ولو قاتلكم أهل مكة ولم يقع الصلح بينكم وبينهم ، لغلبوا وانهزموا أمامكم ولم يثبتوا

[ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا] أي ثم لا يجدون من يتول امرهم بالحفظ والرعاية ، ولا من ينصرهم من عذاب الله

[سنة الله التي قد خلت من قبل] أي تلك طريقة الله وعادته الني سنها فيمن مض من الأمم ، من هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين ، قال في البحر : أي سن الله لأنبيائه ورسله سنة قديمة وهي قوله : [كتب الله لأغلبن أنا ورسلي]

[ولن تجد لسنة الله تبديلا] أي وسنته تعالى لا تتبدل ولا تتغير

[وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أي وهو تعالى بقدرته وتدبيره ، صرف أيدي كفار مكة عنكم ، كما صرت عنهم أيديكم بالحديبية ، التي هي قريبة من البلد الحرام قال ابن كثير : هذا امتنان من الله تعالى على عباده المؤمنين ، حين كف ايدي المشركين عنهم ، فلم يصل إليهم منهم سوء ، وكف أيدي المؤمنين عن المشركين ، فلم يقاتلوهم عند المسجد الحرام ، بل صان كلا من الفريقين ، وأوجد بينهم صلحا ، فيه خيرة للمؤمنين وعاقبة حسنة لهم في الدنيا والآخرة

[من بعد أن أظفركم عليهم] أي من بعد ما أخذتموهم أسارى وتمكنتم منهم ، قال الجلال : وذلك أن ثمانين من المشركين طافوا بعسكر المؤمنين ليصيبوا منهم ، فأخذوا وأتي بهم إلى رسول الله (ص) فعفا عنهم وخلى سبيلهم ، فكان ذلك سبب الصلح وقال في التسهيل : وروي في سببها أن جماعة من فتيان قريش خرجوا إلى الحديبية ، ليصيبوا من عسكر رسول الله (ص) ، فبعث إليهم رسول الله (ص) خالد بن الوليد في جماعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من المسلمين ، فهزموهم وأسروا منهم قوماً ، وساقوهم الى رسول الله (ص) فأطلقهم ، فكف أيدي الكفار هو هزيمتهم وأسرهم ، وكف أيدي المؤمنين عن الكفار ، هو إطلاقهم من الأسر ، وسلامتهم من القتل

[وكان الله بما تعملون بصيرا] أي هو تعالى بصير بأعمالكم وأحوالكم ، يعلم ما فيه مصلحة لكم ، ولذلك حجزكم عن الكافرين رحمة بكم ، وحرمة لبيته العتيق ، لئلا تسفك فيه الدماء . . ثم ذكر تعالى استحقاق المشركين للعذاب والدمار ، فقال سبحانه :

[هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام] أي هم كفار قريش المعتدون ، الذين كفروا بالله والرسول ، ومنعوا المؤمنين عن دخول المسجد الحرام ، لأداء مناسك العمرة عام الحديبية

[والهدي معكوفا أن يبلغ محله] أي وصدوا الهدي أيضا وهو ما يهدى لبيت الله لفقراء الحرم - معكوفا أي محبوسا عن أن يبلغ مكانه الذي يذبح فيه وهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحرم قال القرطبي : يعني قريشا منعوا المسلمين من دخول المسجد الحرام عام الحديبية ، حين أحرم رسول الله (ص) مع أصحابه بالعمرة ، ومنعوا الهدي وحبسوه عن أن يبلغ محله ، وهذا كانوا لا يعتقدونه ، ولكن حملتهم الأنفة ودعتهم الحمية الجاهلية ، على أن يفعلوا ما لا يعتقدونه دينا ، فوبخهم الله على ذلك وتوعدهم عليه ، وأدخل الأثر على رسول الله ببيانه ووعده

[ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات] أي ولولا أن في مكة رجالا ونساء من المؤمنين المستضعفين ، الذين يخفون إيمانهم خوفا من المشركين

[لم تعلموهم] أي لا تعرفونهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين

[أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم] أي كراهة أن توقعوا بهم وتقتلوا منهم ، دون علم منكم بإيمانهم ، فينالكم بقتلهم إثم وذنب ، وجواب " لولا " محذوف تقديره : لأذن لكم في دخول مكة ، ولسلطكم على المشركين ، قال الصاوي : والجواب محذوف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قدره الجلال بقوله : لأذن لكم في الفتح ، ومعنى الآية : لولا كراهة أن تهلكوا أناسا مؤمنين بين أظهر الكفار ، حال كونكم جاهلين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه ، لما كف أيديكم عنهم) ، ولأذن لكم في فتح مكة

[ليدخل الله في رحمته من يشاء] أي إنما فعل ذلك ليختص المؤمنين من بين أظهر المشركين ، وليرجع كثير منهم إلى الإسلام ، قال القرطبي : أي لم يأذن الله لكم في قتال المشركين ، ليسلم بعد الصلح من قضى الله أن يسلم من أهل مكة ، وكذلك كان ، أسلم الكثير منهم وحسن إسلامه ، ودخلوا في رحمته وجنته

[لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما] أي لو تفرقوا وتميز بعضهم عن بعض ، وانفصل المؤمنون عن الكفار ، لعذبنا الكافرين منهم أشد العذاب ، بالقتل والسبى ، والتشريد من الأوطان

[إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية] أي حين دخل إلى قلوب الكفار الأنفة والكبرياء بالباطل ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فرفضوا أن يكتبوا في كتاب الصلح (بسم الله الرحمن الرحيم) ورفضوا أن يكتبوا (محمد رسول الله)

وقولهم : لو نعلم أنك رسول الله لاتبعناك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك

[حمية الجاهلية] اي أنفة وغطرسة ، وعصبية جاهلية

((يقول سيد قطب رحمه الله في تفسير الظلال ما نصه " وهذه الحمية إنما هي حمية الكبر والفخر ، والبطر والتعنت ، الحمية الجاهلية التي جعلتهم يقفون في وجه رسول الله (ص) والمؤمنين ، يمنعونهم من المسجد الحرام ، ويحبسون الهدي الذي ساقوه أن يبلغ محله الذي ينحر فيه ، مخالفين بذلك كل عرف وكل عقيدة ، كي لا تقول العرب : إن محمدا دخلها عليهم عنوة ، ففي سبيل هذه النعرة الجاهلية يرتكبون هذه الكبيرة الكريهة في كل عرف ودين ، وينتهكون حرمة البيت الحرام الذي يعيشون على حساب قداسته ، وينتهكون حرمة الأشهر الحرام التي لم تنتهك فى جاهلية ولا إسلام ")).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين] أي جعل الطمأنينة والوقار في قلب الرسول والمؤمنين ، ولم تلحقهم العصبية الجاهلية كما لحقت المشركين

[وألزمهم كلمة التقوى] أي اختار لهم كلمة التقوى - إلزام تكريم وتشريف - وهي كلمة التوحيد " لا إله إلا الله " هذا قول الجمهور ، والظاهر : أن المراد بكلمة التقوى هي إخلاصهم وطاعتهم لله ورسوله وعدم شق عصا الطاعة ، عندما كتبت بنود الصلح ، وكانت مجحفة بحقوق المسلمين في الظاهر ، فثبت الله المؤمنين على طاعة رسول الله (ص) وكان في هذا الصلح كل الخير للمسلمين

[وكانوا أحق بها وأهلها] أي وكانوا أحق بهذه الفضيلة من كفار مكة ، لأن الله اختارهم لدينه وصحبة نبيه

[وكان الله بكل شيء عليما] أي عالما بمن هو أهل للفضل ، فيخصه بمزيد من الخير التكريم . . ثم أخبر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى عن رؤيا رسول الله ، فى المنام - وهي رؤيا حق - لأنها جزء من الوحي ، فقال سبحانه :

[لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق] اللام موطئة للقسم ، و " قد " للتحقيق أي والله لقد جعل الله رؤيا رسوله صادقة محققة ، لم يدخلها الشيطان لأنها رؤيا حق ، قال المفسرون : كان رسول الله (ص) قد رأى في منامه ، أنه دخل مكة هو وأصحابه وطافوا بالبيت ، ثم حلق بعضهم وقصر بعضهم ، فحدث بها أصحابه ففرحوا واستبشروا ، فلما خرج إلى الحديبية مع الصحابة ، وصده المشركون عن دخول مكة ، ووقع ما وقع من قضية الصلح ، ارتاب المنافقون وقالوا : والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا البيت ، فأين هي الرؤيا ؟ ووقع في نفوس بعض المسلمين شيء فنزلت الآية [لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق] فأعلم تعالى أن رؤيا رسوله حق ، وأنه لم يكذب فيما رأى ، ولكن ليس في الرؤيا أنه يدخلها عام ست من الهجرة ، وإنما أراه مجرد صورة الدخول ، وقد حقق الله له ذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعد عام ، فذلك قوله تعالى :

[لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله] أي لتدخلن يا محمد أنت وأصحابك المسجد الحرام بمشيئة الله

[آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين] أي تدخلونها آمنين من العدو ، تؤدون مناسك العمرة ثم يحلق بعضكم رأسه ، ويقصر بعض

[لا تخافون] أي غير خائفين ، وليس فيه تكرار لأن المراد آمنين وقت دخولكم ، وحال المكث ، وحال الخروج

[فعلم ما لم تعلموآ] أي فعلم تعالى ما في الصلح من الحكمة ، والخير والمصلحة لكم ، ما لم تعلموه أنتم ، قال ابن جزي : يريد ما قدره تعالى من ظهور الإسلام في تلك المدة ، فإنه لما انعقد الصلح وارتفعت الحرب ، رغب الناس في الإسلام ، فكان رسول الله (ص) فى غزوة الحديبية في ألف وأربعائة ، وغزا (غزوة الفتح) بعدها بعامين ومعه عشرة الآف

[فجعل من دون ذلك فتحا قريبا] أي فجعل قبل ذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فتحا عاجلا لكم ، وهو " صلح الحديبية " وسمي فتحا لما ترتب عليه من الآثار الجليلة ، والعواقب الحميدة ، ولهذا روى البخاري عن البراء رضي الله عنه أنه قال : تعدون انتم الفتح " فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحآ ، ونحن نعد الفتح " بيعة الرضوان " يوم الحديبية 00 الحديث

[هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق] أي هو جل وعلا الذي أرسل محمدا بالهداية التامة ، والرسالة الشاملة الكاملة ، والدين الحق المستقيم دين الإسلام

[ليظهره على الدين كله] أي ليعليه على جميع الأديان ، ويرفعه على سائر الشرائع السماوية

[وكفى بالله شهيدا] أي وكفى بالله شاهدا على أن محمدا رسوله . . ثم أثنى تعالى على أصحاب رسول الله بالثناء العاطر ، وشهد لرسوله بصدق الرسالة فقال سبحانه :

[محمد رسول الله] أي هذا الرسول المسمى محمدا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هو رسول الله حقا ، لا كما يقول المشركون إنه ساحر أو شاعر

[والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم] أي وأصحابه الأبرار الأخيار ، غلاظ على الكفار متراحمون فيما بينهم ، كقوله تعالى : [أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين] قال أبو السعود : أي يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ، ولمن وافقهم في الدين الرحمة والرأفة ، قال المفسرون : وذلك لأن الله أمرهم بالغلظة عليهم وليجدوا فيكم غلظة] وقد بلغ من تشديدهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تمس أبدانهم ، وكان الواحد منهم إذا رأى أخاه في الدين صافحه وعانقه

[تراهم ركعا سجدا] أي تراهم أيها السامع راكعين ساجدين ، من كثرة صلاتهم وعبادتهم ، فهم رهبان بالليل أسود بالنهار

[يبتغون فضلا من الله ورضوانا] أي يطلبون بعبادتهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رحمة الله ورضوانه ، قال ابن كثير : وصفهم بكثرة الصلاة وهي خير الأعمال ، ووصفهم بالإخلاص لله عز وجل والاحتساب عنده بجزيل الثواب ، وهو الجنة المشتملة على فضل الله ورضاه

[سيماهم في وجوههم من أثر السجود] أي علامتهم وسمتهم كائنة في جباههم ، من كثرة السجود والصلاة قال القرطبي : لاحت في وجوههم علامات التهجد بالليل ، وأمارات السهر ، قال ابن جريج : هو الوقار والبهاء ، وقال مجاهد : هو الخشوع والتواضع ، قال منصور سألت مجاهدا عن قوله تعالى : [سيماهم في وجوههم] أهو أثر يكون بين عيني الرجل ؟ قال : لا ، ربما يكون بين عيني الرجل مثل ركبة العنز ، وهو أقسى قلبا من الحجارة ، ولكنه نور في وجوههم من الخشوع

[ذلك مثلهم قي التوراة] أي ذلك وصفهم في التوراة : الشدة على الكفار ، والرحمة بالمؤمنين ، وكثرة الصلاة والسجود

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه] أي ومثلهم في الإنجيل كزرج أخرج فراخه وفروعه

[فآزره فاستغلظ] أي فقواه حتى صار غليظا

[فاستوى على سوقه] أي فقام الزرع واستقام على أصوله ، قال البخاري : وهو مثل ضربه الله للنبى (ص) إذ خرج وحده ثم قواه الله بأصحابه ، كما قوى الحبة بما ينبت منها

[يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار] أي يعجب هذا الزرع الزراع ، بقوته وكثافته وحسن منظره ، ليغتاظ بهم الكفار ، قال الضحاك : هذا مثل في غاية البيان ، فالزرع محمد (ص) والشطء أصحابه ، كانوا قليلا فكثروا ، وضعفاء فقووا ، وقال القرطبي : وهذا مثل ضربه الله تعالى لأصحاب النبي (ص) ، يعني أنهم يكونون قليلا ، ثم يزدادون ويكثرون ، فكان النبي (ص)حين بدأ بالدعوة ضعيفا ، فأجابه الواحد بعد الواحد حتى قوي أمره ، كالزرع يبدو بعد البذر ضعيفا فيقوى حالا بعد حال ، حتى يغلظ نباته ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأفراخه ، فكان هذا من أصح مثل وأقوى بيان

[وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما] أي وعدهم تعالى في الآخرة بالمغفرة التامة ، والأجر العظيم ، والرزق الكريم في جنات النعيم ، اللهم ارزقنا محبتهم يا رب العالمين .

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - ا لطباق بين [تقدم . . وتأخر] وبين [مبشرا . . ونذيرا] وبين [بكرة . . وأصيلا] وبين [نكث . . وأوفى] وبين [أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا] وبين [يغفر . . ويعتب] وبين [محلقين . . ومقصرين] وبين [أشداء . . ورحماء] .

2 - المقابلة اللطيفة بين [ليدخل المؤمنين والمؤمنات . .] الآية وبين [ويعذب المنافقين والمنافقات] الآية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3 - الاستعارة التصريحية ثم المكنية [إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم] شبه المعاهدة على التضحية بالأنفس ، في سبيل ألذ طلبا لمرضاته ، بدفع السلع في نظير الأموال ، واستعير أصم المشبه به للمشبه ، واشتق من البيع يبايعون بمعنى " يعاهدون " على تقديم أنفسهم في سبيل الله فهي استعارة تصريحية ، والمكنية في قوله : [يد الله فوق أيديهم] شبه اطلاع الله على مبايعتهم ، ومجازاته على طاعتهم ، بملك وضع يده على يد وزيره ورعيته ، وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو اليد ، على طريق الاستعارة المكنية ، ففي الآية استعارتان : تصريحية ، ومكنية .

4 - الكناية [ولوا الأدبار] كناية عن الهزيمة لأن المنهزم يدير ظهره لعدوه للهرب .

5 - التعبير بصيغة المضارع لاستحضار صورة المبايعة [لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك . .] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

6 - الالتفات من ضمير الغائب إلى الخطاب [وعدكم الله مغانم] بعد قوله تعالى : [فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم] وذلك لتشريف المؤمنين في مقام الإمتنان .

7 - الإطناب بتكرار الحرج [ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج] لتأكيد نفى الإثم عن أصحاب الأعذار .

8 - التشبيه التمثيلى [كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه . .] الآية لأن وجه الشبه منتزع من متعدد.

9 - مراعاة الفواصل في نهاية الآيات وهو من المحسنات البديعية ، مثل [فتحا قريبا] [أجرا عظيما] (وكفى بالله شهيدا] وأمثال ذلك ، مما يزيد في حسن الكلام ورونقه .

سورة الحجرات

مدنية وآياتها ثمان عشرة آية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بين يدي السورة

* هذه السورة الكريمة مدنية ، وهي على وجازتها سورة جليلة ضخمة ، تتضمن حقائق التربية الخالدة ، وأسس المدنية الفاضلة ، حتى سماها بعض المفسرين " سورة الأخلاق

* ابتدأت السورة الكريمة بالأدب الرفيع الذي أدب الله به المؤمنين ، تجاه شريعة الله وأمر رسوله ، وهو ألا يبرموا أمرا ، أو يبدوا رأيا ، أو يقضوا حكما في حضرة الرسول (ص) ، حتى يستشيروه ، ويستمسكوا بارشاداته الحكيمة [يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم] .

*ثم انتقلت إلى أدب آخر وهو خفض الصوت إذا تحدثوا مع الرسول (ص) تعظيما لقدره الشريف ، واحتراما لمقامه السامي ، فإنه ليس كعامة الناس بل هو رسول الله ، ومن واجب المؤمنين أن يتأدبوا معه في الخطاب مع التوقير والتعظيم والإجلال [يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي . .]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الآيات .

*ومن الأدب الخاص إلى الأدب العام ، تنتقل السورة لتقرير دعائم المجتمع الفاضل ، فتأمر المؤمنين بعدم السماع للإشاعات ، وتأمر بالتثبت من الأنباء والأخبار ، لاسيما إن كان الخبر صادرا عن شخص غير عدل أو شخص متهم ، فكم من كلمة نقلها فاجر فاسق ، سببت كارثة من الكوارث ، وكم من خبر لم يتثبت منه سامعه ، جر وبالا ، وأحدث انقساما [يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا . .] الآيات .

* ودعت السورة إلى الإصلاح بين المتخاصمين ، ودفع عدوان الباغين [وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما . .] الآيات .

* وحذرت السورة من السخرية والهمز واللمز ، ونفرت من الغيبة والتجسس ، والظن السيىء بالمؤمنين ، ودعت إلى مكارم الأخلاق ، والفضائل الاجتماعية ، وحين حذرت من الغيبة جاء النهي في تعبير رائع عجيب ، أبدعه القرآن غاية الإبداع ، صورة رجل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يجلس إلى جنب أخ له ميت ينهش منه ويأكل لحمه [ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه] الآية ويا له من تنفير عجيب إ! .

* وختمت السورة بالحديث عن الأعراب الذين ظنوا الايمان كلمة تقال باللسان ، وجاءوا يمنون على الرسول إيمانهم ، وقد وضحت حقيقة الإيمان ، وحقيقة الإسلام ، وشروط المؤمن تلكامل ، وهو الذي جمع الإيمان ، والإخلاص والجهاد ، وتلعمل تلصالح [إنما المؤمنون الذي آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون . .] إلى آخر السورة الكريمة .

التسمية :

سميت (سورة الحجرات) لأن الله تعالى ذكر فيها حرمة بيوت النبي (ص) وهي الحجرات التي كان يسكنها أمهات المؤمنين الطاهرات رضوان الله عليهن .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله . .] إلى قوله [ان الله تواب رحيم] .

من آية (1) إلى نهاية آية (12) .

اللغة :

[يغضون] غض صوته خفضه وخافت به

[فاسق] الفاسق : الخارج من حدود الشرع ، وهو في أصل الاشتقاق موضوع لما يدل على معنى الخروج ، مأخوذ من قولهم : فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها ، وسمي فاسقا لخروجه عن الطاعة

[نبأ] النبأ : الخبر الهام قال الراغب : لا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يكون فيه فائدة عظيمة ، يحصل به علم أو غلبة ظن

[عنتم] وقعتم في العنت وهو المشقة والهلاك ، قال في اللسان : العنت : الهلاك وأغنته أوقعه في الهلكة

[الراشدون] جمع راشد وهو المهتدي إلى محاسن الأمور

[تفيء] ترجع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[بغت] اعتدت واستطالت ، وأصله مجاوزة الحد في الظلم والطغيان

[تلمزوا] تعيبوا .

سبب النزول :

أ - روي أن بعض الأعراب الجفاة جاءوا إلى حجرات أزواج النبي (ص) فجعلوا ينادونه : يا محمد أخرج إلينا ، يا محمد أخرج إلينا فأنزل الله [إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون] .

ب - وروي أن النبي (ص) بعث (الوليد بن عقبة) إلى الحارث بن ضرار ليقبض ما كان عنده من الزكاة التي جمعها من قومه ، فلما سار الوليد واقترب منهم ، خاف وفزع ، فرجع إلى رسول الله (ص) وقال يا وسول الله : إنهم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة ، فهم بعض الصحابة بالخروج إليهم وقتالهم ، فأنزل الله [ياأيها الذين آمنوا إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا . .] الآية .

ج - عن أنس قال : قيل للنبي (ص) لو أتيت " عبد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله بن ابى " - وهو رأس المنافقين - فانطلق إليه وركب حمارا ، وانطلق معه المسلمون يمشون ، فلما أتاه النبي (ص) قال له : إليك عني - أي تنح وابتعد عني - فوالله لقد أذاني نتن حمارك ، فقال رجل من الانصار : والله لحمار رسول الله (ص) أطيب ريحا منك ، فغضب لعبد الله رجل من قومه ، وغضب للأنصاري آخرون من قومه ، فكان بينهم ضرب بالجريد ، والأيدي والنعال ، فأنزل الله [وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما . .] الآية .

التفسير :

[يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله]

أي يا أيها المؤمنون ، يا من اتصفتم بالإيمان ، وصدقتم بكتاب الله ، لا تقدموا أمرا أو فعلا بين يدي الله ورسوله ، وحذف المفعول للتعميم ليذهب ذهن السامع إلى كل ما يمكن تقديمه من قول أو فعل ، أي لا تبرموا أمرا ، ولا تبدوا رأيا ، ولا تقضوا حكما في حضرة النبي (ص) مثله إذا عرضت مسألة في مجلسه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(ص) لا يسبقونه بالجواب ، وإذا حضر الطعام لا يبتدئون بالأكل ، وإذا ذهبوا معه إلى مكان ، لا يمشون أمامه ونحو ذلك ، قال ابن عباس : نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه (ص) وقال الضحاك : لا تقضوا أمرا دون الله ورسوله من شرائع دينكم وقال البيضاوي : المعنى لا تقطعوا أمرا قبل أن يحكم الله ورسوله به ، وقيل : المراد بين يدي رسول الله (ص) وذكر اسم الله تعظيما له وإشعارا بأنه من الله بمكان يوجب إجلاله [واتقوا الله إن الله سميع عليم] أي واتقوا الله فيما أمركم به ، إن الله سميع لأقوالكم ، عليم بنياتكم وأحوالكم ، وإظهار الاسم الجليل ، لتربية المهابة والروعة في النفس . . ثم أرشد تعالى المؤمنين إلى وجوب توقير الرسول (ص) ، واجلاله واحترامه فقال سبحانه :

[يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي] (ص) أي إذا كلمتم رسول الله (ص)فاخفضوا أصواتكم ، ولا ترفعوها على صوت النبي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض] أي ولا تبلغوا حد الجهر عند مخاطبته (ص) ، كما يجهر بعضكم في الحديث مع البعض ، ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا فتقولوا : يا محمد ، ولكن قولوا يا نبى الله ، ويا رسول الله ، تعظيما لقدره ، ومراعاة للأدب ، روى البخاري عن ابن أبى مليكة أنه قال : (كاد الخيران – أبا بكير ، وعمر - أن يهلكا ، رفعا أصواتهما عند النبي (ص) حين قدم عليه ركب (بني تميم) فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس ، وأشار الآخر برجل غيره ، فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إلا خلافى - أي مخالفة رأي - فقال عمر : ما أردت خلافك ، فارتفعت أصواتهما في ذلك ، فأنزل الله [لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي] الآية ، قال ابن الزبير : فما كان عمر يسمع رسول الله (ص) بعد هذه الآية حتى يستفهمه قال المفسرون : نزلت في بعض الأعراب الجفاة الذين كانوا ينادون رسول الله باسمه ، ولا يعرفون توقير الرسول الكريم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون] أي خشية أن تبطل أعمالكم من حيث لا تشعرون ولا تدرون ! ! فإن رفع الصوت والجهر بالكلام قي حضرته (ص) استخفاف قد يودي إلى الكفر المحبط للعمل ، قال ابن كثير : روي أن ثابت بن قيس كان رفيع الصوت ، فلما نزلت الآية قال : أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله (ص) ، أنا من أهل النار ، حبط عملي ، وجلس في أهله حزينا ، فافتقده رسول الله (ص) ، فانطلق بعض القوم إليه ، فقالوا له : تفقدك رسول الله (ص) ، ما لك ؟ فقال : أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي (ص) ، حبط عملي ، أنا من أهل النار ، فأتوا النبي (ص) فأخبروه بما قال ، فقال النبي (ص) : لا بل هو من أهل الجنة وفي رواية أترضى أن تعيش حميدا ، وتقتل شهيدا ، وتدخل الجنة ؟ فقال : رضيت ببشرى الله تعالى ورسوله (ص) ولا أرفع صوتي أبدا على صوت رسول الله (ص)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى] أي إن الذين يخفضون أصواتهم في حضرة الرسول (ص) ، أولئك الذين أخلص الله قلوبهم للتقوى ، ومرنها عليها وجعلها صفة راسخة فيها ، قال ابن كثير : أى أخلصها للتقوى وجعلها أهلا ومحلا له

[لهم مغفرة وأجرعظيم] أي لهم في الآخرة صفح عن ذنوبهم ، ثواب عظيم في جنات النعيم . . ثم ذم تعالى الأعراب الجفاة الذين ما كانوا يتأدبون في ندائهم للرسول (ص) فقال :

[إن الذين ينادونك من وراء الحجرات] أي يدعونك من وراء الحجرات ، منازل أزواجك الطاهرات

[أكثرهم لا يعقلون] أي أكثر هؤلاء غير عقلاء ، إذ العقل يقتضي حسن الأدب ، ومراعاة العظماء عند خطابهم ، سيما لمن كان بهذا المنصب الخطير ، قال البيضاوي : قيل إن الذي ناداه " عيينة بن حصين " و " الأقرع بن حابى " وفدا على رسول الله (ص) في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد ، فقالا : يا محمد أخرج إلينا

[ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم] أي ولو أن هؤلاء المنادين ، لم يزعجوا الرسول (ص) بمناداتهم ، وصبروا حتى يخرج إليهم لكان ذلك الصبر خيرا لهم وأفضل ، عند الله وعند الناس ، لما فيه من مراعاة الأدب في مقام النبوة

[والله غفور رحيم] أي الغفور لذنوب العباد ، الرحيم بالمؤمنين حيث اقتصر على نصحهم وتقريعهم ، ولم ينزل العقاب بهم . . ثم حذر تعالى من الاستماع للأخبار بغير تثبت ، فقال سبحانه :

[يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ] أي إذا أتاكم رجل فاسق - غير موثوق بصدقه وعدالته - بخبر من الأخبار

[فتبينوا] أي فتثبتوا من صحة الخبر

[أن تصيبوا قوما بجهالة] أي لئلا تصيبوا قوما وأنتم جاهلون حقيقة الأمر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فتصبحوا على ما فعلتم نادمين] أي فتصيروا نادمين أشد الندم على صنيعكم
[واعلموا أن فيكم رسول الله] أي واعلموا - أيها المؤمنون - أن بينكم الرسول المعظم ، والنبى المكرم ، المعصوم عن اتباع الهوى
[لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم] أي لو يسمع وشاياتكم ، ويصغي لإرادتكم ، ويطيعكم في غالب ما تشيرون عليه في الأمور ، لوقعتم في الجهد والهلاك ، قال ابن كثير : أي اعلموا أن بين أظهركم رسول الله ، فعظموه ووقروه ، فإنه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم منكم ، ولو أطاعكم في جميع ما تختارونه ، لأدى ذلك إلى عنتكم وحرجكم
[ولكن الله حبب إليكم الإيمان] أي ولكنه تعالى - بمنه وفضله - نور بصائركم فحبب إلى نفوسكم الإيمان
[وزينه في قلوبكم] أي وحسنه في قلوبكم ، حتى أصبح أغلى عندكم من كل شيء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان] أي ويغض إلى نفوسكم أنواع الضلال ، من الكفر ، والمعاصي ، والخروج عن طاعة الله ، والمراد بالفسوق الذنوب الكبار ، وبالعصيان جميع المعاصي

[أولئك هم الراشدون] أي أولئك المتصفون بالنعوت الجليلة هم المهتدون ، الراشدون في سيرتهم وسلوكهم ، والجملة تفيد الحصر أي هم الراشدون لا غيرهم

[فضلا من الله ونعمة] أي هذا العطاء تفضل منه تعالى عليكم وإنعام

[والله عليم حكيم] أي عليم بمن يستحق الهداية ، حكيم في خلقه وصنعه وتدبيره . . ثم عقب تعالى على ما يترتب على سماع الأنباء المكذوبة ، من تخاصم وتباغض وتقاتل ، فقال سبحانه :

[وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما] أي وإن حدث أن فئتين وجماعتين من إخوانكم المؤمنين جنحوا إلى القتال فأصلحوا بينهما ، واسعوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جهدكم للإصلاح بينهما ، والجمع [اقتتلوا] باعتبار المعنى ، والتثنية [بينهما] باعتبار اللفظ لأن لفظ (طائفة) مفرد ، وإن كان معناها العدد الوافر من الناس

[فإن بغت إحداهما على الأخرى] أي فإن اعتدت إحداهما على الأخرى ، وتجاوزت حدها بالظلم والطغيان ، ولم تقبل الصلح ، وصممت على البغي

[فقاتلوا التى تبغي حتى تفيء إلى أمر الله] أي فقاتلوا الفئة الباغية ، حتى ترجع إلى حكم الله وشرعه ، وتقلع عن البغي والعدوان ، وتعمل بمقتض اخوة الإسلام

[فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا] أي فإن رجعت وكفت عن القتال ، فأصلحوا بينهما بالعدل ، دون حيف على إحدى الفئتين ، واعدلوا في جميع أموركم

[إن الله يحب المقسطين] أي يحب العادلين الذين لا يجورون في أحكامهم ، قال البيضاوى : والآية نزلت في قتال حدث بين " الأوس " و " الخزرج " في عهده (ص) كان فيه ضرب بالسعف والنعال ، وهي تدل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على أن الباغي مؤمن ، وأنه إذا كف عن الحرب ترك ، وأنه يجب تقديم النصح والسعي في المصالحة

[إنما المؤمنون إخوة] أي ليس المؤمنون إلا إخوة ، جمعتهم رابطة الإيمان ، فلا ينبغي أن تكون بينهم عداوة ولا شحناء ، ولا تباغض ولا تقاتل ، قال المفسرون : [إنما] للحصر فكأنه يقول : لا أخوة إلا بين المؤمنين ، ولا أخوة بين مؤمن وكافر ، وفي الآية إشارة إلى أن أخوة الإسلام أقوى من أخوة النسب ، بحيث لا تعتبر أخوة النسب ، إذا خلت عن أخوة الإسلام

[فأصلحوا بين أخويكم] أي فأصلحوا بين إخوانكم المؤمنين ، ولا تتركوا الفرقة تدب ، والبغضاء تعمل عملها

[واتقوا الله لعلكم ترحمون] أي اتقوا الله تعالى بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، لتنالكم رحمته ، وتسعدوا بجنته ومرضاته

[يا أيها الذين أمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يكونوا خيرا منهم] أي يا معشر المؤمنين ، يا من اتصفتم بالإيمان ، ومذقتم بكتاب الله وبرسوله (ص) لا يهزأ جماعة بجماعة ، ولا يسخر أحد من أحد ، فقد يكون المستهزىء منه ، خيرا عند الله من الساخر (ورب أشعث أغبر ذو طمرين ، لو أقسم على الله لأبره)

[ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن] أي ولا يسخر نساء من نساء ، فعسى أن تكون المحتقر منها ، خيرا عند الله وأفضل من الساخرة

[ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب] أي ولا يعب بعضكم بعضا ، ولا يذكر أو ينادي بعضكم بعضا بلقب السوء ، وإنما قال : [أنفسكم] لأن المسلمين كأنهم نفس واحدة

[بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان] أي بئس أن يسمى الإنسان فاسقا بعد أن صار مؤمن ، قال البيضاوى : وفي الآية دلالة على أن التنابز فسق ، والجمع بينه وبين الإيمان مستقبح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون] أي ومن لم يتب عن اللمز والتنابز ، فأولئك هم الظالمون بتعريض أنفسهم للعذاب

[يا أيها الذين أمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن] أي ابتعدوا عن التهمة والتخون ، واساءة الظن بالأهل والناس ، وعبر بالكثير ليحتاط الإنسان في كل ظن ، ولا يسارع فيه بل يتأمل ويتحقق

[إن بعض الظن إثم] أي إن في بعض الظن إثم وذنب ، يستحق صاحبه العقوبة عليه ، قال عمر رضي الله عنه : " لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرا ، ولا تعتقدن بها شرا ، وأنت تجد لها في الخير حملا "

[ولا تجسسوا] أي لا تبحثوا عن عورات المسلمين ، ولا تتبعوا معايبهم ((وفي الحديث : " يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عورة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أخيه يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته " أخرجه أبو داود وأحمد في المسند)).

[ولا يغتب بعضكم بعضا] أي لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته بما يكرهه

[أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا] تمثيل لشناعة الغيبة وقبحها بما لا مزيد عليه من التقبيح أي هل يحب الواحد منكم ، أن يأكل لحم أخيه المسلم وهو ميت ؟

[فكرهتموه] أي فكما تكرهون هذا طبعا ، فاكرهوا الغيبة شرعا ، فإن عقوبتها أشد من هذا . . شبئه تعالى الغيبة بأكل لحم الأخ حال كونه ميتا ، ثم إذا كان الإنسان يكره لحم الإنسان - فضلا عن كونه أخا ، وفضلا عن كونه ميتا - وجب عليه أن يكره الغيبة بمثل هذه الكراهة أو أشد

[واتقوا الله] أي خافوا الله واحذروا عقابه ، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن الله تواب رحيم] أي إنه تعالى كثير التوبة ، عظيم الرحمة ، لمن اتقى الله وتاب وأناب ، وفي الآية حث على التوبة ، وترغي بالمسارعة إلى الندم ، والاعتراف بالخطأ لئلا يقنط الإنسان من رحمة الله تعالى .

قال الله تعالى : [يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى . .] إلى قوله [والله بصير بما تعملون] . من آية (13) إلى آية (18) نهاية السورة آلكريمة .

المناسبه :

لما دعا تعالى إلى مكارم الأخلاق ونهى عن مساوئها ، وحذر المؤمنين من بعض الأفعال القبيحة ، دعا الناس هنا جميعا للتعارف والتآلف ، ونهاهم عن التفاخر بالأنساب ، ثم بين صفات المؤمن الكامل الذي يحبه الله تعالى .

اللغة :

[يلتكم] ينقصكم

[قبائل] جمع قبيلة وهي الجماعة التي يربطها حسب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أو نسب ، وهي أخص من الشعب ، لأن الشعب الجمع العظيم المنتسبون إلى أصل واحد ، فالشعب يجمع القبيلة ، والقبيلة تجمع البطون والأفخاذ

[يرتابوا] يشكوا والريب : الشك

[يمنون] المن : الإمتنان على الشخص والاعتداد عليه بفعل المعروف ، وأصله في اللغة القطع ومنه قوله تعالى [فلهم أجر غير ممنون] .

سبب النزول :

عن ابن عباس قال : جاءت بنو أسد إلى رسول الله (ص) ، فقالوا يا رسول الله : أسلمنا ، وقاتلتك العرب ولم نقاتلك ، واخذوا يمنون عليه فنزلت الآية الكريمة [يمنون عليك أن أسلموا . .] الآية .

التفسير :

[يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى] الخطاب لجميع البشر أي نحن بقدرتنا خلقناكم من أصل! واحد ، وأوجدناكم من أب وأم ، فلا تفاخر بالآباء والأجداد ، ولا اعتداد بالحسب والنسب ، كلكم لآدم وآدم من تراب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا] أي وجعلناكم شعوبا شتى وقبائل متعددة ، ليحصل بينكم التعارف والتآلف ، لا التناحر والتخالف ، قال مجاهد : ليعرف الإنسان نسبه فيقال فلان بن فلان من قبيلة كذا ، وأصل تعارفوا تتعارفوا حذفت إحدى التاءين تخفيفا ، قال شيخ زاده : والمعنى إن الحكمة التى من أجلها جعلكم على شعوب وقبائل ؟ هي أن يعرف بعضكم نسب بعض ولا ينسبه إلى غير آبائه ، لا أن تتفاخر بالآباء والأجداد ، والنسب وإن كان يعتبر عرفا وشرعا ، حتى لا تزوج الشريفة بالنبطي ، إلا إنه لا عبرة به عند ظهور ما هو أعظم قدرا منه وأعز ، وهو (الإيمان والتقوى) ، كما لا تظهر الكواكب عند طلوع الشمس

[إن أكرمكم عند الله أتقاكم] أي إنما يتفاضل الناس بالتقوى لا بالأحساب والأنساب ، فمن أراد شرفا في الدنيا ومنزلة في الاخرة ، فليتق الله تعالى كما قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(ص) : (من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله) وفي الحديث : " الناس رجلان : رجل بر تقى كريم على الله تعالى ، ورجل فاجر شقي هين على الله تعالى [إن الله عليم خبير] أي عليم بالعباد ، مطلع على ظواهرهم وبواطنهم ، يعلم التقي والشقي ، والصالح والطالح [فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى] .

[قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا] أي زعم الأعراب أنهم آمنوا قل لهم يا محمد : إنكم لم تؤمنوا بعد ، لأن الإيمان تصديق مع ثقة واطمئنان قلب ، ولم يحصل لكم ، وإلا لما مننتم على الرسول بالإسلام ، وترك المقاتلة ، ولكن قولوا : استسلمنا خوف القتل والسبي ، قال المفسرون : نزلت في نفر من بني أسد ، قدموا المدينة في سنة مجدبة ، وأظهروا الشهادتين ، وكانوا يقولون لرسول الله (ص) أتيناك بالأثقال والعيال ، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وفلان ، يريدون الصدقة ، ويمتون على الرسول ، وقد دلت الآية على أن الإيمان مرتبة أعلى من الإسلام ، الذي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هو الاستسلام والانقياد بالظاهر ، ولهذا قال تعالى : [ولما يدخل الإيمان في قلوبكم] أي ولم يدخل الإيمان إلى قلوبكم ، ولم تصلوا إلى حقيقته بعد ، ولفظة " لما " تفيد التوقع ، كأنه يقول : وسيحصل لكم الإيمان عند اطلاعكم على محاسن الإسلام ، وتذوقكم لحلاوة الإيمان ، قال ابن كثير : وهؤلاء الأعراب المذكورون في هذه الآية ليسوا منافقين ، وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم ، فادعوا لأنفسهم مقاما أعلى مما وصلوا إليه ، فأدبوا في ذلك ، ولو كانوا منافقين - كما ذهب إليه البخاري - لعنفوا وفضحوا [وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا] أي وإن أطعتم الله ورسوله بالإخلاص الصادق ، والإيمان الكامل ، وعدم المن على الرسول (ص) ، لا ينقصكم من أجوركم شيئا

[إن الله غفور رحيم] أي عظيم المغفرة ، واسع الرحمة ، لأن صيغة " فعول " و " فعيل " تفيد المبالغة . . ثم ذكر تعالى صفات المؤمنين الكمل ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصادقين في إيمانهم ، فقال سبحانه :
[إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله] أي إنما المؤمنون الصادقون في دعوى الإيمان ، الذين صدقوا الله ورسوله ، فأقروا لله بالوحدانية ، ولرسوله بالرسالة ، عن يقين راسخ ، وإيمان كامل
[ثم لم يرتابوا] أي ثم لم يشتهوآ ويتزلزلوا في إيمانهم ، بل ثبتوا على التصديق واليقين
[وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله] أي وبذلوا أموالهم ومهجهم في سبيل الله ، وابتغاء رضوانه
[أولئك هم الصادقون] أي أولئك الذين صدقوا في ادعاء الإيمان . . وصف تعالى المؤمنين الكاملين بثلاثة أوصاف : الأول : التصديق الجازم بالله ورسوله الثاني : عدم الشك والارتياب الثالث : الجهاد بالمال والنفس ، فمن جمع هذه الأوصاف فهو المؤمن الصادق
[قل أتعلمون الله بدينكم] الاستفهام للإنكار والتوبيخ أي قل لهم يا محمد : أتخبرون الله بما في ضمائركم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقلوبكم ؟

[والله يعلم ما في السموات وما في الأرض] أي وهو جل وعلا ، العليم بأحوال جميع العباد ، لا تخفى عليه خافية لا في السموات ولا في الأرض

[والله بكل شيء عليم] أي واسع العلم رقيب على كل إنسان ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الكون

[يمنون عليك أن أسلموا] أي يعدون إسلامهم عليك يا محمد منة ، يستوجبون عليها الحمد والثناء

[قل لا تمنوا على إسلامكم] أي قل لهم : لا تمتنو على باسلامكم ، فإن نفع ذلك عائد عليكم

[بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين] أي بل لله المنة العظمى عليكم ، بالهداية للأيمان والتثبيت عليه ، إن كنتم صادقين في دعوى الإيمان

[أن الله يعلم غيب السموات والأرض] أي يعلم ما غاب عن الأبصار في السموات والارض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والله بصير بما تعملون] أي مطلع على أعمال العباد ، لا تخفى عليه خافية . . كرر تعالى الإخبار بعلمه بجميع الكائنات ، وإحاطته بجميع المخلوقات ، ليدل على سعة علمه ، وشموله لكل صغيرة وكبيرة ، في السر والعلن ، والظاهر والباطن .

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الاستعارة التمثيلية [لا تقدموا بين يدى الله ورسوله] شبه حالهم في إبداء الرأي ، وقطع الأمر في حضرة الرسول (ص) ، بحال ملك عظيم تقدم للسير أمامه بعض الناس ، فأصبحوا كأنهم القادة والسادة ، وكان الأدب يقضي ان يسيروا خلفه لا أمامه ، وهذا بطريق الاستعارة التمثيلية .

2 - التشبيه المرسل المجمل [ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض] لوجود أداة التشبيه .

3 - الالتفات من الخطاب إلى الغيبة [أولئك هم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الراشدون] بعد قوله : [حبب إليكم الإيمان] وهذا من المحسنات البديعية .

4 - المقابلة بين [حبب إليكم الإيمان وثبته في قلوبكم] وبين [وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان] .

5 - الطباق [وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما] .

6 - جناس الاشتقاق [أقسطوا أن الله يحب المقسطين] .

7-التشبيه التمثيلي [أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا] مثل للغيبة بمن يأكل لحم الميت ، وفيه مبالغات عديدة لتصوير الاغتياب بأقبح الصور وأفحشها في الذهن .

8-طباق السلب [آمنا قل لم تؤمنوا] .

9 - الاستفهام الإنكاري للتوبيخ [أتعلمون الله بدينكم] ؟ .

10 - التشبيه البليغ [إنما المؤمنون إخوة] أصل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكلام : المؤمنون كأخوة في وجوب التراحم والتناصر ، فحذف وجه الشبه وأداة التشبيه فأصبح بليغا مع افادة الجملة الحصر.

تنبيه :

سورة الحجرات تسمى سورة (الأخلاق والآداب) فقد أرشدت إلى مكارم الأخلاق ، وفضائل الأعمال ، وجاء فيها النداء بوصف الإيمان خمس مرات ، وفي كل مرة إرشاد إلى مكرمة من المكارم ، وفضيلة من الفضائل ، وهذه الآداب الرفيعة نستعرضها في فقرات :

أولا : وجوب الطاعة والانقياد لأوامر الله ورسوله ، وعدم التقدم عليه بقول أو رأي [يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله] .

ثانيا : احترام الرسول وتعظيم شأنه [يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى . .] .

ثالثا : وجوب التثبت من الأخبار [يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا . .] .

رابعا : النهي عن السخرية بالناس [يا أيها الذين آمنوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ..] .

خامسا : النهى عن التجسس والغيبة وسوء الظن [يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن . .] الآية.

لطيفة :

سئل بعض العلماء عما وقع بين الصحابة من قتل وقتال ، فقال : (تلك دماء قد طهر الله منها أيدينا ، فلا نلوث بها ألسنتنا ، وسبيل ما جرى بينهم. كسبيل ما جرى بين يوسف وإخوته) ، وهذا القول منسوب إلى الإمام (مالك) رحمه الله ، إمام دار الهجرة ، على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم .

سورة ق

مكية وآياتها خمس وأربعون آية

بين يدي السورة

* هذه السورة مكية وهي تعالج أصول العقيدة الإسلامية (الوحدانية ، الرسالة ، البعث) ولكن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المحور الذي تدور حوله هو موضوع (البعث والنشور) حتى ليكاد يكون هو الطابع الخاص للسورة الكريمة ، وقد عالجه القرآن بالبرهان الناصع ، والحجة الدامغة . وهذه السورة رهيبة ، شديدة الوقع على الحس ، تهز القلب هزا ، وترج النفس رجا ، وتثير فيها روعة الإعجاب ، ورعشة الخوف ، بما فيها من الترغيب والترهيب .

* ابتدأت السورة بالقضية الأساسية التي أنكرها كفار قريش ، وتعجبوا منها غاية العجب ، وهي قضية الحياة بعد الموت ، والبعث بعد الفناء [ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد . .] الآيات .

* ثم لفتت السورة أنظار المشركين - المنكرين للبعث - إلى قدرة الله العظيمة ، المتجلية في صفحات هذا الكون المنظور ، في السماء والأرض ، والماء والنبت ، والثمر والطلع ، والنخيل والزرع ، وكلها براهين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قاطعة على قدرة العلي الكبير [أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها . .] الآيات .

* وانتقلت السورة الكريمة للحديث عن المكذبين من الأمم السالفة ، وما حل بهم من الكوارث وأنواع العذاب ، تحذيرا لكفار مكة أن يحل بهم ما حل بالسابقين [كذبت قبلهم قوم نوج وأصحاب الرس وثمود . .] الآيات .

* ثم انتقلت السورة للحديث عن سكرة الموت ، ووهلة الحشر ، وهول الحساب ، وما يلقاه المجرم في ذلك اليوم العصيب ، من أهوال وشدائد تنتهي بإلقائه في الجحيم [ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد . .] الآيات .

* وختمت السورة الكريمة بالحديث عن " صيحة الحق " وهي الصيحة التي يخرج الناس بها من القبور ، كأنهم جراد منتشر ، ويساقون للحساب والجزاء ، لا يخفى على الله منهم أحد ، وفيه إثبات للبعث والنشور ، الذي كذب به المشركون [واستمع يوم يناد المناد من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج . .] الآيات . تفسير سورة ق

قال الله تعالى : [ق والقرآن المجيد . .] إلى قوله [فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد] . من آية (1) إلى نهاية آية (22) .

اللغة :

[مريج] مختلط قال ابن قتيبة : مرج الأمر ، ومرج الدين : اختلط ، وأصله أن يقلق الشيء ولا يستقر ، يقال : مرج الخاتم في يدي إذا قلق للهزال

[فروج] شقوق صدوع جمع فرج وهو الشق

[باسقات] طوال بسق الشيء بسوقا إذا طال

[نضيد] متراكب بعضه فوق بعض

[لبس] حيرة وشك واضطراب

[عيينا] عجزنا يقال : عيي به يعيا أي عجز عنه

[رقيب] حافظ شاهد على أعمال الإنسان

[عتيد] حاضر مهيأ قال الجوهري : العتيد الشيء الحاضر المهيأ ومنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأعتدت لهن متكأ] وفرس عتيد معد للجرى

[حديد] حاد نافذ

[محيص] مهرب

[حشر] جمع ، قال تعالى [وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا] .

التفسير :

[ق] الحروف المقطعة للتنبيه على إعجاز القرآن ، وللإشارة إلى أن هذا الكتاب المعجز ، منظوم من أمثال هذه الحروف الهجائية

[والقرآن المجيد] قسم حذف جوابه أي أقسم بالقرآن الكريم ، ذي المجد والشرف على سائر الكتب السماوية ، لتبعثن بعد الموت ، قال ابن كثير : وجواب القسم محذوف وهو مضمون الكلام بعده ، وهو إثبات النبوة ، وإثبات المعاد ، وتقديره : إنك يا محمد لرسول ، وإن البعث لحق ، وهذا كثير في القرآن ، وقال أبو حيان : والقرآن مقسم به ، والمجيد صفته وهو الشريف على غيره من الكتب ، والجواب محذوف يدل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليه ما بعده تقديره : لقد جئتهم منذرا بالبعث فلم يقبلوا [بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم] أي تعجب المشركون من إرسال رسول إليهم من البشر ، يخوفهم من عذاب الله

[فقال الكافرون هذا شيء عجيب] أي فقال كفار مكة : هذا شيء في منتهى الغرابة والعجب ، والإظهار في موضع الإضمار لتسجيل جريمة الكفر عليهم ، والآية إنكار تعجبهم مما ليس بعجب ، فإنهم قد عرفوا صدق الرسول ، وأمانته ونصحه ، فكان الواجب عليهم أن يسارعوا إلى الإيمان ، لا أن يعجبوا ويستهزئوا ، ثم أخبر تعالى عن وجه تعجبهم ، فقال : [أئذا متنا وكنا ترابا] أي أئذا متنا وامعتحالت واستحالت إلى تراب ، هل سنحيا ونرجع كما كنا ؟ [ذلك رجع بعيد] أي ذلك رجوع بعيد غاية البعد ، مستحيل حصوله

[قد علمنا ما تنقص الأرض منهم] أي قد علمنا ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تنقصه الأرض من أجسادهم ، وما تأكله من لحومهم وأشعارهم ودمائهم إذا ماتوا ، فلا يضل عنا شيء حتى تتعذر علينا الإعادة

[وعندنا كتاب حفيظ] أي ومع علمنا الواسع ، عندنا كتاب حافظ لعددهم وأسمائهم ، وما تأكله الأرض منهم ، وهو (اللوح المحفوظ) الذي يحصي تفصيل كل شيء

[بل كذبوا بالحق لما جاءهم] إضراب إلى ما هو أفظع وأشنع من التعجب ، وهو التكذيب بالقرآن العظيم ، أي كذبوا بالقرآن حين جاءهم ، مع سطوع آياته ، ووضوح بيانه

[فهم في أمر مريج] أي فهم في أمر مختلط مضطرب ، فتارة يقولون عن الرسول إنه ساحر ، وتارة يقولون إنه شاعر ، وتارة يقولون إنه كاهن ، وهكذا قالوا أيضا عن القرآن إنه سحر ، أو شعر ، أو أساطير الأولين إلى غير ذلك . . ثم ذكر تعالى دلائل القدرة والوحدانية الدالة على عظمة رب العالمين ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقال سبحانه :

[أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم] أي أفلم ينظروا نظر تفكر واعتبار ، إلى السماء في ارتفاعها وإحكامها ، فيعلموا أن القادر على إيجادها ، قادر على إعادة الإنسان بعد موته ؟ كما قال سبحانه [لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون]

[كيف بنيناها وزيناها] أي كيف رفعناها بلا عمد ، وزيناها بالنجوم الساطعة

[وما لها من فروج] أي ما لها من شقوق وصدوع

[والأرض مددناها] أي والأرض بسطناها ووسعناها

[وألقينا فيها رواسي] أي وجعلنا فيها جبالا ثوابت ، تمنعها من الاضطراب بسكانها

[وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج] أي وأنبتنا فيها من كل نوع من النبات ، حسن المنظر ، يبهج ويسر الناظر إليه

[تبصرة وذكرى لكل عبد منيب] أي فعلنا ذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تبصيرا منا ، وتذكيرا على كمال قدرتنا ، لكل عبد راجع إلى الله ، متفكر في بديع مخلوقاته

[ونزلنا من السماء ماء مباركا] أي ونزلنا من السحاب مافى كثير المنافع والبركة

[فأنبتنا به جنات وحب الحصيد] أي فأخرجنا بهذا الماء البساتين الناضرة ، والأشجار المثمرة ، وحب الزرع المحصود ، كالحنطة والشعير ، وسائر الحبوب التي تحصد

[والنخل باسقات] أي وأخرجنا شجر النخيل طوالا مستويات

[لها طلع نضيد] أي لها طلع منضود ، منظم بعضه فوق بعض ، قال أبو حيان : يريد كثرة الطلع وتراكمه وكثرة ما فيه من الثمر ، وأول ظهور الثمر يكون منضدا كحب الرمان ، فما دام ملتصقا بعضه ببعض فهو نضيد ، فإذا خرج من أكمامه فليس بنضيد ،

[رزقا للعباد] أي أنبتنا كل ذلك رزقا للخلق لينتفعوا به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأحيينا به بلدة ميتا] أي وأحيينا بذلك الماء أرضا جدبة ، لا ماء فيها ولا زرع ، فأنبتنا فيها الكلأ والعشب

[كذلك الخروج] أي كما أحييناها بعد موتها ، كذلك نخرجكم أحياء بعد موتكم ، قال ابن كثير : وهذه الأرض الميتة كانت هامدة ، فلما نزل عليها الماء ، اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، من أزاهير وغير ذلك ، مما يحار الطرف في حسنها ، وذلك بعد ما كانت لا نبات بها ، فأصبحت تهتز خضراء ، فهذا مثال للبعث بعد الموت ، فكما أحيا الله الأرض الميتة ، كذلك يحي الله الموتى . .ثم ذكر تعالى كفار مكة ، بما حل بمن سبقهم من المكذبين ، إنذارا لهم وإعذارا فقال سبحانه :

[كذبت قبلهم قوم نوح] أي كذب قبل هؤلاء الكفار (قوم نوح)

[وأصحاب الرس] أي وأصحاب البئر وهم بقية من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الطغاة الكفار ، رسوا نبيهم فيها أي دسوه فيها
[وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط] سماهم إخوانه لأنه صاهرهم وتزوج منهم
[وأصحاب الأيكة] أي وأصحاب الشجر الكثير الملتف ، وهم قوم شعيب ، نسبوا إلى الأيكة ، لأنهم كانوا في رفاهية ، تحيط بهم البساتين والأشجار الكثيرة ، الملتف بعضها على بعض
[وقوم تبع] قال المفسرون : هو ملك كان باليمن ، أسلم ودعا قومه إلى الإسلام فكذبوه ، وهو " تبع اليمانى "
[كل كذب الرسل] أي جميع هؤلاء المذكورين ، كذبوا رسولهم ، قال ابن كثير : وإنما جمع الرسل ، لأن من كذب رسولا ، فإنما كذب جميع الرسل ، كقوله تعالى : [كذبت قوم نوح المرسلين]
[فحق وعيد] أي فوجب عليهم وعيدي وعقابي ، والآية تسلية للنبى (ص) وتهديد للكفرة المجرمين
[أفعيينا بالخلق الأول] أي أعجزنا عن ابتداء الخلق ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حتى نعجز عن إعادتهم بعد الموت ؟ قال القرطبي : وهو توبيخ لمنكري البعث ، وجواب لقولهم ؟ [ذلك رجع بعيد] ومراده أن ابتداء الخلق لم يعجزنا ، والإعادة أسهل منه ، فكيف توهم عجزنا عن البعث والإعادة ؟

[بل هم في لبس من خلق جديد] أي بل هم في خلط وشبهة وحيرة من البعث والنشور ، قال الألوسي : وإنما نكر الخلق ووصف بجديد ، ولم يقل : من الخلق الثاني ، تنبيها على استبعادهم له ، وأنه خلق عظيم يجب أن يهتم بشأنه فله نبأ عظيم . . ثم نبه تعالى على سعة علمه وكمال قدرته ، فقال سبحانه :

[ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه] أي خلقنا جنس الإنسان ونعلم ما يجول في قلبه وخاطره ، لا يخفى علينا شيء من خفاياه ونواياه

[ونحن أقرب إليه من حبل الوريد] أي ونحن أقرب إليه من حبل وريده ، وهو عرق كبير في العنق متصل بالقلب ، قال أبو حيان : ونحن أقرب إليه قرب علم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نعلم به وبأحواله لا يخفى علينا شيء من خفياته ، فكأن ذاته تعالى قريبة منه ، وهو تمثيل لفرط القرب كقول العرب : هو مني معقد الإزار وقال ابن كثير : المراد ملائكتنا أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه ، والحلول والاتحاد منفيان بالإجماع ، تعالى الله وتقدس ، وهذا كما قال في المحتضر : [ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون] يريد به الملائكة ، ويدل عليه قوله بعده

[إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد] أي حين يتلقى الملكان الموكلان بالإنسان ، ملك عن يمينه يكتب الحسنات ، وملك عن شماله يكتب السيئات ، وفي الكلام حذف تقديره : عن اليمين قعيد ، وعن الشمال قعيد ، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه ، قال مجاهد : وكل الله بالإنسان - مع علمه بأحواله - ملكين بالليل وملكين بالنهار ، يحفظان عمله ، ويكتبان أثره إلزاما للحجة ، أحدهما عن يمينه يكتب الحسنات ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والآخر عن شماله يكتب السيئات ، فذلك قوله تعالى : [عن اليمين وعن الشمال قعيد] وقال الألوسي :

والمراد أنه سبحانه أعلم بحال الإنسان من كل رقيب ، حين يتلقى المتلقيان الحفيظان ما يتلفظ به ، وفيه إيذان بأنه عز وجل غنى عن استحفاظ الملكين ، فإنه تعالى أعلم منهما ، ومطلع على ما يخفى عليهما ، لكن الحكمة اقتضت كتابة الملكين لعرض صحائفهما يوم يقوم الأشهاد ، فإذا علم العبد ذلك - مع علمه بإحاطة الله تعالى بعلمه - ازداد رغبة في الحسنات ، وانتهاء عن السيئات

[ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب] أي ما يتلفظ كلمة من خير أو شر ، إلا وعنده ملك يرقب قوله ويكتبه [عتيد] أي حاضر معه أينما كان ، مهيأ لكتابة ما أمر به ، قال ابن عباس : يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر وقال الحسن : فإذا مات ابن آدم طويت صحيفته ، وقيل له يوم القيامة [اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وجاءت سكرة الموت بالحق] أي وجاءت غمرة الموت وشدته ، التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله ، بالأمر الحق من أهوال الآخرة ، حتى يراها المنكر لها عيانا

[ذلك ما كنت منه تحيد] أي ذلك ما كنت تفر منه وتميل عنه ، وتهرب منه وتفزع ، وفي الحديث عن عائشة أن النبي (ص) لما تغشاه الموت ، جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول : " سبحان الله إن للموت لسكرات "

[ونفح في الصور ذلك يوم الوعيد] أي ونفخ في الصور نفخة البعث ، ذلك هو اليوم الذي وعد الله الكفار به العذاب

[وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد] أي وجاء كل إنسان ، برا كان أو فاجرا ، ومعه ملكان : أحدهما يسوقه إلى المحشر ، والآخر يشهد عليه بعمله ، قال ابن عباس : السائق من الملائكة ، والشهيد من أنفسهم وهي (الأيدي) و(الأرجل) [يوم تشهد عليهم ألسنتهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون] وقال مجاهد : السائق والشهيد ملكان ، ملك يسوقه ، وملك يشهد عليه

[لقد كنت في غفلة من هذا] أي لقد كنت أيها الإنسان في غفلة من هذا اليوم العصيب

[فكشفنا عنك غطاءك] أي فأزلنا عنك الحجاب ، الذي كان على قلبك وسمعك وبصرك في الدنيا

[فبصرك اليوم حديد] أي فبصرك اليوم قوي نافذ ، ترى به ما كان محجوبا عنك ، لزوال الموانع بالكلية .

قال الله تعالى : [وقال قرينه هذا ما لدى عتيد . .] إلى قوله [فذكر بالقرآن من يخاف وعيد] . من آية (23) إلى آية (45) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما حكى تعالى في الآيات السابقة ، إنكار المشركين للبعث ، وأقام الأدلة والبراهين على البعث وا لنشور ، ذكر هنا الأهوال والشدائد التي يلقاها الكافر في الآخرة ، والنعيم الذي أعده الله للمؤمنين الأبرار في الجنة ، وختم السورة ا لكريمة ببيان دلائل البعث وأحواله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأطواره ، وهو االمقصد ا لرئيسي للسورة ا لكريمة .

اللغة :

[أزلفت] قربت يقال : زلف يزلف أي قرب ، أزلفه قربه

[أواب] رجاع إلى الله من آب يئوب أوبا إذا رجع

[بطشا] البطش : الأخذ بالشدة والعنف

[نقبوا] طوفوا وساروا ، وأصل التنقيب : التنقير عن الشيء والبحث عنه ، قال الشاعر : نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الأرض كل مجال

[محيص] مفر ومهرب ، من حاص يحيص حيصا إذا أراد الهرب

[لغوب] تعب .

سبب النزول :

عن قتادة أن اليهود قالوا إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ، أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة ، وأنه تعب فاستراح يوم السبت وسموه يوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الراحة ، " راحة الرب " ، فكذبهم تعالى فيما قالوا فنزلت [ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما منا من لغوب] أي ما لحقنا ولا أصابنا من عناء أو تعب .

التفسير :

[وقال قرينه هذا ما لدى عتيد] أي وقال الملك الموكل به : هذا الذي وكلتني به من بني آدم ، قد أحضرت ديوان عمله

[ألقيا في جهنم كل كفار عنيد] أي يقول تعالى للملكين : (السائق) و(الشهيد) أقذفا في جهنم كل كافر معاند للحق ، لا يؤمن بيوم الحساب

[مناع للخير] أي مبالغ في المنع لكل حق واجب عليه في ماله

[معتد مريب] أي ظالم غاشم ، شاك في الدين

[الذي جعل مع الله إلها آخر] أي أشرك بالله ولم يؤمن بوحدانيته

[فألقياه في العذاب الشديد] أي فألقياه في نار جهنم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكرر اللفظ [فألقياه] للتوكيد
[قال قرينه ربنا ما أطغيته] أي قال قرينه - وهو الشيطان المقبض له - ربنا ما أضللته
[ولكن كان في ضلال بعيد] أي ولكنه ضل باختياره ، وآثر العمى على الهدى ، من غير إكراه أو إجبار ، وفي الآية محذوف دل عليه السياق ، كأن الكافر قال : يا رب إن شيطاني هو الذي أطغانى ، فيقول قرينه : ربنا ما أطغيته ، بل كان هو نفسه ضالا معاندا للحق ، فأعنته عليه
[قال لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد] أي فيقول الله عز وجل للكافرين وقرنائهم من الشياطين : لا تتخاصموا هنا ، فما ينفع الخصام ولا الجدال ، وقد سبق أن أنذرتكم على ألسنة الرسل بعذابي ، وحذرتكم شديد عقابي ، فلم تنفعكم الآيات والنذر
[ما يبدل القول لدى] أي ما يغير كلامى ، ولا يبدل حكمي بعقاب الكفرة المجرمين ، قال المفسرون : المراد وعده تعالى بعذاب الكافر ، وتخليده في النار ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بقوله تعالى : [لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين]

[وما أنا بظلام للعبيد] أي ولست ظالما حتى أعذب أحدا بدون استحقاق ، وأعاقبه بدون جرم

[يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد] ؟ أي أذكر ذلك اليوم الرهيب ، يوم يقول الله تعالى لجهنم : هل امتلأت ، وتقول : هل هناك من زيادة ؟ وفي الحديث : (لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد ، حتى يضع رب العزة فيها قدمه ، فتقول : قط ، قط ، وعزتك وكرمك - أي قد اكتفيت – وينزوي بعضها إلى بعض والظاهر أن السؤال والجواب على حقيقتهما ، والله على كل شيء قدير ، فإن إنطاق الجماد والشجر والحجر جائز عقلا ، وحاصل شرعا ، وقد أخبر القرآن الكريم أن نملة تكلمت ، وأن كل شيء يسبح بحمد الله ، وورد في صحيح مسلم أن المسلمين في آخر الزمان يقاتلون اليهود ، حتى يختبىء اليهودي وراء الشجر والحجر ، فينطق الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشجر والحجر . . الخ وقيل : إن الآية على التمثيل وأنها تصوير لسعة جهنم وتباعد أقطارها ، بحيث لو ألقي فيها جميع الكفرة والمجرمين ، فإنها تتسع لهم ، وهو كقولهم : (قال الحائط للمسمار لم تشقني ؟ قال : سل من يدقنى) فهو تمثيل وليس على الحقيقة ، وكل من القولين له وجهته ودليله . . ثم أخبر تعالى عن حال السعداء بعد أن ذكر حال الأشقياء ، فقال

سبحانه :

[وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد] أي قربت وأدنيت الجنة من المؤمنين المتقين ، مكانا غير بعيد ، بحيث تكون بمرأى منهم ، مبالغة في إكرامهم

[هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ] أي يقال لهم : هذا الذي ترونه من النعيم ، هو ما وعده الله لكل عبد آواب ، أي رجاع إلى الله ، حافظ لعهده وأمره

[من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب] أي خاف الرحمن فأطاعه ، دون أن يراه لقوة يقينه ، وجاء بقلب تائب خاضع خاشع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود] أي يقال لهم :
ادخلوا الجنة بسلامة من العذاب ، والهموم والأكدار ، ذلك هو يوم البقاء الذي لا انتهاء له أبدا ، لأنه لا موت في الجنة ولا فناء

[لهم ما يشاءون فيها] أي لهم في الجنة من كل ما تشتهيه أنفسهم ، وتلذ به أعينهم

[ولدينا مزيد] أي وعندنا زيادة على ذلك الإنعام والإكرام ، وهو النظر إلى وجه الله الكريم ((هذا القول مروي عن أنس وجابر بن عبد الله قالا : المزيد هو أن يتجلى الله تعالى لهم حتى يرونه وذلك فى كل جمعة)) . ثم خوف تعالى كفار مكة ، بما حدث للمكذبين قبلهم ، فقال سبحانه :

[وكم أهلكنا قبلهم من قرن] أي وأهلكنا قبل كفار قريش أمما كثيرين ، من الكفار المجرمين

[هم أشد منهم بطشا] أي هم أقوى من كفار قريش قوة ، وأعظم منهم فتكا وبطشا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فنقبوا في البلاد هل من محيص] أي فساروا في البلاد ، وطوفوا فيها وجالوا في أقطارها ، فهل كان لهم من الموت مهرب ؟ وهل كان لهم من عذاب الله مخلص ؟

[إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد] أي إن فيما ذكر من إهلاك القرى الظالمة ، لتذكرة وموعظة لمن كان له عقل يتدبر به ، أو أصغى إلى الموعظة وهو حاضر القلب ، ليتذكر ويعتبر ، قال سفيان : لا يكون حاضرا وقلبه غائب ، وقال الضحاك : العرب تقول : ألقى فلان سمعه ، إذا استمع بأذنيه ، وهو شاهد بقلب غير غائب ، وعبر عن العقل بالقلب لأنه موضعه ، كما قال تعالى : [فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور]

[ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب] هذه الآية رد على اليهود اللعناء ، حيث زعموا أن الله خلق السموات والأرض في ستة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أيام ، أولها يوم الأحد ، وآخرها يوم الجمعة ، وأنه تعب فاستراح يوم السبت ، واستبقى على ظهره فوق العرشى ، فكذبهم الله تعالى ، والمعنى : والله لقد خلقنا السموات السبع في ارتفاعها وعظمتها ، والأرض في كثافتها وسعتها ، وما بينهما من المخلوقات البديعة ، في ستة أيام ، وما مسنا من إعياء وتعب

[فاصبر على ما يقولون] أي فاصبر يا محمد على ما يقوله اليهود ، وغيرهم من كفار قريش ، واهجرهم هجرا جميلا

[وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب] أي ونزه ربك عما لا يليق به ، وصل له واعبده وقتي الفجر والعصر ، وخصهما بالذكر لزيادة فضلهما وشرفهما

[ومن الليل فسبحه وأدبار السجود] أي ومن الليل فصل لله تهجدا ، وأعقاب الصلوات المفروضة ، قال ابن كثير : كانت الصلاة المفروضة قبل الإسراء : ثنتان قبل طلوع الشمس ، وثنتان قبل الغروب ، وكان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قيام الليل واجبا على النبي (ص) وعلى أمته حولا ، ثم نسخ في حق الأمة وجوبه ، ثم بعد ذلك نسخ كل ذلك ليلة الإسراء بخمس صلوات ، وبقي منهن صلاة الصبح والعصر فهما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب

[واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب] أي واستمع يا محمد النداء والصوت ، حين ينادي إسرافيل .

بالحشر من موضع قريب ، يصل صوته إلى الكل على السواء ، قال أبو السعود : وفيه تهويل وتفظيع لشأن المخبر به ، والمنادي هو إسرافيل عليه السلام يقول : أيتها العظام البالية ، والأوصال المتقطعة ، واللحوم المتمزقة ، والشعور المتفرقة ، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء

[يوم يسمعون الصيحة بالحق] أي يوم يسمعون صيحة البعث التي تأتي بالحق وهي النفخة الثانية في الصور

[ذلك يوم الخروج] أي ذلك هو يوم الخروج من القبور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير] أي نحى الخلائق ونميتهم فى الدنيا ، وإلينا رجوعهم للجزاء في الآخرة ، لا إلى غيرنا

[يوم تشقق الأرض عنهم سراعا] أي يوم تنشق الأرض عنهم ، فيخرجون من القبور مسرعين إلى موقف الحساب ، استجابة لنداء المنادي

[ذلك حشرعلينا يسير] أي ذلك جمع وبعث سهل هين علينا ، لا يحتاج إلى عناء

[نحن أعلم بما يقولون] أي نحن أعلم بما يقول كفار قريش ، من إنكار البعث ، والسخرية ، والاستهزاء بك وبرسالتك ! ! وفيه تسلية للنبي (ص) وتهديد لهم

[وما أنت عليهم بجبار] أي وما أنت يا محمد بمسلط عليهم ، تجبرهم على الإسلام ، إنما بعثت مذكرا

[فذكر بالقرآن من يخاف وعيد] أي عظ بهذا القرآن من يخاف وعيدي . . ختم السورة الكريمة بالتذكير بالقرآن ، كما افتتحها بالقسم بالقرآن ، ليتناسق تلبدء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مع الختام ، في أبدع صورة ، واروع كلام !

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الإظهار في موطن الإضمار [فقال الكافرون] بدل فقالوا للتسجيل عليهم بالكفر .

2 - الاستفهأم الإنكاري لإستبعاد البعث [أئذا متنا وكنا ترابا] ؟ .

3 - الإضراب عن السابق لبيان ما هو أفظع وأشنع من التعجب [بل كذبوا بالحق] وهو التكذيب بآيات الله وبرسوله المؤيد بالمعجزات .

4 - التشبيه المرسل المجمل [كذلك الخروج] شبه إحياء الموتى بإخراج النبات من الأرض الميتة .

5 - الاستعارة التمثيلية [ونحن أقرب إليه من حبل الوريد] مثل علمه تعالى بأحوال العبد ، وبخطرات النفس ، بحبل الوريد القريب من القلب ، وهو تمثيل للقرب ، بطريق الاستعارة كقول العرب : هو مني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقعد القابلة ، وهي مني معقد الازار ، ففيه استعارة تمثيلية ، وهي من روائع أقسام الاستعارة .

6 - الحذف بالإيجاز [عن اليمين وعن الشمال قعيد] أصله عن اليمين قعيد ، وعن الشمال قعيد ، فحذف من الأول لدلالة الثاني عليه ، وبين اليمين والشمال طباق وهو من المحسنات البديعية .

7 - الاستعارة التصريحية [وجاءت سكرة الموت] استعار لفظ السكرة للهول والشدة ، التى يلقاها المحتضر عند وفاته ، وعبر عنها بالمجيء على طريق الاستعارة.

8 - الجناس الناقص بين [عنيد] و[عتيد] لتغاير حرفي النون والتاء .

9 - الطباق بين [نحيي] و[نميت] .

10 - توافق الفواصل والسجع اللطيف غير المتكلف مثل [ذلك يوم الوعيد] [وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد] [فبصرك اليوم حديد] ومثل [إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير] [ذلك حشر علينا يسير] إلخ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهو من المحسنات البديعية ، لما فيه من جميل الوقع على السمع .

سورة الذاريات

مكية وآياتها ستون آية

بين يدي السورة

* هذه السورة الكريمة من السور المكية التي تقوم على تشييد دعائم الإيمان ، وتوجيه الأبصار إلى قدرة الله الواحد القهار ، وبناء العقيدة الراسخة على أسس التقوى والإيمان

* ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن الرياح التى تذرو الغبار ، وتسير المراكب في البحار ، وعن السحب التي تحمل مياه الأمطار ، وعن السفن الجارية على سطح الماء بقدرة الواحد الأحد ، وعن الملائكة الأطهار المكلفين بتدبير شئون الخلق ، وأقسمت بهذه الأمور الأربعة على أن الحشر كائن لا محالة ، وأنه لابد من البعث والجزاء [والذاريات ذروا فالحاملات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات أمرا إنما توعدون لصادق. وأن الدين لواقع] الآيات .

* ثم انتقلت إلى الحديث عن كفار مكة ، المكذبين بالقرآن وبالدار الآخرة ، فبينت حالهم في الدنيا ، ومالهم في الآخرة ، حيث يعرضون على نار جهنم ، فيصلون عذابها ونكالها [قتل الخراصون . الذين هم في خوض ساهون . يسألون أيان يوم الدين ؟ يوم هم على النار يفتنون . ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون] الآيات .

* ثم تحدثت عن المؤمنين المتقين ، وما أعد الله لهم من النعيم والكرامة في الآخرة ، لأنهم كانوا في الدنيا محسنين ، على طريقة القرآن في الترغيب والترهيب ، والإعذار والإنذار [إن المتقين في جنات وعيون . آخذين ما أتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين . .] الآيات .

* ثم تحدثت عن دلائل القدرة والوحدانية ، في هذا الكون الفسيح ، في سمائه وأرضه ، وجباله ووهاده ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي خلق الإنسان في أبدع صورة وأجمل تكوين ، وكلها دلائل على قدرة رب العالمين [وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون ؟ وفي السماء رزقكم وما توعدون . .] الآيات .

* ثم انتقلت للحديث عن قصص الرسل الكرام ، وعن موقف الأمم الطاغية من أنبيائهم ، وما حل بهم من العذاب والدمار ، فذكرت قصة (إبراهيم) و(لوط) وقصة (موسى) وقصة الطغاة المتجبرين من قوم عاد وثمود وقوم نوح ، وفي ذكر القصص وتكراره في القرآن تسلية للرسل الكرام ، وعبرة لأولى الأبصار ، يعتبر بها من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد [هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ؟ إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما ، قال سلام قوم منكرون . .] الآيات .

* وختمت السورة الكريمة ببيان الغاية من خلق الإنس والجن ، وهي معرفة الله جل وعلا ، وعبادته وتوحيده ، وإفراده بالإخلاص والتوجه لوجهه الكريم ، بأنواع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القربات والعبادات [وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين . .] الآيات إلى نهاية السورة الكريمة .

قال الله تعالى : [والذاريات ذروا ، فالحاملات وقرا . .] إلى قوله [للذين يخافون العذاب الأليم] . من آية (1) إلى نهاية آية (37) .

اللغة :

[الحبك] الطرائق جمع حبيكة كطريقة وزنا ومعنى ، قال الزجاج : الحبك الطرائق الحسنة ، والمحبوك في اللغة ما أجيد عمله وقال ابن الأعرابي : كل شيء أحكمته وأحسنت عمله فقد حبكته

[الخراصون] جمع خراص وهو الكذاب

[غمرة] الغمرة ما ستر الشيء وغطاه ومنه نهر غمر

[يهجعون] ينامون والهجوع النوم ليلا

[أوجس] أحس وشعر

[صرة] صيحة وضجة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[مسومة] معلمة

[آية] : علامة تدل على الوحدانية .

التفسير :

[والذاريات ذروا] هذا قسم أقسم تعالى به ، أي أقسم بالرياح التي تذرو التراب فتفرقه ، وتحمل الرمال من مكان إلى مكان

[فالحاملات وقرا] أي وأقسم بالسحب التى تحمل أثقال الأمطار ، وهي محملة بالماء الذي فيه حياة البشر

[فالجاريات يسرا] أي وأقسم بالسفن التي تجري على وجه الماء ، جريا سهلا بيسر وهي تحمل ذرية بني آدم

[فالمقسمات أمرا] أي وأقسم بالملائكة التي تقسم الأرزاق والأمطار بين العباد ، وكل ملك مخصص بأمر ، فجبريل صاحب الوحي إلى الأنبياء ، و(ميكائيل) صاحب الرزق والرحمة ، و(اسرافيل)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صاحب الصور ، و(عزرائيل) صاحب قبض الأرواح

قال المفسرون : أقسم الله تعالى بهذه الأشياء لشرفها ، ولما فيها من الدلالة على عجيب صنعه وقدرته ، ثم ذكر جواب القسم ، فقال سبحانه :

[إنما توعدون لصادق] أي إن الذي توعدونه من الثواب والعقاب ، والحشر والنشر ، لأمر صدق محقق ، لا كذب فيه

[وإن الدين لواقع] أي وأن الجزاء لكائن لا محالة ، ثم ذكر تعالى قسما آخر ، فقال :

[والسماء ذات الحبك] أي وأقسم لكم بالسماء ذات الطرائق المحكمة ، والبنيان المتقن ، قال ابن عباس : ذات الخلق الحسن المستوى

[إنكم لفي قول مختلف] جواب القسم أي إنكم أيها الكفار لفي قول مضطرب في أمر محمد ، فمنكم من يقول إنه ساحر ، ومنكم من يقول إنه شاعر ، وبعضكم يقول إنه مجنون ، إلى غير ما هنالك من أقوال مختلفة

[يؤفك عنه من أفك] أي يصرف عن الإيمان بالقرآن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبمحمد (ص) ، من صرف عن الهداية في علم الله تعالى ، وحرم السعادة

[قتل الخراصون] أي لعن الكذابون الذين قالوا إن النبي (ص) ساحر ، وكذاب ، وشاعر ، قال ابن الأنباري : والقتل إذا أخبر عن الله به ، فهو بمعنى (اللعنة) ، لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك

[الذين هم في غمرة ساهون] أي الذين هم غافلون لاهون عن أمر الآخرة

[يسألون أيان يوم الدين] أي يقولون تكذيبا واستهزاء : متى يوم الحساب والجزاء ؟ قال تعالى ردا عليهم :

[يوم هم على النار يفتنون] أي هذا الجزاء كائن يوم يدخلون جهنم ويحرقون بها

[ذوقوا فتنتكم] أي تقول لهم خزنة النار : ذوقوا تعذيبكم وجزاءكم

[هذا الذي كنتم به تستعجلون] أي هذا الذي كنتم تستعجلونه في الدنيا استهزاء . . ولما ذكر حال الكفار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذكر المؤمنين الأبرار ، فقال سبحانه :

[إن المتقين في جنات وعيون] أي هم في بساتين فيها عيون جارية ، تجري فيها على نهاية ما يتنزه به

[آخذين ما أتاهم ربهم] أي راضين بما أعطاهم ربهم من الكرامة والنعيم

[إنهم كانوا قبل ذلك محسنين] أي كانوا في دار الدنيا محسنين قي الأعمال ، ثم ذكر طرفا من إحسانهم ، فقال سبحانه :

[كانوا قليلا من الليل ما يهجعون] أي كانوا ينامون قليلا من الليل ، ويصلون أكثره ، قال الحسن : كابدوا قيام الليل ، لا ينامون فيه إلا قليلا

[وبالأسحار هم يستغفرون] أي وفي أواخر الليل يستغفرون الله من تقصيرهم ، فهم مع إحسانهم يعدون أنفسهم مذنبين ، ولذلك يكثرون الاستغفار بالأسحار ، قال ابو السعود : أي هم مع قلة نومهم ، وكثرة تهجدهم ، يداومون على الاستغفار بالأسحار ، كأنهم أسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم ، وهو مدح ثانى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للمحسنين

[وفي أموالهم حق للسائل والمحروم] مدح ثالث أي وفي أموالهم نصيب معلوم ، قد أوجبوه على أنفسهم ، بمقتضى الكرم ، للسائل المحتاج ، وللمتعفف الذي لا يسأل لتعففه ((هذا هو المشهور عن ابن عباس أنه حق سوى الزكاة ، يقري به ضيفا ، ويصل به رحما ، ويحمل به كلا ، وقيل : انه الزكاة وهو قول قتادة وابن سيرين)).

[وفي الأرض آيات للموقنين] أي وفي الأرض دلائل واضحة على قدرة الله سبحانه ووحدانيته ، للموقين بالله وعظمته ، الذين يعرفونه بصنعه ، قال ابن كثير : أي وفي الأرض من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة ، مما فيها من صنوف النباتات والحيوانات ، والجبال والقفار ، والبحار ، والأنهار ، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم ، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم ، والسعادة والشقاوة ، وما في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تركيبهم من الخلق البديع آيات باهرة ، دالة على وحدانية الله ، وعظمته وجلاله ، لمن أيقن بوجوده ، ولهذا قال بعده

[وفي أنفسكم أفلا تبصرون] أي وفي أنفسكم آيات وعبر ، من مبدأ خلقكم إلى منتهاه ، أفلا تبصرون قدرة الله في خلقكم ؟ لتعرفوا قدرته على البعث ؟ قال ابن عباس : يريد اختلاف الصور ، والألسنة ، والألوان ، والطبائع والسمع ، والبصر ، والعقل إلى غير ذلك من العجائب المودعة في ابن آدم ، وقال قتادة : من تفكر في خلق نفسه ، عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة

[وفي السماء رزقكم وما توعدون] أي وفي السماء أسباب رزقكم ومعاشكم ؟ وهو المطر الذي به حياة البلاد والعباد ، وما توعدون به من الثواب والعقاب ، مكتوب كذلك في السماء ، قال الصاوي : والآية قصد بها الإمتنان والوعد والوعيد

[فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تنطقون] أي أقسم برب السماء والأرض ، إن ما توعدون به من الرزق والبعث والنشور ، لحق كائن لا محالة ، مثل نطقكم ، فكما لا تشكون في نطقكم حين تنطقون ، فكذلك يجب ألا تشكوا في الرزق والبعث ، قال المفسرون : وهذا على سبيل التشبيه والتمثيل أي رزقكم مقسوم في السماء كنطقكم ، فلا تشكوا في ذلك ، وهذا كقول القائل : هذا حق كما أنك أمامي ، وهذا حق كما أنك ترى وتسمع ، فالرزق مثل النطق ، لا يفارق الشخص في حال من الأحوال ، وفي الحديث : (لو أن أحدكم فر من رزقه ، لتبعه كما يتبعه أجله) . . ثم ذكر تعالى قصة ضيف إبراهيم ، تسلية لقلب النبي الكريم فقال :

[هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين] ؟

الاستفهام للتشويق ولتفخيم شأن تلك القصة ، كما يقول القائل : هل بلغك الخبر الفلاني ؟ يريد تشويقه إلى استماعه ، والمعنى : هل وصل إلى سمعك يا محمد ، خبر ضيوف إبراهيم المعظمين ؟ قال ابن عباس :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يريد جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام ، سموا مكرمين لكرامتهم عند الله عز وجل

[إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما] أي حين دخلوا على إبراهيم ، فقالوا : نسلم عليك سلاما

[قال سلام قوم منكرون] اي قال عليكم السلام ، أنتم قوم غرباء لا نعرفكم فمن أنتم ؟ قال ابن كثير : وإنما أنكرهم لأنهم قدموا عليه في صورة شبان حسان ، عليهم مهابة عظيمة ، ولهذا أنكرهم وقال أبو حيان : والذي يناسب حال إبراهيم عليه السلام أنه لا يخاطبهم بذلك ، إذ فيه من عدم الأنس ما لا يخفى ، وإنما قال ذلك في نفسه ، أو لمن كان معه من أتباعه وغلمانه ، بحيث لا يسمع ذلك الأضياف

[فراغ الى أهله] أي فمضى إلى أهله ، في سرعة وخفية عن ضيفه ، لأن من أدب المضيف أن يبادر باحضار الضيافة ، من غير أن يشعر به الضيف ، حذرا من أن يمنعه الضيف ، أو يثقل عليه في التأخير ، قال ابن قتيبة : عدل إليهم في خفية ، ولا يكون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الزواغ إلا أن تخفي ذهابك ومجيئك

[فجاء بعجل سمين] أي فجاءهم بعجل سمين مشوي ، والعجل ولد البقرة وكان عامة ماله البقر ، واختاره لهم سمينا ، زيادة في إكرامهم

[فقربه إليهم فقال ألا تكلون] أي فأدناه منهم ، ووضعه بين أيديهم فلم يأكلوا ! ! فقال لهم في تلطف وبشاشة : ألا تأكلون هذا الطعام ؟ قال ابن كثير : وفي الآية تلطف في العبارة وعرض حسن ، وقد انتظمت الآية آداب الضيافة ، فإنه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة ، ولم يمتن عليهم أولا فقال نأتيكم بطعام ، بل جاء به بسرعة وخفاء ، وأتى بأفضل ما وجد من ماله ، وهو عجل سمين مشوي ، فقربه إليهم ، ولم يضعه وقال اقتربوا ، بل وضعه بين أيديهم ، ولم يأمرهم أمر يشق على سامعه بصيغة الجزم ، بل قال : ألا تأكلون ؟ على سبيل العرض والتلطف ، كما يقول القائل : إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فافعل

[فأوجس منهم خيفة] أي فأضمر في نفسه الخوف منهم ، لما رأى إعراضهم عن الطعام

[قالوا لا تخف] أي قالوا له لا تخف إنا رسل ربك

[وبشروه بغلام عليم] أي وبشروه بولد يولد له من زوجته " سارة " يكون عالما عند بلوغه ، قال أبو حيان : وفيه تبشير بحياته حتى يكون من العلماء ، والجمهور على أن المبشر به هو إسحاق لقوله تعالى في سورة هود [فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب]

[فأقبلت امرأته في صرة] أي فأقبلت سارة نحوهم حين سمعت البشارة في صيحة وضجة ، قال المفسرون : لما سمعت بالبشارة وكانت في زاوية من زوايا البيت ، جاءت نحوهم في صيحة عظيمة ، تريد أن تستفسر الخبر

[فصكت وجهها] أي فلطمت وجهها على عادة النساء عند التعجب ، قال ابن عباس : لطمت وجهها تعجبا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما تتعجب النساء من الأمر الغريب

[وقالت عجوز عقيم] أي قالت : أنا عجوز عقيم فكيف ألد ؟ والعقيم هي التي لم تلد قط لإنقطاع حبلها ، قال الإمام الجلال : كان عمرها تسعا وتسعين سنة ، وعمر إبراهيم مائة وعشرين

[قالوا كذلك قال ربك] أي الأمر كما أخبرناك ، هكذا حكم وقض ربك من الأزل ، فلا تعجبى ولا تشكي فيه

[إنه هو الحكيم العليم] أي الحكيم في صنعه ، العليم بمصالح خلقه

[قال فما خطبكم أيها المرسلون] أي ما شأنكم الخطير ، الذي لأجله أرسلتم أيها الملائكة الأبرار ؟ قال البيضاوي : لما علم أنهم ملائكة ، وأنهم لا ينزلون مجتمعين إلا لأمر عظيم ، سأل عنه

[قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين] أي قالوا : إن الله أرسلنا لإهلاك قوم لوط ، الذين ارتكبوا أفحش الجرائم " اللواط " وكانوا ذوي جرائم متعددة ، وهي كبار المعاصي من كفر وعصيان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لنرسل عليهم حجارة من طين] أي لنهلكهم بحجارة من طين متحجر ، مطبوخ بالنار وهو (السجيل) ، قال أبو حيان : والسجيل طين يطبخ كما يطبخ الآجر حتى يصبح في صلابة الحجارة ( )

[مسومة عند ربك] أي معلمة من عند الله بعلامة ، على كل واحدة منها اسم صاحبها الذي يهلك بها

[للمسرفين] أي المجاوزين الحد في الفجور ، قال الصاوى : كان في قرى لوط ستمائة ألف ، فأدخل جبريل جناحه تحت الأرض فاقتلع قراهم ، ورفعها حتى سمع أهل السماء أصواتهم ثم قلبها ، ثم أرسل الحجارة على من كان خارجا عنها حتى هلكوا جميعا

[فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين] أي فأخرجنا من كان في قرى أهل لوط من المؤمنين لئلا يهلكوا

[فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين] أي فما كان فيها بعد البحث والتفتيش ، غير أهل بيت واحد من المسلمين ، قال مجاهد : هم لوط وابنتاه ، والغرض من الآية بيان قلة المؤمنين الناجين من العذاب ، وكثرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكافرين المستحقين للهلاك ، قال الإمام الجلال :
وصفوا بالإيمان والإسلام أي هم مصدقون بقلوبهم ، عاملون بجوارحهم الطاعات
[وتركنا فيها آية] أي أبقينا في تلك القرى المهلكة ، بعد اهلاك الظالمين ، علامة على هلاكهم بجعل عاليها سافلها

[للذين يخافون العذاب الأليم] أي للذين يخافون عذاب الله فإنهم المعتبرون به ، قال ابن كثير : ومعنى الآية [وتركنا فيها آية] أي جعلناها عبرة بما أنزلنا بهم من العذاب والنكال ، وجعلنا محلتهم بحيرة منتنة خبيثة ، ففي ذلك عبرة للمؤمنين ، الذين يخافون العذاب الأليم .
تنبيه :
قال الإمام الرازي : في قصة ضيف إبراهيم تسلية لقلب النبي الكريم (ص) ببيان أن غيره من الأنبياء عليهم السلام كان مثله ، واختار تعالى إبراهيم لكونه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شيخ المرسلين ، وكون النبي (ص) على سنته في بعض الأشياء ، وفيها إنذار لقومه بما جرى من ضيفه - الملائكة - ومن إنزال الحجارة على المذنبين المضلين .

قال الله تعالى : [وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين . .] إلى قوله : [فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون] . من آية (38) إلى آية (60) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما ذكر تعالى قصة ضيف إبراهيم الذين ارسلوا لهلاك قوم لوط ، أتبعه بذكر قصص الأمم الطاغية ، فذكر منهم فرعون وجنوده ، وعادا ، وثمود ، وقوم نوح ، تسلية للنبي (ص) ، وتذكيرا للأنام بانتقام الله من أعدائه وأعداء رسله ، ثم ذكر دلائل القدرة والوحدانية ، وختم السورة الكريمة بإنذار المكذبين الضالين .

اللغة :

[نبذناهم] طرحناهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[اليم] البحر

[مليم] أتى بما يلام عليه

[الرميم] الشيء الهالك البالي ، قال الزجاج :

الرميم : الورق الجاف المتحطم مثل الهشيئم ، ورم العظم إذا بلي فهو رفة ورميم ، قال جرير يرثي ابنه :

تركتني حين كف الدهر من بصري وإذ بقيت كعظم الرفة البالى

[الماهدون] مهدت الفراش مهدا بسطته ووطأته ، والتمهيد تسوية الشيء وإصلاحه

[ذنوبا] الذنوب : بفتح الذال النصيب من العذاب .

التفسير :

[وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون] أي وجعلنا في قصة موسى أيضا آية وعبرة وقت إرسالنا له إلى فرعون

[بسلطان مبين] أي بحجة واضحة ، ودليل باهر

[فتولى بركنه] أي فأعرض عن الإيمان بموسى ، بجموعه وأجناده ، وقوته وسلطانه ، قال مجاهد :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعزز عدو الله بأصحابه ((ونقل ابن عباس أن المراد " بركنه " أي بقوته وسلطانه ، وقد جمعنا بين القولين في التفسير)).والغرض أن فرعون أعرض عن الإيمان ، بسبب ما كان يتقوى به من جنوده ، لأنهم كانوا له كالركن الذي يعتمد عليه البنيان

[وقال ساحر أو مجنون] أي وقال اللعين في شأن موسى : إنه ساحر ، ولذلك أتى بهذه الخوارق ، أو مجنون ولذلك ادعى الرسالة ، وإنما قال ذلك تمويها على قومه ، لا شكا منه في صدق موسى ((لفظة " أو " للشك ، وذهب بعض المفسرين إلى أنها بمعنى الواو أي ساحر ومجنون لأن اللعين قال الأمرين معا فقال : {إن هذا لساحر عليم } وقال : {ان رسولكم الذي ارسل إليكم لمجنون } وهو اختيار القرطبي ، وقال الألوسي : لا ضرورة إلى ذلك التأويل لأن اللعين كان يتلون تلون الحرباء)).

[فأخذناه وجنوده] أي فأخذنا فرعون مع أصحابه وجنوده

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فنبذناهم في اليم] أي فطرحناهم في البحر ، لما أغضبونا وكذبوا رسولنا

[وهو مليم] أي وهو آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان . . ثم لما انتهى من قصة فرعون أعقبها بذكر قصة عاد ، فقال سبحانه :

[وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم] أي وجعلنا في قصة عاد ، كذلك آية لمن تأمل ، حين أرسلنا عليهم الريح المدمرة ، التي لا خير فيها ولا بركة ، لأنها لا تحمل المطر ، ولا تلقح الشجر ، وإنما هي للإهلاك ، وهي الريح التي تسمى الدبور ، وفي الصحيح (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور) قال المفسرون : سميت [الريح العقيم] تشبيها لها بعقم المرأة التي لا تحمل ولا تلد ، ولما كانت هذه الريح ، لا تلقح سحابا ولا شجرأ ، ولا خير فيها ولا بركة ، لأنها لا تحمل المطر ، شبهت بالمرأة العقيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ما تذر من شيء أتت عليه] أي ما تترك شيئا مرت عليه في طريقها ، مما أراد الله تدميره وإهلاكه [إلا جعلته كالرميم] أي إلا جعلته كالهشيم المتفتت البالي ، قال ابن عباس : [الرميم] الشيء الهالك البالي ، وقال السدي : هو التراب والرماد المدقوق كقوله تعالى : [تدمر كل شيء بأمر ربها] قال المفسرون : كانت الريح التي أرسلها الله عليهم ريحا صرصرا عاتية ، استمرت عليهم ثمانية أيام متتابعة ، فكانت تهدم البنيان ، وتنتزع الرجال فترفعهم إلى السماء ، حتى يرى الواحد منهم كالطير ، ثم ترمي به إلى الأرض جثة هامدة [كأنهم أعجاز نخل خاوية] . . ثم أخبر تعالى عن هلاك ثمود ، فقال سبحانه :

[وفي ثمود] أي وجعلنا في ثمود أيضا آية وعبرة [إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين] أي حين قيل لهم : عيشوا متمتعين بالدنيا إلى وقت الهلاك ، بعد عقرهم للناقة ، وهو ثلاثة أيام كما في سورة هود [قال تمتعوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في داركم ثلاثة أيام]

[فعتوا عن أمر ربهم] أي فاستكبروا عن امتثال أمر الله ، وعصوا رسولهم فعقروا الناقة

[فأخذتهم الصاعقة] أي فأخذتهم الصيحة المهلكة صيحة العذاب

[وهم ينظرون] أي وهم يشاهدونها ويعاينونها ، لأنها جاءتهم في وضح النهار ، قال ابن كثير : وذلك أنهم آنتظروا العذاب ثلاثة ايام ، فجاءهم في صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار وقال الألوسي : إن صالحا عليه السلام وعدهم بالهلاك بعد ثلاثة أيام ، وقال لهم : تصبح وجوهكم غدا مصفرة ، وبعد غد محمرة ، وفي اليوم الثالث مسودة ، ثم يصبحكم العذاب ، فلما رأوا الآيات التي بينها عليه السلام عمدوا إلى قتله فنجاه الله ، وفي اليوم الرابع أتتهم الصاعقة وهي نار من السماء ، مع صوت شديد ، فهلكوا

[فما استطاعوا من قيام] أي ما قدروا على الهرب والنهوض من شدة الصيحة ، بل أصبحوا في ديارهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جاثمين

[وما كانوا منتصرين] أي وما كانوا ممن ينتصر لنفسه فيدفع عنها العذاب . . ثم أخبر تعالى عن هلاك قوم نوح ، فقال سبحانه :

[وقوم نوح من قبل] أي وأهلكنا قوم نوح بالطوفان ، من قبل إهلاك هؤلاء المذكورين

[إنهم كانوا قوما فاسقين] تعليل للهلاك أي لأنهم كانوا فسقة خارجين عن طاعة الرحمن ، بارتكابهم الكفر والعصيان . . ولما انتهى من أخبار هلاك الأمم الطاغية المكذبة ، شرع في بيان دلائل القدرة والوحدانية ، فقال سبحانه :

[والسماء بنيناها بأيد] أي وشيدنا السماء وأحكمنا خلقها بقوة وقدرة ، قال ابن عباس : [بأيد] بقوة

[وإنا لموسعون] أي وإنا لموسعون في خلق السماء ، فإن الأرض وما يحيط بها من الهواء والماء ، بالنسبة لها كحلقة صغيرة في فلاة كما ورد في بعض الأحاديث وقال ابن عباس : [لموسعون] أي لقادرون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، من الوسع بمعنى الطاقة والقدرة ((انظر إلى عظمة الكون بعين البصيرة والعقل ، لترى عظمة الخالق الكبير المتعال ، فان هذه الأرض التي نعيش فوق سطحها ، ما هي الا ذرة أو نقطة تسبح في هذا الكون الفسيح ، الذي لا يعلم سعته وعظمته إلا الله رب العالمين ، منشىء الأكوان وخالق الانسان ، وتمعن وأنت تقرأ هذه الآية الكريمة {وإنا لموسعون } عظمة الكون لتسبح الله مع المسبحين ، بقلبك ولسانك)).

[والأرض فرشناها] أي والأرض مهدناها لتستقروا عليها ، وبسطناها لكم ومددنا فيها ، لتنتفعوا بها بالطرقات ، وأنواع المزروعات ، ولا ينافي ذلك كرويتها ، فذلك أمر مقطوع به ، فإنها مع كرويتها واسعة ممتدة ، فيها السهول الفسيحة ، والبقاع الواسعة ، مع الجبال والهضاب ، ولهذا قال تعالى :

[فنعم الماهدون] أي فنعم الباسطون الموسعون لها نحن ، وصيغة الجمع للتعظيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ومن كل شيء خلقنا زوجين] أي ومن كل شيء خلقنا صنفين ونوعين مختلفين ، ذكرا وأنثى ، وحلوا وحامضا ونحو ذلك ((هذا قول ابن زيد ، وقال مجاهد : يعنى به المتقابلات كالذكر والأنثى ، والسماء والأرض ، والشمس والقمر ، والليل والنهار ، والنور والظلام ، والخير والشر وأمثال ذلك ، كذا في القرطبي ، وهو اختيار الطبري لأنه أدل على العظمة والقدرة)).

[لعلكم تذكرون] أي كي تتذكروا عظمة الله فتؤمنوا به ، وتعلموا أن خالق الأزواج واحد أحد

[ففروا الى الله] أي الجأوا إلى الله ، واهرعوا إلى توحيده وطاعته ، قال ابو حيان : والأمر بالفرار إلى الله ، أمر بالدخول في الإيمان وطاعة الرحمن ، وإنما ذكر بلفظ الفرار ، لينبه على أن وراء الناس عقابا وعذابا ، وأمر حقه أن يفر منه ، فقد جمعت اللفظة بين التحذير والاستدعاء ، ومثله قول النبي (ص) ألا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك وقال ابن الجوزي : المعنى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اهربوا مما يوجب العقاب ، من الكفر والعصيان ، إلى ما يوجب الثواب من الطاعة والإيمان

[إني لكم منه نذير] أي إني أنذركم عذاب الله وأخوفكم انتقامه

[مبين] أى واضح أمري فقد أيدني الله بالمعجزات الباهرات

[ولا تجعلوا مع الله إلها أخر] أي لا تشركوا مع الله أحدا من بشر أو حجر

[إنى لكم منه نذير مبين] كرر اللفظ للتأكيد والتنبيه إلى خطر الإشراك بالله ، قال الخازن : وإنما كرر اللفظ عند الأمر بالطاعة ، والنهي عن الشرك ، ليعلم إن الايمان لا ينفع إلا مع العمل ، كما أن العمل لا ينفع إلا مع الإيمان ، وأنه لا يفوز وينجو عند الله إلا الجامع بينهما

[كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون] هذه تسلية للنبي (ص) ، أي كما كذبك قومك يا محمد ، وقالوا عنك إنك ساحر ومجنون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، كذلك قال المكذبون الأولون لرسلهم ، فلا تحزن لما يقوله المجرمون

[أتواصوا به] أي هل أوصى أولهم أخرهم بالتكذيب ؟ وهو استفهام للتعجب ، من إجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة ، ثم أضرب عن هذا النفي والتوبيخ فقال :

[بل هم قوم طاغون] أي لم يوص بعضهم بعضا بذلك ، بل حملهم الطغيان على التكذيب والعصيان ، فلذلك قالوا ما قالوا

[فتول عنهم] أي فأعرض يا محمد عنهم

[فما أنت بملوم] أي فلا لوم عليك ولا عتاب ، لأنك قد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، وبذلت الجهد في النصح والإرشاد

[وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين] أي لا تترك التذكير والموعظة ، فإن القلوب المؤمنة ، تنتفع وتتأثر بالموعظة الحسنة . . ثم ذكر تعالى الغاية من خلق الخلق فقال سبحانه :

[وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون] أي وما خلقت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الثقلين الإنس والجن إلا لعبادتي وتوحيدي ، لا لطلب الدنيا والانهماك بها ، قال ابن عباس : [إلا ليعبدون] إلا ليقروا لي بالعبادة ، طوعا أو كرها ، وقال مجاهد : إلا ليعرفوني قال الرازي : لما بين تعالى حال المكذبين ، ذكر هذه الآية ليبين سوء صنيعهم ، حيث تركوا عبادة الله ، مع أن خلقهم لم يكن إلا للعبادة [ما أريد منهم من رزق] أي لا أريد منهم أن يرزقوني ، أو يرزقوا أنفسهم ، أو غيرهم بل أنا الرزاق المعطي للعباد

[وما أريد أن يطعمون] أي ولا أريد منهم أن يطعموا خلقي ، ولا أن يطعموني ، فأنا الغني لحميد ، قال البيضاوي : والمراد أن يبين أن شأنه تعالى مع عباده ، ليس كشأن السادة مع عبيدهم ، فإنهم إنما يملكونهم ، ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم ، فكأنه سبحانه يقول : ما أريد أن أستعين بهم ، كما يستعين السادة بعبيدهم ، فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن الله هو الرزاق] أي إنه جل وعلا هو الرازق ، المتكفل بأرزاق العباد وحاجاتهم ! ! أتى باسم الجلالة الظاهر للتفخيم والتعظيم ، وأكد الجملة بإن والضمير المنفصل لقطع أوهام الخلق في أمور الرزق ، وليقوي اعتمادهم على الله

[ذو القوة] أي ذو القدرة الباهرة

[المتين] أي شديد القوة ، لا يطرأ عليه عجز ولا ضعف ، قال ابن كثير : أخبر تعالى أنه غير محتاج إليهم ، بل هم الفقراء إلى الله في جميع أحوالهم ، فهو خالقهم ورازقهم ، وفي الحديث القدسي : (يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى ، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلا ، ولم أسد فقرك)

[فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم] اي فإن لهؤلاء الكفار الذين كذبوا الرسول (ص) نصيبا من العذاب ، مثل نصيب أسلافهم الذين أهلكوا ، كقوم نوح ، وعاد ، وثمود

[فلا يستعجلون] أي فلا يتعجلوا عذابي فإنه واقع لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محالة ، إن عاجلا أو آجلا

[فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون] أي هلاك ودمار وشدة عذاب ، لهؤلاء الكفار الفجار ، في يوم القيامة الذي وعدهم الله به ، فإنه يوم على الكافرين عسير.

البلاغه :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الطباق [وفي أموالهم حق للسائل والمحروم] لأن السائل الطالب ، والمحروم المتعفف .

2 - تأكيد الخبر بالقسم وإن واللام [فورب السماء والأرض إنه لحق] ويسمى هذا الضرب إنكاريا ، لأن المخاطب منكر لذلك .

3 - أسلوب التشويق والتفخيم [هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين] ؟ .

4 - الاستعارة [فتولى بركنه] استعار الركن للجنود والجموع ، لأنه يحصل بهم التقوى والاعتماد ، كما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يعتمد على الركن في البناء أو استعارة للقوة والشدة .
5 - المجاز العقلي [وهو مليم] أطلق اسم الفاعل على اسم المفعول أي ملام على طغيانه .
6 - الاستعارة التبعية [الريح العقيم] شبه إهلاكهم وقطع دابرهم بعقم النساء وعدم حملهن ، ثم أطلق المشبه به على المشبه ، واشتق منه العقيم بطريق الاستعارة التبعية
7 - حذف الإيجاز [قوم منكرون] أي أنتم قوم منكرون ومثلها [عجوز عقيم] أي أنا عجوز .
8 - التشبيه المرسل المجمل [ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم] أي نصيبا من العذاب مثل نصيب أسلافهم المكذبين ، في الشدة والغلظة ، حذف منه وجه الشبه فهو مجمل .
9 - الإطناب بتكرار الفعل [ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون] للمبالغة والتأكيد .
10 - السجع الرصين غير المتكلف ، الذي يزيد في جمال الأسلوب ورونقه مثل [والسماء بنيناها بأيد وإنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لموسعون . . والأرض فرشناها فنعم الماهدون] وهو من المحسنات البديعية .

لطيفة :

ذكر ان إعرابيا سمع قارئا يقرأ [وفي السماء رزقكم وما توعدون ، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما إنكم تنطقون] فقال : يا سبحان الله ! ! من الذي أغضب الجليل حتى حلف لهم ! ! ألم يصدقوه في قوله حتى ألجئوه إلى اليمين ؟ يا ويح الناس !

سورة الطور

مكية وآياتها تسع وأربعون آية

بين يدي السورة

* سورة الطور من السور المكية التى تعالج موضوع العقيدة الإسلامية ، وتبحث في أصول العقيدة وهي (الوحدانية ، والرسالة ، والبعث والجزاء) شأنها كشأن سائر السور المكية ، التي تتناول أمور العقيدة الإسلامية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن أهوال الآخرة وشدائدها ، وعما يلقاه الكافرون في ذلك الموقف الرهيب " موقف الحساب " وأقسمت على أن العذاب نازل بالكفار لا محالة ، لا يمنعه مانع ، ولا يدفعه د افع ، وكان القسم بأمور خمسة تنبيها على أهمية الموضوع [والطور . وكتاب مسطور . في رق منشور . والبيت المعمور . والسقف المرفوع . والبحر المسجور . إن عذاب ربك لواقع . ما له من دافع . .] الآيات .

* ثم تناولت الحديث عن المتقين وهم في جنات النعيم ، على سرر متقابلين ، وقد جمع الله لهم أنواع السعادة " الحور العين ، واجتماع الشمل بالذرية والبنين ، والتنعم والتلذذ بأنواع المآكل والمشارب ، من فواكه وثمار ، ولحوم متنوعة مما يشتهى ويستطاب ، إلى غير ما هنالك من أنواع النعيم ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر [إن المتقين في جنات ونعيم . فاكهين بما آتاهم ربهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ووقاهم ربهم عذاب الجحيم . .] الآيات .

* ثم تحدثت عن رسالة محمد بن عبد الله صلوات الله عليه ، وأمرته بالاستمرار بالدعوة ، والتذكير والإنذار للكفرة الفجار ، غير عابىء بما يقوله المشركون ، وما يفتريه المفترون ، حول الرسالة والرسول ، فليس محمد (ص) بإنعام الله عليه بالنبوة وإكرامه بالرسالة بكاهن ولا مجنون كما زعم المجرمون [فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون . .] الآيات .

* ثم أنكرت السورة على المشركين مزاعمهم الباطلة في شأن نبوة محمد (ص) ، وردت عليهم بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة التي تقصم ظهر الباطل ، وآقامت الدلائل على صدق رسالة محمد (ص) [أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون .فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين صادقين . .] الآيات .

* وختمت السورة الكريمة بالتهكم بالكافرين وأوثانهم بطريق التوبيخ والتقريع ، وبينت شدة عنادهم ، وفرط طغيانهم ، وأمرت الرسول (ص) ، بالصبر على تحمل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأذى في سبيل الله ، حتى يأتي نصر الله [واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم . ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم] .

التسمية :

سميت " سورة الطور " لأن الله تعالى بدأ السورة الكريمة بالقسم بجبل الطور الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام ، ونال ذلك الجبل من الأنوار والتجليات والفيوضات الإلهية ما جعله مكانا وبقعة مشرفة على سائر الجبال في بقاع الأرض .

قال الله تعالى : [والطور ، وكتاب مسطور . . إلى . . إنه هو البر الرحيم] . من آية (1) إلى نهاية آية (28) .

اللغة :

[رق] الرق بالفتح والكسر جلد رقيق يكتب فيه وقال أبو عبيدة : الرق الورق وفي الصحاح : الرق بالفتح ما يكتب فيه وهو جلد رقيق

[المسجور] الموقد نارا يقال : سجرت النار أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أوقدتها

[تمور] مار الشيء يمور مورا إذا تحرك واضطرب ، وجاء وذهب ، قال جرير : وما زالت القتلى تمور دماؤها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

[يدعون] يدفعون بشدة وعنف ، والدع : الدفع بشدة وإهانة

[ألتناهم] أنقصناهم

[رهين] محبوس

[السموم] الريح الحارة النافذة في المسام من شدة حرها ولهبها .

التفسير :

[والطور وكتاب مسطور] أقسم تعالى بجبل الطور الذي كلم الله عليه موسى ، وأقسم بالكتاب الذي أنزله الله على خاتم رسله وهو القرآن العظيم المكتوب

[في رق] أي في أديم من الجلد الرقيق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[منشور] أي مبسوط غير مطوي وغير مختوم عليه ، قال القرطبى : أقسم الله تعالى بالطور - وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى - تشريفا له وتكريما ، وتذكيرا لما فيه من الآيات ، وأقسم بالكتاب المسطور أي المكتوب وهو القرآن يقرأه المؤمنون من المصاحف ، ويقرأه الملائكة من اللوح المحفوظ ، وقيل : يعنى بالكتاب سائر الكتب المنزلة على الأنبياء ، لأن كل كتاب في رق ينشره أهله لقراءته ، والرق ما رقق من الجلد ليكتب فيه

[والبيت المعمور] أي وأقسم بالبيت المعمور الذي تطوف به الملائكة الأبرار ، وهو لأهل السماء كالكعبة المشرفة لأهل الأرض ، وفي حديث الإسراء : (ثم رفع إلى البيت المعمور ، فقلت يا جبريل ما هذا ؟ قال : هذا البيت المعمور ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه آخر ما عليهم)وقال ابن عباس : وهو بيت في السماء السابعة حيال الكعبة " أي مقابلها وحذاءها - تعمره الملائكة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يصلي فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون إليه

[والسقف المرفوع] أي والسماء العالية المرتفعة ، الواقفة بقدرة الله بلا عمد ، سمى السماء سقفا لأنها للأرض كالسقف للبيت ، ودليله قوله تعالى : [وجعلنا السماء سقفا محفوظا] وقال ابن عباس : هو العرش وهو سقف الجنة

[والبحر المسجور] أي والبحر المسجور الموقد نارا يوم القيامة كقوله : [وإذا البحار سجرت] أي أضرمت حتى صارت نارا ملتهبة تتأجج ، تحيط بأهل الموقف

[إن عذاب ربك لواقع] هذا جواب القسم أي إن عذاب الله لنازل بالكافرين لا محالة ، قال ابن الجوزي : أقسم تعالى بهذه الأشياء الخمسة ، للتنبيه على ما فيها من عظيم قدرته ، على أن عذاب المشركين حق

[ما له من دافع] أي ليس له دافع يدفعه عنهم ، قال أبو حيان : والواو الأولى للقسم وما بعدها للعطف ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والجملة المقسم عليها هي [إن عذاب ربك لواقع] وفي إضافة العذاب للرب لطيفة إذ هو المالك والناظر في مصلحة العبد ، فإضافته إلى الرب وإضافته لكاف الخطاب أمان له (ص) وأن العذاب واقع بمن كذبه ، ولفظ واقع أشد من كائن ، كأنه مهيأ في مكان مرتفع ، فيقع على من حل به

[يوم تمور السماء مورا] أي تتحرك السماء وتضطرب اضطرابا شديدا من هول ذلك اليوم

[وتسير الجبال سيرا] أي تتسف نسفا عن وجه الأرض فتكون هباء منثورا كقوله : [ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا] قال الخازن : والحكمة في مور السماء وسير الجبال ، الإنذار والإعلام بأن لا رجوع ولا عود إلى الدنيا ، وذلك لأن الأرض والسماء وما بينهما من الجبال والبحار وغير ذلك ، إنما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بني آدم بذلك ، فلما لم يبق لهم عود إليها أزالها الله تعالى ، وذلك لخراب الدنيا وعمارة الآخرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فويل يومئذ للمكذبين] أي هلاك ودمار وشدة عذاب للمكذبين في ذلك اليوم الرهيب

[الذين هم في خوض يلعبون] أي الذين هم في الدنيا يخوضون في الباطل ، غافلون ساهون عما يراد بهم

[يوم يدعون إلي نار جهنم دعا] آي يوم يدفعون إلى نار جهنم دفعا بشدة وعنف ، قال في البحر : وذلك أن خزنة جهنم يغلون أيدي الكفار إلى أعناقهم ، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم ، ويدفعون بهم دفعا إلى النار على وجوههم ، وزجا في أقفيتهم حتى يردوا إلى النار ، فإذا دنوا منها قال لهم خزنتها :

[هذه النار التي كنتم بها تكذبون] أي هذه نار جهنم التي كنتم تهزءون وتكذبون بها في الدنيا

[أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون] أي وتقول لهم الزبانية تقريعا وتوبيخا : هل هذا الذي ترونه بأعينكم من العذاب سحر ، أم انتم اليوم عمى كما كنتم في الدنيا عميا عن الخير والإيمان ؟ قال أبو السعود :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقوله تعالى : [أفسحر هذا] توبيخ لهم وتقريع ، حيث كانوا يسمون القرآن الناطق بالحق : سحرا ، فكأنه قيل لهم : كنتم تقولون عن القرآن إنه سحر ، أفهذا العذاب أيضا سحر ؟ أم سدت أبصاركم كما سدت في الدنيا ؟
[اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا] أي قاسوا شدتها فاصبروا على العذاب أو لا تصبروا ، وهو توبيخ آخر
[سواء عليكم] أي يتساوى عليكم الصبر والجزع ، لأنكم مخلدون في جهنم أبدا
[إنما تجزون ما كنتم تعملون] أي إنما تنالون جزاء أعمالكم القبيحة ، من الكفر والتكذيب ، ولا يظلم ربك أحدا !! ولما ذكر حال الكفرة الأشقياء ، ذكر حال المؤمنين السعداء ، على عادة القرآن الكريم في الجمع بين الترهيب والترغيب ، فقال سبحانه :
[إن المتقين في جنات ونعيم] آي إن الذين اتقوا ربهم في الدنيا ، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، هم في الآخرة في بساتين عظيمة ونعيم مقيم خالد
[فاكهين بما آتاهم ربهم] أي متنعمين ومتلذذين بما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أعطاهم ربهم من الخير والكرامة وأصناف الملاذ من مأكل ومشارب ، وملابس ومراكب ، وغير ذلك من ملاذ الجنة

[ووقاهم ربهم عذاب الجحيم] أي وقد نجاهم ربهم من عذاب جهنم ، وصرف عنهم أهوالها ، قال ابن كثير : وتلك نعمة مستقلة بذاتها ، مع ما أضيف إليها من دخول الجنة ، التي فيها من السرور ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر

[كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون] أي يقال لهم : كلوا واشربوا أكلا وشربا هنيئا ، لا تنغيص فيه ولا كدر ، بسبب ما قدمتم من صالح الأعمال . . ثم أخبر تعالى عن حالهم عند أكلهم وشربهم ، فقال سبحانه :

[متكئين على سرر مصفوفة] أي جالسين على هيئة المضطجع ، على سرر من ذهب ، مكللة بالدر والياقوت ، مصطفة بعضها إلى جانب بعض ، قال ابن كثير : [مصفوفة] أي وجوه بعضهم إلى بعض كقوله : [على سرر متقابلين] وفي الحديث : " إن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرجل ليتكيء المتكأ مقدار أربعين سنة ، ما يتحول عنه ولا يمله ، يأتيه ما اشتهت نفسه ولذت عينه "

[وزوجناهم بحور عين] أي وجعلنا لهم قرينات صالحات ، وزوجات حسانا من الحور العين ، وهن نساء بيض واسعات العيون - من الحور وهو شدة البياض ، والعين بكسر العين جمع عيناء وهي كبيرة العين - والبياض مع سعة العين نهاية الحسن والجمال

[والذين أمنوا وأتبعتهم ذريتهم بإيمان] أي كانوا مؤمنين وشاركهم أولادهم في الإيمان

[ألحقنا بهم ذريتهم] أي ألحقنا الأبناء بالأباء لتقر بهم أعينهم ، وإن لم يبلغوا عملهم ، قال ابن عباس : إن الله عز وجل ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة ، وإن كان لم يبلغها بعمله ، لتقر بهم عينه وتلا الآية. قال الزمخشري : فيجمع الله لأهل الجنة أنواع السرور ، بسعادتهم في أنفسهم ، وبمزاوجة الحور العين ، وبمؤانسة الإخوان المؤمنين ، وباجتماع أولادهم ونسلهم بهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وما ألتناهم من عملهم من شيء] أي وما نقصنا الأباء من ثواب عملهم شيئا ، قال في البحر : المعنى أنه تعالى يلحق المقصر بالمحسن ولا ينقص المحسن من أجره شيئا

[كل امرئ بما كسب رهين] أي كل إنسان مرتهن بعمله ، لا يحمل عليه ذنب غيره ، سواء كان أبا أو ابنا ، وقال ابن عباس : ارتهن أهل جهنم بأعمالهم ، وصار أهل الجنة إلى نعيمهم وقال الخازن : المراد بالآية الكافر ، أي كل كافر بما عمل من الشرك مرتهن بعمله في النار ، والمؤمن لا يكون مرتهنا بعمله ، لقوله تعالى : [كل نفس بما كسبت رهينة ، إلا أصحاب اليمين . . ثم ذكر ما وعدهم به من الفضل والنعمة فقال سبحانه :

[وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون] أي وزدناهم - فوق ما لهم من النعيم - بفواكه ولحوم من أنواع شتى ، مما يستطاب ويشتهى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يتنازعون فيها كأسا] أى يتعاطون في الجنة كأسا من الخمر ، بتجاذبها بعضهم من بعض تلذذا وتأنسا ، قال الألوسي : أي يتجاذبونها تجاذب ملاعبة ، كما يفعل ذلك الندامى في الدنيا ، لشدة سرورهم

[لا لغو فيها ولا تأثيم] أي لا يقع بينهم بسبب شربها هذيان ، حتى يتكلموا بساقط الكلام ، ولا يلحقهم إثم كما يلحق شارب الخمر في الدنيا ، قال قتادة : نزه الله خمر الآخرة عن قاذورات خمر الدنيا وأذاها ، فنفى عنها : صداع الرأس ، ووجع البطن ، وإزالة العقل ، وأخبر أنها لا تحملهم على الكلام الفارغ الذي لا فائدة فيه ، المتضمن للهذيان والفحش ، ووصفها بحسن منظرها ، وطيب طعمها ، فقال : [بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون] ثم قال تعالى :

[ويطوف عليهم غلمان لهم] أي ويطوف عليهم للخدمة غلمان مماليك ، خصصهم تعالى لخدمتهم

[كأنهم لؤلؤ مكنون] أي كأنهم في الحسن ، والبياض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، والصفاء اللؤلؤ المصون في الصدف ، قال القرطبي : وهؤلاء الغلمان قيل هم أولاد المشركين وهم خدم أهل الجنة ، وليس في الجنة نصب ولا حاجة إلى خدمة ، ولكنه أخبر بأنهم على غاية النعيم

[وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون] أي أقبل أهل الجنة يسأل بعضهم بعضا ، عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا ، تلذذا بالحديث ، واعترافا بالنعمة

[قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين] أي قال المسئولون : إنا كنا في دار الدنيا خائفين من ربنا ، مشفقين من عذابه وعقابه

[فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم] أي فأكرمنا الله بالمغفرة وبدخول الجنة ، وأجارنا مما نخاف ، وحمانا من عذاب جهنم ، النافذة في المسام نفوذ الريح الحارة الشديدة ، وهي التي تسمى [السموم] قال الغخر الرازي : والآية إشارة إلى أن أهل الجنة يعلمون ما جرى عليهم في الدنيا ويذكرونه ، وكذلك الكافر لا ينسى ما كان له من النعيم في الدنيا ، فتزداد لذة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المؤمن ، حيث يرى نفسه انتقلت من الضيق إلى السعة ، ومن السجن إلى الجنة ، ويزداد الكافر ألما ، حيث يرى نفسه انتقلت من النعيم إلى الجحيم

[إنا كنا من قبل ندعوه] أي قال أهل الجنة : إنا كنا في الدنيا نعبد الله ونتضرع إليه ، فاستجاب الله لنا فأعطانا سؤلنا

[إنه هو البر الرحيم] أي إنه تعالى هو المحسن ، المتفضل على عباده بالرحمة والغفران ، وهو كالتعليل لما سبق ، عن مسروق أن عائشة رضي الله عنها قرأت هذه الآية

[فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم] فقالت : اللهم من علينا وقنا عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم .

قال الله تعالى : [فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون . .] إلى قوله [فسبحه وإدبار النجوم] . من آية (29) إلى آية (49) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لما تقدم قسم الله تعالى ، على وقوع العذاب بالكافرين ، وذكر أشياء من أحوال المعذبين والناجين ، أمر تعالى رسوله بالتذكير ، إنذارا للكافرين ، وتبشيرا للمؤمنين ، وختم السورة الكريمة ببيان حفظ الله ورعايته لرسوله الكريم (ص) للتنبيه على مكانته عند الله عز وجل .

اللغة :

[ريب المنون] حوادث الدهر وصروفه ، والمنون هو الدهر ، قال أبو ذؤيب : أمن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع والمنون أيضا الموت من المن بمعنى القطع ، لأنه يقطع الأعمار

[أحلامهم] عقولهم جمع حلم وهو العقل

[المسيطرون] المسيطر : المتسلط على الشيء

[كسفا] قطعة يقال : كسف بسكون السين ، وكسفة أي قطعة وجمعه كسف بفتح السين قال تعالى [نسقط عليهم كسفا من السماء]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[مركوم] متجمع ومتراكم بعضه فوق بعض .
التفسير :

[فذكر فما أنت بنعمة ربك] أي فذكر يا محمد بالقرآن قومك وعظهم به ، فما أنت بإنعام الله عليك بالنبوة ، وإكرامه لك بالرسالة
[بكاهن ولا مجنون] أي لست كاهنا تخبر بالأمور الغيبية ، من غير وحي ، ولا بك شيء من الجنون ، كما زعم المشركون ، إنما تنطق بالوحي . . ثم أنكر عليهم مزاعمهم الباطلة في شأن الرسول ، ففال سبحانه :
[أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون] أي هل يقول المشركون هو شاعر ، ننتظر به حوادث الدهر وصروفه ، حتى يهلك فنستريح منه ؟ قال الخازن : وريب المنون حوادث الدهر وصروفه ، وغرضهم أنه يهلك ويموت ، كما هلك من كان قبله من الشعراء ، والمنون اسم للموت وللدهر ، وأصله القطع ، سميا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بذلك لأنهما يقطعان الأجل

[قل تربصوا فإنى معكم من المتربصين] أي قل لهم يا محمد : انتظروا بى الموت ، فإني منتظر هلاككم ، كما تنتظرون هلاكي ، وهو تهكم بهم مع التهديد والوعيد

[أم تأمرهم أحلامهم بهذا] ؟ اي أم تأمرهم عقولهم بهذا الكذب والبهتان ؟ قال الخازن : وذلك أن عظماء قريش كانوا يوصفون بالأحلام والعقول ، فأزرى الله بعقولهم ، حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل ، وهو تهكم آخر بالمشركين

[أم هم قوم طاغون] أي بل هم قوم مجاوزون الحد فى الكفر والطغيان ، والمكابرة والعناد

[أم يقولون تقوله] أي أم يقولون إن محمدا اختلق القرآن ، وافتراه من عند نفسه ، قال القرطبي : والتقول تكلف القول ، وإنما يستعمل في الكذب في غالب الأمر ، يقال : قولتنى ما لم أقل ، أي ادعيته على ، وتقول عليه أي كذب عليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[بل لا يؤمنون] أي ليس الأمر كما زعموا ، بل لا يصدقون بالقرآن استكبارا وعنادا ، ثم ألزمهم تعالى الحجة فقال سبحانه :

[فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين] أي فليأتوا بكلام مماثل للقرآن ، في نظمه ، وحسنه ، وبيانه ، إن كانوا صادقين في قولهم إن محمدا افتراه ، وهو تعجيز لهم مع التوبيخ

[أم خلقوا من غير شيء] أي هل خلقوا من غير رب ولا خالق ؟ قال ابن عباس : من غير رب خلقهم وقدرهم

[أم هم الخالقون] أي هل هم الخالقون لأنفسهم ، حتى تجرءوا فأنكروا وجود الله جل وعلا ؟

[أم خلقوا السموات والأرض] أي هل هم خلقوا السموات والأرض ؟ وإنما خص السموات والأرض بالذكر من بين سائر المخلوقات ، لعظمها وشرفها . . ثم بين تعالى السبب في إنكارهم لوحدانية الله ، فقال سبحانه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[بل لا يوقنون] أي بل لا يصدقون ولا يؤمنون بوحدانية الله ، وقدرته على البعث ، ولذلك ينكرون الخالق !! قال الخازن : ومعنى الآية هل خلقوا من غير شيء خلقهم ، فوجدوا بلا خالق ؟ وذلك مما لا يجوز أن يكون ، لأن تعلق الخلق بالخالق ضروري ، فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق !! أم هم الخالقون لأنفسهم ؟ وذلك في البطلان أشد ، لأن ما لا وجود له كيف يخلق ؟ فإذا بطل الوجهان ، قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا فليؤمنوا به ، وليوحدوه ، وليعبدوه ، وليوقنوا أنه ربهم وخالقهم

[أم عندهم خزائن ربك] ؟ أي عندهم خزائن رزق الله ورحمته ؟ حتى يعطوا النبوة من شاءوا ، ويمنعوها عمن شاءوا ؟ قال ابن عباس : [خزائن ربك] المطر والرزق ، وقال عكرمة : النبوة

[أم هم المسيطرون] أي أم هم الغالبون القاهرون ؟ حتى يتصرفوا في الخلق كما يشاءون ؟ لا بل الله عز وجل هو الخالق المالك المتصرف ، وقال عطاء : [أم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هم المسيطرون] أم هم الأرباب فيفعلون ما يشاءون ، ولا يكونون تحت أمر ولا نهى ؟
[أم لهم سلم يستمعون فيه] ؟ أي أم لهم مرقى ومصعد إلى السماء ، يستمعون فيه كلام الملائكة والوحي ، فيعلمون أنهم على حق ، فهم به مستمسكون ؟

[فليأت مستمعهم بسلطان مبين] أي فليأت من يزعم ذلك بحجة بينة واضحة ، على صدق استماعه ، كما أتى محمد بالبرهان القاطع !! لم وبخهم تعالى على ما هو أشنع وأقبح ، من تلك المزاعم الباطلة ، وهو نسبتهم إلى الله البنات ، وجعلهم لله جل وعلا ما يكرهون لأنفسهم ، فقال سبحانه :
[أم له البنات ولكم البنون] ؟ أي كيف تجعلون لله البنات - مع كراهتكم لهن - وتجعلون لأنفسكم البنين ؟ أهذا هو المنطق والإنصاف ؟ قال القرطبي : سفه أحلامهم توبيخا لهم وتقريعا ، والمعنى : أتضيفون إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله البنات مع أنفتكم منهن ، ومن كان عقله هكذا ، فلا يستبعد منه إنكار البعث وقال أبو السعود : تسفيه لهم وتركيك لعقولهم ، وإيذان بأن من هذا رأيه ، لا يكاد يعد من العقلاء ، فضلا عن الترقي إلى عالم الملكوت ، والاطلاع على الأسرار الغيبية ، والالتفات إلى الخطاب لتشديد الإنكار والتوبيخ

[أم تسألهم أجرا] أي هل تسألهم يا محمد أجرا على تبليغ الرسالة ، وتعليم أحكام الدين

[فهم من مغرم مثقلون] أي فهم بسبب ذلك الأجر ، والغرم الثقيل ، الذي أوجبته عليهم ، مجهدون ومتعبون ، فلذلك يزهدون في اتباعك ، ولا يدخلون في الإسلام ؟ فإن العادة أن من كلف إنسانا مالا ، وضرب عليه جعلا ، يصير مثقلا وغارما بسببه ، فيكرهه ولا يسمع قوله ولا يمتثله

[أم عندهم الغيب فهم يكتبون] ؟ اي هل عندهم علم الغيب حتى يعلموا أن ما يخبرهم به الرسول (ص) من أمور الاخرة ، والحشر والنشر باطل ، فلذلك يكتبون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذه المعلومات عن معرفة ويقين ؟ قال قتادة : هو رد لقولهم [شاعر نتربص به ريب المنون] والمعنى أعلموا أن محمدا يموت قبلهم حتى يحكموا بذلك ؟ وقال ابن عباس : أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ، ويخبرون الناس بما فيه ؟ ليس الأمر كذلك ، فإنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله

[أم يريدون كيدا] ؟ أي أيريد هؤلاء المجرمون أن يتآمروا عليك يا محمد ؟ قال المفسرون : والآية إشارة إلى كيدهم ومكرهم في دار الندوة ، وتآمرهم على قتل الرسول (ص) كما قال تعالى : [وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك]

[فالذين كفروا هم المكيدون] أي فالذين جحدوا رسالة محمد ، هم المجزيون بكيدهم ، وهم الخائبون الخاسرون ، لأن ضرر ذلك عائد عليهم ، ووباله راجع على أنفسهم كقوله : [ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله] قال الصاوي : وأوقع الظاهر [فالذين كفروا]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

موقع المضمر (فهم) تشنيعا وتقبيحا عليهم ، بتسجيل وصف الكفر

[أم لهم إله غير الله] ؟ أي هل لهم إله خالق رازق ، غير الله تعالى ؟ حتى يلجأوا إليه وقت الضيق والشدة ؟ ويستنجدوا به لدفع الضر والعذاب عنهم ؟

[سبحان الله عما يشركون] أي تنزه وتقدس الله عما يشركون به من الأوثان والأصنام ، قال الإمام الجلال : والاستفهام بـــ (أم) في مواضعها الخمسة عشر للتوبيخ والتقريع والإنكار . . ثم أخبر تعالى عن شدة طغيانهم وفرط عنادهم فقال :

[وإن يروا كسفا من السماء ساقطا] أي لو عذبناهم بسقوط قطع من السماء نزلت عليهم ، لم ينتهوا ولم يرجعوا ، ولقالوا في هذا النازل عنادا واستهزاء : إنه سحاب كثيف

[يقولوا سحاب مركوم] أي إنه سحاب متراكم بعضه فوق بعض ، قد سقط علينا ، قال أبو حيان : كانت قريش قد اقترحت على رسول الله (ص) فيما اقترحت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من قولهم [أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا] فأخبر تعالى أنهم لو رأوا ذلك عيانا ، حسب اقتراحهم ، لبلغ بهم عتوهم وجهلهم ، أن يغالطوا أنفسهم فيما عاينوه ويقولوا : هو سحاب مركوم أي سحاب تراكم بعضه فوق بعض ليمطرنا ، وليس بكسف ساقط للعذاب

[فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون] أي اتركهم يا محمد يتمادون في غيهم وضلالهم ، حتى يلاقوا ذلك اليوم الرهيب - يوم القيامة - الذي يأتيهم فيه من العذاب ، ما يزيل عقولهم ويسلب ألبابهم

[يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا] أي يوم لا ينفعهم كيدهم ولا مكرهم الذي استعملوه في الدنيا ، ولا يدفع عنهم شيئا من العذاب

[ولا هم ينصرون] أي ولا هم يمنعون من عذاب الله في الآخرة

[وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك] أي وإن للذين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كفروا عذابا شديدا في الدنيا ، قبل عذاب الآخرة ، قال ابن عباس : هو عذاب القبر ، وقال مجاهد : هو الجوع والقحط سبع سنين

[ولكن أكثرهم لا يعلمون] أي لا يعلمون أن العذاب نازل بهم

[واصبر لحكم ربك] أي اصبر يا محمد على قضاء ربك وحكمه ، فيما حملك به من أعباء الرسالة

[فإنك بأعيننا] أي فإنك بحفظنا وكلاءتنا نحرسك ونرعاك

[وسبح بحمد ربك حين تقوم] أي ونزه ربك عما لا يليق به ، من صفات النقص ، حين تقوم من منامك ومن كل مجلس ، بأن تقول : سبحان الله وبحمده ، قال ابن عباس : أي صل لله حين تقوم من منامك

[ومن الليل فسبحه] أي ومن الليل فاذكره واعبده بالتلاوة والصلاة والناس نيام ، كقوله : [ومن الليل فتهجد به نافلة لك]

[وإدبار النجوم] أي وصل له في آخر الليل ، حين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تدبر وتغيب النجوم بضوء الصبح ، قال ابن عباس : هما الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر وفي الحديث : (ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها) .

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - جناس الاشتقاق [تمور السماء مورا] و[تسير الجبال سيرا] .

2 - ا لاهانة والتوبيخ [اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا] وبين قوله : [اصبروآ] وقوله : [أو لا تصبروا] طباق السلب وهو من المحسنات البديعية .

3 - التشبيه المرسل المجمل [كأنهم لؤلؤ مكنون] حذف منه وجه الشبه فهو مجمل .

4 - الاستعارة التبعية [ريب آلمنون] شبهت حوادث الدهر بالريب الذي هو الشك ، بجامع التحير وعدم البقاء على حالة واحدة في كل منهما ، واستعير لفظ الريب لصروف الدهر ونوائبه ، بطريق الاستعارة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التبعية.

5 - الأسلوب التهكمي [أم تأمرهم أحلامهم بهذا] ؟ جاءت بطريق التهكم والسخرية بعقولهم ، كأنه يقول : هل وصلت بهم العبقرية إلى هذا الهذيان ؟

6 - الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، لزيادة التوبيخ والتقريع لهم [أم له البنات ولكم البنون] ؟ .

7 - أسلوب الفرض والتقدير [وإن يروا كسفا من السماء ساقطا] أي لو رأوا ذلك لقالوا ما قالوا .

8 - السجع الرصين غير المتكلف مثل [والطور وكتاب مسطور في رق منشور] ومثل [إن عذاب ربك لواقع ، ما له من دافع] وهو من المحسنات البديعية .

فائدة :

عن جبير بن مطعم قال : قدمت المدينة لأسأل رسول الله (ص) فى أسارى بدر ، فوافيته يقرأ في صلاة المغرب [والطور وكتاب مسطور . .] فلما قرأ [إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع] فكأنما صدع قلبي ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فأسلمت خوفا من نزول العذاب ، فلما انتهى إلى هذه الآية [أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ، أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون] ؟ كاد قلبي أن يطير .

سورة النجم

مكية وآياتها اثنتان وستون آية

بين يدي السورة

* سورة النجم مكية ، وهي تبحث عن موضوع الرسالة في إطارها العام ، وعن موضوع الإيمان بالبعث والنشور ، شأن سائر السور المكية . " ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن موضوع " المعراج " الذي كان معجزة لرسول الإنسانية محمد بن عبد الله (ص) ، والذي رأى فيه الرسول الكريم عجائب وغرائب في ملكوت الله الواسع ، مما يدهش العقول ويحير الألباب ، وذكرت الناس بما يجب عليهم من الإيمان والتصديق ، وعدم المجادلة والمماراة في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مواضيع الغيب والوحي [والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى . .] الآيات .

* ثم تلاها الحديث عن الأوثان والأصنام التي عبدها المشركون من دون الله ، وبينت بطلان تلك الآلهة المزعومة ، وبطلان عبادة غير الله ، سواء في ذلك عبادة الأصنام ، أو عبادة الملائكة الكرام [أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى . .] ؟ الآيات . " ثم تحدثت عن الجزاء العادل يوم الدين ، حيث تجزى كل نفس بما كسبت ، فينال المحسن جزاء إحسانه ، والمسيء جزاء إساءته ، ويتفرق الناس إلى فريقين : أبرار ، وفجار [ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى . .] الآيات .

* وقد ذكرت برهانا على الجزاء العادل ، بأن كل إنسان ليس له إلا عمله وسعيه ، وأنه لا تحمل نفس وزر أخرى ، لأن العقوبة لا تتعدى غير المجرم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهو شرع الله المستقيم ، وحكمه العادل الذي بينه في القرآن العظيم ، وفي الكتب السماوية السابقة [وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى . .] الآيات . " وذكرت السورة الكريمة آثار قدرة الله جل وعلا في الإحياء والإماتة ، والبعث بعد الفناء ، والإغناء والإفقار ، وخلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى [وأن إلى ربك المنتهى وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى . " من نطفة إذا تمنى . .] الآيات .

* وختمت السورة الكريمة بما حل بالأمم الطاغية كقوم عاد ، وثمود ، وقوم نوح ولوط ، من أنواع العذاب والدمار ، تذكيرا لكفار مكة بالعذاب الذي ينتظرهم بتكذيبهم لرسول الله (ص) ، وزجرا لأهل البغي والطغيان عن الاستمرار في التمرد والعصيان [وأنه أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى ..] الآيات إلى نهاية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السورة الكريمة.

قال الله تعالى : [والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى] إلى [هو أعلم بمن اتقىْ] من آية (1) إلى نهاية آية (32) .

اللغة :

[هوى] هوى يهوي إذا سقط إلى أسفل

[مرة] المرة بكسر الميم : القوة ، قال قطرب : تقول العرب لكل جزل الرأي حصيف العقل : ذو مرة

[تدلى] التدلي : الامتداد من أعلى إلى أسفل ، يقال : تدل الغصن إذا امتد نحو الأسفل

[قاب] قدر قال في البحر : القاب والقاد والقيد : المقدار

[ضيزى] جائرة مائلة عن الحق يقال : ضاز في الحكم أي جار ، وضازه حقه أي بخسه ، قال الشاعر : ضازت بنو أسد بحكمهم إذ يجعلون الرأس كالذنب

[اللمم] الصغائر من الذنوب ، قال الزجاج : أصل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللمم ما يعمله الإنسان المرة بعد المرة ولا يقيم عليه ، يقال : ما فعلته إلا لمما ولماما

[أجنة] جمع جنين وهو الولد ما دام في البطن ، سمى جنينا لاستتاره .

التفسير :

[والنجم إذا هوى] اي أقسم بالنجم وقت سقوطه من علو ، قال ابن عباس : أقسم سبحانه بالنجوم إذا انقضت في إثر الشياطين حين استراقها السمع فالمراد بالنجم جنس النجوم ، واللفظ للاستغراق ، وقال الحسن : المراد في الآية النجوم إذا انتثرت يوم القيامة كقوله : [وإذا الكواكب انتثرت] قال ابن كثير : الخالق يقسم بما شاء من خلقه ، والمخلوق لا ينبغي أن يقسم إلا بالخالق

[ما ضل صاحبكم] أي ما ضل محمد عن طريق الهداية ، ولا حاد عن نهج الاستقامة

[وما غوى] أي وما اعتقد باطلا قط ، بل هو في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غاية الهدى والرشد ، والخطاب لكفار قريش ، والتعبير بلفظ [صاحبكم] للإيذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله ، فإن طول صحبتهم له ، ومشاهدتهم لمحاسن أوصافه العظيمة ، مقتضية ذلك ، وكأنه يقول : إن محمدا قد صاحبكم طويلا مدة أربعين سنة ، ألا تكفي هذه لمعرفة حقيقة أمره ؟ فقد سميتموه بالصادق الأمين ، فكيف تتهمونه بالكذب على الله في دعوى النبوة والرسالة ؟

[وما ينطق عن الهوى] أي لا يتكلم ، عن هوى نفسي ورأي شخصي

[إن هو إلا وحى يوحى] أي لا يتكلم إلا عن وحى من الله عز وجل ، قال البيضاوي : أي ما القرآن إلا وحى يوحيه الله إليه

[علمه شديد القوى] أي علمه هذا القرآن ملك شديد قواه وهو " جبريل " الأمين ، قال المفسرون : ومما يدل على شدة قوته أنه قلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه ، حتى بلغ بها السماء ثم قلبها ، وصاح بثمود

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فأصبحوا خامدين ، وكان هبوطه بالوحي على الأنبياء أو صعوده في أسرع من رجعة الطرف

[ذو مرة فاستوى] أي ذو حصافة في العقل ، وقوة في الجسم ، فاستقر جبريل على صورته الحقيقية

[وهو بالأفق الأعلى] أي وهو بأفق السماء حيث تطلع الشمس جهة المشرق ، قال ابن عباس : المراد بالأفق الأعلى مطلع الشمس قال الخازن : كان جبريل يأتي رسول الله(ص) في صورة الآدميين ، كما كان يأتي الأنبياء قبله ، فسأله رسول الله (ص)أن يريه نفسه على صورته التي جبل عليها ، فأراه نفسه مرتين : مرة في الأرض ، ومرة في السماء ، فأما التي في الأرض فبالأفق الأعلى ، اي جانب المشرق حيث كان رسول الله (ص) بحراء فطلع عليه جبريل من ناحية المشرق ، وفتح جناحيه فسد ما بين المشرق والمغرب ، فخر رسول الله (ص)مغشيا عليه ، فتحول جبريل إلى صورة الآدميين ، فضمه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه ، وهو قوله :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ثم دنا فتدلى] وأما التى في السماء فعند سدرة المنتهى ، ولم يره أحد من الأنبياء على صورته الملكية التي خلق عليها إلا نبينا محمد (ص) [ثم دنا فتدلى] أي ثم اقترب جبريل من محمد وزاد في القرب منه

[فكان قاب قوسين أو أدنى] أي فكان منه على مقدار قوسين أو أقل ، قال الألوسي : والمراد إفادة شدة القرب فكأنه قيل : فكان قريبا منه جدا

[فأوحى إلى عبده ما أوحى] أي فأوحى جبريل إلى عبد الله ورسوله محمد (ص) ما أوحى إليه من أوامر الله عز وجل

[ما كذب الفؤاد ما رأى] أي ما كذب قلب محمد ما رأه ببصره من صورة جبريل الحقيقية ، قال ابن مسعود : رأى رسول الله (ص)جبريل في صورته وله ستمائة جناح ، كل جناح منهما قد سد الأفق ، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أفتمارونه على ما يرى] ؟ أي أفتجادلونه يا معشر المشركين على ما رأى ليلة الإسراء والمعراج ؟ قال في البحر : كانت قريش حين أخبرهم (ص) بأمره فى الإسراء ، كذبوا واستخفوا حتى وصف لهم (ص) بيت المقدس ، والجمهور على أن المرئى مرتين هو (جبريل) وعن ابن عباس وعكرمة أن الرسول (ص) رأى ربه بعيني رأسه ، وأنكرت ذلك عائشة ، وقالت : إنه رأى جبريل في صورته مرتين ، ثم قال أبو حيان : والصحيح أن جميع ما في هذه الآيات هو مع جبريل ، بدليل قوله تعالى : [ولقد رآه نزلة أخرى] فأنه يقتضي مرة متقدمة ((اقول : ما ذكره صاحب البحر قوى من حيث الدلالة ، ومذهب أهل السنة أن النبي (ص) رأى ربه ليلة المعراج في السموات العلى رؤية بصرية ، ولهم أدلة من السنة النبوية ، أما الآيات الكريمة فالراجح ما قاله الجمهور ، والله أعلم)).

[ولقد رآه نزلة أخرى] أي رأى الرسول جبريل فى صورته الملكية مرة أخرى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[عند سدرة المنتهى] آي عند سدرة المنتهى التي هي في السماء السابعة قرب العرش ، قال المفسرون : والسدرة : شجرة النبق ننبع من أصلها الأنهار ، وهي عن يمين العرش ، وسميت سدرة المنتهى ، لأنه ينتهى إليها علم الخلائق وجميع الملائكة ، ولا يعلم أحد ما وراءها إلا الله جل وعلا ، وفي الحديث : (ثم صعد بي إلى السماء السابعة ، ورفعت إلى سدرة المنتهى ، فإذا نبقها - أي ثمرها - مثل قلال هجر ، وإذا أوراقها كآذان الفيلة ..)

[عندها جنة المأوى] أي عند سدرة المنتهى الجنة التي تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين

[إذ يغشى السدرة ما يغشى] أي رآه وقت ما غطى السدرة ما غطاها من العجائب ، قال الحسن : غشيها نور رب العالمين فاستنارت ، وقال ابن مسعود : غشيها فراش من ذهب وفي الحديث : (لما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها)قال المفسرون : رأى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(ص)شجرة سدرة المنتهى وقد غشيتها سبحات أنوار آلله عز وجل ، حتى ما يستطيع أحد أن ينظر إليها ، وغشيتها الملائكة أمثال الطيور ، يعبدون الله عندها ، يجتمعون حولها مسبحين وزائرين ، كما يزور الناس الكعبة ، وفي الحديث : (رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ، ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى)

[ما زاغ البصر] أي ما مال بصر النبي (ص) في ذلك المقام ، وفي تلك الحضرة يمينا ولا شمالا

[وما طغى] أي وما جاوز الحد الذي رأى ، قال القرطبى ؟ أي لم يمد بصره إلى غير ما رأى من الآيات ، وهذا وصف أدب النبي (ص) في ذلك المقام ، إذ لم يلتفت يمينا ولا شمالا وقال الخازن : لما تجلى رب العزة وظهر نوره ، ثبت (ص) في ذلك المقام العظيم ، الذي تحار فيه العقول ، وتزل فيه الأقدام ، وتميل فيه الأبصار

[لقد رأى من آيات ربه الكبرى] أي والله لقد رأى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محمد - ليلة المعراج - عجائب ملكوت الله ، رأى (سدرة المنتهى ، والبيت المعمور ، والجنة والنار ، ورأى جبريل في صورته التي يكون عليها في السموات له ستمائة جناح ، ورأى رفرفا أخضر من الجنة قد سد الأفق ، وغير ذلك من الآيات العظام ((رؤيته (ص) للرفرف الأخضر الذي سد الأفق أخرجها البخاري عن ابن مسعود)) ، قال الفخر : وفى الآية دليل على أن النبي (ص) رأى ليلة المعراج آيات الله ، ولم ير الله تعالى كما قال البعض ، ووجهه أن الله ختم قصة المعراج برؤية الآيات ، وقال في الإسراء : [لنريه من آياتنا] ولو كان رأى ربه ، لكان ذلك أعظم ما يمكن ، ولأخبر تعالى به

[أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى] أي اخبرونا يا معشر الكفار عن هذه الآلهة التي تعبدونها (اللات والعزى ومناة) ؟ هل لها من القدرة والعظمة ، التي وصف بها رب العزة شيء ، حتى زعمتم أنها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آلهة ؟ قال الخازن : هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها ، واشتقوا لها أسماء من أسماء الله عز وجل ، فقالوا من الله (اللات) ومن العزيز (العزى) ، وكانت اللات بالطائف ، والعزى بغطفان وقد حطمها " خالد بن الوليد " ومناة صنم لخزاعة يعبده أهل مكة

[ألكم الذكر وله الأنثى] ؟ توبيخ وتقريع أي الكم يا معشر المشركين النوع المحبوب من الأولاد وهو الذكر ، وله تعالى النوع المذموم بزعمكم وهو الأنثى ؟

[تلك إذا قسمة ضيزى] أي تلك القسمة قسمة جائرة غير عادلة ، حيث جعلتم لربكم ما تكرهونه لأنفسكم ، قال الرازي : إنهم ما قالوا لنا البنون وله البنات ، وإنما نسبوا إلى الله البنات ، وكانوا يكرهونهن كما قال تعالى : [ويجعلون لله ما يكرهون] فلما نسبوا إلى آلله البنات ، حصل من تلك النسبة قسمة جائرة

[إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم] أي ما هذه الأوثان إلا أسماء مجردة ، لا معنى تحتها ، لأنها لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تضر ولا تنفع ، سميتموها آلهة أنتم وآباؤكم وهي مجرد تسميات ألقيت على جمادات

[ما أنزل الله بها من سلطان] أي ما أنزل الله بها من حجة ولا برهان

[إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس] أي ما يتبعون في عبادتها إلا الظنون والأوهام ، وما تشتهيه أنفسهم مما زينه لهم الشيطان

[ولقد جاءهم من ربهم الهدى] أي والحال أنه قد جاءهم من ربهم البيان الساطع ، والبرهان القاطع على أن الأصنام ليست بآلهة ، وأن العبادة لا تصلح إلا لله الواحد القهار ، قال ابن الجوزي : وفيه تعجيب من حالهم إذ لم يتركوا عبادتها بعد وضوح البيان

[أم للإنسان ما تمنى] أي ليس للإنسان كل ما يشتهي حتى يطمع في شفاعة الأصنام ، قال الصاوي : والمراد بالإنسان الكافر ، وهذه الآية تجر بذيلها على من يلتجىء لغير الله ، طلبا للفانى ، ويتبع هوى نفسه فيما تطلبه ، فليس له ما يشتهي ، واتباع الهوى هوان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فلله الأخرة والأولى] أي فالملك كله لله ، يعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء ، لأنه مالك الدنيا والآخرة ، وليس الأمر كما يشتهي الإنسان ، بل هو تعالى يعطى من اتبع هداه وترك هواه . . ثم أكد هذا المعنى بقوله :

[وكم من ملك فى السموات] أي وكثير من الملائكة الأبرار الأطهار المنبثين في السموات

[لا تغني شفاعتهم شيئا] أي إن الملائكة مع علو منزلتهم ورفعة شأنهم ، لا تنفع شفاعتهم أحدا إلا بإذن الله ، فكيف تشفع الأصنام مع حقارتها ؟

[إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى] أي إلا من بعد أن يأذن تعالى في الشفاعة ، لمن يشاء من أهل التوحيد والإيمان ، ويرضى عنه !! كقوله تعالى :

[ولا يشفعون إلا لمن ارتضى] قال ابن كثير : فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين ، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة الأصنام والأنداد عند الله تعالى ؟ ثم أخبر تعالى عن ضلالات المشركين ، فقال سبحانه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن الذين لا يؤمنون بالأخرة] أي لا يصدقون بالبعث والحساب

[ليسمون الملائكة تسمية الأنثى] أي ليزعمون أنهم إناث وأنهم بنات الله

[وما لهم به من علم] أي لا علم لهم بما يقولون أصلا ، لأنهم لم يشاهدوا خلق الملائكة ، ولا جاءهم عن الله حجة أو برهان

[إن يتبعون إلا الظن] أي ما يتبعون في هذه الأقوال الباطلة ، إلا الظنون والأوهام

[وإن الظن لا يغني من الحق شيئا] أي وإن الظن لا يجدي شيئا ، ولا يقوم أبدا مقام الحق

[فأعرض عمن تولى عن ذكرنا] أي فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين ، الذين استنكفوا عن الإيمان والقرآن

[ولم يرد إلا الحياة الدنيا] أي وليس له هم إلا الدنيا ، وما فيها من النعيم الزائل ، والمتعة الفانية ، قال ابو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السعود : والمراد النهى عن دعوة المعرض عن كلام الله ، وعدم الاعتناء بشأنه ، فإن من أعرض عما ذكر ، وانهمك في الدنيا بحيث صارت منتهى همته وقصارى سعيه ، لا تزيده الدعوة إلا عنادا وإصرارا على الباطل

[ذلك مبلغهم من العلم] أي ذلك نهاية علمهم ، وغاية إدراكهم ، أن آثروا الدنيا على الآخرة

[إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى] أي هو عالم بالفريقين : الضالين ، والمهتدين ، وسيجازيهم بأعمالهم

[ولله ما في السموات والأرض] أي له كل ما في الكون ، خلقا وملكا وتصرفا ، ليس لأحد من ذلك شيء أصلا

[ليجزي الذين أساءوا بما عملوا] أي ليجازي المسيء بإساءته

[ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى] أي وليجازي المحسن بالجنة جزاء إحسانه ، قال ابن الجوزي :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والآية إخبار عن قدرته وسعة ملكه ، وهو كلام معترض بين الآية الأولى وبين قوله : [ليجزي الذين أساءوا] لأنه إذا كان أعلم بالمسيء وبالمحسن ، جازى كلا بما يستحقه ، وإنما يقدر على مجازاة الفريقين ، إذا كان واسع الملك .. ثم ذكر تعالى صفات المتقين المحسنين ، فقال سبحانه :

[الذين يجتنبون كبائر الإثم] أي يبتعدون عن كبائر الذنوب ، كالشرك ، والقتل ، وأكل مال اليتيم

[والفواحش] أي ويبتعدون عن الفواحش جمع فاحشة وهي ما تناهى قبحها عقلا وشرعا ، كالزنى ، ونكاح زوجة الأب لقوله تعالى : [ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة] وقوله : [ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا]

[إلا اللمم] أي إلا ما قل وصغر من الذنو ب ، قال القرطبي : وهي الصغائر التي لا يسلم من الوقوع فيها إلا من عصمه الله ، كالقبلة والغمزة والنظرة وفي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحديث : (إن الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنى ، أدرك ذلك لا محالة ، فزنى العينين النظر ، وزنى اللسان النطق ، والنفس تتمنى وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه) فإذا اجتنب العبد كبائر الذنوب ، غفر الله بفضله وكرمه الصغائر ، لقوله تعالى : [إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم] يعني الصغائر ((قال الخازن : روي عن عمر وابن عباس أنهما قالا : لا كبيرة فى الإسلام ، ومعناه لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع الإصرار ، فالكبيرة تمحى بالاستغفار والتوبة ، والصغيرة تصير كبيرة بالاصرار عليها

[إن ربك واسع المغفرة] أي هو تعالى غفار الذنوب ، ستار العيوب ، يغفر لمن فعل ذلك ثم تاب ، قال أبى كثير : أي رحمته وسعت كل شيء ، ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها قال البيضاوي : ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين ، لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ، ولا يتوهم وجوب العقاب على الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى

[هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض] أي هو جل وعلا آعلم بأحوالكم منكم ، قبل أن يخلقكم ، ومن حين أن خلق أباكم آدم من التراب

[وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم] أي ومن حين أن كنتم مستترين في أرحام أمهاتكم ، فهو تعالى يعلم التقى والشقي ، والمؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، علم ما تفعلون ، وإلى ماذا تصيرون

[فلا تزكوا أنفسكم] أي لا تمدحوها على سبيل الإعجاب ، ولا تشهدوا لها بالكمال والتقى ، فإن النفس خسيسة ، إذا مدحت أغترت وتكثرت ، قال أبو حيان : أي لا تنسبوها إلى الطهارة عن المعاصي ، ولا تثنوا عليها ، فقد علم الله منكم الزكى والتقى ، قبل إخراجكم من صلب آدم ، وقبل إخراجكم من بطون أمهاتكم

[هو أعلم بمن اتقى] أي هو تعالى العالم بمن أخلص العمل ، واتقى ربه قي السر والعلن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الله تعالى : [أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلا وأكدى ..] إلى قوله [فاسجدوا لله واعبدوا] من آية (33) إلى آية (62) نهاية السورة الكربمة .

المناسبة :

لما ذكر تعالى في الآيات السابقة ، سفاهات المشركين وضلالاتهم ، في عبادتهم للأصنام ، وميز بين المؤمنين والمجرمين ، ذكر هنا نوعا خاصا من أهل الإجرام ، وختم السورة الكريمة ببيان ما حل بالمكذبين من أنواع العذاب والدمار ، تذكيرا للمشركين بانتقام الله من أعدائه المكذبين لرسوله ، والمعادين لدبنه .

اللغة :

[أكدى] قطع العطاء مأخوذ من الكدية يقال لمن حفر بئرا ثم وجد صخرة تمنعه من إتمام الحفر : قد أكدى ، ثم استعمله العرب لمن أعطى ولم يتمم ، ولمن طلب شيئا فلم يبلغ آخره ، قال الحطيئة : فأعطى قليلا ثم أكدى عطاءه ومن يبذل المعروف في الناس يحمد

[أقنى] أعطاه الكفاية من المال ورضاه بما أعطاه ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الجوهري : قني الرجل يقنى مثل غنى يغنى أي أعطاه الله ما يقتنى من المال والنشب ، وأقناه الله رضاه

[الشعرى] الكوكب المضيء الذي يطلع بعد الجوزاء في شدة الحر

[أزفت] قربت ، قال كعب بن زهير : بان الشباب وهذا الشيب قد أزفا ولا أرى لشباب بائن خلفا والآزفة القيامة سميت بذلك لقربها ودنوها

[سامدون] لاهون لاعبون ، والسمود اللهو .

سبب النزول :

روي أن " الوليد بن المغيرة ، جلس عند النبي (ص) وسمع وعظه ، فتأثر قلبه بما سمع ، وكاد أن يسلم ، فعيره رجل من المشركين وقال : تركت دين آبائك وضللتهم ؟ وزعمت أنهم في النار ؟ ! فقال الوليد : إني خشيت عذاب الله ، فضمن له الرجل إن هو أعطاه شيئا من ماله ، ورجع إلى شركه ، أن يتحمل عنه عذاب الله عز وجل ، فأعطاه بعض الذي ضمن له ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم بخل ومنعه الباقي ، فأنزل الله [أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلا وأكدى] الآيات .

التفسير :

[أفرأيت الذي تولى] أي أخبرني يا محمد عن هذا الفاجر الأثيم ، الذي أعرض عن الإيمان واتباع الهدى ؟

[وأعطى قليلا وأكدى] أي وأعطى لصاحبه الذي عيره قليلا من المال المشروط ، ثم بخل بالباقي ، قال مجاهد : نزلت في الوليد بن المغيرة

[أعنده علم الغيب فهو يرى] أي أعنده علم بالأمور الغيبية ؟ حتى يعلم أن صاحبه يتحمل عنه العذاب ؟

[أم لم ينبأ بما في صحف موسى] أي لم يخبر بما في التوراة المنزلة على موسى

[وإبراهيم الذي وفى] أي وبما في صحف إبراهيم ، الذي تمم ما أمر به من طاعة الله وتبليغ رسالته ، على وجه الكمال والتمام ، قال الحسن : ما أمره الله بشيء إلا وفى به ، كقوله تعالى : [وإذ ابتلى إبراهيم ربه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بكلمات فأتمهن]

[ألا تزر وازرة وزر أخرى] أي أن لا تحمل نفسن ذنب غيرها ، ولا يؤاخذ أحد بجريرة غيره ، والآية رد على من زعم أنه يتحمل العذاب عن غيره كقوله تعالى : [وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم]

[وأن ليس للإنسان إلا ما سعى] أي وأنه ليس للإنسان إلا عمله وسعيه ، قال ابن كثير : أي كما لا يحمل عليه وزر غيره ، كذلك لا يحصل له من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه

[وأن سعيه سوف يرى] أي وأن عمله سيعرض عليه يوم القيامة ، ويراه في ميزانه ، قال الخازن : وفي الآية بشارة للمؤمن ، وذلك أن الله تعالى يريه أعماله الصالحة ليفرح بها ، ويحزن الكافر بأعماله الفاسدة فيزداد غما

[ثم يجزاه الجزاء الأوفى] أي ثم يجزى بعمله الجزاء الأتم الأكمل ، وهو وعيد للكافر ، ووعد للمومن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأن إلى ربك المنتهى] أي إليه جل وعلا المرجع والمآب والمصير ، فيعاقب ويثيب . . ثم شرع تعالى في بيان آثار قدرته فقال :

[وأنه هو أضحك وأبكى] أي هو الذي خلق الفرح والحزن ، والسرور والغم ، فأضحك في الدنيا من أضحك ، وأبكى من ابكى ، قال مجاهد : أضحك أهل الجنة ، وأبكى أهل النار

[وأنه أمات وأحيا] أي خلق الموت والحياة ، فهو جل وعلا القادر على الإماتة والإحياء لا غيره ، ولهذا كرر الإسناد (هو) لبيان أن هذا من خصائص فعل الله

[وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى] أي أوجد الصنفين : الذكر ، والأنثى من أولاد آدم ، ومن كل حيوان ، قال الخازن : والغرض أنه تعالى هو القادر على إيجاد الضدين في محل واحد : الضحك والبكاء ، والإحياء والإماتة ، والذكر والأنثى ، وهذا شيء لا يصل إليه فهم العقلاء ولا يعلمونه ، وإنما هو بقدرة الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى وخلقه ، لا بفعل الطبيعة ، وفيه تنبيه على كمال قدرته ، لأن النطفة شيء واحد ، خلق الله منها أعضاء مختلفة ، وطباعا متباينة ، وخلق منها الذكر والأنثى ، وهذا من عجيب صنعته ، وكمال قدرته ، ولهذا قال

[من نطفة إذا تمنى] أي خلق الذكر والأنثى من نطفة إذا تدفقت من صلب الرجل ، وصبت في رحم المرآة

[وأن عليه النشأة الأخرى] أي وأن عليه جلك وعلا ، إعادة خلق الئاس للحساب والجزاء ، وإحياءهم بعد موتهم ، قال في البحر : لما كانت هذه النشأة ينكرها الكفار بولغ فيها بقوله تعالى : [عليه] كأنه تعالى أوجب ذلك على نفسه

[وأنه هو أغنى وأقنى] أي أغنى من شاء ، وأفقر من شاء وقال ابن عباس : أعطى فأرضى ، أغنى الإنسان ثم رضاه بما أعطاه

[وأنه هو رب الشعرى] أي هو رب الكوكب المضيء المسمى (بالشعرى) الذي كانوا يعبدونه ، قال أبو السعود : أي هو رب معبودهم ، وكانت خزاعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعبدها ، سن لهم ذلك رجل من أشرافهم هو " ابو كبشة "

[وأنه أهلك عادا الأولى] أي أهلك قوم عاد القدماء ، الذين بعث لهم نبى الله " هود " عليه السلام ، وكانوا من أشد الناس وأقواهم ، وأعتاهم على الله وأطغاهم ، فأهلكهم الله بالريح الصرصر العاتية ، قال البيضاوي : سميت عادا الأولى أي القدماء ، لأنهم أولى الأمم هلاكا بعد قوم نوح عليه السلام

[وثمود فما أبقى] اي وثمود دمرهم فلم يبق منهم أحدا

[وقوم نوح من قبل] أي وقوم نوح قبل عاد وثمود أهلكناهم

[إنهم كانوا هم أظلم وأطغى] أي كانوا أظلم من الفريقين ، وأشد تمردا وطغيانا ممن سبقهم ، قال في البحر : كانوا في غاية العتو والإيذاء لنوح عليه السلام ، يضربونه حتى لا يكاد يتحرك ، ولا يتأثرون بشيء مما يدعوهم إليه ، قال قتادة : دعاهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، كلما هلك قرن نشأ قرن ، حتى كان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرجل يأخذ بيد ابنه يتمشى به إلى نوح ، ليحذره منه ، ويقول له : يا بني إن أبي مشى بي إلى هذا ، وأنا مثلك يومئذ ، فإياك أن تصدقه ، فيموت الكبير على الكفر ، وينشأ الصغير على بغض نوح

[والمؤتفكة أهوى] أي وقرى قوم لوط أهواها فأسقطها على الأرض ، بعد أن انقلبت بهم فصار عاليها سافلها ، وذلك أن جبريل رفعها إلى السماء ، ثم هوى بها إلى الأرض

[فغشاها ما غشى] أي فغطاها من فنون العذاب ما غطى ، وفيه تهويل للعذاب ، وتعميم لما أصابهم منه ، قال في البحر : والمؤتفكة هي مدائن قوم لوط ، سميت بذلك لأنها انقلبت بأهلها ، رفعها جبريل عليه السلام ثم أهوى بها إلى الأرض ، ثم أمطرت عليهم حجارة من سجيل منضود ، فذلك قوله : [فغشاها ما غشى]

[فبأي آلاء ربك تتمارى] أي فبأي نعم الله الدالة على وحدانيته وقدرته ، تتشكك أيها الإنسان وتكذب ! ؟

[هذا نذير من النذر الأولى] أي هذا هو محمد رسول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منذر كسائر الرسل ، ومن جنس المنذرين الأولين ، وقد علمتم ما حل بالمكذبين

[أزفت الآزفة] أي دنت الساعة واقتربت القيامة ، قال القرطبي : سميت آزفة لدنوها وقرب قيامها

[ليس لها من دون الله كاشفة] أي لا يقدر على كشفها وردها ، إذا غشيت الخلق بأهوالها وشدائدها ، إلا الله تعالى

[أفمن هذا الحديث تعجبون] ؟ استفهام للتوبيخ أي أفمن هذا القرآن تعجبون يا معشر المشركين ، سخرية واستهزاء ؟

[وتضحكون ولا تبكون] أي وتضحكون عند سماعه ، ولا تبكون من زواجره وآياته ؟ وقد كان حقكم أن تبكوا الدم بدل الدمع ، حزنا على ما فرطتم

[وأنتم سامدون] أي وأنتم لاهون غافلون ؟

[فاسجدوا لله واعبدوا] أي فاسجدوا لله الذي خلقكم وأفردوه بالعبادة ، ولا تعبدوا اللات والعزى ، ومناة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والشعرى ، فهو الواحد الأحد الفرد الصمد ، الذي لا يليق السجود والعبادة إلأ له جل وعلا.

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان البديع نوجزها فيما يلي :

1 - الإبهام للتعظيم والتهويل [فأوحى إلى عبده ما أوحى] ومثله [إذ يغشى السدرة ما يغشى] وكذلك [فغشاها ما غشى] .

2 - الجناس التام [والنجم إذا هوى . . . وما ينطق عن الهوى] فالأول هوى بمعنى خر وسقط ، والثاني بمعنى هوى النفس ، سمي تاما لاتفاق الحروف .

3 - ا لطبا ق بين [أضحك وأبكى] وبين [أمات وأحيا] وبين [ضل واهتدى] وبين [ا لآخرة والأولى] وبين [تضحكون ولا تبكون] وهي من المحسنات البديعية .

4 - المقابلة الجميلة [ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى] كما فيه إطناب في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تكرار لفظ " يجزي " وكلاهما من المحسنات البديعية .
5 - الاستفهام التوبيخي مع الإزراء بعقولهم [ألكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك إذا قسمة ضيزى] فإنه أسلوب تهكم وتوبيخ .
6 - الجناس الناقص بين [أغنى . . وأقنى] لتغير بعض الحروف .
7 - جناس ا لاشتقاق [أزفت الآزفة] .
8 - عطف العام على الخاص [فاسجدوا لله واعبدوا] .
9 - مراعاة الفواصل ورءوس الآيات ، مما له أجمل الوقع على السمع مثل [أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى] ؟ ومثله [أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون] ؟ ويسمى بالسجع وهو من المحسنات البديعية .
تنبيه :
كانت الأصنام التى عبدها المشركون كثيرة تقرب من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثلاثمائة وستين صنما ومعظمها حول الكعبة ، وقد حطمها ، عند فتحه لمكة ، وأشهر هذه الأصنام " اللات ، والعزى ، ومناة " وقد أرسل (ص) عام الفتح خالد بن الوليد ليحطم العزى فحطمها وهو يقول : يا عزكفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك وانتهت بفتح مكة عبادة الأوثان والأصنام ، ودخل الناس في دين الإسلام أفواجا أفواجا ، والحمد لله على فضله وإنعامه

سورة القمر

مكية وآياتها خمس وخمسون آية

بين يدي السورة

* سورة القمر في السور المكية ، وقد عالجت أصول العقيدة الإسلامية ، وهي من بدئها إلى نهايتها ، حملة عنيفة مفزعة على المكذبين بآيات القرآن ، وطابع السورة الخاص ، هو طابع اللهديد والوعيد ، والإعذار ، والإنذار ، مع صور شتى من مشاهد العذاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والدمار .
* ابتدأت السورة الكريمة بذكر تلك " المعجزة الكونية ، معجزة انشقاق القمر ، التي هي إحدى المعجزات العديدة لسيد البشر (ص) ، وذلك حين طلب المشركون منه معجزة جلية ، تدل على صدقه ، وخصصوا بالذكر أن يشق لهم القمر ، ليشهدوا له بالرسالة ، ومع ذلك عاندوا وكابروا [اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر . .] الآيات .
* ثم انتقلت للحديث عن أهوال القيامة وشدائدها ، بأسلوب مخيف يهز المشاعر هزا ، ويحرك في النفس الرعب والفزع ، من هول ذلك اليوم العصيب [فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر] .
* وبعد الحديث عن كفار مكة ، يأتى الحديث عن مصارع المكذبين ، وما نالهم في الدنيا من ضروب العذاب والدمار ، بدءا بقوم نوح [كذبت قبلهم قوم نوح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر ..] .
* ثم تلاه الحديث عن الطغاة المتجبرين من الأمم السالفة ، الذين كذبوا الرسل ، فأهلكهم الله إهلاكا فظيعا ، ودمرهم عن بكرة أبيهم ، وقد تحدثت الآيات عن قوم (عاد ، وثمود ، وقوم لوط ، وقوم فرعون) وغيرهم من الطغاة المتجبرين بشيء من الإسهاب ، مع تصوير أنواع العذاب [كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر ؟ إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر ..] الآيات.
* وبعد عرض هذه المشاهد الأليمة - مشاهد العذاب والنكال - الذي حل بالمكذبين لرسل الله (ص)توجهت السورة إلى مخاطبة قريش ، وحذرتهم مصرعا كهذه المصارع ، بل ما هو أشد وأنكى [سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ..] الآيات .
* وختمت السورة ببيان مال المتقين ، بعد ذكر مال الأشقياء المجرمين ، على طريقة القرآن في الجمع بين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(الترغيب) و(الترهيب) بأسلوبه العجيب [إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر] .

تفسيرسورة القمر

قال الله تعالى : [اقتربت الساعة وانشق القمر ..] إلى قوله [فهل من مدكر] . من آية (1) إلى نهاية آية (32) .

اللغة :

[الأجداث] جمع جدث وهو القبر

[مهطعين] مسرعين يقال : أهطع في سيره أي أسرع

[منهمر] انهمر الماء نزل بقوة غزيرا

[دسر] الدسر : المسامير التى تشد بها السفينة ، جمع دسار ككتاب وكتب ، قال في الصحاح : الدسار واحد الدسر وهي خيوط تشد بها الواح السفينة ويقال هي المسامير

[مدكر] متعظ خائف وأصله مذتكر قلبت التاء دالا ثم أدغمت الذال فيها فصارت مدكر

[صرصرأ] آلصرصر : الشديدة الصوت مع البرد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مأخوذ من صرير الباب وهو تصويته

[أعجاز] جمع عجز وهو مؤخر الشيء

[منقعر] المنقعر : المنقلع من أصله يقال : قعرت الشجرة قعرا قلعتها من أصلها فانقعرت

[سعر] جنون من قولهم : ناقة مسعورة ، كأنها من شدة نشاطها مجنونة ، قال الشاعر : تخال بها سعرا إذا السفر هزها0

[أشر] الأشر : البطر ورجل أشر أي بطر أبطرته النعمة .

التفسير :

[اقتربت الساعة وانشق القمر] أي دنت القيامة وقد انشق القمر

[وإن يروا آية يعرضوا] أي وإن ير كفار قريش علامة ، واضحة ومعجزة ساطعة ، تدل على صدق محمد (ص)يعرضوا عن الإيمان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويقولوا سحر مستمر] أي ويقولوا هذا سحر دائم ، سحر به محمد أعيننا ، قال المفسرون : إن كفار مكة قالوا للرسول (ص) : إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين ، ووعدوه بالإيمان إن فعل ، وكانت ليلة بدر ، فسأل رسول الله (ص)ربه أن يعطيه ما طلبوا ، فانشق القمر ، نصف على جبل الصفا ، ونصف على جبل قيقعان المقابل له ، حتى رأوا حراء بينهما ، فقالوا : سحرنا محمد ، ثم قالوا : إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم !! فقال أبو جهل : اصبروا حتى تأتينا أهل البوادي ، فإن أخبروا بانشقاقه فهو صحيح ، وإلا فقد سحر محمد أعيننا ، فجاءوا فأخبروا بانشقاق القمر فقال أبو جهل والمشركون : هذا سحر مستمر أي دائم ، فأنزل الله : [اقتربت الساعة وانشق القمر وأن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر] ((هذا قول جمهور المفسرين وهو مروي عن ابن عباس وأنس وابن عمر ، وذهب بعضهم إلى أن القمر سينشق يوم القيامة قال ابن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجوزي : وهو قول شاذ لا يقاوم الإجماع ، لأنه جاء بلفظ الماضي {وانشق القمر} فهو أمر حدث ووقع))
قال الخازن : وانشقاق القمر من آيات رسول الله (ص) الظاهرة ، ومعجزاته الباهرة ، يدل عليه ما أخرجه الشيخان عن أنس (أن أهل مكة سألوا رسول الله (ص)أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر مرتين)وما روي عن ابن مسعود قال : " انشق القمر على عهد رسول الله ، شقتين فقال رسول الله (ص) : اشهدوا " وما روي عن جبير بن مطعم قال : " انشق القمر على عهد رسول الله (ص)فصار فرقتين ، فقالت قريش : سحر محمد أعيننا فقال بعضهم : لئن كان سحرنا فما يستطيع أن يسحر الناس كلهم ، فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بأنهم قد رأوه فيكذبونهم " فهذه الأحاديث الصحيحة ، قد وردت بهذه (المعجزة العظيمة) ، مع شهادة القرآن العظيم بذلك ، فإنه أدل دليل وأقوى مثبت له ، وإمكانه لا يشك فيه مؤمن ، وقيل في معنى الآية : ينشق القمر يوم القيامة ، وهذا قول باطل لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يصح ، وشاذ لا يثبت ، لإجماع المفسرين على خلافه ، ولأن الله ذكره بلفظ الماضى [وانشق القمر] وحمل الماضى على المستقبل بعيد

[وكذبوآ واتبعوا أهواءهم] أي وكذبوا النبى (ص)وما عاينوه من قدرة الله تعالى في انشقاق القمر ، واتبعوا ما زين لهم الشيطان من الباطل

[وكل أمر مستقر] أي وكل أمر من الأمور ، منته إلى غاية يستقر عليها لا محالة ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، قال مقاتل : لكل حديث منتهى ، وحقيقة ينتهي إليها ، وقال قتادة : إن الخير يستقر بأهل الخير ، والشر يستقر بأهل الشر ، وكل أمر مستقر بأهله

[ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر] أي ولقد جاء هؤلاء الكفار من أخبار الأمم الماضية المكذبين للرسل ، ما فيه واعظ لهم ، عن التمادي في الكفر والضلال

[حكمة بالغة] أي هذا القرآن حكمة بالغة ، بلغت النهاية في الهداية والبيان

[فما تغني النذر] أي أي شيء تغنى النذر عمن كتب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله عليه الشقاوة ، وختم على سمعه وقلبه ؟ ! قال المفسرون : المعنى لقد جاءهم القرآن وهو حكمة تامة قد بلغت الغاية ، فماذا تنفع الإنذارات والمواعيد ، لقوم أصموا آذانهم عن سماع كلام الله ؟ كقوله تعالى :

[وما تغني الأيات والنذر عن قوم لا يؤمنون]

[فتول عنهم] أي فأعرض يا محمد عن هؤلاء المجرمين وانتظرهم

[يوم يدع الداع إلى شيء نكر] أي يوم يدعو إسرافيل إلى شيء منكر فظيع ، تتكره النفوس لشدته وهوله ، وهو يوم القيامة وما فيه من البلاء والأهوال

[خشعا أبصارهم] أي ذليلة أبصارهم ، لا يستطيعون رفعها من شدة الهول

[يخرجون من الأجداث] أي يخرجون من القبور

[كأنهم جراد منتشر] أي كأنهم في انتشارهم ، وسرعة إجابتهم للداعي ، جراد منتشر في الآفاق ، لا يدرون أين يذهبون ؟ من الخوف والحيرة ، قال ابن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجوزي : وإنما شبههم تعالى بالجراد المنتشر ، لأن الجراد لا جهة له يقصدها ، فهم يخرجون من القبور فزعين ، ليس لأحد منهم جهة يقصدها ، والداعي هو إسرافيل

[مهطعين إلى الداع] أي مسرعين مادي أعناقهم إلى الداعى ، لا يتلكئون ولا يتأخرون

[يقول الكافرون هذا يوم عسر] أي يقول الكافرون : هذا يوم صعب شديد ، وفيه إشارة إلى أن ذلك اليوم ، يوم شديد على الكافرين ، لا على المؤمنين ، كقوله تعالى : [على الكافرين غير يسير] .. ثم ذكر تعالى وقائع الأمم المكذبين ، وما حل بهم من العذاب والنكال ، تسلية لرسول الله (ص) وتحذيرا لكفار مكة ، فقال سبحانه :

[كذبت قبلهم قوم نوح] أي كذب قبل قومك يا محمد قوم نوح

[فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر] أي فكذبوا عبدنا نوحا وقالوا : إنه مجنون ، وانتهروه وزجروه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن دعوى النبوة ، بالسب والإستهزاء ، والتخويف والوعيد بقولهم : [لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين] قال في البحر : لم يقنعوا بتكذيبه حتى نسبوه إلى الجنون أي أنه يقول ما لا يقبله عاقل ، وذلك مبالغة في تكذيبهم له ، وإنما قال [عبدنا] تشريفا له وخصوصية بالعبودية

[فدعا ربه أني مغلوب فانتصر] أي فدعا نوح ربه ، وقال : يا رب إني ضعيف عن مقاومة هؤلاء المجرمين ، فانتقم لي منهم ، وانتصر لدينك ، قال أبو حيان : وإنما دعا عليهم بعدما يئس منهم ، وتفاقم شرهم ، وكان الواحد من قومه يخنقه إلى أن يخر مغشيا عليه ، ونوح يقول : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون

[ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر] أي فأرسلنا المطر من السماء منصبا بقوة وغزارة ، قال أبو السعود : وهو تمثيل لكثرة الأمطار وشدة انصبابها

[وفجرنا الأرض عيونا] أي جعلنا الأرض كلها عيونا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

متفجرة بالماء

[فالتقى الماء على أمر قد قدر] أي فالتقى ماء السماء وماء الأرض ، على حال قد قدرها الله في الأزل ، وقضاها بإهلاك المكذبين غرقا ، قال قتادة : قضى عليهم في أم الكتاب إذا كفروا أن يغرقوا

[وحملناه على ذات ألواح ودسر] أي وحملنا نوحا على السفينة ذات الألواح الخشبية العريضة ، المشدودة بالمسامير ، قال في البحر : وذات الألواح والدسر هي السفينة التي أنشأها نوح عليه السلام ، ويفهم من هذين الوصفين أنها " السفينة " فهي صفة تقوم مقام الموصوف وتنوب عنه ، ونحوه : قميصي مسرودة من حديد أي درع ، وهذا من فصيح الكلام وبديعه ، ولو جمعت بين الصفة والموصوف ، لم يكن بالفصيح ، والدسر : المسامير

[تجرى بأعيننا] أي تسير على وجه الماء ، بحفظنا وكلاءتنا وتحت رعايتنا

[جزاء لمن كان كفر] أي أغرقنا قوم نوح انتصارا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لعبدنا نوح ، لأنه كان قد كذب وجحد فضله ، قال الألوسي : أي فعلنا ذلك جزاء لنوح ، لأنه كان نعمة أنعمها الله على قومه فكفروها ، وكذلك كل نبي نعمة من الله تعالى على أمته

[ولقد تركناها آية] أي تركنا تلك الحادثة " الطوفان " عبرة

[فهل من مدكر] أي فهل من معتبر ومتعظ ؟

[فكيف كان عذابي ونذر] استفهام تهويل وتعجيب ، أي فكيف كان عذابي وإنذاري ؟ لمن كذب رسلى ، ولم يتعظ باياتى ؟

[ولقد يسرنا القرآن للذكر] أي والله لقد سهلنا القرآن للحفظ والتدبر ، والاتعاظ ، لما اشتمل عليه من أنواع المواعظ والعبر

[فهل من مدكر] أي فهل من متعظ بمواعظه ، معتبر بقصصه وزواجره ؟ قال الخازن : وفيه الحث على تعليم القرآن والاشتغال به ، لأنه قد يسره الله وسهله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على من يشاء من عباده ، بحيث يسهل حفظه للصغير والكبير ، والعربي والعجمي ، قال سعيد بن جبير : يسرناه للحفظ والقراءة ، وليس شيء من كتب الله تعالى ، يقرأ كله ظاهرا -أي غيبا- إلا القرآن ، وبالجملة فقد جعل الله القرآن مهيئا ومسهلا لمن أراد حفظه وفهمه ، أو الاتعاظ به ، فهو رأس سعادة الدنيا والآخرة

[كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر] أي كذبت عاد رسولهم " هودا " فكيف كان إنذاري لهم بالعذاب ؟ ثم شرع في بيان ما حل بهم من العذاب الفظيع المدمر ، فقال سبحانه :

[إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا] أي أرسلنا عليهم ريحا عاصفة باردة ، شديدة الهبوب والصوت ، قال ابن عباس : الصرصر : الشديدة البرد ، وقال السدي : الشديدة الصوت ((قال ابن كثير بعد أن نقل الأقوال : والحق أنها متصفة بجميع ذلك ، فقد كانت ريحا شديدة قوية ، وكانت باردة شديدة البرد ، وكانت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذات صوت مزعج . وهذا القول هو الذي اخترناه ، لأنه هو المناسب للهول والفظاعة)) .

[في يوم نحس مستمر] أي في يوم مشئوم دائم الشؤم ، استمر عليهم بشؤمه ، فلم يبق منهم أحد إلا هلك فيه ، قال ابن كثير : استمر عليهم نحسه ودماره ، لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي بالأخروي

[تنزع الناس] أي تقلع الريح القوم ، ثم ترمي بهم على رءوسهم ، فتدق رقابهم وتتركهم

[كأنهم أعجاز نخل منقعر] أي كأنهم أصول نخل قد انقلعت من مغارسها ، وسقطعت على الأرض ، شبهوا بالنخل ، لطولهم وضخامة أجسامهم ، قال الخازن : كانت الريح تقلعهم ثم ترمي بهم على رءوسهم ، فتدق رقابهم ، وتفصل رءوسهم من أجسامهم ، فتبقى أجسامهم بلا رءوس ، كعجز النخلة الملقاة على الأرض

[فكيف كان عذابي ونذر] تهويل لما حل بهم من العذاب ، وتعجيب من أمرهم ، أي كيف كان عذابي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإنذاري لهم ؟ ألم يكن هائلا فظيعا ؟

[ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر] ؟ كرره للتنبيه على فضل الله على المؤمنين ، بتيسير حفظ القرآن ، آي ولقد سهلنا القرآن للحفظ والفهم ، فهل من متعب ومعتبر بزواجر القرآن ! ؟ ثم أخبر تعالى عن قوم ثمود المكذبين لرسولهم (صالح) عليه السلام ، فقال سبحانه :

[كذبت ثمود بالنذر] أي كذبت ثمود بالإنذارات ، والمواعظ التي أنذرهم بها نبيهم صالح

[فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه] أي أنتبع إنسانا مثلنا من آحاد الناس ؟ ليس من الأشراف ولا العظماء ، ونحن جماعة كثيرون ؟ قالوا ذلك حسدا منهم واستبعادا أن يكون نوع البشر ، يفضل بعضه بعضا ، فقالوا : أنكون جمعا ونع واحدا منا ؟ ولم يعلموا أن الفضل بيد اللهيؤتيه من يشاء ، ويفيض نور الهدى على من رضيه

[إنا إذا لفى ضلال وسعر] أى إنا إذا اتبعناه لفى خطأ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وذهاب عن الحق واضح ، وجنون دائم ، قال ابن عباس : سعر أى جنون من قولهم ناقة مسعورة كأنها من شدة نشاطها مجنونة

[أءلقى الذكر عليه من بيننا] استفهام إنكارى أى هل خص ، بالوحى والرسالة وحده دوننا ؟ وفينا من هو أكثر منه مالا وأحسن حالا ؟ قال الإمام الفخر : وفى الآية إشارة إلى ما كانوا ينكرونه بطريق المبالغة ، وذلك لأن الإلقاء إنزال بسرعة ، فكأنهم قالوا : الملك ضخم جسيم ، والسماء بعيدة ، فكيف ينزل عليه الوحى فى لحظة ؟ وقولهم " عليه " إنكارا آخر ، كأنهم قالوا : ما ألقى عليه الذكر أصلا ، وعلى فرض نزوله فلا يكون عليه من بيننا ، وفينا من هو فوقه فى الشرف والذكاء ؟ وقولهم [أءلقى] بدلا من قولهم " أءلقى الله " إشارة إلى أن الإلقاء من السماء غير ممكن ، فضلا عن أن يكون من الله عالى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[بل هو كذاب أشر] أى بل هو كاذب فى دعوى النبوة ، متجاوز فى حد الكذب ، متكبر بطر ، يريد العلو علينا!! وإنما وصفوه بأنه [أشر] مبالغة منهم فى رفض دعواه ، كأنهم قالوا : إنه كذب لا لضرورة وحاجة إلى الخلاص ، كما يكذب الضعيف ، وإنما تكبر وبطر وطلب الرياسة عليكم ، وأراد أن تتبعوه فكذب على الله ، فلا يلتفت إلى كلامه ، لأنه جمع بين رذيلتين : (الكذب) و(التكبر) ، وكل منهما مانع من اتباعه!! قال تعالى تهديدا لهم وردا لبهتانهم

[سيعلمون غدا من الكذاب الأشر] أى سيعلمون فى الآخرة هو الكذاب الأشر ، هل هو صالح عليه السلام ؟ أم قومه المكذبون المجرمون ؟ قال الألوسي : المراد سيعلمون أنهم هم الكذابون الأشرون ، لكن أورد ذلك مورد الإبهام ، إيماء إلى أنه مما لايكاد يخفى

[إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم] أي مخرجوا الناقة من الصخرة الصماء ، محنة لهم واختبارا كما شاءوا وطلبوا ، قال ابن كثير : أخرج الله لهم ناقة عظيمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عشراء ، من صخرة صماء ، طبق ما سألوا ، لتكون حجة الله عليهم ، في تصديق صالح عليه السلام فيما جاءهم به

[فارتقبهم واصطبر] أي فانتظرهم وتبصر ما يصنعون وما يصنع بهم ! ؟ واصبر على أذاهم فإن الله ناصرك عليهم

[ونبئهم أن الماء قسمة بينهم] أي وأعلمهم أن الماء الذي يمر بواديهم ، مقسوم بين (ثمود) وبين (الناقة) ، كقوله تعالى : [لها شرب ولكم شرب يوم معلوم] قال ابن عباس : إذا كان يوم شربهم لا تشرب الناقة شيئا من الماء وتسقيهم لبنا ، وكانوا في نعيم ، وإذا كان يوم الناقة شربت الماء كله فلم تبق لهم شيئا ، وإنما قال تعالى : [بينهم] تغليبا للعقلاء

[كل شرب محتضر] أي كل نصيب وحصة من الماء ، يحضرها من كانت نوبته ، فإذا كان يوم الناقة حضرت شربها ، وإذا كان يومهم حضروا شربهم

[فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر] أي فنادت قبيلة ثمود

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أشقى القوم ، واسمه (قدار بن سالف) لقتل الناقة ، فتناول الناقة بسيفه فقتلها ، غير مكترث بالأمر العظيم

[فكيف كان عذابي ونذر] أي فكيف كان عقابي وإنذاري لهم ؟ ألم يكن فظيعا شديدا ؟ !

[إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة] أي أهلكناهم بصيحة واحدة ، صاح بها جبريل عليه السلام ، فلم تبق منهم عين تطرف

[فكانوا كهشيم المحتظر] أي فصاروا هشيما متفتتا ، كيابس الشجر إذا بلي وتحطم ، وداسته الأقدام ، قال الإمام الجلال : [المحتظر] هو الذي يجعل لغنمه (حظيرة) من يابس الشجر والشوك ، يحفظهن فيها من الذئاب والسباع ، وما سقط من ذلك فداسته فهو الهشيم

[ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر] أي يسرناه للحفظ والاتعاظ فهل من معتبر ؟ .

قال الله تعالى : [كذبت قوم لوط بالنذر ..] إلى قوله [عند مليك مقتدر] .من آية (33) إلى آية (55) نهاية السورة الكريمة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المناسبة :

لما ذكر تعالى المكذبين من قوم " عاد وثمود " ذكر هنا قوم لوط وقوم فرعون ، وما حل بهم من العذاب والدمار ، تذكيرا لكفار مكة بانتقام الله من أعدائه وأعداء رسله ، وختم السورة الكريمة ببيان سنة الله في عقاب الكفرة المجرمين .

اللغة :

[حاصبا] الحاصب : الحجارة وقيل : هى الريح الشديدة التي تثير الحصباء وهي الحصى

[بطشتنا] عقابنا الشديد

[الزبر] الكتب السماوية جمع زبور وهو الكتاب الإلهى

[أدهى] أفظع من الداهية وهي الأمر المنكر العظيم

[سعر] خسران وجنون

[سقر] اسم من أسماء جهنم أعاذنا الله منها .

سبب النزول :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء مشركو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قريش يخاصمون رسول الله (ص)في القدر فنزلت
[يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس
سقر] إنا كل شيء خلقناه بقدر] .
التفسير :
[كذبت قوم لوط بالنذر] أي كذبوا بالإنذارات التى
أنذرهم بها نبيهم لوط عليه السلام

[إنا أرسلنا عليهم حاصبا] أي أرسلنا عليهم حجارة ،
قذفوا بها من السماء ، قال ابن كثير : أمر تعالى
جبريل فحمل مدائنهم حتى وصل بها إلى عنان السماء
، ثم قلبها عليهم وأرسلها ، وأتبعت بحجارة من سجيل
منضود ، والحاصب هى الحجارة
[إلا آل لوط] أي غير لوط وأتباعه المؤمنين
[نجيناهم بسحر] أي نجيناهم من الهلاك قبيل الصبح
وقت السحر
[نعمة من عندنا] أي إنعاما منا عليهم نجيناهم من
العذاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[كذلك نجزي من شكر] أي مثل ذلك الجزاء الكريم ، نجزي من شكر نعمتنا بالإيمان والطاعة

[ولقد أنذرهم بطشتنا] أي ولقد خوفهم لوط عقوبتنا الشديدة ، وانتقامنا منهم بالعذاب

[فتماروا بالنذر] أي فتشككوا وكذبوا بالإنذار والوعيد

[ولقد راودوه عن ضيفه] أي طلبوا منه أن يسلم لهم أضيافه ، وهم (الملائكة) ليفجروا بهم بطريق اللواطة

[فطمسنا أعينهم] أي أعمينا أعينهم ، وأزلنا أثرها حتى فقدوا أبصارهم ، قال المفسرون : لما جاءت الملائكة إلى لوط فى صورة شباب مرد حسان ، أضافهم لوط عليه السلام ، فجاء قومه يهرعون إليه لقصد الفاحشة بهم ، فأغلق لوط دونهم الباب ، فجعلوا يحاولون كسر الباب ، فخرج عليهم جبريل فضرب أعينهم بطرف جناحه ، فانطمست أعينهم وعموا

[فذوقوا عذابي ونذر] أي فذوقوا عذابي وإنذاري ، الذي أنذركم به لوط

[ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر] أي جاءهم وقت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصبح عذاب دائم متصل بعذاب الآخرة ، قال الصاوي : وذلك أن جبريل قلع بلادهم فرفعها ثم قلبها بهم ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل ، واتصل عذاب الدنيا بعذاب الآخرة ، فلا يزول عنهم حتى يصلوا إلى النار

[فذوقوا عذابي ونذر] أي فذوقوا أيها المجرمون عذابي الأليم ، وإنذاري لكم على لسان رسولي

[ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر] أي ولقد يسرنا القرآن للحفظ والتدبر ، فهل من متعظ ومعتبر ؟ قال المفسرون : حكمة تكرار ذلك في كل قصة ، التنبيه على الاتعاظ والتدبر في أنباء الغابرين ، وللإشارة إلى أن تكذيب كل رسول مقتضى لنزول العذاب ، كما كرر قوله : [فبأي آلاء ربكما تكذبان] في سورة الرحمن تقريرا للنعم المختلفة المعدودة ، فكلما ذكر نعمة ، وبخ على التكذيب بها

[ولقد جاء آل فرعون النذر] أي جاء فرعون وقومه ، الإنذارات المتكررة ، فلم يعتبروا ، قال أبو السعود :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صدرت قصتهم بالقسم المؤكد ، لإبراز كمال الاعتناء بشأنها ، لغاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها ، وهول ما لاقوه من العذاب ، وفرعون رأس الطغيان

[كذبوا بآياتنا كلها] أي كذبوا بالمعجزات التسع ، التي أعطيها موسى ((قال القرطبي : المراد المعجزات الدالة على توحيد الله ونبوة موسى وهي : العصا ، واليد ، والسنون ، والطمس ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم)) .

[فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر] أي فانتقمنا منهم بإغراقهم في البحر ، وأخذناهم بالعذاب أخذ إله غالب في انتقامه ، قادر على إهلاكهم ، لا يعجزه شيء .. ثم خوف تعالى كفار مكة ، فقال سبحانه :

[أكفاركم خير من أولئكم] ؟ الاستفهام إنكاري للتقريع والوبيخ ، أي هل كفاركم يا معشر العرب ، خير من أولئكم الكفار ، الذين أحللت بهم نقمتي ؟ مثل قوم نوح ، وعاد ، وثمود ، وقوم لوط ، وقوم فرعون ، حتى لا أعذبهم ؟ قال القرطبى : استفهام إنكار ومعناه النفي ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أي ليس كفاركم خيرا من كفار من تقدم من الأمم ، الذين أهلكوا بكفرهم

[أم لكم براءة في الزبر] أي أم لكم يا كفار قريش براءة من العذاب ، في الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء ؟

[أم يقولون نحن جميع منتصر] أي هل يقولون نحن جمع كثير ، واثقون بكثرتنا وقوتنا ، منتصرون على محمد ؟ قال تعالى ردا عليهم :

[سيهزم الجمع ويولون الدبر] أي سيهزم جمع المشركين ، ويولون الأدبار منهزمين ، قال ابن الجوزي : وهذا مما أخبر الله به نبيه من علم الغيب ، فكانت الهزيمة يوم بدر

[بل الساعة موعدهم] أي ليس هذا تمام عقابهم ، بل القيامة موعد عذابهم

[والساعة أدهى وأمر] أي أعظم داهية ، وأشد مرارة من القتل والأسر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن المجرمبن في ضلال وسعر] أي إن المجرمين في حيرة وتخبط في الدنيا ، وفي نيران مسعرة في الآخرة ، قال ابن عباس : في خسران وجنون

[يوم يسحبون في النار على وجوههم] أي يوم يجزون في النار على وجوههم ، عقابا وإذلالا لهم

[ذوقوا مس سقر] أي يقال لهم : ذوقوا أيها المكذبون عذاب جهنم ، قال أبو السعود : وسقر علم لجهنم ، ولذلك لم يصرف

[إنا كل شيء خلقناه بقدر] أي إنا خلقنا كل شيء مقدرا مكتوبا في اللوح المحفوظ من الأزل

[وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر] أي وما شأننا في الخلق والإيجاد ، إلا مرة واحدة كلمح البصر في السرعة ، نقول للشيء : كن فيكون ، قال ابن كثير : أي إنما نأمر بالشيء مرة واحدة ، لا نحتاج إلى تأكيد بثانية ، فيكون ذلك موجودا كلمح البصر لا يتأخر طرفة عين

[ولقد أهلكنا أشياعكم] أي ووالله لقد أهلكنا أشباهكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونظراءكم في الكفر والضلال ، من الأمم السالفة

[فهل من مدكر] أي فهل من يتذكر ويتعظ ؟

[وكل شيء فعلوه في الزبر] أي وجميع ما فعلته الأمم المكذبة من خير وشر ، مكتوب عليهم ، مسجل في كتب الحفظة التي بأيدي الملائكة ، قال ابن زيد :

[في الزبر] أي في دواوين الحفظة

[وكل صغير وكبير مستطر] أي وكل صغير وكبير من الأعمال مسطور في اللوح المحفوظ ، مثبت فيه

[إن المتقين في جنات ونهر] أي في جنات وأنهار ، قال القرطبي : يعني أنهار الماء ، والخمر ، والعسل ، واللبن

[في مقعد صدق] أي في مكان مرضي ، ومقام حسن

[عند مليك مقتدر] أي عند رب عظيم جليل ، قادر في ملكه وسلطانه ، لا يعجزه شيء ، وهو الله رب العالمين .

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نوجزها فيما يلي :

1 - الاستعارة التمثيلية [ففتحنا أبواب السماء] شبه تدفق المطر من السحاب ، بانصباب أنهار انفتحت بها أبواب السماء ، وانشق بها أديم الخضراء بطريق الاستعارة التمثيلية ، وهي من روائع طرق الاستعارة .

2 - جناس الاشتقاق [يدع الداع] حيث اشتق لفظ الداعي من يدعو.

3 - الكناية [وحملناه على ذات ألواح ودسر] كناية عن السفينة التي تحوي الأخشاب والمسامير .

4 - التشبيه المرسل والمجمل [كأنهم أعجاز نخل خاوية] ومثله [فكانوآ كهشيم المحتظر] حيث حذف وجه الشبه منهما فهو تشبيه مجمل .

5 - صيغة المبالغة [بل هو كذاب أشر] أي كثير الكذب عظيم البطر ، لأن فعال وفعل للمبالغة .

6 - الإطناب بتكرار اللفظ [بل الساعة موعدهم والساعة أدهى] لزيادة التخويف والتهويل .

7 - المقابلة بين المجرمين والمتقين [إن المجرمين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في ضلال وسعر] و[إن المتقين في جنات ونهر] فقد قابل بين مصير كل من الفريقين ، وهو من المحسنات البديعية ، والمقابلة : أن يؤتى بلفظين أو أكثر ، ثم يؤتى بما يقابلها ، فقد قابل بين (المتقين) و(المجرمين) وبين (جنات ونهر) وبين (ضلال وسعر).

8 - الطباق بين [صغير وكبير] .

9 - السجع المرصع غير المتكلف ، الذي يزيد في جمال اللفظ وموسيقاه أقرا مثلا قوله تعالى : [ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر] الخ .

لطيفة :

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس " ان النبي (ص)خرج يوم بدر من قبته ، وهو يثب - أي يقفز - في الدرع وهو يقول : [سيهزم الجمع ويولون الدبر ..] قال عمر : وكنت لا أدري أي جمع يريد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القرآن ، فلما كان يوم بدر ، عرفت تأويلها يومئذ ، حيث رأيت رسول الله (ص) يثب في الدرع وهو يقول [سيهزم الجمع] الآية.

سورة الرحمن

مدنية وآياتها ثمان وسبعون آية

بين يدي السورة

* سورة الرحمن من السور المكية التي تعالج أصول العقيدة الإسلامية ، وهي كالعروس بين سائر السور الكريمة ، ولهذا ورد في الحديث الشريف : (لكل شيء عروس ، وعروس القرآن سورة الرحمن) .

* ابتدأت السورة بتعديد ألاء الله الباهرة ، ونعمه الكثيرة الظاهرة على العباد ، التي لا يحصيها عد ، وفي مقدمتها نعمة (تعليم القرآن) بوصفه المنة الكبرى على الإنسان ، تسبق في الذكر خلق الإنسان ذاته وتعليمه البيان [آلرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* ثم فتحت السورة صحائف الوجود ، الناطقة بآلاء الله الجليلة ، وآثاره العظيمة التي لا تخص : الشمس والقمر ، والنجم والشجر ، والسماء المرفوعة بلا عمد ، وما فيها من عجائب القدرة ، وغرائب الصنعة ، والأرض التي بث فيها من أنواع الفواكه ، والزروع ، والثمار ، رزقا للبشر [الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان ..] الآيات .

* وتحدثت السورة عن دلائل القدرة الباهرة في تسيير الأفلاك ، وتسخير السفن الكبيرة تمخر عباب البحار ، وكأنها الجبال الشاهقة عظمة وضخامة ، وهى تجري فوق سطح الماء ، بقدرة خالق السماء [وله الجوار المنشات في البحر كالأعلام . .] الآيات .

* ثم بعد ذلك الاستعراض السريع لصفحة الكون المنظور ، تطوى صفحات الوجود ، وتتلاشى الخلائق بأسرها ، فيلفها شبح الموت الرهيب ، ويطويها الفناء ، ولا يبقى إلا الحي القيوم ، متفردا بالبقاء [كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* وتناولت السورة أهوال القيامة ، فتحدثت عن حال الأشقياء المجرمين ، وما يلاقونه من الفزع والشدائد ، في ذلك اليوم العصيب [يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام] الآيات.

* وبعد الحديث عن مشهد العذاب للمجرمين ، تناولت السورة مشهد النعيم للمتقين ، في شيء من الإسهاب والتفصيل ، حيث يكونون في الجنان مع الحور والولدان [ولمن خاف مقام ربه جنتان] الآيات.

* وختمت السورة بتمجيد الله جل وعلا والثناء عليه ، على ما أنعم على عباده من فنون النعم والإكرام ، وهو أنسب ختام لسورة الرحمن [تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام] وهكذا يتناسق البدء مع الختام فى أروع صور البيان !! .

قال الله تعالى : [الرحمن ، علم القرآن . .] إلى قوله [فبأي آلاء ربكما تكذبان] من آية (1) إلى نهاية آية (45) .

اللغة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[بحسبان] الحسبان بضم الحاء مصدر مثل الغفران والكفران ومعناه الحساب الدقيق

[الأنام] الخلق وكل ما دب على وجه الأرض

[العصف] ورق الزرع الأخضر إذا يبس

[الريحان] كل نبات طيب الريح ، سمي ريحانا لرائحته الطيبة

[مارج] المارج : اللهب الذي يعلو النار قال الليث : هو الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد

[الجوار] جمع جارية وهي السفينة سميت جارية لأنها تمشي على سطح الماء

[الأعلام] الجبال جمع علم وهو الجبل الطويل قال الشاعر : " إذا قطعن علما بدا علم "

[تنفذوا] النفود : الخروج من الشيء بسرعة

[شواظ] الشواظ : اللهب الذي لا دخان له

[الدهان] الجلد الأحمر

[آن] بلغ النهاية في الحرارة وهو المسمى بالحميم .

التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الرحمن علم القرآن] أي الله الرحمن علم القرآن ، ويسره للحفظ والفهم ، قال مقاتل : لما نزل قوله تعالى : [اسجدوا للرحمن] قال كفار مكة : وما الرحمن ؟ فأنكروه وقالوا : لا نعرت الرحمن !! فقال تعالى : [الرحمن] الذي أنكروه هو الذى [علم القرآن] وقال الخازن : إن الله عز وجل عدد نعمه على عباده ، فقدم أعظمها نعمة ، وأعلاها رتبة ، وهو (القرآن العزيز) ، لأنه أعظم وحي الله إلى أنبيائه ، وأشرفه منزلة عند أوليائه وأصفيائه ، واكثره ذكرا ، وأحسنه في أبواب الدين أثرا ، وهو سنام الكتب السماوبة ، المنزلة على أفضل البرية

[خلق الإنسان] أي خلق الإنسان السميع البصير الناطق ، والمراد بالإنسان الجنس

[علمه البيان] أي ألهمه النطق الذي يستطيع به أن يبين عن مقاصده ورغباته ، ويتميز به عن سائر الحيوان ، قال البيضاوي : والمقصود تعداد ما أنعم الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

به على نوع الإنسان ، حثا على شكره ، وتنبيها على تقصيرهم فيه ، وإنما قدم (تعليم القرآن) على (خلق الإنسان) ، لأنه أصل النعم الدينية ، فقدم الأهم

[الشمس والقمر بحسبان] أي الشمس والقمر يجريان بحساب معلوم في بروجهما ، ويتنقلان في منازلهما لمصالح العباد ، قال ابن كثير : أي يجريان متعاقبين بحساب مقنن ، لا يختلف ولا يضطرب

[والنجم والشجر يسجدان] أي والنجم والشجر ينقادان للرحمن فيما يريده منهما ، هذا بالتنقل بالبروج ، وذاك بإخراج الثمار ((الأظهر أن المراد بالنجم هو النجم الذي في السماء ، وهو قول مجاهد واختيار ابن كثير ، لأنه هو المعروف في اللغة ، وروي عن ابن عباس أن المراد بالنجم هو كل نبات ينجم من الأرض وليس له ساق ، لمقابلته بالشجر الذي له ساق ، واختار هذا القول ابن جرير ، والأول أظهر ، والله أعلم)).

[والسماء رفعها ووضع الميزان] أي والسماء خلقها عالية محكمة البناء ، رفيعة القدر والشأن ، وأمر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالميزان عند الأخذ والإعطاء لينال الإنسان حقه وافيا

[ألا تطغوا في الميزان] أي لئلا تبخسوا في الميزان

[وأقيموا الوزن بالقسط] أي اجعلوا الوزن مستقيما ، بالعدل والإنصاف

[ولا تخسروا الميزان] أي لا تطففوا الوزن ولا تنقصوه ، كقوله تعالى : [ويل للمطففين]

[والأرض وضعها للأنام] أي والأرض بسطها لأجل الخلق ، ليستقروا عليها ، وينتفعوا بما خلق الله على ظهرها ، قال ابن كثير : أي أرساها بالجبال الشامخات ، لتستقر بما على وجهها من الأنام وهم الخلائق ، المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم ، فى سائر أرجائها

[فيها فاكهة] أي فيها من أنواع الفواكه ، المختلفة الألوان والطعوم والروائح

[والنخل ذات الأكمام] أي وفيها النخل التي يطلع فيها أوعية الثمر ، أفرد النخل بالذكر لشرفه ونفعه ، رطبا ويابسا ، والأكمام هي أوعية الطلع كما قال ابن عباس ، وهو الذي يطلع فيه القنو ، ثم ينشق عنه العنقود ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيكون بسرا ، ثم رطبا ، ثم ينضج ويتناهى ينعه واستواؤه

[والحب ذو العصف] أي وفيها أنواع الحب كالحنطة والشعير ، وسائر ما يتغذى به ، ذو التبن الذي هو غذاء الحيوان

[والريحان] أي وفيها كل مشموم طيب الريح ، من النبات ، كالورد ، والفل ، والياسمين ، وما شاكلها ، قال في البحر : ذكر تعالى الفاكهة أولا ونكر لفظها لأن الانتفاع بها نفسها ، ثم ثنى بالنخل فذكر الأصل ، ولم يذكر ثمرها وهو التمر ، لكثرة الانتفاع بها من (ليف ، وسعف ، وجريد ، وجذوع ، وجمار ، وثمر) ، ثم ذكر الحب الذي هو قوام عيش الإنسان ، وهو البر والشعير وكل ما له سنبل وأوراق ، ووصفه بقوله : [ذو العصف] تنبيها على إنعامه عليهم ، بما يقوتهم تعالى به من الحب ، وما يقوت بهائمهم من ورقه ، وهو التبن ، وبدأ بالفاكهة وختم بالمشموم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ليحصل ما به يتفكه ، وما به يتقوت ، وما به تقع اللذاذة من الرائحة الطيبة ، فسبحان من أنزل القرآن بأفصح بيان ، وأبدع إحكام ! ! ولما عدد نعمه خاطب الإنس والجن بقوله :

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] أي فبأي نعم الله يا معشر الإنس والجن تكذبان ؟ أليست نعم الله عليكم كثيرة لا تحصى ؟ عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قرأ سورة الرحمن على أصحابه فسكتوا ، فقال : (ما لي أسمع الجن أحسن جوابا لربها منكم ؟ ما أتيت على قول الله تعالى : [فبأي آلاء ربكما تكذبان] إلا قالوا : ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب ، فلك الحمد).. ثم ذكر تعالى دلائل قدرته ووحدانيته ، فقال سبحانه :

[خلق الإنسان من صلصال كالفخار] أي خلق أباكم آدم من طين يابس ، يسمع له صلصلة أي صوت إذا نقر ، قال المفسرون : ذكر تعالى في هذه السورة أنه خلق آدم [من صلصال كالفخار] وفي سورة الحجر [من صلصال من حمأ مسنون] أي من طين أسود

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

متغير ، وفي الصافات [من طين لازب] أي يلتصق باليد ، وفي آل عمران [كمثل آدم خلقه من تراب] ولا تنافي بينها ، وذلك لأن الله تعالى خلقه أولا من تراب الأرض ، فعجن بالماء فصار طينا لازبا أي متلاصقا يلصق باليد ، ثم تركه حتى صار حمأ مسنونا أي طينا أسود منتنا ، ثم صوره كما تصور الأواني ، ثم أيبسه حتى صار في غاية الصلابة كالفخار إذا نقر صوت ، فالمذكور ههنا آخر الأطوار

[وخلق الجان من مارج من نار] أي وخلق الجن من لهب خالص ، لا دخان فيه من النار ، قال ابن عباس : [من مارج] أي لهب خالص لا دخان فيه ، وقال مجاهد : هو اللهب المختلط بسواد النار ، وفي الحديث ؟ (خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم)

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] أي فبأي نعم الله يا معشر الإنس والجن تكذبان ؟ قال أبو حيان : والتكرار في هذه الفواصل ، للتأكيد والتنبيه والتحريك ، وقال ابن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قتيبة : إن هذا التكرار إنما هو لإختلاف النعم ، فكلما ذكر نعمة كرر قوله : [فبأي آلاء ربكما تكذبان] وقد ذكرت هذه الآية إحدى وثلاثين مرة ، والاستفهام فيها للتقريع والتوبيخ

[رب المشرقين ورب المغربين] أي هو جل وعلا رب مشرق الشمس والقمر ، ورب مغربهما ، فكيف يعبدون الشمس والقمر ، وينسون خالقهما ؟ ولما ذكر الشمس والقمر في قوله : [الشمس والقمر بحسبان] ذكر هنا أنه رب مشرقهما ومغربهما

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] أي فبأي نعم الله التي لا تحصى تكذبان ؟

[مرج البحرين يلتقيان] أي أرسل البحر الملح ، والبحر العذب ، يتجاوران ويلتقيان ولا يمتزجان

[بينهما برزخ لا يبغيان] أي بينهما حاجز من قدرة الله تعالى ، لا يطغى أحدهما على الآخر بالممازجة ، قال ابن كثير : والمراد بالبحرين : الملح ، والحلو ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالملح هذه البحار ، والحلو هذه الأنهار السارحة بين الناس ، وجعل الله بينهما برزخا ، وهو الحاجز من الأرض ، لئلا يبغي هذا على هذا ، فيفسد كل واحد منهما الآخر ((مختصر تفسير ابن كثير ، وهذا هو الصحيح أن المراد بهما : البحار ، والأنهار ، وهو من باب التغليب ، ويدل على هذا القول ، أن الله وصفهما بقوله {وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه ، وهذا ملح أجاج } وليس على وجه الأرض كلها من البحار ، ما هو حلو الماء ، فتدبر ايات الذكر الحكيم ، والله يرعاك !)).

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] أي فبأي نعم الله تكذبان ؟

[يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان] أي يخرج لكم من الماء اللؤلؤ والمرجان ، كما يخرج من التراب الحب والعصف والريحان ، قال الألوسي : واللؤلؤ صغار الدر ، والمرجان كباره ، قاله ابن عباس ، وعن ابن مسعود أن المرجان : الخرز الأحمر ، والآية بيان لعجائب صنع الله ، حيث يخرج من الماء المالح أنواع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحلية ، كالدر والياقوت والمرجان ، فسبحان الواحد المنان

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] أي فبأي نعمة من نعم الله تكذبان ؟

[وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام] أي وله جل وعلا السفن المرفوعات الجاريات في البحر ، كالجبال في العظم والضخامة ، قال القرطبي : [كالأعلام] أي كالجبال ، والعلم الجبل الطويل ، فالسفن في البحر كالجبال في البر ، ووجه الامتنان بها أن الله تعالى سير هذه السفن الضخمة ، التي تشبه الجبال على وجه الماء ، وهو جسم لطيف مائع ، يحمل فوقه هذه السفن الكبار ، المحملة بالأرزاق والمكاسب والمتاجر ، من قطر إلى قطر ، ومن إقليم إلى إقليم ، قال شيخ زاده : واعلم أن أصول الأشياء أربعة : (التراب ، والماء ، والهواء ، والنار) ، فبين تعالى بقوله [خلق الإنسان من صلصال] أن التراب أصل لمخلوق شريف مكرم ، وبين بقوله : [وخلق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجان من مارج من نار] أن النار أيضا أصل لمخلوق آخر عجيب الشأن ، وبين بقوله : [يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان] أن الماء أيضا أصل لمخلوق آخر ، له قدر وقيمة ، ثم ذكر أن الهواء له تأثير عظيم في جري السفن المشابهة للجبال ، فقال : [وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام] وخص السفن بالذكر ، لأن جريها في البحر لا صنع للبشر فيه ، وهم معترفون بذلك ، حيث كانوا يقولون : (لك الفلك ولك الملك) وإذا خافوا الغرق دعوا الله تعالى خاصة [مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون]

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] أي فبأي نعمة من نعم الله تكذبان ؟

[كل من عليها فان] أي كل من على وجه الأرض ، من الإنسان والحيوان وكل ما له روح ، هالك وسيموت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام] أي ويبقى ذات الله الواحد الأحد ، ذو العظمة والكبرياء ، والإنعام والإكرام ، كقوله تعالى : [كل شيء هالك إلا وجهه] قال ابن عباس : الوجه عبارة عن الله جل وعلا الباقي الدائم ، قال القرطبي : ووجه النعمة في فناء الخلق ، التسويه بينهم في الموت ، ومع الموت تستوي الأقدام ، والموت سبب النقلة من دار الفناء ، إلى دار الثواب والجزاء ((تفسير القرطبي ، وتوضيحا لنعمة الموت ، نقول : إن الإنسان يكبر ويهرم ، وتصيبه الأمراض والأسقام ، فلو عاش طيلة حياته بالمرض العضال ، لكان ذلك منتهى الإهانة له ، ثم إن الموت يأتى الكبير والصغير ، والفقير والغني ، والظالم والمظلوم ، ولو أن المظلوم مات ، وبقي الظالم يرتع في الدنيا ، والضعيف فني وزال ، وبقى الطاغية المتجبر على قيد الحياة ، لكان في ذلك أعظم الحسرة للبشر ، فلذلك ساوى تعالى في الموت بين الخلائق : الملوك ، والأمراء ، والأغنياء ، والفقراء ، والطغاة والضعفاء ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذا هو ميزان العدالة الإلهية ، فظهر أن الموت من أعظم النعم على البشر ، لينالوا جزاءهم العادل في الآخرة ! !)).

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] أي فبأي نعمة من نعم الله تكذبان

[يسأله من في السموات والأرض] اي يفتقر إليه تعالى كل من في السموات والأرض ، ويطلبون منه العون والرزق ، بلسان المقال ، أو بلسان الحال

[كل يوم هو في شأن] أي كل ساعة ولحظة ، هو تعالى في شأن من شئون الخلق ، يغفر ذنبا ، ويفرج كربا ، ويرفع قوما ، ويضع آخرين ، قال المفسرون : هي شئون يبديها ولا يبتديها ، أي يظهرها للخلق ولا ينشئها من جديد ، لأن القلم جف على ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة ، فهو تعالى يرفع من يشاء ويضع من يشاء ، ويشفي سقيما ويمرض سليما ، ويعز ذليلا ويذل عزيزا ، ويفقر غنيا ويغني فقيرا ، قال مقاتل : إن الآية نزلت في اليهود ، قالوا : إن الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى لا يقضي يوم السبت شيئا ، فرد الله عليهم بذلك

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] اي فبأي نعم الله الجليلة تكذبان أيها الإنس والجان ؟

[سنفرغ لكم أيه الثقلان] أي سنحاسبكم على أعمالكم يا معشر الإنس والجن ، قال ابن عباس : هذا وعيد من الله تعالى للعباد ، وليس بالله تعالى شغل وهو فارغ !! قال في البحر : أي ننظر في أموركم يوم القيامة ، لا أنه تعالى كان له شغل فيفرغ فيه ، وجرى هذا على كلام العرب ، يقول الرجل لمن يتهدده : سأفرغ لك أي سأتجرد للانتقام منك ، من كل ما شغلني وقال البيضاوي : أي سنتجرد لحسابكم وجزائكم يوم القيامة ، وفيه تهديد ، مستعار من قولك لمن تهدده : سأفرغ لك ، فأن المتجرد للشيء يكون أقوى عليه ، وأجد فيه ، والثقلان : الإنس والجن ، سميا بذلك لثقلهما على الأرض

[فبأى آلاء ربكما تكذبان] تقدم تفسيره

[يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أقطار السموات والأرض فانفذوا] أي إن قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هاربين من الله ، فارين من قضائه فاخرجوا منها ، وخلصوا أنفسكم من عقابه ، والأمر للتعجيز

[لا تنفذون إلا بسلطان] أي لا تقدرون على الخروج ، إلا بقوة وقهر وغلبة ، وأنى لكم ذلك ؟ قال ابن كثير : معنى الآية : إنكم لا تستطيعون هربا من أمر الله وقدره ، بل هو محيط بكم لا تقدرون على التخلص من حكمه ، أينما ذهبتم أحيط بكم ، وهذا في مقام الحشر ، حيث الملائكة محدقة بالخلائق سبع صفوف من كل جانب ، فلا يقدر أحد على الذهاب الا بسلطان أي إلا بأمر الله وإرادته [يقول الإنسان يومئذ أين المفر] ؟ وهذا إنما يكون في القيامة ، لا في الدنيا بدليل قوله تعالى بعده [يرسل عليكما شواظ من نار] ((جنح بعض المتأخرين في هذه الأيام إلى تفسير الآية تفسيرا خاطئا فزعموا أن الإنسان يمكنه الصعود إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السموات وفسروا " السلطان " بالعلم وهو مخالف لأقوال المفسرين ، ويرده سياق الآية وسباقها ، فإن الآية سيقت لبيان أهوال الآخرة وشدائدها بدليل قوله تعالى قبلها : {سنفرغ لكم أيه الثقلان } وقوله بعدها : {يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس } وقد اتفق المفسرون على أنها في الآخرة ، ونحن لا نستنكر إمكان وصول الإنسان - بالصواريخ والمخترعات الحديثة - إلى القمر أو بعض الكواكب ، فان ذلك في مقدور الإنسان ، ويستطيع بواسطة العلم أن يدور حول الأرض ويعلو في الأجواء ولكنه لا يستطيع ان يصل إلى السماء ، فقد جعلها الله سقفا محفوظا ، اما القمر وسائر الكواكب فهي دون السماء الدنيا ويمكن الوصول إليها ، - ولكننا نستنكر ونتعجب ممن يتهجم على القرآن بدون علم ولا فهم ، ويقول في كتاب الله برأيه دون الرجوع إلى أقوال المفسرين المعتمدين ، فوصولهم إلى القمر حقيقة ، لا ننازع فيها ، ولكن أن يقال : إن الاية تشير إلى الدنيا ، وأن يفسروا السلطان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالعلم ، فهذا الذي ننكره عليهم ، لأنه لا يتفق مع اللغة ، ولا مع سياق الآية وسباقها ، وقد جاء من الحديث الشريف (من قال في كتاب الله برأيه ، فليتبوأ مقعده من النار) رواه البخارى ومسلم)).

[فبأى آلاء ربكما تكذبان] ؟ تقدم تفسيره

[يرسل عليكما شواظ من نار] أي يرسل عليكما يوم القيامة لهب النار الحامية

[ونحاس] أي ونحاس مذاب يصب فوق رءوسكم ، قال مجاهد : هو الصفر المعروف يصب على رءوسهم يوم القيامة ، وقال ابن عباس : [نحاس] هو الدخان الذي لا لهب فيه ، وقول مجاهد أظهر

[فلا تنتصران] أي فلا ينصر بعضكم بعضا ، ولا يخلصه من عذاب الله ، قال ابن كثير : ومعنى الآية لو ذهبتم هاربين يوم القيامة ، لردتكم الملائكة وزبانية جهنم ، بإرسال اللهب من النار ، والنحاس المذاب عليكم ، لترجعوا فلا تجدون لكم ناصرا

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] تقدم تفسيره

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فإذا انشقت السماء] أي فإذا انصدعت يوم القيامة لتنزل الملائكة منها ، لتحيط بالخلائق من كل جانب

[فكانت وردة كالدهان] أي فكانت مثل الورد الأحمر من حرارة النار ، ومثل الأديم الأحمر أي الجلد الأحمر ، قاله ابن عباس ، وذلك من شدة الهول ، ومن رهبة ذلك اليوم العظيم

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] تقدم تفسيره

[فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان] أي ففي ذلك اليوم الرهيب بوم تنشق السماء ، لا يسأل أحد من المذنبين من الإنس والجن عن ذنبه ، لأن للمذنب علامات تدل على ذنبه ، كاسوداد الوجوه ، وزرقة العيون ، قال الإمام الفخر : لا يسأل أحد عن ذنبه ، فلا يقال له : أنت المذنب أو غيرك ؟ ولا يقال : من المذنب منكم ؟ بل يعرفون بسوآد وجوههم وغيره

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] تقدم تفسيره

[يعرف المجرمون بسيماهم] أي يعرف يوم القيامة أهل الإجرام ، بعلامات تظهر عليهم ، وهي ما يغشاهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الكابة والحزن ، قال الحسن : سواد الوجه وزرقة الأعين ، كقوله تعالى : [ونحشر المجرمين يومئذ زرقا] وقوله : [يوم تبيض وجوه وتسود وجوه]

[فيؤخذ بالنواصي والأقدام] أي فتأخذ الملائكة بنواصيهم ، أي بشعور مقدم رءوسهم وأقدامهم ، فيقذفونهم في جهنم ، قال ابن عباس : يؤخذ بناصية المجرم وقدميه ، فيكسر كما يكسر الحطب ، ثم يلقى في النار

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] تقدم تفسيره

[هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون] أي يقال لهم تقريعا وتوبيخا : هذه النار التى أخبرتم بها فكذبتم ، قال ابن كثير : أي هذه النار التي كنتم تكذبون بوجودها ، ها هي حاضرة تشاهدونها عيانا

[يطوفون بينها وبين حميم آن] أي يترددون بين نار جهنم ، وبين ماء حار بلغ النهاية في الحرارة ، قال قتادة : يطوفون مرة بين الحميم ، ومرة بين الجحيم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والجحيم النار ، والحميم الشراب الذي انتهى حره

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] أي فبأي نعم الله تكذبان يا معشر الإنس والجان ؟

قال الله تعالى : [ولمن خاف مقام ربه جنتان . .] إلى قوله [تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام] . من آية (46) إلى آية (78) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما ذكر تعالى أحوال أهل النار ، ذكر ما أعده للمؤمنين الأبرار ، من الجنان والولدان ، والحور الحسان ، ليتميز الفارق الهائل بين منازل المجرمين ، ومراتب المتقين ، على طريقة القرآن في الترغيب والترهيب .

اللغة :

[أفنان] جمع فنن وهو الغصن ، قال الشاعر يصف حمامة : رب ورقاء هتوف في الضحى ذات شدو صدحت فى فنن ذكرت إنفا ودهرا خاليا فبكت شوقا فهاجت حزني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[استبرق] ما غلظ من الديباج وخشن

[وجنى] الجنى : ما يجتنى من الشجر ويقطف

[يطمثهن] الطمث : الجماع المؤدي إلى خروج دم البكر ، ثم أطلق على كل جماع ، ومعنى

[لم يطمثهن] أي لم يصبهن بالجماع قبل أزواجهن أحد ، قال الفراء : الطمث : الافتضاض وهو النكاح بالتدمية

[مدهامتان] سوداوان من شدة الخضرة ، والدهمة فى اللغة : السواد

[نضاختان] فوارتان بالماء لا تنقطعان

[عبقري] طنافس جمع عبقرية أي طنفسة ثخينة فيها أنواع النقوش قال الفراء : العبقري الطنافس الثخان منها وقال أبو عبيد : كل ثوب وشي عند العرب : فهو عبقري ، منسوب إلى أرض يعمل فيها الوشي قال ذو الرمة : حتى كأن رياض القف ألبسها من وشي عبقر تجليل وتنجيد

التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولمن خاف مقام ربه جنتان] أي وللعبد الذي يخاف قيامه بين يدي ربه للحساب جنتان : جنة لسكنه ، وجنة لأزواجه وخدمه ، كما هي حال ملوك الدنيا ، حيث يكون له قصر ولأزواجه قصر ((قال الفخر الرازي : لما قال تعالى في حق المجرم إنه يطوف بين نار ، وبين حميم آن ، قال في حق المؤمن الخائف : {ولمن خاف مقام ربه جنتان } وقد ذكر تعالى الجنة ، والجنتين ، والجنات فقال : {إن المتقين في جنات } وقال : {مثل الجنة التي وعد المتقون } فهي لإتصال أشجارها ومساكنها وعدم وقوع الفاصل بينها كمفازات وقفار صارت كجنة واحدة ، ولسعتها وتنوع أشجارها وكثرة مساكنها كأنها جنات ، ولإشتمالها على ما تلتذ به الروح والجسم كأنها جنتان)) . قال القرطبي : وإنما كانتا اثنتين ليضاعف له السرور ، بالتنقل من جهة الى جهة ، قال الزمخشري : جنة لفعل الطاعات ، وجنة لترك المعاصي ، وفي الحديث : (جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل ، إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] ثم وصف تعالى الجنتين فقال :

[ذواتا أفنان] أي ذواتا أغصان متفرعة وثمار متنوعة ، قال في البحر : وخص الأفنان - وهي الغصون - بالذكر لأنها التى تورق وتثمر ، ومنها تمتد الظلال ، وتجنى الثمار

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] أي فبأي نعم الله الجليلة تكذبان يا معشر الإنس والجن

[فيهما عينان تجريان] أي في كل واحدة من الجنتين عين جارية ، تجري بالماء الزلال ، كقوله تعالى :

[فيها عين جارية] قال ابن كثير : أي تسرحان لسقي تلك الأشجار والأغصان ، فتعمر من جميع الألوان قال الحسن : تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم ، والأخرى السلسبيل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] تقدم تفسيره
[فيهما من كل فاكهة زوجان] أي فيهما من جميع أنواع الفواكه والثمار صنفان : معروف ، وغريب لم يعرفوه في الدنيا ، قال ابن عباس : ما فى الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة ، إلا وهي في الجنة حتى الحنظل ، إلا أنه حلو ، وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء
[فبأي آلاء ربكما تكذبان] تقدم تفسيره ، قال الفخر الرازي : أن قوله تعالى : [ذواتا أفنان] و[فيهما عينان تجريان] و[فيهما من كل فاكهة زوجان] كلها أوصاف للجنتين المذكورتين ، وإنما فصل بين الأغصان والفواكه ، بذكر العينين الجاريتين على عادة المتنعمين ، فإنهم إذا دخلوا البستان لا يبادرون إلى أكل الثمار ، بل يقدمون التفرج على الأكل ، مع أن الإنسان في بستان الدنيا لا يأكل حتى يجوع ويشتهي شهوة شديدة ، فكيف في الجنة !! فذكر تعالى ما يتم به النزهة وهو خضرة الأشجار ، وجريان الأنهار ، ثم ذكر ما يكون بعد النزهة وهو أكل الثمار ، فسبحان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من يأتي بالآيات ، بأحسن المعاني فى أبين المبانى

[متكئين على فرش بطائنها من إستبرق] أي مضطجعين في جنان الخلد ، على فرش وثيرة بطائنها من ديباج - وهو الحرير السميك - المزين بالذهب ، وهذا يدل على نهاية شرفها ، لأن البطانة إذا كانت بهذا الوصف ، فما بالك بالظهارة ؟ قال ابن مسعود : هذه البطائن فكيف لو رأيتم الظواهر ؟ وقال ابن عباس : لما سئل عن الآية : ذلك مما قال الله تعالى : [فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين]

[وجنى الجنتين دان] اي ثمرها قريب يناله القاعد ، والقائم ، والنائم ، بخلاف ثمار الدنيا ، فإنها لا تنال إلا بكد وتعب ، قال ابن عباس : تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولى الله ، إن شاء قائما ، وإن شاء قاعدا ، وإن شاء مضطجعا

[فبأى آلاء ربكما تكذبان] تقدم تفسيره

[فيهن قاصرات الطرف] أي في تلك الجنان نساء قاصرات الطرف ، قصرن أعينهن على أزواجهن ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فلا يرين غيرهم ، كما هو حال المخدرات العفائف

[لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان] أي لم يمسهن ولم يجامعهن أحد قبل أزواجهن ، لا من الإنس ولا من الجن ، بل هن أبكار عذارى ، قال الألوسي : وأصل الطمث خروج الدم ، ولذلك يقال للحيض طمث ، ثم أطلق على جماع الأبكار ، لما فيه من خروج الدم ، ثم على كل جماع ، وإن لم يكن فيه خروج دم

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] أي فبأي نعم الله الجليلة تكذبان يا معشر الإنس والجن ؟

[كأنهن الياقوت والمرجان] أي كأنهن يشبهن الياقوت والمرجان ، في صفائهن وحمرتهن ، قال قتادة : كأنهن في صفاء الياقوت وحمرة المرجان ، لو أدخلت فى الياقوت سلكا ، ثم نظرت إليه لرأيته من ورائه وفي الحديث : (إن المرأة من نساء أهل الجنة ، ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير ، حتى يرى مخها)

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] تقدم تفسيره

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[هل جزاء الإحسان إلا الإحسان] أي ما جزاء من أحسن في الدنيا ، إلا أن يحسن إليه في الآخرة ، قال أبو السعود : أي ما جزاء الإحسان في العمل ، إلا الإحسان في آلثواب والغرض أن من قدم المعروف والإحسان ، استحق الإنعام والإكرام

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] تقدم تفسيره

[ومن دونهما جنتان] أي ومن دون تلك الجنتين في الفضيلة والقدر ، جنتان أخريان ، قال المفسرون : الجنتان الأوليان للسابقين ، والأخريان لأصحاب اليمين ، ولا شك أن مقام السابقين أعظم وأرفع ، لقوله تعالى : [فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ؟ وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة ؟ والسابقون السابقون أولئك المقربون]

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] أي فبأي نعم الله الجليلة تكذبان يا معشر الإنس والجن ؟

[مدهامتان] أي سوداوان من شدة الخضرة والرى ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الألوسي : والمراد أنهما شديدتا الخضرة ، والخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد ، وذلك من كثرة الرى بالماء

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] تقدم تفسيره

[فيهما عينان نضاختان] أي فوارتان بالماء لا تنقطعان ، وقال ابن مسعود وابن عباس : تتضج على أولياء الله بالمسك والعنبر ، والكافور في دور أهل الجنة كزخ المطر

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] تقدم تفسيره

[فيهما فاكهة ونخل ورمان] أى في الجنتين من أنواع الفواكه كلها ، وأنواع النخل والرمان ، وإنما ذكر النخل والرمان ، تنبيها على فضلهما وشرفهما على سائر الفواكه ، ولأنهما غالب فاكهة العرب ، قال الألوسي : ثم إن نخل الجنة ورمانها وراء ما نعرفه

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] لقدم تفسيره

[فيهن خيرات حسان] أي في تلك الجنان نساء صالحات ، كريمات الأخلاق ، حسان الوجوه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] تقدم تفسيره

[حور مقصورات فى الخيام] أي من الحور العين المخدرات المستورات ، لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن ، قد قصرن في خدورهن في خيام اللؤلؤ المجوف ، قال أبو حيان : والنساء تمدح بذلك إذ ملازمتهن البيوت تدل على صيانتهن ، قال الحسن : لسن بطوافات في الطرق ، وخيام الجنة بيوت اللؤلؤ ، وفي الحديث : (إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة ، عرضها ستون ميلا ، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمنون)

[فبأى آلاء ربكما تكذبان] تقدم تفسيره

[لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان] أي لم يجامعهن ولم يغشهن أحد قبل أزواجهم ، لا من الإنس ولا من الجن ، قال في التسهيل : الجنتان المذكورتان أولا للسابقين ، والجنتان المذكورتان ثانيا لأصحاب اليمين ، وانظر كيف جعل أوصاف الجنتين الأوليين ، أعلى من أوصاف الجنتين اللتين بعدهما ، فقال هناك : [فيهما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عينان تجريان] وقال هنا : [فيهما عينان نضاختتان ، والجري أشد من النضخ ، وقال هناك : [فيهما من كل فاكهة زوجان] وقال هنا : [فيهما فاكهة ونخل ورمان] والأول أعم وأشمل ، وقال في صفة الحور هناك : [كأنهن الياقوت والمرجان] وقال هنا : [فيهن خيرات حسان] وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان ، فالوصف هناك أبلغ ، وقال هناك في وصف الفرش : [متكئين على فرش بطائنها من استبرق] وهو الديباج وقال هنا : [متكئين على رفرف خضر] ولا شك في أن الفرش المعدة للاتكاء ، أفضل من فضل الخباء

[فبأى آلاء ربكما تكذبان] أي فبأي نعم الله الجليلة تكذبان يا معشر الإنسر والجن ؟

[متكئين على رفرف خضر] أي مستندين على وسائد خضر من وسائد الجنة ((هذا قول الحسن وقال ابن عباس : الرفرف : فضول المحابس وهي ما يطرح على ظهر الفراش للنوم عليه)).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وعبقرى حسان] أي وطنافس ثخينة مزخرفة ، محلاة بأنواع الصور والزينة ، قال الصاوي : وهي نسبة إلى " عبقر " قرية بناحية اليمن ، ينسج فيها بسط منقوشة ، بلغت النهاية فى الحسن ، فقرب الله لنا فرش الجنتين ، بتلك البسط المنقوشة

[فبأي آلاء ربكما تكذبان] أي فبأي نعمة من نعم الله تعالى تكذبان يا معشر الإنس والجن

[تبارك اسم ربك] أي تنزه وتقدس الله العظيم الجليل ، وكثرت خيراته وفاضت بركاته

[ذي الجلال والإكرام] أي صاحب العظمة والكبرياء ، والفضل والإنعام ، قال في البحر : لما ختم تعالى نعم الدنيا بقوله : [ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام] ختم نعم الآخرة بقوله : [تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام] وناسب هناك ذكر البقاء والديمومة له تعالى ، بعد ذكر فناء العالم ، وناسب هنا ذكر البركة وهي النماء والزيادة ، عقب امتنانه على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المؤمنين في دار كرامته ، وما آتاهم من الخير والفضل العظيم ، في دار النعيم.

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - المقابلة اللطيفة بين [والسماء رفعها] وبين [والأرض وضعها] وكذلك المقابلة بين [خلق الانسان من صلصال كالفخار] [وخلق الجان من مارج من نار] .

2 - التشبيه المرسل المجمل [وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام] أي كالجبال في العظم والضخامة ، حذف منه وجه الشبه فأصبح مجملا .

3 - المجاز المرسل [ويبقى وجه ربك] أي ذاته المقدسة وهو من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل .

4 - الاستعارة التمثيلية [سنفرغ لكم أيه الثقلان] شبه انتهاء الدنيا وما فيها من تدبير شئون الخلق ، ومجيء الآخرة وبقاء شأن واحد ، وهو محاسبة الإنس والجن ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بفراغ من يشغله أمور فتفرغ لأمر واحد ، والله تعالى لا يشغله شأن عن شأن ، وإنما هو سبيل التمثيل .

5 - الأمر التعجيزي [إن آستطعتم أن تنفذوا .. فانفذوا] فالأمر هنا للتعجيز .

6 - التشبيه البليغ [فإذا انشقت السماء فكانت وردة] أي كالوردة في الحمرة ، حذف وجه الشبه وأداة التشبيه فصار بليغا .

7 - الجناس الناقص [وجنا الجنتين] لتغير الشكل والحروف ، ويسمى جناس الاشتقاق

8 - الإيجاز بحذف الموصوف وإبقاء الصفة [فيهن قاصرات الطرف] أي نساء قاصرات الطرف ، قد قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم .

9 - السجع المرصع غير المتكلف ، كأنه حبات در منظومة في سلك واحد اقرأ قوله تعالى : [الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان] وأمثاله في السورة كثير ، وهو من المحسنات البديعية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فائدة :

تسمى سورة الرحمن " عروس القرآن " لما ورد " لكل شيء عروس ، وعروس القرآن سورة ا لرحمن " .

سورة الواقعة

مكية وآياتها ست وتسعون آية

بين يدي السورة

* تشتمل هذه السورة الكريمة على أحوال يوم القيامة ، وما يكون بين يدي الساعة من أهوال ، وانقسام الناس إلى ثلاث طوائف (أصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال ، والسابقون إلى منازل السعداء) .

* وقد تحدثت السورة عن مآل كل فريق ، وما أعده الله تعالى لهم من الجزاء العادل يوم الدين ، كما أقامت الدلائل على وجود الله ووحدانيته ، وكمال قدرته في بديع خلقه وصنعه ، في خلق الإنسان ، وإخراج النبات ، وإنزال الماء ، وما أودعه الله من القوة في النار ..

ثم نوهت بذكر القرآن العظيم ، وأنه تنزيل رب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العالمين ، وما يلقاه الإنسان عند الاحتضار من شدائد وأهوال .

* وختمت السورة بذكر الطوائف الثلاث وهم أهل السعادة ، وأهل الشقاوة ، والسابقون إلى الخيرات من أهل النعيم ، وبينت عاقبة كل منهم ، فكان ذلك كالتفصيل لما ورد في أول السورة من إجمال ، والإشادة بذكر مآثر المقربين في البدء والختام .

فضلها :

أ - عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله (ص) قال : (من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا).

ب - وأخرج الحافظ ابن عساكر في ترجمة (عبد الله بن مسعود) بسنده عن أبي ظبية قال : " مرض عبد الله بن مسعود مرضه الذي توفي فيه ، فعاده عثمان بن عفان فقال : ما تشتكي ؟ قال : ذنوبي ، قال : فما تشتهي ؟ قال : رحمة ربي ، قال : ألا آمر لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضني ، قال : ألا آمر لك بعطاء ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال : لا حاجة لي فيه ، قال : يكون لبناتك من بعدك ، قال : أتخشى على بناتي الفقر ؟ إني أمرت بناتي يقرأن كل ليلة سورة الواقعة ، وإني سمعت رسول الله (ص) يقول : " من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا " فكان أبو ظبية لا يدعها " . تفسيرسورة الواقعة

قال الله تعالى : [إذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ..] إلى قوله [هذا نزلهم يوم الدين] . من آية (1) إلى نهاية آية (56) .

اللغة :

[رجت] زلزلت وحركت تحريكا شديدا

[بست] فتت حتى صارت كالدقيق المبسوس

[هباء] الهباء ما يتطاير في الهواء من الأجزاء الدقيقة

[ثلة] جماعة من ثللت الشيئ أي قطعته قاله الزجاج ، فمعنى ثلة كمعنى فرقة وزنا ومعنى

[موضونة] منسوجة محكمة النسج كأن بعضها أدخل في بعض ، قال الأعشى : ومن نسج داود موضونة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تساق مع الحي عيرا فعيرا

[يصدعون] صدع القوم بالخمر لحقهم الصداع في رءوسهم منها

[ينزفون] يسكرون فتذهب عقولهم

[مخضود] خضد شوكه أي قطع ، قال أمية بن أبي الصلت : إن الحدائق في الجنان ظليلة فيها الكواعب سدرها مخضود

[طلح] الطلح : شجر الموز

[منضود] متراكب بعضه فوق بعض

[عربا] جمع عروب وهي المتحببة إلى زوجها

[سموم] ريح حارة تدخل في مسام البدن

[يحموم] اليحموم الشديد السواد

[الحميم] الماء المغلي

[الهيم] الإبل العطاش التي لا تروى لداء يصيبها .

التفسير :

[إذا وقعت الواقعة] أي إذا قامت القيامة ، التي لابد من وقوعها ، وحدثت الداهية الطامة ، التي ينخلع لها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قلب الإنسان ، كان من الأهوال ما لا يصفه الخيال ، قال البيضاوي : سميت واقعة لتحقق وقوعها وقال ابن عباس : الواقعة اسم من أسماء القيامة ، كالصاخة ، والآزفة ، والطامة ، وهذه الأشياء تقتضي عظم شأنها

[ليس لوقعتها كاذبة] أي لا يكون عند وقوعها نفس كاذبة ، لكذب بوقوعها كحال المكذبين اليوم ، لأن كل نفس تؤمن حينئذ ، لأنها ترى العذاب عيانا ، كقوله تعالى : [فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده] ((هذا القول هو الأرجح في تفسير الآية الكريمة وهو اخنيار البيضاوي وأبي السعود والألوسى ، واختار ابن كثير أن المعنى : ليس لوقوعها - إذا اراد الله - صارف يصرفها ولا دافع يدفعها ، وروي نحو هذا عن الحسن وقتادة : والأول أدق وأظهر ، والله اعلم)).

[خافضة رافعة] أي هي خافضة لأقوام رافعة لآخرين ، تخفض أعداء الله في النار ، وترفع أولياء الله في الجنة ، قال الحسن : تخفض أقواها إلى الجحيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، وإن كانوا في الدنيا أعزة ، وترفع آخرين إلى أعلى عليين ، وإن كانوا في الدنيا وضعاء.. ثم بين تعالى متى يكون ذلك ، فقال سبحانه :

[إذا رجت الأرض رجا] أي زلزلت زلزالا عنيفا ، واضطربت اضطرابا شديدا ، بحيث ينهدم كل ما حولها ، وما فوقها من بناء شامخ ، وطود راسخ ، قال المفسرون : ترج كما يرج الصبى في المهد ، حتى ينهدم كل ما عليها من بناء ، وينكسر كل ما فيها من جبال وحصون

[وبست الجبال بسا] أي فتتت تفتيتا حتى صارت كالدقيق المبسوس - وهو المبلول - بعد أن كانت شامخة

[فكانت هباء منبثا] أي فصارت غبارا متفرقا ، متطايرا في الهواء ، كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل النافذة فهذا هو الهباء ، والمنبث المتفرق ، وهذه الآية كقوله تعالى : [وتكون الجبال كالعهن المنفوش] وقوله : [وسيرت الجبال فكانت سرابا]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وكنتم أزواجا ثلاثة] أي وكنتم - أيها الناس - أصنافا وفرقا ثلاثة " أهل اليمين ، وأهل الشمال ، وأهل السبق " فأما السابقون فهم أهل الدرجات العلى في الجنة ، وأما أصحاب اليمين فهم سائر أهل الجنة ، وأما أصحاب الشمال فهم أهل النار ، وهذه مراتب الناس في الآخرة!! قال ميمون بن مهران : إثنان في الجنة وواحد في النار ، ثم فصلهم تعالى بقوله :

[فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة] ؟ استفهام للتفخيم والتعظيم أي هل تدري أي شيء أصحاب الميمنة ؟ من هم ؟ وما هي حالهم وصفتهم ؟ إنهم الذين يؤتون صحائفهم في أيمانهم ، فهو تعجيب لحالهم ، وتعظيم لشأنهم ، في دخولهم الجنة وتنعمهم بها

[وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة] ؟ أي هل تدري من هم ؟ وما هي حالهم وصفتهم ؟ إنهم الذين يؤتون صحائفهم بشمالهم ، ففيه تعجيب لحالهم في دخولهم النار وشقائهم ، قال القرطبي : والتكرير في [ما أصحاب الميمنة] و[ما أصحاب المشئمة]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للتفخيم والتعجيب كقوله [الحاقة ما الحاقة] وقوله : [القارعة ما القارعة] وقال الألوسي : والمقصود التفخيم في الأول ، والتفظيع في الثاني ، وتعجيب السامع من شأن الفريقين ، في الفخامة والفظاعة كأنه قيل : فأصحاب الميمنة في غاية حسن الحال ، وأصحاب المشأمة في غاية سوء الحال

[والسابقون السابقون] هذا هو الصنف الثالث من الأزواج الثلاثة أي والسابقون إلى الخيرات والحسنات ، هم السابقون إلى النعيم والجنات ، ثم أثنى عليهم بقوله :

[أولئك المقربون] أي أولئك هم المقربون من الله ، في جواره ، وفي ظل عرشه ، ودار كرامته

[في جنات النعيم] أي هم في جنات الخلد يتنعمون فيها ، قال الخازن : فإن قلت : لم أخر ذكر السابقين وكانوا أولى بالتقديم على أصحاب اليمين ؟ قلت : فيه لطيفة ، وذلك أن الله ذكر في أول السورة الأمور الهائلة عند قيام الساعة تخويفا لعباده ، فإما محسن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيزداد رغبة في الثواب ، وإما مسيء فيرجع عن إساءته خوفا من العقاب ، فلذلك قدم أصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ، ثم ذكر أصحاب الشمال ليرهبوا ، ثم ذكر السابقين وهم الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر ليجدوا ويجتهدوا

[ثلة من الأولين] أي السابقون المقربون جماعة كثيرة من الأمم السالفة

[وقليل من الأخرين] أي وهم قليل من هذه الأمة ، قال القرطبي : وسموا قليلا بالإضافة إلى من كان قبلهم ، لأن الأنبياء المتقدمين كانوا كثيرين ، فكثر السابقون إلى الإيمان منهم ، فزادوا على عدد من سبق إلى التصديق من أمتنا ، قال الحسن : سابقوا من مضى أكثر من سابقينا ، ثم تلا الآية وقيل : إن المراد بقوله : [والسابقون السابقون] أول هذه الأمة ، والآخرون المتأخرون من هذه الأمة ، فيكون كلا الفريقين من أمة محمد (ص) ((القول الأول الذي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أسلفناه هو اختيار جمهور المفسرين ، كابن جرير ، وأبي السعود ، والقرطبي ، والبيضاوي ، والألوسي ، واختار ابن كثير القول الثاني فقال : القول الذي اختاره ابن جرير فيه نظر بل ضعيف ، لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن ، فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها . . الخ أقول : قد علمت أن الأنبياء كثرة كثيرة وكلهم من السابقين ، فاذا انضم إليهم أتباعهم من الخواص كانوا اكثر من خواص هذه الأمة ، وتبقى أمة محمد (ص) أكثر الأمم دخولا الجنة وأفضل الأمم بمجموعها لا بخواصها ، فيندفع بذلك الإشكال ، والله أعلم)).

[على سرر موضونة] أي جالسين على أسرة منسوجة بقضبان الذهب ، مرصعة بالدر والياقوت ، قال ابن عباس : [موضونة] أي مرمولة بالذهب يعني منسوجة به

[متكئين عليها] أي حال كونهم مضطجعين على تلك الأسرة ، شأن المنعمين المترفين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[متقابلين] أي وجوه بعضهم إلى بعض ، ليس أحد وراء أحد ، وهذا أدخل في السرور ، وأكمل في أدب الجلوس

[يطوف عليهم ولدان مخلدون] أي يدور عليهم للخدمة أطفال في نضارة الصبا ، لا يموتون ولا يهرمون ، قال أبو حيان : وصفوا بالخلد -وإن كان كل من في الجنة مخلدا- ليدل على أنهم يبقون دائما في سن الولدان ، لا يتحولون ولا يكبرون ، كما وصفهم جل وعلا

[بأكواب] أي بأقداح كبيرة مستديرة لا عرى لها

[وأباريق] جمع إبريق أي وبأباريق لها عرى ، تبرق من صفاء لونها

[وكأس من معين] أي وكأسيى من خمر لذة ، جارية من العيون ، قال ابن عباس : لم تعصر كخمر الدنيا بل هي من عيون سارحة ، قال القرطبي : والمعين الجاري من ماء أو خمر ، غير أن المراد في هذا الموضع : الخمر الجارية من العيون ، ليست كخمر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدنيا ، التي تستخرج بعصر وتكلف ومعالجة

[لا يصدعون عنها] أي لا تتصدع رءوسهم من شربها

[ولا ينزفون] أي ولا يسكرون فتذهب بعقولهم ، كخمر الدنيا ، قال ابن عباس : في الخمر أربع خصال : " السكر ، والصداع ، والقيء ، والبول " وقد ذكر تعالى خمر الجنة ، ونزهها عن هذه الخصال الذميمة

[وفاكهة مما يتخيرون] أي ولهم فيها فاكهة كثيرة ، يختارون ما تشتهيه نفوسهم لكثرتها وتنوعها

[ولحم طير مما يشتهون] أي ولحم طير مما يحبون ويشتهون ، قال ابن عباس : يخطر على قلب أحدهم لحم الطير فيطير ، حتى يقع بين يديه على ما اشتهى ، مقليا أو مشويا ، وفي الحديث : (إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا) قال الرازي : وقدم الفاكهة على اللحم ، لأن أهل الجنة يأكلون لا عن جوع ، بل للتفكه ، فميلهم إلى الفاكهة أكثر ، كحال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشبعان في الدنيا فلذلك قدمها

[وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون] أي ولهم مع ذلك النعيم ، نساء من الحور العين ، الواسعات العيون ، في غاية الجمال والبهاء ، كأنهن اللؤلؤ في الصفاء والنقاء ، الذي لم تمسه الأيدي ، قال في التسهيل : شبههن باللؤلؤ في البياض ، ووصفه بالمكنون لأنه أبعد عن تغيير حسنه ، وحين سألت " أم سلمة " رسول الله (ص)عن هذا التشبيه قال : " صفاؤهن كصفاء الدر في الأصداف ، الذي لم تمسه الأيدي "

[جزاء بما كانوا يعملون] أي جعلنا لهم ذلك كله ، جزاء لعملهم الصالح في الدنيا .. ثم أخبر تعالى عن كمال نعيمهم في الجنة ، فقال سبحانه :

[لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما] أي لا يطرق آذانهم فاحش الكلام ، ولا يلحقهم إثم مما يسمعون ، قال ابن عباس : لا يسمعون باطلا ولا كذبا

[إلا قيلا سلاما سلاما] أي إلا قول بعضهم لبعض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سلاما سلاما ، يحمي به بعضهم بعضا ، ويفشون السلام فيما بينهم ، قال في البحر : والظاهر أنه استثناء منقطع لأنه لم يندرج في اللغو ولا التأثيم وقال أبو السعود : والمعني : أنهم يفشون السلام ، فيسلمون سلاما بعد سلام ، أو لا يسمع كل منهم إلا سلام الآخر ، بدءا أو ردا.. ثم شرع في تفصيل أحوال الصنف الثاني وهم أصحاب اليمين فقال :

[وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين] ؟ استفهام للتعظيم والتعجيب من حالهم ، أي ما أدراك من هم ، وما هي حالهم ؟

[في سدر مخضود] أي هم تحت أشجار النبق ، الذي قطع شوكه ، قال المفسرون : والسدر : شجر النبق ، والمخضود الذي خضد أي قطع شوكه ، وفي الحديث : (أن أعرابيا جاء إلى رسول الله (ص)فقال يا رسول الله : آن آلله تعالى ذكر في الجنة شجرة تؤذي صاحبها ، فقال : وما هي ؟ قال : السدر ، فإن له شوكا ، فقال رسول الله (ص) : أليس الله يقول : [في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سدر مخضود] ؟ خضد الله شوكه ، فجعل مكان كل شوكة ثمرة ، وإن الثمرة من ثمره ، تفتق عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ، ما فيها لون يشبه الآخر)

[وطلح منضود] هو شجر الموز ، ومعنى [منضود] أي متراكم ، قد نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه

[وظل ممدود] أي وظل دائم باقي ، لا يزول ولا تنسخه الشمس ، لأن الجنة ظل كلها ، لا شمس فيها [لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا] وفي الحديث : (إن فى الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مالة عام لا يقطعها ، واقرءوا إن شئتم [وظل ممدود] وقال الرازي : ومعنى [ممدود] أي لا زوال له فهو دائم كما قال تعالى [أكلها دائم وظلها] أي دائم ، والظل ليس ظل الأشجار ، بل ظل يخلقه الله تعالى

[وماء مسكوب] أي وماء جار دائما لا ينقطع ، يجري في غير أخدود ، قال القرطبي : كانت العرب أصحاب بادية ، والأنهار في بلادهم عزيزة ، لا يصلون إلى الماء ، إلا بالدلو والرشاء ، فوعدوا بالجنة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بأسباب النزهة ، وهي الأشجار وظلالها ، والمياه والأنهار وجريانها

[وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة] أي وفاكهة كثيرة متنوعة ، ليست بالقليلة العزيزة ، كما كانت في بلادهم ، ولا تنقطع كما تنقطع ثمار الدنيا في الشتاء ، وليست ممنوعة عن أحد ، قال ابن عباس : لا تنقطع إذا جنيت ، ولا تمتنع من أحد إذا أراد أخذها وفي الحديث : (ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة ، إلا عاد مكانها أخرى)

[وفرش مرفوعة] أي عالية وطيئة ناعمة ، وفي الحديث : (ارتفاعها كما بين السماء والأرض ، ومسيرة ما بينهما خمس مائة عام) قال الألوسي : ولا تستبعد هذا من حيث العروج والنزول ، فالعالم عالم آخر ، فوق طور عقلك تنخفض للمؤمن إذا أراد الجلوس عليها ثم ترتفع به ، والله على كل شيء قدير

[إنا أنشأناهن إنشاء] أي خلقنا نساء الجنة خلقا جديدا ، وأبدعناهن إبداعا عجيبا ، قال فى التسهيل : ومعنى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إنشاء النساء ، أن الله تعالى يخلقهن في الجنة ، خلقا آخر في غاية الحسن بخلاف الدنيا ، فالعجوز ترجع شابة ، والقبيحة ترجع جميلة قال ابن عباس : يعني الآدميات العجائز الشمط ، خلقهن الله بعد الكبر والهرم خلق آخر

[فجعلناهن أبكارا] أي فجعلناهن عذارى ، كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا

[عربا] جمع عروب وهي المتحببة لزوجها ، العاشقة له ، قال مجاهد : هن العاشقات لأزواجهن المتحببات لهن ، اللواتي يشتهين أزواجهن ((قال البخارى : العروب هي الغنجة ، وأهل العراق يقولون : الشكلة ، وأهل مكة يقولون : العربة)).

[أترابا] أي مستويات في السن مع أزواجهن ، في سن أبناء ثلاث وثلاثين ، وقد ورد عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : " سألت النبى (ص)عن قوله تعالى : [إنا أنشأنهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا] فقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يا أم سلمة : هن اللواتي قبضن في الدنيا عجائز ، شمطا ، عمشا ، رمصا ، جعلهن الله بعد الكبر ، أترابا على ميلاد واحد في الاستواء " وفي الحديث " أن امرأة عجوزا جاءت النبي (ص) فقالت يا رسول الله : أدع الله أن يدخلني الجنة ، فقال : يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز ، فولت تبكي ، فقال : أخبروها أنها لا تدخلها وهى عجوز ، فإن الله تعالى يقول : [إنا أنشأنهن إنشاء فجعلناهن أبكارا]

[لأصحاب اليمين] أي أنشأنا هؤلاء النساء الأبكار لأصحاب اليمين ، ليستمتعوا بهن في الجنة ، ثم قال تعالى :

[ثلة من الأولين وثلة من الآخرين] أي هم جماعة من الأولين من الأمم الماضية ، وجماعة من المتأخرين من أمة محمد (ص) ، قال في البحر : ولا تنافي بين هذه الآية [وثلة من الآخرين] وبين الآية التي سبقتها وهي قوله : [وقليل من الآخرين] لأن الثانية في السابقين ، فلذلك قال : [وقليل من الآخرين] وهذه في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أصحاب اليمين ، ولذلك قال : [وثلة من الآخرين] ..
ثم شرع تعالى في بيان الصنف الثالث وهم أهل النار ، فقال سبحانه :
[وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال] استفهام يراد منه التهويل والتفظيع والتعجيب من حالهم أي وأصحاب الشمال - وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم - ما أصحاب الشمال ؟ أي ما حالهم وكيف مآلهم ؟ ثم فصل تعالى حالهم ، فقال :
[في سموم وحميم] أي في ريح حارة من النار ، تنفذ في المسام ، وماء شديد الحرارة
[وظل من يحموم] أي في ظل من دخان أسود شديد السواد
[لا بارد] أي ليس هذا الظل باردا ، يستروح به النسيم من شدة الحر
[ولا كريم] أي وليس حسن المنظر ، يسر به من يستفيء بظله ، قال الخازن : إن فائدة الظل ترجع إلى أمرين : أحدهما : دفع الحر ، والثاني : حسن المنظر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، وكون الإنسان فيه مكرما ، وظل أهل النار بخلاف هذا ، لأنهم في ظل من دخان أسود حار .. ثم بين تعالى سبب استحقاقهم ذلك العذاب فقال :

[إنهم كانوا قبل ذلك مترفين] أي لأنهم كانوا في الدنيا منعمين ، مقبلين على الشهوات والملذات

[وكانوا يصرون على الحنث العظيم] أي وكانوا يداومون على الذنب العظيم ، وهو الشرك بالله ، قال المفسرون : لفظ الإصرار يدل على المداومة على المعصية ، والحنث : هو الذنب الكبير ، والمراد به هنا : الكفر بالله كما قاله ابن عباس

[وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون] أي هل سنبعث بعد أن تصبح أجسادنا ترابا وعظاما نخرة ؟ وهذا استبعاد منهم لأمر البعث وتكذيب له

[أو أباؤنا الأولون] ؟ تأكيد للإنكار ومبالغة فيه ، أي وهل سيبعث أباؤنا الأوائل ؟ بعد أن بليت أجسامهم ، وتفتت عظامهم ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل إن الأولين والأخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم] أي قل لهم يا محمد : أن الخلائق جميعا ، السابقين منهم واللاحقين ، سيجمعون ويحشرون ليوم الحساب ، الذي حدده الله بوقت معلوم ، لا يتقدم ولا يتأخر ، كما قال سبحانه [ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره إلا لأجل معدود]

[ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم] أي ثم إنكم يا معشر كفار مكة ، 0 الضالون عن الهدى ، المكذبون بالبعث والنشور ، لآكلون من شجر الزقوم ، الذي ينبت في أصل الجحيم

[فمالئون منها البطون] أي فمالئون بطونكم من تلك الشجرة الخبيثة ، لغلبة الجوع عليكم

[فشاربون عليه من الحميم] أي فشاربون عليه الماء الحار الذي اشتد غليانه

[فشاربون شرب الهيم] أي فشاربون شرب الإبل العطاش ، قال ابن عباس : الهيم : الإبل العطاش التي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا تروى لداء يصيبها وقال أبو السعود : إنه يسلط على أهل النار من الجوع ، ما يضطرهم إلى أكل الزقوم ، الذي هو كالمهل ، فإذا ملأوا منه بطونهم - وهو في غاية الحرارة والمرارة - سلط عليهم من العطش ، ما يضطرهم إلى شرب الحميم ، الذي يقطع أمعاءهم ، فيشربونه شرب الهيم ، وهي الإبل التي بها الهيام ، وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى

[هذا نزلهم يوم الدين] أي هذه ضيافتهم وكرامتهم يوم القيامة ، وفيه تهكم بهم ، قال الصاوي : والنزل في الأصل : ما يهيأ للضيف أول قدومه من التحف والكرامة ، فتسمية الزقوم نزلا تهكم بهم وسخرية!

قال الله تعالى : [نحن خلقناكم فلولا تصدقون . .] إلى قوله [فسبح باسم ربك العظيم] .من آية (57) إلى آية (96) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما ذكر تعالى الأشقياء المجرمين وأحوالهم في نار جهنم ، ذكر هنا الأدلة والبراهين على قدرة الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ووحدانيته ، فى بديع خلقه وصنعه ، لتقوم الحجة على المنكر المكذب بوجود الله ، وختم السورة الكريمة بالتنويه بذكر أهل السعادة ، وأهل الشقاوة ، والسابقين إلى الخيرات ، ليكون ذلك كالتفصيل لما ورد في أول السورة من الإجمال ، والإشادة بذكر مآثر المقربين في البداية والمآل .

اللغة :

[تفكهون] تفكه بالشيء تمتع به ، ورجل فكه منبسط النفس غير مكترث بشيء

[المزن] السحاب جمع مزنة ، قال الشاعر : ونحن كماء المزن مافي نصابنا كهام ولا فينا يعد بخيل

[تورون] أورى النار من الزناد قدحها

[المقوين] المسافرين يقال أقوى الرجل إذا دخل القواء وهو القفر ، والقوى الجوع ، قال الشاعر :

وإنى لأختار القوى طاوي الحشا محافظة من أن يقال لئيم

[مدهنون] المدهن : الذي ظاهره خلاف باطنه ، كأنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شبه بالدهن فى سهولة ظاهره ومنه المداهنة

[مدينين] مجزيين ومحاسبين ، من الدين بمعنى الجزاء

[فروح] الروح بفتح الراء الاستراحة

[ريحان] الريحان : كل مشموم طيب الريح من النبات

[فنزل] النزل : الضيافة

[تصلية] إحراق بنار الجحيم .

التفسير :

[نحن خلقناكم فلولا تصدقون] أي نحن خلقناكم أيها الناس من العدم ، فهلا تصدقون بالبعث ؟ فإن من قدر على البدء ، قادر على الإعادة

[أفرأيتم ما تمنون] أي أخبرونى عما تصبونه من المني ، في أرحام النساء !!

[ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون] ؟ أي هل أنتم تخلقون هذا المنى بشرا سويا ، أم نحن بقدرتنا خلقناه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وصورناه ؟ قال القرطبي : وهذا احتجاج على المشركين ، وبيان للآية الأولى ، والمعنى : إذا أقررتم بأنا خالقوه لا غيرنا فاعترقوا بالبعث ((يقول شهيد الدعوة " سيد قطب ، فى تفسيره الظلال ما نصه : " هذه هي الحقيقة الهائلة المتكررة في كل لحظة ، ينساها الإنسان لتكرارها أمام عينيه ، وهي أعجب من كل عجيب تبدعها شطحات الخيال ! ! نطفة تمنى وتراق وهي من إفرازات هذا الجسد الإنساني الكثيرة ، كالعرق ، والدمع " والمخاط ، فاذا هي بعد فترة من الزمن إنسان سميع بصير ، وإذا هذا الانسان ذكر وانثى! ! كيف تمت هذه العجيبة التي لم تكن - لولا وقوعها - تخطر على الخيال ؟ ! أين كان هذا الإنسان كامنا بعظمه ولحمه وجلده ، وعروقه وشعره وأظافره ، وخلائقه وطباعه ؟ أي قلب بشري يقف أمام هذه الحقيقة الهائلة العجيبة ، ثم يتمالك أو يتماسك - فضلا عن أن يجحد ويتبجح - ويقول : إنها وقعت هكذا والسلام ؟ ! إن دور البشر في أمر هذا الخلق ، لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يزيد على أن يودع الرجل ما يمني رحم امرأة ، ثم ينقطع عمله وعملها ، وتأخذ يد القدرة في العمل وحدها في هذا الماء المهين ، تعمل وحدها في خلقه وتنميته ، وبناء هيكله ونفخ الروح فيه ، ومنذ اللحظة الأولى تتم المعجزة ، وتقع الخارقة التى لا يصنعها إلا الله ، وهذا القدر من التأمل يدركه كل إنسان ، وهذا يكفي لتقدير هذه المعجزة والتأثر بها ، ولكن قصة هذه الخلية الواحدة منذ ان تمنى قصة أغرب من الخيال ، هذه الخلية الواحدة تبدأ في الانقسام والتكاثر ، فاذا هي بعد فترة ملايين الملايين من الخلايا ، كل مجموعة من هذه الخلايا ذات خصائص عجيبة ، فهذه خلايا عظام ، وهذه خلايا عضلات ، وهذه خلايا جلد ، وهذه خلايا أعصاب . . ثم هذه خلايا لعمل عين ، وهذه لعمل لسان ، وهذه لعمل أذن ، وكل منها تعرف مكان عملها ، فلا تخطىء خلايا العين مثلا فتطلع في البطن أو القدم ، فسبحان العظيم القدير القائل {ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون }))

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[نحن قدرنا بينكم الموت] أي نحن قضينا وحكمنا عليكم بالموت وساوينا بينكم فيه ، قال الضحاك : ساوى فيه بين أهل السماء والأرض ، سواء فيه الشريف والوضيع ، والأمير والصعلوك

[وما نحن بمسبوقين] أي وما نحن بعاجزين

[على أن نبدل أمثالكم] أي على أن نهلككم ونستبدل قوما غيركم ، يكونون أطوع لله منكم ، كقوله تعالى : [إن نشأ نذهبكم ونأت بخلق جديد]

[وننشئكم فيما لا تعلمون] أي ولسنا بعاجزين أيضا أن نعيدكم يوم القيامة ، في خلقة لا تعلمونها ، ولا تصل إليها عقولكم ، والغرض أن الله قادر على أن يهلكهم ، وأن يحييهم ، وأن يبعثهم يوم القيامة ، ففي الآية تهديد ، واحتجاج على البعث

[ولقد علمتم النشأة الأولى] أي ولقد عرفتم أن الله أنشأكم من العدم ، بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا ، فخلقكم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فلولا تذكرون] أي فهلا تتذكرون بأن الله قادر على إعادتكم ، كما قدر على خلقكم أول مرة ؟ [أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا] ؟ !
[أفرأيتم ما تحرثون] هذه حجة أخرى على وحدانية الله وقدرته ، أي أخبروني عن البذر الذي تلقونه في الطين
[ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون] ؟ أي أأنتم تنبتونه وتنشئونه ، حتى يكون فيه السنبل والحب ؟ أم نحن الفاعلون لذلك ؟ فإذا أقررتم أن الله هو الذي يخرج الحب وينبت الزرع ، فكيف تنكرون إخراجه الأموات من الأرض ؟

[لو نشاء لجعلناه حطاما] أي لو أردنا لجعلنا هذا الزرع ، هشيما متكسرا ، لا ينتفع به في طعام ولا غيره ، قال القرطبي : والحطام : الهشيم الهالك الذي لا ينتفع به في مطعم ولا غذاء ، فنبههم بذلك على أمرين : أحدهما : ما أولاهم به من النعم في زرعهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ليشكروه الثاني : ليعتبروا في أنفسهم ، فكما أنه تعالى يجعل الزرع حطاما إذا شاء ، كذلك يهلكهم إذا شاء ، ليتعظوا فينزجروا

[فظلتم تفكهون] أي فظللتم وبقيتم تتفجعون وتحزنون على الزرع ، مما حل به وتقولون :

[إنا لمغرمون] أي إنا لمحملون الغرم في إنفاقنا حيث ذهب زرعنا ، وغرمنا الحب الذي بذرناه ((قال الضحاك " مغرمون " من الغرم ، والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض ، وقال ابن عباس : معذبون والغرام العذاب)).

[بل نحن محرومون] أي بل نحن محرومون الرزق ، غرمنا قيمة البذر ، وحرمنا خروج الزرع

[أفرأيتم الماء الذي تشربون] أي أخبروني عن الماء الذي تشربونه عذبا فراتا ، لتدفعوا عنكم شدة العطش

[ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون] أي هل أنتم الذين أنزلتموه من السحاب ؟ أم نحن المنزلون له بقدرتنا ؟ قال الخازن : ذكرهم تعالى نعمته عليهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بإنزال المطر ، الذي لا يقدر عليه إلا الله عز وجل

[لو نشاء جعلناه أجاجا] آي لو شئنا لجعلناه ماء مالحا شديد الملوحة ، لا يصلح لشرب ولا لزرع ، قال ابن عباس : [أجاجا] شديد الملوحة ، وقال الحسن : مرا زعافا لا يمكن شربه

[فلولا تشكرون] اي فهلا تشكرون ربكم على نعمه الجليلة عليكم ؟! وفي الحديث أن النبي (ص) كان إذا شرب الماء قال : (الحمد لله الذي سقانا عذبا فراتا برحمته ، ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا)لماذا جاء في الآية ذكر الماء الأجاج - أي المالح - ؟ إن الآية تشير إلى أن الماء الذي نشربه - ماء المطر - أصله كله من الأرض ، كما قال تعالى [أخرج منها ماءها ومرعاها] وهو من مياه البحر المالحة ، ولكن الله بقدرته يجعله حلوا عن طريق الأبخرة المتصاعدة من البحار بواسطة أشعة الشمس ، فالمطر إذا (تحلية ربانية) ولو شاء الله لأنزله علينا كما أخرجه من البحر مالحا ، مرا زعافا ، يضر ولا ينفع ، فما أعظم نعمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله على عباده ، بنزول مياه الأمطار ؟ الخارجة من البحار ، دون الآت ولا مضخات كما يصنع البشر فى تحلية مياه البحر!!

[أفرأيتم النار التي تورون] أي أخبروني عن النار التي تقدحونها وتستخرجونها من الشجر الرطب

[ءأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون] أي هل أنتم الذين خلقتم شجرها ؟ أم نحن الخالقون المخترعون ؟ وأراد جميع الشجر ، الذي توقد منه النار ، لما روي عن ابن عباس أنه قال : ما من شجرة ولا عود إلا وفيه النار ، سوى العناب

[نحن جعلناها تذكرة] أي جعلنا نار الدنيا تذكيرا للنار الكبرى " نار جهنم " إذا رآها الرائي ذكر بها نار جهنم ، فيخشى آلله ويخاف عقابه ، وفي الحديث : (ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ، فقالوا يا رسول الله : إن كانت لكافية!! فقال : والذي نفسي بيده ، لقد فضلت عليها بتسعة وتسعين جزءا ، كلهن مثل حرها)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ومتاعا للمقوين] أي ومنفعة للمسافرين ، قال ابن عباس : [المقوين] المسافرين ، وقال مجاهد : للحاضر والمسافر ، المستمتعين بالنار من الناس أجمعين قال الخازن : والمقوي النازل في الأرض القواء - وهي الأرض الخالية البعيدة عن العمران - والمعنى أنه ينتفع بها أهل البوادي والسفار ، فإن منفعتهم أكثر من المقيم ، فإنهم يوقدون النار بالليل ، لتهرب السباع ، ويهتدي بها الضال ، إلى غير ذلك من المنافع ، وهو قول أكثر المفسرين .. ولما ذكر د لائل القدرة والوحدانية في الإنسان ، والنبات ، والماء ، والنار ، أمر رسوله بتسبيح الله الواحد القهار ، فقال سبحائه :

[فسبح باسم ربك العظيم] اي فسبح يا محمد ربك ، عما أضافه إليه المشركون ، من صفات العجز والنقص ، وقل : سبحان من خلق هذه الأشياء بقدرته ، وسخرها لنا بحكمته ، سبحانه ما أعظم شأنه ، وأكبر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سلطانه !! عدد سبحانه وتعالى نعمه على عباده ، فبدأ بذكر خلق الإنسان فقال : [أفرأيتم ما تمنون] ثم بما به قوامه ومعيشته وهو الزرع فقال : [أفرأيتم ما تحرثون] ثم بما به حياته وبقاؤه وهو الماء فقال : [أفرأيتم الماء الذى تشربون] ثم بما يصنع به طعامه ، ويصلح به اللحوم والخضار وهو النار ، فقال : [أفرأيتم النار الي تورون] فياله من إله كريم ، ومنعم عظيم !! ثم شرع بالقسم على جلال القرآن ورفعته ، وعلو شأنه ومنزلته ، وأنه تنزيل العزيز الحكيم ، فقال سبحانه :

[فلا أقسم بمواقع النجوم] اللام لتأكيد الكلام وتقويته ، وزيادة " لا " كثير في كلام العرب ومشهور ، قال الشاعر : تذكرت ليلى فاعترتني صبابة وكاد نياط القلب لا يتقطع أي كاد يتقطع ، قال القرطبي " لا " صلة في قول أكثر المفسرين ، والمعنى " فأقسم " بدليل قوله بعده : [وإنه لقسم] أي فأقسم بمنازل النجوم وأماكن دورانها في أفلاكها وبروجها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإنه لقسم لو تعلمون عظيم] أي وإن هذا القسم العظيم جليل ، لو عرفتم عظمته لآمنتم وانتفعتم به ، لما في القسم به من الدلالة على عظيم القدرة ، وكمال الحكمة ، وفرط الرحمة ، ومن مقتضيات رحمته تعالى أن لا يترك عباده سدى ((لم يكن المخاطبون يعلمون عن مواقع النجوم إلا القليل ، أما في هذا العصر فقد ظهرت معجزة القرآن ، يقول الفلكيون : إن مجموعة واحدة من المجموعات التي لا تحصى في الفضاء الهائل ، الذي لا نعرف له حدودا ، مجموعة واحدة هي " المجرة " التي تنتسب إليها أسرتنا الشمسية تبلغ ألف مليون نجم ، وإن من هذه النجوم والكواكب التى تزيد على عدة " بلايين " نجم منها ما يمكن رؤيته بالعين المجردة ، وما لا يرى إلا بالمجاهر والأجهزة ، هذه كلها تسبح في الفلك الغامض ، ولا يوجد أي احتمال أن يقترب نجم من مجال نجم اخر ، أو يصطدم بكوكب آخر ، إلا كما يحتمل تصادم مركب في البحر الأبيض بآخر في المحيط الهادي ، يسيران

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

باتجاه واحد وبسرعة واحدة وهو احتمال بعيد جدا إن لم يكن مستحيلا)).

[إنه لقرآن كريم] هذا هو المقسم عليه ، والمعنى : أقسم بمواقع النجوم إن هذا القرآن قرآن كريم ، ليس بسحر ولا كهانة وليس بمفترى ، بل هو قرآن كريم مجيد ، جعله الله معجزة لنبيه محمد (ص)وهو كثير المنافع والخيرات والبركات

[في كتاب مكنون] أي في كتاب مصون عند الله تعالى ، محفوظ عن الباطل ، وعن التبديل والتغيير ، قال ابن عباس : هو اللوح المحفوظ ، وقال مجاهد : هو المصحف الذي بأيدينا

[لا يمسه إلا المطهرون] أي لا يمس ذلك الكتاب المكنون إلا المطهرون ، وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة من الشرك والذنوب والأحداث ، أو لا يمسه إلا من كان متوضئا طاهرا ، قال القرطبي : المراد بالكتاب (المصحف) الذي بأيدينا وهو الأظهر ، لقول ابن عمر " لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر " ولكتاب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسول الله (ص)لعمرو بن حزم " وألا يمس القرآن إلا طاهر) ((اخرجه مالك في الموطأ والحاكم فى المستدرك ، وهذا الحديث أخذ به جميع الفقهاء كدليل على حرمة مس المصحف بدون طهارة)).

[تنزيل من رب العالمين] أي منزل من عند الله جل وعلا .. ثم لما عظم أمر القرآن ومجد شأنه ، وبخ الكفار فقال سبحانه :

[أفبهذا الحديث أنتم مدهنون] أي أفبهذا القرآن يا معشر الكفار تكذبون وتكفرون ؟

[وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون] أي وتجعلون شكر رزقكم ، أنكم تكذبون برازقكم ؟ وهو المنعم المتفضل عليكم ؟

[فلولا إذا بلغت الحلقوم] أي فهلا إذا بلغت الروح الحلقوم ، عند معالجة سكرات الموت

[وأنتم حينئذ تنظرون] أي وأنتم في ذلك الوقت تنظرون إلى المحتضر ، وما يكابده من شدائد وأهوال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون] أي ونحن بعلمنا وإطلاعنا أقرب إلى الميت منكم ، ولكن لا تعلمون ذلك ، ولا تبصرون ملائكتنا الذين حضروه لقبض روحه ، قال ابن كثير : ومعنى الآية : ملائكتنا أقرب إليه منكم ، ولكن لا ترونهم ، كما قال تعالى : [حتى إذا جاء أحدهم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون]

[فلولا إن كنتم غير مدينين] أي فهلا إن كنتم غير مجزيين بأعمالكم كما تزعمون

[ترجعونها إن كنتم صادقين] أي تردون روح هذا الميت إلى جسده ، بعد ما بلغت الحلقوم ، قال ابن عباس : [غير مدينين] أي غير محاسبين ولا مجزيين ، قال الخازن : أجاب عن قوله : [فلولا إذا بلغت الحلقوم] وعن قوله : [فلولا إن كنتم غير مدينين] بجواب واحد وهو قوله : [ترجعونها إن كنتم صادقين] ومعنى الآية : إن كان الأمر كما تقولون ، أنه لا بعث . ولا حساب ، ولا إله يجازي ، فهلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تردون نفس من يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم ؟ وإذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا أن الأمر إلى غيركم ، وهو الله تعالى فآمنوا به .. ثم ذكر تعالى طبقات الناس عند الموت وعند البعث ، وبنن درجاتهم في الآخرة ، فقال سبحانه :

[فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم] أي فأما إن كان هذا الميت من المحسنين ، السابقين بالدرجات العلا ، فله عند ربه استراحة ورزق حسن ، وجنة واسعة يتنعم فيها ، قال القرطبي : والمراد بالمقربين السابقون المذكورون في أول السورة

[وأما إن كان من أصحاب اليمين] أي وأما إن كان المحتضر من السعداء أهل الجنة ، الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم

[فسلام لك من أصحاب اليمين] أي فسلام لك يا محمد منهم ، لأنهم في راحة وسعادة ، ونعيم دائم

[وأما إن كان من المكذبين الضالين] أي وأما إن كان المحتضر من المنكرين للبعث ، الضالين عن الهدى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والحق

[فنزل من حميم] أي فضيافتهم التي يكرمون بها أول قدومهم ، الحميم الذي يصهر البطون لشدة حرارته ، قال في التسهيل : النزل أول شيء يقدم للضيف

[وتصلية جحيم] أي ولهم إصلاء بنار جهنم ، وإذاقة لهم من حرها

[إن هذا لهو حق اليقين] أي إن هذا الذي قصصناه عليك يا محمد من جزاء (السابقين ، والسعداء ، والأشقياء) ، لهو الحق الثابت ، الذي لا شك فيه ولا ريب ، وهو عين اليقين الذي لا يمكن انكاره

[فسبح باسم ربك العظيم] أي فنزه ربك عن النقص والسوء ، وعما يصفه به الظالمون ، ولما نزلت هذه الآية الكريمة قال النبى (ص) : " اجعلوها في ركوعكم ، ولما نزلت [سبح اسم ربك الأعلى] قال (ص) : اجعلوها في سجودكم .

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نوجزها فيما يلي :

1 - جناس الاشتقاق [إذا وقعت الواقعة] والجناس الناقص في قوله : [روح وريحان] .

2 - ا لطباق بين [الميمنة .. والمشئمة] وبين [ا لأولين .. وا لأخرين] وبين [خافضة . . رافعة] وفي إسناد الخفض والرفع إلى القيامة مجاز عقلي ، لأن الخافض والرافع على الحقيقة هو الله وحده ، يرفع أولياءه ويخفض أعداءه ، ونسب إلى القيامة مجازا كقولهم " نهاره صائم " .

3 - التشبيه المرسل المجمل [وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون] أي كأمثال اللؤلؤ في بياضه وصفائه ، حذف منه وجه الشبه فهو مرسل مجمل .

4 - التفخيم والتعظيم [وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين] كرره بطريق الاستفهام تفخيما .

5 - التفنن بذكر أصحاب الميمنة ، ثم بذكر أصحاب اليمين ، وكذلك بذكر المشئمة ، وذكر أصحاب الشمال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة] [وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين] .

---

6 - تأكيد المدح بما يشبه الذم [لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما] لأن السلام ليس من جنس اللغو والتأثيم ، فهو مدح لهم بإفشاء السلام ، وهذا كقول القائل " لا ذنب لى إلا محبتك " .

7 - التهكم والاستهزاء [هذا نزلهم يوم الدين] أي هذا العذاب أول ضيافتهم يوم القيامة ففيه سخرية وتهكم بهم لأن النزل هو أول ما يقدم للضيف من الكرامة ، وهذا إهانة وليس بكرامة .

8 - الالتفات من الخطاب إلى الغيبة [ثم إنكم أيها الضالون المكذبون] - ثم قال بعد ذلك ملتفتا عن خطابهم [هذا نزلهم يوم الدين] وذلك للتحقير من شأنهم ، والأصل هذا نزلكم

9 - الجملة الاعتراضية وفائدتها لفت الأنظار إلى أهمية القسم [وإنه لقسم - لو تعلمون - عظيم] جاءت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجملة الاعتراضية [لو تعلمون] بين الصفة والموصوف ، للتهويل من شأن القسم .

10 - توافق الفواصل في الحرف الأخير مما يزيد في رونق الكلام وجماله مثل [في سدر مخضود وطلح منضود ، وظل ممدود] ومثل [فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم] ويسمى هذا بالسجع المرصع ، وهو من المحسنات البديعية .

لطيفة :

المناسبة بين المقسم به وهو (النجوم) وبين المقسم عليه وهو (القرآن) [فلا أقسم بمواقع النجوم " وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم ، أن النجوم جعلها الله ليهتدي بها الناس في ظلمات البر والبحر ، وآيات القرآن يهتدى بها في ظلمات الجهل والضلالة ، وتلك ظلمات حسية ، وهذه ظلمات معنوية ، فالقسم هنا جاء جامعا بين الهدايتين : الحسية للنجوم ، والمعنوية للقرآن ، فهذا وجه المناسبة ، والله أعلم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سورة الحديد

مدنية وآياتها تسع وعشرون آية

بين يدي السورة

* هذه السورة الكريمة من السور المدنية ، التي تعنى بالتشريع والتربية والتوجيه ، وتبنى المجتمع الإسلامي على أساس العقيدة الصافية ، والخلق الكريم ، والتشريع الحكيم .

* وقد تناولت السورة الكريمة " سورة الحديد " ثلاثة مواضيع رئيسية هي :

أولا : أن الكون كله لله جل وعلا ، هو خالقه ومبدعه ، والمتصرف فيه بما يشاء .

ثانيا : وجوب التضحية بالنفس والنفيس ، لإعزاز دين الله ، ورفع منار الإسلام ، الذي ختم الله به الرسالات السماوية . ثالثا : تصوير حقيقة الدنيا بما فيها من بهرج ومتاع خادع ، حتى لا يغتر بها الإنسان ، وينسى الآخرة .

* ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن عظمة الخالق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جل وعلا ، الذي سبح له كل ما في الكون ، من شجر ، وحجر ، ومدر ، وإنسان ، وحيوان ، وجماد ، فالكل ناطق بعظمته ، شاهد بوحدانيته [سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم] الآيات .

* ثم ذكرت صفات الله الحسنى ، وأسماءه العليا ، فهو الأول بلا بداية ، والآخر بلا نهاية ، والظاهر بآثار مخلوقاته ، والباطن الذي لا يعرف كنه حقيقته أحد ، وهو الخالق للإنسان ، والمدبر للأكوان [له ملك السموات والأرض يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير هو الأول والأخر والظاهر والباطن ..] الآيات .

* ثم تلتها الآيات وهي تدعو المسلمين إلى البذل والسخاء والإنفاق في سبيل الله ، بما يحقق عزة الإسلام ورفعة شأنه ، فلابد للمؤمن من الجهاد بالنفس والمال لينال السعادة في الدنيا ، والمثوبة في الآخرة [آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير] الآيات .

* وتحدثت السورة عن أهل الإيمان ، وأهل النفاق ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالمؤمنون يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ، والمنافقون يتخبطون في الظلمات ، كما كانوا في الدنيا يعيشون كالبهائم ، في ظلمات الجهل والغي والضلال [يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ..] الآيات .

* وتحدثت السورة عن حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة ، وصورتهما أدق تصوير ، فالدنيا دار الفناء ، فهي زائلة فانية ، كمثل الزرع الزاهي الخصيب ، الذي ينبت بقوة بنزول الغيث ، ثم يصفر ويذبل ، حتى يصير هشيما وحطاما تذروه الرياح ، بينما الآخرة دار الخلود ، والبقاء ، التي لا نصب فيها ولا تعب ، ولا هم ولا شقاء [اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو ، وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد . .] الآيات .

* وختمت السورة الكريمة بالغاية من بعثة الرسل الكرام ، والأمر بتقوى الله عز وجل ، والاقتداء بهدي رسله وأنبيائه [ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ...] الآيات إلى نهاية السورة الكريمة .

التسمية :

سميت السورة " سورة الحديد " لذكر الحديد فيها ، وهو قوة الإنسان فى السلم والحرب ، وعدته في البنيان والعمران ، فمن الحديد تبنى الجسور الضخمة ، وتشاد العمائر ، وتصنع الدروع ، والسيوف والرماح ، وتكون الدبابات والغواصات والمدافع الثقيلة إلى غير ما هنالك من منافع .

قال الله تعالى : [سبح لله ما في السموات والأرض ..] إلى قوله [هي مولاكم وبئس المصير] . من آية (1) إلى نهاية آية (15) .

اللغة :

[سبح] نزه الله ومجده وقدسه

[العزيز] القوي الغالب على كل شيء

[الأول] السابق على جميع الموجودات

[الآخر] الباقي بعد فنائها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يلج] يدخل

[يعرج] يصعد

[الظاهر] بوجوده ومصنوعاته وآثاره

[الباطن] بكنه ذاته عن إدراك الأبصار له

[الحسنى] المثوبة الحسنة والمراد بها الجنة

[انظرونا] انتظرونا

[نقتبس] نستضيء ونهتدي بنوركم

[سور] حاجز بين الجنة والنار

[الغرور] الشيطان وكل من خدع فهو غار وغرور .

التفسير :

[سبح لله ما في السموات والأرض] أي مجد الله ونزهه عن السوء ، كل ما في الكون ، من إنسان ، وحيوان ، ونبات ، وجماد ، قال الصاوي : والتسبيح تنزيه المولى عن كل ما لا يليق به ، قولا ، وفعلا ، واعتقادا ، من سبح في الأرض والماء ، إذا ذهب وأبعد فيهما ، وتسبيح العقلاء بلسان المقال ، وتسبيح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجماد بلسان الحال ، أي أن ذاتها دالة على تنزيه صانعها عن كل نقص ، وقيل بلسان المقال أيضا وهو الأصح ، لقوله تعالى [ولكن لا تفقهون تسبيحهم] وقال الخازن : تسبيح العقلاء تنزيه الله عز وجل عن كل سوء ، وعما لا يليق بجلاله ، وتسبيح غير العقلاء من ناطق وجماد اختلفوا فيه ، فقيل : تسبيحه دلالته على صانعه ، فكأنه ناطق بتسبيحه ، وقيل : تسبيحه بالقول ، ويدل عليه قوله تعالى : [وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم] أي لا تفهمون كلامهم ، والحق أن التسبيح هو القول الذي لا يصدر إلا من العاقل ، العارف بالله تعالى ، وما سوى العاقل ففي تسبيحه وجهان : أحدهما : أنها تدل على تعظيمه وتنزيهه والثاني : أن جميع الموجودات بأسرها منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء ، فإن حملنا التسبيح على القول كان المراد بقوله : [سبح له ما في السموات والأرض] الملائكة والمؤمنون العارفون بالله ، وإن حملنا التسبيح على التسبيح المعنوي ، فجميع أجزاء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السموات وما فيها من شمس ، وقمر ، ونجوم وغير ذلك وجميع ذرات الأرضين وما فيها من جبال ، وبحار ، وشجر ، ودواب ، وغير ذلك ، كلها مسبحة خاشعة ، خاضعة لجلال عظمة الله ، منقادة له ، يتصرف فيها كيف يشاء ، فإن قيل : قد جاء في بعض فواتح السور [سبح لله] بلفظ الماضي ، وفي بعضها [يسبح لله] بلفظ المضارع ، فما المراد ؟ قلت : فيه إشارة إلى كون جميع الأشياء ، مسبحة لله أبدا ، والتسبيح غير مختص بوقت دون وقت ، بل هي كانت مسبحة أبدا في الماضي ، وستكون مسبحة أبدا في المستقبل

[وهو العزيز الحكيم] أي وهو الغالب على أمره ، الذي لا يمانعه ولا ينازعه شيء ، الحكيم في أفعاله الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة . . ثم ذكر تعالى طرفا من بيان عظمته وقدرته فقال :

[له ملك السموات والأرض يحيي ويميت] أي هو جل وعلا المالك المتصرف في خلقه ، يحيى من يشاء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، ويميت من يشاء ، قال القرطبي : يميت الأحياء في الدنيا ، ويحي الأموات ، للبعث والنشور

[وهو على كل شيء قدير] أي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، ولفظ [قدير] مبالغة في القادر ، لأن " فعيل " من صيغ المبالغة

[هو الأول والآخر] أي ليس لوجوده بداية ، ولا لبقائه نهاية

[والظاهر والباطن] أي الظاهر للعقول بالأدلة والبراهين الدالة على وجوده ، الباطن الذي لا تدركه الأبصار ، ولا تصل العقول إلى معرفة كنه ذاته وفي الحديث : (أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء قال شيخ زاده : وقد فسر صاحب الكشاف (الباطن) بأنه غير المدرك بالحواس ، وهو تفسير بحسب التشهي ، يزيد مذهبه من استحالة رؤية الله في الآخرة ، والحق أنه تعالى ظاهر بوجوده ، باطن بكنهه ، وأنه تعالى جامع بين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الوصفين ، أولا وأبدا
[وهو بكل شيء عليم] أي هو تعالى عالم بكل ذرة في الكون ، لا يعزب عن علمه شيء ، في الأرض ولا في السماء
[هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام] أي خلقهما في مقدار ستة أيام ، ولو شاء لخلقهما بلمح البصر ، وهو تحقيق لعزته ، وكمال قدرته ، كما أن قوله : [يعلم ما يلج في الأرض] تحقيق لحكمته ، وكمال علمه

[ثم استوى على العرش] استواء يليق بجلاله ، من غير تمثيل ولا تكييف ((قال في التسهيل : حمل قوم الاستواء على ظاهره ، وتأوله قوم بمعنى قصد كقوله " ثم استوى إلى السماء " ولو كان كذلك لقال : ثم استوى إلى العرش ، وتأولها آخرون أنها بمعنى استولى بالملك والقدرة . . والحق هو الايمان به من غير تكييف ، فإن السلامة في التسليم ، ولله در مالك حين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سأله رجل عن ذلك فقال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عن هذا بدعة ، وقد روي مثل قول مالك عن " أبي حنيفة " و " جعفر الصادق " و " الحسن البصري " ولم يتكلم الصحابة ولا التابعون في معنى الاستواء ، بل امسكوا عنه ، ولذلك قال مالك : السؤال عنه بدعة)).

[يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها] أي يعلم ما يدخل في الأرض ، من مطر وأموات ، وما يخرج منها من معادن ونبات وغير ذلك

[وما ينزل من السماء وما يعرج فيها] أي وما ينزل من السماء من الأرزاق ، والملائكة ، والرحمة ، والعذاب ، وما يصعد فيها من الملائكة والأعمال الصالحة ، كقوله [إليه يصعد الكلم الطيب]

[وهو معكم أين ما كنتم] أي هو جل وعلا حاضر مع كل أحد بعلمه وإحاطته ، قال ابن عباس : هو عالم بكم أينما كنتم ، قال ابن كثير : أي هو رقيب عليكم ، شهيد على أعمالكم ، حيث كنتم وأين كنتم ، من بر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبحر ، في ليل أو نهار ، في البيوت أو القفار ، الجميع في علمه على السواء ، يسمع كلامكم ويرى مكانكم ، ويعلم سركم ونجواكم

[والله بما تعملون بصير] أي رقيب على أعمال العباد ، مطلع على كل صغيرة وكبيرة

[له ملك السموات والأرض] كرره للتأكيد والتمهيد لإثبات الحشر والنشر أي هو المعبود على الحقيقة ، المتصرف في الخلق كيف يشاء

[وإلى الله ترجع الأمور] أي إليه وحده مرجع أمور الخلائق في الآخرة فيجازيهم على أعمالهم

[يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل] أي هو المتصرف في الكون كيف يشاء ، يقلب الليل والنهار بحكمته وتقديره ، ويدخل كلا منهما في الآخر ، منارة يطول الليل ويقصر النهار ، وأخرى بالعكس

[وهو عليم بذات الصدور] أي هو العالم بالسرائر والضمائر ، وما فيها من النوايا والخفايا ، ومن كانت هذه صفته فلا يجوز أن يعبد سواه .. ثم لما ذكر دلائل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عظمته وقدرته ، أمر بتوحيده وطاعته فقال :

[أمنوا بالله ورسوله] أي صدقوا بأن الله واحد وأن محمدا عبده ورسوله

[وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه] أي وتصدقوا من الأموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرف فيها ، فهي في الحقيقة لله لا لكم ، قال فى التسهيل : يعني أن الأموال التي بأيديكم إنما هي أموال الله لأنه خلقها ، ولكنه متعكم بها وجعلكم خلفاء بالتصرف فيها ، فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء ، فلا تمنعوها من الإنفاق فيما أمركم مالكها أن تنفقوها فيه ((وقيل المعنى : مما جعلكم خلفاء عمن كان قبلكم ، فيما كان بأيديهم ، فانتقل لكم بالإرث وسيخلفكم فيه من بعدكم ، والأول اظهر)) ، والمقصود التحريض على الإنفاق والتزهيد في الدنيا ، ولهذا قال بعده :

[فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير] أي فالذين جمعوا بين الإيمان الصادق ، والإنفاق في سبيل الله ، ابتغاء وجهه الكريم ، لهم أجر عظيم وهو الجنة ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أبو السعود : وفي الآية من المبالغات ما لا يخفى ، حيث جعل الجملة إسمية [فالذين آمنوا] وأعيد ذكر الإيمان والإنفاق [آمنوا وأنفقوا] وكرر الإسناد [لهم] وفخم الأجر بالتنكير ووصفه بالكبير [لهم أجر كبير]

[وما لكم لا تؤمنون بالله] استفهام للإنكار والتوبيخ أي أي عذر لكم في ترك الإيمان بالله ؟

[والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم] أي والحال أن الرسول (ص)يدعوكم للإيمان بربكم وخالقكم ، بالبراهين القاطعة ، والحجج الدامغة

[وقد أخذ ميثاقكم] أي وقد أخذ الله ميثاقكم - وهو العهد المؤكد - بما ركز فى العقول ، من الأدلة الدالة على وجود الله ، بنصب الأدلة ، والتمكين من النظر وقال الخازن : أخذ ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر آدم ، وأعلمكم بأن الله ربكم لا إله لكم سواه ، وقيل : أخذ ميثاقكم حيث ركب فيكم العقول ، ونصب لكم الأدلة والبراهين والحجج ، التي تدعو إلى متابعة الرسول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن كنتم مؤمنين] شرط حذف جوابه أي إن كنتم مؤمنين في وقت من الأوقات ، فالآن أحرى الأوقات ، لقيام الحجج والبراهين عليكم .. ثم ذكر تعالى بعض الأدلة الدالة على وجوب الإيمان ، فقال سبحانه :

[هو الذي ينزل على عبده آيات بينات] أي هو تعالى الذين ينزل على محمد (القرآن العظيم) ، المعجز فى بيانه ، الواضح في أحكامه ، قال القرطبى : يريد بالآيات البينات القرآن ، وقيل : المعجزات أي لزمكم الإيمان بمحمد (ص) لما معه من المعجزات ، والقرآن أكبرها وأعظمها

[ليخرجكم من الظلمات إلى النور] أي ليخرجكم من ظلمات الكفر ، إلى نور الهداية والإيمان

[وإن الله بكم لرءوف رحيم] أي مبالغ في الرأفة والرحمة بكم ، حيث أنزل الكتب ، وأرسل الرسل لهدايتكم ، ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية

[وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والأرض] ؟ أي أي شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله ، وفيما يقربكم من ربكم ؟ وأنتم تموتون وتخلفون أموالكم ، وهي صائرة إلى الله تعالى ؟ قال الإمام الفخر : المعنى إنكم ستموتون فتورثون ، فهلا قدمتموه في الإنفاق في طاعة الله !! وهذا من أبلغ الحث على الإنفاق في سبيل الله

[لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل] أي لا يستوي في الفضل من أنفق ماله ، وقال الأعداء مع رسول آلله ، قبل فتح مكة ، مع من أنفق ماله وقاتل بعد فتح مكة ، قال المفسرون : وإنما كانت النفقة قبل الفتح أعظم ، لأن حاجة الإسلام إلى الجهاد ، والإنفاق ، كانت أشد ، ثم أعز الله الإسلام ، بعد الفتح وكثر ناصريه ، ودخل الناس في دين الله أفواجا

[أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا] أي أعظم أجرا ، وأرفع منزلة ، من الذين أنفقوا من بعد فتح مكة ، وقاتلوا لإعلاء كلمة الله ، قال الكلبى : نزلت في " أبي بكر " لأنه أول من أسلم ، وأول من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنفق ماله في سبيل الله ، ودب عن رسول الله (ص)

[وكلا وعد الله الحسنى] أي وكلا ممن أمن وأنفق قبل الفتح ، ومن أمن وأنفق بعد الفتح ، وعده الله الجنة مع تفاوت الدرجات

[والله بما تعملون خبير] أي عالم بأعمالكم ، مطلع على خفاياكم ونواياكم ، ومجازيكم عليها ، وفي الآية وعد ووعيد

[من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا] أي من ذا الذي ينفق ماله في سبيل الله ابتغاء رضوانه

[فيضاعفه له] أي يعطيه أجره على إنفاقه مضاعفا

[وله أجر كريم] أي وله مع المضاعفة ثواب عظيم كريم ، وهو الجنة ، قال ابن كثير : أي جزاء جميل ورزق باهر وهو الجنة ، ولما نزلت هذه الآية قال " أبو الدحداح الأنصاري " يا رسول الله : وإن الله ليريد منا القرض ؟ قال : نعم يا ابا الدحداح ، قال : أرني يدك يا رسول الله ، فناوله يده ، قال : فإني قد أقرضت ربي حائطي - أي بستاني - وله فيه ستمائة نخلة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأم الدحداح فيه هى وعيالها ، فجاء أبو الدحداح فناداها : يا أم الدحداح قالت : لبيك ، قال : اخرجي فقد أقرضته ربى عز وجل ، فقالت : ربح بيعك يا أبا الدحداح ونقلت منه متاعها وصبيانها .. ثم أخبر تعالى عن المؤمنين الأبرار ، وما يتقدمهم من الأنوار وهم على الصراط فقال :

[يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم] أي أذكر يوم ترى أنوار المؤمنين والمؤمنات ، تتلألأ من أمامهم ومن جميع جهاتهم ليستضيئوا بها على الصراط ، وتكون وجوههم مضيئة ، كإضاءة القمر في سواد الليل

[بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار] أي ويقال لهم : أبشروا اليوم بجنات الخلد والنعيم ، التي تجري من تحت قصورها أنهار الجنة

[خالدين فيها] أي ماكثين فيها أبدا

[ذلك هو الفوز العظيم] أي الفوز الذي لا فوز بعده ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لأنه سبب السعادة الأبدية ، روي أن نور كل أحد على قدر إيمانه ، وأنهم متفاوتون في النور ، فمنهم من يضيء نوره ما قرب من قدميه ، ومنهم من يطفأ نوره مرة ويظهر مرة قال الزمخشري : وإنما قال : [بين أيديهم وبأيمانهم] لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين ، كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم . ولما شرح حال المؤمنين يوم القيامة ، أتبع ذلك بشرح حال المنافقين ، فقال سبحانه :

[يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم] أي انتظرونا لنستضيء من نوركم ، قال المفسرون : إن الله تعالى يعطي المؤمنين نورا يوم القيامة على قدر أعمالهم ، يمشون ، به على الصراط ، ويترك الكافرين والمنافقين بلا نور ، فيستضيء المنافقون بنور المؤمنين ، فبينما هم يمشون ، إذ بعث الله فيهم ريحا وظلمة ، فبقوا في الظلمة لا يبصرون مواضع أقدامهم ، فيقولون للمؤمنين :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

انتظرونا لنستضيء بنوركم

[قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا] أي فيقول لهم المؤمنون سخرية واستهزاء بهم : ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا هذه الأنوار هناك !! قال أبو حيان : وقد علموا أن لا نور وراءهم ، وإنما هو إقناط لهم

[فضرب بينهم بسور له باب] أي فضرب بين المؤمنين والمنافقين بحاجز له باب ، يحجز بين أهل الجنة وأهل النار

[باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب] أي في باطن السور الذي هو جهة المؤمنين الرحمة وهي الجنة ، وفي ظاهره وهو جهة الكافرين العذاب وهو النار ، قال ابن كثير : هو سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين ، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه ، فاذا استكملوا دخولهم أغلق الباب ، وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب

[ينادونهم ألم نكن معكم] أي ينادي المنافقون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المؤمنين : ألم نكن معكم في الدنيا ، نصلي كما تصلون ، ونصوم كما تصومون ، ونحضر الجمعة والجماعات ، ونقاتل معكم في الغزوات ؟

[قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم] أي قال لهم المؤمنون : نعم كنتم معنا في الظاهر ، ولكنكم أهلكتم أنفسكم بالنفاق

[وتربصتم] أي انتظرتم بالمؤمنين الدوائر

[وارتبتم] أي شككتم في أمر الدين

[وغرتكم الأماني] أي خدعتكم الأماني الفارغة بسعة رحمة الله

[حتى جاء أمر الله] أي حتى جاءكم الموت

[وغركم بالله الغرور] أي وخدعكم الشيطان الماكر بقوله : أن الله عفو كريم لا يعذبكم ، قال قتادة : ما زالوا على خدعة من الشيطان ، حتى قذفهم الله في نار جهنم قال المفسرون : الغرور بفتح الغين : الشيطان ، لأنه يغر ويخدع الإنسان ، قال تعالى : [فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور إن الشيطان لكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عدو فاتخذوه عدوا]

[فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا] أي ففي هذا اليوم العصيب ، لا يقبل منكم بدل ولا عوض ، يا معشر المنافقين ، ولا من الكافرين الجاحدين بالله وآياته ، وفي الحديث : (إن الله تعالى يقول للكافر : أرأيتك لو كان لك أضعاف الدنيا أكنت تفتدي بجميع ذلك من عذاب النار ؟! فيقول : نعم يا رب ، فيقول الله تبارك وتعالى : قد سألتك ما هو أيسر من ذلك وأنت في ظهر أبيك آدم ، أن لا تشرك بي ، فأبيت إلا الشرك)

[مأواكم النار] أي مقامكم ومنزلكم نار جهنم

[هي مولاكم] أي هي عونكم وسندكم وناصركم ، لا ناصر لكم غيرها ، وهو تهكم بهم وسخرية لاذعة

[وبئس المصير] أي وبئس المرجع والمنقلب نار جهنم . قال بعض العلماء : " السعيد من لا يغتر بالطمع ، ولا يركن إلى الخدع ، ومن أطال الأمل نسى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العمل ، وغفل عن الأجل " . ***

قال الله تعالى : [ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ..] إلى قوله [والله ذو الفضل العظيم] .من آية (16) إلى آية (29) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما ذكر تعالى اغترار المنافقين والكافرين بالحياة الدنيا ، نبه المؤمنين ألا يكونوا مثلهم ، أو مثل أهل الكتاب بالاغترار بدار الفناء ، ثم ضرب مثلا للحياة الدنيا وبهرجها الخادع الكاذب ، وختم السورة الكريمة ببيان فضيلة التقوى والعمل الصالح ، وأرشد المؤمنين إلى مضاعفة الأجر والنور باتباعهم هدي الرسول (ص).

اللغة :

[يأن] يحن يقال : أنى يأنى مثل رمى يرمي أي حان ، قال الشاعر : ألم يأن لي يا قلب أن أترك الجهلا وأن يحدث الشيب المبين لنا عقلا ؟

[تخشع] تذل وتلين

[الأمد] الأجل أو الزمان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يهيج] هاج الزرع إذا جف ويبس ، بعد خضرته ونضارته

[حطاما] فتاتا يتلاشى بالرياح

[قفينا] ألحقنا وأتبعنا

[كفلين] مثنى كفل وهو النصيب .

سبب النزول :

لما قدم المؤمنون المدينة ، أصابوا من لين العيش ورفاهيته ، ففتروا عن بعض ما كانوا عليه ، فعوتبوا ونزلت هذه الآية [ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله] قال ابن مسعود : (ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ، إلا أربع سنوات).

التفسير :

[ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله] أي أما حان للمؤمنين أن ترق قلوبهم ، وتلين لمواعظ الله ؟

[وما نزل من الحق] أي وترق لما نزل من آيات القرآن المبين ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل] أي ولا يكونوا كاليهود والنصارى ، الذين أعطاهم الله التوراة والإنجيل

[فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم] أي فطال عليهم الزمن الذي بينهم وبين أنبيائهم ، حتى صلبت قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة ، قال ابن عباس : [قست قلوبهم] مالوا إلى الدنيا ، وأعرضوا عن مواعظ القرآن ، وقال أبو حيان : أي صلبت بحيث لا تنفعل للخير والطاعة والغرض أن الله يحذر المؤمنين أن يكونوا مع القرآن كاليهود والنصارى ، حين قست قلوبهم لما طال عليهم الزمان

[وكثير منهم فاسقون] أي وكثير من أهل الكتاب خارجون عن طاعة الله ، راقضون لتعاليم دينهم ، من فرط قسوة القلب ، قال ابن كثير : نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى ، لما تطاول عليهم الزمن بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم ، ونبذوه وراء ظهورهم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، فعند ذلك قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة ، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد

[اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها] أي اعلموا يا معشر المؤمنين أن الله يحي الأرض القاحلة المجدبة بالمطر ، ويخرج منها النبات بعد يبسها ، وهو تمثيل لإحياء القلوب القاسية ، بالذكر وتلاوة القرآن ، كما تحيا الأرض المجدبة بالغيث الهتان ، قال ابن عباس : يلين القلوب بعد قسوتها ، فيجعلها مخبتة منيبة ، وكذلك يحي القلوب الميتة بالعلم والحكمة قال في البحر : ويظهر أنه تمثيل لتليين القلوب بعد قسوتها ، ولتأثير ذكر الله فيها ، فكما يؤثر الغيث في الأرض فتعود بعد إجدابها مخصبة ، كذلك تعود القلوب النافرة مقبلة ، يظهر فيها أثر الخشوع والطاعات

[قد بينا لكم الآيات] أي وضحنا لكم الحجج والبراهين ، الدالة على كمال قدرتنا ووحدانيتنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لعلكم تعقلون] أي لكي تعقلوا وتتدبروا ما أنزل الله في القرآن

[إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا] أي الذين تصدقوا بأموالهم على الفقراء ابتغاء وجه الله ، والذين أنفقوا في سبيل الله ، وفى وجوه البر والإحسان ، طيبة بها نفوسهم

[يضاعف لهم ولهم أجر كريم] أي يضاعف لهم ثوابهم ، بأن تكتب الحسنة بعشر أمثالها ، ولهم فوق ذلك ثواب حسن جزيل وهو الجنة ، قال المفسرون : أصل [المصدقين] المتصدقين أدغمت التاء في الصاد فصارت المصدقين ، ومعنى القرض الحسن : هو التصدق عن طيب النفس ، وخلوص النية للفقير ، فكان الإنسان بإحسانه إلى الفقير ، قد أقرض الله قرضا يستحق عليه الوفاء في دار الجزاء

[والذين آمنوا بالله ورسله] أي صدقوا بوحدانية الله ووجوده ، وآمنوا برسله إيمانا راسخا كاملا ، لا يخالجه شك ولا ارتياب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم] أي أولئك الموصوفون بالإيمان بالله ورسله ، هم الذين جمعوا أعلى المراتب ، فحازوا درجة الصديقية والشهادة في سبيل الله ، قال مجاهد : كل من آمن بالله ورسله فهو صديق وشهيد

[لهم أجرهم ونورهم] أي لهم في الآخرة الثواب الجزيل ، والنور الذي يسعى ببن أيديهم وبأيمانهم

[والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم] أي والذين جحدوا بوحدانية الله وكذبوا بآياته ، أولئك هم المخلدون في دار الجحيم ، قال البيضاوي : فيه دليل على أن الخلود في النار مخصوص بالكفار ، من حيث إن الصيغة تشعر بالاختصاص [أولئك أصحاب الجحيم] والصحبة تدل على الملازمة .. ولما ذكر أحوال المؤمنين والكافرين ، ذكر بعده ما يدل على حقارة الدنيا ، وكمال حال الآخرة ، فقال سبحانه :

[اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب] أي اعلموا يا معشر السامعين ، أن هذه الحياة الدنيا ما هي إلا لعب ، يتعب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الناس فيها أنفسهم ، كإتعاب الصبيان أنفسهم باللعب

[ولهو] أي وشغل للإنسان يشغله عن الآخرة وطاعة الله

[وزينة] أي وزينة يتزين بها الجهلاء ، كالملابس السنة ، والمراكب البهية ، والمنازل الرفيعة

[وتفاخر بينكم] أي ومباهاة وافتخار بالأحساب والأنساب ، والمال والولد ، كما قال القائل : أرى أهل القصور إذا أميتوا بنوا فوق المقابر بالصخور أبوا إلا مباهاة وفخرا على الفقراء حتى في القبور

[وتكاثر في الأموال والأولاد] أي مباهاة بكثرة الأموال والأولاد ، قال ابن عباس : يجمع المال من سخط الله ، ويتباهى به على أولياء الله ، ويصرقه في مساخط الله ، فهو ظلمات بعضها فوق بعض

[كمثل غيث أعجب الكفار نباته] أي كمثل مطر غزير أصاب أرضا ، فأعجب الزراع نباته الناشىء عنه

[ثم يهيج فتراه مصفرا] أي ثم ييبس بعد خضرته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونضرته ، فتراه مصفر اللون بعد أن كان زاهيا ناضرا

[ثم يكون حطاما] أي ثم يتحطم ويتكسر بعد يبسه وجفاقه ، فيصبح هشيما تذروه الرياح ، كذلك حال الدنيا ، قال القرطبي : والمراد بالكفار هنا الزراع ، لأنهم يغطون البذر ، ومعنى الآية أن الحياة الدنيا كالزرع يعجب الناظرين إليه ، لخضرته بكثرة الأمطار ، ثم لا يلبث أن يصير هشيما كأن لم يكن ، وإذا أعجب الزراع فهو في غاية الحسن

[وفي الأخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان] أي والجزاء في الآخرة ، إما عذاب شديد للفجار ، وإما مغفرة من الله ورضوان للأبرار

[وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور] أي وليست الحياة الدنيا في حقارتها وسرعة انقضائها ، إلا متاع زائل ، ينخدع بها الغافل ، ويغتر بها الجاهل ، قال سعيد بن جبير : الدنيا متاع الغرور ، إن ألهتك عن طلب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الآخرة ، فأما إذا دعتك إلى طلب رضوان الله وطلب الآخرة ، فنعم المتاع ونعم الوسيلة .. ولما حقر الدنيا وصغر أمرها ، وعظم الآخرة وفخم شأنها ، حث على المسارعة إلى نيل مرضاة الله ، التي هي سبب للسعادة الأبدية في دار الخلود والجزاء ، فقال سبحانه :

[سابقوا إلى مغفرة من ربكم] أي تسابقوا أيها الناس وسارعوا بالأعمال الصالحة ، التي توجب المغفرة لكم من ربكم ، قال أبو حيان : وجاء التعبير بلفظ

[سابقوا] كأنهم في ميدان سباق يجرون إلى غاية ، مسابقين إليها ، والمعنى : سابقوا إلى سبب مغفرة وهو الإيمان ، وعمل الطاعات

[وجنة عرضها كعرض السماء والأرض] أي وسارعوا إلى جنة واسعة فسيحة ، عرضها كعرض السموات السبع مع الأرض مجتمعة ، قال السدي : إن الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات السبع والأرضين السبع ، ولا شك أن طولها أزيد من عرضها ، فذكر العرض تنبيها على أن طولها أضعاف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذلك وقال البيضاوي : إذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول ((تفسير البيضاوي والآية تمثيل للسعة ، وإلا فإن أقل أهل الجنة ، من له قدر الدنيا وعشرة أمثالها ، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في كتاب الإيمان)).

[أعدت للذين آمنوا بالله ورسله] أي هيأها الله وأعدها للمؤمنين المصدقين بالله ورسله ، قال المفسرون : وفي الآية دلالة على أن الجنة مخلوقة وموجودة ، لأن ما لم يخلق بعد ، لا يوصف بأنه أعد وهيئ

[ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء] أي ذلك الموعود به من المغفرة والجنة ، هو عطاء الله الواسع ، يتفضل به على من يشاء من عباده ، من غير إيجاب

[والله ذو الفضل العظيم] أي ذو العطاء الواسع ، والإحسان الجليل

[ما أصاب من مصيبة في الأرض] أي ما يحدث في الأرض مصيبة من المصائب ، كقحط ، وزلزلة ، وعاهة في الزروع ، ونقص في الثمار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا في أنفسكم] أي من الأمراض ، والأوصاب ، والفقر ، وذهاب الأولاد

[إلا في كتاب من قبل أن نبرأها] أي إلا وهي مكتوبة في اللوح المحفوظ ، من قبل أن نخلقها ونوجدها ، قال في التسهيل : المعنى أن الأمور كلها مقدرة في الأزل ، مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل أن تكون ، وفي الحديث : (إن الله كتب مقادير الأشياء ، قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وعرشه على الماء)

[إن ذلك على الله يسير] أي إن إثبات ذلك على كثرته ، سهل هين على الله عز وجل ، وإن كان عسيرا على العباد .. ثم بين تعالى لنا الحكمة في اعلامنا عن كون هذه الأشياء ، واقعة بالقضاء والقدر ، فقال سبحانه :

[لكيلا تأسوا على ما فاتكم] أي أثبت وكتب ذلك ، كي لا تحزنوا على ما فاتكم من نعيم الدنيا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا تفرحوا بما آتاكم] أي ولكي لا تبطروا بما أعطاكم الله ، من زهرة الدنيا ونعيمها ، قال المفسرون : والمراد بالحزن الحزن الذي يوجب القنوط ، وبالفرح الفرح الذي يورث الأشر والبطر ، ولهذا قال ابن عباس : (ليس من أحد إلا وهو يحزن ويفرح ، ولكن المؤمن يجعل مصيبته صبرا ، وغنيمته شكرا)ومعنى الآية : لا تحزنوا حزنا يخرجكم إلى أن تهلكوا أنفسكم ، ولا تفرحوا فرحا شديدا يطغيكم حتى تأشروا فيه وتبطروا ، ولهذا قال بعض العارفين " من عرف سر الله في القدر ، هانت عليه المصائب " وقال عمر رضي الله عنه : (ما أصابتني مصيبة إلا وجدت فيها ثلاث نعم : الأولى : أنها لم تكن في ديني ، الثانية : أنها لم تكن أعظم مما كانت ، الثالثة : أن الله يعطي عليها الثواب العظيم والأجر الكبير) وقرأ [وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون] أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والله لا يحب كل مختال فخور] أي لا يحب كل متكبر ، معجب بما أعطاه الله من حظوظ الدنيا ، فخور به على الناس .. ثم بين تعالى أوصاف هؤلاء المذمومين فقال :

[الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل] أي يبخلون بالإنفاق في سبيل الله ، ولا يكفيهم ذلك حتى يأمروا الناس بالبخل ، ويرغبوهم في الإمساك

[ومن يتول] أي ومن يعرض عن الإنفاق

[فإن الله هو الغنى الحميد] أي فإن الله مستغن عنه وعن إنفاقه ، محمود في ذاته وصفاته ، لا يضره الإعراض عن شكره ، ولا تنفعه طاعة الطائعين ، وفيه وعيد وتهديد

[لقد أرسلنا رسلنا بالبينات] اللام موطئة لقسم محذوف ، أي والله لقد بعثنا رسلنا ، بالحجج القواطع ، والمعجزات البينات

[وأنزلنا معهم الكتاب والميزان] أي وأنزلنا معهم الكتب السماوية ، التي فيها سعادة البشرية ، وأنزلنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القانون الذي يحكم به بين الناس ، وفسر بعضهم الميزان بأنه (العدل) ، وقال ابن زيد : هو ما يوزن به ويتعامل

[ليقوم الناس بالقسط] أي ليقوم الناس بالحق والعدل فى معاملاتهم

[وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد] أي وخلقنا وأوجدنا الحديد ، فيه بأس شديد ، لأن الآت الحرب تتخذ منه ، كالدروع ، والرماح ، والتروس ، والدبابات ، وغير ذلك

[ومنافع للناس] أي وفيه منافع كثيرة للناس ، كسكك الحراثة ، والسكين ، والفأس وغير ذلك ، وما من صناعة إلا والحديد آلة فيها ، حتى البناء والعمران ، قال أبو حيان : وعبر تعالى عن إيجاده (بالإنزال) كما قال : [وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج] لأن الأوامر وجميع القضايا والأحكام ، لما كانت تلقى من السماء ، جعل الكل نزولاً منها ، وأراد بالحديد جنسه من المعادن التي خلقها الله في الأرض ، قاله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجمهور :

[وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب] عطف على محذوف مقدر ، أي وأنزلنا الحديد ليقاتل به المؤمنون أعداءهم ، ويجاهدوا لإعلاء كلمة الله ، وليعلم الله من ينصر دينه ورسله ، باستعمال السيوف والرماح ، وسائر الأسلحة ، مؤمنا بالغيب ، قال ابن عباس : ينصرونه ولا يبصرونه ، ثم قال تعالى :

[إن الله قوى عزيز] أي قادر على الانتقام من أعدائه بنفسه ، عزيز أي غالب لا يغالب ، فهو غنى بقدرته وعزته عن كل أحد ، قال البيضاوي : أي قوى على إهلاك من أراد إهلاكه ، عزيز لا يفتقر إلى نصرة أحد ، وإنما أمرهم بالجهاد لينتفعوا به ، ويستوجبوا الثواب وقال ابن كثير : معنى الآية أنه جعل الحديد ، رادعا لمن أبى الحق وعانده ، بعد قيام الحجة عليه ، ولهذا أقام رسول الله (ص)بمكة ثلاث عشرة سنة ، توحى إليه السور ، ويقارعهم بالحجة والبرهان ، فلما قامت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحجة على من خالف أمر الله ، شرع آلله الهجرة ، وأمر المؤمنين بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب ، ولهذا قال عليه السلام : (بعثت بالسيف بين يدي الساعة ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم)ثم قال تعالى : [إن الله قوي عزيز] أي هو قوي عزيز ، ينصر من شاء من غير احتياج منه إلى الناس ، وإنما شرع الجهاد ليبلو بعضهم ببعض

[ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب] لما ذكر بعثة الرسل ، ذكر هنا شيخ الأنبياء نوحا عليه السلام ، وأبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، وبين أنه جعل في نسلهما (النبوة) و(الكتب السماوية) والمعنى : والله لقد أرسلنا نوحا وإبراهيم ، وجعلنا النبوة في نسلهما ، كما أنزلنا الكتب الأربعة ، وهي (التورآة والزبور والإنجيل والقرآن) على ذريتهما ، وإنما خص نوحا وإبراهيم بالذكر ، تشريفا لهما ، وتخليدا لمآثرهما الحميدة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون] أي فمن ذرية نوح وإبراهيم أناس مهتدون ، وكثير منهم عصاة خارجون عن الطاعة ، وعن الطريق المستقيم

[ثم قفينا على آثارهم برسلنا] أي ثم أتبعنا بعدهم رسلنا الكرام ، أرسلناهم رسولا بعد رسول ، (موسى ، والياس ، وداود ، وسليمان ، ويونس) وغيرهم

[وقفينا بعيسى ابن مريم] أي وألحقنا عيسى وأتبعناه بعد أولئك الرسل ، لأنه كان آخر الأنبياء من بنى إسرائيل

[وآتيناه الإنجيل] أي وأنزلنا عليه الإنجيل ، الذي فيه البشارة بمحمد (ص)

[وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة] أي وجعلنا في قلوب أتباعه (الحواريين) الشفقة واللين ، قال في التسهيل : هذا ثناء من الله عليهم بمحبة بعضهم في بعض ، كما وصف تعالى أصحاب سيدنا محمد (ص) بأنهم [رحماء بينهم]

[ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم] أي ورهبانية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ابتدعها القسس والرهبان ، وأحدثوها من تلقاء أنفسهم ، ما فرضناها عليهم ولا أمرناهم بها ، قال أبو حيان : والرهبانية رفض النساء وشهوات الدنيا ، واتخاذ الصوامع ، ومعنى [ابتدعوها] أي أحدثوهأ من عند أنفسهم

[إلا ابتغاء رضوان الله] أي ما أمرناهم إلا بما يرضي الله ، والاستثناء منقطع ، والمعنى : ما كتبنا عليهم الرهبانية ، ولكنهم فعلوها من تلقاء أنفسهم ، ابتغاء رضوان الله

[فما رعوها حق رعايتها] أي فما قاموا بها حق القيام ، ولا حافظوا عليها كما ينبغي ، قال ابن كثير : وهذا ذم لهم من وجهين : أحدهما : الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله والثاني : في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة تقربهم إلى الله عز وجل ، وفي الحديث : (لكل أمة رهبانية ، ورهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله)

[فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم] أي فأعطينا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصالحين من أتباع عيسى الذين ثبتوا على العهد ، وآمنوا بمحمد (ص) ثوابهم مضاعفا

[وكثير منهم فاسقون] أي وكثير من النصارى ، خارجون عن حدود الطاعة ، منتهكون لمحارم الله ، كقوله تعالى : [إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله]

[يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله] أي يا من صدقتم بألله ورسوله ، اتقوا ربكم ، وخافوا عقابه ، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، ودوموا واثبتوا على الإيمان

[يؤتكم كفلين من رحمته] اي يعطكم ضعفين من رحمته

[ويجعل لكم نورا تمشون به] أي ويجعل لكم في الآخرة نورا تمشون به على الصراط ، كما يجعل لكم في الدنيا نورا ، تفرقون به بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، وهو نور الإيمان ، وفي الحديث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الإيمان)

[ويغفر لكم] أي ويغفر لكم ما أسلفتم من المعاصي

[والله غفور رحيم] أي عظيم المغفرة واسع الرحمة

[لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله] أي إنما بالغنا في هذا البيان ، ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على تخصيص فضل الله بهم ، ولا يمكنهم حصر الرسالة والنبوة فيهم ، فلا فى قوله :

[لئلا] زائدة ، والمعنى : ليعلم ، ومن أجل أن يعلم ، قال المفسرون : إن أهل الكتاب كانوا يقولون : الوحي والرسالة فينا ، والكتاب والشرع ليس إلأ لنا ، والله خضنا بهذه الفضيلة العظيمة من بين جميع العالمين ، فرد الله عليهم بهذه الآية الكريمة

[وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء] أي وأن أمر النبوة والهداية والإيمان ، بيد الرحمن ، يعطيه لمن يشاء من خلقه

[والله ذو الفضل العظيم] أي والله واسع الفضل والإحسان .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلى :

1 - الطباق بين [يحيي وبميت] وبين [الأول والآخر] وبين [الظاهر والباطن] .

2 -المقابلة بين [يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها] وبين [وما ينزل من السماء وما يعرج فيها] .

3 - رد العجز على الصدر [يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل] وهو وما سبقه من المحسنات البديعية .

4 - حذف الإيجاز [لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل] حذف فيه جملة [ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل] وذلك لدلالة الكلام عليه ويسمى هذا (الحذف بالإيجاز) .

5 - الاستعارة اللطيفة [ليخرجكم من الظلمات إلى النور] أي ليخرجكم من ظلمات الشرك ، إلى نور الإيمان ، فاستعار لفظ [الظلمات] للكفر والضلالة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولفظ [النور] للإيمان والهداية ، ففي الآية استعارة تمثيلية .

6 - الاستعارة التمثيلية [من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا] مثل لمن ينفق ماله ابتغاء وجه الله ، مخلصا في عمله ، بمن يقرض ربه قرضا واجب الوفاء بطريق الاستعارة التمثيلية ، وهي من لطائف أنواع الاستعارة .

7 - الأسلوب التهكمي [مأواكم النار هي مولاكم] أي لا ولي لكم ولا ناصر ينجيكم إلا (نار جهنم) وهو تهكم بهم لاذع .

8 - المقابلة اللطيفة بين قوله : [باطنه فيه الرحمة] وقوله : [وظاهره من قبله العذاب] فقابل بين (الباطن) و(الظا هر) ، وبين (الرحمة) و(العذاب) .

9 - التشبيه التمثيلي [كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ..] لأن وجه الشبه منتزع من متعدد.

10 - الجناس الناقص [أرسلنا رسلنا] لتغير الشكل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبعض الحروف .

11 - السجع المرصع كأنه الدر المنظوم [وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد] وقوله تعالى : [فضرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب] وهو كثير فى القرآن الكريم ، وهو من المحسنات البديعية .

سورة المجادلة

مدنية وآياتها اثنان وعشرون آية

بين يدي السورة

* سورة المجادلة مدنية ، وقد تناولت أحكاما تشريعية كثيرة كأحكام الظهار ، والكفارة التي تجب على المظاهر ، وحكم التناجى ، وآداب المجالس ، وتقديم الصدقة عند مناجاة الرسول (ص) ، وعدم مودة أعداء الله ، إلى غير ذلك ، كما تحدثت عن المنافقين وعن اليهود .

* ابتدأت السورة الكريمة ببيان قصة المجادلة (خولة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بنت ثعلبة) التي ظاهر منها زوجها - على عادة أهل الجاهلية في تحريم الزوجة بالظهار - وقد جاءت تلك المرأة رسول الله (ص)تشكو ظلم زوجها لها وقالت يا رسول الله : " أكل مالي ، وأفنى شبابي ، ونثرت له بطني ، حتى إذا كبرت سني ، وانقطع ولدي ، ظاهر مني) ورسول الله ، يقول لها : (ما أراك إلا قد حرمت عليه) ، فكانت تجادله وتقول يا رسول الله : ما طلقني ولكنه ظاهر مني ، فيرد عليها قوله السابق ، لم قالت : اللهم إني أشكو إليك ، فاستجاب الله دعاءها ، وفرج كربتها وشكواها [قد سمع الله قول التى تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله ..] الآيات .

* ثم تناولت حكم كفارة الظهار [الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم ، وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا ، وإن الله لعفو غفور . .] الآيات .

* ثم تحدثت عن موضوع التناجي ، وهو الكلام سرا بين اثنين فأكثر ، وقد كان هذا من دأب اليهود

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمنافقين لإيذاء المؤمنين ، فبينت حكمه وحذرت المؤمنين من عواقبه [ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم . .] الآيات .

* وتحدثت السورة عن اليهود اللعناء ، الذين كانوا يحضرون مجلس الرسول (ص) فيحيونه بتحية ملغوزة ، ظاهرها التحية والسلام ، وباطنها الشتيمة والمسئة ، كقولهم : السام عليك يا محمد يعنون الموت [وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله] الآيات .

* وتناولت السورة الحديث عن المنافقين بشيء من الإسهاب ، فقد اتخذوا اليهود بخاصة أصدقاء ، يحبونهم ويوالونهم وينقلون إليهم أسرار المؤمنين ، فكشفت الستار عن هؤلاء المذبذبين وفضحتهم [ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ..] الآيات .

* وختمت السورة الكريمة ببيان حقيقة الحب في الله ، والبغض في الله ، الذي هو أصل الإيمان ، وأوثق عرى الدين ، ولا بد في اكتمال الإيمان من معاداة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أعداء الله [لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم ، أو إخوانهم ، أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان . .] إلى آخر السورة الكريمة .

قال الله تعالى : [قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها . . .] إلى قوله [وعلى الله فليتوكل المؤمنون] . من آية (1) إلى نهآية آية (10) .

اللغة :

[تحاوركما] المحاورة : المراجعة في الكلام من حار الشيء يحور إذا رجع يرجع ، ومنه الدعاء المأثور " نعوذ بالله من الحور بعد الكور " قال عنترة في فرسه : لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام فكلمي

[يظاهرون] الظهار مشتق من الظهر يقال : ظاهر من امرأته إذا حرمها على نفسه بقوله : أنت على كظهر أمي

[منكرا] المنكر : كل ما قبحه الشرع وحزمه ونفر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منه ، وهو خلاف المعروف

[يحادون] المحادة : المعاداة والمخالفة في الحدود والأحكام وهي مثل المشاقة ، قال الزجاج : المحادة أن تكون في حد يخالف حد صاحبك ، وأصلها الممانعة

[كبتوا] الكبت : القهر والإذلال والخزي يقال : كبته أي قهره وأخزاه

[نجوى] النجوى : الكلام بين اثنين فأكثر سرا ، تناجى القوم تحدثوا فيما بينهم سرا

[حسبهم] كافيهم .

سبب النزول :

أ - روي أن " خولة بنت ثعلبة " امرأة " أوس بن الصامت " أراد زوجها مواقعتها يوما فأبت ، فغضب وظاهر منها ، فأتت رسول الله (ص) وقالت يا رسول الله : إن أوسا ظاهر مني بعد أن كبرت سني ، ورق عظمي ، وإن لي منه صبية صغارا ، إن ضممتهم إليه ضاعوا ، وإن ضممتهم إلى جاعوا ، فما ترى!! فقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لها : (ما أراك إلا قد حرمت عليه) ، فقالت يا رسول الله : والله ما ذكر طلاقا وهو أبو ولدي ، وأحب الناس إلى ، فجعل رسول الله (ص) يعيد قوله : (ما أراك إلا قد حرمت عليه) ، وهي تكرر قولها ، فما زالت تراجعه حتى نزل قوله تعالى : [قد سمع الله قول التى تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله ..] الآيات .

ب - وروى البخاري عن عائشة أنها قالت : تبارك الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلة - خولة بنت ثعلبة - فكلمت رسول الله (ص) وأنا في جانب البيت ، أسمع كلامها ويخفى علن بعضه ، وهي تشتكي زوجها وتقول يا رسول الله : أبلى شبابي ، ونثرت له بطني ، حتى إذا كبرت سنى ، وانقطع ولدي ، ظاهر مني ، اللهم إني أشكو إليك ، فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات .

التفسير :

[قد سمع الله قول التى تجادلك في زوجها] " قد " لا تدخل إلا على الأفعال ، وإذا دخلت على الماضي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أفادت التحقيق ، وإذا دخلت على المضارع أفادت التقليل كقولك : قد يجود البخيل ، وقد ينزل المطر ، والمعنى : حقا لقد سمع الله قول المرأة ، التي تراجعك وتحاورك في شأن زوجها ، قال الزمخشري : ومعنى سماعه تعالى لقولها إجابة دعائها ، لا مجرد علمه تعالى بذلك ، وهو كقول المصلي : سمع الله لمن حمده

[وتشتكي إلى الله] أي وتتضرع إلى الله تعالى في تفريج كربتها

[والله يسمع تحاوركما] أي والله جل وعلا يسمع حديثكما ، ومراجعتكما الكلام ، ماذا قالت لك ، وماذا رددت عليها

[إن الله سميع بصير] أي سميع لمن يناجيه ويتضرع إليه ، بصير بأعمال العباد ، وهو كالتعليل لما قبله ، وكلاهما من صيغ المبالغة أي مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات .. ثم ذم تعالى الظهار وبين حكمه وجزاء فاعله ، فقال سبحانه :

[الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم] أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذين يقولون لنسائهم : أنتن كظهور أمهاتنا ، يقصدون بذلك تحريمهن كتحريم أمهاتهن ، لسن في الحقيقة أمهاتهم ، وإنما هن زوجاتهم ، قال الإمام الفخر : الظهار هو عبارة عن قول الرجل لامرأته : أنت على كظهر أمي ، يقصد علوي عليك حرام ، كعلوي على أمي ، والعرب تقول في الطلاق : نزلت عن امرأتي أي طلقتها ، فغرضهم من هذه اللفظة تحريم معاشرتها تشبيها بالأم وقوله : [منكم] توبيخ للعرب ، وتهجين لعادتهم في الظهار ، لأنه كان من أيمان اهل الجاهلية خاصة دون سائر الأمم

[إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم] أي ما أمهاتهم في الحقيقة ، إلا الوالدات اللاتي ولدنهم من بطونهن ، وفي المثل " ولدك من دمى عقبيك " وهو تأكيد لقوله : [ما هن أمهاتهم] زيادة في التوضيح والبيان

[وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا] أي والحال إن هؤلاء المظاهرين ، ليقولون كلاما منكرا تنكره الحقيقة وينكره الشرع ، وهو كذب وزور وبهتان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإن الله لعفو غفور] أي مبالغ في العفو والمغفرة ، لمن تاب وأناب ، قال في التسهيل : أخبر تعالى أن الظهار منكر وزور ، فالمنكر هو الذي لا تعرف له حقيقة ، والزور هو الكذب ، وإنما جعله كذبا لأن المظاهر يجعل امرأته كأمه ، وهي لا تصير كذلك أبدا ، والظهار محرم ويدل على تحريمه أربعة أشياء :
أحدها قوله : [ما هن أمهاتهم] فإن ذلك تكذيب للمظاهر ، والثاني أنه سماه منكرا والثالث أنه سماه زورا والرابع قوله تعالى : [وإن الله لعفو غفور] فإن العفو والمغفرة لا تقع إلا عن ذنب ، والذنب مع ذلك لازم للمظاهر ، حتى يرفعه بالكفارة . . ثم بين تعالى طريق الكفارة عن هذا القول الشنيع فقال
[والذين يظاهرون من نسائهم] أي يظاهرون من زوجاتهم بتشبيههن بالأمهات
[ثم يعودون لما قالوا] أي يعودون عما قالوا ، ويندمون على ما فرط منهم ، ويرغبون في إعادة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أزواجهن إليهم

[فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا] أي فعليهم إعتاق رقبة - عبدا كان آو أمة - من قبل أن يعاشر زوجته التى ظاهر منها أو يجامعها ، والتماس كناية عن (الجماع) ودواعيه ، من التقبيل واللمس عند الجمهور ، قال الخازن : المراد من التماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التى ظاهر منها ما لم يكفر وقال القرطبي : لا يجوز للمظاهر الوطء قبل التكفير ، فإن جامعها قبل التكفير أثم وعصى ، ولا يسقط عنه التكفير ، وعن مجاهد تلزمه كفارتان

[ذلكم توعظون به] أي ذلكم هو حكم الله فيمن ظاهر ، ليتعظ به المؤمنون ، حتى تتركوا الظهار ولا تعودوا إليه

[والله بما تعملون خبير] أي عالم بظواهر الأمور وبواطنها ومجازيكم بها ، فحافظوا على حدود ما شرع لكم من الأحكام

[فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يتماسا] أي فمن لم يجد الرقبة التي يعتقها ، فعليه صيام شهرين متواليين من قبل الجماع ، قال المفسرون : لو أفطر يوما منها انقطع التتابع ، ووجب عليه ان يستأنفها

[فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا] أي فمن لم يستطع الصيام لكبر آو مرض ، فعليه أن يطعم ستين مسكينا ما يشبعهم

[ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله] أي ذلك الذي بيناه من أحكام الظهار ، من أجل أن تصدقوا بالله ورسوله ، في العمل بشرائعه ، ولا تستمروا على أحكام الجاهلية

[وتلك حدود الله] أي وتلك هي أوامر الله وحدوده فلا تعتدوها

[وللكافرين عذاب أليم] أي وللجاحدين والمكذبين بهذه الحدود ، عذاب مؤلم موجع ، قال الألوسي : أطلق الكافر على متعدي الحدود تغليظا وزجرا .. [ان الذين يحادون] لما ذكر تعالى المؤمنين الواقفين عند حدوده ، ذكر المحادين المخالفين لها ، فقال سبحانه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن الذين يحادون الله ورسوله] أي يخالفون أمر الله ورسوله ، ويعادون الله ورسوله ، وسمي العداء محادة ، لأن كلا من المتعاديين في حد وجهة ، غير حد الآخر وجهته ، وإنما ذكرت المحادة هنا دون المعاداة والمشاقة ، لمناسبة ذكر (حدود الله) فكان بينهما من حسن الموقع ما لا غاية وراءه

[كبتوا كما كبت الذين من قبلهم] أي خذلوا وأهينوا ، كما خذل من قبلهم من المنافقين والكفار ، الذين حادوا الله ورسله ، وأذلوا وأهينوا

[وقد أنزلنا آيات بينات] أي والحال أنا قد أنزلنا آيات واضحات ، فيها الحلال والحرام ، والفرائض والأحكام

[وللكافرين عذاب مهين] أي وللكافرين الذين جحدوها ولم يعملوا بها ، عذاب شديد ، يهينهم ويذهب عزهم ، قال الصاوي : وقد نزلت هذه الآية في كفار مكة يوم الأحزاب ، حين أرادوا التحزب على رسول الله (ص) والمقصود بها تسلية رسول الله (ص) وبشارته مع المؤمنين بأن أعداءهم المتحزبين سيذلون ويخذلون ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويفرق جمعهم فلا تخشوا بأسهم
[يوم يبعثهم الله جميعا] أي اذكر ذلك اليوم الرهيب ، حين يحشر الله المجرمين كلهم في صعيد واحد

[فينبئهم بما عملوا] أي فيخبرهم بما ارتكبوا في الدنيا من جرائم وآثام
[أحصاه الله ونسوه] أي ضبطه الله وحفظه عليهم في صحائف أعمالهم ، بينما هم نسوا تلك الجرائم ، لاعتقادهم ان لا حساب ولا جزاء
[والله على كل شيء شهيد] أي وهو جل وعلا مطلع وناظر لا يغيب عنه شيء ، ولا يخفى عليه شيء . . ثم بين تعالى سعة علمه ، وإحاطته بجميع الأشياء ، وأنه تعالى يرى الخلق ويسمع كلامهم ويرى مكانهم ، حيث كانوا وأين كانوا ، فقال :
[ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم] أي ألم تعلم أيها السامع العاقل ، أن الله مطلع على كل ذرة في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكون ، لا ينيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء ، ولا يخفى عليه سر ولا علانية ، ما يقع من حديث وسر بين ثلاثة أشخاص ، إلا كان الله رابعهم بعلمه ، ومشاركا لهم فيما يتحدثون ويتهامسون به ، في خفية عن الناس .

[ولا خمسة إلا هو سادسهم] أي ولا يقع مناجاة وحديث بالسر بين خمسة أشخاص ، إلا كان الله معهم بعلمه ، حتى يكون هو سادسهم

[ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا] أي ولا أقل من ذلك العدد ولا أكثر منه ، إلا والله معهم يعلم ما يجري بعينهم من حديث ونجوى ، والغرض : أنه تعالى حاضر مع عباده ، مطلع على أحوالهم وأعمالهم ، وما تهجس به أفئدتهم ، لا يخفى عليه شيء من أمور العباد ، ولهذا ختم الآية بقوله :

[ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة أن الله بكل شيىء عليم] أي ثم يخبرهم تعالى بما عملوا من حسن وسيىء ويجازيهم عليه يوم القيامة ، لأنه عالم بكل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شيء من الأشياء ، قال المفسرون : ابتدأ الله هذه الآيات بالعلم بقوله : [ألم تر أن الله يعلم] واختتمها بالعلم بقوله : [إن الله بكل شيء عليم] لينبه آلى إحاطة علمه جل وعلا بالجزئيات والكليات ، وأنه لا يغيب عنه شيء في الكائنات ، لأنه قد أحاط بكل شيء علما ، قال ابن كثير : وقد حكى غير واحد الاجماع على أن المراد بالمعية في هذه الآية [إلا هو معهم] معية علمه تعالى ، ولا شك في إرادة ذلك ، فسمعه مع علمه محيط بهم ، وبصره نافذ فيهم ، فهو سبحانه مطلع على خلقه لا ينيب عنه من أمورهم شيء .. ثم أخبر تعالى عن أحوال اليهود والمنافقين فقال :

[ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى] قال القرطبى : نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ، وينظرون للمؤمنين ويتغامزون بأعينهم ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ، فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا فنزلت [ثم يعودون لما نهوا عنه] أي ثم يرجعون إلى المناجاة التي نهوا عنها ، قال أبو السعرد : والهمزة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ألم تر] للتعجيب من حالهم ، وصيغة المضارع [ثم يعودون] للدلالة على تكرر عودهم وتجدده ، واستحضار صورته العجيبة

[ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول] أي ويتحدثون فيما بينهم بما هو إثم وعدوان ، ومخالفة لأمر الرسول (ص) ، لأن حديثهم يدور حول المكر والكيد بالمسلمين ، قال أبو حيان بدأ بالإثم لعمومه ، ثم بالعدوان لعظمته في النفوس إذ هي ظلامات العباد ، ثم ترقى إلى ما هو أعظم وهو معصية الرسول (ص) ، وفي هذا طعن على المنافقين إذ كان تناجيهم في ذلك

[وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله] أي وإذا حضروا عندك يا محمد ، حيوك بتحية ظالمة لم يشرعها الله ، ولم يأذن فيها ، وهي قولهم " السام عليكم " أي الموت عليكم ، قال المفسرون : كان اليهود يأتون رسول الله (ص) فيقولون : السام عليكم بدلا من السلام عليكم ، والسام الموت وهو ما أرادوه بقولهم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكان رسول الله (ص)يقول لهم : (وعليكم) لا يزيد عليها ، فسمعتهم عائشة يوما فقالت : بل عليكم السام واللعنة ، فلما انصرفوا قال لها رسول الله (ص) : مهلا يا عائشة ، إن الله يكره الفحش والتفحش ، فقالت يا رسول الله : أما سمعت ما قالوا ؟ فقال لها : أما سمعت ما قلت لهم ؟ أني قلت لهم : وعليكم ، فيستجيب الله لي فيهم ، ولا يستجيب لهم فى

[ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول] أي ويقولون فيما بينهم : هلا يعذبنا الله بهذا القول لو كان محمد نبيا ؟ فلو كان نبيا حقا لعذبنا الله على هذا الكلام ! قال تعالى ردا عليهم :

[حسبهم جهنم يصلونها] أي يكفيهم عذابا أن يدخلوا نار جهنم ، ويصلوا حرها

[فبئس المصير] أي بئست جهنم مرجعا ومستقرا لهم ، قال ابن العربي : كانوا يقولون : لو كان محمد نبيا ، لما أمهلنا الله بسبه والاستخفاف به ! ! وجهلوا أن الباري تعالى حليم ، لا يعاجل العقوبة لمن سبه ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فكيف من سب نبيه !! وقد ثبت في الصحيح (لا أحد أصبر على الأذى من الله ، يدعون له الصاحبة والولد وهو يعافيهم ويرزقهم) ، فأنزل الله تعالى هذا كشفا لسرائرهم ، وفضحا لبواطنهم ، وتكريما لرسوله (ص) ، وأما إمهالهم في الدنيا فمن كرامته (ص) على ربه ، لكونه بعث رحمة للعالمين . . ثم نهى تعالى المؤمنين عن التناجي بما هو إثم ومعصية ، فقال سبحانه :

[يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول] أي إذا تحدثتم فيما بينكم سرا ، فلا تتحدثوا بما فيه إثم ، كالقبيح من القول ، أو بما هو عدوان على الغير ، أو مخالفة ومعصية لأمر الرسول (ص)

[وتناجوا بالبر والتقوى] أي وتحدثوا بما فيه خير وطاعة وإحسان ، قال القرطبى : نهى تعالى المؤمنين أن يتناجوا فيما بينهم كفعل المنافقين واليهود ، وأمرهم أن يتناجوا بالطاعة والتقوى ، والعفاف عما نهى الله عنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[واتقوا الله الذي إليه تحشرون] أي وخافوا الله بامتثالكم أوامره واجتنابكم نواهيه ، الذي سيجمعكم للحساب ، ويجازي كلا بعمله

[إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا] أي ليست النجوى بالإثم والعدوان إلا من تزيين الشيطان ، ليدخل بها الحزن على المؤمنين ، قال ابن كثير : أي إنما يصدر هذا من المتناجين عن تزيين الشيطان وتسويله

[وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله] أي وليس هذا التناجي بضار للمؤمنين شيئا ، إلا بمشيئة الله وارادته

[وعلى الله فليتوكل المؤمنون] أي وعلى الله وحده فليعتمد وليثق المؤمنون ، ولا يبالوا بنجوى المنافقين ، فإن الله يعصمهم من شرهم وكيدهم ، وفي الحديث : (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه).

قال الله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس ..] إلى قوله [ألا إن حزب الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هم المفلحون] . من آية (11)إلى آية (22) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما نهى تعالى عباده المؤمنين ، عما يكون سببا للتباغض والتنافر ، أمرهم بما يصير سببا لزيادة المحبة والمودة ، وهو التوسع في المجالس ، بأن يفسح بعضهم لبعض ، ثم حذر من موالاة أعداء الله ، وختم السورة الكريمة ببيان أوصاف المؤمنين الكاملين .

اللغة :

[تفسحوا] توسعوا يقال : فسح له في المجلس أي وضع له ، ومنه مكان فسيح أي واسع

[انشزوا] انهضوا وارتفعوا يقال : نشز ينشز إذا تنحى من مجلسه وارتفع منه ، وأصله من النشز وهو ما ارتفع من الأرض

[جنة] بضم الجيم وقاية

[استحوذ] استولى وغلب على عقولهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الأذيلين] الأذلاء المغمورين في الذل والهوان .

سبب النزول :

أ - عن مقاتل قال : كان النبي (ص) يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار ، فجاء ناس من أهل بدر ، فيهم (ثابت بن قيس) وقد سبقوا إلى المجلس ، فقاموا حيال النبي (ص)على أرجلهم ، ينتظرون ان يوسع لهم ، فلم يفسحوا لهم ، فشق ذلك على النبي (ص) ، فقال لمن حوله - من غير أهل بدر - قم يا فلان ، قم يا فلان ، بعدد الواقفين من أهل بدر ، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه ، وطعن المنافقون في ذلك ، وقالوا : ما عدل مع هؤلاء ، قوم أخذوا مجالسهم ، وأحبوا القرب منه فأقامهم ، وأجلس من أبطأ عنه !! فأنزل الله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم ..] الآية .

ب - عن ابن عباس قال : " إن الناس سألوا رسول الله (ص) وأكثروا عليه حتى شق ذلك عليه (ص) فأراد الله أن يخفف عن نبيه ، ويثبطهم عن ذلك فأنزل الله :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ..] الآية فلما نزلت جبن كثير من المسلمين ، وكفوا عن المسألة. ج - قال السدي : كان " عبد الله بن نبتل " المنافق يجالس رسول الله (ص)ويرفع حديثه إلى اليهود ، فبينا رسول الله (ص)في حجرة من حجراته ، إذ قال لهم (ص) : (يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار ، وينظر بعيني شيطان ، فدخل عبد الله بن نبتل - وكان أزرق العينين ، فقال له النبي (ص) : علام تشتمني أنت وأصحابك ؟ فحلف بالله ما فعل ذلك ، فقال له النبي (ص) : بل فعلت ، فانطلق فجاء بأصحابه ، فحلفوا بالله ما سبوه ، فأنزل الله : [ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ، ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون] .

التفسير :

[يا أيها الذين آمنوا] نداء من الله تعالى للمؤمنين بأكرم وصف ، وألطف عبارة ، أي يا من صدقتم الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ورسوله ، وتحليتم بالإيمان الذي هو زينة الإنسان
[إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا] أي إذا قال لكم أحد توسعوا في المجالس - سواء كان مجلس الرسول (ص)أو غيره من المجالس - فتوسعوا وافسحوا له
[يفسح الله لكم] أي يوسع لكم ربكم في رحمته وجنته ، قال مجاهد : كانوا يتنافسون في مجلس النبي (ص) فأمروا أن يفسح بعضهم لبعض قال الخازن : أمر الله المؤمنين بالتواضع ، وأن يفسحوا في المجلس ، لمن أراد الجلوس عند النبي (ص) ، ليتساوى الناس في الأخذ من حظهم من رسول الله (ص)وفي الحديث : (لا يقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم) قال الإمام الفخر : وقوله : [يفسح الله لكم] مطلق في كل ما يطلب الناس الفسحة فيه في المكان ، والرزق ، والصدر ، والقبر ، والجنة ، واعلم أن الآية دلت على أن كل من وسع على عباد الله ، أبواب الخير والراحة ، وسع الله عليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خيرات الدنيا والآخرة وفي الحديث : (لا يزال الله في عون العبد ، ما زال العبد في عون أخيه)

[وإذا قيل انشزوا فانشزوا] أي وإذا قيل لكم أيها المؤمنون انهضوا من المجلس ، وقوموا لتوسعوا لغيركم ، فارتفعوا منه وقوموا ((أورد العلامة ابن كثير عند هذه الآية الكريمة " حكم القيام للقادم " فقال رحمه الله : وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد إذا جاء على أقوال : فمنهم من رخص في ذلك محتجا بحديث " قوموا إلى سيدكم " ومنهم من منع من ذلك محتجا بحديث " من أحب أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار " ومنهم من فصل فقال : يجوز عند القدوم من سفر ، وللحاكم في ولايته لقصة سعد بن معاذ ، لما استقدمه النبي (ص) ليحكم في بني قريظة ، فلما أقبل قال (ص) : " قوموا إلى سيدكم " وما ذاك إلا ليكون أنفذ لحكمه . . ثم قال : وأما اتخاذه ديدنا فإنه من شعار العجم ، وفي السنن أن رسول الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(ص) كان يجلس حيث انتهى به المجلس ، ولكن حيث يجلس (ص) يكون هو صدر المجلس)) قال ابن عباس : أي : إذا قيل لكم ارتفعوا فارتفعوا ، قال في البحر : أمروا أولا بالتفسح في المجلس ، ثم ثانيا بامتثال الأمر فيه إذا أمروا ، وألا يجدوا في ذلك غضاضة

[يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات] أي يرفع الله المؤمنين بامتثال أوامره ، وأوامر رسوله ، والعالمين منهم خاصة أعلى المراتب ، ويمنحهم أعلى الدرجات الرفيعة في الجنة ، قال ابن مسعود : مدح الله العلماء في هذه الآية ثم قال : يا أيها الناس افهموا هذه الآية ، ولترغبكم في العلم فإن الله يقول : يرفع المؤمن العالم فوق المؤمن الذي ليس بعالم درجات ، وقال القرطبي : بين في هذه الآية أن الرفعة عند الله بالعلم والإيمان ، لا بالسبق إلى صدور المجالس ، وفي الحديث : (فضل العالم على العابد ، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب) وقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(ص) : (يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء) فأعظم بمنزلة هي واسطة بين النبوة والشهادة ، بشهادة رسول الله (ص)

[والله بما تعملون خبير] أي خبير بمن يستحق الفضل والثواب ممن لا يستحقه

[يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول] أي إذا أردتم مجادلته سرا

[فقدموا بين يدي نجواكم صدقة] أي فقدموا قبلها صدقة تصدقوا بها على الفقراء ، قال الألوسي : وفي هذا الأمر تعظيم لمقام الرسول (ص) ، ونفع للفقراء ، وتمييز بين المخلص والمنافق ، وبين محب الدنيا ومحب الآخرة

[ذلكم خير لكم وأطهر] أي تقديم الصدقات قبل مناجاته ، أفضل لكم عند الله لما فيه من امتثال أمر الله ، وأطهر لذنوبكم

[فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم] أي فإن لم تجدوا ما تتصدقون به ، فإن الله يسامحكم ويعفو عنكم ، لأنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لم يكلف بذلك إلا القادر منكم

[أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات] عتاب للمؤمنين رقيق رفيق أي أخفتم أيها المؤمنون الفقر ، إذا تصدقتم قبل مناجاتكم للرسول (ص) ؟ والغرض : لا تخافوا فإن الله يرزقكم ، لأنه غني بيده خزائن السموات والأرض ، وهو عتاب لطيف كما بينا ، ثم نسخ تعالى الحكم تيسيرا على المؤمنين ، فقال سبحانه :

[فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم] أي فإذا لم تفعلوا ما أمرتم به وشق ذلك عليكم ، وعفا الله عنكم بأن رخص لكم مناجاته من غير تقديم صدقة

[فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة] أي فاكتفوا بالمحافظة على الصلاة ودفع الزكاة المفروضة

[وأطيعوا الله ورسوله] أي أطيعوا أمر الله وأمر رسوله في جميع أحوالكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والله خبير بما تعملون] أي محيط بأعمالكم ونياتكم ، قال المفسرون : نسخ الله ذلك تخفيفا على العباد ، حتى قال ابن عباس : ما كان ذلك إلا ساعة من نهار لم نسخ قال القرطبي : نسخت فرضية الزكاة هذه الصدقة ، وهذا يدل على جواز النسخ قبل الفعل ، وما روي عن على رضي الله عنه أنه قال : " آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولا بعدي ، كان عندي دينار فتصدقت به ثم ناجيت الرسول (ص) ألخ " فضعيف لأن الله تعالى قال : [فإذ لم تفعلوا] وهذا يدل على أن أحدأ لم يتصدق بشيء

[ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم] تعجيب للرسول (ص)من أمر المنافقين ، الذين اتخذوا اليهود أصدقاء ، أي ألا تعجب يا محمد من حال هؤلاء المنافقين ، الذين يزعمون الإيمان ، وقد اتخذوا اليهود المغضوب عليهم أولياء ، يناصحونهم وينقلون إليهم أسرار المؤمنين !! قال الإمام الفخر : كان المنافقون يتولون اليهود ، وهم الذين غضب الله عليهم في قوله :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[من لعنه الله وغضب عليه] وكانوا ينقلون إليهم أسرار المؤمنين

[ما هم منكم ولا منهم] أي ليس هؤلاء المنافقون من المسلمين ولا من اليهود ، بل هم مذبذبون بين ذلك ، كقوله تعالى : [مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء] قال الصاوي : أي ليسوا من المؤمنين الخلص ، ولا من الكافرين الخلص ، لا ينتسبون إلى هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء

[ويحلفون على الكذب وهم يعلمون] أي ويحلفون بالله كاذبين ، يقولون : والله إنا لمسلمون ، وهم يعلمون أنهم كذبة فجرة ، قال ابو السعود : والصيغة مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا ، فإن الحلف على ما يعلم أنه كذب في غاية القبح

[أعد الله لهم عذابا شديدا] أي هيأ لهم تعالى - بسبب نفاقهم - عذابا في نهاية الشدة والألم ، وهو الدرك الأسفل في جهنم [إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنهم ساء ما كانوا يعملون] أي بئس ما فعلوا وبئس ما صنعوا

[اتخذوا أيمانهم جنة] أي جعلوا أيمانهم الكاذبة الفاجرة ، وقاية لأنفسهم وسترة لها من القتل ، قال في التسهيل : أصل الجنة ما يستتر به ، ويتقى به المحذور كالترس ، ثم استعمل هنا (بطريق الاستعارة) ، لأنهم كانوا يظهرون الإسلام ليعصموا دماءهم وأموالهم

[فصدوا عن سبيل الله] أي فمنعوا الناس عن الدخول في الإسلام ، بإلقاء الشبهات في قلوب الضعفاء ، والمكر والخداع بالمسلمين

[فلهم عذاب مهين] أي فلهم عذاب شديد ، في غاية الشدة والإهانة

[لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا] أي لن تنفعهم أموالهم ولا أولادهم في الآخرة ، ولن تدفع عنهم شيئا من عذاب الله

[أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون] أي هم أهل النار لا يخرجون منها أبدا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يوم يبعثهم الله جميعا] أي يحشرهم يوم القيامة جميعا ، للحساب والجزاء

[فيحلفون له كما يحلفون لكم] أي فيحلفون لله تعالى كما يحلفون لكم اليوم في الدنيا كذبا أنهم مسلمون ، قال ابن عباس : هو قولهم : [والله ربنا ما كنا مشركين]

[ويحسبون أنهم على شيء] أي يظنون أن حلفهم في الآخرة ، ينفعهم وينجيهم من عذابها ، كما نفعهم في الدنيا بدفع القتل عنهم ، قال أبو حيان : والعجب منهم كيف يعتقدون أن كفرهم يخفى على علام الغيوب ، ويجرونه مجرى المؤمنين ، في عدم اطلاعهم على كفرهم ونفاقهم ، والمقصود أنهم تعودوا الكذب حتى كان على ألسنتهم في الآخرة ، كما كان في الدنيا

[ألا إنهم هم الكاذبون] أي ألا فانتبهوا أيها الناس ، إن هؤلاء هم البالغون في الكذب الغاية القصوى ، حيث تجاسروا على الكذب في الموقف العصيب ، بين يدي علام الغيوب

[استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله] أي استولى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على قلوبهم الشيطان وغلب عليهم ، وتملك نفوسهم حتى أنساهم أن يذكروا ربهم

[أولئك حزب الشيطان] أي أولئك هم أتباع الشيطان وأعوانه وأنصاره

[ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون] أي أتباع الشيطان وجنوده هم الكاملون في الخسران والضلالة ، لأنهم فوتوا على أنفسهم النعيم الدائم وعرضوها للعذاب المقيم

[إن الذين يحادون الله ورسوله] أي يعادون الله ورسوله ويخالفون أمرهما

[أولئك في الأذلين] أي أولئك في جملة الأذلاء المبعدين من رحمة الله

[كتب الله لأغلبن أنا ورسلي] أي قضى الله وحكم في شرعه الخالد ، أن الغلبة لدينه ورسله ، وعباده المؤمنين

[إن الله قوى عزيز] أي هو تعالى قوى على نصر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسله وأوليائه ، غالب على أعدائه ، لا يقهر ولا يغلب ، قال مقاتل : لما فتح الله مكة والطائف وخيبر للمؤمنين قالوا : نرجو أن يظهرنا الله على فارس والروم ، فقال عبد الله ابن سلول : أتظنون أن الروم وفارس كبعض القرى التى غلبتم عليها ؟ ! والله إنهم لأكثر عددا ، وأشد بطشا من أن تظنوا فيهم ذلك ، فنزلت [كتب الله لأغلبن أنا ورسلي]

[لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله] أي لا يمكن أن ترى أيها السامع ، جماعة يصدقون بالله وباليوم الآخر ، يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله ، وخالف أمرهما ، لأن من أحب الله عادى أعداءه ، ولا يجتمع في قلب واحد ، حب الله وحب أعدائه ، كما لا يجتمع النور والظلام ، قال المفسرون : غرض الآية النهي عن مصادقة ومحبة الكفرة والمجرمين ، ولكنها جاءت بصورة إخبار ، مبالغة في النهي والتحذير ، قال الإمام الفخر : المعنى أنه لا يجتمع الإيمان مع حب أعداء الله ، وذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لأن من أحب أحدا امتنع أن يحب عدوه ، لأنهما لا يجتمعان في القلب ، فإذا حصل في القلب مودة أعداء الله ، لم يحصل فيه الإيمان

[ولو كانوا أباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم] أي ولو كان هؤلاء المحادون لله ورسوله ، أقرب الناس إليهم ، : الآباء ، والأبناء ، والإخوان ، والعشيرة ، فإن قضية الإيمان بالله تقتضي معاداة أعداء الله ، قال في البحر : بدأ بالآباء لأن طاعتهم واجبة علىاآلأولاد ، ثم بالأبناء لأنهم أعلق بالقلوب ، ثم بالإخوان لأنهم بهم التعاضد ، ثم بالعشيرة لأن بهم التناصر والمقاتلة والتغلب على الأعداء ، كما قال القائل : لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا قال ابن كثير : نزلت [ولو كانوا آباءهم] في " أبي عبيدة " قتل أباه الجراح يوم بدر ، [أو أبناءهم] في الصديق هم بقتل ابنه " عبد الرحمن بن أبي بكر " [أو إخوانهم] في " مصعب بن عمير " قتل أخاه (عبيد بن عمير) يومئذ [أو عشيرتهم] في "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حمزة ، وعلي ، وعبيدة بن الحارث " قتلوا عتبة ، وشيبة ، والوليد بن عتبة يوم بدر

[أولئك كتب في قلوبهم الإيمان] أي أثبت الإيمان ، ومكنه في قلوبهم ، فهي مؤمنة موقنة مخلصة

[وأيدهم بروح منه] أي وقواهم بنصره وتأييده ، قال ابن عباس : نصرهم على عدوهم ، وسمى ذلك النصر (روحا) لأن به يحيا أمرهم

[ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار] أي ويدخلهم في الآخرة بساتين فسيحة ، تجري من تحت قصورها أنهار الجنة

[خالدين فيها] أي ماكثين فيها أبد الآبدين

[رضي الله عنهم ورضوا عنه] أي قبل الله أعمالهم فرضي عنهم ، ونالوا ثوابه فرضوا بما أعطاهم ، وإنما ذكر رضوانه عليهم بعد دخولهم الجنة ، لأنه أعظم النعم ، وأجل المراتب ، قال ابن كثير : وفي الآية سر بديع ، وهو أنهم لما سخطوا على الأقارب والعشائر في الله تعالى ، عوضهم الله بالرضا عنهم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأرضاهم بما أعطاهم من النعيم المقيم ، والفوز العظيم [أولئك حزب الله] أي أولئك هم أحباب الله ، وخاصته وأولياؤه

[ألا إن حزب الله هم المفلحون] أي هم الفائزون بخيري الدنيا والآخرة ، وهذا في مقابلة قوله تعالى عن أتباع الشيطان : [أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون] .

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - صيغة المبالغة في [إن الله سميع بصير] وفي [غفور رحيم] وفي [على كل شيء شهيد] .

2 - الإطناب بذكر الأمهات [ما من أمهاتهم إن أمهاتهم] زيادة في التقرير والبيان .

3 - الطباق [ولا أدنى من ذلك ولا أكثر] لأن معنى أدنى أقل فصار الطباق بينها وبين أكثر .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4 - عطف الخاص على العام تنبيها على شرفه [يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات] فإن [الذين أوتوا العلم] دخلوا في المؤمنين أولا ، ثم خصوا بالذكر ثانيا تعظيما لهم .

5 - الاستعارة اللطيفة [فقدموا بين يدي نجواكم صدقة] استعار اليدين لمعنى الظرف (قبل) أي قبل نجواكم .

6 - الاستفهام والمراد منه التعجيب [ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ..]

7 - الجناس الناقص بين [يعلمون] و[يعملون] لتغير الرسم .

8 - المقابلة بين [أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون] وبين [أولئك حزب الشيطان ..] ا لآية .

9 -تحلية الجملة بفنون المؤكدات ، مثل " ألا ، وإن ، وهم " في قوله : [ألا إن حزب الله هم المفلحون] .

10 - توافق الفواصل في الحرف الأخير مثل [الخاصرون الكاذبون خالدون يعملون] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لطيفة :

روى الإمام أحمد عن أبي الطفيل أن " نافع بن عبد الحارث " لقى عمر بن الخطاب بعسفان - وكان عمر استعمله على مكة - فقال عمر : من استخلفت على أهل الوادي ؟ فقال : استخلفت عليهم " ابن أبزى " فقال : ومن ابن أبزى ؟ فقال : رجل من موالينا ، فقال عمر : استخلفت عليهم مولى ؟ فقال يا امير المؤمنين : إنه قارىء لكتاب الله ، عالم بالفرائض ، قاض ، فقال عمر رضي الله عنه : أما إن نبيكم (ص) قال : (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ، ويضع به آخرين) وهذا إشادة بفضل العلم والعلماء .

سورة الحشر

مدنية وآياتها أربع وعشرون آية

بين يدي السورة

* سورة الحشر مدنية وهي تعنى بجانب التشريع شأن سائر السور المدنية ، والمحور الرئيسي الذي تدور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليه السورة الكريمة هو الحديث عن (غزوة بنى النضير) وهم اليهود الذين نقضوا العهد مع الرسول (ص) فأجلاهم عن المدينة المنورة ، ولهذا كان ابن عباس يسمي هذه السورة (سورة بنى النضير) وفي هذه السورة الحديث عن المنافقين ، الذين تحالفوا مع اليهود ، وبإيجاز هي سورة " الغزوات والجهاد " والفيء والغنائم ، وأخبار اليهود .

* ابتدأت السورة الكريمة بتنزيه الله وتمجيده ، فالكون كله بما فيه من إنسان ، وحيوان ، ونبات ، وجماد ، شاهد بوحدانية الله ، وقدرته وجلاله ، ناطق بعظمته وسلطانه [سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم] الآيات .

* ثم ذكرت السورة بعض آثار قدرته ، ومظاهر عزته ، بإجلاء اليهود من ديارهم وأوطانهم ، مع ما كانوا فيه من الحصون والقلاع ، وقد كانوا يعتقدون أنهم في عزة ومنعة ، لا يستطيع أحد عليهم ، فجاءهم بأس الله وعذابه من حيث لم يكن في حسابهم [هو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر . .] الآيات .

* ثم تناولت السورة موضوع الفيء والغنيمة ، فبينت شروطه وأحكامه ، ووضحت الحكمة من تخصيص الفيء بالفقراء ، لئلا يستأثر به الأغنياء ، وليكون هناك بعض التعادل بين طبقات المجتمع ، بما فيه خير الفريقين ، وبما يحقق المصلحة العامة [ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين . .] الآيات .

* وتناولت السورة أصحاب رسول الله (ص) بالثناء العاطر ، فنوهت بفضائل المهاجرين ، ومآثر الأنصار ، فالمهاجرون هجروا الديار والأوطان حبا في الله ، والأنصار نصروا دين الله ، وآثروا إخوانهم - المهاجرين - بالأموال والديار على أنفسهم ، مع فقرهم وحاجتهم [للفقراء الذين أخرجوا من ديارهم وأموالمم يبتغون فضلا من الله ورضوانا . .] الآيات .

* وفي مقابلة ذكر المهاجرين والأنصار ، ذكرت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السورة المنافقين الأشرار ، الذين تحالفوا مع اليهود ضد الإسلام ، وضربت لهم أسوأ الأمثال ، فمثلتهم بالشيطان الذي يغري الإنسان بالكفر والضلال ، ثم يتخلى عنه ويخذله ، وهكذا كان شأن المنافقين مع إخوانهم اليهود [ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم . .] الآيات .

* ووعظت السورة المؤمنين بتذكر ذلك اليوم الرهيب ، الذي لا ينفع فيه حسب ولا نسب ، ولا يفيد فيه جاه ولا مال ، وبينت الفارق الهائل بين أهل الجنة وأهل النار ، ومصير السعداء ومصير الأشقياء في دار العدل والجزاء [يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد . .] الآيات.

* وختمت السورة بذكر أسماء الله الحسنى وصفاته العليا وبتنزيهه عن صفات النقص [هو الله الذي لا إله إلا هو..] الآيات إلى نهاية السورة الكريمة ، وهكذا يتناسق البدء مع الختام ، في أبدع تناسق ووئام !!

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الله تعالى : [سبح لله ما في السموات وما في الأرض . . .] إلى قوله [ربنا إنك رءوف رحيم] من آية (1) إلى نهاية آية (10) .

اللغة :

[الحشر] الجمع ، وسمي يوم القيامة يوم الحشر لأنه يوم اجتماع الناس للحساب والجزاء ، ومنه قوله تعالى [وحشر لسليمان جنود] أي جمع له الجنود

[قذف] ألقى وأنزل بشدة

[الجلاء] الخروج من الوطن مع الأهل والولد

[شاقوا] عادوا وخالفوا

[لينة] بكسر اللام النخلة القريبة من الأرض ، الكريمة الطيبة ، سميت لينة لجودة ثمره ، وأنشد الأخفش : قد شجاني الحمام حين تغنى بفراق الأحباب من فوق لينة

[أوجفتم] الوجيف : سرعة السير يقال : أوجف البعير إذا حثه وحمله على السير السريع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[دولة] بضم الدال الشيء الذي يتداول من الأموال ، وينتقل من يد إلى يد

[خصاصة] فقر واحتياج

[فلا] حقدا وضغينة

[رءوف] الرأفة : الشفقة والرحمة .

سبب النزول :

لما نقض اليهود " بنو النضير " العهد مع رسول الله (ص) حاصرهم ، وأمر بقطع نخيلهم وإحراقه ، إهانة لهم وإرعابا لقلوبهم ، فقالوا يا محمد : الست تزعم أنك نبى ؟ وأنك تنهى عن الفساد ؟ فما بالك تأمر بقطع الأشجار وتحريقها ؟ فأنزل الله تعالى : [ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ..] الآية .

التفسير :

[سبح لله ما في السموات وما في الأرض] أي نزه الله تعالى ومجده وقدسه جميع ما في السموات والأرض ، من ملك ، الإنسان ، وجماد ، وشجر ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وحجر ، كقوله تعالى : [وإن من شيء إلا يسبح بحمده] قال ابن كثير : يخبر تعالى أن جميع ما في السموات والأرض ، يسبح له ويمجده ويقدسه ويوحده [وهو العزيز الحكيم] أي وهو العزيز في ملكه ، الحكيم في صنعه

[هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم] بيان لبعض آثار قدرته تعالى الباهرة ، وعزته الظاهرة ، أي هو جل وعلا الذي أخرج يهود " بني النضير " من مساكنهم بالمدينة المنورة

[لأول الحشر] أي في أول مرة حشروا - أي جمعوا - وأخرجوا فيها من جزيرة العرب ، إذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك ، قال البيضاوي : لما (ص)من المدينة صالح " بني النضير " على ألا يكونوا معه ، ولا عليه ، فلما ظهر يوم بدر قالوا : إنه النبي المنعوت في التوراة بالنصرة ، لا ترد له راية ، فلما هزم المسلمون يوم أحد ، ارتابوا ونكثوا ، وخرج (كعب بن الأشرف) في أربعين راكبا إلى مكة ، وحالفوا " أبا سفيان " فأمر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسول الله (ص) " محمد بن مسلمة " أخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ، ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم ، حتى صالحوه على الجلاء ، فجلا أكثرهم إلى الشام ، ولحقت طائفة بخيبر ، فذلك قوله تعالى : [هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر] قال الألوسي : ومعنى [لأول الحشر] أن هذا أول حشرهم إلى الشام ، أي أول ما حشروا وأخرجوا ، ونبه بلفظ [أول] على أنهم لم يصبهم جلاء قبله [ما ظننتم أن يخرجوا] أي ما ظننتم أيها المؤمنون ، أن يخرجوا من أوطانهم وديارهم ، بهذا الذل والهوان ، لعزتهم ومنعتهم ، وشدة بأسهم ، حيث كانوا أصحاب حصون وعقار ، ونخيل وثمار

[وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله] أي وظنوا أن حصونهم الحصينة ، تمنعهم من بأس الله ، وتدفع عنهم عذابه وانتقامه ، قال البيضاوي : والأصل أن يقال : وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم من بأس الله ، وتغيير النظم بتقديم الخبر ، واسناد الجملة إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ضميرهم ، للدلالة على فرط وثوقهم بكونها حصينة ، بحيث ظنوا أنه لا يخرجهم منها أحد ، لأنهم في عزة ومنعة
[فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا] أي فجاءهم بأس الله وعذابه ، من حيث لم يكن في حسابهم ، ولم يخطر ببالهم
[وقذف في قلوبهم الرعب] أي وألقى في قلوب بني النضير الخوف الشديد ، مما أضعف قوتهم ، وسلبهم الأمن والطمأنينة ، حتى نزلوا على حكم رسول الله (ص) وفي الحديث : (نصرت بالرعب من مسيرة شهر) ((طرف من حديث شريف أخرجه البخاري ومسلم ونص الحديث (أعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي : نصرت بالرعب من مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، وأعطيت الشفاعة ...) الحديث)).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين] أي يهدمون بيوتهم بأيديهم من الداخل ، وأيدي المؤمنين من الخارج ، قال المفسرون : كان بنو النضير قبل إجلائهم عن ديارهم ، يخربون بيوتهم ، فيقلعون العمد ، وينقضون السقوف ، وينقبون الجدران ، لئلا يسكنها المؤمنون ، حسدا منهم وبغضا ، وكأن المسلمون يخربون سائر الجوانب من ظاهرها ، ليقتحموا حصونهم

[فاعتبروا يا أولي الأبصار] أي فاتعظوا بما جرى عليهم يا ذوي العقول والألباب

[ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء] أي ولولا أن الله تعالى قضى عليهم بالخروج من أوطانهم مع الأهل والأولاد

[لعذبهم في الدنيا] أي لعذبهم في الدنيا بالسيف ، كما فعل بإخوانهم من بني قريظة

[ولهم في الآخرة عذاب النار] أي ولهم مع عذاب الدنيا ، عذاب جهنم المؤبد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله] أي ذلك الجلاء والعذاب ، بسبب أنهم خالفوا الله وعادوه ، وعصوا أمره ، وارتكبوا ما ارتكبوا من جرائم ، ونقض للعهود في حق رسوله

[ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب] أي ومن يخالف أمر الله ، ويعادي دينه ، فالله ينتقم منه ، لأن عذابه شديد ، وعقابه أليم [وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد] . . ثم أخبر تعالى أن كل ما جرى من المؤمنين من قطع النخيل ، وإحراق بعض الأشجار المثمرة ، فإنما كان بأمر الله وإرادته ، فقال سبحانه :

[ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله] أي ما قطعتم أيها المؤمنون من شجرة نخيل ، أو تركتموها كما كانت قائمة على سوقها ، فبأمر الله وإرادته ورضاه

[وليخزي الفاسقين] أي وليغيظ اليهود ويذلهم ، بقطع أشجارهم ونخيلهم ، قال الرازي : المعنى إنما أذن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى في ذلك ، حتى يزداد غيظ الكفار ، وتتضاعف حسرتهم ، بسبب نفاذ حكم أعدائهم أعز أموالهم قال المفسرون : لما حاصر رسول الله (ص)بني النضير ، كان بعض الصحابة قد شرع يقطع ويحرق في نخيلهم ، إهانة لهم ، وإرعابا لقلوبهم ، فقالوا : ما هذا الإفساد يا محمد ؟ إنك كنت تنهى عن الفساد ، فما بالك تأمر بقطع الأشجار ؟ فأنزل الله هذه الآية الكريمة

[وما أفاء الله على رسوله منهم] أي وما أعاد الله ورده غنيمة على رسوله ، من أموال يهود بني النضير [فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب] أي لم تسيروا إليه خيلكم ولا ركابكم ، ولا تعبتم في تحصيله ، قال القرطبي : يقال : وجف البعير وجيفا إذا أسرع السير ، وأوجفه صاحبه إذا حمله على السير السريع ، والركاب : ما يركب من الإبل ، والمعنى : لم تقطعوا إليها شقة ، ولا لقيتم بها حربا ولا مشقة ، وإنما كانت من المدينة على بعد ميلين ، فافتتحها رسول الله (ص) صلحا ، وأجلاهم عنها وأخذ أموالهم ، فجعلها الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لرسوله (ص)خاصة ، يضعها حيث شاء

[ولكن الله يسلط رسله على من يشاء] أي ولكنه تعالى من سنته أن ينصر رسله ، بقذف الرعب في قلوب أعدائه ، من غير أن يقاسوا شدائد الحروب

[والله على كل شيء قدير] أي هو تعالى قادر على كل شيء ، لا يغالب ولا يمانع ولا يعجزه شيء .. ثم بين تعالى حكم الفيء عامة - وهو ما يغنمه المسلمون بدون حرب - فقال :

[ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى] أي ما جعله الله غنيمة لرسوله بدون قتال من أموال الكفار ، قال ابن عباس : هي (قريظة ، والنضير ، وفدك ، وخيبر)

[فلله وللرسول] أي فحكمها أنها لله تعالى ، يضعها حيث يشاء ، ولرسوله يصرفها على نفسه وعلى مصالح المسلمين

[ولذي القربى واليتامى والمساكين] أي ولأقرباء الرسول من بني هاشم وعبد المطلب ، ولليتامى الذين مات آباؤهم ، وللمساكين ذوي الحاجة والفقر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وابن السبيل] أي وللغريب المنقطع في سفره ، قال في التسهيل : لا تعارض بين هذه الآية وبين آية الأنفال ، فإن آية الأنفال في حكم الغنيمة التي تؤخذ بالقتال ، وإيجاف الخيل والركاب ، فتلك يؤخذ منها الخمس ويقسم الباقي على الغانمين ، وأما هذه ففي " حكم الفيء " وهو ما يؤخذ من الكفار من غير قتال فلا تعارض بينهما ولا نسخ ، وقد قرر الفقهاء الفرق بين الغنيمة والفىء ، وأن حكمهما مختلف ، فالغنيمة ما أخذت بالقتال ، والفيء ما أخذ صلحا ، وانظر كيف ذكر هنا لفظ الفيء [ما أفاء الله على رسوله] وذكر في الأنفال لفظ الغنيمة [واعلموا أنما غنمتم من شيء] !!

[كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم] أي لئلا ينتفع بهذا المال ويستأثر به الأغنياء بينهم دون الفقراء ، مع شدة حاجة الفقراء للمال ، قال القرطبي : أي فعلنا ذلك كيلا يتقاسمه الرؤساء والأغنياء ، دون الفقراء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والضعفاء ، لأن أهل الجاهلية كانوا إذا غنموا أخذ الرئيس ربعها لنفسه - وهو المرباع - ثم يصطفى منها أيضا ما يشاء قال المفسرون : أن رسول الله (ص) قسم أموال بني النضير على المهاجرين ، فإنهم كانوا حينئذ فقراء ، ولم يعط الأنصار منها شيئا ، فإنهم كانوا أغنياء ، فقال بعض الأنصار : لنا سهمنا من هذا الفيء فأنزل الله هذه الآية

[وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا] أي ما أمركم به الرسول (ص)فافعلوه ، وما نهاكم عنه فاجتنبوه ، فإنه إنما يأمر بكل خير وصلاح ، وينهى عن كل شر وفساد ، قال المفسرون : والآية وإن نزلت في أموال الفىء ، إلا أنها عامة في كل ما أمر به النبى (ص) أو نهى عنه ، من (واجب ، أو مندوب ، أو مستحب ، أو محرم) ، فيدخل فيها الفيء وغيره عن ابن مسعود أنه قال : (لعن الله الواشمات ، والمستوشمات ، والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن ، المغيرات خلق الله) فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لها " أم يعقوب " - وكانت تقرأ القرآن - فأتته فقالت : ما حديث بلغني عنك أنك قلت كذا وكذا! ! وذكرته له ، فقال ابن مسعود : وما لي لا ألعن من لعن رسول الله (ص)وهو في كتاب الله تعالى ؟ فقالت المرأة : لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته ! فقال : إن كنت قرأتيه لقد وجدتيه ، أما قرأت قول الله عز وجل [وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا] ؟ ((أخرجه البخاري ومسلم ، قال العلماء : الوشم هو غرز العضو من الإنسان بالإبرة ثم يحشى بكحل ، والمستوشمة هى التي تطلب أن يفعل بها ذلك ، والنامصة هي التي تنتف الشعر من الوجه ، والمتفلجة هي التي تتكلف تفريج ما بين أسنانها من أجل الحسن ، وكل ذلك منهى عنه ، لأن فيه تغييرا لخلق الله ، وهو من دسائس الشيطان)).

[واتقوا الله] أى خافوا ربكم ، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه

[إن الله شديد العقاب] أي فإن عقابه أليم ، وعذابه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شديد ، لمن عصاه ، وخالف أمره

[للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا] هذا متعلق بما سبق من حكم الفيء ، كأنه يقول : الفيء والغنائم لهؤلاء الفقراء المهاجرين ، الذين ألجأهم كفار مكة إلى الهجرة من أوطانهم ، فتركوا الديار والأموال ، ابتغاء مرضاة الله ورضوانه

[وينصرون الله ورسوله] أي قاصدين بالهجرة إعلاء كلمة الله ، ونصرة دينه

[أولئك هم الصادقون] أي هؤلاء الموصوفون بالصفات الحميدة ، هم الصادقون في إيمانهم ، قال قتادة : هؤلاء المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال ، والأهلين والأوطان ، حبا لله ورسوله ، حتى إن الرجل منهم كان يعصب الحجر على بطنه ، ليقيم به صلبه من الجوع . . ثم مدح تعالى الأنصار وبين فضلهم وشرفهم ، فقال سبحانه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم] أي والذين اتخذوا المدينة منزلا وسكنا ، وآمنوا قبل هجرة النبي (ص)إلى المدينة ، وهم الأنصار ، قال القرطبي : أي تبوءوا الدار من قبل المهاجرين ، واعتقدوا الإيمان وأخلصوه ، والتبوء : التمكن والاستقرار ، وليس يريد أن الأنصار آمنوا قبل المهاجرين ، بل أراد آمنوا قبل هجرة النبي (ص)إليهم

[يحبون من هاجر إليهم] إي يحبون إخوانهم المهغجرين ، ويواسونهم بأموالهم ، حتى إن أحدهم كان يقسم ماله بينه وبين أخيه من المهاجرين نصفين ، ويقول له : هذا نصف مالي لك !! قال الخازن : وذلك أنهم أنزلوا المهاجرين في منازلهم ، وأشركوهم في أموالهم

[ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا] أي ولا يجد الأنصار ، حزازة وغيظا وحسدا مما أعطي المهاجرون من الغنيمة دونهم ، قال المفسرون : أن رسول الله (ص) قسم أموال بني النضير بين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئا إلا ثلاثة منهم ، فطابت أنفس الأنصار بتلك القسمة

[ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة] أي يفضلون غيرهم بالمال على أنفسهم ، ولو كانوا في غاية الحاجة والفاقة إليه ، فإيثارهم ليس عن غنى عن المال ، ولكنه عن حاجة وفقر ، وذلك غاية الإيثار

[ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون] اي ومن حماه الله وسلم من البخل ، فقد أفلح ونجح ، والشحخ هو البخل الشديد ، مع الجشع والطمع ، وهو غريزة في النفس ولذلك أضيف إليها ، قال ابن عمر : ليس الشح أن يمنع الرجل ماله ، إنما الشح أن تطمع عينه فيما ليس له وفي الحديث : " واتقوا الشح فإن الشح أاهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم "

[والذين جاءو من بعدهم] هذا هو الصنف الثالث من المؤمنين ، المستحقين للإحسان والفضل ، وهم التابعون لهم بإحسان إلى يوم القيامة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان] أي يدعون لإخوانهم قائلين : يا ربنا اغفر لنا ولإخواننا المؤمنين ، الذين سبقونا بالإيمان ، قال أبو السعود : وصفوهم بالسبق بالإيمان اعترافا بفضلهم ، لأن اخوة الدين عندهم أعز وأشرف من النسب

[ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا] أي ولا تجعل في قلوبنا بغضا وحسد لأحد من المؤمنين

[ربنا إنك رءوف رحيم] أي مبالغ في الرأفة والرحمة فاستجب دعاءنا ، قال ابن كثير : وما أحسن ما استنبط الإمام مالك من هذه الآية الكريمة ، أن الرافضى الذي يسمى الصحابة ، ليس له في مال الغنيمة شيء ، لعدم اتصافه بأوصاف المؤمنين ، وقال شيخ زاده : بين تعالى أن من شأن من جاء من بعد المهاجرين والأنصار ، أن يذكر السابقين بالرحمة والدعاء ، فمن لم يكن كذلك بل ذكرهم بسوء ، فقد كان خارجا عن جملة أقسام المؤمنين ، بمقتضى هذه الآيات ، وقد روي عن الشعبي أنه قال : (تفاضلت اليهود

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والنصارى على الرافضة بخصلة ، سئلت اليهود : من خير أهل ملتكم ؟ فقالوا أصحاب موسى وسئلت النصارى فقالوا : أصحاب عيسى ، وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم ؟ فقالوا : أصحاب محمد (ص) أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم ، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة) اللهم ارزقنا محبة أصحاب نبيك الكريم يا أرحم الراحمين .

قال الله تعالى : [ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم . .] إلى قوله [وهو العزيز الحكيم] . من آية (11)إلى آية (24) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما ذكر تعالى أوصاف المؤمنين الصادقين ، أعقبه بذكر أوصاف المنافقين المخادعين ، الذين تركوا نصرة المؤمنين ، وصادقوا اليهود وحالفوهم على حرب المسلمين ، ثم ذكر البون الشاسع بين أصحاب النار وأصحاب الجنة ، وأنهم لا يستوون في الحال ولا المآل ، وختم السورة الكريمة بذكر بعض أسماء الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحسنى ، وصفاته العليا.

اللغة :

[شتى] متفرقة يقال : تشتت جمعهم أي تفرق

[خاشعا] ذليلا خاضعا

[متصدعا] متشققا تصدع البنيان أي تشقق

[القدوس] المنزه عن كل نقص . وعيب

[المؤمن] المصدق لرسله بالمعجزات

[المهيمن] الرقيب على كل شيء

[العزيز] القوي الغالب

[الجبار] العظيم القاهر ، صاحب العظمة والجبروت

[المتكبر] المبالغ في الكبرياء والعظمة

[البارىء] المبدع المخترع

[المصور] خالق الصور على أبدع وجه .

التفسير :

[ألم تر إلى الذين نافقوا] تعجيب من الله تعالى لرسوله من حال المنافقين ، أي ألا تعجب يا محمد من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شأن هؤلاء المنافقين ، الذين أظهروا خلاف ما أضمروا ؟

[يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب] أي يقولون ليهود بني قريظة والنضير ، الذين كفروا برسالة محمد (ص)

[لئن أخرجتم لنخرجن معكم] أي لئن أخرجتم من المدينة لنخرجن معكم منها ، قال في التسهيل : نزلت في (عبد الله بن أبي ابن سلول) وقوم من المنافقين ، بعثوا إلى بني النضير وقالوا لهم : اثبتوا في حصونكم ، فإنا معكم كيف ما تقلبت حالكم ، وإنما جعل المنافقين إخوانهم لأنهم كفار مثلهم

[ولا نطيع فيكم أحدا أبدا] أي ولا نطيع أمر محمد في قتالكم ، ولا نسمع من أحد ، إذا أمرنا بخذلانكم

[وإن قوتلتم لننصرنكم] أي ولئن قاتلكم أحد لنعاوننكم على عدوكم ، ونكون بجانبكم

[والله يشهد أنهم لكاذبون] أي والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما قالوه ووعدوهم به . . ثم أخبر الله عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حال المنافقين بالتفصيل ، فقال سبحانه :

[لئن اخرجوا لا يخرجون معهم] أي لئن أخرج اليهود لا يخرج المنافقون معهم

[ولئن قوتلوا لا ينصرونهم] أي ولئن قوتل اليهود لا ينصرهم المنافقون ولا يقاتلون معهم ، قال القرطبي : وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد (ص)من جهة أمر الغيب ، لأنهم أخرجوا فلم يخرجوا معهم ، وقوتلوا فلم ينصروهم كما أخبر عنه القرآن

[ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون] أي ولئن جاءوا لنصرتهم وقاتلوا معهم - على سبيل الفرض والتقدير - فسوف ينهزمون ، ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين ، قال الإمام الفخر : أخبر تعالى أن هؤلاء اليهود لئن أخرجوا فإن المنافقين لا يخرجون معهم - وقد كان الأمر كذلك ، فإن بني النضير لما أخرجوا لم يخرج معهم المنافقون وقوتلوا كذلك فما نصروهم - وأما قوله تعالى : [ولئن نصروهم] فهذا على سبيل الفرض والتقدير ، أي بتقدير أنهم أرادوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نصرتهم ، لابد وأن يتركوا تلك النصرة وينهزموا

[لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله] أي لأنتم يا معشر المسلمين ، أشد خوفا وخشية في قلوب المنافقين من الله ، فإنهم يرهبون ويخافون منكم ، أشد من رهبتهم من الله

[ذلك بأنهم قوم لا يفقهون] أي ذلك الخوف منكم ، بسبب أنهم لا يعلمون عظمة الله تعالى ، حتى يخشوه حق خشيته ، قال القرطبي : أي لا يفقهون قدر عظمة الله وقدرته .. ثم أخبر تعالى عن اليهود والمنافقين ، بأنهم جبناء من شدة الهلع ، وأنهم لا يقدرون على قتال المسلمين ، إلا إذا كانوا متحصنين في قلاعهم وحصونهم ، فقال سبحانه :

[لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة] أي لا يقدرون على مقاتلتكم مجتمعين ، إلا إذا كانوا في قرى محضنة بالأسوار والخنادق

[أو من وراء جدر] أي أو يكونوا من وراء الحيطان ليتستروا بها ، لفرط جبنهم وهلعهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[بأسهم بينهم شديد] أي عداوتهم فيما بينهم شديدة
[تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى] أي تظنهم مجتمعين على أمر ورأي - في الصورة - ذوي ألفة واتحاد ، وهم مختلفون غاية الاختلاف لأن آراءهم مختلفة ، وقلوبهم متفرقة ، قال قتادة : أهل الباطل مختلفة آراؤهم ، مختلفة شهادتهم ، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق

[ذلك بأنهم قوم لا يعقلون] أي ذلك التفرق والتشتت ، بسبب أنهم لا عقل لهم ، يعقلون به أمر الله ، فهم كالبهائم لا تتفق على حالة
[كمثل الذين من قبلهم قريبا] أي صفة بني النضير ، فيما وقع لهم من الجلاء والذل ، كصفة كفار مكة فيما وقع لهم يوم بدر من الهزيمة والأسر ، قال البيضاوي : أي مثل اليهود كمثل أهل بدر ، أو المهلكين من الأمم الماضية في زمان قريب
[ذاقوا وبال أمرهم] أي ذاقوا سوء عاقبة إجرامهم في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدنيا

[ولهم عذاب أليم] أي ولهم عذاب شديد موجع في الآخرة

[كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر] أي مثل المنافقين ، في إغراء اليهود على القتال ، كمثل الشيطان الذي أغرى الإنسان بالكفر ، ثم تخلى عنه وخذله

[فلما كفر قال إني بريء منك] أي فلما كفر الإنسان تبرأ منه الشيطان وقال :

[إني أخاف الله رب العالمين] أي أخاف عذاب الله وانتقامه إن كفرت به ، قال في التسهيل : هذا مثل ، مثل الله به للمنافقين - الذين اغووا يهود بني النضير ثم خذلوهم بعد ذلك - بالشيطان الذي يغوي ابن آدم ثم يتبرأ منه ، والمراد بالشيطان والإنسان هنا الجنس ، وقول الشيطان [إني أخاف الله] كذب منه ورياء لأنه لو خاف الله ، لامتثل أمره وما عصاه !! ((قال ابن كثير : أي مثل هؤلاء اليهود فى اغترارهم بالذين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعدوهم النصر من المنافقين ، كمثل الشيطان إذ سول للإنسان الكفر ثم تبرأ منه وتنصل وقال إني أخاف الله رب العالمين)).

[فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها] أي فكان عاقبة المنافقين واليهود ، مثل عاقبة الشيطان والإنسان ، حيث صارا إلى النار المؤبدة

[وذلك جزاء الظالمين] أي وذلك عقاب كل ظالم فاجر ، منتهك حرمات الله والدين . . ولما ذكر صفات كل من المنافقين واليهود ، وضرب لهم الأمثال ، وعظ المؤمنين بموعظة حسنة ، تحذيرا من أن يكونوا مثل من تقدم ذكرهم ، فقال سبحانه :

[يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله] أي خافوا الله واحذروا عقابه ، بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه

[ولتنظر نفس ما قدمت لغد] أي ولتنظر كل نفس ، ما قدمت من الأعمال الصالحة ليوم القيامة ، قال ابن كثير : انظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ، ليوم معادكم وعرضكم على ربكم ، وسمي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يوم القيامة (غدا) لقرب مجيئه كما قال سبحانه [وما أمر الساعة إلا كلمح البصر] والتنكير فيه للتفخيم والتهويل

[واتقوا الله] كرره للتأكيد ولبيان منزلة التقوى ، التي هي وصية الله تعالى للأولين والآخرين [ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله]

[إن الله خبير بما تعملون] أي مطلع على أعمالكم فيجازيكم عليها

[ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم] أي ولا تكونوا يا معشر المؤمنين ، كالذين تركوا ذكر الله ومراقبته وطاعته ، فأنساهم حقوق أنفسهم ، والنظر لها بما يصلحها ، قال أبو حيان : وهذا من المجازاة على الذنب بالذنب ، تركوا عبادة الله وامتثال أوامره ، فعوقبوا على ذلك بأن أنساهم حظ أنفسهم ، حتى لم يقدموا لها خيرا ينفعها

[أولئك هم الفاسقون] أي اولئك هم الفجرة الخارجون عن طاعة الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة] أي لا يتساوى يوم القيامة الأشقياء والسعداء ، (أهل النار) و(أهل الجنة) ، في الفضل والرتبة
[أصحاب الجنة هم الفائزون] أي أصحاب الجنة هم الفائزون بالسعادة الأبدية في دار النعيم ، وذلك هو الفوز العظيم .. ثم ذكر تعالى روعة القرآن ، وتأثيره على الصم الراسيات من الجبال ، وذلك بضرب مثل! رائع ، يجعل الجبل الأصم يتأثر ويتصدع لجلال عظمة القرآن ، فكيف لا يتأثر به الإنسان ؟ فقال سبحانه :

[لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله] أي لو خلقنا في الجبل عقلا وتمييزا ، كما خلقنا للإنسان ، وأنزلنا عليه هذا القرآن ، بوعده ووعيده ، لخشع وخضع وتشقق ، خوفا من الله تعالى ، ومهابة له وهذا تصوير لعظمة قدر القرآن ، وقوة تأثيره ، وأنه بحيث لو خوطب به جبل - على شدته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وصلابته - لرايته ذليلا متصدعا من خشية الله ، والمراد منه توبيخ الإنسان ، بأنه لا يتخشع عند تلاوة القرآن ، بل يعرض عما فيه من عجائب وعظائم ، فهذه الآية في بيان عظمة القرآن ، ودناءة حال الإنسان. والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه ، وعدم تأثره بهذا الذي لو أنزل على الجبل ، لتخشع وتصدع ، وإذا كان الجبل على عظمته وتصلبه يعرض له الخشوع والتصدع ، فابن آدم كان أولى بذلك ، لكنه على حقارته وضعفه لا يتأثر !!

[وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون] أي وتلك الأمثال نفصلها ونوضحها للناس ، لعلهم يتفكرون في آثار قدرة الله ووحدانيته فيؤمنون .. ثم لما وصف القرآن بالرفعة والعظمة ، أتبعه بشرح عظمة الله وجلاله ، فقال سبحانه :

[هو الله الذى لا إله إلا هو] أي هو جل وعلا الإله المعبود بحق ، لا آله ولا رب سواه

[عالم الغيب والشهادة] أي عالم السر والعلن ، يعلم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما غاب عن العباد مما لم يبصروه ، وما شاهدوه وعلموه

[هو الرحمن الرحيم] أي هو تعالى ذو الرحمة الواسعة قي الدنيا والآخرة ، الرحيم بالمؤمنين يوم الدين

[هو الله الذي لا إله إلا هو] كرر اللفظ اعتناء بأمر التوحيد ، أي لا معبود ولا رب يستحق العبادة سواه

[الملك] أي المالك لجميع المخلوقات ، المتصرف في خلقه بالأمر والنهي ، والإيجاد والإعدام

[القدوس] أي المنزه عن القبائح وصفات الحوادث ، والقدوس مشتق من التقديس وهو التنزه عن صفات المخلوقين ، وعن كل نقص وعيب ، والصيغة للمبالغة كالسبوح وقد ورد أن الرسول (ص)كان يقول فى سجوده : (سبوح قدوس ، رب الملائكة والروح)

[السلام] أي الذي سلم الخلق من عقابه ، وأمنوا من جوره [ولا يظلم ربك أحدا] وقال البيضاوي : أي ذو السلامة من كل نقص وآفة ، وهو مصدر وصف به

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للمبالغة

[المؤمن] أي المصدق لرسله ، بإظهار المعجزات على أيديهم

[المهيمن] أي الرقيب الحافظ لكل شيء وقال ابن عباس : الشهيد على عباده بأعمالهم ، الذي لا يغيب عنه شيء

[العزيز] أي القادر القاهر الذي لا يغلب ولا يناله ذل

[الجبار] أي القهار العالي الجناب ، الذي يذل له من دونه ، قال ابن عباس : هو العظيم الذي إذا أراد أمرا فعله ، وجبروت الله عظمته

[المتكبر] أي الذي له الكبرياء حقا ولا تليق إلا به ، وفي الحديث القدسي (العظمة إزاري ، والكبرياء ردائي ، فمن نازعني فيهما قصمته ولا أبالي)قال الإمام الفخر : واعلم أن المتكبر في صفة الناس صفة ذم ، لأن المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر ، وذلك نقص في حق الخلق ، لأنه ليس له كبر ولا علو ، بل ليس له إلا الذلة والمسكنة ، فإذا أظهر العلو كان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كاذبا ، فكان مذموما في حق الناس ، وأما الحق سبحانه ، فله جميع أنواع العلو والكبرياء ، فإذا أظهره فقد أرشد العباد إلى تعريف جلاله وعظمته وعلوه ، فكان ذلك في غاية المدح في حقه جل وعلا ، ولهذا قال في آخر الآية

[سبحان الله عما يشركون] أي تنزه الله وتقدس في جلاله وعظمته ، عما يلحقون به من الشركاء والأنداد

[هو الله الخالق البارىء] أي هو جل وعلا الإله الخالق لجميع الأشياء ، الموجد لها من العدم ، المنشىء لها بطريق الاختراع

[المصور] أي المبدع للأشكال على حسب إرادته

[هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء] قال الخازن : أي الذي يخلق صورة الخلق على ما يريده

[له الأسماء الحسنى] أي له الأسماء الرفيعة ، الدالة على محاسن المعاني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يسبح له ما في السموات والأرض] أي ينزهه تعالى عن صفات العجز والنقص ، جميع ما في الكون بلسان الحال أو المقال ، قال الصاوي : ختم السورة بالتسبيح كما ابتدأها به إشارة إلى أنها المقصود الأعظم ، والمبدأ والنهاية ، وأن غاية المعرفة بالله ، تنزيه عظمته عما صورته العقول

[وهو العزيز الحكيم] أي العزيز في ملكه ، الحكيم في خلقه وصنعه .

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - طباق السلب [ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله] .

2 - المقابلة اللطيفة بين [وما آتاكم الرسول فخذوه] وبين [وما نهاكم عنه فانتهوا] .

3 - وضع الضمير بين المبتدأ والخبر لإفادة الحصر [أولئك هم الصادقون] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4 - الاستعارة اللطيفة [تبوءو الدار والإيمان] شبه الإيمان المتمكن في نفوسهم ، بمنزل ومستقر للإنسان نزل فيه ، وتمكن منه حتى صار منزلا له ، وهو من لطيف الاستعارة .

5 - الاستفهام الذي يراد به الإنكار والتعجيب [ألم تر إلى الذين نافقوا ..] الآية .

6 - الطباق بين جميعا وشتى في قولهم : [تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى] .

7 - التشبيه التمثيلي [كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر. .] لأن وجه الشبه منتزع من متعدد .

8 - الكناية اللطيفة [ولتنظر نفس ما قدمت لغد] كنى عن القيامة بالغد لقربها .

9 - الطباق بين [الغيب .. والشهادة] وبين [الجنة .. والنار] ا لخ .

لطيفة :

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : " جاء رجل إلى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إني مجهود - أي اشتد بي الجوع والفاقة - فأرسل إلى بعض نسائه يسألها هل عندك شيء ؟ فقالت : والذي بعثك بالحق ما عندي إلا الماء ، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك ، وقلن كلهن مثل ذلك ، فقال رسول الله (ص) : من يضيفه هذه الليلة يرحمه الله ؟ فقام رجل من الأنصار يقال له " أبو طلحة " فقال : أنا يا رسول الله !! فانطلق به إلى رحله -أي إلى منزله - فقال لها : هذا ضيف رسول الله (ص) لا تدخري عنه شيئا واكرميه ، فقالت : ما عندي إلا قوت الصبيان ، فقال علليهم بشيء ونوميهم ، فإذا دخل ضيفنا فأريه أنا نأكل ثم قومي إلى السراج كي تصلحيه فأطفئيه ، ففعلت فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاوين ، فلما أصبح غدا على رسول الله (ص) فلما نظر إليه رسول الله (ص)تبسم ، ثم قال : لقد عجب الله من صنيعكما الليلة بصاحبكما!! وأنزل الله هذه الآية [ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ..] الآية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سورة الممتحنة

وآياتها ثلاث عشرة آية

بين يدي السورة

* هذه السورة الكريمة من السور المدنية ، التي تهتم بجانب التشريع ، ومحور السورة يدور حول فكرة (الحب والبغض في الله)الذي هو أوثق عرى الإيمان ، وقد نزل صدر السورة عتابا لحاطب بن أبي بلتعة ، حين كتب كتابا لأهل مكة ، يخبرهم أن الرسول (ص) قد تجهز لغزوهم ، كما ذكر تعالى حكم موالاة أعداء الله ، وضرب الأمثال في إبراهيم والمؤمنين في تبرؤهم من المشركين ، وبين حكم الذين لم يقاتلوا المسلمين ، وحكم المؤمنات المهاجرات وضرورة امتحانهن ، وغير ذلك من الأحكام التشريعية .

* ابتدأت السورة الكريمة بالتحذير من موالاة أعداء الله ، الذين آذوا المؤمنين حتى اضطروهم إلى الهجرة ، وترك ا لديار والأوطان [يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ..] الآيات .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* ثم بينت السورة أن القرابة والنسب والصداقة في هذه الحياة ، لن تنفع الإنسان أبدا يوم القيامة ، حيث لا ينفع الإنسان إلا الإيمان والعمل الصالح [لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة ..] الآيات .

* ثم ضربت المثل في إيمان إبراهيم عليه السلام وأتباعه المؤمنين ، حين تبرءوا من قومهم المشركين ، ليكون ذلك حافزا لكل مؤمن ، على الاقتداء بأبي الأنبياء إبراهيم خليل الرحمن [قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا ..] الآيات .

* وتحدثت السورة عن حكم الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم [لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم . .] وحكم الذين قاتلوا المؤمنين وآذوهم [إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين . .] الآيات .

* وبينت السورة وجوب امتحان المؤمنات عند الهجرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، وعدم ردهن إلى الكفار ، إذا ثبت إيمانهن ، وقررت عدم الاعتداد بعصمة الكافر ، ثم بين تعالى حكم الهجرة ، ومبايعة النساء للرسول (ص) وشروط هذه البيعة [يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن . .] الآيات وقوله : [يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ألا يشركن بالله شيئا . .] الآيات .

* وختمت السورة بتحذير المؤمنين من موالاة الكفرة المجرمين أعداء الله [يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم ، قد يئسوا من الأخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور] وهكذا ختمت السورة بمثل ما بدأت به من التحذير من موالاة أعداء الله ، ليتناسق الكلام في البدء والختام .

قال الله تعالى : [ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ...] إلى قوله سبحانه [كما يئس الكفار من أصحاب القبور] من آية (1) إلى آية (13) نهاية السورة الكريمة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللغة :

[أولياء] أصدقاء وأحباء جمع ولي وهو الصديق والناصر والمعين

[يثقفوكم] يظفروا بكم ويتمكنوا منكم ، وأصل الثقف الحذق في إدراك الشيء وفعله ، ومنه قولهم " رجل ثقف لقف " ثم استعمل في الظفر والإدراك مطلقا "

[أسوة] قدوة يقتدى به

[أرحامكم] جمع رحم وهو في الأصل رحم المرأة ، واشتهر في القرابة حتى صار كالحقيقة فيها

[ظاهروا] أعانوا

[عصم] جمع عصمة وهي ما يعتصم ويتمسك به الإنسان من حبل أو عقد ، والمراد به هنا : عقد النكاح

[الكوافر] جمع كافرة وهي التي لا تؤمن بالله ، ومثلها المشركة التي تدين بالشيوعية أو البوذية .

سبب النزول :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لما تجهز رسول الله (ص)لفتح مكة ، كتب " حاطب بن أبي بلتعة " إلى أهل مكة يخبرهم بذلك ، وقال لهم : إن رسول الله ، يريد أن يغزوكم فخذوا حذركم ، ثم أرسل الكتاب مع ظعينة - أي امرأة مسافرة - فنزل الوحي على رسول الله (ص) يخبره بذلك ، فبعث رسول الله (ص) (عليا ، والزبير ، والمقداد) وقال : " انطلقوا حتى تأتوا " روضة خاخ " ((" روضة خاخ " : مكان على بعد قليل من المدينة المنورة)) . فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فأتوني به ، فخرجنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة ، فقلنا لها : أخرجي الكتاب ، فقالت : ما معي من كتاب ، فقلنا لها : لتخرجن الكتاب أو لنلقين عنك الثياب ، فأخرجته من عقاصها ((" عقاصها " : ضفائر شعرها)) ، فأتينا به النبي (ص) فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة ، إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ، فقال النبي (ص) : " ما هذا يا حاطب ؟ ، فقال يا رسول الله : لا تعجل على ، إني كنت امرءا ملصقا في قريش

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، ولم أكن من أنفسها ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات ، يحمون بها أهلهم وأموالهم بمكة ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم ، أن أتخذ يدا يحمون بها قرابتي ، وما فعلت ذلك كفرا وارتدادا عن ديني !! فقال عمر : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق !! فقال (ص) : " إنه شهد بدرا ، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم !) فنزلت [يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ..] الآية.

التفسير :

[يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء] أي يا معشر المؤمنين ، يا من صدقتم بالله ورسوله ، لا تتخذوا الكفار الذين هم أعدائي وأعداؤكم ، أصدقاء وأحباء ، فإن من علامة الإيمان ، بغض أعداء الله لا مودتهم وصداقتهم ، قال في التسهيل : نزلت عتابا لحاطب وزجرا عن أن يفعل أحد مثل فعله ، وفيها مع ذلك تعريف له ، لأن الله شهد له بالإيمان في قوله :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يا أيها الذين آمنوا]
[تلقون إليهم بالمودة] أي تحبونهم وتودونهم وتصادقونهم ، مع أنهم أعداء ألداء لكم ، قال القرطبي : أي تخبرونهم بسرائر المسلمين وتنصحون لهم
[وقد كفروا بما جاءكم من الحق] أي والحال أنهم كافرون بدينكم ، وبقرآنكم الذي أنزله الله عليكم ، بالحق الواضح ، والبرهان الساطع
[يخرجون الرسول وإياكم] أي يخرجون محمدا من مكة ظلما وعدوانا ، كما يخرجون أيضا منها المؤمنين ، وقدم الرسول تشريفا له ولأنه الأصل للمؤمنين ، ومعنى إخراجهم أنهم ضيقوا عليهم وآذوهم ، حتى خرجوا منها مهاجرين إلى المدينة
[أن تؤمنوا بالله ربكم] أي من أجل أنكم آمنتم بالله الواحد الأحد ، كقوله تعالى : [وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد]
[إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شرط حذف جوابه أي إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيل الله ، طلبا لرضوانه ، فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ، قال الألوسي : وجواب الشرط محذوف رد عليه ما تقدم كأنه قيل : لا تتخذوا أعدائي إن كنتم أوليائي

[تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم] أي تسرون إليهم بالنصيحة وأنا العالم بسريرتكم وعلانيتكم ، لا يخفى على شيء من أحوالكم ؟ والغرض منه التوبيخ والعتاب

[ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل] أي ومن يصادق أعداء الله ، ويفش أسرار الرسول ، فقد حاد عن طريق الحق والصواب . . لم أخبر تعالى المؤمنين بعداوة الكفار الشديدة لهم ، المستحكمة في قلوبهم فقال :

[إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء] أي إن يظفروا بكم ويتمكنوا منكم ، يظهروا ما في قلوبهم من العداوة الشديدة لكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء] أي يمدوا إليكم أيديهم بالضرب والقتل ، وألسنتهم بالشتم والسب

[وودوا لو تكفرون] أي وقد تمنوا أن تكفروا لتكونوا مثلهم ، قال الزمخشري : وإنما أورده بذكر الماضي [وودوا] بعد أن ذكر جواب الشرط بلفظ المضارع [لو تكفرون] لأنهم أرادوا كفرهم قبل كل شيء كقوله تعالى : [ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء] [لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم] أي لن تفيدكم قراباتكم ولا أولادكم ، الذين توالون الكفار من أجلهم ، يوم القيامة شيئا ، فلن يجلبوا لكم نفعا ، ولن يدفعوا عنكم ضرا ، قال الصاوي : هذا تخطئة لحاطب في رأيه ، كأنه قال : لا تحملكم قراباتكم وأولادكم الذين بمكة ، على خيانة رسول الله (ص) والمؤمنين ، ونقل أخبارهم وموالاة أعدائهم ، فإنه لا تنفعكم الأرحام ولا الأولاد ، الذين عصيتم الله من أجلهم

[يوم القيامة يفصل بينكم] أي في ذلك اليوم العصيب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، يحكم الله بين المؤمنين والكافرين ، فيدخل المؤمنين جنات النعيم ، ويدخل المجرمين دركات الجحيم

[والله بما تعملون بصير] أي مطلع على جميع أعمالكم فيجازيكم عليها

[قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه] أي قد كان لكم يا معشر المؤمنين قدوة حسنة ، في الخليل إبراهيم ومن معه من المؤمنين

[إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله] أي حين قالوا للكفار إننا متبرءون منكم ومن الأصنام التي تعبدونها من دون الله

[كفرنا بكم] أي كفرنا بدينكم وطريقتكم

[وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا] أي وظهرت بيننا وبينكم العداوة والبغضاء إلى الأبد ، ما دمتم على هذه الحالة

[حتى تؤمنوا بالله وحده] أي إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده ، وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك والأوثان ، قال المفسرون : أمر الله المؤمنين أن يقتدوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بإبراهيم الخليل عليه السلام ، وبالذين معه قي عداوة المشركين ، والتبرؤ منهم ، لأن الإيمان يقتضى مقاطعة أعداء الله وبغضهم

[إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك] أي إلا في استغفار إبراهيم لأبيه فلا تقتدوا به ، فإنه إنما استغفر لأبيه المشرك رجاء إسلامه [فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه]

[وما أملك لك من الله من شيء] هذا من تتمة كلام إبراهيم لأبيه ، أي ما أدفع عنك من عذاب الله شيئا ، إن أشركت به ، ولا أملك لك شيئا غير الاستغفار

[ربنا عليك توكلنا] أي عليك اعتمدنا في جميع أمورنا

[وإليك أنبنا] أي وإليك رجعنا وتبنا

[وإليك المصير] أي وإليك المرجع والمعاد في الدار الآخرة ، قال المفسرون : إن إبراهيم وعد أباه بالاستغفار كما في سورة مريم قال : [سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا] واستغفر له بالقول فعلا ، كما في سورة الشعراء [واغفر لأبي إنه كان من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الضالين] وكل هذا كان رجاء إسلامه ، ثم رجع عن ذلك لما تيقن كفره ، كما في سورة التوبة [وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه]

[ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا] أي لا تسلطهم علينا ، فيفتتونا عن ديننا بعذاب لا نطيقه وقال مجاهد : أي لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك ، فيقولوا : لو كان هؤلاء على الحق لما أصابهم ذلك

[واغفر لنا] أي اغفر لنا ما فرط من الذنوب

[ربنا إنك أنت العزيز الحكيم] أي أنت يا الله الغالب ، الذي لا يذل من التجأ إليه ، الحكيم الذي لا يفعل إلا ما فيه الخير والمصلحة ، وتكرار النداء [ربنا] للمبالغة في التضرع والجؤار .

[لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة] أي لقد كان لكم في إبراهيم ومن معه من المؤمنين ، قدوة حسنة في التبرؤ من الكفار ، قال أبو السعود : والتكرير للمبالغة في الحث على الاقتداء به عليه السلام ، ولذلك صدر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالقسم

[لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر] أي لمن كان يرجو ثواب الله تعالى ، ويخاف عقابه في الآخرة

[ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد] أي ومن يعرض عن الإيمان وطاعة الرحمن ، فإن الله مستغني عن أمثاله ، وعن الخلق أجمعين ، وهو المحمود في ذاته وصفاته

[عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة] أي لعل الله جلك وعلا ، يجعل بينكم وبين الذين عاديتموهم من أقاربكم المشركين ، محبة ومودة ، محبة بعد البغضاء ، وألفة بعد الشحناء ، قال في التسهيل : لما أمر الله المسلمين بعداوة الكفار ومقاطعتهم ، على ما كان بينهم وبين الكفار من القرابة والمودة ، وعلم الله صدقهم آنسهم بهذه الآية ، ووعدهم بأن يجعل بينهم [مودة] أي محبة ، وهذه المودة كملت في فتح مكة فإنه أسلم حينئذ سائر قريش ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجمع الله الشمل بعد التفرق ، وقال الرازي : و " عسى " وعد من الله تعالى ، وقد حقق تعالى ما وعدهم به من اجتماع كفار مكة بالمسلمين ، ومخالطتهم لهم حين فتح مكة

[والله قدير] أي قادر لا يعجزه شيء ، يقدر على تقليب القلوب ، وتغيير الأحوال

[والله غفوز رحيم] أي مبالغ في المغفرة والرحمة ، لمن تاب إليه وأناب

[لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم] أي لا ينهاكم عن البر بهؤلاء ، الذين لم يحاربوكم لأجل دينكم ، ولم يخرجوكم من أوطانكم كالنساء والصبيان ، ولفظة [أن تبروهم] في موضع جر بـــ " عن " أي لا ينهاكم جل وعلا عن البر والإحسان لهؤلاء

[وتقسطوا إليهم] أي تعدلوا معهم

[إن الله يحب المقسطين] أي يحب العادلين في جميع أمورهم وأحكامهم قأل ابن عباس : نزلت في خزاعة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وذلك أنهم صالحوا رسول الله (ص)على ألا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحدا ، فرخص الله في برهم والإحسان إليهم).. وروي عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت : قدمت أمي - وهي مشركة - في عهد قريش حين عاهدوا رسول الله (ص)- تعني في صلح الحديبية - فأتيت رسول الله (ص) فقلت يا رسول الله : إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها ؟ قال : نعم صلى أمك - أي أكرميها وأحسني معاملتها - فأنزل الله [لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ..] الآية

[إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم] أي إنما ينهاكم الله عن صداقة ومودة الذين ناصبوكم العداوة ، وقاتلوكم لأجل دينكم ، وأعانوا أعداءكم على إخراجكم من دياركم ، أن تتولوهم فتتخذوهم أولياء وأنصارا وأحبابا

[ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون] أي ومن يصادق أعداء الله ويجعلهم أنصارا وأحبابا ، فأولئك هم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب

[يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن] أي اختبروهن لتعلموا صدق إيمانهن ، قال المفسرون : كان صلح الحديبية الذي جرى بين رسول الله (ص) وكفار مكة ، قد تضمن أن من أتى أهل مكة من المسلمين لم يرد إليهم ، ومن أتى المسلمين من أهل مكة - يعني المشركين - رد إليهم ، فجاءت " أم كلثوم " بنت (عقبة بن أبي فعيط) مهاجرة إلى رسول الله (ص) ، فخرج في أثرها أخواها " عمارة " و " الوليد " فقالوا للنبي (ص) : ردها علينا بالشرط ، فقال (ص) : كان الشرط في الرجال لا في النساء ، فأنزل الله الآية ، قال ابن عباس : كانت المرأة تستحلف أنها ما هاجرت بغضا لزوجها ، ولا طمعا في الدنيا ، وأنها ما خرجت إلا حبا لله ورسوله ، ورغبة في دين الإسلام

[الله أعلم بإيمانهن] أي الله أعلم بصدقهن في دعوى الإيمان ، لأنه تعالى المطلع على قلوبهن ، والجملة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اعتراضية لبيان أن هذا الامتحان بالنسبة للمؤمنين ، وإلا فالله عالم بالسرائر ، لا تخفى عليه خافية

[فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار] أي فإن تحققتم إيمانهن بعد امتحانهن ، فلا تردوهن إلى أزواجهن الكفار

[لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن] أي لا تحل المؤمنة للمشرك ، ولا يحل للمؤمن نكاح المشركة ، قال الألوسي : والتكرير للتأكيد والمبالغة فى الحرمة ، وقطع العلاقة بين المؤمنة والمشرك

[وآتوهم ما أنفقوا] أي اعطوا أزواجهن الكفار ما أنفقوا عليهن من المهور ، قال في البحر : أمر أن يعطى الزوج الكافر ، ما أنفق على زوجته إذا أسلمت ، فلا يجمع عليه خسران الزوجة والمالية

[ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن] أي ولا حرج ولا إثم عليكم أن تتزوجوا هؤلاء المهاجرات ، إذا دفعتم لهن مهورهن ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخازن : أباح الله للمسلمين نكاح المهاجرات ، من دار الحرب إلى دار الإسلام - وإن كان لهن أزواج كفار - لأن الإسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار ، وتقع الفرقة بانقضاء عدتها

[ولا تمسكوا بعصم الكوافر] أي ولا تتمسكوا بعقود زوجاتكم الكافرات ، فليس بينكم وبينهن عصمة ، ولا علاقة زوجية ، قال القرطبي : المراد بالعصمة هنا النكاح ، يقول : من كانت له امرأة كافرة بمكة ، فلا يعتد بها فليست امرأته ، فقد انقطعت عصمتها لإختلاف الدارين

[واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا] أي اطلبوا يا أيها المؤمنون ما أنفقتم من المهر ، إذا لحقت أزواجكم بالكفار ، وليطلبوا هم - أي المشركون " ما أنفقوا على أزواجهم المهاجرات ، قال ابن العربي : كان من ذهب من المسلمات مرتدا في إلى الكفار ، يقال للكفار : هاتوا مهرها ، ولقال للمسلمين إذا جاءت إحدى الكافرات مسلمة مهاجرة : ردوا إلى الكفار مهرها ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكان ذلك نصفا وعدلا بين الحالتين
[ذلكم حكم الله يحكم بينكم] أي ذلكم هو شرع الله وحكمه العادل ، بينكم وبين أعدائكم
[والله عليكم حكيم] أي عليم بمصالح العباد ، حكيم في تشريعه لهم ، يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة
[وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار] أي وإن فرت زوجة أحد من المسلمين ولحقت بالكفار
[فعاقبتم] أي فغزوتم وغنمتم وأصبتم من الكفار غنيمة
[فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا] أي فأعطوا لمن فرت زوجته ، مثل ما أنفق عليها من المهر ، من الغنيمة التي بأيديكم ، قال ابن عباس : يعني إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار ، أمر له رسول الله (ص)أن يعطى مثل ما أنفق من الغنيمة قال القرطبي : لما نزلت الآية السابقة
[واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا] قال المسلمون : رضينا بما حكم الله ، وكتبوا إلى المشركين ، فامتنعوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فنزلت هذه الآية

[واتقوا الله] أي وراقبوا الله في أقوالكم وأفعالكم ، واحذروا عذابه وانتقامه إن خالفتم أوامره

[الذي أنتم به مؤمنون] أي الذي آمنتم وصدقتم بوجوده ، فإن من مستلزمات الإيمان تقوى الرحمن ..

ولما فتح رسول الله (ص)مكة ، جاء نساء أهل مكة يبايعنه على الإسلام ، كما بايعه الرجال فنزلت

[يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا] أي إذا جاء إليك النساء المؤمنات للبيعة ، فبايعهن على هذه الأمور الستة الهامة ، وفي مقدمتها عدم الإشراك بالله جل وعلا

[ولا يسرقن ولا يزنين] أي ولا يرتكبن جريمة السرقة ، ولا جريمة الزنى ، التي هي من أفحش الفواحش

[ولا يقتلن أولادهن] أي ولا يئدن البنات كما كان يفعله أهل الجاهلية ، خوف العار أو خشية الفقر ، قال ابن كثير : وهذا يشمل قتله بعد وجوده ، كما كان أهل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجاهلية يقتلون أولادهم ، خشية الإملاق أو العار ، ويعم قتله وهو جنين كما يفعله بعض النساء الجاهلات ، تطرح نفسها لئلا تحبل ، إما لغرض فاسد أو ما أشبهه

[ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن] أي لا تنسب إلى زوجها ولدا " لقيطا " ليس منه ، تقول له : هذا ولدي منك ، قال المفسرون : كانت المرأة إذا خافت مفارقة زوجها لها لعدم الحمل ، التقطت ولدا ونسبته له ليبقيها عنده ، فالمراد بالآية اللقيط ، وليس المراد الزنى لتقدمه في النهي صريحا قال ابن عباس : لا تلحق بزوجها ولدا ليس منه ، وقال الفراء : كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها : هذا ولدي منك ، وإنما قال : [يفترينه بين أيديهن وأرجلهن] لأن الولد إذا وضعته الأم سقط بين يديها ورجليها

[ولا يعصينك في معروف] أي ولا يخالفن أمرك فيما أمرتهن به من معروف ، أو نهيتهن عنه من منكر ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بل يسمعن ويطعن

[فبايعهن واستغفر لهن الله] أي فبايعهن يا محمد على ما تقدم من الشروط ، واطلب لهن من الله الصفح والغفران لما سلف من الذنوب

[إن الله غفور رحيم] أي واسع المغفرة عظيم الرحمة ، قال أبو حيان : كانت " بيعة النساء " في ثاني يوم الفتح على جبل الصفا ، بعدما فرغ من بيعة الرجال ، وكان رسول الله (ص) على الصفا وعمر أسفل منه ، يبايعهن بأمره ويبلغهن عنه ، وما مست يده عليه الصلاة والسلام يد امرأة أجنبية قط ، وقالت " أسماء بنت السكن " : " كنت في النسوة المبايعات ، فقلت يا رسول الله (ص) أبسط يدك نبايعك ، فقال لي (ص) : " إني لا أصافح النساء ، لكن أخذ عليهن ما أخذ الله عليهن " وكانت " هند بنت عتبة " - وهي التي شقت بطن حمزة يوم أحد - متنكرة في النساء ، فلما قرأ عليهن الآية [على ألا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن] قألت وهي متنكرة يا رسول الله : إن أبا سفيان رجل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شحيح ، وإني لأصيب الهنة - أي القليل وبعض الشيء - من ماله ، لا أدري أيحل لي ذلك أم لا ؟ فقال أبو سفيان : ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال ، فضحك رسول الله (ص) وعرفها فقال لها : وإنك لهند بنت عتبة ؟ قالت : نعم ، فاعف عما سلف يا نبى الله ، عفا الله عنك ، فلما قرأ [ولا يزنين] قالت : أو تزني الحرة ؟ فلما قرأ [ولا يقتلن أولادهن] قالت : ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا ، فأنتم وهم أعلم - وكان ابنها حنظلة قد قتل يوم بدر - فضحك عمر حتى استلقى ، وتبسم رسول الله (ص) فلما قرأ [ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن] قالت هند : والله إن البهتان لأمر قبيح ، ولا يأمر الله إلا بالرشد ومكارم الأخلاق ، فلما قرأ [ولا يعصينك في معروف] قالت : والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء وأخرج الإمام أحمد عن " أميمة بنت رقيقة " - أخت السيدة خديجة وخالة فاطمة الزهراء - قالت : " أتيت رسول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله (ص) في نساء لنبايعه ، فأخذ علينا ما في القرآن [ألا نشرك بالله شيئا] الآية وقال : " فيما استطعتن وأطقتن " فقلنا : الله ورسوله ارحم بنا من أنفسنا ، قلنا يا رسول الله : ألا تصافحنا ؟ قال : " اني لا أصافح النساء ، إنما قولي لامرأة واحدة قولي لمائة امرأة "

[يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم] أي لا تصادقوا يا معشر المؤمنين الكفرة أعداء الدين ، ولا تتخذوهم أحباء وأصدقاء توالونهم ، وتأخذون بآرائهم ، فإنهم قوم غضب الله عليهم ولعنهم ، قال الحسن البصري : هم اليهود لقوله تعالى : [غير المغضوب عليهم] وقال ابن عباس : هم كفار قريش لأن كل كافر عليه غضب من الله ، والظاهر أن الآية عامة كما قال ابن كثير : يعني اليهود والنصارى وسائر الكفار ، ممن غضب الله عليه ولعنه

[قد يئسوا من الآخرة] أي أولئك الفجار الذين يئسوا من ثواب الآخرة ونعيمها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[كما يئس الكفار من أصحاب القبور] أي كما يئس الكفار المكذبون بالبعث والنشور ، من أمواتهم أن يعودوا إلى الحياة مرة ثانية ، بعد أن يموتوا ، فقد كانوا يقولون إذا مات لهم قريب أو صديق : هذا آخر العهد به ، ولن يبعث أبدا ((هذا هو الراجح في تفسير الآية الكريمة وهو خلاصة قول ابن عباس وقتادة والحسن ، وقال مجاهد معناه أنهم يئسوا من نعيم الآخرة كما يئس الكفار الذين هم في القبور من كل خير ، والأول أظهر والله أعلم)) ختم تعالى السورة الكريمة بمثل ما فتحها به ، وهو النهي عن موالاة الكفار أعداء الله ، وهو بمثابة التأكيد للكلام ، وتناسق الآيات في البدء والختام ، وهو من روعة البلاغة بمكان !!

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البديع والبيان نوجزها فيما يلي :

1 - الطباق في قوله [وأنا أعلم بما أخفيتم وما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أعلنتم] لأن الإخفاء يطابق الإعلان ، والطباق : أن يؤتى باللفظ وما يقابله من ضده ، مثل [وتحسبهم أيقاظا وهم رقود] ومثل [أضحك وأبكى] و[أمات وأحيا] وأمثال ذلك .

2 - العتاب والتوبيخ [تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم ..] الآية .

3 - تقديم ما حقه التأخير لإفادة الصيغة للحصر [ربنا عليك توكلنا ، وإليك أنبنا ، وإليك المصير] ، والأصل توكلنا عليك ، وأنبنا إليك .. إلخ .

4 - صيغة المبالغة [قدير ، غفور ، رحيم] وهو كثير في القرآن ومثله [عليم حكيم] .

5 - طباق السلب [لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم] ثم قال [إنما ينهاكم الله ..] الآية .

6 - الجملة الاعتراضية [الله أعلم بإيمانهن] للاشارة إلى أن للإنسان الظاهر ، والله يتولى السرائر .

7 - العكس والتبديل [لا هن حل لهم ، ولا هم يحلون لهن] وهو من أنواع البديع .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

8 - الكناية اللطيفة [ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن] كنى بذلك عن اللقيط ، وهي من لطائف الكنايات .

9 - التشبيه المرسل المجمل [قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور] كما أن فيه من المحسنات البديعية ما يسمى رد العجز على الصدر ، حيث ختم السورة بمثل ما ابتدأها ليتناسق البدء مع الختام .

سورة الصف

مدنية وآياتها أربع عشرة آية

بين يدي السورة

* سورة الصف هي إحدى السور المدنية ، التي تعنى بالأحكام التشريعية ، وهذه السورة تتحدث عن موضوع (القتال) وجهاد أعداء الله ، والتضحية في سبيل الله ، لإعزاز دينه ، وإعلاء كلمته ، وعن التجارة الرابحة التي بها سعادة المؤمن في الدنيا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والآخرة ، ولكن المحور الذي تدور عليه السورة هو (القتال والجهاد لإعلاء كلمة الله) ولهذا سميت سورة الصف ، لأن المراد به اصطفاف المجاهدين للحرب .

* ابتدأت السورة الكريمة - بعد تسبيح الله وتمجيده - بتحذير المؤمنين من إخلاف الوعد ، وعدم الوفاء بما التزموا به [سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون] ؟ .

* ثم تحدثت عن قتال أعداء الله بشجاعة المؤمن وبسالته ، لأنه يقاتل من أجل غرض نبيل ، وهو رفع منار الحق ، وإعلاء كلمة الله [إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص] .

* وتناولت السورة بعد ذلك موقف اليهود من دعوة (موسى وعيسى) عليهما السلام ، وما أصابهما من الأذى في سبيل الله ، وذلك تسلية لرسول الله (ص)فيما ناله من كفار مكة [وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني . .] الآيات .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* وتحدثت السورة عن سنة الله في نصرة دينه ، وأنبيائه ، وأوليائه ، وضربت المثل للمشركين في عزمهم على محاربة دين الله ، بمن يريد إطفاء نور الشمس بفمه الصغير الحقير [يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون] .

* ودعت السورة المؤمنين إلى التجارة الرابحة ، وحرضتهم على الجهاد في سبيل الله ، بالنفس والنفيس ، لينالوا السعادة الدائمة الكبيرة ، مع النصرة العاجلة في الدنيا ، وخاطبتهم بأسلوب الترغيب والتشويق [يا أيها الذبن آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ؟ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله ..] الآيات .

* وختمت السورة بدعوة أهل الإيمان إلى نصرة (دين الرحمن) ، كما فعل الحواريون أصحاب عيسى ، حين دعاهم إلى نصرة دين الله ، فاستجابوا ونصروا الحق والرسول [يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين] . وهكذا يتناسق البدء مع الختام فى أبدع بيان وإحكام .

قال الله تعالى : [سبح لله ما في السموات وما في الأرض ..] إلى قوله [ولو كره المشركون] . من آية (1) إلى نهاية آية (9) .

اللغة :

[سبح] التسبيح تمجيد الله ، وتنزيهه عما لا يليق به من صفات النقص

[العزيز] الغالب الذي لا يغلب

[الحكيم] الذي يضع الأشياء في مواضعها ويفعل ما تقتضيه الحكمة

[مقتا] بغضا ، قال الزمخشري : المقت أشد البغض وأبلغه وأفحشه و

[المرصوص] المتماسك المتلاصق بعضه ببعض قال الفراء : رصصت البناء إذا لائمت بينه وقاربت حتى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يصير كقطعة واحدة

[زاغوا] مالوا عن الهدى والحق

[البينات] المعجزات الواضحات .

سبب النزول :

روي أن المسلمين قالوا : لو علمنا أحب الأعمال إلى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا!! فلما فرض الله الجهاد كرهه بعضهم فأنزل الله [يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون] .

التفسير :

[سبح لله ما في السموات وما في الأرض] أي نزه الله وقدسه ومجده ، جميع ما في السموات والأرض ، من ملك ، وإنسان ، ونبات ، وجماد [وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم] قال الإمام الفخر : أي شهد له بالربوبية والوحدانية وغيرهما من الصفات الحميدة جميع ما في السموات والأرض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وهو العزيز الحكيم] أي وهو الغالب في ملكه ، الحكيم في صنعه ، الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة

[يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون] أي يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، لم تقولون بألسنتكم شيئا ولا تفعلونه ؟ ولأي شيء تقولون نفعل ما لا تفعلونه ، من الخير والمعروف ؟ وهو استفهام على جهة الإنكار والتوبيخ ، قال ابن كثير : هذا إنكار على من يعد وعدا ، أو يقول قولا لا يفي به ، وفي الصحيحين (آية المنافق ثلاث : إذا وعد أخلف ، وإذا حدث كذب ، وإذا ائتمن خان)ثم أكد الإنكار عليهم بقوله :

[كبر مقتا عند الله] أي عظم فعلكم هذا بغضا عند ربكم

[أن تقولوا ما لا تفعلون] أي أن تقولوا شيئا ثم لا تفعلونه ، وأن تعدوا بشيء ، ثم لا تقومون بالوفاء به ، قال ابن عباس : كان ناس من المؤمنين - قبل أن يفرض الجهاد - يقولون : لوددنا أن الله عز وجل ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به ، فأخبر الله نبيه (ص) ، أن أحب الأعمال إلى الله ، إيمان بالله لا شك فيه ، وجهاد أهل معصيته ، فلما نزل الجهاد ، كره ذلك ناس من المؤمنين ، وشق عليهم أمره فنزلت الآية(1) وقيل : هو أن يأمر الإنسان أخاه بالمعروف ، ولا يأتمر به ، وينهاه عن المنكر ، ولا ينتهي عنه ، كقوله تعالى : [أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم] ؟ ثم أخبرهم تعالى بفضيلة الجهاد في سبيل الله ، فقال سبحانه :

[إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا] أي يحب المجاهدين الذين يثبتون في أماكنهم عند لقاء العدو ويقاتلون أعداءهم بشجاعة

[كأنهم بنيان مرصوص] أي كأنهم في تراضهم وثبوتهم في المعركة ، بناء قد رص بعضه ببعض ، وألصق وأحكم حتى صار شيئا واحدا ، قال القرطبي : ومعنى الآية أنه تعالى يحب من يثبت في الجهاد في سبيل الله ، ويلزم مكانه كثبوت البناء ، وهذا تعليم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله تعالى للمؤمنين ، كيف يكونون عند قتال عدوهم ؟ .. ولما ذكر تعالى أمر الجهاد ، بين أن موسى وعيسى جاهدا في سبيل الله ، وأوذيا بسبب ذلك ، فقال سبحانه :

[وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني] ؟ أي واذكر يا محمد لقومك ، قصة عبده وكليمه " موسى بن عمران " حين قال لقومه بني إسرائيل : لم تفعلون ما يؤذينى ؟ ((قال القرطبى : وإذايته عليه السلام حين رموه بالأدرة - وهو انتفاخ الخصية - ومن الأذى أنهم دسوا امرأة تدعى عليه الفجور ، ومن الأذى قولهم : {اجعل لنا إلها كما لهم آلهة} وقولهم : {اذهب أنت وربك فقاتلا})).

[وقد تعلمون أني رسول الله إليكم] أي والحال أنكم تعلمون علما قطعيا - بما شاهدتموه من المعجزات الباهرة - أني رسول الله إليكم ، وتعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة ؟ وفي هذا تسلية لرسول الله (ص)فيما أصابه من كفار مكة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم] أي فلما مالوا عن الحق ، أمال الله قلوبهم عن الهدى

[والله لا يهدي القوم الفاسقين] أي والله لا يوفق للخير والهدى ، من كان فاسقا خارجا عن طاعة الله ، قال الرازي : وفي هذا تنبيه على عظم إيذاء الرسل ، حتى إنه يؤدي إلى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى. . ثم ذكر تعالى قصة عيسى عليه السلام ، فقال سبحانه :

[وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم] أي واذكر يا محمد لقومك هذه القصة أيضا ، حين قال عيسى لبني إسرائيل : إني رسول الله أرسلت إليكم ، بالوصف المذكور في التوراة ، قال القرطبي : ولم يقل " يا قوم " كما قال موسى ، لأنه لا نسب له فيهم فيكونون قومه فإنه لم يكن له فيهم أب

[مصدقا لما بين يدي من التوراة] أي حال كوني مصدقا ومعترفا بأحكام التوراة ، وكتب الله وأنبيائه جميعا ، ولم آتكم بشيء يخالف التوراة ، حتى تنفروا عني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد] أي وجئت لأبشركم ببعثة رسول يأتى بعدي ، يسمى " أحمدا " قال الألوسي : وهذا الاسم الكريم علم لنبينا محمد (ص)كما قال حسان : صلى الإله ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك " أحمد " وفي الحديث : " لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا العاقب) ومعنى العاقب الذي لا نبى بعده ، وروي أن الصحابة قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك ! فقال : (أنا دعوة أبى إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي ، كأنه خرج منها نور ، أضاءت له قصور الشام)

[فلما جاءهم بالبينات] أي فلما جاءهم عيسى بالمعجزات الواضحات ، من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه - الأعمى - والأبرص ، ونحو ذلك من المعجزات الدالة على صدقه في دعوى الرسالة ((هذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هو الظاهر أن الضمير يعود على " عيسى " لأنه المحدث عنه ، وقيل : يعود على " أحمد " الذي بشروا به ، والأول اختيار البيضاوي والألوسي وصاحب البحر المحيط ، وهو الأظهر)).

[قالوا هذا سحر مبين] أي قالوا عن عيسى : هذا ساحر ، جاءنا بهذا السحر الواضح ، والإشارة بقولهم " سحر ، إلى المعجزات التي ظهرت على يديه عليه السلام ، قال المفسرون : بشر كل نبي قومه بنبينا محمد (ص) ، وإنما إفرد تعالى ذكر " عيسى " بالبشارة في هذا الموضع ، لأنه آخر أنبياء بني إسرائيل ، وآخر نبي قبل نبينا (ص) ، فبين تعالى أن البشارة به ، عمت جميع الأنبياء ، واحدا بعد واحد ، حتى انتهت إلى عيسى عليه السلام آخر أنبياء بني إسرائيل

[ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام] استفهام بمعنى النفي أي لا أحد أظلم ممن يدعوه ربه إلى الإسلام ، على لسان نبيه ، فيجعل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مكان إجابته افتراء الكذب على الله ، بتسمية نبيه ساحرا ، وتسمية آيات الله المنزلة سحرا

[والله لا يهدي القوم الظالمين] أي لا يوفق ولا يرشد إلى الفلاح والهدى من كان فاجرا ظالما

[يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم] أي يريد المشركون بأن يطفئوا دين الله ، وشرعه المنير بأفواههم ، قال الفخر الرازي : وإطفاء نور الله تعالى تهكم بهم ، في إرادتهم إبطال الإسلام ، بقولهم في القرآن : إنه سحر ، شبهت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه ، وفيه تهكم وسخرية بهم لاذعة

[والله متم نوره] أي والله مظهر لدينه ، بنشره في الآفاق ، وإعلائه على الأديان ، كما جاء في الحديث : (إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها ... الحديث)) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم ، ومعنى " زوى الأرض " أي جمعها حتى رآها صلوات الله عليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، ورأى مشارق الأرض ومغاربها)). والمراد أن هذا الدين سينتشر في مشارق الدنيا ومغاربها

[ولو كره الكافرون] أي ولو كره ذلك الكافرون المجرمون ، فإن الله سيعز شأن هذا الدين ، رغم أنف الكافرين !! كان كفار مكة يكرهون هذا الدين الحق ، من أجل توغلهم في الشرك والضلال ، فكان المناسب إذلالهم وإرغامهم ، بإظهار ما يكرهونه من الحق ، وليس المراد من إظهاره ، ألا يبقى في العالم من يكفر بهذا الدين ، بل المراد أن يكون أهله عالين ، غالبين على سائر أهل الأديان ، بالحجة والبرهان ، والسيف واللسان ، إلى آخر الزمان

[هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق] أي هو جل وعلا بقدرته وحكمته بعث رسوله محمدا (ص)بالقرآن الواضح ، والدين الساطع

[ليظهره على الدين كله] أي ليعليه على سائر الأديان المخالفة له ، من يهودية ، ونصرانية وغيرهما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولو كره المشركون] أي ولو كره ذلك أعداء الله ، المشركون بالله الجاهلون ، قال أبو السعود : ولقد أنجز الله وعده بإعزاز دين الإسلام ، حيث جعله بحيث لم يبق دين من الأديان ، إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام .

قال الله تعالى : [ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة ..] إلى قوله [فأصبحوا ظاهرين] . من اية (10)إلى آية(14) نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما بين تعالى أن المشركين يريدون إطفاء نور الله ، أمر المؤمنين بمجاهدة أعداء الدين ، ودعاهم إلى التضحية بالمال والنفس ، والجهاد في سبيل الله ، لإعلاء كلمة الله ، وبين لهم أنها التجارة الرابحة لمن أراد سعادة الدارين .

اللغة :

[تنجيكم] تخلصكم وتنقذكم

[الحواريون] الأصفياء والخواص من أتباع عيسى ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهم الذين ناصروا المسيح عليه السلام

[أيدنا] قوينا وساندنا

[ظاهرين] غالبين بالحجة والبرهان .

سبب النزول :

روي أن بعض الصحابة قالوا يا نبى الله : لوددنا أن نعلم ، أفي التجارات أحب إلى الله ؟ فنتجر فيها !!

فنزلت : [ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم] ؟ الآيات .

التفسير :

[يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة] أي يا من صدقتم الله ورسوله ، وآمنتم بربكم حق الإيمان ، هل أدلكم على تجارة رابحة جليلة الشأن ؟ والاستفهام للتشويق

[تنجيكم من عذاب أليم] أي تخلصكم وتنقذكم من عذاب شديد مؤلم .. ث بين تلك التجارة ووضحها فقال :

[تؤمنون بالله ورسوله] أي تعتقدون بالله ، وتؤمنون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

به إيمانا صادقا ، لا يثوبه شك ولا نفاق

[وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم] أي وتجاهدون أعداء الدين ، بالمال والنفس ، لإعلاء كلمة الله ، قال المفسرون : جعل الإيمان والجهاد في سبيله " تجارة " تشبيها لهما بالتجارة ، فإنها عبارة عن مبادلة شيء بشيء ، طمعا في الربح ، ومن آمن وجاهد بماله ونفسه ، فقد بذل ما عنده وما في وسعه ، لنيل ما عند ربه من جزيل ثوابه ، والنجاة من أليم عقابه ، فشبه هذا الثواب والنجاة من العذاب بالتجارة ، كقوله تعالى : [إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة] قال الإمام الفخر : والجهاد ثلاثة أنواع :

1- جهاد فيما بينه وبين نفسه ، وهو قهر النفس ومنعها عن اللذات والشهوات.

2- وجهاد فيما بينه وبين الخلق ، وهو أن يدع الطمع منهم ويشفق عليهم ويرحمهم.

3- وجهاد أعداء الله بالنفس والمال ، نصرة لدين الله.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون] أي ما أمرتكم به من الإيمان ، والجهاد في سبيل الله ، خير لكم من كل شيء في هذه الحياة ، إن كان عندكم فهم وعلم

[يغفر لكم ذنوبكم] هذا جواب الجملة الخبرية

[تؤمنون بالله ورسوله] لأن معناها معنى الأمر أي آمنوا بالله وجاهدوا في سبيله ، فإذا فعلتم ذلك [يغفر لكم ذنويكم] أي يسترها عليكم ، ويمحها بفضله عنكم

[ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار] أي ويدخلكم حدائق وبساتين ، تجري من تحت قصورها أنهار الجنة

[ومساكن طيبة في جنات عدن] أي ويسكنكم في قصور رفيعة في جنات الإقامة

[ذلك الفوز العظيم] أي ذلك الجزاء المذكور هو الفوز العظيم ، الذي لا فوز وراءه ، والسعادة الدائمة الكبيرة ، التي لا سعادة بعدها

[وأخرى تحبونها] أي ويمن عليكم بخصلة أخرى تحبونها وهي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[نصر من الله وفتح قريب] أي أن ينصركم الله ، على أعدائكم ، ويفتح لكم مكة ، وقال ابن عباس : يريد فتح فارس والروم

[وبشر المؤمنين] أي وبشر يا محمد المؤمنين ، بهذا الفضل المبين ، قال في البحر : لما ذكر تعالى ما يمنحهم من الثواب في الآخرة ، ذكر لهم ما يسرهم في العاجلة ، وهي ما يفتح الله عليهم من البلاد ، فهذه هي خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة

[يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله] أي انصروا دين الله وأعلوا مناره

[كما قال عيسى ابن مريم للحواريين] أي كما نصر الحواريون دين الله ، حين قال لهم عيسى ابن مريم

[من أنصاري إلى الله] أي من ينصرني ؟ ويكون عوني لتبليغ دعوة الله ، ونصرة دينه

[قال الحواريون نحن أنصار الله] أي قال أتباع عيسى - وهم المؤمنون الخلص المستجيبون لدعوته - نحن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنصار دين الله ، قال البيضاوي : والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به ، مشتق من الحور وهو البياض ، وكانوا اثنى عشر رجلا وقال الرازي : والتشبيه في الآية محمول على المعنى أي كونوا أنصار الله ، كما كان الحواريون أنصار الله

[فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة] أي فانقسم بنو إسرائيل إلى جماعتين : جماعة آمنت به وصدقته ، وجماعة كفرت وكذبت برسالة عيسى

[فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم] أي فقوينا المؤمنين على أعدائهم الكافرين

[فأصبحوا ظاهرين] أي حتى صاروا غالبين عليهم بالحجة والبرهان ، قال ابن كثير : لما بلغ عيسى ابن مريم رسالة ربه ، اهتدت طائفة من بني إسرائيل ، بما جاءهم به ، وضلت طائفة فجحدوا نبوته ، ورموه وأمه بالعظائم ، وهم اليهود عليهم لعنة الله ، وغلت فيه طائفة من أتباعه حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة ، وافترقوا فيه فرقا وشيعا ، فمنهم من زعم أنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ابن الله ، ومنهم من قال إنه ثالث ثلاثة " الأب والابن وروح القدس " ومنهم من قال : إن عيسى هو (الله) - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - فنصر الله المؤمنين على من عاداهم من فرق النصارى.

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يأتي :

1 - أسلوب التوبيخ [لم تقولون ما لا تفعلون] ؟ وهي " ما " الاستفهامية حذفت ألفها تخفيفا ، والغرض من الاستفهام التوبيخ .

2 - الإطناب بتكرار ذكر اللفظ لبيان غاية قبح ما فعلوه [كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون] وبين [تقولو ا . . . وتفعلوا] طباق .

3 - التشبيه المرسل المفضل [كأنهم بنيان مرصوص] أي في المتانة والتراص .

4 - الاستعارة اللطيفة [يريدون ليطفئوا نور الله] استعار نور الله لدينه وشرعه المنير ، وشبه من أراد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إبطال الدين بمن أراد إطفاء الشمس بفمه الحقير ، على طريق الاستعارة التمثيلية ، وهذا من لطيف الاستعارات .

5 - الاستفهام للترغيب والتشويق [هل أدلكم على تجارة] ؟ .

6 - الطباق بين [فآمنت طائفة . . وكفرت طائفة] .

7 - السجع المرصع كأنه حبات در ، منظومة في سلك واحد مثل [والله لا يهدي القوم الفاسقين] [قالوا هذا سحر مبين] [وبشر المؤمنين] وهو من المحسنات البديعية .

تنبيه :

إنما قرنت قصة موسى وعيسى في هذه السورة لأنهما من أنبياء بنى إسرائيل ، وهما من أعظم أنبيائهم ، ومن أولي العزم الذين ذكرهم الله في كتابه العزيز بالثناء والتبجيل [فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سورة الجمعة

مدنية وآياتها إحدى عشرة آية

بين يدي السورة

* هذه السورة الكريمة مدنية وهي تتناول جانب التشريع ، والمحور الذي تدور عليه السورة بيان أحكام " صلاة الجمعة " التي فرضها الله على المؤمنين .

* تناولت السورة الكريمة بعثة خاتم الرسل محمد بن عبد الله (ص) وبينت أنه الرحمة المهداة ، أنقذ الله به العرب والعالم ، من ظلام الشرك والضلال ، وأكرم به الإنسانية ، فكانت رسالته بلسما لأمراض المجتمع البشري ، بعد أن كان يتخبط في الظلام .

* ثم تحدثت السورة عن اليهود ، وانحرافهم عن شريعة الله ، حيث كلفوا بالعمل بأحكام التوراة ، ولكنهم أعرضوا عنها ، ونبذوها وراء ظهورهم ، وضربت مثلا لهم بالحمار ، الذي يحمل على ظهره الكتب الكبيرة النافعة ، ولكنه لا يناله منها إلا العناء والتعب ، وذلك نهاية الشقاء والتعاسة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* ثم تناولت أحكام " صلاة الجمعة " فدعت المؤمنين إلى المسارعة لأداء الصلاة ، وحرمت عليهم البيع وقت الأذان ، ووقت النداء لها ، وختمت بالتحذير من الإنشغال عن الصلاة ، بالتجارة واللهو ، كحال المنافقين ، الذين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى متثاقلين .

قال الله تعالى : [يسبح لله ما في السموات وما في الأرض . .] إلى قوله [والله خير الرازقين] من آية (1) إلى آية (11) نهاية السورة الكريمة .

اللغة :

[الأميين] العرب المعاصرين للنبي (ص) سموا بذلك لاشتهارهم بالأمية وهي عدم القراءة والكتابة

[يزكيهم] من التزكية وهى التطهير من دنس الشرك والمعاصى

[أسفارا] جمع سفر وهو الكتاب الكبير ، قال الشاعر : زوامل للأسفار لا علم عندهم بجيدها إلا كعلم الأباعر لعمرك ما يدري البعير إذا غدا بأوساقه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أو راح ما في الغرانر

[هادوا] تدينوا باليهودية

[انفضوا] تفرقوا وانصرفوا .

سبب النزول :

عن جابر رضي الله عنه قال : " بينما النبي (ص)يخطب يوم الجمعة قائما ، إذ قدمت عير من المدينة ، فابتدرها أصحاب رسول الله (ص)حتى لم يبق منهم إلا اثنا عشر رجلا ، أنا فيهم وأبو بكر وعمر ، فأنزل الله تعالى : [وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما ..] الآية .

التفسير :

[يسبح لله ما في السموات وما في الأرض] أي ينزه الله ويمجده ويقدسه كل شيء في الكون ، من إنسان ، وحيوان ، ونبات ، وجماد ، وصيغة المضارع [يسبح] لإفادة التجدد والاستمرار ، فهو تسبيح دائم على الدوام

[الملك] اي هو الإله المالك لكل شيء ، المتصرف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في خلقه بالإيجاد والإعدام

[القدوس] أي المقدس والمنزه عن النقائص ، المتصف بصفات الكمال

[العزيز الحكيم] أي العزيز في ملكه ، الحكيم في صنعه

[هو الذى بعث في الأميين رسولا منهم] أي هو جل وعلا برحمته وحكمته الذي بعث في العرب رسولا من جملتهم ، أميا مثلهم لا يقرأ ولا يكتب ، قال المفسرون : سمى العرب أميين لأنهم لا يقرأون ولا يكتبون ، فقد اشتهرت فيهم الأمية كما قال عليه الصلاة والسلام : (نحن أمة أمية ، لا نكتب ولا نكتب) الحديث والحكمة في اقتصاره على ذكر الأميين ، مع أنه رسول إلى كافة الخلق ، تعريف العرب ، حيث أضيف عليه الصلاة والسلام إليهم ، وكفى بذلك شرفا للعرب

[يتلوا عليهم آياته] أي يقرأ عليهم آيات القرآن

[ويزكيهم] أي ويطهرهم من دنس الكفر والذنوب ، قال ابن عباس : أي يجعلهم أزكياء القلوب بالإيمان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويعلمهم الكتاب والحكمة] أي ويعلمهم ما يتلى من الآيات القرآنية ، و[الحكمة] أي السنة النبوية المطهرة

[وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين] أي وقد كانوا قبل إرسال محمد (ص)إليهم ، لفي ضلال كبير واضح ، عن النهج القويم ، والصراط المستقيم ، قال ابن كثير : بعث الله محمدا (ص) على حين فترة من الرسل ، وطموس من السبل ، وقد اشتدت الحاجة إليه ، فقد كان العرب متمسكين بدين إبراهيم الخليل ، فبذلوه وغيروه ، واستبدلوا بالتوحيد شركا ، وباليقين شكا ، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله ، وكذلك كان أهل الكتاب قد بذلوا كتبهم وحرفوها ، فبعث الله محمدا (ص) بشرع عظيم ، شامل كامل ، فيه الهداية والبيان لكل ما يحتاج الناس إليه ، من أمر معاشهم ومعادهم ، وجمع له تعالى جميع المحاسن ، وأعطاه ما لم يعط أحدا من الأولين والآخرين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وآخرين منهم لما يلحقوا بهم] أي وبعث الرسول إلى قوم آخرين ، لم يكونوا في زمانهم ، وسيجيئون بعدهم ، وهم جميع من أسلم إلى يوم القيامة ، قال الصاوي : والمعنى أنه بعث إلى المؤمنين الموجودين في زمانه ، وإلى الآتين منهم بعدهم ، فليست رسالته خاصة بمن كان موجودا في زمانه ، بل هى عامة لهم ولغيرهم إلى يوم القيامة ، وفي الحديث عن أبي هريرة قال : (كنا جلوسا عند النبي (ص)فأنزلت عليه سورة الجمعة [وآخرين منهم لما يلحقوا بهم] قالوا : من هم يا رسول الله ؟ - قال : وفينا سلمان الفارسي - فوضع رسول الله (ص)يده على سلمان ، ثم قال : (لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء) قال مجاهد : في تفسير الآية : هم الأعاجم وكل من صدق النبى (ص)من غير العرب

[وهو العزيز الحكيم] أي القوي الغالب في ملكه ، الحكيم في صنعه

[ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء] أي ذلك الشرف الذي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

امتاز به سيد البشر ، وهو كونه مبعوثا إلى كافة الناس ، وما شرف الله به العرب ، من نزول القرآن بلغتهم ، وارسال خاتم الرسل إليهم ، هو فضل الله يعطيه لمن يشاء من خلقه

[والله ذو الفضل العظيم] أي هو جل وعلا ذو الفضل الواسع ، على جميع خلقه في الدنيا والآخرة .. ثم شرع تعالى في ذم اليهود الذي أكرمهم الله بالتوراة ، فلم ينتفعوا بها ولم يطبقوها ، وشبههم بالحمار الذي يحمل الأسفار ، فقال سبحانه :

[مثل الذين حملوا التوراة] أي مثل اليهود الذين أعطوا التوراة ، وكلفوا العمل بما فيها

[ثم لم يحملوها] أي ثم لم يعملوا بها ، ولم ينتفعوا بهديها ونورها

[كمثل الحمار يحمل أسفارا] أي مثلهم كمثل الحمار ، الذي يحمل الكتب النافعة الضخمة ، ولا يناله منها إلا التعب والعناء ، قال القرطبي : شبههم تعالى - والتوراة فى أيديهم وهم لا يعملون بها -بالحمار يحمل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كتبا ، وليس له إلا ثقل الحمل من غير فائدة ، فهو يتعب في حملها ، ولا ينتفع بما فيها. ذم تعالى اليهود بأنهم قرءوا التوراة ، وعلموا بما فيها ، ولكنهم لم ينتفعوا بها ، مما ينجيهم من شقاوة الدارين ، وشبههم بالحمار الذي يحمل أسفار العلم والحكمة ، ولا ينتفع بها ، ووجه التشبيه حرمان الانتفاع ، مع الكد والتعب [بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله] أي بئس هذا المثل الذي ضربناه لليهود ، مثلا للقوم الذين كذبوا بآيات الله ، الدالة على نبوة محمد (ص) ((أقول : هذه الآية الكريمة فيها تعريض بنا معشر المسلمين إن لم نطبق أحكام القرآن ونعمل بمقتضاه ، وهي على حد قول المثل : إياك أعني واسمعي يا جارة)).

[والله لا يهدي القوم الظالمين] أي لا يوفق للخير ، ولا يرشد للإيمان ، من كان ظالما فاسقا ، قال عطاء : هم الذين ظلموا أنفسهم بتكذيبهم للأنبياء . . ثم كذب تعالى اليهود في دعوى أنهم أحباب الله ، فقال سبحانه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل يا أيها الذين هادوا] اي قل يا محمد لهؤلاء الذين تهودوا وتمسكوا بملة اليهودية

[إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس] أي إن كنتم أولياء الله وأحباءه حقا كما تدعون

[فتمنوا الموت إن كنتم صادقين] أي فتمنوا من الله أن يميتكم ، لتنقلوا سريعا إلى دار كرامته ، المعدة لأوليائه ، إن كنتم صادقين في هذه الدعوى ، قال أبو السعود : كان اليهود يقولون : [نحن أبناء الله وأحباؤه] ويدعون أن الدار الآخرة لهم عند الله خالصة ، ويقولون : [لن يدخل الجنة إلا من كان هودا] فأمر الله رسوله أن يقول لهم اظهارا لكذبهم : إن زعمتم ذلك فتمنوا الموت ، لتنقلوا من دار البلاء ، إلى دار الكرامة ، فإن من أيقن بأنه من أهل الجنة ، أحب أن يتخلص إليها من هذه الدار ، التي هي مقر الأكدار ، قال تعالى فاضحا لهم ، ومبينا كذبهم

[ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم] أي ولا يتمنون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الموت بحال من الأحوال ، بسبب ما أسلفوه من الكفر والمعاصي وتكذيب محمد (ص) ، وفي الحديث : (والذي نفسي بيده ، لو تمنوا الموت ما بقي على ظهرها يهودي إلا مات) قال الألوسي : لم يتمن أحد الموت منهم ، لأنهم كانوا موقنين بصدقه (ص) ، فعلموا أنهم لو تمنوه لماتوا من ساعتهم ، وهذه إحدى المعجزات ، وجاء في سورة البقرة نفي هذا التمني بلفظ [ولن] وهو من باب التفنن على القول المشهور [والله عليم بالظالمين] أي عالم بهم ، وما صدر عنهم ، من فنون الظلم والمعاصي ، وإنما وضع الظاهر موضع الضمير " عليم بهم " ذما لهم ، وتسجيلا عليهم بأنهم ظالمون

[قل إن الموت الذي تفرون منه] أي قل لهم يا محمد : إن هذا الموت الذي تهربون منه ، وتخافون أن تتمنوه حتى بلسانكم

[فإنه ملاقيكم] أي فإنه آتيكم لا محالة ، لا ينفعكم الفرار منه ، كقوله تعالى : [أينما تكونوا يدرككم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الموت ولو كنتم في بروج مشيدة] لأنه قدر محتوم ، ولا يغني حذر عن قدر

[ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة] أي ثم ترجعون إلى الله الذي لا تخفى عليه خافية

[فينبئكم بما كنتم تعملون] أي فيجازيكم على أعمالكم ، وفيه وعيد وتهديد . . ثم شرع تعالى في بيان أحكام الجمعة ، فقال سبحانه :

[يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة] أي يا معشر المؤمنين المصدقين بالله ورسوله ، إذا سمعتم المؤذن ينادي لصلاة الجمعة ، ويؤذن لها

[فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع] أي فامضوا إلى سماع خطبة الجمعة وأداء الصلاة ، واتركوا البيع والشراء ، اتركوا التجارة الخاسرة ، واسعوا إلى التجارة الرابحة ، قال في التسهيل : والسعي في الآية بمعنى المشي ، لا بمعنى الجري لحديث : " إذا اقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ، وأتوها وأنتم تمشون ، وعليكم السكينة " ((أخرجه البخاري ومسلم وتتمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحديث " فما أدركتم فصلوا ، وما فاتاكم فأتموا "))
وقال الحسن : والله ما هو بالسعي على الأقدام ، ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ، ولكنه سعى بالقلوب ، والنية ، والخشوع

[ذلكم خير لكم] أي ذلك السعي إلى مرضاة الله ، وترك البيع والشراء ، خير لكم وأنفع من تجارة الدنيا ، فإن نفع الآخرة أجل وأبقى

[إن كنتم تعلمون] أي إن كنتم من أهل العلم القويم ، والفهم السليم

[فإذا قضيت الصلاة] أي فإذا أديتم الصلاة وفرغتم منها

[فانتشروا في الأرض] أي فتفرقوا في الأرض وانبثوا فيها للتجارة ، وقضاء مصالحكم

[وابتغوا من فضل الله] أي واطلبوا من فضل الله وإنعامه ، فإن الرزق بيده جل وعلا ، وهو المنعم المتفضل ، الذي لا يضيع عمل العامل ، ولا يخيب أمل السائل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[واذكروا الله كثيرا] أي واذكروا ربكم ذكرا كثيرا ، باللسان والجنان ، لا وقت الصلاة فحسب

[لعلكم تفلحون] أي كي تفوزوا بخير الدارين ، قال سعيد بن جبير : ذكر الله طاعته ، فمن أطاع الله فقد ذكره ، ومن لم يطعه فليس بذاكر ، ولو كان كثير التسبيح .. ثم أخبر تعالى أن فريقا من الناس يؤثرون الدنيا الفانية ، على الآخرة الباقية ، ويفضلون العاجل على الآجل ، فقال سبحانه :

[وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها] هذا عتاب لبعض الصحابة الذين انصرفوا عن رسول الله (ص) وتركوه قائما يخطب يوم الجمعة ، والمعنى : إذا سمعوا بتجارة رابحة ، أو صفقة قادمة ، أو شيء من لهو الدنيا وزينتها ، تفرقوا عنك يا محمد وانصرقوا إليها ، وأعاد الضمير إلى التجارة دون اللهو [انفضوا إليها] لأنها الأهم المقصود

[وتركوك قائما] أي وتركوا الرسول قائما على المنبر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يخطب ، قال المفسرون : كان رسول الله (ص) قائما على المنير يخطب يوم الجمعة ، فأقبلت عير من الشام بطعام ، قدم بها " دحية الكلبي " - وكان أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر - وكانت عادتهم أن تدخل العير المدينة بالطبل والصياح سرورا بها ، فلما دخلت العير كذلك ، انفض أهل المسجد إليها ، وتركوا رسول الله (ص) وقائما على المنبر ، ولم يبق معه إلا اثني عشر رجلا ، قال جابر بن عبد الله : أنا أحدهم فنزلت الآية قال ابن كثير : وينبغي أن يعلم أن هذه القصة ، كانت لما كان رسول الله (ص) يقدم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة ، كما هو الحال في العيدين ، كما روى ذلك أبو داود ((مختصر تفسير ابن كثير ، وما قاله هو الحق ، فإن من المستحيل أن يترك بعض الصحابة صلاة الجمعة ، من أجل تجارة الدنيا ، وإنما كانوا قد أدوا الصلاة مع رسول الله (ص) ، ثم لما سمعوا الطبول وقدوم العير ، خرجوا من المسجد " وتركوا الرسول (ص) قائما على المنبر يخطب !)).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة] أي قل لهم يا محمد : إن ما عند الله من الثواب والنعيم ، خير مما أصبتموه من اللهو والتجارة

[والله خير الرازقين] أي خير من رزق وأعطى ، فاطلبوا منه الرزق ، وبه استعينوا لنيل فضله وإنعامه .

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - التشبيه التمثيلي [مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا] لأن وجه الشبه منتزع من متعدد ، أي مثلهم في عدم الانتفاع بالتوراة ، كمثل الحمار الذي يحمل على ظهره الكتب العظيمة ، ولا يكون له منها إلا النصب والعناء .

2 - طباق السلب [فتمنوا الموت . . ولا يتمنونه أبدا] .

3 - الطباق بين [الغيب والشهادة] وهو من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المحسنات البديعية .

4 - التفنن بتقديم الأهم في الذكر [وإذا رأوا تجارة أو لهوا] لأن المقصود الأساسي هو التجارة ، فقدمها ، ثم قال : [قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة] فقدم اللهو على التجارة ، لأن الخسارة بما لا ينفع فيه أعظم ، وهو اللهو ، فقدم ما هو أهم في الموضعين

5 - المجاز المرسل [وذروا البيع] أطلق البيع وقصد جميع أنواع المعاملة من بيع وشراء وإجارة وغيرها .

تنبيه :

يوم الجمعة سمي بذلك لاجتماع المسلمين فيه للصلاة ، وقد كان يسمى في الجاهلية " يوم العروبة " ومعناه الرحمة كما قال السهيلي ، واول من سماه جمعة (كعب بن لؤي) وأول من صلى بالمسلمين الجمعة (أسعد بن زرارة) صلى بهم ركعتين وذكرهم ، فسميت الجمعة حين اجتمعوا إليه ، فهي أول جمعة في الإسلام .

فائدة :

كان " عراك بن مالك " إذا صلى الجمعة انصرف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فوقف على باب المسجد فقال : " اللهم إني أجبت دعوتك ، وصليت فريضتك ، وانتشرت كما أمرتني ، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين " .

لطيفة :

التعبير بقوله تعالى : [فاسعوا إلى ذكر الله] فيه لطيفة ، وهي أنه ينبغي للمسلم أن يقوم إلى صلاة الجمعة بعزيمة وهمة ، وجد ونشاط ، لأن لفظ السعي يفيد الجد والعزم ، ولهذا قال الحسن البصري : والله ما هو سعى على الأقدام ، ولكنه سعى بالنية ، والقلوب ، والخشوع !!

سورة المنافقون

مدنية وآياتها إحدى عشرة آية

بين يدي السورة

* سورة (المنافقون ، مدنية ، شأنها شأن سائر السور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المدنية ، التي تعالج " التشريعات والأحكام لما وتتحدث عن الإسلام من زاويته العملية وهي القضايا التشريعية .

* والمحور الذي تدور عليه السورة الكريمة ، هو الحديث بإسهاب عن (النفاق والمنافقين) ، حتى سميت السورة بهذا الاسم الفاضح ، الكاشف لأستار النفاق " سورة المنافقون " لبيان عظيم خطرهم ، وجسيم ضررهم .

* تناولت السورة الكريمة في البدء أخلاق المنافقين ، وصفاتهم الذميمة التي من أظهرها الكذب ، ومخالفة الظاهر للباطن ، فإنهم يقولون بألسنتهم ، ما لا تعتقده قلوبهم ، ثم تآمرهم على الرسول (ص)وعلى المسلمين ، وقد فضحتهم السورة وكشفت عن مخازيهم وإجرامهم ، فهم بتظاهرهم بالإسلام يصدون الناس عن دين الله ، وينالون من دعوة الإسلام ، ما لا يناله الكافر المعلن لكفره ، ولذلك كان خطرهم أعظم ، وضررهم أكبر وأجسم [إن المنافقين في الدرك الأسفل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من النار ولن تجد لهم نصيرا] ولهذا بدأت السورة بالكشف عن أستارهم ، قال الله تعالى : [إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ، والله يعلم إنك لرسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون] الآيات .

* كما تحدثت السورة الكريمة عن مقالاتهم الشنيعة في حق الرسول (ص) ، واعتقادهم بأن دعوته ستضمحل وتتلاشى ، وأنهم بعد عودتهم من " غزوة بني المصطلق " سيطردون الرسول والمؤمنين من المدينة المنورة ، إلى غير ما هنالك من أقوال فظيعة وشنيعة [يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل 0] الآيات .

* وختمت السورة الكريمة بتحذير المؤمنين من أن ينشغلوا بزينة الدنيا ولهوها ومتاعها ، عن طاعة الله وعبادته شأن المنافقين ، وبينت أن ذلك طريق الخسران ، وأمرت بالإنفاق في سبيل الله ، ابتغاء مرضاة الله ، قبل أن يفوت الأوان بانتهاء الأجل ، فيتحسر الإنسان ويندم ، حيث لا تنفع الحسرة والندم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله . .] إلى نهاية السورة الكريمة .

اللغة :

[جنة] وقاية وسترة يحفظون بها أنفسهم وأموالهم وفي الحديث (الصوم جنة) أي وقاية من عذاب الله

[طبع] ختم عليها بالكفر ، والطبع : الختم

[يؤفكون] يصرفون عن الحق إلى الضلال ، من الإفك وهو الصرف

[لووا] عطفوا وحركوا يقال : لوى رأسه إذا حركه وأداره

[ينفضوا] يتفرقوا

[تلهكم] تشغلكم ، واللهو : ما لا خير فيه ولا فائدة من القول أو العمل .

سبب النزول :

روي أن النبى (ص) غزا " بني المصطلق " فازدحم الناس على ماء فيه ، فكان ممن ازدحم عليه " جهجاه بن سعيد " أجير لعمر بن الخطاب ، و " سنان الجهني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

" حليف لعبد الله ابن سلول - رأس المنافقين - فلطم الجهجاه سنانا ، فغضب سنان وصرخ يا للأنصار ، وصرخ جهجاه يا للمهاجرين ، فقال " عبد الله ابن سلول " أو قد فعلوها! ! والله ما مثلنا ومثل هؤلاء - يعني المهاجرين - إلا كما قال الأول " سمن كلبك يأكلك " ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل - يعني بالأعز نفسه ، وبالأذل رسول الله (ص) وصحبه - ثم قال لقومه : إنما يقيم هؤلاء المهاجرون بالمدينة بسبب معونتكم وإنفاقكم عليهم ، ولو قطعتم ذلك عنهم لفروا عن بلدكم ، فسمعه " زيد بن أرقم " فأخبر بذلك رسول الله (ص) وبلغ ذلك ابن سلول فحلف أنه ما قال من ذلك شيئا وكذب زيدا ، فنزلت السورة إلى قوله تعالى [يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . .] الآيات . وكان ذلك فضيحة لأهل النفاق إلى يوم الدين ! .

التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إذا جاءك المنافقون] أي إذا أتاك يا محمد المنافقون وحضروا مجلسك كعبد الله ابن سلول وأصحابه

[قالوا نشهد إنك لرسول الله] أي قالوا بألسنتهم نفاقا ورياء : نشهد بأنك يا محمد رسول الله ، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، قال أبو السعود : أكدوا كلامهم بإن واللام [إنك لرسول الله] للإيذان بأن شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم ، وخلوص اعتقادهم ، ووفور رغبتهم ونشاطهم ، وهي محض الكذب والزور

[والله يعلم إنك لرسوله] أي والله جل وعلا يعلم أنك يا محمد رسوله حقا ، لأنه هو الذي أرسلك ، والجملة اعتراضية جيء بها لدفع توهم تكذيبهم في دعوى رسالته (ص) لئلا يتوهم السامع أن القول [إنك لرسول الله] كذب في حد ذاته ، قال في التسهيل : وقوله : [والله يعلم إنك لرسوله] ليس من كلام المنافقين ، وإنما هو من كلام الله تعالى ، ولو لم يذكره لكان يوهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن قوله : [والله يشهد إن المنافقين لكاذبون] إبطال للرسالة ، فوسطه بين حكاية المنافقين وبين تكذيبهم ليزيل هذا الوهم وليحقق الرسالة ثم قال تعالى :

[والله يشهد إن المنافقين لكاذبون] أي والله يشهد بكذب المنافقين ، فيما أظهروه من شهادتهم وحلفهم بألسنتهم ، لأن من قال بلسانه شيئا ، واعتقد خلافه فهو كاذب ، والإظهار في موضع الإضمار [إن المنافقين] لذمهم وتسجيل هذه الصفة القبيحة عليهم ، كما جاءت الصيغة مؤكدة بإن واللام زيادة في التقرير والبيان

[اتخدوا أيمانهم جنة] أي اتخذوا أيمانهم الفاجرة ، وقاية وسترة يستترون بها من القتل ، قال الضحاك : هي حلفهم بالله إنهم مسلمون

[فصدوا عن سبيل الله] أي فمنعوا الناس عن الجهاد ، وعن الإيمان بمحمد (ص) ، قال الطبري : أي أعرضوا عن دين الله الذي بعث به نبيه (ص) ، وشريعته التى شرعها لخلقه وقال ابن كثير : إن المنافقين اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة ، فاغتر بهم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا يعرف جلية أمرهم ، فاعتقدوا أنهم مسلمون ، وهم في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبالا ، فحصل بذلك ضرر كبير على كثير من الناس . .

[إنهم ساء ما كانوا يعملون] أي قبح عملهم وصنيعهم ، لأنهم يظهرون بمظهر الإيمان ، وهم من أهل النفاق والعصيان ، فبئست أعمالهم الخبيثة ، من نفاقهم وأيمانهم الكاذبة ، قال الصاوي : وساء كبئس في إرادة الذم ، وفيها معنى التعجب وتعظيم أمرهم عند السامعين

[ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا] أي ذلك الحلف الكاذب ، والصد عن سبيل الله ، بسبب أنهم آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم ، قال أبو السعود : أي نطقوا بكلمة الشهادة عند المؤمنين ، ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم المجرمين ، وما فيه من الإشارة بالبعيد " ذلك " للإشعار ببعد منزلته في الشر

[فطبع على قلوبهم] أي ختم الله على قلوبهم فلا يصل إليها هدى ولا نور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فهم لا يفقهون] أي فهم لا يعرفون الخير من الشر ، ولا الكفر من الإيمان ، ولا يفرقون بين الحسن والقبيح ، لختم الله على قلوبهم

[وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم] أي وإذا رأيت هؤلاء المنافقين ، أعجبتك هيئاتهم ومناظرهم ، لحسنها ونضارتها وضخامتها

[وإن يقولوا تسمع لقولهم] أي وإن يتكلموا تصغ لكلامهم ، لفصاحتهم وذلاقة لسانهم ، قال ابن عباس : كان ابن سلول - رأس المنافقين - جسيما ، فصيحا ، ذلق اللسان ، فإذا قال سمع النبي (ص) قوله ، وكذلك كان أصحابه إذا حضروا مجلس النبي (ص) يعجب الناس بهياكلهم

[كأنهم خشب مسندة] أي يشبهون الأخشاب المسندة إلى الحائط ، في كونهم صورا خالية عن العلم والنظر ، فهم أشباح بلا أرواح ، وأجسام بلا أحلام ، قال أبو حيان : شبهوا بالخشب لعزوب أفهامهم ، وفراغ قلوبهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الإيمان ، والجملة التشبيهية وصف لهم بالجبن والخور ، ولهذا قال :

[يحسبون كل صيحة عليهم] أي يظنون - لجبنهم وهلعهم - كل نداء وكل صوت ، أنهم يرادون بذلك ، فهم دائما في خوف ووجل ، من أن يهتك الله أستارهم ، ويكشف أسرارهم ، قال ابن كثير : كلما وقع أمر أو خوف يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم قال مقاتل : إذا سمعوا نشدان ضالة ، أو صياحا بأي وجه كان ، طارت عقولهم ، وظنوا ذلك إيقاعا بهم

[هم العدو فاحذرهم] أي هم الأعداء الكاملون في العداوة لك وللمؤمنين وإن أظهروا الإسلام ، فاحذرهم ولا تأمنهم على سر ، فإنهم عيون لأعدائك

[قاتلهم الله] جملة دعائية أي أخزاهم الله ولعنهم ، وأبعدهم عن رحمته

[أنى يؤفكون] أي كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال ؟ وكيف تضل عقولهم مع وضوح الدلائل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والبراهين ! ؟ وفيه تعجيب من جهلهم وضلالهم ، وانصرافهم عن الإيمان ، بعد قيام البرهان ، روى الإمام أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : (إن للمنافقين علامات يعرفون بها : تحيتهم لعنة ، وطعامهم نهبة ، وغنيمتهم غلول ، لا يقربون المساجد إلا هجرا ، ولا يأتون الصلاة إلا دبرا ، مستكبرين لا يألفون ولا يؤلفون ، خشب بالليل ، صخب بالنهار)

[وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله] أي وإذا قيل لهؤلاء المنافقين : هلموا إلى رسول الله حتى يطلب لكم المغفرة من الله

[لووا رءوسهم] أي حركوها وهزوها استهزاء واستكبارا

[ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون] أي وتراهم يعرضون عما دعوا إليه ، وهم متكبرون عن استغفار رسول الله (ص) لهم ، وجيء بصيغة المضارع [يصدون] ليدل على استمرارهم على الإعراض والعناد قال المفسرون : لما نزلت الآيات تفضح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المنافقين وتكشف الأستار عنهم ، مشى إليهم أقرباؤهم من المؤمنين ، وقالوا لهم : ويلكم لقد افتضحتم بالنفاق ، وأهلكتم أنفسكم ، فأتوا رسول الله وتوبوا إليه من النفاق واسألوه يستغفر لكم ، فأبوا وحركوا رءوسهم سخرية واستهزاء ، فنزلت الآية ، ثم جاءوا إلى " ابن سلول " وقالوا له : امض إلى رسول الله (ص)
واعترف بذنبك يستغفر لك ، فلوى رأسه إنكارا لهذا الرأي ، ثم قال لهم : لقد اشرتم على بالإيمان فآمنت ، وأشرتم على بأن أعطي زكاة مالي ففعلت ، ولم يبق لكم إلا أن تأمروني بالسجود لمحمد!! ثم بين تعالى عدم فائدة الاستغفار لهم ، لأنهم مردوا على النفاق ، فقال سبحانه :
[سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم] أي يتساوى الأمر بالنسبة لهم ، فإنه لا ينفع استغفارك لهم شيئا ، لفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورسوله ، قال الصاوي : والآية للتيئيس من إيمانهم أي إن استغفارك يا محمد وعدمه سواء ، فهم لا يؤمنون لسبق الشقاوة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لهم

[لن يغفر الله لهم] أي لن يصفح الله عنهم لرسوخهم في الكفر ، وإصرارهم على العصيان ، ثم علله بقوله :

[إن الله لا يهدي القوم الفاسقين] أي لا يوفق للإيمان ، من كان فاسقا خارجا عن طاعة الرحمن . . ثم زاد تعالى في بيان قبائحهم وجرائمهم فقال :

[هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا] أي هم الفجرة الذين قالوا : لا تنفقوا على المهاجرين حتى يتفرقوا عن محمد ، قال في البحر : والإشارة إلى (ابن سلول) ومن وافقه من قومه ، سفه أحلامهم في أنهم ظنوا أن رزق المهاجرين بأيديهم ، وما علموا أن ذلك بيد الله تعالى ، وقولهم : [على من عند رسول الله] هو على سبيل الهزء ، إذ لو كانوا مقرين برسالته ما صدر منهم ما صدر ، والظاهر أنهم لم ينطقوا بنفس ذلك اللفظ ، ولكنه تعالى عبر به عن رسوله ، إكراما له وإجلالا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولله خزائن السموات والأرض] أي والحقيفة أن الله تعالى ، بيده مفاتيح الرزق ، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ، ولا يملك أحد أن يمنع فضل الله عن عباده

[ولكن المنافقين لا يفقهون] أي ولكن المنافقين لا يفهمون حكمة الله وتدبيره ، فلذلك يقولون ما يقولون ، من مقالات الكفر والضلال . . ثم عدد تعالى بعض قبائحهم وأقوالهم الشنيعة ، فقال سبحانه :

[يقولون لئن رجعنا إلى المدينة] أي يقولون لئن رجعنا من هذه الغزوة - غزوة بني المصطلق - وعدنا إلى بلدنا المدينة المنورة ،

[ليخرجن الأعز منها الأذل] أي لنخرجن منها محمدا وصحبه ، والقائل هو " ابن سلول " رأس المنافقين ، وعنى بالأعز نفسه وأتباعه ، وبالأذل رسول الله (ص) ومن معه قال المفسرون : لما قال ابن سلول ما قال ورجع إلى المدينة ، وقف له ولده " عبد الله ، على باب المدينة واستل سيفه ، فجعل الناس يمرون به ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فلما جاء أبوه قال له ابنه : وراءك ، والله لا تدخل المدينة أبدا حتى تقول : إن رسول الله هو الأعز ، وأنك الأذل فقالها ، ثم جاء ابنه إلى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله : بلغني أنك تريد أن تقتل أبي ، فإن كنت فاعلا فمرني فأنا أحمل إليك رأسه !! فقال له رسول الله (ص) : بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا

[ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين] أي لله جل وعلا القوة والغلبة ، ولمن أعزه وأيده من رسوله والمؤمنين ، لا لغيرهم ، والصيغة تفيد الحصر ، قال القرطبي : توهموا أن العزة بكثرة الأموال والأتباع ، فبين الله أن العزة والمنعة لله ولرسوله وللمؤمنين

[ولكن المنافقين لا يعلمون] أي ولكن المنافقين لفرط جهلهم وغرورهم ، لا يعلمون أن العزة والغلبة لأوليائه دون أعدائه

[يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله] لما ذكر قبائح المنافقين ، نهى المؤمنين عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التشبه بهم في الاغترار بالأموال والأولاد ، والمعنى : لا تشغلكم أيها المؤمنون الأموال والأولاد عن طاعة الله وعبادته ، وعن أداء ما افترضه عليكم من الصلاة ، والزكاة ، والحج ، كما شغلت المنافقين ، قال أبو حيان : أي لا تشغلكم أموالكم بالسعي في نمائها ، والتلذذ بجمعها ، ولا أولادكم بسروركم بهم ، وبالنظر في مصالحهم ، عن ذكر الله ، وهو عام في الصلاة ، والتسبيح ، والتحميد ، وسائر الطاعات

[ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون] أي ومن تشغله الدنيا عن طاعة الله وعبادته ، فأولئك هم الكاملون في الخسران ، حيث آثروا الحقير الفاني ، على العظيم الباقي ، وفضلوا العاجل على الآجل

[وأنفقوا مما رزقناكم] أي وأنفقوا في مرضاة الله ، من بعض ما أعطيناكم وتفضلنا به عليكم من الأموال

[من قبل أن يأتي أحدكم الموت] أي قبل أن يحل الموت بالإنسان ، ويصبح في حالة الاحتضار

[فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب] أي فيقول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عند تيقنه الموت : يا رب هلا أمهلتني وأخرت موتي إلى زمن قليل ! !

[فأصدق وأكن من الصالحين] أي فأتصدق وأحسن عملي ، وأصبح تقيا صالحا ، قال ابن كثير : كل مفرط يندم عند الاحتضار ، ويسأل طول المدة ، ليستدرك ما فات ، ولكن هيهات

[ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها] أي ولن يمهل الله أحدا أيا كان إذا انتهى أجله ، ولن يزيد في عمره ، وفيه تحريض على المبادرة بأعمال الطاعات ، حذرا أن يجيء الأجل وقد فرط ، ولم يستعد للقاء ربه

[والله خبير بما تعملون] أي مطلع وعالم بأعمالكم ، من خير أو شر ، ومجازيكم عليها .

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من الفصاحة والبيان نوجزها فيما يلي :

1 - التأكيد بالقسم وإن واللام [والله يشهد إن المنافقين لكاذبون] زيادة في التقرير والبيان .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2 - الجملة الاعتراضية [والله يعلم إنك لرسوله] جاءت معترضة بين الشرط وجوابه ، لبيان أنهم ما قالوا ذلك عن اعتقاد ، ولدفع توهم تكذيبهم في دعواهم الشهادة بالرسالة ، والأصل [إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله . . والله يشهد إن المنافقين لكاذبون] فجاءت الجملة اعتراضية بينهما .

3 - الاستعارة التصريحية [اتخذوا أيمانهم جنة] فإن أصل الجنة ما يستتر به ويتقى به المحذور كالترس ، ثم استعمل هنا استعارة لأنهم كانوا يظهرون الإسلام ليعصموا دماءهم وأموالهم .

4 - الطباق بين [آمنوا ثم كفروا] وبين [الأعز منها الأذل] وهو من المحسنات البديعية

5 - التشبيه المرسل المجمل [وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة] وهو من روائع التشبيه .

6 - طباق السلب [سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

7 - الجملة الدعائية [قاتلهم الله] وهي دعاء عليهم باللعنة والخزي والهلاك .

8 - توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات ، وهو كثير في القرآن يزيد في رونق الكلام

تنبيه :

النفاق لم يكن بمكة وإنما كان بها الكفر ، ولم يظهر النفاق إلا بالمدينة المنورة ، في عز الإسلام وكثر أنصاره ، وقد كان المنافقون يظهرون الإسلام لصون دمائهم وأموالهم كما قال الشاعر : وما انتسبوا إلى الإسلام إلا لصون دمائهم أن لا تسالا

فائدة :

العزة غير الكبر ، ولا يحل للمسلم أن يذل نفسه ، فالعزة معرفة الإنسان بحقيقة نفسه ، قيل للحسن بن علي رضي الله عنهما : إن الناس يزعمون أن فيك كبرا وتيها فقال : ليس بتيه ، ولكنه عزة المسلم ، ثم تلا الآية [ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين] .

لطيفة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " من كان له مال يبلغه حج بيت ربه ، أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل ، سأل الرجعة عند الموت ، فقال رجل يا ابن عباس : اتق الله فإنما يسأل الرجعة الكفار ! ! فقال : سأتلو عليكم بذلك قرآنا [وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رلبئ لولا أخرتني إلى أجل قريب . .] الآية " . فهل يخاطب الله بها المؤمنين أم الكفار ؟ ومراده أن الخطاب في هذه الآية الكريمة إنما هو للمؤمنين ، بدليل قوله تعالى [يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله . .] ثم قال [وأنفقوا مما رزقناكم . .] الآية .

سورة التغابن

مدنية وآياتها ثمان عشرة آية

بين يدي السورة

* سورة التغابن من السور المدنية التي تعنى بالتشريع ، ولكن جوها جو السور المكية التي تعالج أصول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العقيدة الإسلامية .

* تحدثت السورة الكريمة عن جلال الله وعظمته وآثار قدرته ، ثم تناولت موضوع الإنسان المعترف بربه ، والإنسان الكافر الجاحد بآلاء الله [يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن . .] الآيات .

* وضربت الأمثال بالقرون الماضية ، والأمم الخالية ، التي كذبت رسل الله ، وما حل بهم من العذاب والدمار ، نتيجة لكفرهم وعنادهم وضلالهم [ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم . .] الآيات .

* وأقسمت السورة على أن البعث حق لابد منه ، أقر به المشركون أو أنكروه [زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ، قل بلى وربى لتبعثن . .] الآيات .

* وأمرت بطاعة الله وطاعة رسوله ، وحذرت من الإعراض عن دعوة الله [وأطيعوا الله وأطيعوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين ، .

* كما حذرت من عداوة بعض الزوجات والأولاد ، فإنهم كثيرا ما يمنعون الإنسان عن الجهاد والهجرة [يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم . .] الآيات .

* وختمت السورة بالأمر بالإنفاق في سبيل الله لإعلاء دينه ، وحذرت من الشح والبخل ، فإن من صفات المؤمن ، الإنفاق في سبيل الله ابتغاء مرضاته ، وهو شطر الجهاد ، حيث ينقسم إلى قسمين : جهاد بالنفس ، وجهاد بالمال [وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . .] الآيات إلى نهاية السورة الكريمة .

اللغة :

[صوركم] التصوير : التخطيط والتشكيل الذي يكون به صورة وهيئة يتميز بها عن غيره

[نبأ] النبأ : الخبر الهام

[وبال] الوبال : العقوبة والنكال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[زعم] ظن ، والزعم هو القول بالظن ، ومنه قولهم زعموا مطية الكذب ، " قال شريح : " لكل شيء كنية ، وكنية الكذب زعموا "

[التغابن] الغبن ومعناه : النقص ، يقال : غبنه غبنا إذا أخذ الشيء منه بدون قيمته ، وسمي يوم القيامة يوم التغابن ، لأنه يظهر فيه غبن الكافر بتركه الإيمان ، وغبن المؤمن بتقصيره في الإحسان .

سبب النزول :

روي أن رجالا من أهل مكة أسلموا ، وأرادوا أن يهاجروا إلى النبي (ص) فمنعهم أزواجهم وأولادهم ، وقالوا : صبرنا على إسلامكم ولا صبر لنا على فراقكم ! ؟ فأطاعوهم وتركوا الهجرة ، فأنزل الله تعالى [يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم] الآية .

التفسير :

[يسبح لله ما في السموات وما في الأرض] أي ينزه الله تعالى ويمجده ، جميع ما في السموات والأرض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من مخلوقات ، تنزيها دائما مستمرا بدون انقطاع ، وصيغة المضارع تفيد التجدد والاستمرار

[له الملك وله الحمد] أي له جل وعلا الملك التام ، والتصرف الكامل في خلقه ، وهو المستحق للثناء وحده ، لأن جميع النعم منه سبحانه وتعالى ، وقدم الجار والمجرور [له] لإفادة حصر الملك والحمد فيه سبحانه

[وهو على كل شيء قدير] أي قادر على كل شيء ، يغني ويفقر ، ويعز ويذل ، وإذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون ، وهو كالدليل لما تقدم من أن الملك والحمد له سبحانه

[هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن] هذا تفصيل لبعض آثار قدرته أي هو الذي خلقكم أيها الناس ، بهذا الشكل البديع المحكم ، فكان يجب على كل واحد! منكم الإيمان به ، لكن منكم من كفر بربه ، ومنكم من آمن وصدق بخالقه ، قال الطبري : أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منكم كافر بخالقه ، وأنه هو الذي خلقه ، ومنكم مصدق به ، موقن أنه خالقه وبارئه ، وقدم الكافر على المؤمن ، لكثرة الكفار ، وقلة المؤمنين [وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله] [وقليل من عبادي الشكور]

[والله بما تعملون بصير] أي عالم بأحوالكم ، مطلع على أعمالكم ، لا تخفى عليه خافية من شئونكم وسيجاز لكم عليها . . ثم فضل تعالى آثار قدرته ودلائل وحدانيته ، فقال سبحانه :

[خلق السموات والأرض بالحق] أي خلقهما بالحكمة البالغة ، المتضمنة لمصالح الدنيا والدين ، لا عبثا ولا لهوا

[وصوركم فأحسن صوركم] أي خلقكم في أحسن صورة وأجمل شكل ، فأتقن وأحكم خلقكم وتصويركم ، كقوله تعالى : [لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم] فإن من نظر في شكل الإنسان وهيئته ، وتناسب أعضائه ، علم أن صورته أحسن صورة ، بالنسبة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لسائر أنواع الحيوان ، ومن حسن صورته أنه خلق منتصبا ، غير منكب على وجهه ((فان قيل : إن بعض الناس قبيح المنظر والشكل ، فالجواب أن ذلك لا يخرجه عن حسن الصورة الإنسانية ، وانما هو قبيح بالنظر إلى من هو أحسن منه ، أمأ إذا قسناه إلى القرد والخنزير ، فهو لا شك بدر وقمر ! !)).

[وإليه المصير] أي وإليه تعالى وحده المرجع والمآب ، فيجازي كلا بعمله

[يعلم ما في السموات والأرض] أي يعلم ما في الكائنات من أجرام ومخلوقات

[ويعلم ما تسرون وما تعلنون] أي ويعلم ما تخفونه وما تظهرونه من نواياكم وأعمالكم

[والله عليم بذات الصدور] أي عالم بما في الصدور من الأسرار والخفايا ، فكيف تخفى عليه أعمالكم الظاهرة ؟ قال في البحر : نبه تعالى بعلمه بما في السموات والأرض ، ثم بعلمه بما يخفيه العباد وما يعلنونه ، ثم بعلمه بما أكنته الصدور ، على أنه تعالى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا يغيب عن علمه شيء ، لا من الكليات ولا من الجزئيات ، فابتدأ بالعلم الشامل ، ثم بسر العباد وعلانيتهم ، ثم بما تنطوي عليه صدورهم ، وهذا كله في معنى الوعيد ، إذ هو تعالى المجازي عليه بالثواب والعقاب . . لم ذكرهم تعالى بما حل بالكفار قبلهم ، فقال سبحانه :

[ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل] أي ألم يأتكم يا معشر قريش ، خبر كفار الأمم الماضية ؟ كقوم عاد ، وثمود ، ماذا حل بهم من العذاب والنكال ! !

[فذاقوا وبال أمرهم] أي فذاقوا العقوبة الوخيمة على كفرهم في الدنيا

[ولهم عذاب أليم] أي ولهم في الآخرة عذاب شديد موجع

[ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات] أي ذلك العذاب الذي ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه في الآخرة ، بسبب أنه جاءتهم رسلهم بالمعجزات الواضحات ، والبراهين الساطعات ، الدالة على صدقهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فقالوا أبشر يهدوننا] ؟ أي فقالوا على سبيل الاستغراب والتعجب : أرسل من البشر يصيرون هداة لنا ؟ قال الرازي : أنكروا أن يكون الرسول بشرا ، ولم ينكروا أن يكون معبودهم حجرا ، وذلك لقلة عقولهم ، وسخافة أحلامهم

[فكفروا وتولوا] أي فكفروا بالرسول ، وأعرضوا عن الإيمان واتباع هدى الرحمن

[واستغنى الله] أي استغنى الله عن طاعتهم وعبادتهم ، قال الطبري : أي استغنى الله عنهم ، وعن إيمانهم به وبرسله

[والله غنى حميد] أي غنى عن خلقه ، محمود في ذاته وصفاته ، لا تنفعه طاعة ، ولا تضره معصية ، لأنه مستغن عن العالمين . . ثم أخبر تعالى عن إنكارهم للبعث بعد تكذيبهم للرسالة فقال :

[زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا] أي ادعى كفار مكة وظنوا أن الله لن يبعثهم من قبورهم بعد موتهم أبدا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قل بلى وربي لتبعثن] أي قل لهم يا محمد : ليس الأمر كما زعمتم ، وأقسم لكم بربي لتخرجن من قبوركم أحياء ولتبعثن

[ثم لتنبؤن بما عملتم] أي ثم لتخبرن بجميع أعمالكم ، صغيرها وكبيرها ، جليلها وحقيرها ، وتجزون بها

[وذلك على الله يسير] أي وذلك البعث والجزاء ، سهل هين على الله ، لأن الإعادة أسهل من الابتداء ، قال الرازي : أنكروا البعث بعد أن صاروا ترابا ، فأخبر تعالى أن إعادتهم أهون - في العقول - من إنشائهم . . ولما بالغ في الإخبار عن البعث ، وذكر أحوال الأمم المكذبة ، أمر بالاعتصام بالإيمان والتمسك بالقرآن ، فقال سبحانه :

[فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا] أي فصدقوا بالله وبرسوله ، وبهذا القرآن الذى أنزله على نبيه محمد (ص) فإنه النور الوضاء ، المبدد للشبهات ، كما يبدد النور الظلمات

[والله بما تعملون خبير] أي لا تخفى عليه خافية من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أعمالكم

[يوم يجمعكم ليوم الجمع] أي واذكروا ذلك اليوم الرهيب - يوم القيامة - الذي يجمع الله فيه الخلائق كلها في صعيد واحد ، للحساب والجزاء ، قال ابن كثير : سمي " يوم الجمع " لأن الله تعالى يجمع فيه الأولين والآخرين في صعيد واحد ، يسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، كقوله تعالى : [ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود]

[ذلك يوم التغابن] أي ذلك هو اليوم الذي يظهر فيه غبن الكافر وخسارته بتركه الإيمان ، وذلك أن المؤمنين اشتروا الجنة بترك الدنيا ، واشترى الكفار النار بترك الآخرة ، فظهر غبن الكافرين ، قال الخازن : وأصله من الغبن وهو أخذ الشيء بدون قيمته ، والمغبون من غبن أهله ومنازله في الجنة ، وذلك لأن كل كافر له أهل ومنزل في الجنة لو أسلم ، فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الإيمان ، ويظهر غبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته] أي ومن يصدق بالله ، ويعمل عملا صالحا ، يمح الله تعالى عنه ذنوبه

[ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار] أي ويدخله جنات النعيم ، التي تجري من تحت أشجارها وقصورها أنهار الجنة

[خالدين فيها أبدا] أي مقيمين في تلك الجنات أبد الحياة ، لا يموتون ولا يخرجون منها

[ذلك الفوز العظيم] أي ذلك هو الفوز الذي لا فوز وراءه ، والسعادة التي لا سعادة بعدها

[والذين كفروا وكذبوا بآياتنا] أي والذين جحدوا وحدانية الله وقدرته ، وكذبوا بالدلائل الدالة على البعث ، وبآيات القرآن الكريم

[أولئك أصحاب النار خالدين فيها] أي أولئك مآلهم جهنم ، ماكثين فيها أبدا

[وبئس المصير] أي وبئست النار مرجعا ومستقرا لأهل الكفر والضلال . . ثم أخبر تعالى بأن كل ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يحدث في الكون بقضائه وإرادته فقال :
[ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله] أي ما أصاب أحدا مصيبة في نفسه أو ماله أو ولده ، إلا بقضاء الله وقدره
[ومن يؤمن بالله يهد قلبه] أي ومن يصدق بالله وبعلم أن كل حادثة بقضائه الله وقدره ، يهد قلبه للصبر والرضا ، ويثبته على الإيمان ، قال ابن عباس : يهد قلبه لليقين ، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه وقال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله ، فيرضى بها ويسلم لقضاء الله
[والله بكل شيء عليم] أي هو تعالى عالم بكل الأشياء ، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، قال القرطبي : أي لا يخفى عليه تسليم من انقاد وسلم لأمره ، ولا كراهة من كرهه ولم يرض بقضائه
[وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول] أي أطيعوا أمر الله وأمر رسوله ، في كل ما شرع لكم ، من الأوامر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والنواهي ، وكرر الأمر للتاكيد ولبيان أن طاعة الرسول واجبة كطاعة الله

[فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين] أي فإن أعرضتم عن إجابة الرسول ، فيما دعاكم إليه من الهداية والإيمان ، فليس عليه ضرر ، إنما ضرر ذلك عليكم ، إذ ليس على الرسول إلا تبليغ الرسالة ، وقد أدى ما عليه ، والله ينتقم ممن عصاه وخالف أمره
[الله لا اله إلا هو] أي الله جل وعلا هو الإله المعبود بحق ، لا معبود سواه ، ولا خالق غيره ، عليه الاعتماد وإليه المرجع والمآب
[وعلى الله فليتوكل المؤمنون] أي فعليه وحده توكلوا أيها المؤمنون في جميع أموركم ، قال الصاوي : وهو تحريض وحث للنبي (ص) على التوكل على الله ، والالتجاء إليه ، وفيه تعليم للأمة ذلك ، بأن يلتجئوا إلى الله ، ويثقوا بنصره وتأييده
[يا أيها الذين آمنوا أن من أزواجكم وأولادكم عدوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكم فاحذروهم] أي يا معشر المؤمنين إن بعض الزوجات والأولاد أعداء لكم ، يصدونكم عن سبيل الله ، ويثبطونكم عن طاعة الله ، فاحذروا أن تستجيبوا لهم وتطيعوهم ، قال المفسرون : إن قوما أسلموا وأرادوا الهجرة ، فثبطهم أزواجهم وأولادهم عن الهجرة ، فلم يهاجروا إلا بعد مدة ، فلما أتوا رسول الله (ص) رأوا الناس قد فقهوا في الدين ، فندموا وأسفوا ، وهموا بمعاقبة أزواجهم وأولادهم ، فنزلت الآية الكريمة ، والآية تعم كل من انشغل عن طاعة الله بالأزواج والأولاد

[وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا] أي وإن عفوتم عنهم في تثبيطكم عن الخير ، وصفحتم عما صدر منهم ، وغفرتم لهم زلاتهم

[فإن الله غفور رحيم] أي فإن الله واسع غلمغفرة ، عظيم الرحمة ، يعاملكم بمثل ما عاملتم

[إنما أموالكم وأولادكم فتنة] أي ليست الأموال والأولاد ، إلا اختبارا وابتلاء من الله تعالى لخلقه ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ليعلم من يطيعه ومن يعصيه ، وقدم المال لأن فتنته أشد

[والله عنده أجر عظيم] أي وما عند الله من الأجر والثواب ، أعظم من متاع الدنيا ، فلا تشغلكم الأموال والأولاد عن طاعة الله ، والآية ترغيب في الآخرة وتزهيد في الدنيا ، وفي الأموال والأولاد التي فتن الناس بها

[فاتقوا الله ما استطعتم] أي ابذلوا أيها المؤمنون في طاعة الله جهدكم وطاقتكم ، ولا تكلفوا أنفسكم ما لا تطيقون ، قال المفسرون : هذا في النوافل ، والمأمورات وفضائل الأعمال ، يأتي الإنسان منها بقدر طاقته ، وأما في المحظورات فلابد من اجتنابها بالكلية ، ويدل عليه ما روي عن النبي (ص) ، أنه قال : (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه)

[واسمعوا وأطيعوا] أي واسمعوا ما توعظون به ، وأطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأنفقوا خيرا لأنفسكم] أي وأنفقوا في سبيل الله من أموالكم ، يكن خيرا لأنفسكم

[ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون] أى ومن سلم من البخل والطمع ، الذي تدعو إليه النفس ، فقد فاز بكل مطلوب

[إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم] أي إذا تصدقتم في سبيل الله عن طيب نفس ، فإن الله يضاعف لكم الأجر والثواب ، وفي تصوير الصدقة بصورة القرض تلطف بليغ في الإحسان إلى الفقراء

[ويغفر لكم] أي ويمح عنكم سيئاتكم

[والله شكور حليم] أي شاكر للمحسن إحسانه ، حليم بالعباد حيث لا يعاجلهم بالعقوبة مع كثرة ذنوبهم

[عالم الغيب والشهادة] أي هو تعالى العالم بما غاب وحضر ، لا تخفى عليه خافية

[العزيز الحكيم] أي الغالب في ملكه الحكيم في صنعه .

البلاغة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الطباق في الاسم مثل [فمنكم كافر ومنكم مؤمن ، وكذلك بين [الغيب والشهادة] والطباق في الفعل مثل [تسرون] و[تعلنون] وهو من المحسنات البديعية .

2 - تقديم الجار والمجرور لإفادة الحصر [له الملك وله الحمد] أي له وحده الملك والحمد .

---

3 - ا لاستعارة اللطيفة [والنور الذي أنزلنا] استعار لفظ النور للقرآن العظيم ، فإن القرآن يزيل الشبهات ، كما يزيل النور الظلمات .

4 - المقابلة بين جزاء المؤمنين وجزاء الكافرين [ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا . .] الآية وبين [والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها] الآية .

5 - الجناس الناقص [وصوركم فأحسن صوركم]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لاختلاف الحركات في الشكل .

6 - جناس الاشتقاق [أصاب من مصيبة] و[يجمعكم ليوم الجمع] .

7 - الإطناب بتكرار الفعل زيادة فى التأكيد واعتناء بشأن الطاعة [وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول] .

8 - صيغة المبالغة [والله شكوز حليم] لأن فعول وفعيل من صيغ المبالغة .

9 - الاستعارة التمثيلية [إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم] شبه الإنفاق في سبيل الله والتصدق على الفقراء ، بمن يقرض الله قرضا واجب الوفاء ، وذلك بطريق التمثيل ، وهو من لطيف ا لاستعارة ، وبديع العبارة .

10 - السجع المرصع غير المتكلف بتوافق الفواصل مثل [والله شكور حليم] [عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سورة الطلاق

مدنية وآياتها اثنا عشر آية

بين يدي السورة

* سورة الطلاق مدنية وقد تناولت بعض الأحكام التشريعية المتعلقة بأحوال الزوجين ، كبيان أحكام الطلاق وكيفيته ، وما يترتب على الطلاق من (العدة ، والنفقة ، والسكنى ، وأجر المرضع) إلى غير ما هنالك من أحكام .

* تناولت السورة الكريمة في البدء أحكام الطلاق (الطلاق السني) و(الطلاق البدعي) فأمرت المؤمنين بسلوك أفضل الطرق ، عند تعذر استمرار الحياة الزوجية ، ودعت إلى تطليق الزوجة في الوقت المناسب ، وعلى الوجه المشروع ، وهو أن يطلقها طاهرا من غير جماع ، ثم يتركها إلى انقضاء عدتها [يا أيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن . .] الآيات .

* وفي هذا التوجيه الإلهي دعوة للرجال أن يتمهلوا ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا يتسرعوا في فصل عرى الزوجية ، فإن الطلاق أبغض الحلال إلى الله ، ولولا الضرورات القسرية لما أبيح الطلاق لأنه هدم للأسرة [فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف] الآيات .

* ودعت السورة إلى إحصاء العدة لضبط انتهائها ، لئلا تختلط الأنساب ، ولئلا يطول الأمد على المطلقة ، فيلحقها الضرر ، ودعت إلى الوقوف عند حدود الله ، وعدم عصيان أوامره [وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه . .] الآيات .

* وتناولت السورة أحكام العدة ، فبينت عدة اليائس التي انقطع عنها دم الحيض لكبر أو مرض ، وكذلك عدة الصغيرة ، وعدة الحامل ، فبينته أوضح بيان مع التوجيه والإرشاد [واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن . .] الآيات .

* وفي خلال تلك الأحكام التشريعية ، تكررت الدعوة إلى " تقوى الله " بالترغيب تارة ، وبالترهيب أخرى ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لئلا يقع حيف أو ظلم من أحد الزوجين ، كما وضحت أحكام السكنى والنفقة [ذلك أمر الله أنزله إليكم ، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا. .] الآيات .

* وختمت السورة بالتحذير من تعدي حدود الله ، وضربت الأمثلة بالأمم الباغية التي عتت عن أمر الله ، وما ذاقت من الوبال والدمار ، ثم أشارت إلى قدرة الله في خلق سبع سموات طباق ، وخلق الأرضين ، وكلها براهين على وحدانية رب العالمين [وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا . .] الآيات إلى نهاية السورة الكريمة .

قال الله تعالى : [يا أيها النبى إذا طلقتم النساء . .] إلى قوله [وأن الله قد أحاط بكل شيء علما] من بداية السورة الكريمة إلى نهايتها .

اللغه :

[العدة] المدة التي تحتبس فيها المرأة لمعرفة براءة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رحمها

[أحصوا] اضبطوا بطريق العدد

[حسبه] كافيه

[وجدكم] طا قتكم ووسعكم

[ارتبتم] شككتم

[كأين] كثير

[عتت] تكبرت وتجبرت وأعرضت

[نكرا] منكرا شنيعا وفظيعا

[خسرا] خسارا وهلاكا .

سبب النزول :

أ- روى البخاري أن عبد الله بن عمر طلق امرأته وهي حائض ، فذكر ذلك عمر لرسول الله (ص) فقال له (ص) : (ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ، ثم تحيض فتطهر ، فإن بدا له ان يطلقها فليطلقها ، طاهرل قبل أن يمسها ، فتلك العدة التي أمر بها الله عز وجل) .

ب - وروي عن أنس قال : طلق رسول الله (ص)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حفصة فأتت أهلها فأنزل الله تعالى [يا أيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن] فقيل له : راجغها فإنها صوامة قوامة ، وهي من أزواجك ونسائك في الجنة.

ج - وروي أنه لما نزل قوله تعالى [والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء] قال جماعة من الصحابة يا رسول الله : فما عدة من لا قرء لها ، من صغر أو كبر ، فنزلت [واللاتي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاتي لم يحضن . .] الآية .

التفسير :

[يا أيها النبى إذا طلقتم النساء] الخطاب للنبي (ص) والحكم عام له ولأمته ، وخص هو بالنداء (ص)تعظيما له ، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم : يا فلان افعلوا أي افعل أنت وقومك ، فهو نداء على سبيل التكريم والتعظيم ، قال القرطبي : الخطاب للنبي (ص) خوطب بلفظ الجماعة [طلقتم] تعظيما وتفخيما ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمعنى : يا أيها النبي ويا أيها المؤمنون إذا أردتم تطليق النساء

[فطلقوهن لعدتهن] أي فطلقوهن مستقبلات لعدتهن ، وذلك في الطهر ، ولا تطلقوهن في الحيض ، قال مجاهد : أي طاهرا من غير جماع لقوله (ص) : (فليطلقها طاهرا قبل ان يمسها ، فتلك العذة التي أمر الله تعالى أن يطلق لها النساء) قال المفسرون : وإنما نهي عن طلاق المرأة وقت الحيض لئلا تطول عليها العذة فتتضرر ، ولأن حالة الحيض منفرة للزوج ، تجعله يتسرع في طلاقها ، بخلاف ما إذا كانت طاهرا ، وكونه لم يجامعها في ذلك الطهر ، لئلا يحصل من ذلك الوطء حمل ، فتنتقل العذة من الحيض لوضع الحمل ، وفي ذلك ضرر ظاهر

[وأحصوا العدة] أي اضبطوها وأكملوها ثلاثة أقراء كاملة لئلا تختلط الأنساب

[واتقوا الله ربكم] أي خافوا الله رب العالمين ، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لا تخرجوهن من بيوتهن] أي لا تخرجوهن من مساكنهن ، بعد فراقكم لهن ، إلى أن تنقضى عدتهن [ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة] أي ولا يخرجن من البيوت حتى تنقضي عدتهن ، إلا إذا قارفت المطلقة عملا قبيحا ، كالزنى ، فتخرج لإقامة الحد عليها ((تفسير الفاحشة بالزنى هو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وعكرمة ، وروي عن ابن عباس ايضا أنه البذاء باللسان على الأحماء وهو قول أبي بن كعب وهو الأظهر)) قال في التسهيل : نهى الله سبحانه وتعالى أن يخرج الرجل المرأة المطلقة من المسكن الذي طلقها فيه ، ونهاها هي أن تخرج باختيارها ، فلا يجوز لها المبيت خارجا عن بيتها ، ولا أن تغيب عنه نهارا إلا لضرورة التصرف ، وذلك لحفظ النسب وصيانة المرأة ، واختلف في الفاحشة التى تبيح خروج المعتدة فقيل : إنها الزنى فتخرج لإقامة الحد عليها ، وقيل : إنه سوء الكلام مع الأصهار وبذاءة اللسان فتخرج ، ويسقط حقها من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السكنى ، ويؤيده قراءة " إلا أن يفحشن عليكم "
[وتلك حدود الله] أي وهذه الأحكام هي شرائع الله ومحارمه
[ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه] أي ومن يخرج عن هذه الأحكام ، ويتجاوزها إلى غيرها ، ولا يأتمر بها ، فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ، وأضر بها حيث فوت على نفسه ، إمكان إرجاع زوجته إليه قال الرازي : وهذا تشديد فيمن يتعدى طلاق السنة ، ومن يطلق لغير العدة
[لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا] أي لا تعرف أيها السامع ، ماذا يحدث الله بعد ذلك الطلاق من الأمر ؟ فلعل الله يقلب قلبه من بغضها إلى محبتها ، ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها ، فيجعله راغبا في زوجته ، بعدما كان كارها لها قال ابن عباس : يريد الندم على طلاقها ، والمحبة لرجعتها في العدة ((قال ابن القيم : " إن الله تعالى لما كان يبغض الطلاق ، لما فيه من انفصام عرى الزوجية ، وموافقة عدوه إبليس ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حيث يفرح بافتراق الزوجين ، وكان مع ذلك يحتاج إليه الزوج أو الزوجة ، شرعه على وجه تحصل به المصلحة ، وتندفع به المفسدة ، وحرمه على غير ذلك الوجه ، فشرع له أن يطلقها طاهرا من غير جماع ، طلقة واحدة ، ثم يتركها حتى تنقضي عدتها ، فان زالت اسباب الخلاف وحصلت الموافقة ، كان له سبيل الى إعادتها ، وجعل العدة ثلاثة قروء ، ليطول زمن المهلة والاختيار ، فهذا هو الذي شرعه وأذن فيه " نقلا عن محاسن التأويل

[فإذا بلغن أجلهن] أي فإذا شارفن على انقضاء العدة وقاربن ذلك

[فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف] أي فراجعوهن إلى عصمة النكاح مع الإحسان في صحبتهن كما أمر الله ، أو اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن أنفسهن ، قال المفسرون : الإمساك بالمعروف هو إحسان العشرة وتوفية النفقة ، من غير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قصد المضارة في الرجعة ، لتطول عليها العدة ، والفراق بالمعروف هو أداء الصداق ، والمتعة عند الطلاق ، والوفاء بالشروط مع توفية جميع حقوقها

[وأشهدوا ذوي عدل منكم] أي واشهدوا عند الطلاق أو الرجعة ، شخصين من أهل العدالة والاستقامة ممن تثقون في دينهما وأمانتهما قال في البحر : وهذا الإشهاد مندوب إليه عند أبي حنيفة كقوله تعالى [واشهدوا إذا تبايعتم] وعند الشافعية واجب في الرجعة ، مندوب إليه في الفرقة

[وأقيموا الشهادة لله] أي اشهدوا بالحق دون تحيز لأحد ، خالصا لوجه الله تعالى من غير تبديل ولا تغيير ، ودون مراعاة للمشهود له أو المشهود عليه

[ذلكم يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر] أي هذا الذي شرعناه من الأحكام ، إنما ينتفع ويتعظ به المؤمن الذي يخشى الله ، ويخاف الحساب والعقاب في الدار الآخرة

[ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يحتسب] أي ومن يراقب الله ويقف عند حدوده ، يجعل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ، ويرزقه من وجه لا يخطر بباله ولا يعلمه ، قال مجاهد : كنت عند ابن عباس فجاءه رجل فقال : إنه طلق امرأته ثلاثا ، فسكت حتى ظننت أنه رادها إليه ، ثم قال : ينطلق أحدكم فيركب أحموقته ثم يقول : يا ابن عباس ، يا ابن عباس !! والله تعالى يقول [ومن يتق الله يجعل له مخرجا] وإنك لم تتق الله فلا أجد لك مخرجا ، عصيت ربك ، وبانت منك امرأتك وقال المفسرون : الآية عامة وقد نزلت في (عوف بن مالك الأشجعي) أسر المشركون ابنه ، فأتى رسول الله (ص)وشكا إليه الفاقة ، وقال : ان العدو أسر ابني وجزعت أمه فما تأمرني ؟ فقال (ص)له : اتق الله واصبر ، وآمرك واياها أن تستكثرا من قول (لا حول ولا قوة إلا بالله) ففعل هو وامرأته ، فبينا هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ، ومعه مائة من الإبل ، غفل عنها العدو فاستاقها ، فنزلت [ومن يتق الله يجعل له

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب]
[ومن يتوكل على الله فهو حسبه] أي ومن يعتمد على الله ، ويثق به فيما أصابه ونابه ، فإن الله كافيه ، قال الصاوي : أي من فوض إليه أمره كفاه ما أهمه ، والأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل ، لأنه مأمور به ، ولكن لا يعتمد على تلك الأسباب ، وفي الحديث (لو توكلتم على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا وتروح بطانا)
[إن الله بالغ أمره] أي نافذ أمره في جميع خلقه ، يبلغ ما يريد ولا يعجزه شيء ، قال في التسهيل : وهذا حض على التوكل وتأكيد له ، لأن العبد إذا تحقق أن الأمور كلها بيد الله ، توكل على الله وحده ، ولم يعول على سواه
[قد جعل الله لكل شيء قدرا] أي قد جعل الله لكل أمر من الأمور ، مقدارا معلوما ووقتا محدودا ، حسب الحكمة الأزلية ، قال القرطبي : أي جعل لكل شيء من الشدة والرخاء ، أجلا ينتهى إليه. . ثم بين سبحانه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حكم المطلقة التي لا تحيض لصغرها أو لكبر سنها ، فقال سبحانه

[واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم] أي والنسوة اللواتي انقطع حيضهن ، لكبر سنهن ، إن شككتم وجهلتم كيف عدتهن ؟ فهذا حكمهن

[فعدتهن ثلاثة أشهر] اي فعدة الواحدة منهن ثلاثة أشهر ، كل شهر يقوم مقام حيضة

[واللائي لم يحضن] أي وكذلك اللواتي لم يحضن لصغرهن ، عدتهن ثلاثة أشهر

[وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن] أي والمرأة الحامل تنتهي عدتها بوضع الحمل ، سواء كانت مطلقة ، أو متوفى عنها زوجها

[ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا] أي ومن يراقب الله ، ويخشاه في أقواله وأفعاله ، ويجتنب ما حرم الله عليه ، يسهل عليه أمره ويوفقه لكل خير

[ذلك أمر الله أنزله إليكم] أي ذلك هو حكم الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وشرعه الحكيم ، أنزله عليكم أيها المؤمنون لتأتمروا به ، وتعملوا بمقتضاه

[ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا] أي ومن يتق ربه ، يمح عنه ذنوبه ، ويضاعف له الأجر والثواب ، قال الصاوي : كرر التقوى لعلمه سبحانه وتعالى أن النساء ناقصات عقل وديني ، فلا يصبر على أمورهن إلا أهل التقوى وقال في البحر : لما كان الكلام في أمر المطلقات ، وكن لا يطلقن إلا عن بغض أزواجهن لهن ، وقد ينسب الزوج إليها ما يشينها وينفر الخطاب عنها ، فلذلك تكرر الأمر بالتقوى ، وجاء مبررا في صورة شرط وجزاء [ومن يتق الله يجعل] الآية

[اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم] أي أسكنوا هؤلاء المطلقات ، في بعض مساكنكم التي تسكنونها ، على قدر طاقتكم ومقدرتكم ، فإن كان موسرا وسع عليها في المسكن والنفقة ، وإن كان فقيرا فعلى قدر الطاقة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن] أي ولا تضيقوا عليهن في السكنى والنفقة ، حتى تضطروهن إلى الخروج أو الافتداء

[وإن كن أولات حمل] أي وإن كانت المطلقة حاملا

[فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن] أي فعلى الزوج أن ينفق عليها - ولو طالت مدة الحمل - حتى تضع حملها

[فإن أرضعن لكم] أي فإذا ولدت ورضيت أن ترضع له ولده

[فآتوهن أجورهن] أي فعلى الرجل أن يدفع لها أجر الرضاعة ، لأن الأولاد ينسبون إلى الآباء قال في التسهيل : والمعنى إن أرضع هؤلاء الزوجات المطلقات أولادكم ، فآتوهن أجرة الرضاع وهي النفقة وسائر المؤن ،

[وأتمروا بينكم بمعروف] أي وليأمر كل منهما صاحبه بالخير ، من المسامحة والرفق والإحسان ، قال القرطبي : أي وليقبل بعضكم من بعض ما أمره

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

به من المعروف الجميل ، والمعروف منها : إرضاع الولد من غير أجرة ، والمعروف منه : توفير الأجرة عليها للإرضاع

[وإن تعاسرتم] أي تضايقتم وتشددتم ، وعسر الاتفاق بين الزوجين ، فأبى الزوج أن يدفع لها ما تطلب ، وأبت الزوجة أن ترضعه بأنقص من ذلك الأجر

[فسترضع له أخرى] أي فليستأجر لولده مرضعة غيرها ، وهو خير بمعنى الأمر أي فليسترضع لولده مرضعة أخرى قال أبو حيان : وفيه عتاب للأم لطيف ، كما تقول لمن تطلب منه حاجة فيتوانى عنها : سيقضيها غيرك ، تريد أنها لن تبقى غير مقضية وأنت ملوم) قال الضحاك : إن أبت الأم أن ترضع ، استأجر لولده أخرى ، فإن لم يقبل أجبرت أمه على الرضاع بالأجر

[لينفق ذو سعة من سعته] هذا بيان لقدر الإنفاق والمعنى : لينفق الزوج على زوجته ، وعلى ولده الصغير ، على قدر وسعه وطاقته ، قال في التسهيل :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهو أمر بأن ينفق كل واحد على مقدار حاله ، فلا يكلف الزوج ما لا يطيق ، ولا تضيع الزوجة بل يكون الحال معتدلا ، وفي الآية دليل على أن النفقة تختلف باختلاف أحوال الناس يسرا وعسرا

[ومن قدر عليه رزقه] أي ومن ضيق عليه رزقه ، فكان دون الكفاية

[فلينفق مما آتاه الله] أي فلينفق علئ مقدار طاقته ، وعلى مقدار ما آتاه الله من المال

[لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها] أي لا يكلف الله أحدا إلا بقدر طاقته واستطاعته ، فلا يكلف الفقير ، مثل ما يكلف الغني قال أبو السعود : وفيه تطييب لقلب المعسر ، وترغيب له في بذل مجهوده ، وقد أكد ذلك الوعد بقوله

[سيجعل الله بعد عسر يسرا] أي سيجعل الله بعد الضيق الغنى ، وبعد الشذة السعة والرخاء ، وفيه بشارة للفقراء بفتح أبواب الرزق عليهم . . ثم حذر تعالى من عصيانه وتعدي حدوده ، وضرب الأمثال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالأمم السابقة ، فقال

[وكأين من قرية] أي وكثير من أهل قرية من الأمم السالفة

[عتت عن أمر ربها ورسله] أي طغت وتمردت على أوامر الله وأوامر رسله

[فحاسبناها حسابا شديدا] أي فجازيناها على عصيانها وطغيانها بأنواع العذاب الأليم ، من الجوع ، والقحط ، وعذاب الاستئصال

[وعذبناها عذابا نكرا] أي عذابا منكرا عظيما يفوق التصور

[فذاقت وبال أمرها] أي فذاقت عاقبة كفرها وطغيانها وتمردها على أوامر الله

[وكان عاقبة أمرها خسرا] أي وكانت نتيجة بغيها الهلاك والدمار ، والخسران الذي ما بعده خسران . .

ولما ذكر ما حل بالأمم الطاغية ، أمر المؤمنين بتقوى الله ، تحذيرا من عقابه ، لئلا يصيبهم ما أصاب أولئك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المجرمين ، فقال سبحانه

[أعد الله لهم عذابا شديدا] أي هيأ الله لهم فى الآخرة عذاب جهنم الشديد المؤبد

[فاتقوا الله يا أولي الألباب] أي فخاقوا الله واحذروا بطشه وانتقامه ، يا أصحاب العقول السليمة

[الذين آمنوا] أي أنتم يا معشر المؤمنين ، الذين صدقتم بالله ورسوله

[قد أنزل الله إليكم ذكرا] آي قد أنزل الله إليكم وحيا يتلى وهو القرآن الحكيم ((اختار بعض المفسرين أن المراد بالذكر هو الرسول (ص) بدليل أنه أبدل منه قوله : {رسولا يتلوا} واليه ذهب الطبري وأبو السعود ، وما ذكرناه هو ارجح الأقوال أن المراد بالذكر " القرآن " وبالرسول محمد (ص) وهو منصوب بفعل محذوف تقديره وأرسل رسولا ، وهو اختيار ابن عطية وصاحب البحر المحيط ، وهو الأصح والأرجح والله أعلم)) .

[رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات] أي وأرسل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إليكم رسولا وهو محمد (ص) يقرأ عليكم آيات الله ، واضحات جليات ، تبين الحلال والحرام ، وما تحتاجون إليه من الأحكام قال في البحر : والظاهر أن الذكر هو القرآن ، وأن الرسول هو محمد (ص)

[ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور] أي ليخرج المؤمنين المتقين ، من الضلالة إلى الهدى ، ومن ظلمة الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم

[ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا] أي ومن يصدق بالله ويعمل بطاعته

[يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار] أي يدخله في الآخرة جنات النعيم ، تجري من تحت قصورها أنهار الجنة

[خالدين فيها أبدا] أي ماكثين فى تلك الجنان - جنان الخلد - أبدا ، لا يخرجون منها ولا يموتون

[قد أحسن الله له رزقا] أي قد طيب الله رزقهم في الجنة ، ووسعه لهم ، لأن نعيمها دائم لا ينقطع ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الطبري : أي وسع لهم في الجنات الرزق ، وهو ما رزقهم من المطاعم والمشارب ، وسائر ما أعد لأوليائه فيها فطيبه لهم ، وفي الآية معنى التعجب ، والتعظيم لما رزق الله المؤمن من الثواب ؟ أي ما أطيبه من رزق ، وما أكرمه من ثواب ؟ . . ثم أشار تعالى إلى آثار قدرته ، وعظيم سلطانه وجلاله فقال [الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن] أي الله العظيم الكبير هو الذي خلق بقدرته سبع سموات طباقا ومن الأرض كذلك خلق سبع أرضين بعضها فوق بعض ، بدون فتوق ، بخلاف السموات ((لا خلاف بين العلماء أن السموات سبع ، وأما الأرض فاختلف فيها فقيل : إنها سبع أرضين لظاهر الآية وللحديث الصحيح (من ظلم قيد شبر من أرض طوقه من سبع أرضين) وقيل : إنها أرض واحدة وأن المماثلة ليست في العدد وإنما هي في الخلق والإبداع أي مثلهن في الإبداع والإحكام ، لأن السموات تجمع في كثير من الآيات ، والأرض تفرد دائما {الله الذي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خلق السموات والأرض } وكقوله سبحانه {ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق } والأول أظهر ، والله أعلم))

[يتنزل الأمر بينهن] أي يتنزل وحي الله ، ويجري أمره وقضاؤه ، بين السموات والأرضين

[لتعلموا أن الله على كل شيء قدير] أي لتعلموا أن من قدر على خلق ذلك ، قادر على كل شيء

[وأن الله قد أحاط بكل شيء علما] أي ولتعلموا أنه تعالى عالم بكل شىء ، لاتخفى عليه خافية.

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلى :

1 - الطباق [فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن] وكذلك [بعد عسير يسرا] .

2 - الإظهار في موضع الإضمار للتهويل [وتلك حدود الله ، ومن يتعد حدود الله] أعاد اللفظ دون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الضمير ، تهويلا للأمر ، وتخويفا للعباد .

3 - الالتفات لمزيد الاهتمام [لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا] ورد بطريق المخاطب والأصل أن يكون بطريق الغائب " لا يدري " .

4 - إيجاز الحذف [واللائي لم يحضن] حذف منه الخبر أي فعدتهن ثلاثة أشهر أيضا .

5 - تكرار الوعيد للتفظيع والترهيب [فحاسبناها حسابا شديدا ، وعذبناها عذابا نكرا ، فذاقت وبال أمرها] ا لآية .

6 - المجاز المرسل [وكأين من قرية] يراد بها أهل القرية من باب تسمية الساكن المقيم باسم المحل ، كقوله تعالى : [واسأل القرية] أي أهلها .

7 - الاستعارة اللطيفة [ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور] استعار الظلمات للضلال والكفر ، واستعار النور للهدى والإيمان ، وهو من روائع البيان ، وجلال تعبير القرآن .

8 - السجع المرصع كأنه الدر والياقوت مثل [قد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جعل الله لكل شيء قدرا. . يجعل له من أمره يسرا . .
ويعظم له أجرا . . وكان عاقبة أمرها خسرا] إلخ
وهو من المحسنات البديعية .

سورة التحريم

مدنية وآياتها اثنتا عشرة آية

بين يدي السورة

* سورة التحريم من السور المدنية التي تتناول الشئون التشريعية ، وهي هنا تعالج قضايا وأحكاماً تتعلق " ببيت النبوة " وبأمهات المؤمنين أزواج رسول الله (ص) الطاهرات ، وذلك في إطار تهيئة (البيت المسلم) ، والنموذج الأكمل للأسرة السعيدة ، المتمسكة بآداب بالإسلام .

* تناولت السورة الكريمة في البدء الحديث عن تحريم الرسول (ص)لجاريته ومملوكته " مارية القبطية " على نفسه ، وامتناعه عن معاشرتها إرضاء لرغبة بعض زوجاته الطاهرات ، وجاء العتاب له لطيفا رقيقا ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يشف عن عناية الله بعبده ورسوله محمد (ص)أن يضيق على نفسه ما وسعه الله له [يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك . .] الآية .

* ثم تناولت السورة أمرا على جانب كبير من الخطورة ، ألا وهو " إفشاء السر " الذي يكون بين الزوجين ، والذي يهدد الحياة الزوجية ، وضربت المثل على ذلك برسول الله (ص)حين أسر إلى حفصة بسر واستكتمها إياه ، فأفشته إلى عائشة ، حتى شاع الأمر وذاع ، مما أغضب الرسول حتى هم بتطليق أزواجه [وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حدبثا . .] الآية .

* وحملت السورة الكريمة حملة شديدة عنيفة ، على أزواج النبي (ص)حين حدث ما حدث بينهن من التنافس ، وغيرة بعضهن من بعض ، لأمور يسيرة ، وتوعدتهن بإبدال الله لرسوله (ص) بنساء خير منهن ، انتصارا لرسول الله (ص) [عسى ربه إن طلقكن أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يبدله أزواجا خيرا منكن ، مسلمات ، مؤمنات ، قانتات ، تائبات . .] ا لآية .

* وختمت السورة بضرب مثلين : مثل (للزوجة الكافرة) في عصمة الرجل الصالح المؤمن ، ومثل! (للزوجة المؤمنة) في عصمة الرجل الفاجر الكافر ، تنبيها للعباد على أنه لا يغني في الآخرة أحد عن أحد ، ولا ينفع حسب ولا نسب ، إذا لم يكن عمل الإنسان صالحا [ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما - أي كفرتا بالله ولم تؤمنا - فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل أدخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة . .] الآيات . وهو ختم رائع يتناسق مع جو السورة وهدفها في ترسيخ دعائم الفضيلة والإيمان .

قال الله تعالى : [يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك . .] إلى قوله [وكانت من القانتين] . من آية (1)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى آية (12) نهاية السورة الكريمة .

اللغة :

[تحلة] تحليل اليمين بالكفارة

[صغت] مالت عن الحق وزاغت ، وأصغى الإناء أماله

[قانتات] مطيعات من القنوت وهو ملازمة الطاعة مع الخضوع

[نصوحا] خالصة صادقة ، والتوبة النصوح هي التي لا عودة بعدها إلى الذنب ، سميت نصوحا لما فيها من الصدق والإخلاص ، يقال : هذا عسل ناصح إذا خلص من الشمع

[أغلظ] من الغلظة وهي الشدة

[أحصنت] عفت وصانت نفسها عن مقارفة الفاحشة .

سبب النزول :

أ - روي أن النبي (ص) كان يقسم بين نسائه ، فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله (ص) في زيارة أبويها فأذن لها ، فلما خرجت أرسل إلى جاريته "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مارية القبطية " فعاشرها في بيت حفصة ، فرجعت فوجدتها في بيتها ، فغارت غيرة شديدة ، وقالت : أدخلتها بيتي في غيابي ، وعاشرتها على فراشي ؟ ! ما أراك فعلت هذا إلا لهواني عليك ! فقال لها رسول الله (ص) مسترضيا لها : إني حرمتها علي ، وأبشرك بأن أباك عمر ، وأبا بكر سيكونان خليفتين بعدي ، ولا تخبري بذلك أحدا !! فلما خرج من عندها قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة - وكانتا متصافيتين - وأخبرتها بسر النبي (ص) فغضب رسول الله (ص) وحلف ألا يدخل على نسائه شهرا واعتزلهن فأنزل الله [يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك . .] الآية.

ب - وروي أن رسول الله (ص)* ، كان يدخل على زوجه " زينب " ، رضي الله عنها فيشرب عندها عسلا ، فاتفقت عائشة وحفصة على أن تقول له كل واحدة إذا دنا منها : أكلت مناقير - وهو طعام حلو كريه الريح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- فلما مر على حفصة قالت له ذلك ، ثم دخل على عائشة فقالت له مثل ذلك - وكان (ص)يكره أن توجد منه رائحة كريهة - فقال عليه السلام : لا ، ولكني شربت عسلا عند زينب ولن أعود له وحلف فنزلت [يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك . .] الآيات

((الرواية الأولى عند المفسرين أشهر في سبب النزول ، وهي أن الرسول (ص) حرم عليه " مارية القبطية " وقد أخرجها الدارقطنى عن ابن عباس ، والرواية الثانية ذكرت في الصحيحين بأوسع من هذا وهي أصح إسنادا من الأولى ، ولكن كونها سببا للنزول مستبعد ، والذي يرجح الرواية الأولى أمور : أن مثل تحريم بعض النساء مما يبتغى به مرضاة بعض الزوجات لا شرب العسل أو عدمه ، ثانيا أن الاهتمام بإنزال سورة فيها الوعيد والتهديد لأزواج رسول الله بالطلاق واستبدالهن بنساء خير منهن ، وأن الله وملائكته وصالح المؤمنين عون لرسول الله (ص) ، يدل على وجود تنافس بينهن وغيرة بعضهن من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعض ، مما أدى إلى إيذاء رسول الله (ص) فعلا حتى حرم بعض جواريه إرضاء لهن ، واستكتم البعض منهن الأمر فأفشين السر ، وهذا يرجح ما ذكرناه وقد قال العلامة ابن كثير : وكون قضية شرب العسل سببا للنزول فيه نظر ، والله أعلم)) .

التفسير :

[يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك] الخطاب بلفظ النبوة ، شعر بالتوقير والتعظيم ، والتنويه بمقامه الرفيع الشريف ، فلم يخاطبه باسمه العلم ، كما خاطب سائر الرسل ، بقوله " يا إبراهيم ، يا نوح ، يا عيسى ابن مريم " وإنما خاطبه بلفظ النبوة أو الرسالة ، وذلك أعظم دليل! وبرهان على أنه - صلوات الله عليه - أفضل الأنبياء والمرسلين ، ومعنى الآية : يا أيها الموحى إليه من السماء ، المنبأ بواسطة الأمين جبريل عليه السلام ، لماذا تمنع نفسك مما أحل الله لك من النساء ؟ ! قال المفسرون : إن رسول الله (ص)خلا بأم ولده " مارية " في بيت حفصة وعلمت بذلك فقال لها :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اكتمى على وقد حرمت مارية على نفسي ، فنزلت الآية [يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك] وفي افتتاح العتاب من حسن التلطف ما لا يخفى ، فقد عاتبه على إتعاب نفسه ، والتضييق عليها من أجل مرضاة أزواجه ، كأنه يقول : لا تتعب نفسك في سبيل أزواجك ، وأزواجك يسعين في مرضاتك ، فأرح نفسك من هذا العناء

[تبتغي مرضات أزواجك] ؟ أي تطلب رضا أزواجك بتحريم ما أحل الله لك ؟ قال في التسهيل : يعنى تحريمه للجارية ابتغاء رضا حفصة ، وهذا يدل على أنها نزلت في (تحريم الجارية) ، وأما تحريم العسل فلم يقصد فيه رضا أزواجه ، وإنما تركه لرائحته

[والله غفور رحيم] أي والله واسع المغفرة ، عظيم الرحمة ، حيث سامحك في امتناعك عن مارية ، وإنما عاتبك رحمة بك ، وفي هذا إشارة إلى أن عتابه فى ذلك ، إنما كان كرامة له ، وإنما وقع العتاب لتضييقه عليه السلام على نفسه ، وامتناعه مما كان له فيه أنس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومتعة!! وبئس ما قاله الزمخشري في أن هذا كان منه (ص)في زلة ، لأنه حرم ما أحل الله له إلخ فإن هذا القول قلة أدب مع مقام النبوة ، وجهل بصفات المعصوم ، فلم يكن منه صلوات الله عليه تحريم للحلال كما زعم حتى تعتبر مخالفة ومعصية ، وإنما امتنع عن بعض إمائه تطييبا لخاطر بعض أزواجه ، فعاتبه الله تعالى عليه رفقا به ، وتنويها بقدره ، واجلالا لمنصبه عليه السلام ، أن يراعي مرضاة أزواجه بما يشق عليه ، جريا على ما ألف من لطف الله تعالى به

[قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم] أي قد شرع الله لكم يا معشر المؤمنين ، ما تتحللون به من أيمانكم وذلك بالكفارة

[والله مولاكم] أي والله وليكم وناصركم

[وهو العليم الحكيم] أي وهو العليم بخلقه ، الحكيم في صنعه ، فلا يأمر ولا ينهى ، إلا بما تقتضيه الحكمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمصلحة . . ثم شرع تعالى في بيان القصة التي حدثت لرسول الله (ص)مع بعض زوجاته ، فقال سبحانه

[وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثا] أي واذكر حين أسر النبى محمد (ص)إلى زوجته حفصة خبرا واستكتمها إياه قال ابن عباس : هو ما أسر إلى حفصة من تحريم الجارية على نفسه ، كما أخبرها بأن الخلافة بعده تكون في أبى بكر وعمر ((قال الرازي : لما رأى النبي (ص) الغيرة في وجه حفصة أراد أن يترضاها ، فأسر إليها بشيئين : تحريم الأمة على نفسه ، والبشارة بأن الخلافة بعده فى أبى بكر وعمر فافشت السر ، فكان ذلك سببا لغضب الرسول (ص))).

وطلب منها ألا تخبر بذلك أحدا

[فلما نبأت به] أي فلما أخبرت بذلك السر عائشة وأفشته لها

[وأظهره الله عليه] أي وأطلع الله نبيه بواسطة جبريل الأمين على إفشائها للسر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[عرف بعضة وأعرض عن بعض] أي أعلمها وأخبرها رسول الله (ص) ببعض الحديث الذي أفشته معاتبا لها ، ولم يخبرها بجميع ما حصل منها ، حياة منه وكرما ، فإن من عادة الفضلاء التغافل عن الزلات ، والتقصير في اللوم والعتاب قال الحسن : ما استقصى كريم قط ، وقال سفيان : ما زال التغافل من شيم الكرام قال الخازن : المعنى أن النبي (ص) أخبر حفصة ببعض ما أخبرت به عائشة ، وهو تحريم مارية على نفسه ، وأعرض عن ذكر الخلافة لأنه (ص) كره أن ينتشر ذلك في الناس

[فلما نبأها به] أي فلما أخبر الرسول حفصة بأنها قد أفشت سره

[قالت من أنبأك هذا] أي قالت : من أخبرك يا رسول الله بأني أفشيت سرك ؟ قال أبو حيان : ظنت حفصة أن عائشة فضحتها - وكانت قد استكتمتها - فقالت : من أنبأك هذا على سبيل التثبت ، فأخبرها أن الله جل وعلا هو الذي نبأه به ، فسكتت وسلمت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال نبأني العليم الخبير] أي فقال عليه السلام : أخبرني بذلك رب العزة ، العليم بسرائر العباد ، الخبير الذي لا تخفى عليه خافية

[أن تتوبا إلى الله] الخطاب لحفصة وعائشة ، خاطبهما تعالى بطريق الالتفات ، ليكون أبلغ في معاتبتهما ، وحملهما على التوبة ، مما بدر منهما من الإيذاء لسيد الأنبياء ، وجوابه محذوف تقديره أي إن تبتما كان خيرا لكما ، من التعاون على النبي (ص) بالإيذاء

[فقد صغت قلوبكما] أي فقد زاغت ومالت قلوبكما ، عما يجب عليكما ، من الإخلاص لرسول الله ، بحب ما يحبه ، وكراهة ما يكرهه

[وإن تظاهرا عليه] أي وأن تتعاونا على النبي (ص) بما يسوءه ، من الوقيعة بينه وبين سائر نسائه

[فإن الله هو مولاه] أي فإن الله تعالى هو وليه وناصره ، فلا يضره ذلك التظاهر منكما

[وجبريل وصالح المؤمنين] أي وجبريل كذلك وليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وناصره ، والصالحون من المؤمنين قال ابن عباس : أراد بصالح المؤمنين (أبا بكر وعمر) فقد كانا عونا له عليه الصلاة والسلام عليهما قال في التسهيل : معنى الآية : إن تعاونتما عليه (ص)بما يسوءه من إفراط الغيرة ، وإفشاء سره ونحو ذلك ، فإن له من ينصره ويتولاه ، وقد ورد في الصحيح أنه لما وقع ذلك جاء عمر إلى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله : ما يشق عليك من شأن النساء ؟ فإن كنت طلقتهن ، فإن الله معك وملائكته وجبريل ، وأبو بكر وعمر معك ، فنزلت الآية موافقة لقول عمر

[والملائكة بعد ذلك ظهير] أي والملائكة الأبرار بعد حضرة الله ، وجبريل ، وصالح المؤمنين ، أعوان لرسول الله (ص)على من عاداه ، فماذا يفيد تظاهر امرأتين ، على من هؤلاء أعوانه وأنصاره ؟ ! أفرد [جبريل] بالذكر تعظيما له ، وإظهارا لمكانته عند الله تعالى ، فيكون قد ذكر مرتين : مرة بالإفراد ، ومرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في العموم ، ووسط [صالح المؤمنين] بين جبريل والملائكة تشريفا لهم ، واعتناء بهم ، وإشادة بفضل الصلاح ، وختم الآية بذكر [الملائكة] أعظم المخلوقات وجعلهم ظهراء للنبي عليه السلام ، ليكون أفخم بالنبى صلوات الله عليه ، وعظم مكانته ، والانتصار له ، إذ هم بمثابة جيش جرار ، يملأ القفار ، نصرة للنبي المختار ، فمن ذا الذي يستطيع أن يناوىء الرسول (ص) بعد ذلك ؟ ثم خوف تعالى نساء النبي بقوله

[عسى ربه أن طلقكن] قال المفسرون : [عسى] من الله واجب أي حق واجب على الله إن طلقكن رسوله [أن يبدله أزواجا خيرا منكن] أي أن يعطيه عليه السلام بدلكن زوجات صالحات ، خيرا وأفضل منكن قال القرطبي : هذا وعد من الله تعالى لرسوله لو طلقهن في الدنيا أن يزوجه نساء خيرا منهن ، والله عالم بأنه لا يطلقهن ، ولكن أخبر عن قدرته ، على أن رسوله لو طلقهن ، لأبدله الله خيرا منهن ، تخويفا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لهن. . ثم وصف تعالى هؤلاء الزوجات اللواتي سيبدله بهن ، فقال سبحانه

[مسلمات] أي خاضعات مستسلمات لأمر الله تعالى وأمر رسوله

[مؤمنات] أي مصدقات بالله وبرسوله

[قانتات] أي مطيعات لما يؤمرن به ، مواظبات على الطاعة

[تائبات] أي تائبات من الذنوب ، لا يصررن علئ معصية

[عابدات] أي متعبدات لله تعالى يكثرن العبادة ، كأن العبادة امتزجت بقلوبهن حتى صارت سجية لهن

[سائحات] أي مسافرات مهاجرات إلى الله ورسوله

((قال ابن عباس : {سائحات} أي صائمات واستدل بحديث : " سياحة هذه الأمة الصيام " وقال زيد بن أسلم : {سائحات } أي مهاجرات وتلا قوله تعالى : {التائبون العابدون السائحون } أي لمهاجرون ، ولعل هذا الرأي أرجح لأنه يتفق مع المعنى اللغوي للسياحة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهي السفر في الأرض للاعتبار ، وقد رجح ابن كثير الرأي الأول والله أعلم)).

[ثيبات وأبكارا] أي منهن ثيبات ، ومنهن أبكارا قال ابن كثير : قسمهن إلى نوعين ليكون ذلك أشهى إلى النفس ، فإن التنوع يبسط النفس ، وإنما دخلت واو العطف هنا [ثيبات وأبكارا] للتنويع والتقسيم ، ولو سقطت لأختل المعنى ، لأن الثيوبة والبكارة لا يجتمعان ، فتدبر سر القرآن . . ولما وعظ نساء الرسول موعظة خاصة ، اتبع ذلك بموعظة عامة للمؤمنين ، فقال سبحانه

[يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا] أي يا من صدقتم بالله ورسوله ، وأسلمتم وجوهكم لله ، احفظوا أنفسكم ، وصونوا أزواجكم وأولادكم ، من نار حامية مستعرة ، وذلك بترك المعاصي وفعل الطاعات ، وبتأديبهم وتعليمهم قال مجاهد : أي اتقوا الله ، وأوصوا أهليكم بتقوى الله وقال الخازن : أي مروهم بالخير ، وانهوهم عن الشر ، وعلموهم وأدبوهم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حتى تقوهم بذلك من النار ، والمراد بالأهل النساء والأولاد وما الحق بهما

[وقودها الناس والحجارة] أي حطبها الذي تسعر به نار جهنم ، هو الخلائق والحجارة قال المفسرون : أراد بالحجارة حجارة الكبريت ، لأنها أشد الأشياء حرا ، وأسرع اتقادا ، وعنى بذلك أنها مفرطة الحرارة ، تتقد بما ذكر ، لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه قال ابن مسعود : حطبها الذي يلقى فيها : بنو آدم ، وحجارة من كبريت ، أنتن من الجيفة

[عليها ملائكة غلاظ شداد] أي على هذه النار زبانية غلاظ القلوب ، لا يرحمون أحدا ، مكلفون بتعذيب الكفار قال القرطبي : المراد بالملائكة الزبانية ، وهم غلاظ القلوب ، لا يرحمون إذا استرحموا ، لأنهم خلقوا من الغضب ، وحبب إليهم عذاب الخلق ، كما حبب لبني آدم أكل الطعام والشراب

[لا يعصون الله ما أمرهم] أي لا يعصون أمر الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بحال من الأحوال

[ويفعلون ما يؤمرون] أي وينفذون الأوامر بدون إمهال ولا تأخير . . ثم يقال للكفار عند دخولهم النار

[يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم] أي لا تعتذروا عن ذنوبكم وإجرامكم ، فلا ينفعكم اليوم الاعتذار ، لأنه قد قدم إليكم الإنذار والإعذار

[إنما تجزون ما كنتم تعملون] أي إنما تنالون جزاء أعمالكم القبيحة ، ولا تظلمون شيئا ، كقوله تعالى

[اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب] ثم دعا المؤمنين إلى التوبة الصادقة الناصحة ، فقال سبحانه

[يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا] أي توبوا إلى الله من ذنوبكم ، توبة صادقة خالصة ، بالغة في النصح الغاية القصوئ ، سئل عمر عن التوبة النصوح ؟ فقال : هي أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب ، كما لا يعود اللبن إلى الضرع قال العلماء : التوبة النصوح هي التي جمعت ثلاثة شروط : الإقلاع عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذنب ، والندم على ما حدث ، والعزم على عدم العودة إليه ، وإن كان الحق لآدمي زيد شرط رابع وهو : رد المظالم لأصحابها

[عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم] أي لعل الله يرحمكم فيمحو عنكم ذنوبكم ، قال المفسرون : " عسى من الله واجبة بمنزلة التحقيق ، وهذا إطماع من الله لعباده في قبول التوبة ، تفضلا منه وتكرما ، لأن العظيم إذا وعد وفى ، وعادة الملوك أنهم إذا أرادوا فعلا ، قالوا " عسى " فهو بمنزلة المحقق ،

[ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار] أي ويدخلكم في الآخرة ، حدائق وبساتين ناضرة ، تجري من تحت قصورها أنهار الجنة

[يوم لا يخزي الله النبى والذين آمنوا معه] أي يوم لا يفضح الله النبي وأتباعه المؤمنين أمام الكفار ، بل يعزهم ويكرمهم قال أبو السعود : وفيه تعريض بمن أخزاهم الله تعالى من أهل الكفر والفسوق

[نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم] أي نور هؤلاء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المؤمنين ، يضيء لهم على الصراط ، ويسطع أمامهم وخلفهم ، وعن أيمانهم وشمائلهم ، كإضاءة القمر في سواد الليل ((وفي الحديث أن النبي (ص) سئل :
(كيف تعرف أمتك يوم القيامة من بين الأمم ؟ فقال : " إنهم يأتون غرا محجلين من آثار الوضوء) أي تسطع جباههم وأيديهم بالنور من آثار الطهور فيعرفهم بذلك رسول الله (ص))).

[يقولون ربنا أتمم لنا نورنا] أي يدعون الله قائلين : يا ربنا أكمل علينا هذا النور وأدمه لنا ، ولا تتركنا نتخبط في الظلمات قال ابن عباس : هذا دعاء المؤمنين ، حين أطفأ الله نور المنافقين ، يدعون ربهم به إشفاقا ، حتى يصلوا إلى الجنة

[واغفر لنا] أي وأمح عنا ما فرط من الذنوب

[إنك على كل شيء قدير] أي إنك أنت القادر على كل شيء ، من المغفرة والعقاب ، والرحمة والعذاب . . ثم أمر تعالى بجهاد أعداء الله ، من الكفرة والمنافقين ، فقال سبحانه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين] أي جاهد الكفار بالسيف والسنان ، والمنافقين بالحجة والبرهان ، لأن المنافقين يظهرون الإيمان ، فهم مسلمون ظاهرا ، فلذلك لم يؤمر عليه الصلاة والسلام بقتالهم

[واغلظ عليهم] أي وشدد عليهم في الخطاب ، ولا تعاملهم بالرأفة واللين ، إرعابا وإذلالا لهم ، لتتكسر صلابتهم ، وتلين شكيمتهم

[ومأواهم جهنم] أي ومستقرهم في الآخرة جهنم

[وبئس المصير] أي وبئست جهنم مسنقرا ومصيرا للمجرمين . . ثم ضرب تعالى مثلا للكفار في عدم انتفاعهم بصلة القرابة أو المصاهرة أو النكاح ، لأن الأسباب كلها تتقطع يوم القيامة ، ولا ينفع إلا العمل الصالح ، فقال سبحانه

[ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط] أي مثل تعالى للكفار ، في عدم استفادتهم بقرابة المؤمنين ، بحال امرأة نوح وامرأة لوط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين] أي كانتا في عصمة نبيين عظيمين هما " نوح " و " لوط " عليهما السلام ، وإنما وصفهما بالعبودية ، تشريفا وتكريما لهما بإضاقتهما إليه تعالى

[فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا] أي فخانت كل واحدة زوجها بالكفر وعدم الإيمان ، فلم يدفعا عن امرأتيهما - مع نبوتهما - شيئا من عذاب الله

((الخيانة هنا يراد بها الخيانة في الدين لا في العرض ، وقد أخطأ البعض حيث نسب لهما فاحشة الزنى ، وهذا لا يجوز ، لأن الله تعالى أكرم أنبياءه من أن تتعاطى واحدة منهن الفجور ، بل هن شريفات مصونات لحرمة الأنبياء ، وقد قال ابن عباس : " ما بغت امرأة نبى قط ، وإنما كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما وكانتا مشركتين " ، فتدبره فإنه دقيق)).

[وقيل أدخلا النار مع الداخلين] أي وتقول لهما خزنة النار يوم القيامة : أدخلا نار جهنم مع سائر الداخلين ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الكفرة المجرمين ، قال القرطبي : ضرب تعالى هذا المثل ، تنبيها على أنه لا يغني في الآخرة أحد عن قريب ولا نسيب ، إذا فرق بينهما الدين ، كما لم يدفع نوح ولوط - مع كرامتهما على الله تعالى - عن زوجتيهما ، لما عصتا وكفرتا شيئا من عذاب الله

[وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون] وهذا مثل آخر للمؤمن ، في عدم تضرره ببقاء قريبه على الكفر ، إذا كان هو مؤمنا ، قال أبو السعود : أي جعل حالها مثلا لحال المؤمنين ، في أن وصلة الكفر لا تضرهم ، حيث كانت في الدنيا تحت أعدى أعداء الله " فرعون " وهي في أعلى غرف الجنة قال المفسرون : واسمها " آسية بنت مزاحم " آمنت بموسى عليه السلام ، فبلغ ذلك فرعون فأمر بقتلها ، فنجاها الله من شره ، فلم يضر امرأة فرعون اتصالها به ، وهو من أكفر الكافرين ، ولم ينفع آمرأة نوح ولوط اتصالهما بهما ، وهما رسولا رب العالمين

[إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة] أي حين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دعت ربها قائلة : يا رب اجعل لي قصرا مشيدا بجوار رحمتك ، في جنة النعيم قال بعض العلماء : ما أحسن هذا الكلام ؟ فقد اختارت الجار قبل الدار ، حيث قالت [ابن لي عندك بيتا في الجنة] فهي تطمع في جوار الله ، قبل طمعها في القصور ، وفي الآية دليل على إيمانها ، وتصديقها بالبعث

[ونجني من فرعون وعمله] أي وأنقذني من كفر فرعون وطغيانه

[ونجني من القوم الظالمين] أي وأنقذني من الأقباط ، أتباع فرعون الطاغين ، قال الحسن : لما دعت بالنجاة ، نجاها الله تعالى أكرم نجاة ، فرفعها إلى الجنة ، تأكل وتشرب وتتنعم ،

[ومريم ابنت عمران] أي ومريم ابنة عمران مثل آخر في الإيمان

[التي أحصنت فرجها] أي حفظت فرجها ، وصانته عن مقارفة الفواحش ، فهى عفيفة شريفة طاهرة ، لا كما يزعم اليهود عليهم لعنة الله ، أنها زنت وأن ولدها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عيسى ابن زنى

[فنفخنا فيه من روحنا] أي فنفخ رسولنا جبريل في فتحة جيبها ، فوصل أثر ذلك إلى فرجها فحملت بعيسى قال ابن كثير : إن الله بعث جبريل ، فتمثل لها في صورة بشر ، وأمره أن ينفخ بفيه في جيب درعها - أي ثوبها - فنزلت النفخة ، فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعيسى عليه السلام

[وصدقت بكلمات ربها وكتبه] أي وآمنت بشرائع الله القدسية ، وكتبه السماوية

[وكانت من القانتين] أي وكانت من القوم المطيعين ، العابدين لله عز وجل ، وهو ثناء عليها بكثرة العبادة ، والطاعة ، والخشوع ! ! وفي الحديث (كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء ، إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من آلبيان والبديع هي الآتى :

1 - الطباق بين حرم وأحل [لم تحرم ما أحل] وبين [عرف . . وأعرض] وبين [ثيبات وأبكارا] وكلها من المحسنات البديعية .

2 - الالتفات من الغيبة إلى الخطاب [أن تتوبا إلى الله] زيادة في اللوم والعتاب ، والأصل : إن يتوبا.

3 - صيغ المبالغة [العليم الخبير] [نصوحا] [ظهير] [قدير] إلخ .

4 - ذكر العام بعد الخاص [وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة] فقد خص جبريل بالذكر تشريفا ، ثم ذكره ثانية ضمن العموم ، اعتناء بشأن الرسول (ص)ووسط " صالح المؤمنين " بين الملائكة المقربين تفخيما لأمرهم .

5 - المجاز المرسل [قوا أنفسكم وأهليكم نارا] ذكر المسبب وأراد السبب أي لازموا على الطاعة ، لتقوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنفسكم وأهليكم من عذاب الله .
6 - المقابلة بين مصير أهل الإيمان ومصير أهل الطغيان [ضرب الله مثلا لله للذين كفروا] وقابله بقوله [وضرب الله مثلا للذين آمنوا] .

سورة الملك

مكية وآياتها ثلاثون آية

بين يدي السورة

* سورة الملك من السور المكية ، شأنها شأن سائر السور المكية ، التي تعالج موضوع العقيدة في أصولها الكبرى ، وقد تناولت هذه السور أهدافا رئيسية ثلاثة وهي (إثبات عظمة الله وقدرته على الإحياء والإماتة . . وإقامة الأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين . . ثم بيان عاقبة المكذبين الجاحدين للبعث والنشور) .

* ابتدأت السورة الكريمة بتوضيح الهدف الأول ، فذكرت أن الله جل وعلا بيده الملك والسلطان ، وهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المهيمن على الأكوان ، الذي تخضع لعظمته الرقاب ، وتعنو له الجباه ، وهو المتصرف في الكائنات بالخلق والإيجاد ، والإحياء والإماتة [تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير] الآيات .

* ثم تحدثت عن خلق السموات السبع ، وما زين الله به السماء الدنيا من الكواكب الساطعة ، والنجوم اللامعة ، وكلها أدلة على قدرة الله ووحدانيته [الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت . .] الآيات .

* ثم تناولت الحديث عن المجرمين بشيء من الإسهاب ، وهم يرون جهنم تتلظى ، وتكاد تتقطع من شدة الغضب ، والغيظ على أعداء الله ، وقارنت بين مآل الكافرين والمؤمنين ، على طريقة القرآن في الجمع بين الترهيب والترغيب [إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور . .] الآيات .

* وبعد أن ساقت بعض الأدلة والشواهد على عظمة الله وقدرته ، حذرت من عذابه وسخطه ، أن يحل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بأولئك الكفرة الجاحدين [ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور . .] الآيات .

* وختمت السورة الكريمة بالإنذار والتحذير للمكذبين بدعوة الرسول ، من حلول العذاب بهم في الوقت الذي كانوا يتمنون فيه موت الرسول (ص) ، وهلاك المؤمنين [قل أرآيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم] ؟ الآيات ، ويا له من وعيد شديد ، ترتعد له الفرائص ! ! .

فضلها :

تسمى هذه السورة " الواقية " و " المنجية " لأنها تقي قارئها من عذاب القبر ، فقد قال (ص) (هي المانعة وهي المنجية ، تنجي من عذاب القبر).

قال الله تعالى : [تبارك الذي بيده الملك . . .] إلى قوله [فمن يأتيكم بماء معين] من آية (1) إلى آية (30) نهاية السورة الكريمة .

اللغة :

[طباقا] بعضها فوق بعض ، من طابق النعل بالنعل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذا قطعه بقدره وجعله فوقه

[فطور] شقوق وخروق ، من فطر بمعنى شق ، قال الشاعر : بنى لكم وبلا عمد سماء وسواها فما فيها فطور

[حسير] كليل من الحسور وهو الإعياء ، يقال : حسر البعير إذا كل وانقطع ، قال الشاعر : نظرت إليها بالمحصب من منى فعاد إلى الطرف وهو حسير

[شهيقا] صوتا منكرا كصوت الحمير

[تمير] تتقطع وينفصل بعضها من بعض ، وأصلها تتميز حذفت إحدى التاءين تخفيفا

[مناكبها] أطرافها ونواحيها ، وأصل المنكب : الجانب ومنه منكب الرجل

[لجوا] تمادوا وأصروا

[تمور] ترتج وتضطرب

[زلفة] قريبا منهم

[غورا] غائرا ذاهبا في الأرض .

التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[تبارك الذي بيده الملك] أي تمجد وتعالى الله العلى الكبير ، المفيض على المخلوقات فنون الخيرات ، الذي بقبضة قدرته ملك السموات والأرض ، يتصرف فيهما كيف يشاء ، قال ابن عباس : بيده الملك ، يعز من يشاء ويذل من يشاء ، ويحيى ويميت ، ويغني ويفقر ، ويعطى ويمنع

[وهو على كل شيء قدير] أي وهو القادر على كل شيء له القدرة التامة ، والتصرف الكامل في كل الأمور ، من غير منازع ولا مدافع . . ثم بين تعالى طرفا من آثار قدرته ، وجليل حكمته ، فقال سبحانه

[الذي خلق الموت والحياة] أي أوجد في الدنيا الحياة والموت ، فأحيا من شاء وأمات من شاء ، وهو الواحد القهار ، وإنما قدم الموت لأنه أهيب في النفوس وأفزع ، قال العلماء : ليس الموت فناء وانقطاعا بالكلية عن الحياة ، وإنما هو انتقال من دار إلى دار ، ولهذا ثبت في الصحيح أن الميت يسمع ، ويرى ، ويحس وهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في قبره ، كما قال عليه السلام (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم) الحديث وقال ، : (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، لكنهم لا يجيبون) فالموت هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ، ومفارقتها للجسد

[ليبلوكم أيكم أحسن عملا] أي ليمتحنكم ويختبركم - أيها الناس - فيرى المحسن منكم من المسيء ، قال القرطبي : أي يعاملكم معاملة المختبر ، فإن الله تعالى عالم بالمطيع والعاصي أزلا

[وهو العزيز] أي الغالب في انتقامه ممن عصاه

[الغفور] لذنوب من تاب وأناب إليه

[الذي خلق سبع سموات طباقا] أي خلق سبع سموات متطابقة ، بعضها فوق بعض ، كل سماء كالقبة للأخري

[ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت] أي لست ترى أيها السامع في خلق الرحمن البديع من نقص أو خلل ، أو اختلاف أو تنافر ، بل هى في غاية الإحكام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والإتقان ، وإنما قال [في خلق الرحمن] ولم يقل " فيهن " تعظيما لخلقهن ، وتنبيها على باهر قدرة الله

[فارجع البصر هل ترى من فطور] ؟ أي فكرر النظر في السموات ، ورده في خلقهن المحكم ، هل ترى من شقوق وصدوع ؟

[ثم ارجع البصر كرتين] أي ثم ردد النظر مرة بعد أخرى ، وانظر بعين الاعتبار في هذه السموات العجيبة ، مرة بعد مرة

[ينقلب إليك البصر خاسئا] أي يرجع إليك بصرك خاشعا ذليلا ، لم ير ما تريد

[وهو حسير] أي وهو كليل متعب ، قد بلغ الغاية في الإعياء ، قال الإمام الفخر : المعنى إنك إذا كررت نظرك لم يرجع إليك بصرك ، بما طلبته من وجود الخلل والعيب ، بل رجع خاسئا مبعدا لم ير ما يهوى مع الكلل والإعياء وقال القرطبى : أي ردد طرفك وقلب البصر في السماء [كرتين] أي مرة بعد أخرى ، يرجع إليك البصر خاشعا صاغرا ، متباعدا عن أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يرى شيئا من ذلك العيب والخلل ، وإنما أمر بالنظر كرتين ، لأن الإنسان إذا نظر في الشيء مرة لا يرى عيبه ، ما لم ينظر إليه مرة أخرى ، والمراد بالكرتين التكثير بدليل قوله [ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير] وهو دليل على كثرة النظر . . ثم بين تعالى ما زين به السماء من النجوم الزاهرة ، والكواكب الساطعة ، فقال سبحانه

[ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح] اللام لام القسم و[قد] للتحقيق ، والمعنى : والله لقد زينا السماء القريبة منكم أيها الناس ، بكواكب مضيئة ساطعة ، هي السماء الأولى أقرب السموات إلى الأرض ، قال المفسرون : سميت الكواكب مصابيح لإضاءتها بالليل إضاءة السراج

[وجعلناها رجوما للشياطين] أي وجعلنا لها فائدة أخرى وهي رجم أعدائكم الشياطين ، الذين يسترقون السمع ، قال قتادة : خلق الله تعالى النجوم لثلاث : زينة للسماء ، ورجوما للشياطين ، وعلامة يهتدى بها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في البر والبحر وقال الخازن : فإن قيل : كيف تكون زينة للسماء ، ورجوما للشياطين ، وكونها زينة يقتضي بقاءها ، وكونها رجوما يقتضي زوالها ، فكيف الجمع بين هاتين الحالتين ؟ فالجواب أنه ليس المراد أنهم يرمون بأجرام الكواكب ، بل يجوز أن تنفصل من الكواكب شعلة ، وترمى الشياطين بتلك الشعلة وهي الشهب ، ومثلها كمثل قبس يؤخذ من النار وهي على حالها ، أقول : ويؤيده قوله تعالى [إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب] فعلى هذا ، الكواكب لا يرجم بها ، وإنما الرجم بالشهب

[وأعتدنا لهم عذاب السعير] أي وهيأنا وأعددنا للشياطين في الآخرة - بعد الإحراق بالشهب في الدنيا - العذاب المستعر ، وهو النار الموقدة

[وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم] أي وللكافرين بربهم ، عذاب جهنم أيضا ، فليس العذاب مختصا بالشياطين ، بل هو لكل كافر بالله من الإنس والجن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وبئس المصير] أي وبئست النار مرجعا ومصيرا للكافرين . . ثم وصف تعالى جهنم وما فيها من العذاب والأهوال والأغلال ، فقال سبحانه

[إذا ألقوا فيها] أي إذا قذفوا وطرحوا في جهنم ، كما يطرح الحطب فى النار العظيمة

[سمعوا لها شهيقا] أي سمعوا لجهنم صوتا منكرا فظيعا كصوت الحمار ، لشدة توقدها وغليانها قال ابن عباس : الشهيق لجهنم عند إلقاء الكفار فيها ، تشهق إليهم شهقة البغلة للشعير ، ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف

[وهي تفور] أي وهي تغلى بهم كما يغلي المرجل - القدر - من شدة اللهب ، ومن شدة الغضب ، قال مجاهد : تفور بهم كما يفور الحب القليل في الماء الكثير

[تكاد تميز من الغيظ] أي تكاد جهنم تتقطع وينفصل بعضها من بعض ، من شدة غيظها وحنقها على أعداء الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[كلما ألقي فيها فوج] أي كلما طرح فيها جماعة من الكفرة

[سألهم خزنتها] أي سألتهم الملائكة الموكلون على جهنم - وهم الزبانية - سؤال . توبيخ وتقريع

[ألم يأتكم نذير] أي ألم يأتكم رسول ينذركم ويخوفكم من هذا اليوم الرهيب ؟ قال المفسرون : وهذا السؤال زيادة لهم في الإيلام ، ليزدادوا حسرة فوق حسرتهم ، وعذابا فوق عذابهم

[قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا] أي أجابوا نعم لقد جاءنا رسول منذر ، وتلا علينا آيات الله ، ولكننا كذبناه وأنكرنا رسالته

[وقلنا ما نزل الله من شيء] أي وقلنا إمعانا في التكذيب وتماديا في التنكير : ما انزل الله شيئا من الوحي على أحد ، قال الرازي : هذا اعتراف منهم بعدل الله ، واقرار بأن الله أزاح عللهم ببعثة الرسل الكرام ، ولكنهم كذبوا الرسل وقالوا ما نزل الله من شيء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن أنتم إلا في ضلال كبير] هذا من تتمة كلام الكفار أي ما أنتم يا معشر الرسل إلا في بعد عن الحق ، وضلال واضح عميق

[وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل] أي وقال الكفار : لو كانت لنا عقول ننتفع بها أو كنا نسمع سماع طالب للحق ، ملتمس للهدى

[ما كنا في أصحاب السعير] أي ما كنا نستوجب الخلود في جهنم

[فاعترفوا بذنبهم] أي فأقروا بإجرامهم وتكذيبهم للرسل

[فسحقا لأصحاب السعير] أي فبعدا وهلاكا لأهل النار ، قال ابن كثير : عادوا على أنفسهم بالملامة ، وندموا حيث لا تنفعهم الندامة ، والجملة دعائية أي أبعدهم الله من رحمته وسحقهم سحقا . . ثم لما ذكر حال الأشقياء الكفار ، أتبعه بذكر حال السعداء الأبرار ، فقال سبحانه

[إن الذين يخشون ربهم بالغيب] أي يخافون ربهم مع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنهم لم يروه ، ويكفون عن المعاصي طلبا لمرضاة الله

[لهم مغفرة وأجر كبير] أي لهم عند الله مغفرة عظيمة لذنوبهم ، وثواب جزيل لا يعلم قدره غير الله تعالى

[وأسروا قولكم أو اجهروا به] الخطاب لجميع الخلق أي أخفوا قولكم وكلامكم أيها الناس ، أو أعلنوه وأظهروه !! فسواء أخفيتموه أو أظهرتموه فإن الله يعلمه

[إنه عليم بذات الصدور] أي لأنه تعالى العالم بالخفايا والنوايا ، يعلم ما يخطر في القلوب ، وما توسوس به الصدور ، قال ابن عباس : نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله (ص) فيخبره جبريل بما قالوا ، فقال بعضهم لبعض : أسروا قولكم حتى لا يسمع إله محمد فيطلعه على ما نقول !! فأخبره الله أنه لا تخفى عليه خافية

[ألا يعلم من خلق] ؟ أي ألا يعلم الخالق مخلوقاته ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كيف لا يعلم من خلق الأشياء وأوجدها ، سر المخلوق وجهره ؟

[وهو اللطيف الخبير] أي وألحال أنه اللطيف بالعباد ، الذي يعلم دقائق الأمور وغوامضها ، الخبير الذي لا يعزب عن علمه شيء ، فلا تتحرك ذرة ، ولا تسكن أو تضطرب نفس ، إلا وعنده خبرها! ! ثم ذكر تعالى دلائل قدرته ووحدانيته ، وآثار فضله وامتنانه على العباد فقال

[هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا] أي الله جل وعلا جعل لكم الأرض لينة سهلة المسالك

[فامشوا في مناكبها] أي فاسلكوا أيها الناس في جوانبها وأطرافها ، قال ابن كثير : أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها ، وترددوا في أقاليمها وأرجائها للمكاسب والتجارات

[وكلوا من رزقه] أي وانتفعوا بما أنعم به جل وعلا عليكم من أنواع الكسب والرزق ، قال الألوسي :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كثيرا ما يعبر عن وجوه الانتفاع بالأكل ، لأنه الأهم الأعم ، وفي الآية دليل على ندب التسبب والكسب ، وهو لا ينافي التوكل ، فقد مر عمر رضى الله عنه بقوم فقال : من أنتم ؟ فقالوا : المتوكلون ، فقال : بل أنتم المتواكلون ، إنما المتوكل رجل ألقى حبه في بطن الأرض ، وتوكل على ربه عز وجل

[وإليه النشور] أي ثم إليه تعالى المرجع بعد الموت والفناء ، للحساب والجزاء . . ثم توعد تعالى كفار مكة المكذبين لرسول الله (ص) فقال سبحانه

[ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض] أي هل أمنتم يا معشر الكفار ربكم العلى الكبير ، أن يخسف بكم الأرض فيغيبكم في مجاهلها ، بعد ما جعلها لكم ذلولا تمشون في مناكبها ؟

[فإذا هي تمور] أي فإذا بها تضطرب ، وتهتز بكم هزا شديدا عنيفا ، قال الرازي : والمراد أن الله تعالى يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى تضطرب وتتحرك ، فتعلو عليهم وهم يخسفون فيها فيذهبون ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والأرض فوقهم تمور فتلقيهم إلى أسفل سافلين

[أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا] أي هل أمنتم الله العلى الكبير ، أن يرسل عليكم حجارة من السماء ، كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل ؟

[فستعلمون كيف نذير] أي فستعلمون عند معاينة العذاب ، كيف يكون إنذاري وعقابي للمكذبين ! ! وفيه وعيد وتهديد شديد ، وأصلها [نذيري] و[نكيري] حذفت الياء مراعاة لرءوس الآيات

[ولقد كذب الذين من قبلهم] أي ولقد كذب كفار الأمم السابقة رسلهم ، كقوم نوح ، وعاد ، وثمود وأمثالهم ، وهذا تسلية للرسول (ص) وتهديد لقومه المشركين

[فكيف كان نكير] أي فكيف كان إنكاري عليهم بنزول العذاب ؟ ألم يكن في غاية الهول والفظاعة ؟ ثم لما حذرهم ما عسى أن يحل بهم من الخسف وارسال الحاصب ، نبههم على الاعتبار بالطير ، وما أحكم الله من خلقها ، وعن عجز آلهتهم المزعومة عن خلق شيء من ذلك ، فقال سبحانه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن] أي أولم ينظروا نظر اعتبار إلى الطيور فوقهم ، باسطات أجنحتهن في الجو ، عند طيرانها وتحليقها ، [ويقبضن] أي ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن ، وقتا بعد وقت ؟ ولما كان الغالب هو فتح الجناحين ، فكأنه هو الثابت عبر عنه بالإسم [صافات] وكان القبض متجددا عبر عنه بالفعل [ويقبضن] قال في التسهيل : فإن قيل : لم لم يقل " قابضات " على طريقة [صافات] ؟ فالجوآب أن بسط الجناحين هو الأصل في الطيران ، كما أن مد الأطراف هو الأصل في السباحة ، فذكره بصيغة اسم الفاعل [صافات] لدوامه وكثرته ، وأما قبض الجناحين فإنما يفعله الطائر قليلا ، للاستراحة والاستعانة ، فلذلك ذكره بلفظ الفعل لقلته [ما يمسكهن إلا الرحمن] أي ما يمسكهن في الجو عن السقوط في حال البسط والقبض ، إلا الخالق الرحمن الذي وسعت رحمته كل ما في الأكوان ، قال الرازي : وذلك أنها مع ثقلها وضخامة أجسامها ، لم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يكن بقاؤها في جو الهواء ، إلا بإمساك الله وحفظه ، وإلهامها إلي كيفية البسط والقبض ، المطابق للمنفعة من رحمة الرحمن

[إنه بكل شيء بصير] أي يعلم كيف يخلق ، وكيف يبدع العجائب ، بمقتضى علمه وحكمته . . ثم وبخ تعالى المشركين في عبادتهم لما لا ينفع ولا يسمع ، فقال سبحانه

[أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن] ؟ أي من هذا الذي يستطيع أن يدفع عنكم عذاب الله ، من الأنصار والأعوان ؟ ! قال ابن عباس : أي من ينصركم مني إن أردت عذابكم

[إن الكافرون إلا في غرور] أي ليس الكافرون في اعتقادهم أن آلهتهم تنفع أو تضر ، إلا في جهل عظيم ، وضلال مبين ، حيث ظنوا الأوهام حقائق ، فاعتزوا بالأوثان والأصنام

[أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه] ؟ أي من هذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذي يرزقكم غير الله ، إن منع الله عنكم رزقه ؟ والخطاب في الآيتين للكفار على وجه التوبيخ والتهديد ، وإقامة الحجة عليهم

[بل لجوا في عتو ونفور] أي بل تمادوا في الطغيان ، وأصروا على العصيان ، ونفروا عن الحق والإيمان . . ثم ضرب تعالي مثلا للكافر والمؤمن رائعا ، فقال سبحانه :

[أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم] ؟ أي هل من يمشى منكسا رأسه ، لا يرى طريقه فهو يخبط خبط عشواء ، مثل الأعمى الذي يتعثر كل ساعة فيخر لوجهه ، هل هذا أهدى أم من يمشي منتصب القامة ، يرى طريقه ولا يتعثر في خطواته ، لأنه يسير على طريق بين واضح ؟ قال المفسرون : هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ، فالكافر كالأعمى الماشي على غير هدى وبصيرة ، لا يهتدي إلى الطريق ، فيتعسر ولا يزال ينكب على وجهه ، والمؤمن كالرجل السوي الصحيح البصر ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الماشي على الطريق المستقيم ، فهو آمن من الخبط والعثار ، هذا مثلهما في الدنيا ، وكذلك يكون حالهما في الآخرة ، المؤمن يحشر يمشي سويا على صراط مستقيم ، والكافر يحشر يمشى على وجهه إلى دركات الجحيم ، قال قتادة : الكافر أكب على معاصي الله ، فحشره يوم القيامة على وجهه ، والمؤمن كان على الدين الواضح ، فحشره الله على الطريق السوي يوم القيامة ((قال ابن كثير : هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ، فالكافر مثله فيما هو فيه من الضلالة كمثل من يمشي مكبا على وجهه أي منحنيا لا مستويا ، لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب ، فهو تائه حائر ضال ، والمؤمن يمشي منتصب القامة على طريق واضح بين ، أيهما أهدى سبيلا أهذا أم ذاك ! !)) وقال ابن عباس : هو مثل لمن سلك طريق الضلالة ولمن سلك طريق الهدى ((قال ابن عطية : المراد نفي الشكر ، فعبر بالقلة كما تقول العرب : هذه أرض قل ما تنبت كذا وهي لا تنبته البتة)) ثم ذكرهم تعالى بنعمه الجليلة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، ليعرفوا قبح ما هم عليه من الكفر والإشراك ، فقال سبحانه

[قل هو الذي أنشئكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة] أي قل لهم يا أيها الرسول : الله جل وعلا هو الذي أوجدكم من العدم ، وأنعم عليكم بهذه النعم " السمع والبصر والعقل " وخص هذه الجوارح بالذكر ، لأنها أداة العلم والفهم

[قليلا ما تشكرون] أي قلما تشكرون ربكم على نعمه التي لا تحصى ، قال الطبري : أي قليلا ما تشكرون ربكم على هذه النعم التي أنعم بها عليكم

[قل هو الذى ذرأكم في الأرض] أي خلقكم وكثركم في الأرض

[وإليه تحشرون] أي إليه وحده مرجعكم للحساب والجزاء

[ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين] أي متى يكون الحشر والجزاء الذي تعدوننا به ؟ إن كنتم صادقين فيما تخبروننا به ، من مجيء الساعة والحشر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والنشر ؟ وهذا استهزاء منهم

[قل إنما العلم عند الله] أي قل لهم يا محمد : علم وقت قيام الساعة ، ووقت العذاب عند الله تعالى لا يعلمه غيره

[وإنما أنا نذير مبين] أي وما أنا إلا رسول منذر ، أخوفكم عذاب الله امتثالا لأمره . . ثم أخبر تعالى عن حال المشركين ، في ذلك اليوم العصيب ، فقال سبحانه

[فلما رأوه زلفة] أي فلما رأوا العذاب قريبا منهم ، وعاينوا أهوال القيامة

[سيئت وجوه الذين كفروا] أي ظهرت على وجوههم آثار الاستياء ، فعلتها الكآبة والغم والحزن ، وغشيها الذل والانكسار ، قال في البحر : أي ساءت رؤية العذاب وجوههم ، وظهر فيها السوء والكآبة ، كمن يساق إلى القتل

[وقيل هذا الذي كنتم به تدعون] أي وقالت لهم الملائكة توبيخا وتبكيتا : هذا الذين كنتم تطلبونه في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدنيا وتستعجلونه استهزاء وتكذيبا

[قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا] أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يتمنون هلاكك : أخبروني إن أماتنى الله ومن معى من المؤمنين ، أو رحمنا بتأخير آجالنا

[فمن يجير الكافرين من عذاب أليم] أي فمن يحميكم من عذاب الله الأليم ، ووضع لفظ [الكافرين] عوضا عن الضمير " يجيركم " تشنيعا وتسجيلا عليهم بالكفر ، قال المفسرون : كان الكفار يتمنون هلاك النبي (ص) والمسلمين ، فأمره الله أن يقول لهم : إن أهلكنى الله بالإماتة ، وأهلك من معي ، فأي راحة وأي منفعة لكم فيه ، ومن الذي يجيركم من عذاب الله إذا نزل بكم ؟ هل تظنون أن الأصنام تختصكم ؟ وتنقذكم من العذاب الأليم

[قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا] أي قل لهم : آمنا بالله الواحد الأحد ، وعليه اعتمدنا في جميع أمورنا ، لا على الأموال والرجال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فستعلمون من هو في ضلال مبين] أي فسوف تعلمون عن قريب ، من هو في الضلالة نحن أم أنتم ؟ وفيه تهديد للمشركين

[قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا] أي قل لهم يا محمد : أخبروني إذا صار الماء غائرا ، ذاهبا في أعماق الأرض ، بحيث لا تستطيعون إخراجه

[فمن يأتيكم بماء معين] أي فمن الذي يخرجه لكم ، حتى يكون ظاهرا جاريا على وجه الأرض ؟ هل يأتيكم غير الله به ؟ فلم تشركون مع الخالق الرازق غيره ، من الأصنام والأوثان ؟ وهي لا ترى ولا تسمع ، ولا تضر ولا تنفع ؟

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع هي الآتي :

1 - الطباق بين [الموت . . والحياة] وبين [وأسروا] [اجهروا] وبين [صافات . . ويقبضن] لأن المعنى صافات وقابضات .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2 - وضع الموصول للتفخيم والتعظيم [الذي بيده الملك] أي له الملك والسلطان ، والتصرف في الأكوان .

3 - الاطناب بتكرار الجملة مرتين زيادة قي التذكير والتنبيه [فارجع البصر . . ثم ارجع البصر كرتين] وكذلك [ما كنا في أصحاب السعير . . فسحقا لأصحاب السعير] .

4 - الاستفهام الانكاري للتقريع والتوبيخ [ألم يأتكم نذير] ؟

5 - المقابلة [وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم] قابله بقوله [إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة] وهو من المحسنات البديعية .

6 - الاستعارة المكنية [تكاد تميز من الغيظ] شبه جهنم في شدة غليانها ولهبها ، بإنسان شديد الغيظ والحنق على عدوه ، يكاد يتقطع من شدة الغيظ ، وحذف المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو الغيظ الشديد بطريق الاستعارة المكنية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

7 - الاستعارة التمثيلية [أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم] وردت هذه الاستعارة اللطيفة ، بطريق التمثيل ، للمؤمن والكافر ، فالمؤمن يمشى سويا على صراط مستقيم ، والكافر يمشي مكبا على وجهه إلى طريق الجحيم ، ويا لها من استعارة رائعة! !

8 - السجع المرصع مراعاة لرءوس الآيات مثل [فستعلمون كيف نذير] [فكيف كان نكير] ؟ [إنه بكل شيء بصير] .

تنبيه هام :

السماء محدودة لها طول ولها عرض ، والمحدود لا يمكن أن يحيط بالخالق الموجود سبحانه وتعالى ، فلا يصح أن نفهم من قوله تعالى : [ءأمنتم من في السماء] أن الله تعالى داخل السماء ، وأن السماء محيطة به ، كما يحيط البيت بساكنه ، فهذا ظن خاطىء وفهم سقيم ، قال ابن تيمية : ويصان ربنا عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الظنون والأوهام الخاطئة ، كأن يعتقد الإنسان من قوله تعالى [ءأمنتم من في السماء] أن السماء تظله أو تقئه ، فإن ذلك خطأ فاحش [وسع كرسيه السموات والأرض . .] انظر الفتاوى.

سورة القلم

مكية وآياتها اثنتان وخمسون آية

بين يدي السورة

* سورة القلم من السور المكية التي تعنى بأصول العقيدة والإيمان ، وقد تناولت هذه السورة ثلاثة مواضيع أساسية وهي :

أ - موضوع الرسالة ، والشبه التي أثارها كفار مكة حول دعوة محمد بن عبد الله (ص).

ب - قصة أصحاب الجنة " البستان " لبيان نتيجة الكفر بنعم الله تعالى.

ج - الآخرة وأهوالها وشدائدها ، وما أعد الله للفريقين : المسلمين والمجرمين . ولكن المحور الذي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تدور عليه السورة الكريمة هو موضوع (إثبات نبوة محمد) صلى الله عليه وسلم .

* ابتدأت السورة الكريمة بالقسم على رفعة قدر الرسول (ص) وشرفه وبراءته مما ألصقه به المشركون من اتهامه - وحاشاه - بالجنون ، وبينت أخلاقه العظيمة ، ومناقبه السامية [ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجرا غير ممنون وإنك لعلى خلق عظيم] الآيات .

* ثم تناولت موقف المجرمين من دعوة رسول الله (ص) ما أعد الله لهم من العذاب والنكال في دار الجحيم [فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين . .] الآيات .

* ثم ضربت مثلا لكفار مكة في كفرانهم (نعمة الله) العظمى عليهم ، ببعثة خاتم الرسل (ص) إليهم ، وتكذيبهم به ، بقصة أصحاب الجنة " الحديقة " ذات الأشجار والزروع والثمار ، حيث جحدوا نعمة الله ، ومنعوا حقوق الفقراء والمساكين ، فأحرق الله حديقتهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجعل قصتهم عبرة للمعتبرين [إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم] الآيات .

* ثم قارنت السورة بين المؤمنين والمجرمين ، على طريقة القرآن في الجمع بين الترغيب والترهيب [أفنجعل المسلمين كالمجرمين . .] ؟ الآيات .

* وتناولت السورة الكريمة ، القيامة وأحوالها وأهوالها ، وموقف المجرمين في ذلك اليوم العصيب ، الذي يكلفون فيه بالسجود لرب العالمين فلا يقدرون [يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون] الآيات .

* وختمت السورة الكريمة بأمر الرسول (ص) بالصبر على أذى المشركين ، وعدم التبرم والضجر بما يلقاه في سبيل تبليغ دعوة الله ، كما حدث من يونس عليه السلام ، حين ترك قومه وسارع إلى ركوب البحر ، دون إذن من الله [فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحوت إذ نادى وهو مكظوم] الآيات .

قال الله تعالى : [ن والقلم وما يسطرون . .] إلى قوله [وما هو إلا ذكر للعالمين] من آية (1) إلى آية (53) نهاية السورة الكريمة .

اللغة :

[يسطرون] يكتبون ، سطر العلم كتبه بالقلم

[ممنون] مقطوع يقال : مننت الحبل إذا قطعته

[عتل] العتل : الغليظ الجافي ، السريع إلى الشر ، مأخوذ من العتل وهو الجر [خذوه فاعتلوه] قال في الصحاح : عتلت الرجل إذا جذبته جذبا عنيفا

[زنيم] الزنيم : الملصق بالقوم وليس منهم ، وهو الدعى الذي لا يعرف أبوه ، قال الشاعر : زنيم ليس يعرف من أبوه بغى الأم ذو حسب لئيم

[صارمين] صرم الشيء قطعه ، وصرم النخلة قطع ثمرها

[حرد] قصد وعزم

[زعيم] كفيل وضمين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[مكظوم] مملوء غيظا وغما.

التفسير :

[ن والقلم وما يسطرون] نون حرف من الحروف المقطعة ، ذكر للتنبيه على إعجاز القرآن . . أقسم تعالى بالقلم الذي يكتب الناس به العلوم والمعارف ، فإن القلم أخو اللسان ، ونعمة من الرحمن على عباده والمعنى : أقسم بالقلم وما يكتبه الكاتبون ، على صدق محمد وسلامته مما نسبه إليه المجرمون ، من السفه والجنون ، وفي القسم بالقلم والكتابة إشادة بفضل الكتابة والقراءة ، فالإنسان من بين سائر المخلوقات ، خصه الله بمعرفة الكتابة ، ليفصح عما في ضميره ، كما قال سبحانه [الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم] وحسبك دليلا على شرف القلم ، أن الله أقسم به في هذه السورة تمجيدا لشأن الكاتبين ، ورفعا من قدر أهل العلم ، ففي القلم البيان كما في اللسان ، وبه قوام العلوم والمعارف ، قال ابن كثير : والظاهر من قوله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى [والقلم وما يسطرون] أنه جنس القلم الذي يكتب به ، وهو قسم منه تعالى ، لتنبيه خلقه على ما أنعم به عليهم ، من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم [ما أنت بنعمة ربك بمجنون] أي لست يا محمد بفضل الله وإنعامه عليك بالنبوة بمجنون ، كما يقول الجهلة المجرمون ، فأنت بحمد الله عاقل ، لا كما قالوا [يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون] قال ابن عطية : هذا جواب القسم ، وقوله [بنعمة ربك] اعتراض كما تقول للإنسان : أنت - بحمد الله - فاضل

[وإن لك لأجرا غير ممنون] أي وإن لك لثوابا على ما تحملت من الأذى في سبيل تبليغ دعوة الله ، غير مقطوع ولا منقوص

[وإنك لعلى خلق عظيم] أي وإنك يا محمد ، لعلى أدب رفيع جم ، وخلق فاضل كريم ، فقد جمع الله فيك الفضائل والكمالات . . يا له من شرف عظيم ، لم يدرك شأنه بشر ، فرب العزة جل وعلا يصف محمدا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بهذا الوصف الجليل [وإنك لعلى خلق عظيم] وقد كان من خلقه (ص) العلم والحلم ، وشدة الحياء ، وكثرة العبادة والسخاء ، والصبر والشكر ، والتواضع والزهد ، والرحمة والشفقة ، وحسن المعاشرة والأدب ، إلى غير ذلك من الخلال العلية ، والأخلاق المرضية ((اخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال : " خدمت رسول الله (ص) عشر سنين فما قال لي : أف قط ، ولا قال لى لشيء فعلته : لم فعلته ؟ ولا لشىء لم أفعله : ألا فعلته ؟ وكان (ص) أحسن الناس خلقا ، وما مسست خزا ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله (ص) ، ولا شممت مسكا ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله (ص) " أخرجه البخاري ومسلم ، وفي البخاري عن عائشة لما سئلت عن خلقه (ص) قالت : (كان خلقه القرآن) تعني التأدب بآدابه ، فهو نموذج تطبيقي للقرآن العظيم)) ولقد أحسن القائل : إذا الله أثنى بالذي هو أهله عليك فما مقدار ما تمدح الورى ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فستبصر ويبصرون] أي فسوف ترى يا محمد ، ويرى قومك ومخالفوك - كفار مكة - إذا نزل بهم العذاب

[بأيكم المفتون] أي أيكم الذي فتن بالجنون ؟ هل أنت كما يفترون ؟ أم هم بكفرهم وانصرافهم عن الهدى ؟ قال القرطبي : والمفتون : المجنون الذى فتنه الشيطان ، ومعظم السورة نزل في " الوليد بن المغيرة " و " أبي جهل " وقد كان المشركون يقولون : إن بمحمد شيطانا ، وعنوا بالمجنون هذا ، فقال الله تعالى : سيعلمون غدا بأيهم المجنون أي الشيطان الذي يحصل من مسه الجنون واختلاط العقل

[إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله] أي هو سبحانه العالم بالشقي المنحرف عن دين الله وطريق الهدى

[وهو أعلم بالمهتدين] أي وهو العالم بالتقى المهتدي إلى الدين الحق ، وهو تعليل لما قبله ، وتأكيد للوعد والوعيد ، كأنه يقول : إنهم هم المجانين على الحقيقة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا انت ، حيث كانت لهم عقول ، لم ينتفعوا بها ، ولا استعملوها فيما ينجيهم ويسعدهم

[فلا تطع المكذبين] أي فلا تطع رؤساء الكفر والضلال ، الذين كذبوا برسالتك وبالقرآن ، فيما يدعونك إليه ، قال الرازي : دعاه رؤساء أهل مكة إلى دين آبائه ، فنهاه الله أن يطيعهم ، وهذا من الله إلهاب وتهييج للتشدد في مخالفتهم

[ودوا لو تدهن فيدهنون] أي تمنوا لو تلين لهم يا محمد ، وتترك بعض ما لا يرضونه مصانعة لهم ، فيلينوا لك ويفعلوا مثل ذلك ، قال في التسهيل : المداهنة : هي الملاينة والمداراة فيما لا ينبغي ، روي أن الكفار قالوا للنبي (ص) : لو عبدت آلهتنا لعبدنا إلهك فنزلت الآية

[ولا تطع كل حلاف] أي ولا تطع يا محمد كثير الحلف بالحق والباطل ، الذي يكثر من الحلف مستهينا بعظمة الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[مهين] أي فاجر حقير

[هماز] أي مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والعيب

[مشاء بنميم] أي يمشي بالنميمة بين الناس ، وينقل حديثهم ليوقع بينهم وهو الفتان ، وفي الحديث الصحيح (لا يدخل الجنة نمام)

[مناع للخير] أي بخيل ممسك عن الإنفاق في سبيل الله

[معتد أثيم] أي ظالم متجاوز في الظلم والعدوان ، كثير الآثام والإجرام ، وجاءت الأوصاف [حلاف ، هماز ، مشاء ، مناع] بصيغة المبالغة للدلالة على الكثرة

[عتل] أي جاف غليظ ، قاسي القلب ، عديم الفهم

[بعد ذلك] أي بعد تلك الأوصاف الذميمة التى تقدمت

[زنيم] أي ابن زنا ، وهذه أشد معايبه وأقبحها ، انه لصيق دعى ليس له نسب صحيح ، قال المفسرون : نزلت في " الوليد بن المغيرة " فقد كان دعيا في قريش وليس منهم ، ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة - أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تبناه ونسبه لنفسه بعد أن كان لا يعرف له أب - قال ابن عباس : لا نعلم أحدا وصفه الله بهذه العيوب غير هذا ، فالحق به عارا لا يفارقه أبدا ، وإنما ذم بذلك لأن النطفة إذا خبثت خبث الولد ، وروي أن الآية لما نزلت جاء الوليد إلى آمه فقال لها : إن محمدا وصفني بتسع صفات ، كلها ظاهرة فى ، أعرفها غير التاسع منها ! ! يريد أنه [زنيم] فإن لم تصدقيني ضربت عنقك بالسيف ، فقالت له : إن آباك كان عنينا - أي لا يستطيع معاشرة النساء - فخفت على المال فمكنت راعيا من نفسي ، فأنت ابن ذلك الراعي ، فلم يعرف أنه ابن زنا حتى نزلت الآية

[أن كان ذا مال وبنين] أي لأن كان ذا مال وبنين ، كفر بالله وقال في القرآن ما قال ، وزعم أنه أساطير الأولين ؟ وكان ينبغي أن يقابل النعمة بالشكر ، لا بالجحود والتكذيب ((اختار الطبري وابن كثير هذا المعنى أن الآية متعلقة بما بعدها أي لأنه ذو مال وبنين يتكبر بماله وبنيه ويقول " إن القرآن خرافات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأباطيل ، واختار غيرهما أن الآية متعلقة بما سبق أي لا تطعه بسبب كثرة ماله وولده)).

[إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين] أي إذا قرئت آيات القرآن على ذلك الفاجر ، قال مستهزئا ساخرا : إنها خرافات وأباطيل المتقدمين ، اختلقها محمد ونسبها إلى الله ، قال تعالى ردا عليه متوعدا له بالعذاب

[سنسمه على الخرطوم] أي سنجعل له علامة على أنفه بالخطم عليه ، يعرف بها إلى موته ، وكنى بالخرطوم عن أنفه على سبيل الاستخفاف به ، لأن الخرطوم للفيل والخنزير ، فإذا شبه أنف الإنسان به كان ذلك غاية في الإذلال والإهانة ، كما يعبر عن شفاه الناس بالمشافر ، وعن أيديهم وأرجلهم بالأظلاف والحوافر ، قال ابن عباس : سنخطم أنفه بالسيف فنجعل ذلك علامة باقية على أنفه ما عاش ، وقد خطم يوم بدر بالسيف قال الإمام الفخر : لما كان الوجه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أكرم موضع في الجسد ، والأنف أكرم موضع من الوجه لإرتفاعه عليه ، ولذلك جعلوه مكان العزة والحمية ، واشتقوا منه الأنفة ، وقالوا في الذليل : رغم أنفه ، فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال والإهانة ، لأن السمة على الوجه شين ، فكيف على أكرم موضع من الوجه ! ! ثم ذكر تعالى قصة أصحاب الحديقة وما ابتلاهم تعالى به من إتلاف الزروع والثمار ، وضربه مثلا لكفار مكة ، فقال سبحانه

[إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة] أي إنا اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع ، بدعوة رسول الله (ص) كما اختبرنا أصحاب البستان المشتمل علي أنواع الثمار والفواكه ، وكلفنا أهل مكة أن يشكروا ربهم على النعم ، كما كلفنا أصحاب الجنة أن يشكروا ربهم ويعطوا الفقراء حقوقهم ، قال المفسرون : كان لرجل مسلم بقرب (صنعاء) بستان فيه من أنواع النخيل والزروع والثمار ، وكان إذا حان وقت الحصاد ، دعا الفقراء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فأعطاهم نصيبا وافرا منه ، وأكرمهم غاية الإكرام ، فلما مات الأب ورثه أبناؤه الثلاثة ، فقالوا : عيالنا كثير والمال قليل ، ولا يمكننا أن نعطي المساكين كما كان يفعل أبونا ، فتشاوروا فيما بينهم وعزموا على ألا يعطوا أحدا من الفقراء شيئا ، وأن يجنوا ثمرها وقت الصباح خفية عنهم ، وحلفوا على ذلك ، فأرسل الله تعالى نارا على الحديقة ليلا أحرقت الأشجار ، وأتلفت الثمار ، فلما أصبحوا ذهبوا إلى حديقتهم ، فلم يروا فيها شجرا ولا ثمرا ، فظنوا أنهم أخطأوا الطريق ، ثم تبين لهم أنها بستانهم وحديقتهم ، وعرفوا أن الله تعالى عاقبهم فيها بنيتهم السيئة ، فندموا وتابوا بعد أن فات الأوان

[إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين] أي حين حلفوا ليقطعن ثمرها وقت الصباح ، قبل أن يخرج إليهم المساكين

[ولا يستثنون] أي ولم يقولوا (إن شاء الله) حين حلفوا ، كأنهم واثقون من الأمر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون] أي فطرقها طارق من عذاب الله ، وهم في غفلة عما حدث ، لأنهم كانوا نياما ، قال الكلبي : أرسل الله عليها نارا من السماء فاحترقت وهم نائمون

[فأصبحت كالصريم] أي فأصبحت كالزرع المحصود إذا أصبح هشيما يابسا ، قال ابن عباس : أصبحت كالرماد الأسود ، قد حرموا خير جنتهم بذنبهم

[فتنادوا مصبحين] أي نادى بعضهم بعضا حين أصبحوا ، ليمضوا على الميعاد إلى بستانهم

[أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين] أي اذهبوا مبكرين إلى ثماركم وزروعكم وأعنابكم ، إن كنتم حاصدين للثمار ، تريدون قطعها

[فانطلقوا وهم يتخافتون] أي فانطلقوا نحو البستان ، وهم يخفون كلامهم خوفا من أن يشعر بهم المساكين ، قائلين

[أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين] أي لا تدخلوا في هذا اليوم أحدا من الفقراء إلى البستان ، ولا تمكنوه من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدخول

[وغدوا على حرد قادرين] أي ومضوا على قصد وقدرة في أنفسهم ، يظنون أنهم تمكنوا من مرادهم ، قال ابن عباس : [على حرد] على قدرة وقصد ، وقال السدي : على حنق وغضب ، وقال الحسن : على فاقة وحاجة ، وقول ابن عباس أظهر ((قال الطبري : وأولى الأقوال بالصواب قول من قال معناه : غدوا على أمر قد قصدوه واعتدوه واستسروه بينهم قادرين عليه ، وهو ترجيح لقول ابن عباس وهو الذي اخترناه وهو الأظهر ، والله أعلم)).

[فلما رأوها قالوا إنا لضالون] أي فلما رأوا حديقتهم سوداء محترقة ، قد استحالت من النضارة والبهجة ، إلى السواد والظلمة ، قالوا : لقد ضللنا الطريق إليها وليست هذه حديقتنا ! ! قال أبو حيان : كان قولهم ذلك في أول وصولهم إليها ، أنكروا أنها هي ، واعتقدوا أنهم أخطأوا الطريق ، ثم وضح لهم أنها هي ، وأنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أصابها من عذاب الله ما أذهب خيرها فقالوا عند ذلك [بل نحن محرومون] أي لسنا مخطئين للطريق ، بل نحن محرومون ، حرمنا ثمرها وخيرها بجنايتنا على أنفسنا

[قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون] ؟ أي قال أعقلهم وأفضلهم رأيا : هلا تسبحون الله فتقولون " سبحان الله " أو " إن شاء الله " ! ! قال فى البحر : نبههم ووبخهم على تركهم ما حضهم عليه من التسبيح ، ولو ذكروا الله وإحسانه إليهم ، لامتثلوا ما أمر به من مواساة المساكين ، واقتفوا سنة أبيهم في ذلك ، فلما غفلوا عن ذكر الله ، وعزموا على منع المساكين ابتلاهم الله وقال الرازي : أن القوم حين عزموا على منع الزكاة ، واغتروا بمالهم وقوتهم ، قال الأوسط لهم : توبوا عن هذه المعصية قبل نزول العذاب ، فلما رأوا حالة البستان ذكرهم بالكلام الأول ، فاشتغلوا بالتوبة ولكن بعد خراب البصرة

[قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين] أي فقالوا حينئذ :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تنزه الله ربنا عن الظلم فيما فعل ، بل نحن كنا الظالمين لأنفسنا في منعنا حق المساكين

[فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون] أي يلوم بعضهم بعضا ، يقول هذا : أنت أشرت علينا بهذا الرأى ، ويقول ذاك : بل أنت ، ويقول آخر : آنت الذي خوفتنا الفقر ورغبتنا في جمع المال ، فهذا هو التلاوم

[قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين] أي قالوا : يا هلاكنا وتعاستنا إن لم يغفر لنا ربنا ، فقد كنا عاصين وباغين في منعنا الفقراء ، وعدم التوكل على الله ، قال الرازي : والمراد أنهم استعظموا جرمهم

[عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها] أي لعل الله يعطينا أفضل منها ، بسبب توبتنا واعترافنا بخطيئتنا

[إنا إلى ربنا راغبون] أي فنحن راجون لعفوه ، طالبون لإحسانه وفضله . . ساق تعالى هذه القصة ، ليعلمنا أن مصير البخيل ومانع الزكاة إلى التلف ، وأنه يضن ببعض ماله في سبيل الله ، فيهلك كل ماله مصحوبا بغضب الله ، ولذلك عقب تعالى بعد ذكر هذه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القصة بقوله

[كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون] أي مثل هذا العذاب الذي نزل بأهل الجنة ينزل بقريش ، ولعذاب الآخرة أعظم وأشد من عذاب الدنيا ، لو كان عندهم فهم وعلم ، قال ابن عباس : هذا مثل لأهل مكة حين خرجوا إلى بدر ، وحلفوا ألا يرجعوا إلى مكة ، حتى يقتلوا محمدا (ص) وأصحابه ، ويشربوا الخمور ، وتضرب القينات - المغنيات - على رءوسهم ، فأخلف الله ظنهم ، فقتلوا وأسروا وانهزموا ، كأهل هذه الجنة لما خرجوا عازمين على الصرام فخابوا . . ثم أخبر تعالى عن حال المؤمنين المتقين ، بعد أن ذكر حال المجرمين من كفار مكة ، فقال سبحانه

[إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم] أي إن للمتقين في الآخرة حدائق وبساتين ، ليس فيها إلا النعيم الخالص ، الذي لا ثوبه كدر ولا منغص ، بخلاف حال الدنيا

[أفنجعل المسلمين كالمجرمين] ؟ الاستفهام للإنكار والتوبيخ ، أي أفنساوي بين المطيع والعاصي ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمحسن والمجرم ؟

[ما لكم كيف تحكمون] ؟ تعجب منهم ، حيث أنهم يسوون المطيع بالعاصى ، والمؤمن بالكافر ، فإن مثل هذا لا يصدر عن عاقل

[أم لكم كتاب فيه تدرسون] ؟ أي هل عندكم كتاب منزل من السماء تقرءون وتدرسون فيه

[إن لكم فيه لما تخيرون] هذه الجملة مفعول لتدرسون أي تدرسون في هذا الكتاب أن لكم ما تشتهون وتطلبون ؟ وهذا توبيخ آخر للمشركين فيما كانوا يزعمونه من الباطل ، حيث قالوا : إن كان ثمة بعث وجزاء ، فسنعطى خيرا من المؤمنين ، كما أعطينا في الدنيا ، قال الطبري : وهذا توبيخ لهؤلاء القوم وتقريع لهم فيما كانوا يقولون من الباطل ، ويتمنون من الأماني الكاذبة

[أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة] أي هل لكم عهود ومواثيق مؤكدة من جهتنا ثابتة إلى يوم القيامة ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن لكم لما تحكمون] هذا جوابه أي إن لكم الذي تريدونه وتحكمون به ؟ قال ابن كثير : المعنى أمعكم عهود ومواثيق مؤكدة أنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون

[سلهم أيهم بذلك زعيم] أي سل يا محمد هؤلاء المكابرين ، أيهم كفيل وضامن بهذا الذي يزعمون ؟ وفيه نوع من السخرية والتهكم بهم ، حيث يحكمون بأمور خارجة عن العقول ، يرفضها المنطق وتأباها العدالة

[أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين] أي أم لهم شركاء وأرباب يكفلون لهم بذلك ، فليأتوا بهم إن كانوا صادقين في دعواهم ، قال في التسهيل : وهذا تعجيز للكفار ، والمراد : إن كان لكم شركاء يقدرون على شيء ، فأتوا بهم واحضروهم حتى نري حالهم . . ولما أبطل مزاعمهم وسفه أحلامهم ، شرع في بيان أهوال الآخرة وشدائدها فقال

[يوم يكشف عن ساق] أي اذكر يا محمد لقومك ذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اليوم العصيب ، الذي ينكشف فيه عن أمر فظيع شديد ، في غاية الهول والشدة ، قال ابن عباس : هو يوم القيامة يوم كرب وشدة وقال القرطبي : والأصل فيه أن من وقع في شيء يحتاج فيه إلى الجد شمر عن ساقه ، فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشدة كقول الراجز : قد كشفت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا

[ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون] أي ويدعى الكفار للسجود لرب العالمين فلا يستطيعون ، لأن ظهر أحدهم يصبح طبقا واحدا ، وفي الحديث (يسجد لله كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا)

[خاشعة أبصارهم] أي ذليلة متواضعة أبصارهم ، لا يستطيعون رفعها

[ترهقهم ذلة] أي تغشاهم وتلحقهم الذلة والهوان

[وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون] أي والحال أنهم كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود ، وهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أصحاء الجسم معافون فيأبون ، قال الإمام الفخر : لا يدعون إلى السجود تعبدا وتكليفا ، ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود في الدنيا ، ثم إنه تعالى يسلب عنهم القدرة على السجود ويحول بينهم وبين الاستطاعة ، حتى تزداد حسرتهم وندامتهم على ما فرطوا فيه ، حين دعوا إليه في الدنيا وهم سالمو الأطراف والمفاصل

[فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث] أي اتركني يا محمد ومن يكذب بهذا القرآن لأكفيك شره ، وأنتقم لك منه ! ! وهذا منتهى الوعيد

[سنستدرجهم من حيث لا يعلمون] أي سنأخذهم بطريق الاستدراج بالنعم ، إلى الهلاك والدمار ، من حيث لا يشعرون ، قال الحسن : كم من مفتون بالثناء عليه ، وكم من مغرور بالستر عليه قال الرازي : الاستدراج أن يستنزله إليه درجة درجة ، حتى يورطه فيه ، فكلما أذنبوا ذنبا ، جدد الله لهم نعمة ، وأنساهم الاستغفار ، فالاستدراج إنما حصل لهم من الإنعام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليهم ، لأنهم يحسبونه تفضيلا لهم على المؤمنين ، وهو في الحقيقة سبب لهلاكهم
[وأملى لهم] أي أمهلهم وأطيل في أعمارهم ليزدادوا إثما

[إن كيدي متين] أي إن انتقامي من الكافرين قوي شديد ، وفي الحديث (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) ثم قرأ [وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد] وإنما سمى إحسانه كيدا ، كما سماه استدراجا ، لكونه في صورة الكيد ، فما وقع لهم من سعة الأرزاق ، وطول الأعمار ، وعافية الأبدان ، إحسان في الظاهر ، وبلاء في الباطن ، لأن المقصود معاقبتهم وتعذيبهم به
[أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون] أي أتسألهم يا محمد غرامة مالية على تبليغ الرسالة ، فهم معرضون عن الإيمان ، بسبب ذلك التكليف الثقيل ببذلهم المال ؟ والغرض توبيخهم في عدم الإيمان ، فإن الرسول لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يطلب منهم شيئا من الأجر ، قال الخازن : المعنى أتطلب منهم أجرا ، فيثقل عليهم حمل الغرامات في أموالهم فيثبطهم عن الإيمان

[أم عندهم الغيب فهم يكتبون] أي أم هل عندهم اللوح المحفوظ الذي فيه الغيب ، فهم ينقلون منه أنهم خير من أهل الإيمان ، فلذلك أصروا على الكفر والطغيان ؟ وهو استفهام على سبيل الإنكار والتوبيخ

[فاصبر لحكم ربك] أي فاصبر يا محمد على أذاهم ، وأمض لما أمرت به من تبليغ رسالة ربك

[ولا تكن كصاحب الحوت] أي ولا تكن في الضجر والعجلة ، كيونس بن متى عليه السلام ، لما غضب على قومه لأنهم لم يؤمنوا ، فتركهم وركب البحر ثم التقمه الحوت ، وكان من أمره ما كان

[إذ نادى وهو مكظوم] أي حين دعا ربه في بطن الحوت ، وهو مملوء غما وغيظا بقوله [لا اله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين]

[لولا أن تداركه نعمة من ربه] اي لولا أن تداركته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رحمة الله

[لنبذ بالعراء وهو مذموم] أي لطرح في الفضاء الواسع الخالى من الأشجار والجبال ، وهو ملام على ما ارتكب ، ولكن الله أنعم عليه بالتوفيق للتوبة فلم يبق مذموما

[فاجتباه ربه فجعله من الصالحين] أي فاصطفاه ربه واختاره لنفسه فجعله من المقربين ، قال ابن عباس : رد الله إليه الوحي وشفعه في قومه

[وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم] أي ولقد كاد الكفار من شدة عداوتهم لك يا محمد ، أن يصرعوك بأعينهم ويهلكوك ، من قولهم نظر إلى نظرى كاد يصرعنى ، قال ابن كثير : وفي الآية دليل على أن العين وإصابتها وتأثيرها حق ، بأمر الله عز وجل ، ويؤيده حديث (لو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين)

[لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون] أي حين سمعوك تقرأ القرآن ، ويقولون من شدة بغضهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وحسدهم لك : إن محمدا مجنون ، قال تعالى ردا
عليهم
[وما هو إلا ذكر للعالمين] أي وما هذا القرآن المعجز إلا موعظة وتذكير للإنس والجن ، فكيف ينسب من نزل عليه إلى الجنون ؟ ! ختم تعالى السورة ببيان عظمة القرآن ، كما بدأها ببيان عظمة الرسول ، ليتناسق البدء مع الختام ، فى أروع بيان وأجمل ختام ! !

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوهأ من الفصاحة والبيان نوجزها فيما يلي :

1 - الجناس الناقص بين لفظي [مجنون] و[ممنون] لاختلاف الحرف الثانى .

2 - الوعيد والتهديد [فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون] وحذف المفعول للتهويل .

3 - صيغ المبالغة في [حلاف ، هماز ، مشاء ، مناع] وكذلك في [أثيم ، وزنيم] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4 - الاستعارة الفائقة [سنسمه على الخرطوم]
استعار الخرطوم للأنف لأن أصل الخرطوم للفيل ، واستعارته لأنف الإنسان تجعله في غاية الإبداع لأن الغرض الاستهانة به والاستخفاف .

5 - الطباق بين [المسلمين] و[المجرمين] وبين [ضل . . والمهتدين] وهو من المحسنات البديعية .

6 - جناس الاشتقاق [فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون] .

7 - التقريع والتوبيخ [ما لكم كيف تحكمون ؟ أم لكم كتاب فيه تدرسون] ؟ والجمل التي بعدها .

---

8 - التشبيه المقلوب بجعل المشبه به مشبها والعكس [أفنجعل المسلمين كالمجرمين] ؟ لأن الأصل أفنجعل المجرمين كالمسلمين في الأجر والمثوبة ؟ فقلب التشبيه ليكون أبلغ وأروع ، ويسمى (التشبيه المقلوب) .

9 - الكناية الرائقة الفائقة [يوم يكشف عن ساق]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كناية عن شدة الهول ، وتفاقم الخطب يوم القيامة .

10 - السجع المرصع المحبوك ، كأنه الدر المنظوم ، اقرأ الآيات الكريمة [ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجرا غير ممنون . .] إلخ وتدبر روعة القرآن ! !

سورة الحاقة

مكية وآياتها اثنتان وخمسون آية

بين يدي السورة

* سورة الحاقة من السور المكية ، شأنها شأن سائر السور المكية في تثبيت العقيدة والإيمان ، وقد تناولت أمورا عديدة كالحديث عن القيامة وأهوالها ، والساعة وشدائدها ، والحديث عن المكذبين وما جرى لهم ، مثل " قوم عاد ، وثمود ، وقوم لوط ، وفرعون ، وقوم نوح " وغيرهم من الطغاة المفسدين في الأرض ، كما تناولت ذكر السعداء والأشقياء ، ولكن المحور الذي تدور عليه السورة هو " إثبات صدق " القرآن ، وأنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كلام الحكيم العليم ، وبراءة الرسول (ص) ، مما اتهمه به أهل الضلال من الافتراء على الله .

* ابتدأت السورة الكريمة ببيان أهوال القيامة والمكذبين بها ، وما عاقب تعالى به أهل الكفر والعناد [الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية] الآيات .

* ثم تناولت الوقائع والفجائع التي تكون عند النفخ في الصور ، من خراب العالم ، واندكاك الجبال ، وانشقاق السموات إلخ [فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة . .] الآيات .

* ثم ذكرت حال السعداء والأشقياء في ذلك اليوم المفزع ، حيث يعطى المؤمن كتابه بيمينه ، ويلقى الإكرام والإنعام ، ويعطى الكافر كتابه بشماله ، ويلقى الذل والهوان [فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه . . . وأما من أوتي كتابه بشماله . .]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الآيات .

* وبعد هذا العرض لأحوال الأبرار والفجار ، جاء القسم البليغ بصدق الرسول ، وصدق ما جاء به من الله ، ورد افتراءات المشركين الذين زعموا أن القرآن سحرا وكهانة [فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم] الآيات .

* ثم ذكرت البرهان القاطع على صدق القرآن ، وأمانة رسول الله في تبليغه الوحي كما نزل عليه ، بذلك التصوير الذي يهز القلب هزا ويثير في النفس الخوف والفزع ، من هول الموضوع [ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين . .] الآيات .

* وختمت السورة بتمجيد القرآن وبيان أنه رحمة للمؤمنين وحسرة على الكافرين [وإنه لتذكرة للمتقين وإنه لحسرة على الكافرين " وإنه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم]

قال الله تعالى : [الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحاقة . .] إلى قوله [فسبح باسم ربك العظيم] من آية (1)إلى آية (52) نهاية السورة الكريمة .

اللغة :

[الحاقة] القيامة سميت حاقة لأنها حق مقطوع بوقوعها

[صرصر] شديدة الصوت والبرد

[حسوما] متتابعة لا تنقطع ، من الحسم وهو القطع ، قال الشاعر : " فدارت عليهم فكانت حسوما "

[رابية] زائدة في الشدة والعذاب

[واهية] ساقطة القوة ، ضعيفة متراخية من قولهم : وهي البناء إذا ضعف وتداعى للسقوط

[هاؤم] اسم فعل أمر بمعنى خذوا

[قطوفها] جمع قطف وهو ما يجتنى من الثمر ويقطف

[غسلين] صديد أهل النار ، قال الكلبى : هو ما يسيل من أهل النار من القيح والصديد والدم إذا عذبوا فهو[غسلين] فعلين من الغسل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الوتين] عرق متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه ، ويسمى الأبهر وفي الحديث (ما زالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان انقطاع أبهري)

[حسرة] ندامة عظيمة .

التفسير :

[الحاقة] اسم للقيامة سميت بذلك لتحقق وقوعها ، فهي حق قاطع ، وأمر واقع ، لا شك فيه ولا جدال

[ما الحاقة] ؟ التكرار لتفخيم شأنها ، وتعظيم أمرها ، وكان الأصل أن يقال : ما هي ؟ ولكنه وضع الظاهر موضع الضمير ، زيادة في التعظيم والتهويل

[وما أدراك ما الحاقة] وما أعلمك يا محمد ما هي القيامة ؟ إنك لا تعلمها إذ لم تعاينها ، ولم تر ما فيها من الأهوال ، فإنها من العظم والشدة ، بحيث لا يحيط بها وصف ولا خيال ، وهذا على طريقة العرب ، فإنهم إذا أرادوا تشويق المخاطب لأمر أتوا بصيغة الاستفهام ، يقولون : أتدري ماذا حدث ؟ والآية من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا القبيل زيادة في التعظيم والتهويل ، كأنه قال : إنها شيء مريع ، وخطب فظيع . . ثم بعد أن عظم أمرها وفخم شأنها ، ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب ، تذكيرا لكفار مكة وتخويفا لهم ، فقال سبحانه [كذبت ثمود وعاد بالقارعة] أي كذب قوم صالح ، وقوم هود بالقيامة ، التي تقرع القلوب بأهوالها

[فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية] أي فأما ثمود - قوم صالح - فأهلكوا بالصيحة المدمرة ، التى جاوزت الحد في الشدة ، قال قتادة : هي الصيحة التي خرجت عن حد كل صيحة

[وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر] أي وأما عاد - قوم هود - فأهلكوا بالريح العاصفة ذات الصوت الشديد وهي الدبور ، وفى الحديث (نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور)

[عاتية] أي متجاوزة الحد فى الهبوب والبرودة ، كأنها عتت على خزائها فلم يتمكنوا من ضبطها ، قال ابن عباس : ما أرسل الله من ريح قط إلا بمكيال ، ولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنزل قطرة قط إلا بمكيال ، إلا يوم نوح ويوم عاد ، فإن الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ، ثم قرأ [إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية] وأن الريح عتت على خزانها فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ [بريح صرصر عاتية]

[سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما] أي سلطها الله عليهم سبع ليالى وثمانية أيام متتابعة ، لا تفتر ولا تنقطع

[فترى القوم فيها صرعى] أي فترى أيها المخاطب القوم في منازلهم موتى ، لا حراك بهم

[كأنهم أعجاز نخل خاوية] أي كأنهم أصول نخل متآكلة الأجواف ، قال المفسرون : كانت الريح تقطع رءوسهم كما تقطع رءوس النخل ، وتدخل من أفواههم وتخرج من أدبارهم حتى تصرعهم ، فيصبحوا كالنخلة الخاوية الجوف

[فهل ترى لهم من باقية] ؟ أي فهل ترى أحدا من بقاياهم ؟ أو تجد لهم أثرا ؟ لقد هلكوا عن آخرهم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كقوله تعالى [فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم]

[وجاء فرعون ومن قبله] أي وجاء فرعون الجبار ، ومن تقدمه من الأمم الطاغية التي كفرت برسلها

[والمؤتفكات] أي والأمم الذين انقلبت بهم ديارهم - قرى قوم لوط - حيث جعل الله عاليها سافلها ، قال الصاوي : [المؤتفكات] أي المنقلبات وهي قرى قوم لوط ، التى اقتلعها جبريل ورفعها على جناحه قرب السماء ثم قلبها ، وكانت خمس قرى

[بالخاطئة] أي بالفعلة الخاطئة المنكرة ، وهي الكفر والعصيان

[فعصوا رسول ربهم] أي فعصى فرعون رسول الله موسى ، وعصى قوم لوط رسولهم لوطا

[فأخذهم أخذة رابية] أي فأخذهم الله أخذة زائدة في الشدة ، على عقوبات من سبقهم ، كما أن جرائمهم زادت في القبح والشناعة على سائر الكفار

[إنا لما طغا الماء حملناكم فى الجارية] أي لما تجاوز الماء حده حتى على كل شيء ، وارتفع فوق الجبال ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حملناكم في السفينة

[لنجعلها لكم تذكرة] أي لنجعل تلك الحادثة عظة للناس وعبرة ، تدل على انتقام الله ممن كذب رسله [وتعيها أذن واعية] أي وتحفظها وتذكرها أذن واعية للمواعظ ، تنتفع بما تسمع ، قال القرطبي : والمقصود من قصص هذه الأمم وذكر ما حل بهم من العذاب ، زجر هذه الأمة عن الاقتداء بهم في معصية الرسول (ص) ، ولهذا ختم الآية بقوله [وتعيها اذن واعية] قال قتادة : الواعية هي التي عقلت عن الله ، وانتفعت بما سمعت من كتاب الله عز وجل . . ولما ذكر قصص المكذبين ، أتبعه بذكر أهوال القيامة وشدائدها ، فقال سبحانه

[فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة] أي فإذا نفخ إسرافيل في الصور نفخة واحدة لخراب العالم ، قال ابن عباس : هي النفخة الأولى التى يحصل عنها خراب الدنيا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة] أي ورفعت الأرض والجبال عن أماكنها ، فضرب بعضها ببعض ، حتى تندق وتتفتت وتصير كثيبا مهيلا

[فيومئذ وقعت الواقعة] أي ففى ذلك الحين قامت القيامة الكبرى ، وحدثت الداهية العظمى

[وانشقت السماء فهي يومئذ واهية] أي وانصدعت السماء فهي يومئذ ضعيفة مسترخية ، ليس فيها تماسك ولا صلابة

[والملك على أرجائها] أي والملائكة على أطرافها وجوانبها ، قال المفسرون : وذلك لأن السماء مسكن الملائكة ، فإذا انشقت السماء وقفوا على أطرافها ، فزعا مما داخلهم من هول ذلك اليوم ، ومن عظمة ذي الجلال ، الكبير المتعال

[ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية] أي ، يحمل عرش الرحمن ، ثمانية من الملائكة العظام فوق رءوسهم ، وقال ابن عباس : ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله ((القول الأول قول ابن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

زيد وهو الأظهر ، ويؤيده حديث " حملة العرش اليوم أربعة ، فإذا كان يوم القيامة قواهم الله بأربعة آخرين فكانوا ثمانية ")).

[يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية] أي في ذلك اليوم الرهيب ، تعرضون على ملك الملوك ذي العظمة والجلال ، للحساب والجزاء ، لا يخفى عليه منكم أحد ، ولا يغيب عنه سر من أسراركم ، لأنه العالم بالظواهر والسرائر والضمائر . . ثم بين تعالى حال السعداء والأشقياء في ذلك اليوم ، فقال سبحانه

[فأما من أوتى كتابه بيمينه] أي فأما من أعطي كتاب أعماله بيمينه لأنه من السعداء

[فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه] أي فيقول ابتهاجا وسرورا : خذوا اقرأوا كتابى ، والهاء في [كتابيه] هاء السكت ، وكذلك في [حسابيه] و[ماليه] و[سلطانيه] قال الرازي : ويدل قوله [هاؤم اقرءوا كتابيه] على إنه بلغ الغآية في السرور ، لأنه لما أعطي كتابه بيمينه ، علم أنه من الناجين ، ومن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفائزين بالنعيم السرمدي ، فأحب أن يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا بما ناله

[إني ظننت أني ملاق حسابيه] أي إني أيقنت وتحققت بأني سألقى حسابي وجزائي يوم القيامة ، فأعددت له العدة من الإيمان ، والعمل الصالح ، قال الحسن : إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل ، وأن المنافق أساء الظن بربه فأساء العمل وقال الضحاك : كل ظن في القرآن من المؤمن فهو يقين ، ومن الكافر فهو شك . . قال تعالى مبينا جزاءه

[فهو في عيشة راضية] أي فهو في عيشة هنيئة مرضية ، يرضى بها صاحبها ، لما ورد في الصحيح أنهم يعيشون فلا يموتون أبدا ، ويصحون فلا يمرضون أبدا ، وينعمون فلا يرون بؤسا أبدا

[في جنة عالية] أي في جنة رفيعة القدر ، وقصور عالية شاهقة

[قطوفها دانية] أي ثمارها قريبة ، يتناولها القائم ، والقاعد ، والمضطجع ، قال في التسهيل : القطوف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جمع قطف وهو ما يجتنى من الثمار ويقطف كالعنقود ، روى أن العبد يأخذها بفمه من شجرها وهو قائم أو قاعد أو مضطجع

[كلوا واشربوا هنيئا] أي يقال لهم تفضلا وإنعاما : كلوا واشربوا أكلا وشربا هنيئا ، بعيدا عن كل أذى ، سالما من كل مكروه

[بما أسلفتم في الأيام الخالية] أي بسبب ما قدمتم من الأعمال الصالحة ، في الأيام الماضية يعنى " أيام الدنيا " . ولما ذكر حال السعداء أعقبه بذكر حال الأشقياء ، فقال سبحانه

[وأما من أوتى كتابه بشماله] أي وأما من أعطي كتابه بشماله ، وهذه علامة الشقاوة والخسران

[فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه] أي فيقول إذا رأى قبائح أعماله : يا ليتني لم أعط كتابي ، قال المفسرون : وذلك لما يحصل له من الخجل والافتضاح ، فيتمنى عندئذ أنه لم يعط كتاب أعماله ، ويندم أشد الندم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولم أدر ما حسابيه] أي ولم أعرف عظم حسابى وشدته ، والاستفهام للتعظيم والتهويل

[يا ليتها كانت القاضية] أي يا ليت الموتة الأولى التي متها في الدنيا ، كانت القاطعة لحياتى ، فلم أبعث بعدها ولم أعذب ، قال قتادة : تمنى الموت ولم يكن شيء عنده أكره من الموت ، لأنه رأئ تلك الحالة أشنع وأمر ، مما ذاقه من الموت

[ما أغنى عنى ماليه] أي ما نفعنى مالى الذي جمعته ، ولا دفع عني من عذاب الله شيئا

[هلك عني سلطانيه] أي زال عني ملكي وسلطانى ، ونسبى وجاهى ، فلا معين ولا مجير ، ولا صديق ولا نصير

[خذوه فغلوه] أي يقول تعالى لزبانية جهنم : خذوا هذا المجرم الأثيم فشدوه بالأغلال ، قال القرطبي : فيبتدره مائة ألف ملك ، ثم تجمع يده إلى عنقه ، فذلك قوله تعالى [فغلوه]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ثم الجحيم صلوه] أي ثم أدخلوه النار العظيمة المتأججة ، ليصلى حرها

[ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه] أي ثلم أدخلوه في سلسلة حديدية طولها سبعون ذراعا ، قال ابن عباس : بذراع الملك ، تدخل السلسلة من دبره ، وتخرج من حلقه ، ثم يجمع بين ناصيته وقدميه والسلسلة هي حلق منتظمة ، كل حلقة منها في حلقة ، يلف بها حتى لا يستطيع حراكا . . ولما بين العذاب الشديد ، بين سببه ، فقال سبحانه

[إنه كان لا يؤمن بالله العظيم] أي كان لا يصدق بوحدانية الله وعظمته ، قال في البحر : بدأ بأقوى أسباب تعذيبه وهو كفره بالله ، وهو تعليل مستأنف كأن قائلا قال : لم يعذب هذا العذاب البليغ ؟ فأجيب إنه كان لا يؤمن بالله

[ولا يحض على طعام المسكين] أي ولا يحث نفسه ولا غيره على إطعام المسكين ، قال المفسرون : ذكر الحض دون الفعل ، للتشبيه على أن تارك الحض بهذه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المنزلة ، فكيف بتارك الإحسان والصدقة ؟
[فليس له اليوم ههنا حميم] أي فليس له في الآخرة صديق ، يدفع عنه العذاب ، لأن الأصدقاء يتحاشونه ، ويفرون منه
[ولا طعام إلا من غسلين] أي وليس له طعام إلا صديد أهل النار ، الذي يسيل من جراحاتهم
[لا يأكله إلا الخاطئون] أي لا يأكله إلا الآثمون المجرمون ، المرتكبون للخطايا والآثام ، قال المفسرون : [الخاطئون] جمع خاطىء وهو الذي يتعمد الذنب ، والمخطىء الذي يفعل الشيء خطأ دون قصد ولهذا قال [الخاطئون] ولم يقل المخطئون . .
ولما ذكر أحوال السعداء من أهل الجنة ، ثم أحوال الأشقياء من أهل النار ، ختم الكلام بتعظيم القرآن فقال سبحانه
[فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون] أي فأقسم بالمشاهدات والمغيبات ، أقسم بما ترونه وما لا ترونه ، مما هو واقع تحت الأبصار ، وما غاب وخفى عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأنظار ، و[لا] في قوله [فلا أقسم] لتأكيد القسم وليست نافية . قال الإمام الفخر : والآية تدل على العموم والشمول ، لأنها لا تخرج عن قسمين : مبصر وغير مبصر ، فشملت الخالق والخلق ، والدنيا والآخرة ، والأجسام والأرواح ، والإنس والجن ، والنعم الظاهرة والباطنة قال قتادة : هو عام فى جميع مخلوقاته جل وعلا ، وقال عطاء : ما تبصرون من آثار القدرة ، وما لا تبصرون من أسرار القدرة ،

[إنه لقول رسول كريم] أي إن هذا القرآن العظيم ، لكلام الرحمن ، يتلوه ويقرأه رسول كريم ، هو محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم ، قال القرطبى : والرسول ههنا محمد (ص)ونسب القول إليه لأنه تاليه ومبلغه عن الله تعالى

[وما هو بقول شاعر] أي وليس القرآن كلام شاعر كما تزعمون ، لأنه مباين لأوزان الشعر كلها ، فليس شعرا ولا نثرا

[قليلا ما تؤمنون] أي قلما تؤمنون بهذا القرآن ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقاتل : يعنى بالقليل أنهم لا يصدقون بأن القرآن من الله ، بمعنى لا يؤمنون به أصلا ، والعرب تقول : قلما يأتينا يريدون لا يأتينا

[ولا بقول كاهن] أي وليس هو بقول كاهن يدعى معرفة الغيب ، لأن القرآن يغاير بأسلوبه سجع الكهان

[قليلا ما تذكرون] أي قلما تتذكرون وتتعظون

[تنزيل من رب العالمين] أي هو تنزيل من رب العزة جل وعلا ، كقوله تعالى [وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذربن بلسان عربى مبين] والغرض من الآية تبرئة الرسول (ص)مما نسبه إليه المشركون ، من دعوى السحر والكهانة ، ثم أكد ذلك بأعظم برهان ، على أن القرآن من عند الرحمن ، فقال سبحانه

[ولو تقول علينا بعض الأقاويل] أي لو اختلق محمد بعض الأقوال ، ونسب إلينا ما لم نقله

[لأخذنا منه باليمين] أي لانتقمنا منه بقوتنا وقدرتنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ثم لقطعنا منه الوتين] أي ثم لقطعنا نياط قلبه حتى يموت ، قال القرطبى : والوتين عرق يتعلق به القلب ، إذا انقطع مات صاحبه والغرض إنه تعالى يعاجله بالعقوبة ولا يمهله ، لو نسب إلى الله شيئا ولو قليلا ، فإن تسمية الأقوال بالأقاويل للتصغير والتحقير

[فما منكم من أحد عنه حاجزين] أي فما يقدر أحد منكم أن يحجز بيننا وبينه ، لو أردنا حينئذ عقوبته ، ولا أن يدفع عنه عذابنا ، قال الخازن : المعنى إن محمدا لا يتكلم الكذب علينا لأجلكم ، مع علمه إنه لو تكلم لعاقبناه ، ولا يقدر أحد على دفع عقوبتنا عنه

[وإنه لتذكرة للمتقين] أي وأن هذا القرآن لعظة للمؤمنين المتقين ، الذين يخشون الله ، وخص المتقين بالذكر لأنهم المنتفعون به

[وإنا لنعلم أن منكم مكذبين] أي ونحن نعلم أن منكم من يكذب بهذا القرآن ، مع وضوح آياته ، ويزعم أنه أساطير الأولين ! ! وفي الآية وعيد لمن كذب بالقرآن

[وإنه لحسرة على الكافرين] أي وإنه لحسرة على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكفرة فى آلاخرة ، لأنهم يتأسفون إذا رأوا ثواب من آمن به

[وإنه لحق اليقين] أي وإنه لحق يقين لا يحوم حوله ريب ، ولا شك عاقل أنه كلام رب العالمين

[فسبح باسم ربك العظيم] أي فنزه ربك العظيم عن السوء والنقائص ، واشكره على ما أعطاك من النعم العظيمة ، التى من أعظمها نعمة القرآن ، وختم تعالى السورة بتعظيم شأن القرآن ، وتسبيح وتمجيد الرحمن ، لأنه الهدف الأساسى من هذه السورة الكريمة ، ردا على السفهاء المجرمين ، الذين زعموا أن القرآن من أساطير الأولين ! !

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من الفصاحة والبيان نوجزها فيما يلى :

1 - الإطناب بتكرار الاسم للتهويل والتعظيم [الحاقة ما الحاقة] إلخ .

2 - التفصيل بعد الإجمال زيادة في البيان [كذبت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثمود وعاد بالقارعة] ثم فصله بقوله [فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية . وأما عاد] الآية وفيه لفت ونشر مرتب ، وهو من المحسنات البديعية .

3 - التشبيه المرسل المجمل [كأنهم أعجاز نخل خاوية] ذكرت الأداة وحذف وجه الشبه ، فصار مجملا.

4 - الاستعارة اللطيفة الفائقة [إنا لما طغي الماء] الطغيان من صفات الإنسان ، فشبه ارتفاع الماء وكثرته ، بطغيان الإنسان ، بطريق الاستعارة التبعية .

5 - جناس الاشتقاق مثل [وقعت الواقعة] ومثل [لا تخفى منكم خافية] .

6 - المقابلة البديعية [فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه] قابلها بقوله [وأما من أوتى كتابه بشماله . .] إلخ وهي من المحسنات البديعية .

7 - طباق السلب [فلا أقسم بما تبصرون . . وما لا تبصرون] .

8 - الكناية [لأخذنا منه باليمين] لفظ اليمين كناية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن القوة والقدرة .

9 - توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات مثل [فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية] ومثل [خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه] ويسمى فى علم البديع (السجع المرصع) والله أعلم .

تنبيه :

روى الحافظ ابن كثير عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : خرجت أتعرض لرسول الله (ص)قبل أن أسلم ، فوجدته قد سبقنى إلى المسجد فقمت خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلت أعجب من تأليف القرآن ، قال فقلت في نفسي : هذا والله شاعر كما قالت قريش ، فقرأ [إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون] فقلت : كاهن ، فقرأ [ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون] إلخ السورة ، قال : فوقع في قلبى الإسلام كل موقع ، حتى هداني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله تعالى له . رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مسكنه ومأواه

سورة المعارج

مكية وآياتها أربع وأربعون آية

بين يدي السورة

* سورة المعارج من السور المكية ، التي تعالج أصول العقيدة الإسلامية ، وقد تناولت الحديث عن القيامة وأهوالها ، والآخرة وما فيها من سعادة وشقاوة ، وراحة ونصب ، وعن أحوال المؤمنين والمجرمين ، في دار الجزاء والخلود ، والمحور الذي تدور عليه السورة الكريمة هو الحديث عن كفار مكة وإنكارهم للبعث والنشور ، واستهزاؤهم بدعوة الرسول (ص) .

* ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن طغيان أهل مكة ، وعن تمردهم على طاعة الرسول (ص) ، واستهزائهم بالإنذار والعذاب الذي خوفوا به ، وذكرت مثلا لطغيانهم بما طلبه بعض صناديدهم وهو " النضر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بن الحارث " حين دعا أن ينزل الله عليه وعلى قومه العذاب العاجل ، ليستمتعوا به في الدنيا قبل الآخرة ، وذلك مكابرة في الجحود والعناد [سأل سائل بعذاب واقع ، للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج . .] الآيات

* ثم تناولت الحديث عن المجرمين في ذلك اليوم الفظيع الذي تتفطر فيه السموات ، وتتطاير فيه الجبال ، فتصير كالصوف الملون ألوانا غريبة [يوم تكون السماء كالمهل " وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تئويه ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه] .

* ثم استطردت السورة إلى ذكر طبيعة الإنسان ، فإنه يجزع عند الشدة ، ويبطر عند النعمة فيمنع حق الفقير والمسكين [إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا] .

* ثم تحدثت عن المؤمنين ، وما اتصفوا به من جلائل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصفات ، وفضائل الأخلاق ، وبينت ما أعد الله لهم من عظيم الأجر ، في جنات الخلد والنعيم [إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم] الايأت .

* ثم تناولت الكفرة المستهزئين بالرسول ، الطامعين في دخول جنات النعيم [فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم كلا إنا خلقناهم مما يعلمون] .

* وختمت السورة الكريمة بالقسم الجليل برب العالمين ، على أن البعث والجزاء حق لا ريب فيه ، وعلى أن الله تعالى قادر على أن يخلق خيرا منهم [فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين . .] إلى قوله تعالى [خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون] نهاية السورة الكريمة ، وهو ختم يناسب موضوع السورة ، في عقاب الكفرة المجرمين ، المكذبين بالبعث والنشور .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الله تعالى : [سأل سائل بعذاب واقع . .] إلى قوله [ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون] من آية (1) إلى آية (44) نهاية السورة الكريمة .

اللغة :

[المعارج] المصاعد والمدارج التي يرتقى بها الإنسان جمع معرج وهو المصعد ، والعروج الارتفاع إلى السماء ومنه معراج النبى (ص)

[المهل] النحاس المذاب

[العهن] الصوف المنفوش

[فصيلته] الفصيلة : العشيرة الذي فصل عنهم وتولد منهم

[لظى] اسم لجهنم سميت بذلك لأن نيرانها تتلظى أي تلتهب

[الشوى] جمع شواة وهي جلدة الرأس ، قال الأعشى : قالت قتيلة ماله قد جللت شيبا شواته ؟

[هلوعا] كثير الجزع والضجر ، قال أبو عبيدة : الهلوع هو الذي إذا مسه الخير لم يشكر ، وإذا مسه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الضر لم يصبر

[عزين] جماعات متفرقين جمع عزة بكسر العين ، وهى الجماعة المتفرقة ، قال الشاعر : فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا ،

[يوفضون] يسرعون يقال : أوفض البعير إذا أسرع السير .

سبب النزول :

عن ابن عباس أن النضر بن الحارث قال حين خوفهم رسول الله (ص) من عذاب الله [اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء] فأنزل الله [سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع] .

التفسير :

[سأل سائل بعذاب واقع] أي دعا داع من كفار مكة لنفسه ولقومه ، بنزول عذاب واقع لا محالة ، قال المفسرون : السائل هو " النضر بن الحارث " من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صناديد قريش وطواغيتها ، لما خوفهم رسول الله عذاب الله قال استهزاء [اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم] فأهلكه الله يوم بدر ، ومات شر ميتة ، ونزلت الآية بذمه

[للكافرين] أي دعا بهذا العذاب على الكافرين

[ليس له دافع] أي لا راد له إذا أراد الله وقوعه ، وهو نازل بهم لا محالة ، سواء طلبوه أو لم يطلبوه ، وإذا نزل العذاب ، فلن يرفع أو يدفع

[من الله ذى المعارج] أي هو صادر من الله العظيم الجليل ، صاحب المصاعد التى تصعد بها الملائكة ، وتتنزل بأمره ووحيه ، ثم فصل ذلك بقوله

[تعرج الملائكة والروح إليه] أي تصعد الملائكة الأبرار وجبريل الأمين الذي خصه الله بالوحى إلى الله عز وجل ((إنما أفرد جبريل بالذكر ، وإن كان من جملة الملائكة لشرفه وفضل منزلته ، وهو المسمى بالروح لقوله تعالى : {نزل به الروح الأمين })).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة] أي في يوم طوله خمسون ألف سنة من سني الدنيا ، قال ابن عباس : هو يوم القيامة جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة ، ثم يدخلون النار للاستقرار قال المفسرون : والجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى في سورة السجدة [في يوم كان مقداره ألف سنة] أن القيامة مواقف ومواطن ، فيها خمسون موطنا ، كل موطن ألف سنة ، وأن هذه المدة الطويلة تخف على المؤمن ، حتى تكون أخف عليه من صلاة مكتوبة

((أخرج الامام احمد عن أبي سعيد الخدري قال : قيل يا رسول الله ما أطول هذا اليوم ! فقال (ص) : " والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا "))

والصحيح الراجح من الأقوال ، أن آية الألف تتحدث عن " اليوم الإلهى " فاليوم عند الله كألف سنة عندنا ، وآية الخمسين ألفا تتحدث عن " يوم القيامة " فلا تعارض بين الآيتين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فاصبر صبرا جميلا] آي فاصبر يا محمد على استهزاء قومك وأذاهم ، ولا تضجر ، فإن الله ناصرك عليهم ، وهذا تسلية له عليه الصلاة والسلام ، لأن استعجال العذاب إنما كان على وجه الاستهزاء برسول الله (ص) ، فأمره الله بالصبر ، قال القرطبي : والصبر الجميل هو الذي لا جزع فيه ، ولا شكوى لغير الله

[إنهم يرونه بعيدا] أي إن هؤلاء المستهزئين يستبعدون العذاب ويعتقدون أنه غير نازل ، لإنكارهم للبعث والحساب

[ونراه قريبا] أي ونحن نراه قريبا لأن كل ما هو آت قريب . . ثم أخبر تعالى عن هول العذاب وشدته وعن أهوال يوم القيامة ، فقال سبحانه

[يوم تكون السماء كالمهل] أي تكون السماء سائلة غير متماسكة ، كالرصاص المذاب ، قال ابن عباس : كدردى الزيت أي كعكر الزيت

[وتكون الجبال كالعهن] أي وتكون الجبال متناثرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

متطايرة ، كالصوف المنفوش إذا طيرته الريح ، قال القرطبي : العهن : الصوف الأحمر أو ذو الألوان ، شبه الجبال به في تلونها ألوانا ، وأول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ، ثم عهنا منفوشا ، ثم هباء منثورا . . هذه حال السماء والأرض في ذلك اليوم المفزع ، أما حال الخلائق فهى كما قال تعالى [ولا يسأل حميم حميما] أي لا يسأل صديق صديقه ، ولا قريب قريبه عن شأنه ، لشغل كل إنسان بنفسه ، وذلك لشدة ما يحيط بهم ، من الهول والفزع

[يبصرونهم] آي يرونهم ويعرفونهم ، حتى يرى الرجل أباه وأخاه ، وقرابته وعشيرته ، فلا يسأله ولا يكلمه بل يفر منه ، كقوله تعالى [يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه] قال ابن عباس : [يبصرونهم] اي يعرف بعضهم بعضا ويتعارفون بينهم ، ثم يفر بعضهم من بعض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه] أي يتمنى الكافر - مرتكب القبائح والجرائم - لو يفدى نفسه من عذاب الله ، بأعز من كان عليه في الدنيا ، من ابن ، وزوجة ، وأخ

[وفصيلته التى تئويه] أي وعشيرته التي كانت تضمه إليها ، ويتكل في نوائبه عليها ، وليس هذا فحسب ، بل يتمنى لو يفتدي بجميع أهل الأرض

[ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه] أي وبجميع من في الأرض من البشر وغيرهم ، ثم ينجو من عذاب الله ، ولكن هيهات أن ينجو المجرم من العذاب ، أو ينقذه ذلك من شدة الكرب ، وفادح الخطب ، قال الإمام الفخر : و[ثم] لاستبعاد الإنجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده ، وبذلهم فى فداء نفسه ، ثم ينجيه ذلك ، وهيهات أن ينجيه

[كلا أنها لظى] [كلا] أداة زجر وتعنيف أي لينزجر هذا الكافر الأليم ، وليرتدع عن هذه الأماني ، فليس ينجيه من عذاب الله فداء ، بل أمامه جهنم تتلظى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نيرانها وتلتهب

[نزاعة للشوى] أي تنزع بشدة حرها جلدة الرأس من الإنسان ، كلما قلعت عادت كما كانت زيادة في التنكيل والعذاب ، وخصها بالذكر لأنها أشد الجسم حساسية وتأثرا بالنار ،

[تدعو من أدبر وتولى] أي تنادي جهنم وتهتف بمن كذب بالرحمن ، وأعرض عن الإيمان ، قال ابن عباس : يدعو الكافرين والمنافقين بأسمائهم بلسان فصيح ، تقول : إلي يا كافر ، إلي يا منافق ، ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب

[وجمع فأوعى] أي وتدعو من جمع المال وخبأه ، وكنزه في الخزائن والصناديق ، ولم يؤد منه حق الله وحق المساكين ، قال المفسرون : والآية وعيد شديد لمن يبخل بالمال ، ويحرص على جمعه ، فلا ينفقه في سبيل الخير ، ولا يخرج منه حق الله وحق المسكين ، وقد كان الحسن البصري يقول : يا ابن آدم سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا - أي جمعتها - من حلال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وحرام ! ! ثم أخبر تعالى عن طبيعة الإنسان ، وما جبل عليه من الحرص الشديد على جمع حطام الدنيا ، فقال سبحانه

[إن الإنسان خلق هلوعا] اي إن الإنسان جبل على الضجر ، لا يصبر على بلاء ، ولا يشكر على نعماء ، قال المفسرون : الهلع : شدة الحرص وقلة الصبر ، يقال : جاع فهلع ، والمراد بالإنسان العموم بدليل الاستثناء منه ، والاستثناء معيار العموم ، ثم فسره تعالى بقوله

[إذا مسه الشر جزوعا] أي إذا نزل به مكروه ، من فقر ، أو مرض ، أو خوف ، كان مبالغا في الجزع مكثرا منه ، واستولى عليه اليأس والقنوط

[وإذا مسه الخير منوعا] أي وإذا أصابه خير من غنى ، وصحة ، وسعة رزق ، كان مبالغا في المنع والإمساك ، فهو إذا أصابه الفقر لم يصبر ، وإذا أغناه الله لم ينفق ، قال ابن كيسان : خلق الله الإنسان يحب ما يسره ، ويهرب مما يكرهه ، ثم تعبده بإنفاق ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يحب ، والصبر على ما يكره

[إلا المصلين] استثناهم من أفراد البشر الموصوفين بالهلع ، لأن صلاتهم تحملهم على قلة الاكتراث بالدنيا ، فلا يجزعون من شرها ومصائبها ، ولا يبخلون بخيرها

[الذين هم على صلاتهم دائمون] اي مواظبون على أداء الصلاة ، لا يشغلهم عنها شاغل ، لأن نفوسهم صفت من أكدار الحياة ، بتعرضهم لنفحات الله

[والذين فى أموالهم حق معلوم] أي في أموالهم نصيب معين ، فرضه الله عليهم وهو الزكاة

[للسائل والمحروم] أي للفقير الذي يسأل ويتكفف الناس ، والمحروم الذي يتعفف عن السؤال ، فيظن أنه غنى فيحرم كقوله تعالى [يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف]

[والذين يصدقون بيوم الدين] أي يؤمنون بيوم الحساب والجزاء ، يصدقون بمجيئه تصديقا جازما ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا يشوبه شك ولا ارتياب ، فيستعدون له بالأعمال الصالحة

[والذين هم من عذاب ربهم مشفقون] أي خائفون على أنفسهم من عذاب الله ، يرجون الثواب ويخافون العقاب

[إن عذاب ربهم غير مأمون] أي لأن عذاب الله لا ينبغى أن يأمنه إنسان ، إلا من أمنه الرحمن ، والأمور بخواتيمها . . إن هؤلاء المصدقين المشفقين ، قلما تغويهم الدنيا ، أو يبطرهم نعيمها ، أو يجزعون على ما فاتهم من حطامها ، فسواء عليهم أخسروا حظوظ الدنيا أم غنموا ، إذ إن لديهم من الفكر فى جلال ربهم ، وذكر معادهم ، ما يشغلهم عن الجزع إذا مسهم الشر ، ويربأ بهم عن المنع إذا مسهم الخير ! ! ثم ذكر تعالى الفريق الخامس من الموفقين للخيرات وفعل الطاعات ، فقال سبحانه :

[والذين هم لفروجهم حافظون] أي هم أعفاء لا يرتكبون المحارم ، ولا يتلوثون بالمآثم ، قد صانوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنفسهم عن الزنى والفواحش

[إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم] أي يقتصرون على ما أحل الله لهم من الزوجات المنكوحات ، والرقيقات المملوكات

[فإنهم غير ملومين] أي فإنهم غير مؤاخذين ، لأن وضع الشهوة فيما أباح الله من الزوجات والمملوكات ، حلال يؤجر عليه الإنسان ، لما فيه من تكثير النسل والذرية

[فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون] أي فمن طلب لقضاء شهوته غير الزوجات والمملوكات ، فقد تعدى حدود الله ، وعرض نفسه لعذاب الله ، قال الطبري : من التمس لفرجه منكحا سوى زوجته أو ملك يمينه ، ففاعلوا ذلك هم العادون ، الذين تعدوا حدود ما أحد الله لهم ، إلى ما حرمه عليهم ، فهم الملومون ((ومن هذه الآية استدل جمهور الفقهاء على حرمة (زواج المتعة) لأن المنكوحة لمتعة ليست بزوجة ، ولا بملك يمين ، فيكون الزواج بها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محرما)).

[والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون] أي يؤدون الأمانات ، ويحفظون العهود ، فإذا ائتمنوا لم يخونوا ، وإذا عاهدوا لم يغدروا

[والذين هم بشهاداتهم قائمون] أي يشهدون بالحق على القريب والبعيد ، ولا يكتمون الشهادة ولا يغيرونها ، بل يؤدونها على وجهها الكامل ، بحيث تصان بها حقوق الناس ومصالحهم ، وخصها بالذكر مع اندراجها في الأمانات ، تنبيها على فضلها ، لأن في إقامتها إحياء للحقوق ، وفي تركها تضييعا للحقوق

[والذين هم على صلاتهم يحافظون] هذا هو الوصف الثامن من أوصاف المؤمنين ، الذين وفقهم الله إلى تطهير نفوسهم ، من خلق الهلع المذموم ، أي يراعون شرائط الصلاة ويلتزمون آدابها ، ولا سيما الخشوع والتدبر ، ومراقبة الله فيها ، وإلا كانت حركات صورية ، لا يجنى العبد ثمرتها ، فإن فائدة الصلاة أن تكف عن المحارم كما قال سبحانه : [إن الصلاة تنهى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن الفحشاء والمنكر] ولما كانت الصلاة عمود الإسلام ، بولغ في التوكيد فيها ، فذكرت في أولى الخصال الحميدة وفي آخرها ، ليعلم مرتبتها في الأركان ، التي بنى عليها الإسلام ، قال القرطبي : ذكر تعالى من أوصافهم في البدء [الذين هم على صلاتهم دائمون] ثم قال في الختم [والذين هم على صلاتهم يحافظون] والدوام غير المحافظة ، فدوامهم عليها أن يحافظوا على أدائها ، لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل ، ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ومواقيتها ، ويقيموا أركانها ، ويكملوها بسننها وآدابها ، ويحفظوها من الإحباط باقتراف المآثم ، فالدوام يرجع إلى نفس الصلوات ، والمحافظة يرجع إلى أحوالها ((قال ابن كثير : افتتح تعالى الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها ، فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها بدءا ونهاية)) وبعد أن ذكر تعالى أوصاف المؤمنين المتقين ، ذكر مآلهم وعاقبتهم ، فقال سبحانه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أولئك فى جنات مكرمون] أي أولئك المتصفون بتلك الأوصاف الجليلة ، والمناقب الرفيعة ، مستقرون في جنات النعيم ، التي أكرمهم الله فيها بأنواع الكرامات ، مع الإنعام والتكريم بأنواع الملاذ والمشتهيات ، لاتصافهم بمكارم الأخلاق

[فما للذين كفروا قبلك مهطعين] ؟ أي ما لهؤلاء الكفرة المجرمين ، مسرعين نحوك يا محمد ، مادين أعناقهم إليك ، مقبلين بأبصارهم عليك ؟ قال المفسرون : كان المشركون يجتمعون حول النبى (ص) ، حلقا حلقا ، يسمعون كلامه ويستهزئون به وبأصحابه ، ويقولون : إن دخل هؤلاء الجنة " كما يقول محمد - فلندخلنها قبلهم ، فنزلت الآية

[عن اليمين وعن الشمال عزين] أي جالسين عن يمينك وعن شمالك فرقا فرقا ، وجماعات جماعات ، يتحدثون ويتعجبون ؟ قال أبو عبيدة : عزين أي جماعات جماعات فى تفرقة ، ومنه حديث (ما لي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أراكم عزين ؟ ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ؟ قلنا يا رسول الله : وكيف تصف الملائكة عند ربها ؟ قال : يتمون الصفوف الاولي ، ويتراصون في الصف)

[أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم] استفهام انكاري مع التقريع والتوبيخ أي أيطمع كل واحد من هؤلاء الكفار ، أن يدخله الله جنات النعيم ، وقد كذب خاتم المرسلين

[كلا] ردع وزجر أي ليس الأمر كما يطمعون ، فإنهم لا يدخلونها أبدا ، ثم قال تعالى :

[إنا خلقناهم مما يعلمون] أي خلقناهم من الأشياء المستقذرة ، من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة ، فمن أين يتشرفون بدخول جنات النعيم قبل المؤمنين ، وليس لهم فضل يستوجبون به دخول الجنة ؟ وإنما يستوجب دخول الجنة من أطاع الله ، قال القرطبي : كانوا يستهزئون بفقراء المسلمين ويتكبرون عليهم ، فقال تعالى [إنا خلقناهم مما يعلمون] أي من القذر فلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يليق بهم هذا التكبر

[فلا أقسم برب المشارق والمغارب] أي فأقسم برب مشارق الشمس والقمر والكواكب ومغاربها

[إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم] أي قادرون على إهلاكهم ، واستبدالهم بقوم أفضل منهم وأطوع لله

[وما نحن بمسبوقين] أى ولسنا بعاجزين عن ذلك

[فذرهم يخوضوا ويلعبوا] أي اتركهم يا محمد يخوضوا في باطلهم ، ويلعبوا في دنياهم ، واشتغل أنت بما امرت به ، وهو أمر على جهة الوعيد والتهديد للمشركين

[حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون] أي حتى يلاقوا ذلك اليوم العصيب الرهيب ، الذي لا ينفعهم فيه توبة ولا ندم

[يوم يخرجون من الأجداث سراعا] أي يوم يخرجون من القبور إلى أرض المحشر مسرعين

[كأنهم إلى نصب يوفضون] أي كأنهم يسعون ويستبقون إلى أصنامهم التي نصبوها ليعبدوها ، شبه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حالة إسراعهم إلى موقف الحساب ، بحالة إسراعهم وتسابقهم في الدنيا ، إلى آلهتهم ليعبدوها ، وفي هذا التشبيه تهكم بهم ، وتعريض بسخافة عقولهم ، إذ عبدوا ما لا يستحق العبادة ، وتركوا عبادة الواحد الأحد

[خاشعة أبصارهم] أي خاضعة منكسرة أبصارهم إلى الأرض ، لا يرفعونها خجلا من الله

[ترهقهم ذلة] أي يغشاهم الذل والهوان من كل مكان ، وعلى وجوههم آثار الذلة والانكسار

[ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون] أي هذا هو اليوم الذي وعدوا به في الدنيا وكانوا يهزءون ويكذبون ، فاليوم يرون عقابهم وجزاءهم ! !

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الطباق بين [بعيدا . . وقريبا] وبين [اليمين . . والشمال] وبين [المشارق والمغارب] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2 - جناس الاشتقاق [سأل سائل] وكذلك [تعرج - المعارج] .
3 - ذكر الخاص بعد العام تنبيها لفضله وتشريفا له [تعرج الملائكة والروح] الروح هو جبريل عليه السلام ، ذكر أولا ضمن الملائكة ، ثم ذكر مرة أخرى تعظيما له وتشريفا .

---

4 - التشبيه المرسل المجمل [يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن] لحذف وجه الشبه فيه .
5 - ذكر العام بعد الخاص [لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تئويه ومن في الأرض جميعا] جاء بالعموم بعد الخصوص لبيان هول الموقف .
6 - المقابلة اللطيفة [إذا مسه الشر جزوعا] قابله بقوله [وإذا مسه الخير منوعا] .
7 - الاستفهام الإنكاري للتقريع والتوبيخ [أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم] ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

8 - الكناية الفائقة الرائقة [كلا إنا خلقناهم مما يعلمون] كناية عن المنى القذر ، مع النزاهة التامة في التعبير ، وحسن الإيقاظ والتذكير ، بألطف عبارة وأبلغ إشارة .

9 - التشبيه المرسل المجمل [كأنهم إلى نصب يوفضون] وفي تشبيههم بذلك تهكم بهم ، وتعريض بسخافة عقولهم ، وتسجيل عليهم بالجهل المشين بالإسراع في عبادة غير من يستحق العبادة .

10 - السجع المرصع كأنه الدر والياقوت مثل [إنها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى] إلخ .

تنبيه :

نبه تعالى بقوله [إن الإنسان خلق هلوعا] الآيات إلى طبائع البشر ، فبين أن الإنسان يتسرع إلى مشتهاه ، اتباعا لهواه ، وإنه مفرط في الهلع والجزع ، فإن مسه خير شحت به نفسه ، وإن نزل به شر اشتد له قلقه ، ثم استثنى من ذلك الخلق الذميم أصنافا من البشر ، وهم الذين جمعوا مع الايمان صالح الأعمال [إلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المصلين . الذين هم على صلاتهم دائمون] فهؤلاء فازوا بالرضوان ، ودخول الجنان ، اللهم اجعلنا منهم يا رحيم ويا رحمن ! !

سورة نوح

مكيه وآياتها ثمانى وعشرون آية

بين يدي السورة

* سورة نوح مكية ، شأنها شأن سائر السور المكية التي تعنى بأصول العقيدة ، وتثبيت قواعد الإيمان ، وقد تناولت السورة تفصيلا قصة شيخ الأنبياء (نوح عليه السلام) من بدء دعوته حتى نهاية (حادثة الطوفان) التى أغرق الله بها المكذبين من قومه ، ولهذا سميت " سورة نوح " ، وفي السورة بيان لسنة الله تعالى في الأمم التي انحرفت عن دعوة الله ، وبيان لعاقبة المرسلين ، وعاقبة المجرمين ، في شتى العصور والأزمان .

* ابتدأت السورة الكريمة بارسال الله تعالى لنوح عليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السلام ، وتكليفه بتبليغ الدعوة ، وإنذار قومه من عذاب الله [إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم] الآيات .

* ثم ذكرت السورة جهاد نوح عليه السلام ، وصبره ، وتضحيته في سبيل تبليغ الدعوة ، فقد دعا قومه ليلا ونهارا ، وسرا وجهارا ، فلم يزدهم ذلك إلا إمعانا في الضلال والعصيان [قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى إلا فرارا] . الآيات

* ثم تتابعت السورة تذكرهم بإنعام الله وأفضاله على لسان نوح عليه السلام ، ليجدوا فى طاعة الله ، ويروا آثار قدرته ورحمته في هذا الكون الفسيح [ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا] ! ! . ومع كل هذا التذكير والنصح والإرشاد ، فقد تمادى قومه فى الكفر والضلال والعناد ، واستخفوا بدعوة نبيهم (نوح) عليه السلام ، حتى أهلكهم الله بالطوفان [قال نوح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رب أنهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا . .] الآيات.

* وختمت السورة الكريمة بدعاء نوح عليه السلام على قومه بالهلاك والدمار ، بعد أن مكث فيهم تسعمائة وخمسين سنة ، يدعوهم إلى الله ، فما لانت قلوبهم ، ولا انتفعت بالتذكير والإنذار [وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا رب اغفر لي ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا ، وللمؤمنين والمؤمنات ، ولا تزد الظالمين إلا تبارا] .

قال الله تعالى : [إنا أرسلنا نوحا إلى قومه . .] إلى قوله [ولا نزد الظالمين إلا تبارا] . من آية (1) إلى آية (28) نهاية السورة الكريمة .

اللغة :

[استغشوا] غطوا ، يقال : غشاه أي غطاه ، والغشاء الغطاء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[مدرارا] غزيرا .متتابعا

[أطوارا] أحوالا مختلفة طورا بعد طور ، قال الشاعر : " والمرء يخلق طورا بعد أطوار ،

[فجاجا] واسعات جمع فج وهو الطريق الواسعة

[كبارا] كبيرا بالغ الغاية في الكبر

[ديارا] أحدا يدور أو يتحرك على ظهر الأرض

[تبارا] هلاكا ودمارا .

التفسير :

[إنا أرسلنا نوحا إلى قومه] أي نحن بعظمتنا وجلالنا بعثنا شيخ الأنبياء (نوحا عليه السلام) إلى سكان جزيرة العرب ، قال الألوسي : واشتهر أنه عليه السلام كان يسكن أرض الكوفة وهناك أرسل

[أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم] أي بأن خوف قومك ، وحذرهم إن لم يؤمنوا ، من عذاب شديد مؤلم ، وهو عذاب الطوفان فى الدنيا ، وعذاب النار في الآخرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قال يا قوم إني لكم نذير مبين] أي فدعاهم إلى الله وقال لهم : إني لكم منذر ، موضح لحقيقة الأمر ، أنذركم وأخوفكم عذاب الله ، فأمري واضح ودعوتي ظاهرة ، قال المفسرون : نوح عليه السلام أول نبى أرسل ، ويقال له : شيخ المرسلين ، لأنه أطولهم عمرا فقد مكث في قومه كما قص القرآن الكريم [ألف سنة إلا خمسين عاما] يدعوهم إلى الله ، ومع طول هذه المدة لم يؤمن معه إلا قليل ، وقد أفرد القرآن قصته في هذه السورة الكريمة التى تسمى " سورة نوح " من بدء الدعوة إلى نهايتها ، حيث أهلك الله قومه بالطوفان ، وهو أحد الرسل الكبار من أولي العزم وهم خمسة (نوح ، إبراهيم ، موسى ، عيسى ، محمد) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وقد شاع الكفر في زمانه وذاع ، واشتهر قومه بعبادة الأوثان ، وأكثروا من البغى والظلم والعصيان ، فبعث الله لهم نوحا عليه السلام ، وكان من خبرهم مع نبيهم ما قصه الله علينا في القرآن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أن أعبدوا الله واتقوه وأطيعون] أي فقال لهم : اعبدوا الله وحده ، واتركوا محارمه ، واجتنبوا مآثمه ، وأطيعونى فيما أمرتكم به من طاعة الله ، وترك عبادة الأوثان والأصنام

[يغفر لكم من ذنوبكم] أي إنكم إن فعلتم ما أمرتكم به ، يمحو الله عنكم ذنوبكم التى اقترفتموها ، وإنما قال [من ذنوبكم] أي بعض ذنوبكم التى حصلت قبل الإسلام ، لأن الإيمان يجب ما قبله من الذنوب ، لا ما بعده ((هذا ما رجحه أبو حيان في البحر ، واختار الطبري أن " من " ليست للتبعيض وإنما هي بمعنى " عن " أي يغفر لكم عن ذنوبكم بمعنى يغفر لكم جميع الذنوب ، والأول أرجح ، لأن " من " فى الأصل للتبعيض ، فلا حاجة إلى صرفها عن الأصل ، والله أعلم)).

[ويؤخركم إلى أجل مسمى] أي ويمد في أعماركم إن أطعتم ربكم ، إلى وقت مقدر ومقرر فى علم الله تعالى ، مع التمتع بالحياة السعيدة ، والعيش الرغيد ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المفسرون : المراد بتأخير الأجل هو التأخير بلا عذاب ، أي يمهلهم في الدنيا بدون عذاب إلى انتهاء آجالهم ، وأما العمر فهو محدود لا يتقدم ولا يتأخر [فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون] ولهذا قال بعده

[إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر] أي إن عمر الإنسان عند الله محدود ، لا يزيد ولا ينقص ، وإنما أضيف الأجل إلى الله سبحانه ، لأنه هو الذي كتبه واثبته

[لو كنتم تعلمون] أي لو كنتم تعلمون ذلك لسارعتم إلى الإيمان

[قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا] أي قال نوح بعد أن بذل غاية الجهد ، وضاقت عليه الحيل : يا رب إني دعوت قومي إلى الإيمان والطاعة ، فى الليل والنهار ، من غير فتور ولا توان

[فلم يزدهم دعاءي إلا فرارا] أي فلم يزدهم دعائى لهم إلى الإيمان ، إلا هربا ، وشرودا عن الحق ، وإعراضا عنه . . ثم وصف نفورهم وصور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إعراضهم أبلغ تصوير فقال

[وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم] أي كلما دعوتهم إلى الإقرار بوحدانية الله ، والعمل بطاعته ، ليكون سببا في مغفرة ذنوبهم ، قال فى التسهيل : ذكر المغفرة التي هى سبب عن الإيمان ، ليظهر قبح إعراضهم عنه ، فإنهم أعرضوا عن سعادتهم

[جعلوا أصابعهم فى آذانهم] أي سدوا آذانهم لئلا يسمعوا دعوتى

[واستغشوا ثيابهم] أي غطوا رءوسهم ووجوهم بثيابهم ، لئلا يسمعوا كلامي أو يروني ، قال في البحر : والظاهر أن ذلك حقيقة ، سدوا مسامعهم حتى لا يسمعوا ما دعاهم إليه ، وتغطوا بثيابهم حتى لا ينظروا إليه ، كراهة وبغضا من سماع النصح ورؤية الناصح ، ويجوز أن يكون ذلك (كناية) عن المبالغة فى إعراضهم عما دعاهم إليه ، فهم بمنزلة من سد سمعه ، ومنع بصره

[وأصروا واستكبروا استكبارا] أي واستمروا على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكفر والطغيان ، واستكبروا عن الإيمان استكبارا عظيما ، وفيه إشارة إلى فرط عنادهم ، وغلوهم في الضلال

[ثم إنى دعوتهم جهارا] أي دعوتهم علنا على رءوس الأشهاد ، مجاهرا بدعوتى لهم دون خوف أو تحفظ [ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا] أي أخبرتهم سرا وعلنا ، خفية وجهرا ، وسلكت معهم كل طريق في الدعوة إليك ، قال المفسرون : والعطف بثم يشعر بأن الإعلان والإسرار الأخيرين ، كانا طريقة ثالثة سلكها نوح في الدعوة ، غير طريقة السر المحضة ، وغير طريقة الجهر المحضة ، فكان فى الطريقة الثالثة يعلن لهم الدعوة مرة حيث يصلح الإعلان ، ويسرها لهم أخرى ، حيث يتوقع نفع الإسرار ، ثم وضح ما وعظهم به سرا وعلانية ، فقال [فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا] أي آمنوا بالله وتوبوا عن الكفر والمعاصى ، فإن ربكم تواب رحيم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يغفر الذنب ويقبل التوب
[يرسل السماء عليكم مدرارا] أي ينزل المطر عليكم غزيرا متتابعا ، شديد الانسكاب
[ويمددكم بأموال وبنين] أي يكثر أموالكم وأولادكم
[ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا] أي ويجعل لكم الحدائق الفسيحة ، ذات الأشجار المظلة المثمرة ، ويجعل لكم الأنهار تجري خلالها . . أطمعهم نوح عليه السلام بالحصول على بركات السماء وبركات الأرض ، إن هم آمنوا بالله الذي بيده مفاتيح هذه الخزائن ، وأتاهم من طريق القلب لتحريك العواطف ، ولبيان إن ما هم فيه من انحباس الأمطار ، وما حرموه من الرزق والذرية ، إنما سببه كفرهم بالله الذي بيده وحده إرسال المطر ، وإغداق الرزق ، والإمداد بالأموال والبنين ، وأنه لا ينبغى لهم أن يكفروا بهذا الإله القادر ، ويعبدوا آلهة أخرى اخترعوها ، لا تضر ولا تنفع ، ثم عاد فهز نفوسهم هزا ، وعطفها نحو الإيمان بأسلوب آخر من أساليب البيان ، فقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ما لكم لا ترجون لله وقارا] أي ما لكم أيها القوم لا تخافون عظمة الله وسلطانه ، ولا ترهبون له جانبا! ! قال ابن عباس : أي ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته [وقد خلقكم أطوارا] أي وقد خلقكم فى أطوار مختلفة ، وأدوار متباينة ، طورا نطفة ، وطورا علقة ، وطورا مضغة ، إلى سائر الأحوال العجيبة ، فتبارك الله أحسن الخالقين . ثم نبههم إلى دلائل القدرة والوحدانية ، منبثة في هذا الكون الفسيح ، فقال سبحانه [ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا] أي ألم تشاهدوا يا معشر القوم عظمة الله وقدرته ؟ وتنظروا نظر اعتبار ، وتفكر وتدبر ، كيف أن الله العظيم الجليل ، خلق سبع سموات سماء فوق سماء ، متطابقة بعضها فوق بعض ، وهي فى غاية الابداع والإتقان ! ا

[وجعل القمر فيهن نورا] أي وجعل القمر فى السماء الدنيا ، منورا لوجه الأرض في ظلمة الليل ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإمام الفخر : القمر فى السماء الدنيا وليس فى السموات بأسرها ، وهذا كما يقال : السلطان في العراق ، ليس المراد أن ذاته حاصلة في كل أنحائها ، بل إن ذاته فى حيز من جملة أنحاء العراق ، فكذا ههنا وقال فى البحر : والقمر فى السماء الدنيا ، وصح كون السموات ظرفا للقمر ، لأنه لا يلزم من الظرف أن يملأ المظروف ، تقول زيد فى المدينة وهو فى جزء منها ((أقول : ليس ثمة نص صريح على أن القمر داخل السموات إلا هذا النص وقد عرفت تأويله ، وإذا كان القمر أقرب الكواكب الى الأرض ، وثبت بالنص القاطع أن الله تعالى جعل الكواكب زينة للسماء ، وجعلها فى السماء الدنيا {ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح } فإنه لا يستبعد أن يصل الناس إلى القمر ، لأنه دون السماء الأولى ، كما وصلت إليه المركبة الفضائية في زماننا ، وكما أثبت العلم الحديث إمكان ذلك ، فليس ثمة محظور ديني على وصول الإنسان لبعض الكواكب ، وأما الوصول الى السماء واختراقها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فذلك أمر مستحيل ودونه خرط القتاد ، لأن الله تعالى يقول : {وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون } وفي عصرنا هذا تم وصول البشر إلى القمر ، ولا مانع منه شرعا كما ذكرنا ، لقرب القمر من الأرض ، وما مثلهم الا كمثل الذي صعد إلى المأذنة ، كم اقترب من السماء ؟)).

[وجعل الشمس سراجا] أي وجعل الشمس مصباحا مضيئا يستضيء به أهل الدنيا كما يستضيء الناس بالسراج فى بيوتهم ، ولما كان نور الشمس أشد ، وأتم ، وأكمل ، فى الانتفاع من نور القمر ، عبر عن الشمس بالسراج لأنه يضيء بنفسه ، وعبر عن القمر بالنور لأنه يستمد نوره من غيره ، ويؤيده ما تقرر في علم الفلك من أن نور الشمس ذاتي فيها ، ونور القمر عرضي مكتسب من نورها ، فسبحان من أحاط بكل شيء علما

[والله أنبتكم من الأرض نباتا] بعد أن ذكر دليل الآفاق ، ذكر هنا دليل الأنفس ، وذلك لأن في ذكر هذه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأمور ، دلالة واضحة على عظمة الله ، وقدرته وباهر مصنوعاته ، والمعنى : خلقكم وأنشأكم من الأرض كما يخرج النبات ، وسلكم من تراب الأرض كما يسلك النبات منها ، قال المفسرون : لما كان إخراجهم وإنشاؤهم إنما يتم بتناولهم عناصر الغذاء الحيوانية والنباتية المستمدة من الأرض ، كانوا من هذه الجهة مشابهين للنباتات التى تنمو بامتصاص غذائها من الأرض ، فلذا سمى خلقهم وإنشاءهم انباتا ، أو يكون ذلك إشارة إلى خلق آدم حيث خلق من تراب الأرض ، ثم جاءت منه ذريته ، فصح نسبتهم إلى أنهم أنبتوا من الأرض

[ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا] أي يرجعكم إلى الأرض بعد موتكم فتدفنون فيها ، ثم يخرجكم منها يوم البعث والحشر للحساب والجزاء ، وأكده بالمصدر [إخراجا] لبيان أن ذلك واقع لا محالة ، وهذه الآية كقوله تعالى [منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والله جعل لكم الأرض بساطا] أي جعلها فسيحة ممتدة ممهدة لكم ، تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه ، قال فى التسهيل : شبه الأرض بالبساط فى امتدادها واستقرار الناس عليها ، وأخذ بعضهم من الآية أنها غير كروية ، وفي ذلك نظر ، فإن كرويتها أمر مقطوع به ، وقال الألوسي : وليس فى الآية دلالة على أن الأرض مبسوطة غير كروية ، لأن الكرة العظيمة يرى كل من عليها ما يليه مسطحا ، ثم إن اعتقاد الكروية أو عدمها ليس بلازم في الشريعة ، لكن كرويتها كالأمر اليقينى ، ومعنى جعلها بساطا أي تتقلبون عليها كالبساط

[لتسلكوا منها سبلا فجاجا] أي لتسلكوا في الأرض طرقا واسعة فى أسفاركم ، وتنقلكم فى أرجائها . .

ولما أصروا على العصيان ، وقابلوه بأقبح الأقوال والأفعال ، حكى تعالى عنهم ما قصه القرآن

[قال نوح رب إنهم عصونى] أي إنهم بالغوا في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تكذيبى وعصيان أمري

[واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا] أي واتبعوا أغنيائهم ورؤساءهم ، الذين أبطرتهم الأموال والأولاد ، فهلكوا وخسروا سعادة الدارين ، فصاروا إسوة لهم فى الخسار

[ومكروا مكرا كبارا] أي ومكر بهم الرؤساء مكرا عظيما متناهيا في الكبر ، قال الألوسي : [وكبارا] مبالغة فى الكبر اي كبيرا فى الغاية ، وذلك احتيالهم في الدين ، وصدهم الناس عنه ، وإغراؤهم وتحريضهم على أذية نوح عليه السلام ،

[وقالوا لا تذرن آلهتكم] أي لا تتركوا عبادة الأوثان والأصنام ، وتعبدوا رب نوح

[ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا] أي ولا تتركوا - على وجه الخصوص - هذه الأصنام الخمسة - " ودا ، وسواعا ، ويغوث ، ويعوق ، ونسرا) قال الصاوي : وهذه أسماء أصنام كانوا يعبدونها ، وكانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولذا خصوها بالذكر ، وهذا من شدة كفرهم ، وفرط تعنتهم فى المكر والاحتيال ، فقد كانوا يلبسون ثوب الناصح المخلص ، ويسلكون فى تثبيت الضعفاء على عبادة الآباء ، شتى الأساليب في المكر والخداع

[وقد أضلوا كثيرا] أي وقد أضل كبراؤهم خلقا وناسا كثيرين ، بما زينوا لهما من طرق الغواية والضلال ، ثم دعا عليهم نوح عليه السلام بالضلال ، فقال

[ولا تزد الظالمين إلا ضلالا] أي ولا تزدهم يا رب على طغيانهم وعدوانهم ، إلا ضلالا فوق ضلالهم ، قال المفسرون : دعا عليهم لما يئس من إيمانهم ، باخبار الله له بقوله [لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن] فاستجاب الله دعاءه وأغرقهم ، ولهذا قال تعالى

[مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا] أي من أجل ذنوبهم وإجرامهم ، وإصرارهم على الكفر والطغيان ، أغرقوا بالطوفان وأدخلوا النيران ، قال في التسهيل : وهذا من كلام الله تعالى إخبارا عن أمرهم ، و[ما] فى [مما] زائدة للتأكيد ، وإنما قدم هذا المجرور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للتأكيد أيضا ، ليبين أن إغراقهم وإدخالهم النار ، إنما كان بسبب خطاياهم ، وهى الكفر وسائر المعاصى

[فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا] أي لم يجدوا من ينصرهم أو يدفع عنهم عذاب الله ، قال أبو السعود : وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله تعالى ، وأنها غير قادرة على نصرهم ، وتهكم بهم

[وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا] أي لا تترك أحدا على وجه الأرض من الكافرين ، قال فى التسهيل : و[ديار] من الأسماء المستعملة في النفى العام ، يقال : ما فى الدار ديار ، أي ما فيها أحد . . ثم علل ذلك بقوله

[إنك إن تذرهم يضلوا عبادك] أي إنك إن أبقيت منهم أحدا ، أضلوا عبادك عن طريق الهدى

[ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا] أي ولا يأتى من أصلابهم إلا كل فاجر وكافر ، قال الإمام الفخر : فإن قيل : كيف عرف نوح ذلك ؟ قلنا : بالاستقراء ، فإنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، فعرف طباعهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجربهم ، وكان الرجل ينطلق بابنه إليه ويقول : يا بنى احذر هذا فإنه كذاب ، وإن أبى أوصانى بمثل هذه الوصية ، فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك ، فلذلك قال [ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا] . . ولما دعا نوح على الكفار ، أعقبه بالدعاء للمؤمنين الأبرار ، فقال

[رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات] بدأ بنفسه ثم بأبويه ، ثم عمم لجميع المؤمنين والمؤمنات ، ليكون ذلك أبلغ وأجمع

[ولا تزد الظالمين إلا تبارا] أي ولا تزد يا رب من جحد بآياتك ، وكذب رسلك ، إلا هلاكا وخسارا في الدنيا والآخرة ، والتبار : هو الخسران المحقق ، والهلاك والدمار .

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1 - الطباق بين [أعلنت . . وأصررت] وبين [جهارا . . وإسرارا] وبين [ليلا . . ونهارا] وبين [يعيدكم . . ويخرجكم] .

2 - المجاز المرسل [جعلوا أصابعهم في آذانهم] المراد رءوس الأصابع فهو من إطلاق الكل وإرادة الجزء .

3 - الاستعارة التبعية [والله أنبتكم من الأرض نباتا] شبه إنشاءهم وخلقهم فى أدوار ، بالنبات الذى تخرجه الأرض ، واشتق من لفظ النبات أنبتكم على طريق الاستعارة التبعية .

4 - ذكر المصدر للتأكيد مثل [ويخرجكم إخراجا] و[أسررت لهم إسرارا] و[استكبروا استكبارا] ويسمى هذا في علم البديع بالإطناب .

5 - ذكر الخاص بعد العام [وقالوا لا تذرن ألهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا . .] الآية وعكسه ذكر العام بعد الخاص [رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات] وكلاهما من باب الإطناب ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهو من المحسنات البديعية .

6 - السجع المرصع مراعاة لرءوس الآيات مثل [مدرارا ، أنهارا ، وقارا ، أطوارا] إلخ .

فائدة :

استدل العلماء على عذاب القبر بقوله تعالى [مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا] قالوا : المراد بها نار القبر وعذابه ، لأنه تعالى عطف بالفاء ، والفاء تفيد الترتيب مع التعقيب ، ونار الآخرة لم يذوقوها بعد ، فدل على أن المراد بها (عذاب القبر) ، وهو استدلال لطيف ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

سورة الجن

مكية وآياتها ثمان وعشرون آية

بين يدي السورة

* سورة الجن مكية وهي تعالج أصول العقيدة الإسلامية (الوحدانية ، الرسالة ، البعث والجزاء)

ومحور السورة يدور حول الجن ، وما يتعلق بهم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمور خاصة ، بدءا من استماعهم للقرآن ، إلى دخولهم فى الإيمان ، وقد تناولت السورة بعض الأنباء العجيبة الخاصة بهم ، كاستراقهم للسمع ، ورميهم بالشهب المحرقة ، واطلاعهم على بعض الأسرار الغيبية ، إلى غير ذلك من الأخبار المثيرة .

* ابتدأت السورة الكريمة بالإخبار عن استماع فريق من الجن للقرآن ، وتأثرهم بما فيه من روعة البيان ، حتى آمنوا به فور استماعه ، ودعوا قومهم إلى الإيمان [قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرانا عجبا . .] الآيات .

* ثم انتقلت للحديث عن تمجيدهم وتنزيههم لله جل وعلا ، وإفرادهم له بالعبادة ، وتسفيههم لمن جعل لله ولدا [وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا. .] الآيات .

* ثم تحدثت السورة عن استراق الجن للسمع ، وإحاطة السماء بالحرس من الملائكة ، وإرسال الشهب على الجن ، بعد بعثة رسول الله (ص) ، خاتم النبيين ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتعجبهم من هذا الحدث الغريب [وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا. .] الآيات .

* ثم تحدثت السورة عن انقسام الجن إلى فريقين : مؤمنين ، وكافرين ومآل كل من الفريقين [وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا] .

* ثم انتقلت للحديث عن دعوة رسول الله (ص) ، وعن التفاف الجن حوله حين سمعوه يتلو القرآن [وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قل إنما أدعو ربى ولا أشرك به أحدا] .

* ثم أمرت الرسول (ص)بأن يعلن استسلامه وخضوعه لله ، ويفرده جل وعلا بإخلاص العمل ، وأن يتبرأ من الحول والطول [قل إنما أدعو ربى ولا أشرك به أحدا قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ملتحدا] . " وختمت السورة ببيان اختصاص الله جل وعلا بمعرفة الغيب ، وإحاطته بعلم جميع ما فى الكائنات [عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا. .] الآيات إلى آخر السورة الكريمة .

قال الله تعالى : [قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن . .] إلى قوله [وأحصى كل شيء عددا] من آية (1) إلى آية (28) نهاية السورة الكريمة .

اللغه :

[الرشد] الحق والصواب

[جد] الجد بفتح الجيم لغة : العظمة والجلال والسلطان يقال : جد فلان فى عينى أي عظم وجل ، والجد : الحظ ، وأبو الأب

[حرسا] جمع حارس أو اسم جمع كخدم يقال : حرس وحراس ، والحارس : الحافظ للشيء يرعاه ويرقبه

[قددا] متفرقة مختلفة جمع قدة ، قال الشاعر : " إذ هم طرائق في أهوائهم قدد "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[غدقا] كثيرا واسعا

[القاسطون] الجائرون عن طريق الحق ، يقال قسط الرجل إذا جار

[صعدا] شاقا يعلو الإنسان ويغلبه فلا يطيقه ، يقال : فلان في صعد من أمره أي في مشقة

[يسلكه] يدخله

[لبدا] متراكمين بعضهم فوق بعض يقال : تلبد الشيء أي تراكم بعضه فوق بعض

[ملتحدا] ملجأ وحرزا يتحصن به الإنسان .

التفسير :

[قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن] أي قل يا محمد لقومك : إن ربى أوحى إلى أن جماعة من الجن استمعوا لتلاوة القرآن ، فآمنوا به وصدقوه وأسلموا

[فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا] أي فقالوا لقومهم حين رجعوا إليهم : إنا سمعنا قرآنا عجيبا ، مؤثرا في حسن نظمه ، وبلاغة أسلوبه ، وما حواه من بدع الحكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والعظات و[عجبا] مصدر وصف به للمبالغة ، قال المفسرون : استمعوا إلى رسول الله (ص) ، وهو يقرأ القرآن في صلاة الفجر ، ولم يشعر بهم ، ولا باستماعهم ، وإنما اخبر به الرسول بواسطة الوحى بدليل قوله [قل أوحى إلى] ((هذا قول ابن عباس ويدل عليه ما رواه الترمذي عن ابن عباس أنه قال : " ما قرأ رسول الله (ص) على الجن ولا رآهم .. ")) ويؤيده ما قصه الله على نبيه فى سورة الأحقاف من خبرهم [وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين] والغرض من الإخبار عن استماع الجن ، توبيخ وتقريع قريش والعرب ، فى كونهم تباطئوا عن الإيمان ، إذ كانت الجن خيرا منهم ، وأسرع إلى الإيمان ، فإنهم من حين ما سمعوا القرآن ، تأثروا وآمنوا به ، ورجعوا إلي قومهم منذرين ، بخلاف العرب الذين نزل بلسانهم ، فإنهم كذبوا واستهزءوا ، وهم يعلمون أنه كلام معجز ، وأن محمدا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمى لا يقرأ ولا يكتب ، وشتان ما بين موقف الإنس والجن ! !

[يهدى إلى الرشد فآمنا به] أي يهدي هذا القرآن إلى الحق والرشاد والصواب فصدقنا به

[ولن نشرك بربنا أحدا] أي ولن نعود إلى ما كنا عليه من الشرك ، ولن نجعل لله شريكا بعد اليوم من خلقه ، قال الخازن : وفي الآية دليل على أن أولئك النفر كانوا مشركين

[وأنه تعالى جد ربنا] أي تعالت عظمة ربنا وجلاله

[ما اتخذ صاحبة ولا ولدا] أي ليس له زوجة ولا ولد ، لأن الزوجة تتخذ للحاجة ، والولد للاستئناس ، والله تعالى منزه عن النقائص

[وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا] أي وأن الأحمق الجاهل فينا ، كان ينسب إلى الله ما لا يليق بجلاله وقدسيته ، ويقول قولا شططا بعيدا عن الحق وحد الاعتدال ، قال مجاهد : السفيه هو إبليس دعاهم إلى عبادة غير الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا] آي كنا نظن أن أحدا لن يكذب على الله تعالى ، لا من الإنس ولا من الجن ، في نسبة الصاحبة والولد إليه ، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به ، علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله فى ذلك قال الطبري : وإنما أنكر هؤلاء النفر من الجن أن تكون علمت أن أحدا يجترىء على الكذب على الله ، لما سمعت القرآن ، لأنهم قبل أن يسمعوه وقبل أن يعلموا تكذيب الله للزاعمين لله الصاحبة والولد ، كانوا يحسبون أن إبليس صادق ، فلما سمعوا القرآن أيقنوا أنه كان كاذبا في ذلك فسموه سفيها

[وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن] أي كان خلائق من الإنس يستجيرون برجال من الجن

[فزادوهم رهقا] أي فزاد الإنس الجن باستعاذتهم بهم ، إثما وطغيانا ، وعتوا وضلالا ، قال أبو السعود : كان الرجل إذا أمسى في واد قفر ، وخاف على نفسه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال : اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه -يريد الجن وكبيرهم -فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا : سدنا الإنس والجن ، فزاد الرجال الجن تكبرا وعتوا ، فذلك قوله [فزادوهم رهقا]

[وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا] أي وأن كفار الإنس ظنوا كما ظننتم يا معشر الجن ، أن الله لن يبعث أحدا بعد الموت ، فقد أنكروا البعث كما أنكرتموه أنتم ((هذا هو الظاهر من سياق الآيات أنه من كلام الجن لقومهم وهو اختيار الطبري ، واختار بعض المفسرين أنه من الوحي الذي أوحاه الله إلى رسوله وأن المعنى : وأن الجن كانوا ينكرون البعث كإنكاركم يا معشر قريش ، فلما سمعوا القرآن اهتدوا ، فهلا اهتديتم ؟)).

[وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا] يقول الجن : وأنا طلبنا بلوغ السماء لاستماع كلام أهلها ، فوجدناها قد ملئت بالملائكة الكثيرين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذين يحرسونها ، وبالشهب المحرقة التي تقذف من يحاول الاقتراب منها

[وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع] أي كنا قبل بعثة محمد نطرق السماء ، لنستمع إلى أخبارها ونلقيها إلى الكهان

[فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا] أي فمن يحاول الآن استراق السمع ، يجد شهابا ينتظره بالمرصاد ، يحرقه ويهلكه

[وأنا لا ندري أشر أريد بمن فى الأرض] اي لا نعلم نحن معشر الجن ما الله فاعل بسكان الأرض ، ولا نعلم هل امتلاء السماء بالحرس والشهب لعذاب يريد الله أن ينزله بأهل الأرض ؟

[أم أراد بهم ربهم رشدا] أي أم لخير يريده الله بهم ، بأن يبعث فيهم رسولا مرشدا يرشدهم إلى الحق ؟ وهذا من أدب الجن حيث نسبوا الخير إلى الله ، ولم ينسبوا الشر إليه فقالوا [أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا] ؟ قال ابن كثير : وقد كانت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكواكب لا يرمى بها قبل ذلك ، وهذا هو الذي حملهم على تطلب السبب ، فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها ، فرأوا رسول الله (ص) يقرأ . بأصحابه في الصلاة ، فعرفوا أن هذا هو الذي حفظت من أجله السماء ، فدنوا منه حرصا على سماع القرآن ، ثم أسلموا

[وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك] أي منا قوم صالحون أبرار ، عاملون بما يرضى الجبار ، ومنا قوم ليسوا صلحاء ، قال في التسهيل : وأرادوا بقولهم [دون ذلك] أي الذين ليس صلاحهم كاملا ، أو الذين ليس لهم صلاح

[كنا طرائق قددا] أي كنا فرقا شتى ، ومذاهب مختلفة ، فمنا الصالح ومنا الطالح ، وفينا التقى والشقى

[وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا] أي علمنا وأيقنا أن الله قادر علينا ، وأننا في قبضته وسلطانه أينما كنا ، لن نعجزه بهرب ، ولن نتفلت من عقابه إذا أراد بنا سوءا ، قال القرطبي : أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

علمنا بالاستدلال والتفكر في ايات الله ، أننا في قبضته وسلطانه ، لن نفوته بهرب ولا غيره . . ثم عادوا إلى شكر الله تعالى على نعمة الإيمان ، واهتدائهم بسماع آيات القرآن ، فقالوا

[وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به] اي لما سمعنا القرآن العظيم ، آمنا به وبمن أنزله ، وصدقنا محمدا (ص) ، فى رسالته

[فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا] أي فمن يؤمن بالله تعالى ، فلا يخشى نقصانا من حسناته ، ولا ظلما بزيادة سيئاته ، قال ابن عباس : لا يخاف أن ينقص من حسناته ، ولا أن يزاد فى سيئاته ، لأن البخس النقصان ، والرهق العدوان

[وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون] أي وإنا بعد سماعنا القرآن ، منا من أمن ، وصدق برسالة محمد (ص) ، ومنا من جار عن الحق وكفر ، قال المفسرون : يقال قسط الرجل إذا جار ، وأقسط إذا عدل ، واسم الفاعل من الأول قاسط ، ومن الثاني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقسط ، ومنه قوله تعالى [أن الله يحب التوابين ويحب المقسطين] وأما القاسط فهو الظالم الجائر

[فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا] أي فمن اعتنق الإسلام واتبع الرسول عليه السلام ، فأولئك الذين قصدوا الرشد ، واهتدوا إلي طريق ا لسعادة والنجاة

[وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا] أي وأما الكافرون الجائرون عن طريق الحق والإيمان ، فسيكونون وقودا لجهنم ، توقد بهم كما توقد بكفار الإنس . . وإلى هنا انتهى كلام الجن ، مما يدل على قوة إيمانهم ، وصدقهم وإخلاصهم ((هذا هو قول الجمهور ، وأن الكلام بعده من كلام الله تعالى الذي أوحاه لرسوله لا من كلام الجن ، فالله يخبر أن البشر ، لو استقاموا على شريعة الله ، لأغدق عليهم الخيرات والنعم ، ولكنهم كفروا فحرموا نعمة الله وفضله)) ثم قال تعالى مخبرا عن أهل مكة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأن لو استقاموا على الطريقة] أي لو آمن هؤلاء الكفار ، واستقاموا على شريعة الله

[لأسقيناهم ماء غدقا] أي لبسطنا لهم في الرزق ، ووسعنا عليهم في الدنيا ، زيادة على ما يحصل لهم في الآخرة فى توسيع الرزق ، والمراد بالطريقة : طريقة الإسلام وطاعة الله والمعنى : لو استقاموا على ذلك ، لوسع الله أرزاقهم ، فهو كقوله تعالى [ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض]

[لنفتنهم فيه] أي لنختبرهم به أيشكرون أم يكفرون ؟

[ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا] أي ومن يعرض عن طاعة الله وعبادته ، يدخله ربه عذابا شديدا شاقا ، لا راحة فيه ، قال قتادة : [صعدا] عذابا لا راحة فيه . وقال عكرمة : وهو صخرة ملساء فى جهنم ، يكلف صعودها ، فإذا انتهى إلى أعلاها ، حدر إلى جهنم

[وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا] هذا من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جملة الموحى به للرسول [قل أوحي إلى] والمعنى : وأوحى إلى أن المساجد وبيوت العبادة ، هي مختصة بالله فلا تعبدوا فيها غيره ، وأخلصوا له العبادة فيها ، قال مجاهد : كان اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم ، أشركوا بالله فيها ، فأمر الله عز وجل نبيه والمؤمنين ، أن يخلصوا الدعوة لله إذا دخلوا المساجد كلها

[وأنه لما قام عبد الله يدعوه] أى وأنه لما قام محمد (ص) يعبد ربه

[كادوا يكونون عليه لبدا] أي كاد الجن يركب بعضهم بعضا ، من شدة الازدحام ، حرصا على سماع القرآن ، قال ابن عباس : كادوا ينقضون عليه لاستماع القرآن ، وإنما وصفه تعالى بالعبودية " عبد الله " ولم يذكره باسمه زيادة في تشريفه وتكريمه عليه السلام

[قل إنما أدعوا ربى ولا أشرك به أحدا] أي قل يا محمد لهؤلاء الكفار ، الذين طلبوا منك أن ترجع عن دينك : إنما أعبد ربي وحده ، ولا أشرك مع الله غيره

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، بشرا ولا صنما ، قال الصاوي : سبب نزولها أن كفار قريش قالوا له : إنك جئت بأمر عظيم ، وقد عاديت الناس كلهم ، فارجع عن هذا الدين ، فنحن نجيرك وننصرك فنزلت

[قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا] أي قل يا أيها الرسول في محاجة هؤلاء : إني لا أقدر أن أدفع عنكم ضرا ، ولا أجلب لكم نفعا ، وإنما الذي يملك هذا هو الله رب العالمين

[قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا] أي قل لهم أيضا : إنه لن ينقذني من عذاب الله أحد إن عصيته ، ولن أجد لى نصيرا ولا ملجأ منه ، فكيف أجيبكم إلى ما طلبتم ؟ قال قتادة : [ملتحدا] ملجأ ونصيرا

[إلا بلاغا من الله ورسالاته] أى لا أجد ملجأ إلا إذا بلغت رسالة ربي ، ونصحتكم وأرشدتكم كما أمرني الله ، فحينئذ يجيرنى ربي من العذاب ، كقوله تعالى [يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تفعل فما بلغت رسالته] قال ابن كثير : أي لا يجيرني منه تعالى ويخلصني ، إلا إبلاغي الرسالة التى أوجب أداءها على

[ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا] أي ومن كفر بالله ورسوله ، ولم يؤمن بلقاء الله ، وأعرض عن سماع الآيات وتدبر الرسالات ، فإن جزاءه جهنم لا يخرج منها أبدا ، وإنما جمع

[خالدين] حملا على معنى [من] لأن لفظها مفرد ومعناها جمع

[حتى إذا رأوا ما يوعدون] أي حتى إذا رأى المشركون ما يوعدون من العذاب

[فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عدا] أي فسيعلمون حينئذ من هم أضعف ناصرا ومعينا ، وأقل نفرا وجندا ؟ هل هم ؟ أم المؤمنون الموحدون ؟ ولا شك أن الله ناصر عباده المؤمنين ، فهم الأقوى ناصرا والأكثر عددا لأن الله معهم وملائكته الأبرار

[قل إن أدري أقريب ما توعدون] أي قل لهم يا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محمد : ما أدري هل هذا العذاب الذي وعدتم به قريب زمنه

[أم يجعل له ربي أمدا] أي أم هو بعيد له مدة طويلة وأجل محدود ؟ قال المفسرون : كان (ص) كلما خوف المكذبين نار جهنم ، وحذرهم أهوال الساعة ، أظهروا الاستخفاف بقوله ، وسألوه متى هذا العذاب ؟ ومتى تقوم هذه الساعة ؟ فأمره تعالى أن يقول لهم : لا أدري وقت ذلك ، هل هو قريب أم بعيد ؟

[عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا] أي هو جل وعلا عالم بما غاب عن الأبصار ، وخفي عن الأنظار ، فلا يطلع على غيبه أحدا من خلقه

[إلا من ارتضى من رسول] أي إلا من اختاره الله وارتضاه لرسالته ونبوته ، فيظهره الله على ما يشاء من الغيب ، قال المفسرون : لا يطلع الله على غيبه أحدا إلا بعض الرسل ، فإنه يطلعهم على بعض الغيب ، ليكون معجزة لهم ، فإن الرسل مؤيدون بالمعجزات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، ومنها الإخبار عن بعض الغيبيات ، كما قال عن
عيسى [وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم]
[فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا] أي فإنه
تعالى يرسل من أمام الرسول ومن خلفه ، ملائكة
وحرسا يحفظونه من الجن ويحرسونه في ضبط ما
يلقيه تعالى إليه من علم الغيب قال الطبري : أي فإنه
تعالى يرسل من أمامه ومن خلفه حرسا وحفظة ،
يحفظونه من الجن)
[ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم] أي ليعلم الله -
علم ظهور فإنه تعالى عالم بما كان وما يكون - أن
رسله الكرام قد بلغوا عنه وحيه ، كما أوحاه إليهم
محفوظا من الزيادة والنقصان ، قال ابن كثير :
المعنى : أن الله يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من آداء
رسالاته ، ويحفظ ما ينزله إليهم من الوحي ، ليعلم أن
قد أبلغوا رسالات ربهم ، مع العلم بأنه تعالى يعلم
الأشياء قبل كونها قطعا لا محالة ((قال المفسرون :
ما جاء في القرآن من تعليل لعلم الله كقوله : {إلا لنعلم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من يتبع الرسول } وقوله : {وليعلم الله الذين آمنوا ويتخد منكم شهداء} فإنما هو علم ظهور لا علم بداء ، فإنه تعالى عالم بالأشياء أزلا وإنما يظهر علمه لعباده ، فيكشف لهم المستور ، والله جل وعلا عالم بالأمور قبل حدوثها))

[وأحاط بما لديهم] أي أحاط علمه بما عند الرسل ، فلا يخفى عليه شيء من أمورهم

[وأحصى كل شيء عددا] أي علم تعالى علم ضبط واستقصاء جميع الأشياء ، المنبثة في الأرضين والسموات ، من القطر ، والرمل ، وورق الأشجار ، وزبد البحار ، فلا يغيب عنه شيء ، ولا يخفى عليه أمر ، فكيف لا يحيط علما بما عند رسله من رسالاته ووحيه ، التي أمرهم بتبليغها إلى خلقه ؟ وكيف يمكن لرسله أن يفرطوا في تلك الرسالات ، أو يزيدوا أو ينقصوا ، أو يحرفوا فيها أو يغيروا ، وهو تعالى محيط بها ، محص لجميع الأشياء جليلها وحقيرها ؟ كما قال سبحانه [وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين] ، فعلمه تعالى محيط بكل ما في الكون !

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البلاغة والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الوصف بالمصدر للمبالغة [قرأنا عجبا] أي عجيبا فى حسن إيجازه ، وروعة إعجازه .

2 - طباق السلب [فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا] لأن الإيمان نفي للشرك .

3 - جناس الاشتقاق [نقعد منها مقاعد للسمع] لما بين اللفظتين من الاشتقاق اللطيف .

4 - الأسلوب الرفيع بنسبة الخير إلى الله ، دون الشر أدبا مع الخالق [وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا] ؟ وبين لفظ " الشر " و " الرشد " طباق في المعنى .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

5 - الطباق بين [الإنس . . والجن] وبين [ضرا . . . ورشدا] وبين [المسلمون والقاسطون] .

6 - الاستعارة اللطيفة [كنا طرائق قددا] استعار الطرائق للمذاهب المختلفة ، وهذا من لطيف الاستعارة .

---

7 - توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات مثل [أحدا ، ولدا ، رصدا ، رشدا ، صدا ، عددا] إلخ وهو ما يسمى في علم البديع بالسجع المرصع ، والله أعلم .

سورة المزمل

مكية وآياتها عشرون آية

بين يدي السورة

* سورة المزمل مكية ، وهي تتناول جانبا من حياة الرسول الأعظم (ص) ، في تبتله ، وطاعته ، وقيامه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الليل ، وتلاوته لكتاب الله عز وجل ، ومحور السورة يدور حول الرسول (ص) ، ولهذا سميت " سورة المزمل " .

* ابتدأت السورة الكريمة بنداء الرسول (ص) ، نداء شفيفا لطيفا ، ينم عن لطف الله عز وجل ، ورحمته بعبده ورسوله محمد (ص) ، الذي كان يجهد نفسه في عبادة الله ابتغاء مرضاته [يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا ، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا] .

* ثم تناولت السورة موضوع ثقل الوحي الذي كلف الله به رسوله ، ليقوم بتبليغه للناس بجد ونشاط ، ويستعين على ذلك بالاستعداد الروحي باحياء الليل في العبادة [إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا إن لك في النهار سبحا طويلا] .

* وأمرت الرسول (ص)بالصبر على أذى المشركين ، وهجرهم هجرا جميلا إلى أن ينتقم الله منهم [واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا] .

* ثم توعد الله المشركين بالعذاب والنكال يوم القيامة ، حيث يكون فيه من الهول والفزع ، ما يشيب له رءوس الولدان [إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا . .] الآيات .

* ثم تحدثت السورة الكريمة ، عن موقف المشركين من دعوة الرسول (ص) وقد جاءهم بالخير والهدى ، فعاندوه وكذبوه ، ووقفوا في وجه الدعوة ، يريدون إطفاء نور الله ، فأنذرهم بالعذاب الشديد ، وضرب لهم المثل بفرعون الطاغية الجبار ، الذي بعث الله إليه نبيه موسى ، فعصاه وكذب برسالته ، وما كان من عاقبة أمره فى الهلاك والدمار ، تحذيرا للكفار من أهل مكة ، أن يحل بهم مثل ذلك العذاب [إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصي فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا . .] الآيات .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* وختمت السورة الكريمة بتخفيف الله عن رسوله وعن المؤمنين من قيام الليل ، رحمة به وبهم ، ليتفرغ الرسول وأصحابه لبعض شئون الحياة [إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك . .] إلى قوله : [وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم

قال الله تعالى : [يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا..] إلى قوله [واستغفروا الله إن الله غفور رحيم] . من آية (1) إلى آية (20) نهاية السورة الكريمة .

اللغة :

[المزمل] المتلفف بثيابه يقال : تزمل بثوبه أي التف به وتغطى ، وزمل غيره إذا غطاه ، قال امرؤ القيس : كبير أناسب في بجاد مزمل

[سبحا] تصرفا وتقلبا فى مهماتك ، وأصل السبح العوم على وجه الماء ، واستعير للتصرف والتقلب في شئون الحياة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أنكالا] جمع نكل وهو القيد الثقيل الذي يقيد به المجرم

[كثيبا] الكثيب : الرمل الكثيف المجتمع

[مهيلا] سائلا متناثرا منهارا ، قال أهل اللغة : المهيل الذي إذا وطأته بالقدم زل من تحتها ، وإذا أخذت أسفله انهال ، وأصله مهيول كمكيل أصله مكيول

[وبيلا] عظيما شديدا ، وخيم العاقبة .

التفسير :

[يا أيها المزمل] أي يا أيها المتلفف بثيابه ، وأصله المتزمل وهو الذي تلفف وتغطى ، وخطابه ، بهذا الوصف [يا أيها المزمل] فيه تأنيس وملاطفة له عليه السلام ، قال السهيلي : إن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك معاتبته ، سموه باسم مشتق من حالته التى هو عليها كقول النبى (ص) ، لعلي - حين غاضب فاطمة وقد نام ولصق بجنبه التراب - قم أبا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تراب ، إشعارا بأنه ملاطف له ، وغير عاتب عليه ، والفائدة الثانية ؟ التنبيه لكل متزمل راقد ليله ، ليتنبه إلى قيام الليل ، وذكر الله تعالى ، لأن الاسم المشتق من الفعل ، يشترك فيه المخاطب ، وكل من اتصف بتلك الصفة ، وسبب هذا التزمل ، ما روي في الصحيح أن رسول الله (ص) ، لما جاءه جبريل وهو في غار حراء - في ابتداء الوحي - رجع إلى خديجة يرجف فؤاده فقال : زملوني ، زملوني ، لقد خشيت على نفسي ، وأخبرها بما جرى ، فنزلت [يا أيها المزمل] أي يا أيها الذي تلفف بقطيفته ، واضطجع في زاوية بيته ، وقد أشبه من يؤثر الراحة والسكون ، ويحاول التخلص مما كلف به من مهمات الأمور [قم الليل إلا قليلا] أي دع التزمل والتلفف ، وأنشط لصلاة الليل ، والقيام فيه ساعات ، في عبادة ربك ، لتستعد للأمر الجليل ، والمهمة الشاقة ، ألا وهي تبليغ دعوة ربك للناس ، وتبصيرهم بالدين الجديد . . ثم وضح المقدار الذي ينبغي أن يصرفه الرسول في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عبادة الله ، فقال سبحانه

[نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه] أي قم للصلاة والعبادة نصف الليل ، أو أقل من النصف قليلا ، أو أكثر من النصف ، والمراد أن تكون هذه الساعات طويلة ، بحيث لا تقل عن ثلث الليل ، ولا تزيد على الثلثين ، قال ابن عباس : إن قيام الليل كان فريضة على رسول الله (ص) لقوله [قم الليل] ثم نسخ بقوله تعالى [فاقرءوا ما تيسر منه] وكان بين أول هذا الوجوب ونسخه سنة((وانما كلف رسول الله (ص) وأصحابه بقيام الليل ، ليكون ذلك حافزا لهم على الاستعداد الكامل لمجابهة خصوم الدعوة ، وتربية اصحابه التربية الجسمية والروحية على أكمل الوجوه ، حتى يصبروا على تحمل المشاق والمصاعب ، وتجشم الأهوال والأخطار ، ويستفيدوا من هذه التربية الكريمة ما يجعلهم يتغلبون على كل أمر عسير يعرض لهم ، وقد كان من أثر هذه " التربية الروحية " أن ملك المسلمون مشارق الأرض ومغاربها بجهادهم وصبرهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتحملهم للأذى في سبيل الله)) وهذه هي السورة التي نسخ آخرها أولها ، حيث رحم الله المؤمنين ، فأنزل التخفيف عليهم بقوله [إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك] ثم قال تعالى

[ورتل القرآن ترتيلا] أي أقرا القرآن أثناء قيامك في الليل ، قراءة تثبت وتؤدة وتمهل ، ليكون عونا لك على فهم القرآن وتدبره ، قال الخازن : لما أمره تعالى بقيام الليل أتبعه بترتيل القرآن ، حتى يتمكن المصلى من حضور القلب ، والتفكر والتأمل في حقائق الآيات ومعانيها ، فعند الوصول إلى ذكر الله ، يستتشعر بقلبه عظمة الله وجلاله ، وعند ذكر الوعد والوعيد ، يحصل له الرجاء والخوف ، وعند ذكر القصص والامتثال ، يحصل له الاعتبار ، فيستتير القلب بنور معرفة الله ، والإسراع في القراءة يدل على عدم الوقوف على المعانى ، فظهر بذلك أن المقصود من الترتيل ، إنما هو حضور القلب عند القراءة ، وقد كان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسول الله (ص)يقطع القراءة حرفا حرفا - أي يقرأ القرآن بتمهل ، ويخرج الحروف واضحة ، لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ . . ثم بعد أن أمره تعالى باطراح النوم ، وقيام الليل ، وتدبر القرآن وتفهمه ، انتقل إلى بيان السبب في هذه الأوامر الثلاثة ، ذات التكليف الصعب الشاق ، فقال سبحانه

[إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا] أي سننزل عليك يا محمد كلاما عظيما جليلا ، له هيبة وروعة وجلال ، لأنه كلام الملك العلام ، قال الإمام الفخر : والمراد من كونه ثقيلا هو عظم قدره ، وجلالة خطره ، وكل شيء نفس وعظم خطره فهو ثقيل ، وهذا معنى قول ابن عباس [قولا ثقيلا] يعني كلاما عظيما ، وقيل المراد ما فى القرآن من الأوامر والنواهى ، التى هي تكاليف شاقة ، ثقيلة على المكلفين ، ووجه النظم عندي أنه لما أمره بصلاة الليل فكأنه قال : إنما أمرتك بصلاة الليل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، لأنا سنلقى عليك قولا عظيما ، ولابد أن تجعل نفسك مستعدة لذلك القول العظيم ، وذلك بصلاة الليل ، فإن الإنسان إذا اشتغل بعبادة الله في الليلة الظلماء ، وأقبل على ذكره والتضرع بين يديه ، استعدت نفسه لإشراق جلال الله فيها أقول : وهذا المعنى لطيف فى الربط بين قيام الليل ، وتلاوة القرآن ، فإن الله تعالى كلف رسوله أن يدعو الناس إلى دين جديد ، فيه تكاليف شاقة على النفس ، وأن يكلفهم العمل بشرائعه وأحكامه ، ولا شك أن مثل هذا التكليف ، يحتاج إلى مجاهدة للنفس ومصابرة ، لما فيه من حملهم على ترك ما ألفوه من العقائد ، ونبذ ما ورثوه من أسلافهم من العادات ، فالرسول (ص) معرض لمتاعب كثيرة ، وأخطار جمة فى سبيل هذه الدعوة ، وحمل الناس على قبولها!! فكيف يمكنك يا محمد أن تقوم بهذه المهمة الكبيرة ، وأنت على ما أنت عليه من التزمل والتلفف ، والخلود إلى الراحة والسكون ، والبعد عن المشاق ، ومجاهدة النفس بطول العبادة وكثرة التهجد ، ودراسة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آيات القرآن دراسة تفهم وتدبر ؟ فانشط من مضجعك إذا ، واسهر معظم ليلك في مناجاة ربك ، استعدادا لتحمل مشاق الدعوة ، والتبشير بهذا الدين الجديد! !

ويا لها من لفتة كريمة ، تيقظ لها قلب النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ، فشمر عن ساعد الجد والعمل ، وقام بين يدي ربه حتى تشققت قدماه . . ثم بين تعالى فضل إحياء الليل بالعبادة ، فقال سبحانه

[إن ناشئة الليل] أي إن ساعات الليل وأوقاته ، التي فيها التفرغ والصفاء ، وما ينشئه المرء ويحدثه من طاعة وعبادة ، يقوم لها من مضجعه بعد هدأة من الليل

[هي أشد وطئا] أي هي أشد على المصلى وأثقل من صلاة النهار ، لأن الليل جعل للنوم والراحة ، فقيامه على النفس أشد وأثقل ، ومن شأن هذه الممارسة الصعبة أن تقوى النفوس ، وتشد العزائم ، وتصلب الأبدان ، ولا ريب أن مصاولة الجاحدين أعداء الله ، تحتاج إلى نفوس قوية ، وأبدان صلبة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأقوم قيلا] أي وأثبت وأبين قولا ، لأن الليل تهدأ فيه الأصوات ، وتنقطع فيه الحركات ، فتكون النفس أصفى ، والذهن أجمع ، فإن هدوء الصوت في الليل ، وسكون البشر فيه ، أعون للنفس على التدبر والتفطن ، والتأمل في أسرار القرآن ومقاصده

[إن لك في النهار سبحا طويلا] أي إن لك فى النهار تصرفا وتقلبا ، واشتغالا طويلا في شئونك ، فاجعل ناشئة الليل ، لتهجدك وعبادتك ، قال فى التسهيل : السبح هنا عبارة عن التصرف فى الأعمال والأشغال ، والمعنى : يكفيك النهار للتصرف في أشغالك ، وتفرغ بالليل لعبادة ربك . . وبعد أن قرر تعالى في هذا (الخطاب الإلهى) هذه المقدمات التي هي بمثابة تمهيد وبساط للدعوة ، انتقل إلى أمر الرسول (ص) بتبليغ الدعوة ، وتعليمه كيفية السير فيها عملا ، بعد أن مهدها له نظرا فقال

[واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا] أي استعن على دعوتك بذكر الله ليلا ونهارا ، وانقطع إليه انقطاعا تاما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في عبادتك وتوكلك عليه ، ولا تعتمد فى شأن من شئونك على غيره تعالى ، قال ابن كثير : أي أكثر من ذكره وانقطع إليه جل وعلا ، وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك مع إخلاص العبادة له

[رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا] أي هو جل وعلا الخالق المتصرف بتدبير شئون الخلق ، وهو المالك لمشارق الأرض ومغاربها ، لا إله غيره ولا رب سواه ، فاعتمد عليه وفوض أمورك إليه

[واصبر على ما يقولون] أي اصبر على أذى هؤلاء السفهاء المكذبين ، فيما يتقولونه عليك من قولهم : " ساحر ، شاعر ، مجنون " فإن الله ناصرك عليهم

[واهجرهم هجرا جميلا] أي اتركهم ولا تتعرض لهم بأذى ولا شتيمة ، قال المفسرون : الهجر الجميل هو الذي لا عتاب معه ، ولا يشوبه أذى ولا شتم ، وقد كان هذا قبل أن يؤمر بالقتال ، كما قال سبحانه [وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم] ثم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمر ، بقتالهم وقتلهم ، والحكمة فى هذا أن المؤمنين كانوا بمكة قلة مستضعفين ، فأمروا بالصبر وبالمجاهدة الليلية ، حتى يعدوا أنفسهم بهذه التربية الروحية على مناجزة الأعداء ، وحتى يكثر عددهم ، فيعفوا في وجه الطغيان ، أما قبل الوصول إلى هذه المرحلة ، فينبغى الصبر والاقتصار على الدعوة باللسان . . . ثم قال تعالى متوعدا ومتهددا صناديد قريش

[وذرنى والمكذبين أولي النعمة] أي دعني يا محمد وهؤلاء المكذبين بآياتى ، أصحاب الغنى ، والتنعم في الدنيا ، والترف والبطر ، فأنا أكفيك شرهم ، قال الصاوي : المعنى اتركني انتقم منهم ، ولا تشفع لهم ، وهذا من مزيد التعظيم له (ص) ، وإجلال قدره

[ومهلهم قليلا] أي وأمهلهم زمنا يسيرا حتى ينالوا العذاب الشديد ، قال المفسرون : أمهلهم الله تعالى إلى أن هاجر رسول الله (ص) من مكة ، فلما خرج منها سلط عليهم السنين المجدبة ، وهو العذاب العام ، ثم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قتل صناديدهم ببدر وهو العذاب الخاص . . ثم وصف تعالى ما أعده لهم من العذاب في الآخرة ، فقال سبحانه

[إن لدينا أنكالا وجحيما] أي إن لهم عندنا في الآخرة ، قيودا عظيمة ثقيلة ، يقيدون بها ، ونارا مستعرة هي نار الجحيم يحرقون بها ، قال في التسهيل : الأنكال جمع نكل وهو القيد من الحديد ، وروي أنها قيود سود من نار

[وطعاما ذا غصة] أي وطعاما كريها غير سائغ ، يغص به الإنسان وهو (الزقوم) و(الضريع) قال ابن عباس : شوك من نار يعترض في حلوقهم ، لا يخرج ولا ينزل

[وعذابا أليما] أي وعذابا وجيعا مؤلما ، زيادة على ما ذكر من النكال والأغلال . . ثم ذكر تعالى وقت هذا العذاب ، فقال سبحانه

[يوم ترجف الأرض والجبال] أي يوم تتزلزل الأرض وتهتز بمن عليها ، اهتزازا عنيفا شديدا هي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسائر الجبال ، وذلك يوم القيامة
[وكانت الجبال كثيبا مهيلا] أي وتصبح الجبال على صلابتها ، تلا من الرمل سائلا متناثرا ، بعد أن كانت صلبة جامدة ، قال ابن كثير : أي تصير الجبال ككثبان الرمال ، بعد أن كانت حجارة صماء ، ثم إنها تنسف نسفا فلا يبقى منها شيء إلا ذهب كقوله تعالى
[ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا] أي لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع . . ذكر تعالى العذاب المؤلم الذي أعده للمشركين ، ومكانه وهو الجحيم ، وآلاته وهي القيود وطعام الزقوم ، ووقته وهو عند اضطراب الأرض وتزلزلها بمن عليها ، وأراد بذلك تخويف المكذبين وتهديدهم ، بأنه تعالى سيعاقبهم بذلك كله ، إن بقوا مستمرين في تكذيبهم لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، ثم أعقبه بتذكيرهم بما حل بالأمم الباغية ، التي قد خلت من قبلهم ، وكيف عصت وتمردت فأنزل الله بها من أمره ما أنزل ، وضرب لهم المثل بفرعون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجبار ، فقال سبحانه

[إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم] أي بعثنا لكم يا أهل مكة (محمدا)(ص)شاهدا على أعمالكم ، يشهد عليكم بما صدر منكم من الكفر والعصيان

[كما أرسلنا إلى فرعون رسولا] أي كما بعثنا إلى ذلك الطاغية فرعون الجبار ، رسولا من أولئك الرسل العظام أولي العزم " وهو (موسى بن عمران) ، قال الخازن : دائما خص فرعون وموسى بالذكر من بين سائر الأمم والرسل ، لأن محمدا (ص) ، آذاه أهل مكة ، واستخفوا به لأنه ولد فيهم ، كما أن فرعون ازدرى بموسى وآذاه لأنه رباه ،

[فعصى فرعون الرسول] أي فكذب فرعون بموسى ولم يؤمن به ، وعصى أمره كما عصيتم يا معشر قريش محمدا (ص) ، وكذبتم برسالته

[فأخذناه أخذا وبيلا] أي فأهلكناه إهلاكا شديدا فظيعا ، خارجا عن حدود التصور ، وذلك بإغراقه في البحر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مع قومه ، قال أبو السعود : وفى الآية التنبيه على أنه سيحيق بهؤلاء ، ما حاق بأولئك لا محالة ، و " الوبيل " الثقيل الغليظ ، من قولهم : كلا وبيل أي وخيم لا يستمر لثقله . . وبعد أن ذكر الله أخذه لفرعون ، وأن ملكه وجبروته لم يدفعا عنه العذاب ، عاد فذكر كفار مكة بالقيامة وأهوالها ، ليبين لهم أنهم لن يفلتوا من العذاب ، كما لم يفلت فرعون مما حدث له ، فقال سبحانه

[فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا] أي كيف لا تحذرون وتخافون يا معشر قريش ، عذاب يوم هائل إن كفرتم بالله ، ولم تؤمنوا به ؟ وكيف تأمنون ذلك اليوم الرهيب الذي يشيب فيه الوليد من شدة هوله ، وفظاعة أمره ؟ قال الطبري : وإنما تشيب الولدان من شدة هوله وكربه ، وذلك حين يقول الله لآدم : (أخرج من ذريتك بعث النار ، من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، فيشيب هنالك كل وليد) . . ثم زاد فى وصفه وهوله فقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[السماء منفطر به] أي السماء متشققة ومتصدعة من هول ذلك اليوم الرهيب العصيب

[كان وعده مفعولا] أي كان وعده تعالى بمجيء ذلك اليوم ، واقعا لا محالة ، لأن الله لا يخلف الميعاد

[إن هذه تذكرة] أي إن هذه الآيات المخوفة ، التي فيها القوارع والزواجر ، عظة وعبرة للناس

[فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا] أي فمن شاء من الغافلين الناسين ، أن يستفيد من هذه التذكرة ، قبل فوات الأوان ، فليسلك طريقا موصلا إلى الرحمن ، بالإيمان والطاعة ، فالأسباب ميسرة ، والسبل معبدة ، قال المفسرون : والغرض الحض على الإيمان وطاعة الله عز وجل ، وللترغيب في الأعمال الصالحة ، لتبقى ذخرا فى الآخرة . . ثم عادت الآيات الكريمة للحديث عما بدأته في أول السورة من قيام الليل فقال تعالى

[ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك] أي إن ربك يا محمد يعلم أنك تقوم مع أصحابك للتهجد والعبادة أقل من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثلثي الليل ، وتارة تقومون نصفه ، وتارة ثلثه كقوله تعالى [كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون] ((الآية نص صريح على أن قيام الليل كان واجبا على الرسول وعلى أصحابه ، وقد كلفوا أن يقوموا ساعات من الليل طويلة ، لا تقل على ثلثه ، ولا تزيد على ثلثيه ، فإن قيام الليل واحياءه بأنواع الطاعات المختلفة ، من ذكر ، وصلاة ، وتلاوة قرآن ، يقوي أبدانهم ، ويزكى أرواحهم ، ويعودهم الخشونة فى العيش ، واجتناب ما عليه المترفون من الراحة والرخاوة والانغماس في الملذات ، كلفهم الله تعالى بذلك ليعدهم إعدادا روحيا وجسميا للقيام بأعباء الدعوة الجديدة ، وتحمل المشاق فى سبيل نشر هذا الدين ، ويا لها من تربية كريمة مجيدة ، تنشىء الرجال والأبطال ! !

[والله يقدر الليل والنهار] أي والله جل وعلا هو العالم بمقادير الليل والنهار ، وأجزائهما وساعاتهما ، لا يفوته علم ما تفعلون من قيام هذه الساعات ، فى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غلس الظلام ابتغاء رضوانه ، وهو تعالى المدبر لأمر الليل والنهار

[علم أن لن تحصوه فتاب عليكم] أي علم تعالى أنكم لن تطيقوا قيام الليل كله ولا معظمه ، فرحمكم ورجع عليكم بالتخفيف ، قال الطبري : أي علم ربكم أن لن تطيقوا قيامه ، فتاب عليكم بالتخفيف عنكم

[فاقرءوا ما تيسر من القرآن] أي فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل ، وإنما عبر عن الصلاة بالقراءة ، لأن القراءة أحد أجزاء الصلاة ، قال ابن عباس : سقط عن أصحاب رسول الله (قيام الليل) وصارت تطوعا ، وبقي ذلك فرضا على رسول الله (ص) . . ثم بين تعالى الحكمة في هذا التخفيف ، فقال سبحانه

[علم أن سيكون منكم مرضى] أي علم تعالى أنه سيوجد فيكم ، من يعجزه المرض عن قيام الليل ، فخفف عنكم رحمة بكم

[وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله] أي وقوم آخرون يسافرون في البلاد للتجارة ، يطلبون الرزق ، وكسب المال الحلال

[وآخرون يقاتلون فى سبيل الله] أي وقوم آخرون وهم الغزاة المجاهدون ، يجاهدون في سبيل الله ، لإعلاء كلمته ونشر دينه ، وكل من هذه الفرق الثلاثة ، يشق عليهم قيام الليل ، فلذلك خفف الله عنهم . . ذكر تعالى في هذه الآية ، الأعذار التي تكون للعباد ، تمنعهم من قيام الليل ، فمنها المرض ، ومنها السفر للتجارة ، ومنها الجهاد في سبيل الله ، ثم كرر الأمر بقراءة ما تيسر من القرآن ، تأكيدا للتخفيف عنهم ، قال الإمام الفخر : أما المرضى فإنهم لا يمكنهم الاشتغال بالتهجد لمرضهم ، وأما المسافرون والمجاهدون فهم مشغولون في النهار بالأعمال الشاقة ، فلو لم يناموا في الليل ، لتوالت أسباب المشقة عليهم ، فلذلك خفف الله عنهم وصار وجوب التهجد منسوخا في حقهم

[فاقرءوا ما تيسر منه] أي فصلوا ما تيسر لكم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صلاة الليل ، ، واقرءوا في صلاتكم ما تيسر من القرآن

[وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة] أي وأدوا الصلاة المفروضة على الوجه الأكمل ، والزكاة الواجبة عليكم إلى مستحقيها ، قال المفسرون : قلما يذكر الأمر بالصلاة فى القرآن ، إلا ويقرن معه الأمر بالزكاة ، فإن الصلاة عماد الدين ، وهي صلة بين العبد وربه ، والزكاة كذلك عماد الدين ، وهي صلة بينه وبين إخوانه ، والصلاة أعظم العبادات البدنية ، والزكاة أعظم العبادات المالية

[وأقرضوا الله قرضا حسنا] أي تصدقوا في وجوه البر والإحسان ابتغاء وجه الله ، قال ابن عباس : يريد سائر الصدقات سوى الزكاة ، من صلة الرحم ، وقرئ الضيف وغيرهما

[وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله] أي أي شيء تفعلوه أيها الناس ، من وجوه البر والخير ، تلقوا أجره وثوابه عند ربكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[هو خيرا وأعظم أجرا] اي تجدوا ذلك الأجر والثواب يوم القيامة ، خيرا لكم مما قدمتم في الدنيا من صالح الأعمال ، فإن الدنيا فانية والآخرة باقية ، وما عند الله خير للأبرار

[واستغفروا الله] أى اطلبوا مغفرة الله في جميع أحوالكم ، فإن الإنسان قلما يخلو من تقصير أو تفريط

[إن الله غفور رحيم] أي عظيم المغفرة ، واسع الرحمة . . ختم تعالى السورة بارشاد المنفقين المحسنين ، إلى أن يطلبوا من الله الصفح والعفو ، إذ ربما كانوا لم يخلصوا النية فى الإنفاق ، أو لم يحسنوا العمل فى الاقراض ، فيضعوا النفقة في غير مواضعها ، أو ينفقوها فيما لهم فيه غرض وشهوة ، وهو ختم يتناسق مع موضوع الإنفاق ، ومع الإخلاص ، وصفاء النية ، وصدق الإيمان ، فسبحان منزل القرآن بأوضح بيان ! !

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نوجزها فيما يلي :

1 - الطباق بين [انقص منه . . أو زد عليه] وبين [المشرق . . والمغرب] وبين [الليل والنهار] .

2 - جناس الاشتقاق [أرسلنا إليكم رسولا] .

3 - تأكيد الفعل بالمصدر مثل [رتل القرآن ترتيلا] [وتبتل إليه تبتيلا] [فأخذناه أخذا وبيلا] زيادة في البيان والإيضاح .

---

4 - الالتفات من الغيبة إلى الخطاب [إنا أرسلنا اليكم رسولا] ولو جرى على الأصل لقال " إنا أرسلنا إليهم " ، والغرض من الالتفات : التقريع والتوبيخ علي عدم الإيمان .

5 - المجاز المرسل [فاقرءوا ما تيسر من القرآن] أراد به الصلاة ، فأطلق اسم الجزء على الكل ، لأن القراءة أحد أجزاء الصلاة ، وأهم أركانها .

6 - ذكر العام بعد الخاص [وما تقدموا لأنفسكم من خير] عمم بعد ذكر الصلاة ، والزكاة ، والإنفاق في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سبيل الله ، ليعم جميع الصالحات .

7 - الاستعارة التبعية [وأقرضوا الله قرضا حسنا] شبه الإحسان إلى الفقراء والمساكين ، بإقراض رب العالمين ، وهو من لطيف الاستعارة .

8 - السجع المرصع كأنه الدر والياقوت ، مثل قوله تعالى [إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما] ومثل قوله [وأقوم قيلا] [سبحا طويلا] [وتبتل إليه تبتيلا] فإن ذلك يزيد في جمال الكلام ، وروعة بيانه ! !

سورة المدثر

مكية وآياتها ست وخمسون آية

بين يدي السورة

* سورة المدثر مكية ، شأنها كسابقتها - سورة المزمل - تتحدث عن بعض جوانب شخصية الرسول الأعظم (ص) ، ولهذا سميت سورة المدثر .

* ابتدأت السورة الكريمة بتكليف الرسول بالنهوض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بأعباء الدعوة ، والقيام بمهمة التبليغ بجد ونشاط ، وإنذار الكفار ، والصبر إلى أذى الفجار ، حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه [يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر] .

* ثم توالت السورة تنذر وتهدد أولئك المجرمين ، بيوم عصيب شديد ، لا راحة لهم فيه ، لما فيه من الأهوال والشدائد فإذا نقر في الناقور ، فذلك يومئذ يوم عسير ، على الكافرين غير يسير] الآيات .

* وبعد ذلك البيان الذي يرتعد له الإنسان ، تحدثت السورة عن قصة ذلك الشقى الفاجر (الوليد بن المغيرة) الذي سمع القرآن ، وعرف أنه كلام الرحمن ، ولكنه في سبيل الزعامة وحب الرئاسة ، زعم أنه من قبيل السحر الذي تعارفه البشر [ذرني ومن خلقت وحيدا ، وجعلت له مالا ممدودا ، وبنين شهودا ، ومهدت له تمهيدا ، ثم يطمع أن أزيد ، كلا أنه كان لآياتنا عنيدا ، سأرهقه صعودا ، إنه فكر وقدر ، فقتل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كيف قدر . .] الآيات إلى قوله تعالى : [سأصليه سقر] .

* ثم تحدثت السورة عن النار التى أوعد الله بها الكفار ، وعن خزنتها الأشداء ، وزبانيتها الذين كلفوا بتعذيب أهلها ، وعددهم ، والحكمة من تخصيص ذلك العدد [وما أدراك ما سقر ، لا تبقى ولا تذر ، لواحة للبشر ، عليها تسعة عشر ، وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا . .] الآيات .

* وأقسمت السورة بالقمر وضيائه ، والصبح وبهائه ، على أن جهنم إحدى البلايا العظام [كلا والقمر ، والليل إذ أدبر ، والصبح إذا أسفر ، إنها لإحدى الكبر ، نذيرا للبشر ، لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر] .

* ثم تحدثت السورة عن الحوار الذي يجري بين المؤمنين والمجرمين ، وبينت سبب دخولهم الجحيم [إلا أصحاب اليمين ، في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر ، قالوا لم نك من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المصلين ، ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع الخائضين] الآيات .

* وختمت السورة ببيان سبب إعراض المشركين عن الإيمان ، ألا وهو إنكارهم للقيامة ، وللبعث والنشور [كلا بل لا يخافون الآخرة ، كلا إنه تذكرة ، فمن شاء ذكره ، وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة] .

قال الته تعالى : [يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر. .] إلى قوله [هو أهل التقوى وأهل المغفرة] .

من آية (1)إلى آية (56) نهاية السورة الكريمة .

اللغة :

[المدثر] المتغطي بثيابه ، تدثر : لبس الدثار وهو الثوب الذي فوق الشعار ، والشعار الثوب الذي يلى الجسد ، ومنه حديث : " الأنصار شعار ، والناس دثار "

[الناقور] الصور الذي ينفخ فيه ، والنقر في كلام العرب الصوت ، سمي ناقورا لأنه يخرج منه صوت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عظيم رهيب ، يفزع الناس منه ويموتون

[عبس] قطب بين عينيه

[بسر] كلح وجهه وتغير لونه ، قال الليث : عبس : إذا قطب ما بين عينيه ، فإن أبدى عن أسنانه في عبوسه قيل : كلح ، فإن اهتم فى الأمر وفكر فيه قيل : بسر ، فإن غضب مع ذلك قيل : بسل

[أسفر] أضاء وانكشف

[الكبر] الدواهي وعظائم المصائب والعقوبات ، قال الراجز : يا ابن المعلى نزلت إحدى الكبر داهية الدهر وصماء الغير

[قسورة] أسد ، من القسر وهو القهر ، سمي بذلك لأنه يقهر السباع ، وقيل هو جماعة الرماة الذين يتصيدون ، قال الأزهري : هو اسم جامع للرماة لا واحد له من جنسه ، قال لبيد : إذا ما هتفنا هتفة في ندينا أتانا الرجال الصائدون القساور

سبب النزول :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

روي أنه لما نزل قوله تعالى [عليها تسعة عشر] قال أبو جهل لقريش : ثكلتكم أمهاتكم ، إن ابن أبي كبشة - يعني محمدا(ص) - يتوعدنا ويخوفنا بجهنم ، ويخبر أن خزنة النار تسعة عشر ، وأنتم الجمع العظيم ؟ أيعجز كل عشرة منكم ، أن يبطشوا بواحد منهم ؟ ! فقال " أبو الأسد الجمحي " : أنا أكفيكم منهم سبعة عشر ، واكفوني انتم اثنين ، فأنزل الله تعالى : [وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا . .] الآية .

التفسير :

[يا أيها المدثر قم فأنذر] أي يا أيها المتغطي بقطيفته يريد النوم والراحة ، قم من مضجعك قيام عزم وتصميم ، وحذر الناس من عذاب الله إن لم يؤمنوا ، خوطب (ص)بهذا اللفظ " المدثر " مؤانسة له ، وتلطفا ، كما خوطب بلفظ [المزمل] في السورة السابقة ، قال المفسرون : كان (ص) يتعبد في غار حراء فجاءه جبريل بالآيات الكريمة [اقرأ باسم ربك الذي خلق]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الآيات وهي أول ما نزل عليه من القرآن ، فرجع يرجف فؤاده فقال لخديجة : زملوني ، زملوني فنزلت [يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا] الآيات ، ثم فتر الوحي فحزن (ص) فبينما هو يمشي سمع صوتا من السماء ، فرفع رأسه فإذا الملك الذي جاءه بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فعراه (ص) من رؤيته الرعب والفزع ، فجاء إلى أهله فقال : دثروني ، دثروني فأنزل الله : [يا أيها المدثر قم فأنذر] قال القرطبي : وفي هذا النداء ملاطفة فى الخطاب ، من الكريم إلى الحبيب ، إذ ناداه بوصفه ولم يقل " يا محمد " ليستشعر اللين والملاطفة من ربه ، ومثله قول النبي (ص) لحذيفة بن اليمان يوم الخندق : " قم يا نومان "

[وربك فكبر] أي عظم ربك ، وخصه بالتمجيد والتقدير ، وأفرده بالعظمة والكبرياء ، فليس هناك من هو أكبر من الله ! ! قال الألوسي : أي اخصص ربك بالتكبير ، وهو وصفه تعالى بالكبرياء والعظمة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اعتقادا وقولا ، وإنما ذكرت هذه الجملة بعد الأمر بالإنذار ، تنبيها للنبى (ص) ، على عدم الاكتراث بالكفار ، فإن نواصي الخلائق بيد الجبار ، فلا ينبغي أن يبالي الرسول بأحد من الخلق ، ولا أن يرهب سوى الله ، فإن كل كبير مقهور تحت عظمته تعالى وكبريائه

[وثيابك فطهر] أي وثيابك فطهرها من النجاسات والمستقذرات ، فإن المؤمن طيب طاهر ، لا يليق منه أن يحمل الخبيث ، قال ابن زيد : كان المشركون لا يتطهرون ، فأمره الله أن يتطهر وأن يطهر ثيابه وقال ابن عباس : كنى بالثياب عن القلب ، والمعنى : وقلبك فطهر من الإثم والمعاصي واستشهد بقول غيلان :

وإني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة أتقنع . يقول العرب : فلان طاهر الثياب أو نقي الثياب ، يريدون وصفه بالنقاء من المعايب وذميم الصفات ، ويقولون : فلان دنس الثياب إذا كان موصوفا بالأخلاق الذميمة ، قال الرازي : والسبب في حسن هذه الكناية ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن الثوب كالشيء الملازم للإنسان ، فلهذا السبب جعلوا الثوب كناية عن الإنسان ، فقالوا : المجد في ثوبه ، والعفة في إزاره

[والرجز فاهجر] أي اترك عبادة الأصنام والأوثان ولا تقربها ، قال ابن زيد : الرجز : الآلهة التى كانوا يعبدونها ، فأمره أن يهجرها فلا يأتيها ولا يقربها وقال الإمام الفخر : الرجز : اسم للقبيح المستقذر كالرجس ، قال تعالى : [فاجتنبوا الرجس من الأوثان] وقوله : [والرجز فاهجر] كلام جامع لمكارم الأخلاق ، كأنه قيل له : اهجر الجفاء ، والسفه ، وكل قبيح ، ولا تتخلق بأخلاق هؤلاء المشركين ، والمراد بالهجر : الأمر بالمداومة على ذلك الهجران ، كما يقول المسلم : [اهدنا الصراط المستفيم] ليس معناه إنه ليس على الهداية ، بل المراد ثبتنا على هذه الهداية

[ولا تمنن تستكثر] أي ولا تعط الناس عطاء وتستكثره ، لأن الكريم يستقل ما يعطي وإن كان كثيرا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، واعط عطاء من لا يخاف الفقر ، وقال ابن عباس : لا تعط عطية تلتمس بها أفضل منها بمعنى : لا تعط شيئا لتعطى أكثر منه ، وسر النهي أن يكون العطاء خاليا من انتظار العوض ، تعففا وكمالا ، فإن النبي (ص) مأمور بأشرف الآداب ، وأجل الأخلاق

[ولربك فاصبر] أي اصبر على أذى قومك ، ابتغاء وجه ربك . . ثم أخبر تعالى عن أهوال القيامة وشدائدها ، فقال سبحانه :

[فإذا نقر في الناقور] أي فإذا نفخ في الصور ، نفخة البعث والنشور ، وعبر عن النفخ وعن الصور ، بالنقر في الناقور ، لبيان هول الأمر وشدته ، فإن النقر فى كلام العرب معناه الصوت ، وإذا اشتد الصوت أصبح مفزعا ، فكأنه يقول : اصبر على أذاهم ، فبين أيديهم يوم هائل ، يلقون فيه عاقبة أذاهم ، وتلقى عاقبة صبرك ، ولهذا قال بعده :

[فذلك يومئذ يوم عسير] أي فذلك اليوم يوم شديد هائل ، يشتد فيه الهول ، ويعسر الأمر ، والإشارة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالبعيد [فذلك] للإيذان ببعد منزلته في الهول والفظاعة

[على الكافرين غير يسير] أي هو عسير على الكافرين ، غير هين ولا يسير عليهم ، لأنهم يناقشون الحساب ، وتسود وجوههم ، ويحشرون زرقا ، ويتفضحون على رءوس الأشهاد ، قال الصاوي : ودلت الآية على أنه يسير على المؤمنين ، لأنه قيد عسره بالكافرين ، وفيها زيادة وعيد وغيظ للكافرين ، وبشرى وتسلية للمؤمنين . . ثم أخبر تعالى عن قصة ذلك الشقى الكافر " الوليد بن المغيرة " وقوله الشنيع فى القرآن ، فقال سبحانه :

[ذرني ومن خلقت وحيدا] أي دعنى يا محمد وهذا الشقى ، الذي خلقته فى بطن أمه ، وحيدا فريدا ، لا مال له ولا ولد ، ولا حول له ولا مدد ، ثم كفر بى وكذب بآياتى ، قال المفسرون : نزلت في " الوليد بن المغيرة " كان من أكابر قريش ، ولذلك لقب بالوحيد ، وريحانة قريش ، وقد أنعم الله عليه بنعم الدنيا ، من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المال والبنين ، وأغدق عليه الرزق ، فكان ماله كالنهر الدافق ، وكان للوليد بستان فى الطائف ، لا ينقطع ثمره صيفا ولا شتاء ، فكفر بأنعم الله وبدلها كفرا ، وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها ، وفيه نزل : [ذرنى ومن خلقت وحيدا] وهو أسلوب بليغ في التهديد ، كما نزلت فيه الآيات المتقدمة في سورة نون [ولا تطع كل حلاف مهين] وهو الذي أذى رسول الله (ص) وكاد له ، فإن صناديد قريش لما برموا برسول الله ، وضاقت عليهم الحيل فى إسكاته ، وإطفاء نور دعوته ، لجأوا إلى الوليد ، فأشار عليهم بأن يلقبوه (ص) بالساحر ، ويأمروا عبيدهم وصبيانهم ، أن ينادوا بذلك في مكة ، فجعلوا ينادون أن محمدا ساحر ، فحزن لذلك رسول الله (ص) فنزلت الآيات الكريمة ، في معرض تهديده وتخويفه ، ليكون ذلك أدعى للكسر من كبريائه ، ثم قال تعالى :

[وجعلت له مالا ممدودا] أي جعلت له المال الواسع المبسوط ، من الإبل ، والخيل ، والغنائم والبساتين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النضرة ، قال البيضاوي : [ممدودا] أي مبسوطا كثيرا ، وكان له الزرع والضرع والتجارة قال ابن عباس : كان ماله ممدودا ما بين مكة والطائف ، وقال مقاتل : كان له بستان لا ينقطع نفعه شتاء ولا صيفا [وبنين شهودا] أي وأولادا مقيمين معه فى بلده ، يحضرون معه المحافل والمجامع ، يستأنس بهم ولا يتنغص عيشه لفراقهم ، قال المفسرون : كان له عشرة بنين لا يفارقونه سفرا ولا حضرا ، وكان مستأنسا بهم ، وله بهم عز ومتعة ، أسلم منهم ثلاثة " خالد ، وهشام ، والوليد " . . وبعد أن ذكر تعالى من مظاهر النعم المال والبنين ، عاد فعمم الخيرات الدنيوية التي أنعم بها الله عليه فقال :

[ومهدت له تمهيدا] أي بسطت بين يديه الدنيا بسطا ، ويسرت له تكاليف الحياة ، ومظاهر الجاه والعز والسيادة ، فكان في قريش عزيزا منيعا ، وسيدا مطاعا [ثم يطمع أن أزيد] أي ثم بعد هذا العطاء الجزيل ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يطمع أن أزيد له في ماله وولده ، وقد كفر بى ! ! قال الفخر الرازي : لفظ [ثم] هنا للإنكار والتعجب ، كما تقول لصاحبك : أنزلتك دارى ، وأطعمتك وأكرمتك ثم أنت تشتمنى! ! أي ومع كل هذا الإنعام والإكرام فقد كفر وجحد ، وبدل أن يشكر الوليد لربه هذا الإحسان ، ويقابله بالطاعة والإيمان ، عكس الأمر وقابله بالجحود والكفران

[كلا] ردع وزجر أي ليرتدع هذا الفاجر الأليم ، عن ذلك الطمع الفاسد ، ثم علل ذلك بقوله :

[إنه كان لآياتنا عنيدا] أي لأنه معاند للحق ، جاحد بآيات الله ، مكذب لرسوله ، فكيف يطمع بالزيادة هذا الشقي العنيد ؟

[سأرهقه صعودا] أي سأكلفه وألجئه إلى عذاب صعب شاق لا يطاق ، تضعف عنه قوته ، كما تضعف قوة من يصعد في الجبل ، قال القرطبي :

[صعودا] صخرة ملساء يكلف صعودها ، فإذا صار في أعلاها حدر في جهنم ، فيهوى ألف عام قبل أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يبلغ قرارها وفي الحديث : (الصعود جبل من نار ، يصعد فيه الكافر سبعين خريفا ، ثم يهوي فيه كذلك أبدا) ،

[إنه فكر وقدر] أي إنه فكر في شأن النبى والقرآن ، وأجال رأيه وذهنه الثاقب ، ثم رتب وهيأ كلاما في نفسه ، ماذا يقول في القرآن ؟ وبماذا يطعن فيه ؟ قال تعالى تقبيحا وتشنيعا عليه :

[فقتل كيف قدر] أي قاتله الله وأخزاه ، على تلك الكلمة الحمقاء التي أجالها في نفسه ، حيث قال عن القرآن : إنه سحر ، وقال عن محمد : إنه ساحر ، وفي الآية استهزاء به وتهكم ، حيث قدر ما لا يصح تقديره ، ولا يسوغ أن يقوله عاقل ، قال فى البحر : يقول العرب عند استعظام الأمر والتعجب منه : قاتله الله ، ومرادهم أنه قد بلغ المبلغ الذي لا يحسد عليه ، ويدعى عليه من حساده ، والاستفهام في قوله : [كيف قدر] ؟ في معنى ما أعجب تقديره وما أغربه ؟ كقولهم اي رجل هذا ؟ أي ما أعظمه ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ثم قتل كيف قدر] كرر العبارة تأكيدا لذمه وتقبيحا لحاله ، ولغاية التهكم به ، كأنه قال : قاتله الله ما أروع تفكيره ، وأبدع رأيه الحصيف ؟ حيث قال عن القرآن إنه سحر يؤثر ؟ ((هذا كما قال الزمخشري : ثناء عليه بطريق الاستهزاء والتهكم ، بمعنى أن ما أتى به في غاية الركاكة والسقوط)) قال المفسرون : مر الوليد بالنبي (ص)وهو يصلي ويقرأ القرآن ، فاستمع لقراءته وتأثر بها ، فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه من (بني مخزوم) فقال : والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ، ما هو من كلام الإنس ، ولا من كلام الجن ، والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، ثم إن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وانه ليعلو وما يعلى عليه ، ثم انصرف إلى منزله ، فقالت قريش : لقد صبأ والله الوليد ، ولتصبأن قريش كلها! فقال أبو جهل : أنا أكفيكموه ، فانطلق حتى جلس إلى جانب الوليد حزينا ، فقال له الوليد : ما لي أراك حزينا يا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ابن أخى ؟ ! فقال : كيف لا أحزن ، وهذه قريش تجمع لك مالا ، ليعينوك به على كبر سنك ، ويزعمون إنك زينت كلام محمد ، وصبأت لتصيب من فضل طعامه ، وتنال من ماله ! ! فغضب الوليد وقال : ألم تعلم قريش أني من أكثرهم مالا وولدا ؟! وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام ، حتى يكون لهم فضل طعام ؟ ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم : تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق ؟ قالوا : اللهم لا ، قال : تزعمون أنه كاهن ، فهل رأيتموه تكهن قط ؟ قالوا : اللهم لا ، قال : تزعمون أنه شاعر ، فهل رأيتموه نطق بشعر قط ؟ قالوا : اللهم لا ، قال : تزعمون أنه كذاب ، فهر جربتم عليه كذبا قط ؟ قالوا : اللهم لا ، فقالت قريش للوليد : فما هو ؟ ففكر في نفسه ثم قال : ما هو إلا ساحر ، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ؟ وما هذا الذي يقوله إلا سحر يؤثر ، فارتج النادي فرحا ، وتفرقوا معجبين بقوله ، زاعمين أن القرآن سحر يؤثر ، فذلك قوله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى : [إنه فكر وقدر] الآيات لقد تركنا الوليد يفكر ويقدر ، ولنرجع إليه لنرى ماذا فعل بعده ؟ قال تعالى [ثم نظر] أي أجال النظر مرة أخرى متفكرا فى شأن القرآن

[ثم عبس] أي ثم قطب وجهه وكلحه ضيقا بما يقول :

[وبسر] أي وزاد فى القبض والكلوح كالمهتم المتفكر في أمر يدبره ، قال في التسهيل : البسور تقطيب الوجه وهو أشد من العبوس

[ثم أدبر واستكبر] أي ثم أعرض عن الإيمان ، وتكبر عن اتباع الهدى والحق

[فقال إن هذا إلا سحر يؤثر] أي فقال : ما هذا الذي يقوله محمد إلا سحر ينقله ويرويه عن السحرة

[إن هذا إلا قول البشر] أي ليس هذا كلام الله ، وما هو إلا كلام المخلوقين ، يخدع به محمد القلوب ، ويؤثر فيها كما يؤثر السحر بالمسحور ، قال الألوسي : هذا كالتأكيد للجملة الأولى ، لأن المقصود

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منهما نفي كونه قرآنا أو من كلام الله تعالى ، ولذلك لم يعطف عليها بالواو ، وفي وصف إشكاله واستنباطه هذا القول السخيف ، إستهزاء به ، واشارة إلى أنه عن الحق بمعزل ، ويظهر من تتبع أحوال الوليد ، أنه إنما قال ذلك عنادا وحمئة جاهلية ، لا جهلا بحقيقة الحال ، ألا ترى ثناءه على القرآن ، ونفيه عنه جميع ما نسبوا إليه من الشعر ، والكهانة ، والجنون ! !

[سأصليه سقر] أي سأدخله جهنم يتلظى حرها ، ويذوق عذابها

[وما أدراك ما سقر] ؟ استفهام للتهويل والتفظيع أي وما أعلمك أي شيء هي سقر ؟

[لا تبقي ولا تذر] أي لا تبقي على شيء فيها إلا أهلكته ، ولا تترك أحدا من الفجار إلا أحرقته ، قال ابن عباس : لا تبقي من الدم والعظم واللحم شيئا ، فإذا أعيد خلقهم من جديد ، تعاود إحراقهم بأشد مما كانت وهكذا أبدا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لواحة للبشر] أي تلوح وتظهر لأنظار الناس من مسافات بعيدة ، لعظمها وهولها ، كقوله تعالى :

[وبرزت الجحيم لمن يرى] قال الحسن : تلوح لهم من مسيرة خمسمائة عام حتى يروها عيانا فهى بارزة إلى أنظارهم ، يرونها من غير استشراف ولا مد أعناق ((اختار بعض المفسرين أن معنى {لواحة للبشر} أي محرقة للجلود مسودة لها ، تلفح الجلد لفحة فتدعه أسود من الليل وإن {البشر} جمع بشرة وهي جلدة الإنسان الظاهرة ، والظاهر ما ذكرناه لأن الله تعالى ذكر من وصفها {لا تبقي ولا تذر} فأي فائدة في وصفها بتسويد البشرة بعد ذلك ، وما اخترناه هو ما رجحه القرطبى ونسبه إلى ابن عباس وكذلك ما رجحه الإمام الفخر الرازي والله اعلم)).

[عليها تسعة عشر] أي خزنتها الموكلون عليها تسعة عشر " ملكا " من الزبانية الأشداء كقوله تعالى :

[عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون] قال ابن عباس : " ما بين منكبي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الواحد منهم مسيرة سنة ، وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع ، فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنم " قال الألوسي : روي عن ابن عباس أنها لما نزلت [عليها تسعة عشر] قال أبو جهل لقريش : ثكلتكم أمهاتكم ، أسمع ابن أبي كبشة - يعني محمدا - يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر ، وأنتم الدهم - أي العدد - الشجعان ، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم ؟ فقال أبو الأشد الجمحي : - وكان شديد البطش - أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين ، فأنزل الله :

[وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة] أي وما جعلنا خزنة النار إلا من الملائكة الغلاظ الشداد ، ولم نجعلهم من البشر حتى يصارعوهم ويغالبوهم

[وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا] أي لم نجعل ذلك العدد ، إلا سببا لفتنة وضلال المشركين ، حيث استقلوا بعددها ، واستهزءوا ، حتى قال أبو جهل : أفيعجز كل مائة منكم أن يبطشوا بواحد! منهم ، ثم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تخرجون من النار ؟ قال الطبري : وإنما جعل الله الخبر عن عدة خزنة جهنم فتنة للكافرين ، لتكذيبهم بذلك ، وقول بعضهم لأصحابه - على سبيل الإستهزاء - أنا أكفيكموهم

[ليستيقن الذين أوتوا الكتاب] أي ليتيقن أهل الكتاب من صدق محمد ، وأن هذا القرآن من عند الله ، إذ يجدون هذا العدد في كتبهم المنزلة

[ويزداد الذين آمنوا إيمانا] أي ويزداد المؤمنون تصديقا لله ورسوله ، بما يشهدون من صدق أخبار نبيهم (ص) ، وتسليم أهل الكتاب لما جاء في القرآن ، موافقا للتوراة والإنجيل

[ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون] أي ولا يشك أهل الكتاب والمؤمنون في عددهم ، وهذا تأكيد لما قبله ، لأنه لما ذكر اليقين نفى عنهم الشك ، فكأن قوله : [ولا يرتاب] مبالغة وتأكيدا ، وهو ما يسميه علماء البلاغة : الإطناب

[وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله بهذا مثلا] أي وليقول الذين في قلوبهم شك ونفاق ، والكافرون من أهل مكة : في شيء أراد الله بهذا القول العجيب ؟ الذي هو مثل في الغرابة والنكارة ؟ ولماذا يخوفنا بواسطته من سقر وخزنتها التسعة عشر ؟ قال الرازي : إثبات اليقين في بعض الأحوال لا ينافى حصول الارتياب بعد ذلك ، فالمقصود من إعادة هذا الكلام ، هو إنه حصل لهم يقين جازم ، بحيث لا يحصل عقبه البتة شك ولا ريب ، وقد كان (ص) يعلم من حال قريش إنه متى أخبرهم بهذا العدد العجيب ، فإنهم يستهزئون به ويضحكون منه ، ولذلك بين تعالى الغاية من ذكر هذا الخبر أوضح بيان

[كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء] أي مثل ما أضل الله أبا جهل وأصحابه ، يضل الله عن الهداية والإيمان من أراد إضلاله ، ويهدي من أراد هدايته ، وله الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة ((قال علماء التوحيد : ليس معنى إضلال الله لفريق وهدايته لفريق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، أنه تعالى يجبر كلا منهما على الضلالة والهدى ، ولا أنه تعالى يكرههم على سلوك سبيلى الخير والشر ، لا ، لا ، فإن هذا الإكراه مناف للعدل الإلهي ، بل مناف لحكمة التشريع السماوي ، ولا يتفق مع نصوص الشريعة المتواترة القاطعة ، الدالة على أن العبد له إرادة واختيار ، هما مناط التكليف والمؤاخذة ، وكذلك فهم الصحابة والسلف الصالح ، سأل رجل عليا رضي الله عنه فقال : أكان مسيرك إلى الشام - يعني لقتال أهلها - بقضاء الله وقدره ؟! فقال له : ويحك ، لعلك ظننت قضاء لازما ، وقدرا حاتما ، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد ، إن الله سبحانه أمر عباده تخييرا ، ونهاهم تحذيرا ، وكلف يسيرا ولم يكلف عسيرا ، ولم ينزل الكتب للعباد عبثا ، ولا خلق السموات والأرض وما بينهما باطلا {ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار} وعلى ضوء هذا يفهم معنى الهداية والإضلال)) .

[وما يعلم جنود ربك إلا هو] أي وما يعلم عدد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الملائكة ، وقوتهم وضخامة خلقهم ، وكثرتهم إلا الله رب العالمين ، وفي الآية رد على أبي جهل حين قال : أما لرب محمد أعوان إلا تسعة عشر ؟

[وما هي إلا ذكرى للبشر] أي وما هذه النار ، التي وصفها لكم الجبار ، إلا موعظة وتذكرة للخلق ليخافوا ويطيعوا

[كلا والقمر] [كلا] كلمة ردع وزجر ، ثم أقسم تعالى بالقمر على أن سقر حق ، والمعنى : ليرتدع أولئك المستهزئون بالوحي والقرآن ، عن فعلهم وسوء صنيعهم ، وأقسم بالقمر

[والليل إذ أدبر] أي وأقسم بالليل حين ولى بظلمته ذاهبا

[والصبح إذا أسفر] أي وبالصبح إذا تبلج وأضاء ، ونشر ضياءه على الأرجاء

[إنها لإحدى الكبر] أي إن جهنم لإحدى الدواهي الكبيرة ، والبلايا الخطيرة ، فكيف يستهزئون بها ويكذبون ؟ قال أبو حيان : أقسم تعالى بهذه الأشياء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تشريفا لها ، وتنبيها على ما يظهر فيها من عجائب الله وقدرته ، وقوام الوجود بايجادها ، أقسم على أن جهنم ، إحدى الدواهي العظيمة التي لا نظير لها وفي الآية إيماء إلى أن الشمس والقمر مخلوقان لله ، وأنهما في حركاتهما وإدبارهما وإسفارهما ، ونشوء الليل والنهار عنهما ، مسخران لأمره تعالى ، ساجدان بين يدي قدرته وقهره ، فكيف يحسن بالبشر أن يعبدوهما ويكفروا بالإله الذي خلقهما ؟ ثم قال تعالى عن جهنم : [نذيرا للبشر] أي هي إنذار للخلق ليتقوا ربهم [لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر] أي لمن أراد من العباد أن يتقرب إلى ربه بفعل الخيرات أو يتأخر بفعل الموبقات ، قال في البحر : والمراد بالتقدم والتأخر : السبق على الخير والتخلف عنه ، كقوله تعالى : [فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر] قال ابن عباس : من شاء اتبع طاعة الله ، ومن شاء تأخر عنها بمعصيته [كل نفس بما كسبت رهينة] أي كل نفس محبوسة بعملها ، مرهونة عند الله بكسبها ، ولا تفك حتى تؤدي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما عليها من الحقوق والعقوبات
[إلا أصحاب اليمين] أي إلا فريق السعداء المؤمنين ، فإنهم فكوا رقابهم وخلصوها من السجن والعذاب ، بالإيمان وطاعة الرحمن
[فى جنات يتساءلون عن المجرمين] أي هم فى جنات وبساتين لا يدرك وصفها ، يسأل بعضهم بعضا عن حال المجرمين الذين دخلوا النار ، والسؤال لزيادة تبكيت أولئك المجرمين وتوبيخهم ، وإدخال الألم والحسرة على نفوسهم ، يقولون لهم

[ما سلككم في سقر] ؟ ما الذي أدخلكم جهنم ، وجعلكم تذوقون سعيرها ؟ قال في البحر : وسؤالهم سؤال توبيخ لهم وتحقير ، وإلا فهم عالمون ما الذي أدخلهم النار ،
[قالوا لم نك من المصلين] أي قال المجرمون مجيبين للسائلين : لم نكن من المصلين في الدنيا لرب العالمين
[ولم نك نطعم المسكين] أي ولم نكن نتصدق ونحسن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى الفقراء والمساكين ، قال ابن كثير : مرادهم في الآيتين : ما عبدنا ربنا ، ولا أحسنا إلى خلقه من جنسنا

[وكنا نخوض مع الخائضين] أي وكنا نتحدث بالباطل مع أهل الغواية والضلالة ، ونقع معهم فيما لا ينبغى من الأباطيل ، قال في التسهيل : والخوض هو كثرة الكلام بما لا ينبغي من الباطل وشبهه

[وكنا نكذب بيوم الدين] أي نكذب بيوم القيامة ، وبالجزاء والمعاد ، وإنما أخر التكذيب بيوم الدين تعظيما له ، لأنه أعظم جرائمهم وأفحشها

[حتى أتانا اليقين] أي حتى جاءنا الموت ونحن في تلك المنكرات والضلالات ، قال تعالى معقبا على اعترافهم بتلك الجرائم :

[فما تنفعهم شفاعة الشافعين] أي ليس لهم شافع ينقذهم من عذاب الله ، ولو شفع لهم أهل الأرض ، ما قبلت شفاعتهم فيهم ، قال ابن كثير : من كان متصفا بمثل هذه الصفات ، فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شافع فيه ، لأن الشفاعة إنما تنجح ، إذا كان المحل قابلا ، فأما من وافى الله كافرا ، فإنه مخلد في النار أبدا . . ولما ذكر تعالى قبائحهم وشنائعهم عاد بالتوبيخ والتقريع عليهم فقال :

[فما لهم عن التذكرة معرضين] ؟ فما لهؤلاء المشركين معرضين عن القرآن وآياته ، وما فيه من المواعظ البليغة والنصائح والإرشادات ؟

[كأنهم حمر مستنفرة] أي كأن هؤلاء الكفار حمر وحشية نافرة وشاردة

[فرت من قسورة] أي هربت ونفرت من الأسد من شدة الفزع ، قال في البحر : شبههم تعالى بالحمر النافرة مذمة لهم وتوبيخا وقال ابن عباس : الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت ، كذلك هؤلاء المشركون إذا رآوا محمدا (ص) ، هربوا منه كما يهرب الحمار من الأسد ، ثم قال : والقسورة : الأسد

[بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفا منشرة]

أي بل يطمع كل واحد من هؤلاء المجرمين ، أن ينزل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليه كتاب من الله ، كما أنزل على محمد (ص) ؟ ويريد أن يتنزل عليه الوحي كما تنزل على الرسل والأنبياء ؟ والغرض من الآية بيان إمعانهم في الضلالة ، وكأنه يقول : دع عنك ذكر إعراضهم وغباوتهم ، ونفارهم نفار العجماوات ، مما فيه خيرهم وسعادتهم ، واستمع لما هو أعجب وأغرب ، وذلك طمع كل فرد منهم ، أن يكون رسولا يوحى إليه ، وهيهات أن يصل الأشقياء إلى مراتب الأنبياء ، ثم قال تعالى :

[كلا بل لا يخافون الأخرة] أي ليرتدعوا وينزجروا عن مثل ذلك الطمع ، بل الحقيقة أنهم قوم لا يصدقون بالبعث والحساب ، ولا يؤمنون بالنعيم والعذاب ، وهذا هو الذي أفسدهم وجعلهم يعرضون عن مواعظ القرآن

[كلا إنه تذكرة] كرر الردع والزجر لهم بقوله

[كلا] ثم قال [إنه تذكرة] أي إن هذا القرآن موعظة بليغة ، كافية لإتعاظهم ، لو أرادوا لأنفسهم السعادة

[فمن شاء ذكره] أي فمن شاء اتعظ بما فيه ، وانتفع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بهداه

[وما يذكرون إلا أن يشاء الله] أي وما يتعظون به إلا أن يشاء الله لهم الهدى ، فيتذكروا ويتعظوا ، وفيه تسلية للنبي (ص) ، وترويح عن قلبه الشريف ، مما كان يخامره من إعراضهم وتكذيبهم له

[هو أهل التقوى وأهل المغفرة] أي هو جل وعلا أهل لأن يتقى لشدة عقابه ، وأهل لأن يغفر الذنوب ، لكرمه وسعة رحمته ، قال الألوسي : أي حقيق بأن يتقى عذابه ويطاع ، وحقيق بأن يغفر لمن آمن به وأطاعه وفى الحديث عن أنس أن رسول الله (ص) قرأ هذه الآية [هو أهل التقوى وأهل المغفرة] ثم قال : (قال ربكم : أنا أهل أن أتقى ، فمن اتقانى فلم يجعل معى إلها ، فأنا أهل أن أغفر له) .

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع كالاتي :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1 - الطباق بين [عسير . . ويسير] كما أن بين اللفظتين جناس الاشتقاق .

2 - المقابلة بين [والليل إذ أدبر] وبين [والصبح إذا أسفر] .

3 - الإطناب بتكرار الجملة [فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر] زيادة في التوبيخ والتشنيع .

4 - جناس الاشتقاق [فإذا نقر في الناقور] .

5 - تقديم المفعول لإفادة الاختصاص [وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر] .

6 - الطباق بين [كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء] وبين [يقدم أو يتأخر] .

7 - أسلوب التقريع والتوبيخ بطريق الاستفهام [فما لهم عن التذكرة معرضين] ؟ .

8 - التشبيه التمثيلى [كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة] لأن وجه الشبه منتزع من متعدد ، وهو من روائع صور التشبيه .

9 - الإيجاز بحذف بعض الجمل [يتساءلون عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المجرمين ، ما سلككم في سقر] ؟ أي قائلين لهم : ما سلككم في سقر ، فحذف اعتمادا على فهم المخاطبين .

سورة القيامة

مكية وآياتها أربعون آية

بين يدي السورة

سورة القيامة مكية ، وهي تعالج موضوع " البعث والجزاء " الذي هو أحد أركان الإيمان ، وتركز بوجه خاص على القيامة وأهوالها ، والساعة وشدائدها ، وعن حالة الإنسان عند الاحتضار ، وما يلقاه الكافر في الآخرة من المصاعب والمتاعب ، ولذلك سميت سورة القيامة .

* ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة ، على أن البعث حق لا ريب فيه [لا أقسم ببوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة ، أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ؟ بلى قادربن على أن نسوي بنانه] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* ثم ذكرت طرفا من علامات ذلك اليوم المهول ، الذي يعصف فيه القمر ، ويتحير فيه البصر ، ويجمع فيه الخلائق والبشر للحساب والجزاء [فإذا برق البصر ، وخسف القمر ، وجمع الشمس والقمر ، يقول الإنسان يومئذ أين المفر ؟ كلا لا وزر ، إلى ربك يومئذ المستقر] .

* وتحدثت السورة عن اهتمام الرسول بضبط القرآن عند تلاوة جبريل عليه ، فقد كان (ص) يجهد نفسه فى متابعة جبريل ، ويحرك لسانه معه ليسرع في حفظ ما يتلوه ، فأمره تعالى أن يستمع للتلاوة ولا يحرك لسانه به [لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه] .

* وذكرت السورة انقسام الناس فى الآخرة إلى فريقين : سعداء وأشقياء ، فالسعداء وجوههم مضيئة تتلألأ بالأنوار ، ينظرون إلى الرب جل وعلا ، والأشقياء وجوههم مظلمة قاتمة يعلوها الذل والقترة [وجوة يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ، ووجوه يومئذ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

باسرة ، تظن أن يفعل بها فاقرة] .

* ثم تحدثت السورة عن حال المرء وقت الاحتضار ، حيث تكون الأهوال والشدائد ، ويلقى الإنسان من الكرب والضيق ما لم يكن في الحسبان [كلا إذا بلغت التراقي ، وقيل من راق ؟ وظن أنه الفراق ، والتفت الساق بالساق ، إلى ربك يومئذ المساق ، فلا صدق ولا وصلى ، ولكن كذب وتولى ، ثم ذهب إلى أهله يتمطى . .] الآيات .

* وختمت السورة الكريمة باثبات الحشر والمعاد ، بالأدلة والبراهين العقلية [أيحسب الإنسان أن يترك سدى ، ألم يك نطفة من مني يمنى ؟ ثم كان علقة فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ، أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى] ؟ .

قال الله تعالى : [لا أقسم بيوم القيامة . .] إلى قوله [أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى] . من آية (1) إلى آية (40) نهاية السورة الكريمة .

اللغة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[بنانه] البنان : أطراف الأصابع أو الأصابع نفسها جمع بنانة قال النابغة : بمخضب رخص كأنه بنانه عنم يكاد من اللطافة يعقد ،

[برق] فزع وبهت وتحير ، وأصله النظر إلى البرق فيدهش البصر قال ذو الرمة : ولو أن لقمان الحكيم تعرضت لعينيه مى سافرا كاد يبرق

[وزر] ملجأ وحصن يلتجىء إليه

[ناضرة] حسنة مشرقة متهللة ، والنضرة : النعمة وجمال البشرة والإشراقة الجميلة

[باسرة] شديدة الكلوحة والعبوس يقال : بسر وجهه إذا اشتد فى عبوسه وكلاحته

[فاقرة] الفاقرة : الداهية والأمر العظيم يقال : فقرته المصيبة أي كسرت فقار ظهره

[يتمطى] يتبختر في مشيته اختيالا وكبرا .

التفسير :

[لا أقسم بيوم القيامة] أي أقسم بيوم القيامة ، يوم الحساب والجزاء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولا أقسم بالنفس اللوامة] أي وأقسم بالنفس المؤمنة التقية ، التي تلوم صاحبها على ترك الطاعات ، وفعل الموبقات ، قال المفسرون : [لا] لتأكيد القسم ، وقد اشتهر في كلام العرب زيادة [لا] قبل القسم لتأكيد الكلام ، كأنه من الوضوح والجلاء بحيث لا يحتاج إلى قسم ، وجواب القسم محذوف تقديره " لتبعثن ولتحاسبن " دل عليه قوله :

[أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه] ؟ أقسم تعالى بيوم القيامة لعظمه وهوله ، وأقسم بالنفس التي تلوم صاحبها على التقصير في جنب الله ، وتستغفر وتتوب مع طاعتها وإحسانها ، قال الحسن البصري : هي نفس المؤمن ، إن المؤمن ما تراه إلا يلوم نفسه : ماذا أردت بكلامي ؟ وماذا أردت بعملي ؟ وإن الكافر يمضي ولا يحاسب نفسه ولا يعاتبها [أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه] الاستفهام للتوبيخ والتقريع ، أي أيظن هذا الإنسان الكافر ، المكذب للبعث والنشور ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن لن نقدر على جمع عظامه بعد تفرقها ؟ قال المفسرون : نزلت هذه الآية في " عدي بن ربيعة " جاء إلى رسول الله (ص) فقال يا محمد : حدثنى عن يوم القيامة ، متى يكون ؟ وكيف أمره ؟ فأخبره رسول الله (ص) فقال : لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ، ولم أومن بك ، كيف يجمع الله العظام ؟ فنزلت هذه الآية ، قال تعالى ردا عليه

[بلى قادرين على أن نسوى بنانه] أي بلى نجمعها ونحن قادرون على أن نعيد أطراف ، أصابعه ، التي هي أصغر أعضائه ، وأدقها أجزاء وألطفها التئاما ، فكيف بكبار العظام ؟ واما ذكر تعالى البنان - وهي رءوس الأصابع - لما فيها من غرابة الوضع ، ودقة الصنع ، لأن الخطوط والتجاويف الدقيقة التي في أطراف أصابع إنسان ، لا تماثلها خطوط أخرى في أصابع شخص آخر على وجه الأرض ، ولذلك يعتمدون على بصمات الأصابع في تحقيق شخصية الإنسان في هذا العصر ((ثبت علميا أن بشرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأصابع مغطاة بخطوط دقيقة متناهية في الدقة ، منها ما هو على شكل " أقواس ، أو عراو ، أو دوامات " وهذه الخطوط لا يمكن ان يشابه إنسان فيها آخر ، ولهذا اعتمدتها الدول رسميا وأصبحت تميز الإنسان ببصمة الإبهام ، فتبارك الله احسن الخالقين)) .

[بل يريد الإنسان ليفجر أمامه] أي بل يريد الإنسان بهذا الإنكار أن يستمر على الفجور ، ويقدم على الشهوات والآثام ، دون وازع من خلق أو دين ، وينطلق كالحيوان ليس له هم إلا نيل شهواته البهيمية ، ولذلك ينكر القيامة ويكذب بها

[يسأل أيان يوم القيامة] أي يسأل هذا الكافر الفاجر - على سبيل الاستهزاء والتكذيب - متى يكون هذا اليوم يوم القيامة ؟ قال الرازي : والسؤال هنا سؤال متعنت ومستبعد لقيام الساعة ، ونظيره [ويقولون متى هذا الوعد] ؟ ولذلك ينكر المعاد ويكذب بالبعث والنشور ، والغرض من الآية [ليفجر أمامه] أن الإنسان الذي يميل طبعه إلى الاسترسال فى الشهوات ، والاستكثار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من اللذات ، لا يكاد يقر بالحشر والنشر ، وبعث الأموات ، لئلا تتنغص عليه اللذات الجسمانية ، فيكون أبدا منكرا لذلك ، قائلا على سبيل الهزء والسخرية : أيان يوم القيامة ، قال تعالى ردا على هؤلاء المنكرين

[فإذا برق البصر] أي فإذا زاغ البصر وتحير ، وانبهر من شدة الأهوال والمخاطر

[وخسف القمر] أي ذهب ضوءه وأظلم

[وجمع الشمس والقمر] أي جمع بينهما يوم القيامة ، وألقيا في النار ليكونا عذابا على الكفار ، قال عطاء : يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في البحر ، فيكون نار الله الكبرى ((وروي عن مجاهد أن المراد كورا كقوله تعالى : {اذا الشمس كورت } وقيل : المراد جمعا فطلعا من المغرب ، ولا يناسبه لأن الكلام عن القيامة)).

[يقول الإنسان يومئذ أين المفر] أي يقول الفاجر الكافر في ذلك اليوم : أين المهرب ؟ وأين الفرار والمنجى من هذه الكارثة الداهية ؟ يقول قول الآيس ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لعلمه بأنه لا قرار حينئذ

[كلا لا وزر] ردع له عن طلب الفرار ، أي ليرتدع وينزجر عن ذلك القول ، فلا ملجأ له ، ولا مغيث من عذاب الله

[إلى ربك يومئذ المستقر] أي إلى الله وحده مصير ومرجع الخلائق ، قال الألوسي : إليه جل وعلا وحده استقرار العباد ، لا ملجأ ولا منجى لهم غيره. . . والمقصود من الآيات بيان أهوال الآخرة ، فالأبصار تنبهر يوم القيامة ، وتخشع وتحار من شدة الأهوال ؟ ومن عظم ما تشاهده من الأمور العظيمة ، والإنسان يطيش عقله ، ويذهب رشده ، ويبحث عن النجاة والمخلص ، ولكن هيهات ، فقد جاءت القيامة وانتهت الحياة

[ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر] أي يخبر الإنسان في ذلك اليوم بجميع أعماله ، صغيرها وكبيرها ، عظيمها وحقيرها ، ما قدمه منها في حياته ، وما أخره

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعد مماته ، من سنة حسنة أو سيئة ، ومن سمعة طيبة أو قبيحة ((هذا معنى ما روي عن ابن عباس وابن مسعود وهو الأرجح ، وقيل : بما قدم في أول عمره وما أخر في آخره)) وفي الحديث : (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن سنه سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)

[بل الإنسان على نفسه بصيرة] أي بل هو شاهد على نفسه ، وسوء عمله ، وقبح صنيعه ، لا يحتاج إلى شاهد آخر ، كقوله تعالى : [كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا] والهاء فى [بصيرة] للمبالغة كراوية وعلامة ، قال ابن عباس : الإنسان شاهد على نفسه وحده ، يشهد عليه سمعه وبصره ، ورجلاه ، وجوارحه

[ولو ألقى معاذيره] أي ولو جاء بكل معذرة ، ليبرر إجرامه وفجوره ، فإنه لا ينفعه ذلك ، لأنه شاهد على نفسه ، وحجة بينة عليها ، قال الفخر : المعنى أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإنسان وإن اعتذر عن نفسه ، وجادل عنها ، وأتى بكل عذر وحجة ، فإنه لا ينفعه ذلك ، لأنه شاهد على نفسه بما جنت واقترفت من الموبقات ، . وبعد هذا البيان انتقل الحديث إلى القرآن ، وطريقة تلقى الوحى عن جبريل ، فقال تعالى مخاطبا رسوله (ص)

[لا تحرك به لسانك لتعجل به] أي لا تحرك بالقرآن لسانك عند إلقاء الوحي عليك بواسطة جبريل ، لأجل أن تتعجل بحفظه ، مخافة أن يتفلت منك

[إن علينا جمعه وقرآنه] أي إن علينا أن نجمعه فى صدرك يا محمد ، وأن تحفظه

[فإذا قرأناه فاتبع قرآنه] أي فإذا قرأه عليك جبريل ، فأنصت لاستماعه حتى يفرغ ، ولا تحرك شفتيك أثناء قراءته

[ثم أن علينا بيانه] أي ثم إن علينا بيان ما أشكل عليك فهمه من معانيه وأحكامه ، قال ابن عباس : كان رسول الله (ص)يعالج من التنزيل شدة ، فكان يحرك به لسانه وشفتيه ، مخافة أن ينفلت منه ، يريد أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يحفظه ، فأنزل الله [لا تحرك به لسانك] الآيات ، فكان رسول الله (ص)بعد ذلك إذا أتاه جبريل عليه السلام ، أطرق واستمع ، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل قال ابن عباس : [إن علينا جمعه وقرآنه] قال : فاستمع وأنصت [ثم إن علينا بيانه] قال : أن نبينه بلسانك وقال ابن كثير : كان (ص)يبادر إلى أخذ القرآن ، ويسابق الملك فى قراءته ، فأمره الله عز وجل أن يستمع له ، وتكفل له أن يجمعه فى صدره ، وأن يبينه له ويوضحه ، فالحالة الأولى جمعه في صدره ، والثانية تلاوته ، والثالثة تفسيره وايضاح معناه ثم عاد الحديث عن المكذبين بيوم الدين ، فقال تعالى مخاطبا كفار مكة :

[كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة] أي ارتدعوا يا معشر المشركين ، فليس الأمر كما زعمتم ، أن لا بعث ولا حساب ولا جزاء ، بل أنتم قوم تحبون الدنيا الفانية ، وتتركون الآخرة الباقية ، ولذلك لا تفكرون في العمل للآخرة ، مع أنها خير وأبقى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وجوه يومئذ ناضرة] لما ذكر تعالى أن الناس يؤثرون الدنيا ولذائذها الفانية على الآخرة ، ومسراتها الباقية ، وصف ما يكون يوم القيامة من انقسام الخلق إلى فريقين : أبرار ، وفجار ، والمعنى : وجوه أهل السعادة يوم القيامة مشرقة حسنة مضيئة ، من أثر النعيم ، وبشاشة السرور عليها ، كقوله تعالى :

[تعرف في وجوههم نضرة النعيم]

[إلى ربها ناظرة] أي تنظر إلى جلال ربها ، وتهيم في جماله ، وأعظم نعيم لأهل الجنة رؤية المولى جل وعلا والنظر إلى وجهه الكريم بلا حجاب ، قال الحسن البصري : تنظر إلى الخالق ، وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق ، وبذلك وردت النصوص الصحيحة ((هذا هو مذهب أهل السنة ، ويؤيده ما ورد في الصحيحين (إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر . .) الحديث ، وفى صحيح مسلم (فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا أحب إليهم من النظر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى ربهم تبارك وتعالى) وأنكر المعتزلة رؤية الله في الآخرة ، وأولوا الآية {ناظرة } بمعنى منتظرة تنتظر ثواب ربها ، وهذا باطل لأن نظر بمعنى انتظر يتعدى بغير حرف الجر ، وانظر الأدلة وافية في تفسير الخازن)).

[ووجوه يومئذ باسرة] أي ووجوه يوم القيامة عابسة كالحة ، شديدة العبوس والكلوح ، وهي وجوه الأشقياء أهل الجحيم

[تظن أن يفعل بها فاقرة] أي تتوقع أن تنزل بها داهية عظمى ، تقصم فقار الظهر ، قال ابن كثير : هذه وجوه الفجار ، تكون يوم القيامة كالحة عابسة ، تستيقن أنها هالكه ، وتتوقع أن تحل بها داهية ، تكسر فقار الظهر

[كلا إذا بلغت التراقى] [كلا] ردع وزجر عن إيثار العاجلة ، أي ارتدعوا يا معشر المشركين عن ذلك ، وتنبهوا لما بين أيديكم من الأهوال والمخاطر ، فإن الدنيا دار الفناء ، ولا بد أن تتجرعوا كأس المنية ، إذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بلغت الروح [التراقى] أي أعالى الصدر ، وشارف الإنسان على الموت

[وقيل من راق] أي وقال أهله وأقرباؤه : من يرقيه ويشفيه مما هو فيه ؟ قال فى البحر : ذكرهم تعالى بصعوبة الموت ، وهو أول مراحل الآخرة ، حين تبلغ الروح التراقى - وهي عظام أعلى الصدر - فقال أهله : من يرقى ويطبب ويشفي هذا المريض به ،

[وظن أنه الفراق] أي وأيقن المحتضر أنه سيفارق الدنيا والأهل والمال ، لمعاينته ملائكة الموت

[والتفت الساق بالساق] أي والتفت إحدى ساقي المحتضر على الأخرى ، من شدة كرب الموت وسكراته ، قال الحسن : هما ساقاه إذا التفتا في الكفن ، وروي عن ابن عباس أن المراد اجتمعت عليه شدة مفارقة الدنيا ، مع شدة الموت وكربه ، فيكون ذلك من (باب التمثيل) للأمر الهائل العظيم ، حيث يلتقي عليه شدة كرب الدنيا ، مع شدة كرب الآخرة ، كما يقال : شمرت الحرب عن ساق ، استعارة لشدتها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إلى ربك يومئذ المساق] أي إلى الله جل وعلا مساق العباد ، يجتمع عنده الأبرار والفجار ، ثم يساقون إلى الجنة أو النار قال الخازن : أي مرجع العباد إلى الله تعالى ، يساقون إليه يوم القيامة ليفصل بينهم . . ثم أخبر تعالى عن حال الجاحد المكذب ، فقال سبحانه :
[فلا صدق ولا صلى] أي لم يصدق بالقرآن ، ولم يصلي للرحمن ، قال أبو حيان : والجمهور على أنها نزلت في " أبي جهل " وكادت أن تصرح به في قوله :
[يتمطى] فإنها كانت مشيته ، ومشية قومه (بني مخزوم) ، وكان يكثر منها
[ولكن كذب وتولى] أي ولكن كذب بالقرآن ، وأعرض عن الإيمان
[ثم ذهب إلى أهله يتمطى] أي ذهب يتبختر في مشيته ، وذلك عبارة عن التكبر والخيلاء

[أولى لك فأولى] أي ويل لك يا أيها الشقي ثم ويل لك ، قال المفسرون : هذه العبارة في لغة العرب ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذهبت مذهب المثل في التخويف والتهديد ، وأصلها أنها أفعل تفضيل من وليه الشئ إذا قاربه ودنا منه أي وليك الشر وأوشك أن يصيبك ، فاحذر وانتبه لأمرك . . . روي أن النبي (ص)أخذ بيد أبي جهل ثم قال له : [أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى] فقال أبو جهل : انتوعدني يا محمد وتهددني ؟ والله لا تستطيع أنت وربك أن تفعلا بي شيئا ، والله إنى لأعز أهل الوادي ، ثم لم يلبث أن قتل ببدر شر قتلة

[ثم أولى لك فأولى] كرره مبالغة في التهديد والوعيد ، كأنه يقول : إني أكرر عليك التحذير والتخويف ، فاحذر وانتبه لنفسك ، قبل نزول العقوبة بك . . ولما ذكر في أول السورة إمكان البعث ، ذكر في آخر السورة الأدلة على البعث والنشور فقال سبحانه :

[أيحسب الإنسان أن يترك سدى] ؟ أي أفيظن الإنسان الكافر أن يترك هملا ، من غير بعث ولا حساب ولا جزاء ؟ وبدون تكليف بحيث يبقى كالبهائم المرسلة ؟ لا ينبغي له ولا يليق به هذا الحسبان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ألم يك نطفة من مني يمنى] الاستفهام للتقرير أي أما كان هذا الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين ، يراق ويصب فى الأرحام ؟ والغرض بيان حقارة حاله ، كأنه يقول إنه مخلوق من المني الذي يجري مجرى البول

[ثم كان علقة فخلق فسوى] أي ثم أصبح بعد ذلك قطعة من دم غليظ متجمد يشبهه العلقة ، فخلقه الله بقدرته في أجمل صورة ، وسوى صورته وأتقنها في أحسن تقويم

[فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى] أي فجعل من هذا الإنسان صنفين : ذكرا وأنثى بقدرته تعالى! ! هذا هو أصل الإنسان وتركيبه ، فكيف يليق بمثل هذا الضيف أن يتكبر على طاعة الله ؟

[أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى] أي أليس ذلك الإله الخالق الحكيم ، الذي أنشأ هذه الأشياء العجيبة ، وأوجد الإنسان من ماء مهين ، بقادر على إعادة الخلق بعد فنائهم ؟ بلى إنه على كل شيء قدير ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

روي أن النبي (ص) ، كان إذا قرأ هذه الآية قال : " سبحانك اللهم بلى " وفي رواية أخرى : " فليقل : بلى وعزة ربنا.

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها بما يلي :

1 - الطباق بين [قدم . . وأخر] وكذلك بين [صدق . . وكذب] .

2 - الاستفهام الإنكاري بغرض التوبيخ [أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه] ؟ ومثله [أيحسب الإنسان أن يترك سدى] لأن الغاية التوبيخ والتقريع .

3 - استبعاد تحقق الأمر [يسأل أيان يوم القيامة] فالغرض من الاستفهام الاستبعاد والإنكار .

4 - الجناس غير التام بين [بنانه] و[بيانه] لاختلاف بعض الحروف .

5 - المقابلة اللطيفة بين نضارة وجوه المؤمنين ، وكلاحة وجوه المجرمين [وجوه يومئذ ناضرة ، إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ربها ناظرة] وبين [ووجوه يومئذ باسرة . .] إلخ .

6 - الجناس الناقص بين لفظ [الساق] و[المساق] .

7 - المجاز المرسل [وجوه يومئذ] عبر بالوجه عن الجملة فهو من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل .

8 - الالتفات [أولى لك فأولى] فيه التفات من الغيبة إلى المخاطب تقبيحا له وتشنيعا .

9 - توافق الفواصل ويسمى في علم البديع السجع المرصع مثل [فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذ أين المفر] وهذا من خصائص القرآن ، معجزة محمد (ص) .

سورة الإنسان

مدنية وآياتها إحدى وثلاثون آية

بين يدي السورة

* سورة الدهر من السور المدنية ، وهي تعالج أمورا تتعلق بالآخرة ، وبوجه خاص تتحدث عن نعيم المتقين الأبرار ، في دار الخلد والإقامة في جنات النعيم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويكاد يكون جو السورة هو جو السور المكية لايحاءاتها وأسلوبها ومواضيعها المتنوعة .

* ابتدأت السورة الكريمة ببيان قدرة الله في خلق الإنسان في أطوار ، وتهيئته ليقوم بما كلف به من أنواع العبادة ، حيث جعل الله تعالى له السمع والبصر وسائر الحواس [هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا] الآيات .

* ثم تحدثت عن النعيم الذي أعده الله في الآخرة لأهل الجنة [إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا] الآيات .

* ثم ذكرت أوصاف هؤلاء السعداء بشيء من الاسهاب ، فوصفتهم بالوفاء بالنذر ، وإطعام الفقراء ابتغاء مرضاة الله ، والخوف من عذاب الله ، وذكرت أن الله تعالى قد آمنهم من ذلك اليوم العبوس ، الذى تكلح فيه الوجوه [يوفون بالنذر ويخافون يوما كان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا] الآيات .

* وأشادت بعد ذكر أوصافهم بما لهم عند الله من الأجر والكرامة في دار الإقامة ، وبما حباهم الله من الفضل والنعيم يوم الدين [وجزاهم بما صبروا جنة وحربرا متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا] الآيات .

* وتتابعت السورة في سرد نعيم أهل الجنة في مأكلهم ، ومشربهم ، وملبسهم ، وخدمهم الذين يطوفون عليهم صباح مساء [ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا قوارير من فضة قدروها تقديرا ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا] الآيات .

* وختمت السورة الكريمة ببيان أن هذا القرآن تذكرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لمن كان له قلب يعي ، أو فكر ثاقب يستضيء بنوره

[إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما] .

قال الله تعالى : [هل أتى على الانسان حين من الدهر] إلى قوله [والظالمين أعد لهم عذابا أليما] من آية (1) إلى آية (31) نهاية السورة الكريمة .

اللغة :

[أمشاج] أخلاط جمع مشج ومشيج مثل شريف وأشراف ، يقال للشيء إذا خلط بغيره : مشيج كخليط لفظا ومعنى

[مستطيرا] منتشرا غاية الانتشار يقال : استطار الشيء انتشر

[قمطريرا] القمطرير : الشديد العصيب الذي يطول بلاؤه ، قال الأخفش : القمطرير أشد ما يكون من الأيام وأطوله في البلاء

[دانية] قريبة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ذللت] سخرت وقربت

[سلسبيلا] السلسبيل : الشراب اللذيذ الذي هو غاية في السلاسة ، والذي يسهل في الحلق لعذوبته وصفائه

[سندس] السندس : الرقيق من ثياب الحرير

[استبرق] ثياب الحرير الغليظة ويسمى الديباج

[أسرهم] الأسر في الأصل : الشد والربط ، ثم أطلق على الخلق يقال : شد أسره أي أحسن خلقه وأحكم تكوينه ، قال الأخطل : من كلك مجتنب شديد أسره

سلس القياد تخاله مختالا

التفسير :

[هل أتى على الإنسان حين من الدهر] أي قد مضى على الإنسان وقت طويل من الزمان

[لم يكن شيئا مذكورا] أي كان في العدم ، لم يكن له ذكر ولا وجود ، قال ابن كثير : يخبر تعالى عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئا يذكر ، لحقارته وضعفه قال المفسرون : [هل أتى] بمعنى قد أتى كما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تقول : هل رأيت صنيع فلان ، وقد علمت أنه قد رآه ، وتقول : هل أكرمتك ، هل وعظتك ؟ ومقصودك أن تقرره بأنك قد أكرمته ووعظته ، والمراد بالإنسان الجنس ، وبالحين مدة لبثه في بطن أمه ، والغرض من الآية تذكير الإنسان بأصل نشأته ، فقد كان شيئا غائبا لا يفطن له ، وكان في العدم جرثومة في صلب أبيه ، وماء مهينا لا يعلم به ، إلا خالقه ، ومر عليه حين من الدهر كان الكوكب الأرضى خاليا منه ، ثم خلقه الله ، وأبدع تكوينه وإنشاءه ، بعد أن كان مغمورا ومنسيا لا يعلم به أحد . . وبعد أن قرر تعالى أن الإنسان مر عليه وقت لم يكن موجودا ، أخذ يشرح كيف أفاض عليه نعمة الوجود ، واختبره بالتكاليف الشرعية ، بعد أن متعه بنعمة العقل والحواس فقال سبحانه :

[إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج] أي نحن بقدرتنا خلقنا هذا الإنسان من ماء مهين - وهو المنى - الذي ينطف من صلب الرجل ، ويختلط بماء المرأة " البويضة الأنثوية " فيتكون منهما هذا المخلوق العجيب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، قال ابن عباس : [أمشاج] يعني أخلاط ، وهو ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا ، ثم ينتقل بعد من طور إلى طور ، ومن حال إلى حال

[نبتليه] أي لنختبره بالتكاليف الشرعية ، والأوامر الإلهية ، لننظر أيشكر أم يكفر ؟ وهل يستقيم في سيره ، ام ينحرف ويزيغ ؟

[فجعلناه سميعا بصيرا] أي فجعلناه من أجل ذلك عاقلا مميزا ، ذا سمع وبصر ، ليسمع الآيات التنزيلية ، ويبصر الدلائل الكونية ، على وجود الخالق الحكيم ، قال الإمام الفخر : أعطاه تعالى ما يصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر ، وهما كنايتان عن الفهم والتمييز ، كما قال تعالى حاكيا عن إبراهيم [لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر] ؟ وقد يراد بهما الحاستان المعروفتان ، وخصهما بالذكر لأنهما أعظم الحواس وأشرفها

[إنا هديناه السبيل] أي بينا للإنسان وعرفناه طريق الهدى والضلال ، والخير والشر ، ببعثة الرسل ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإنزال الكتب ! ! أخبر تعالى أنه بعد أن ركبه وأعطاه الحواس الظاهرة والباطنة ، بين له سبيل الهدى والضلال ، ومنحه العقل وترك له حرية الاختيار ، ثم هو بعد ذلك إما أن يشكر ، أو يكفر ، ولهذا قال بعده : [إما شاكرا وإما كفورا] أي إما أن يكون مؤمنا شاكرا لنعمة الله ، فيسلك سبيل الخير والطاعة ، وإما أن يكون شقيا فاجرا ، فيكفر بنعمة الله ، ويسلك سبيل الشر والفجور ، قال المفسرون : المراد هديناه السبيل ليكون إما شاكرا وإما كفورا ، فالله تعالى دل الإنسان على سبيل الشكر والكفر ، وعلى الإنسان أن يختار سلوك هذا أو ذاك ، وهذه الآية من جملة الآيات الكثيرة الدالة على أن للإنسان إرادة واختيارا هما مناط التكليف ، كقوله تعالى : [من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء] إلى قوله [ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها] وكقوله : [وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر] فلا إكراه لأحد ولا إجبار ، وإنما الأمر بمحض الإرادة والاختيار. . ثم بعد هذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البيان الواضح ، بين ما أعده للأبرار والفجار في دار القرار ، فقال سبحانه :

[إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا] أي هيأنا للكافرين المجرمين قيودا ، تشد بها أرجلهم ، وأغلالا تغل بها أيديهم إلى أعناقهم ، وسعيرا أي نارا موقدة مستعرة يحرقون بها ، كقوله تعالى : [إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون]

[إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا] أي إن المؤمنين المتقين ، الذين كانوا فى الدنيا أبرارا بطاعتهم الجبار ، يشربون كأسا من الخمر ، ممزوجة بأنفس أنواع الطيب وهو الكافور ، قال المفسرون : الكافور طيب معروف يستحضر من أشجار ببلاد الهند والصين ، وهو من أنفس أنواع الطيب عند العرب ، والمراد أن من شرب تلك الكأس وجدها في طيب رائحتها ، وفوحان شذاها كالكافور. قال ابن عباس :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكافور اسم عين ماء في الجنة يقال له (عين الكافور) تمتزج الكأس بماء هذه العين ، ويختم بالمسك فتكون ألذ شراب ، ولهذا قال تعالى :

[عينا يشرب بها عباد الله] أي هذا الكافور يتدفق من عين جارية من عيون الجنة ، يشرب منها عباد الله الأبرار ، وصفهم بالعبودية تكريما لهم وتشريفا بإضافتهم إليه تعالى [عباد الله] والمراد بهم المؤمنون المتقون

[يفجرونها تفجيرا] أي يجرونها حيث شاءوا من الدور والقصور ، قال الصاوي : المراد أنها سهلة لا تمتنع عليهم ، ورد أن الرجل منهم يمشى في بيوته ، ويصعد إلى قصوره وبيده قضيب يشير به إلى الماء ، فيجري معه حيثما دار في منازله ، ويتبعه حيثما صعد إلى أعلى قصوره . . ولما ذكر ثواب الأبرار ، بين صفاتهم الجليلة التي استحقوا بها ذلك الأجر الجزيل ، فقال سبحانه :

[يوفون بالنذر] أي يوفون بما قطعوه على أنفسهم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نذر في طاعة الله ، إذا نذروا طاعة فعلوها ، قال الطبري : النذر كل ما أوجبه الإنسان على نفسه من فعل ، فإذا نذروا بروا بوفائهم لله ، بالنذور التي في طاعة الله ، من صلاة ، وزكاة ، وحج ، وصدقة ، قال المفسرون : وهذا مبالغة فى وصفهم بأداء الواجبات ، لأن من وفى بما أوجبه هو على نفسه ، كان بما أوجبه الله عليه أوفى

[ويخافون يوما كان شره مستطيرا] أي ويخافون هول يوم عظيم ، كانت أهواله وشدائده - من تفطر السموات ، وتناثر الكواكب ، وتطاير الجبال ، وغير ذلك من الأهوال - ممتدة منتشرة فاشية ، بالغة أقصى حدود الشدة والفزع ، قال قتادة : استطار والله شر ذلك اليوم حتى بلغ السموات والأرض

[ويطعمون الطعام على حبه] أي ويطعمون الطعام مع شهوتهم له ، وحاجتهم إليه

[مسكينا ويتيما وأسيرا] أي فقيرا لا يملك من حطام الدنيا شيئا ، ويتيما مات أبوه وهو صغير ، فعدم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الناصر والكفيل ، وأسيرا وهو من أسر فى الحرب من المشركين ، قال الحسن البصري : كان رسول الله (ص)يؤتى بالأسير ، فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول له : أحسن إليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه. . نبه تعالى إلى أن أولئك الأبرار مع حاجتهم إلى ذلك الطعام ، في سد جوعتهم وجوعة عيالهم ، يطيبون نفسا عنه للبؤساء ، ويؤثرونهم به على أنفسهم كقوله تعالى : [ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة]

[إنما نطعمكم لوجه الله] أي إنما نحسن إليكم ابتغاء مرضاة الله وطلب ثوابه

[لا نريد منكم جزاء ولا شكورا] أي لا نبتغي من وراء هذا الإحسان مكافأة ، ولا نقصد الحمد والثناء منكم ، قال مجاهد : أما والله ما قالوه بألسنتهم ، ولكن علم الله به من قلوبهم ، فأثنى عليهم به ، ليرغب في ذلك راغب

[إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا] أي إنما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نفعل ذلك رجاء أن يقينا الله هول يوم شديد ، تعبس فيه الوجوه من فظاعة أمره ، وشدة هوله ، وهو يوم قمطرير أي شديد عصيب

[فوقاهم الله شر ذلك اليوم] أي حماهم الله ودفع عنهم شر ذلك اليوم وشدته

[ولقاهم نضرة وسرورا] أي وأعطاهم نضرة فى الوجه ، وسرورا في القلب ، والتنكير فى [سرورا] للتعظيم والتفخييم

[وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا] أي وأثابهم بسبب صبرهم على مرارة الطاعة والإيثار بالمال ، جنة واسعة وألبسهم فيها الحرير كما قال تعالى : [ولباسهم فيها حرير] . . وفي الآية إيجاز ، آخذ بأطراف الإعجاز ، فقد أشار تعالى بقوله : [جنة] إلى ما يتمتع به أولئك الأبرار فى دار الكرامة ، من أصناف الفواكه والثمار ، والمطاعم والمشارب الهنية ، فإن الجنة لا تسمى جنة إلا وفيها كل أسباب الراحة كما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال تعالى : [وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين]
وأشار بقوله : [وحريرا] إلى ما يتمتعون به من انواع الزينة واللباس ، التي من أنفسها وأغلاها عند العرب الحرير ، فقد جمع لهم أنواع الطعام والشراب واللباس ، وهو قصارى ما تتطلع له نفوس الناس . .
ولما ذكر طعامهم ولباسهم وصف نعيمهم ومساكنهم فقال :
[متكئين فيها على الأرائك] أي مضطجعين في الجنة على الأسرة المزينة بفاخر الثياب والستور ، والأرائك جمع أريكة وهي السرير ترخى عليه الحجلة ، والحجلة هي ما يندل على السرير من فاخر الثياب والستور ، وإنما خصهم بهذه الحالة لأنها أتم حالات المتنعم
[لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا] أي لا يجدون فيها حرا ولا بردا ، لأن هواءها معتدل ، فلا حر ولا قر ، وإنما هي نسمات تهب من العرش تحيي الأنفاس
[ودانية عليهم ظلالها] أي ظلال الأشجار في الجنة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قريبة من الأبرار

[وذللت قطوفها تذليلا] أي أدنيت ثمارها منهم ، وسهل عليهم تناولها ، قال ابن عباس : إذا هم أن يتناول من ثمارها ، تدلت إليه حتى يتناول منها ما يريد . . ولما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم ، وصف بعد ذلك شرابهم فقال :

[ويطاف عليهم بآنية من فضة] أي يدور عليهم الخدم بالأواني الفضية فيها الطعام والشراب - على عادة أهل الترف والنعيم في الدنيا - فيتناول كل واحد منهم حاجته ، وهذه الأواني هي الصحاف بعضها من فضة ، وبعضها من ذهب كما قال تعالى : [يطاف عليهم بصحاف من ذهب] قال الرازي : ولا منافاة بين الآيتين ، فتارة يسقون بهذا ، وتارة بذاك

[وأكواب كانت قواريرا] أي وأكواب - وهي كالأقداح - رقيقة شفافة كالزجاج في صفائه ، قال في البحر : ومعنى [كانت] أن الله تعالى أوجدها بقدرته ، فيكون تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشأن ، الجامعة بين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بياض الفضة ونصوعها ، وشفيف القوارير وصفائها

[قواريرا من فضة] أي هي جامعة بين صفاء الزجاج ، وحسن الفضة ، قال ابن عباس : ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء - يعني أن ما في الجنة أسمى وأشرف وأعلى - ولو أخذت فضة من فضة الدنيا ، فضربتها حتى جعلتها مثل جناح الذباب ، لم ير الماء من ورائها ، ولكن قوارير الجنة ببياض الفضة ، مع صفاء القواربر

[قدروها تقديرا] أي قدرها السقاة على مقدار حاجتهم ، لا تزيد ولا تنقص ، وذلك ألذ وأشهى ، قال ابن عباس : أتوا بها على قدر الحاجة لا يفضلون شيئا ، ولا يشتهون بعدها شيئا

[ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا] أي يسقى هؤلاء الأبرار في الجنة كأسا من الخمر ، ممزوجة بالزنجبيل ، والعرب تستلذ من الشراب ما مزج بالزنجبيل لطيب رائحته ، قال القرطبي : فرغبوا في نعيم الآخرة بما اعتقدوه نهاية النعمة والطيب قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قتادة : الزنجبيل اسم لعين في الجنة يشرب منها المقربون صرفا ، وتمزج لسائر أهل الجنة

[عينا فيها تسمى سلسبيلا] أي يشربون من عين في الجنة تسمى السلسبيل ، لسهولة مساغها وانحدارها في الحلق ، قال المفسرون : السلسبيل : الماء العذب ، السهل الجريان في الحلق لعذوبته وصفائه ، وإنما وصف بأنه سلسبيل ، لأن ذلك الشراب يكون في طعم الزنجبيل ، ولكن ليس فيه لذعته ، فيشعر الشاربون بطعمه ، لكنهم لا يشعرون بحرافته ، فيبقى الشراب سلسبيلا ، سهل المساغ في الحلق . . ثم وصف بعد ذلك خدم أهل الجنة ، فقال سبحانه :

[ويطوف عليهم ولدان مخلدون] أي ويدور على هؤلاء الأبرار ، غلمان ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين [مخلدون] أي دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء ، قال القرطبي : أي باقون على ما هم عليه من الشباب ، والنضارة ، والغضاضة ، والحسن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، لا يهرمون ولا يتغيرون ، ويكونون على سن واحدة على مر الأزمنة

[إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا] أي إذا نظرتهم منشرين في الجنة لخدمة أهلها ، خلتهم لحسنهم ، وصفاء ألوانهم ، وإشراق وجوههم ، كأنهم اللؤلو المنثور ، قال الرازي : هذا من التشبيه العجيب ، لأن اللؤلؤ إذا كان متفرقا يكون أحسن فى المنظر ، لوقوع شعاع بعضه على بعض فيكون أروع وأبدع

[وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا] أي وإذا رأيت هناك مما في الجنة من مظاهر الأنس والسرور ، رأيت نعيما لا يكاد يوصف ، وملكا واسعا عظيما لا غاية له ، كما في الحديث القدسي : (أعددت لعبادي الصالحين ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر) قال ابن كثير : وثبت في الصحيح أن : (أقل أهل الجنة منزلة من له قدر الدنيا وعشرة أمثالها) فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون في الجنة ، فما ظنك بمن هو أعلى منزلة ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأحظى عنده تعالى ؟ ثم زاد تعالى في بيان وصف نعيمهم فقال :

[عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق] أي تعلوهم الثياب الفاخرة الخضراء ، المزينة بأنواع الزينة ، من الحرير الرقيق - وهو السندس - والحرير الثخين وهو - الاستبرق - فلباسهم فى الجنة الحرير كما قال تعالى : [ولباسهم فيها حرير] قال المفسرون : السندس ما رق من الحرير ، والاستبرق ما غلظ من الحرير ، وهذا لباس الأبرار في الجنة ، وإنما قال : [عاليهم] لينبه على أن لهم عدة من الثياب ، ولكن الذي يعلوها هي هذه ، فتكون أفضلها

[وحلوا أساور من فضة] أي وألبسوا في الجنة أساور فضية للزينة والحلية ، وعبر بالماضي إشارة لتحقق وقوعه ، قال الصاوي : فإن قيل : كيف قال هنا : [أساور من فضة] وفي سورة الكهف : [يحلون فيها من أساور من ذهب] وفي سورة فاطر : [يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا] فالجواب أنهم تارة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يلبسون الذهب فقط ، وتارة يلبسون الفضة ، وتارة يلبسون اللؤلؤ فقط ، على حسب ما يشتهون ، ويمكن أن يجمع في يد أحدهم أسورة الذهب والفضة واللؤلؤ [وسقاهم ربهم شرابا طهورا] أي سقاهم الله - فوق ذلك النعيم - شرابا طاهرا لم تدنسه الأيدي ، وليس بنجس كخمر الدنيا ، قال الطبري : سقي هؤلاء الأبرار شرابا طهورا ، ومن طهره أنه لا يصير بلولا نجسا ، بل رشحا من أبدانهم كرشح المسك ، روي أن الرجل من أهل الجنة يقسم له شهوة مائة رجل من أهل الدنيا ، فإذا أكل سقي شرابا طهورا ، فيصير رشحا يخرج من جلده ، أطيب ريحا من المسك الإذخر [إن هذا كان لكم جزاء] أي يقال لهم بعد دخولهم الجنة ومشاهدتهم نعيمها : هذا مقابل أعمالكم الصالحة في الدنيا

[وكان سعيكم مشكورا] أي وكان عملكم مقبولا مرضيا ، جوزيتم عليه أحسن الجزاء ، مع الشكر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والعناء . . ذكر تعالى في الآيات السابقة ، أن الله تعالى أعد للكافرين السلاسل والأغلال ، وهيأ للأبرار أرائك يتكئون عليها ، وعليهم ثياب السندس والإستبرق ، وفي معاصمهم أساور الفضة ، وبين أيديهم ولدان مخلدون ، كأنهم اللؤلؤ المنثور ، يطوفون على أولئك الأبرار بصحاف الفضة وأكوابها الصافية النقية ، وقد ملئت شرابا ممزوجا بالزنجبيل والكافور ، وكل ذلك للترغيب والترهيب ، على طريقة القرآن فى المقارنة بين أحوال الأبرار والفجار . . وبعد هذا الوضوح والبيان ، كان المشركون يقابلون كل هذه الآيات بالصد والإعراض ، والاستهزاء بالقرآن وبمحمد (ص) ، وكان الرسول يتألم ويحزن لموقف المعاندين ، لذلك جاءت الآيات تشد من عزيمته ، وتسليه وتخفف من قلبه الشريف ، آثار الهم والضجر

[إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا] أي نحن الذين أنزلنا عليك يا محمد هذا القرآن مفرقا ، لتذكرهم بما فيه من الوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب ، فلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تبتئس ولا تحزن ولا تضجر ، فالقرآن حق ووعده صدق

[فاصبر لحكم ربك] اي اصبر يا محمد وانتظر لحكم ربك وقضائه ، فلابد أن ينتقم منهم ، ويقر عينك بإهلاكهم ، إن عاجلا أو أجلا

[ولا تطع منهم آثما] أي ولا تطع من هؤلاء الفجرة من كان [آثما] منغمسا في الشهوات ، غارقا فى الموبقات

[أو كفورا] أي ولا تطع من كان مبالغا في الكفر والضلال ، لا ينزجر ولا يرتعد ، وصيغة [كفورا] من صيغ المبالغة ومعناها المبالغ في الكفر والجحود ، قال المفسرون : نزلت فى " عتبة بن ربيعة " و " الوليد بن المغيرة " قالا للنبي (ص) : إن كنت تريد النساء والمال فارجع عن هذا الأمر ونحن نكفيك ذلك ، فقال عتبة : أنا أزوجك ابنتي وأسوقها لك من غير مهر ، وقال الوليد : أنا أعطيك من المال حتى ترضى فنزلت ، والأحسن أنها على العموم ، لأن لفظها عام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهي تشمل كل فاسق وكافر
[واذكر اسم ربك] أي صل لربك وأكثر من عبادته وطاعته
[بكرة وأصيلا] أي في أول النهار وآخره ، في الصباح والمساء
[ومن الليل فاسجد له] أي ومن الليل فصل له ، متهجدا مستغرقا في مناجاته
[وسبحه ليلا طويلا] أي وأكثر من التهجد والقيام لربك في جناح الظلام والناس نيام ، كقوله تعالى : [ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا] والمقصود أن يكون عابدا لله ، ذاكرا له فى جميع الأوقات ، في الليل والنهار ، والصباح والمساء ، بقلبه ولسانه ، ليتقوى على مجابهة أعدائه . . وبعد تسلية النبي الكريم ، عاد إلى شرح أحوال الكفرة المجرمين فقال :
[إن هؤلاء يحبون العاجلة] أي إن هؤلاء المشركين يفضلون الدنيا على الآخرة ، وينهمكون في لذائذها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفانية

[ويذرون وراءهم يوما ثقيلا] أي ويتركون أمامهم يوما عسيرا شديدا ، عظيم الأهوال والشدائد ، وهو يوم القيامة

[نحن خلقناهم وشددنا أسرهم] أي نحن بقدرتنا أوجدناهم من العدم ، وأحكمنا ربط مفاصلهم ، بالأعصاب والعروق ، حتى كانوا أقوياء أشداء

[وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا] أي ولو أردنا أهلكناهم ، ثم بدلنا خيرا منهم ، يكونون أعبد لله وأطوع ، وفي الآية تهديد ووعيد

[إن هذه تذكرة] أي هذه الآيات الكريمة بمعناها الدقيق ، ولفظها الرشيق ، موعظة وذكرى ، يتذكر بها العاقل ، وينزجر بها الجاهل

[فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا] أي فمن أراد الانتفاع والاعتبار وسلوك طريق السعادة ، فليعتبر بآيات القرآن ، وليستتر بنوره وضيائه ، وليتخذ طريقا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

موصلا إلى ربه ، بطاعته وطلب مرضاته ، فأسباب السعادة ميسورة ، وسبل النجاة ممهدة

[وما تشاءون إلا أن يشاء الله] أي وما تشاءون أمرا من الأمور ، إلا بتقدير الله ومشيئته ، ولا يحصل شيء من الطاعة والاستقامة إلا بإذنه تعالى وإرادته ، قال ابن كثير : أى لا يقدر أحد أن يهدي نفسه ، ولا يدخل فى الإيمان ، ولا يجر لنفسه نفعا ، إلا بمشيئة الله تعالى

[إن الله كان عليما حكيما] أى هو تعالى عالم بأحوال خلقه ، حكيم في تدبيره وصنعه ، يعلم من يستحق الهداية فييسرها له ، ومن يستحق الضلالة فيسهل له أسبابها ، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة

[يدخل من يشاء في رحمته] أي يدخل من شاء من عباده جنته ورضوانه ، حسب مشيئته وحكمته ، وهم المؤمنون

[والظالمين أعد لهم عذابا أليما] أي وأما المشركون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الظالمون فقد هيأ لهم عذابا شديدا مؤلما في دار الجحيم ! ختم الله السورة الكريمة ببيان مآل المتقين ، ومآل الكفرة المجرمين ، للجمع بين الوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب .

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع وهي كالاتي :

1 - الطباق بين [شاكرا . . وكفورا] وبين [بكرة . . وأصيلا] .

2 - اللف والنشر المشوش [إنا أعتدنا للكافرين سلاسل] فإنه قدم أولا ذكر الشاكر ثم الكافر [شاكرا أو كفورا] ثم عاد بالذكر على الثاني [أعتدنا للكافرين] دون الأول ففيه (لف ونشر غير مرتب) وهو من أساليب علم البديع .

3 - المجاز العقلي [يوما عبوسا] إسناد العبوس إلى اليوم من إسناد الشيء إلى زمانه كقولهم : نهاره صائم ، وليله قائم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4 - الجناس غير التام [فوقاهم . . ولقاهم] فبين (وقاهم) و(لقاهم) جناس ناقص .

5 - جناس الاشتقاق [ويطعمون الطعام] .

6 - الطباق بين [يحبون . . ويذرون] .

7 - الإيجاز بالحذف [إن هذا كان لكم جزاء] أي يقال لهم : إن هذا . .

8 - التشبيه البديع الرائع [إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا] أي كاللؤلو المنتثر فى الحسن والبهاء والجمال .

9 - المقابلة اللطيفة [يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا] قابل بين المحبة والترك ، وبين العاجلة والآخرة التي عبر عنها باليوم الثقيل .

سورة المرسلات

مكية وآياتها خمسون آية

بين يدي السورة

* سورة المرسلات مكية ، وهي كسائر السور المكية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالج أمور العقيدة ، وتبحث عن شؤون الآخرة ، ودلائل القدرة والوحدانية ، وسائر الأمور الغيبية .

* ابتدات السورة الكريمة بالقسم بأنواع الملائكة ، المكلفين بتدبير شؤون الكون ، على أن القيامة حق ، وأن العذاب والهلاك واقع على الكافرين [والمرسلات عرفا ، فالعاصفات عصفا ، والناشرات نشرا ، فالفارقات فرقا ، فالملقيات ذكرا ، عذرا أو نذرا ، إنما توعدون لواقع] الآيات .

* ثم تحدثت عن وقت ذلك العذاب الذي وعد به المجرمون [فإذا النجوم طمست ، وإذا السماء فرجت ، وإذا الجبال نسف ، وإذا الرسل اقتتت ، لأي يوم أجلت ، ليوم الفصل ، وما أدراك ما يوم الفصل] .

* وتناولت السورة بعد ذلك دلائل قدرة الله الباهرة ، على إعادة الإنسان بعد الموت ، وإحيائه بعد الفناء [ويل يومئذ للمكذبين ، ألم نهلك الأولين ، ثم نتبعهم الأخرين ، كذلك نفعل بالمجرمين ، ويل يومئذ للمكذبين ، ألم نخلقكم من ماء مهين] الآيات .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* ثم تحدثت عن مآل المجرمين في الآخرة ، وما يلقون فيه من نكال وعقاب [ويل يومئذ! للمكذبين ، انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ، انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب ، لا ظليل! ولا يغني من اللهب ، إنها ترمى بشرر كالقصر ، كأنه جمالت صفر . .] الآيات .

* وبعد الحديث عن المجرمين ، تحدثت السورة عن المؤمنين المتقين ، وذكرت ما أعده الله تعالى لهم من أنواع النعيم ووالإكرام [إن المتقين في ظلال وعيون ، وفواكه مما يشتهون ، كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ، إنا كذلك نجزي المحسنين] الآيات .

* وختمت السورة الكريمة ببيان سبب امتناع الكفار ، عن عبادة الله الواحد القهار ، وهو الطغيان والإجرام [ويل يومئذ للمكذبين ، كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون ، ويل يومئذ! للمكذبين ، وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ، ويل يومئذ للمكذبين ، فبأي حديث بعده يؤمنون] وإنه لوعيد وتهديد شديد ، ترتجف له القلوب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، وتفزع منه الألباب !

اللغة :

[فرجت] فتحت وشقت ، يقال : فرجت الشيء فانفرج ، أي فتحته فانفتح

[كفاتا] جامعة تجمع الأحياء والأموات ، والكفت في اللغة : الضم والجمع ، قال الشاعر : فأنت اليوم فوق الأرض حى وأنت غدا تضمك فى كفات

[شامخات] عاليات مرتفعات ، يقال : شمخ بأنفه إذا رفعه تيها وكبرا

[مهين] حقير

[فراتا] عذبا حلوا شديد الحلاوة

[بشرر] الشرر ما تطاير من النار وتفرق في الهواء ، جمع شررة

[جمالات] إبل جمع جمل ، يقال : جمل ، وجمال ، وجمالات .

[الفصل] الجزاء ، سمي فصلا لأن الله يفصل فيه بين الخلائق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[كيد] حيلة ومكر

[ظلال] جمع ظل ، وهو ظلال الأشجار الوارفة ، والثمار اليانعة ، وظلال القصور والدور

[اركعوا] الركوع : انحناء الظهر ، والمراد به هنا الصلاة لله عز وجل ، أي صلوا لله ، عبر عنها بالركوع ، لأنه أحد أركان الصلاة . تفسير سورة المرسلات

التفسير :

[والمرسلات عرفا] أي أقسم بالرياح حين تهب متتابعة ، يقفو بعضها إثر بعض ((اختلف المفسرون اختلافا كبيرا في تفسير هذه الآيات الخمس فبعضهم حملها جميعا على الرياح وبعضهم حملها جميعا على الملائكة ، وبعضهم فصل ، وتوقف الإمام ابن جرير ، وقد اخترنا ما ذهب إليه ابن كثير وما رجحه صاحب التسهيل حيث قال : والأظهر في {المرسلات . والعاصفات } انها الرياح لأن وصف الرياح بالعصف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حقيقة والأظهر فى {الناشرات ، والفارقات } أنها الملائكة لأن قوله {فالملقيات ذكرا} المذكورة بعدها في الملائكة ولم يقل أحد أنها الرياح ولذلك عطف المتجانس بالفاء فقال {والمرسلات فالعاصفات } ثم عطف ما ليس من جنسها بالواو فقال {والناشرات } ثم عطف بالفاء وهذا قول جيد وهو الأصح والأظهر ، والله اعلم)) قال المفسرون : هي رياح العذاب التي يهلك الله بها الظالمين

[فالعاصفات عصفا] أي وأقسم بالرياح الشديدة الهبوب ، إذا أرسلت عاصفة شديدة ، قلعت الأشجار ، وخربت الديار ، وغيرت الآثار

[والناشرات نشرا] أي وأقسم بالملائكة الموكلين بالسحب يسوقونها حيث شاء الله ، لتنتشر رحمة الله - المطر - فتحيي به البلاد والعباد

[فالفارقات فرقا] أي وأقسم بالملائكة التي تفرق بين الحق والباطل ، والحلال والحرام

[فالملقيات ذكرا] أي وأقسم بالملائكة تنزل بالوحي ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتلقي كتب الله تبارك وتعالى إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

[عذرا أو نذرا] أي تلقي الوحي إعذارا من الله للعباد ، لئلا يبقى لهم حجة عند الله ، أو إنذاراً من الله للخلق بالنقمة والعذاب

[إنما توعدون لواقع] هذا هو جواب القسم ، أي إن ما توعدون به من أمر القيامة ، وأمر الحساب والجزاء ، كائن لا محالة ، قال المفسرون : أقسم تعالى بخمسة أشياء ، تنبيها على جلالة قدر المقسم به ، وتعظيما لشأن المقسم عليه ، فأقسم بالرياح التي تحمل الرحمة والعذاب ، وتسوق للعباد الخير أو الشر ، وبالملائكة الأبرار ، الذين يتنزلون بالوحي للإعذار والإنذار ، أقسم على أن أمر القيامة حق لا شك فيه ، وأن ما أوعد الله تعالى به المكذبين ، من مجيء الساعة والثواب والعقاب ، كائن لا محالة ، فلا ينبغي الشك والامتراء. . ثم بين تعالى وفصل وقت وقوع ذلك فقال

[فإذا النجوم طمست] أي محيت النجوم ، وذهب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نورها وضياؤها

[وإذا السماء فرجت] أي شقت السماء وتصدعت

[وإذا الجبال نسفت] أي تطايرت الجبال وتناثرت حتى أصبحت هباء تذروه الرياح ، كقوله تعالى [ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا]

[وإذا الرسل أقتت] أي جعل للرسل وقت وأجل ، للفصل بينهم وبين الأمم ، وهو يوم القيامة ، كقوله تعالى [يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم] ؟ وأصل [أقتت] وقتت من الوقت أي جعل لها وقت محدد ، قال الطبري : أي أجلمت للاجتماع لوقتها يوم القيامة وقال مجاهد : هو الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم

[لأى يوم أجلت] ؟ استفهام لتعظيم ذلك اليوم ، والتعجيب لما يقع فيه من الهول والشدة ، أي لأي يوم عظيم أخرت الرسل ؟ ثم قال

[ليوم الفصل] أي ليوم القضاء والفصل بين الخلائق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، يوم يفصل الله بين الأنبياء وأممهم المكذبين ، بحكمه العادل

[وما أدراك ما يوم الفصل] ؟ استفهام للتعظيم والتهويل أي وما أعلمك أيها الإنسان بيوم الفصل وشدته وهوله ؟ فإن ذلك اليوم أعظم من أن يعرف أمره إنسان ، أو يحيط به عقل أو وجدان ، ووضع الظاهر [ما يوم الفصل] مكان الضير " ما هو " لزيادة تفظيع وتهويل أمره ، قال الإمام الفخر : عجب العباد من تعظيم ذلك اليوم فقال : لأي يوم أجلت الأمور المتعلقة بهؤلاء الرسل ، وهي تعذيب من كذبهم ، وتعظيم من آمن بهم ، وظهور ما كانوا يدعون الخلق إلى الإيمان به ، من الأهوال والعرض والحساب ، ثم إنه تعالى بين ذلك فقال [ليوم الفصل] وهو يوم يفصل الرحمن بين الخلائق ، ثم أتبع ذلك تعظيما ثانيا فقال [وما أدراك ما يوم الفصل] أي ما أعلمك ما هو يوم الفصل وشدته ومهابته ؟ وجواب الشرط [فإذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النجوم] إلخ محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره : وقع ما توعدون به ، وجرى ما أخبركم به الرسل ، من مجيء القيامة ، والحذف على هذه الصورة من أساليب الإيجاز البياني الذي امتاز به القرآن

[ويل يومئذ للمكذبين] أي هلاك عظيم وخسار كبير في ذلك اليوم ، لأولئك المكذبين بهذا اليوم الموعود ، قال المفسرون : كرر هذه الجملة [ويل يومئذ للمكذبين] في هذه السورة عشر مرات لمزيد الترغيب والترهيب ، وفي كل جملة وردت إخبار عن أشياء عن أحوال الآخرة ، وتذكير بأحوال الدنيا ، فناسب أن يذكر الوعيد عقيب كل جملة منها بالويل والدمار ، للكفرة الفجار !! ولما ذكر تعالى فى سورة الإنسان السابقة ، بعضا من أحوال الكفار فى الآخرة ، وأطنب فى وصف أحوال المؤمنين هناك ، جاء في هذه السورة بالإطناب في وصف الكفار ، والإيجاز في وصف المؤمنين . . ثم بعد أن أكد الخبر بيوم القيامة ، وأنه حق كائن لا محالة ، وبعد أن خوف المكذبين من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شدة هول ذلك اليوم ، وفظاعة ما يقع فيه ، عاد فخوفهم من بطش الله وانتقامه ، بأسلوب آخر فقال

[ألم نهلك الأولين] ؟ أي ألم نهلك السابقين بتكذيبهم للرسل ، كقوم نوح وعاد وثمود ؟

[ثم نتبعهم الآخرين] ؟ أي ثم ألحقنا بهم المتأخرين ممن كانوا مثلهم في التكذيب والعصيان ، كقوم لوط وشعيب وقوم موسى " فرعون وأتباعه " ومن على شاكلتهم

[كذلك نفعل بالمجرمين] أي مثل ذلك الإهلاك الفظيع ، نفعل بهؤلاء المجرمين " كفار مكة " لتكذيبهم لسيد المرسلين (ص)

[ويل يومئذ للمكذبين] أي هلاك ودمار لكل مكذب بالتوحيد والنبوة ، والبعث والحساب

[ألم نخلقكم من ماء مهين] تذكير للمكذبين وتعجيب من غفلتهم وذهولهم عن أبسط الأمور المشاهدة ، وهي أن من خلقهم من النطفة الحقيرة الضعيفة ، كان قادرا على إعادة خلقهم للبعث والحساب ، والمعنى : ألم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نخلقكم يا معشر الكفار من ماء ضعيف حقير هو منى الرجل ؟ وفي الحديث القدسي يقول الله عز وجل (ابن آدم أنى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه) ؟ الحديث ((هذا الحديث أخرجه الامام أحمد في المسند ، ورواه ابن ماجه فى سننه ، وتمامه أن رسول الله (ص) بصق يوما في كفه فوضع عليها أصبعه ثم قال : يقول الله عز وجل : " ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه ، حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين برديك ، وللأرض منك وئيد ، فجمعت ومنعت ، حتى إذا بلغت التراقي قلت : اتصدق ، وأنى أوان الصدقة ؟ ")).

[فجعلناه في قرار مكين] أي فجعلنا هذا الماء المهين في مكان محكم وهو رحم المرأة

[إلى قدر معلوم] أي إلى مقدار من الزمن محدد معين ، معلوم عند الله تعالى وهو وقت الولادة ،

[فقدرنا فنعم القادرون] أي فقدرنا على خلقه العجيب ، فنعم القادرون نحن حيث خلقناه في أحسن الصور ، وأجمل الأشكال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويل يومئذ للمكذبين] أي هلاك ودمار للمكذبين بقدرتنا ، قال الصاوي : هذه الآية تذكير من الله تعالى للكفار بعظيم إنعامه عليهم ، وبقدرته على ابتداء خلقهم ، والقادر على الابتداء قادر على الإعادة ، ففيها رد على المنكرين للبعث ثم ذكرهم بنعمة إيجادهم على الارض حال الحياة ، ومواراتهم في باطنها بعد الموت ، فقال سبحانه

[ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا] ؟ أي ألم نجعل هذه الأرض التى تعيشون عليها كالأم لكم ، تجمع الأحياء على ظهرها ، والأموات فى بطنها ؟ قال المفسرون : الكفت : الجمع والضم ، فالأرض تجمع وتضم إليها جميع البشر ، فهى كالأم لهم ، الأحياء يسكنون فوق ظهرها في المنازل والدور ، والأموات يسكنون في بطنها في القبور [منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى] قال الشعبي : بطنها لأمواتكم ، وظهرها لأحيائكم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وجعلنا فيها رواسي شامخات] أي وجعلنا في الأرض جبالا راسخات عاليات مرتفعات لئلا تضطرب بكم ((لقد كشف القرآن عن حكمة وجود الجبال قبل أن يكتشفها العلم الحديث ، فالجبال كالأوتاد للأرض تثبتها وتقيها الاضطراب والميدان ، كما تقي أوتاد الخيمة ، وقد كشف الوحي عن هذا المعنى فقال في سورة النحل : {وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم } ولولا هذه الجبال الشاهقة لكانت الأرض - بما في جوفها من الغازات والأبخرة والمواد المتراكمة المشتعلة - دائمة الاضطراب والخفقان ، وأضحت كالريشة في مهب الهواء ، فسبحان الحكيم العليم ، على أن في خلق الجبال الشوامخ نعمة اخرى هي نشوء السحب فوقها ، وهطول الأمطار والثلوج عليها ، فتتكون بسبب ذلك الأنهار والعيون ، ثم تكثر الأشجار والزروع ، فالجبال مخازن للثلوج والأمطار ، ومستودعات عامة لبركات السماء ، ولهذا قرن تعالى بها نعمة الماء فقال : {وأسقيناكم ماء فراتا} ف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لله ما أبدع أسرار القرآن ! !)) .
[وأسقيناكم ماء فراتا] أي وأسقيناكم ماء عذبا حلوا بالغ العذوبة ، أنزلناه لكم من السحاب ، وأخرجناه لكم من العيون والأنهار ، لتشربوا منه انتم ودوابكم ، وتسقوا منه زرعكم وأشجاركم
[ويل يومئذ للمكذبين انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون] أي انطلقوا إلى عذاب جهنم الذي كنتم تكذبون به في دار الدنيا ، وهذا الكلام تقوله لهم خزنة النار تقريعا وتوبيخا . . ثم وضح ذلك العذاب وفضله ، فقال سبحانه
[انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب] أي اذهبوا فاستظلوا بدخان كثيف من دخان جهنم ، يتفرع منه ثلاث شعب
[لا ظليل ولايغني من اللهب] أي لا يظل من يكون تحته ، ولا يقيه حر الشمس ، كما هو حال الظل الممدود ، ولا هو يدفع عنه أيضا السنة النار المندلعة من كل جانب ، قال الطبري : لا هو يظلهم من حرها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، ولا يكنهم من لهبها ، وذلك أنه يرتفع من وقود جهنم الدخان ، فإذا تصاعد تفرق شعبا ثلاثة قال المفسرون : سمى العذاب ظلا تهكما واستهزاء بالمعذبين ، فالمؤمنون في ظلال وعيون ، والمجرمون في سموم وحميم ، وظل! من يحموم ، واليحموم دخان أسود قاتم ، فكيف يصح أن يسمى ما هم فيه (ظلا) إلا على طريق التهكم والاستهزاء ؟ ثم زاد تعالى فى وصف جهنم وأهوالها ، فقال سبحانه

[إنها ترمى بشرر كالقصر] أي إن جهنم تقذف بشرر عظيم من النار ، كل شرارة منه كأنها القصر العظيم ، قال ابن كثير : يتطاير الشرر من لهبها كالحصون

[كأنه جمالة صفر] أي كأن شرر جهنم المتطاير منها ، الإبل الصفر قي لونها وسرعة حركتها ، قال الرازي : شبه تعالى الشرر في العظم بالقصر ، وفي اللون والكثرة وسرعة الحركة بالجمالات الصفر ، وهذا التشبيه من روائع صور التشبيه ، لأن الشرارة إذا كانت مثل القصر الضخم ، فكيف تكون حال تلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النار الملتهبة ؟ أجارنا الله من نار جهنم بفضله ورحمته

[ويل يومئذ للمكذبين] أي هلاك ودمار للمكذبين بآيات الله

[هذا يوم لا ينطقون] أي هذا اليوم الرهيب ، الذي لا ينطق فيه أولئك المكذبون ، ولا يتكلمون كلاما ينفعهم ، فهم في ذلك اليوم خرس بكم

[ولا يؤذن لهم فيعتذرون] أي ولا يقبل لهم عذر ولا حجة ، فيما أتوا به من القبائح والجرائم ، بل لا يؤذن لهم فى أن يعتذروا ، لأنه لا تسمع منهم تلك الحجج والأعذار ، ولا تقبل ، كقوله تعالى [يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم]

[ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين] أي يقال لهم : هذا يوم الفصل بين الخلائق ، الذي يفصل الله فيه بحكمه العادل ، بين السعداء والأشقياء ، جمعناكم فيه مع من تقدمكم من الأمم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لنحكم بينكم جميعا

[فإن كان لكم كيد فكيدون] أي فإن كان لكم حيلة فى الخلاص من العذاب فاحتالوا ، وانقذوا أنفسكم من بطش الله ، وانتقامه إن قدرتم ، وهذا تعجيز لهم وتوبيخ

[ويل يومئذ للمكذبين] أي هلاك يومئذ للمكذبين بيوم الدين . . وبعد أن ذكر أحوال الأشقياء المجرمين ، أعقبه بذكر أحوال السعداء المتقين فقال

[إن المتقين في ظلال وعيون] أي إن الذين خافوا ربهم في الدنيا ، واتقوا عذابه ، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، هم يوم القيامة في ظلال الأشجار الوارقة ، وعيون المياه الجارية ، يتنعمون في دار الخلد ، والكرامة ، علئ عكس أولئك المجرمين المكذبين ، الذين هم في ظل من يحموم - وهو دخان جهنم الأسود- الذي لا يقي حرا ، ولا يدفع عطشا ، ولا يجد المستظل به مما يشتهيه لراحته ، سوى شرر النار الهائل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وفواكه مما يشتهون] أي وفواكه كثيرة متنوعة مما يستلذون ويستطيبون

[كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون] أي ويقال لهم على سبيل الأنس والتكريم : كلوا أكلا لذيذا ، واشربوا شربا هنيئا ، بسبب ما قدمتم في الدنيا من صالح الأعمال

[إنا كذلك نجزي المحسنين] أي إنا مثل ذلك الجزاء العظيم ، نجزي من أحسن عمله ، وأخلص نيته ، وأتقى ربه

[ويل يومئذ للمكذبين] أي هلاك ودمار للمكذبين بيوم الدين

[كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون] أي يقال للكفار على سبيل التهديد والوعيد : كلوا من لذائذ الدنيا ، واستمتعوا بشهواتها الفانية ، كما هو شأن البهائم ، التي همها ملء بطونها ونيل شهواتها ، زمانا قليلا إلى منتهى آجالكم ، فإنكم مجرمون لا تستحقون الإنعام والتكريم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ويل يومئذ للمكذبين] أي هلاك ودمار يوم القيامة للمكذبين بنعم الله

[وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون] أي وإذا قيل لهؤلاء المشركين : صلوا لله ، واخشعوا فى صلاتكم لعظمته وجلاله ، لا يخشعون ولا يصلون ، بل يظلون على استكبارهم يصرون ، قال مقاتل : نزلت هذه الآية في ثقيف ، امتنعوا عن الصلاة وقالوا لرسول الله (ص) حط عنا الصلاة فإنا لا ننحني ، إنها مسبة علينا ، فأبى (ص) ، وقال لهم : لا خير في دين لا صلاة فيه

[ويل يومئذ للمكذبين] أي هلاك ودمار يوم القيامة للمكذبين بأوامر الله ونواهيه

[فبأي حديث بعده يؤمنون] ؟ أي فبأي كتاب وكلام ، بعد هذا القرآن المعجز الواضح ، يصدقون أن لم يؤمنوا بالقرآن ؟ فإذا كذبوا بالقرآن ولم يؤمنوا به ، مع بلوغه الغاية فى الإعجاز ، ونصوع الحجة ، وروعة البيان ؟ فبأي شيء بعد ذلك يؤمنون ؟ قال القرطبي :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كرر قوله [ويل يومئذ للمكذبين] عشر مرات للتخويف والوعيد ، وقيل : إنه ليس بتكرار ، لأنه أراد بكل قول منه غير الذي أراده بالآخر ، كأنه ذكر شيئا فقال : ويل لمن يكذب بهذا ، ثم ذكر شيئا آخر فقال : ويل لمن يكذب بهذا ، وهكذا إلى آخر السورة الكريمة

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نرجزها فيما يلي :

---

1 - التأكيد بذكر المصدر زبادة في البيان وتقوية للكلام مثل [العاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا] وهو من المحسنات اللفظية .

2 - الطباق بين [عذرا. . ونذرا] وبين [أحياء . . . أمواتا] وبين [الأولبن . . والأخرين] وكلها من المحسنات البديعية .

3 - وضع الظاهر مكان الضمير ، والمجىء بصيغة الاستفهام [لأى يوم أجلت ليوم الفصل وما أدراك ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يوم الفصل] ؟ لزيادة تفظيع الأمر وتهويله .

4 - الاستفهام التقريري [ألم نهلك الأولين] ؟ ومثله [ألم نخلقكم من ماء مهين] ؟

5 - الجناس غير التام بين لفظتي [مهين] و[مكين] لاختلاف بعض الحروف .

6 - التشبيه المرسل المجمل [ترمي بشرر كالقصر] لأن وجه الشبه محذوف ، تقديره كالقصر في الضخامة والكبر ، وفي قوله [كأنه جمالت صفر] تشبيه مرسل مفصل .

7 - المقابلة بين نعيم الأبرار وعذاب الفجار [إن المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون] قابل ذلك بقوله [ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون] .

8 - أسلوب التهكم [انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب ، لا ظليل] سمى العذاب ظلا تهكما وسخرية بهم .

9 - المجاز المرسل [وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون] أطلق الركوع وأراد به الصلاة ، فهو من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

باب إطلاق البعض وإرادة الكل أي وإذا قيل لهم صلوا للرحمن لا يصلون ولا يمتثلون العبادة والطاعة .

10 - توافق الفواصل فى الحرف الأخير مثل [هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون إن المتقين في ظلال وعيون ، وفواكه مما يشتهون] إلخ وسمى بالسجع المرصع وهو من المحسنات البديعية .

سورة النبأ

مكية واياتها أربعون اية

بين يدي السورة

سورة عم مكية وتسمى [سورة النبأ] لأن فيها الخبر الهام عن القيامة والبعث والنشور ، ومحور السورة يدور حول إثبات عقيدة البعث " التى طالما انكرها المشركون ، وكذبوا بوقوعها ، وزعموا أن لا بعث ، ولا جزاء ولا حساب ! ! .

* ابتدات السورة الكريمة بالإخبار عن موضوع القيامة ، والبعث والجزاء ، هذا الموضوع الذي شغل أذهان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكثيرين من كفار مكة ، حتى صاروا فيه ما بين مصدق ومكذب [عم يتساءلون ، عن النبأ العظيم . .] الايات .

* ثم أقامت الدلائل والبراهين على قدرة رب العالمين ، فان الذي يقدر على خلق العجائب والبدائع ، لا يعجزه إعادة خلق الإنسان بعد فنائه [الم نجعل الأرض مهادا ، والجبال اوتادا ، وخلقناكم أزواجا ، وجعلنا نومكم سباتا] الايات .

* ثم اعقبت ذلك بذكر البعث ، وحددت وقته وميعاده ، وهو يوم الفصل بين العباد ، حيث يجمع الله الأولين والاخرين للحساب [إن يوم الفصل كان ميقاتا ، يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا . .] الايات .

* ثم تحدثت عن جهنم التي اعدها الله للكافرين ، وما فيها من الوان العذاب المهين [ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها احقابا] الايات .

* وبعد الحديث عن الكافرين ، تحدثت عن المتقين ، وما اعد الله تعالى لهم من ضروب النعيم ، على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

طريقة القران في الجمع بين (الترهيب والترغيب)

[إن للمتقين مفازا ، حدائق وأعنابا ، وكواعب أترابا ، وكأسا دهاقا] الايات .

* وختمت السورة الكريمة بالحديث عن هول يوم القيامة ، حيث يتمنى الكافر أن يكون ترابا فلا يحشر ولا يحاسب [إنا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا] .

اللغة :

[سباتا] السبت في اللغة : القطع ، سمي الليل سباتا لأنه يقطع العمل والحركة .

[وهاجا] الوهاج : المتقد المتلألىء من قولهم : وهجت النار إذا أضاءت .

[ثجاجا] شديد الأنصباب يقال : ثج إذا سال بكثرة وفي الحديث " أفضل الحج : العج والثج " العج : رفع الصوت بالتلبية ، والثج : إراقة الدماء وذبح الهدايا .

[كواعب] جمع كاعب وهي التي برز نهدها مع ارتفاع يسير .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[دهاقا] مملوءة يقال : أدهقت الكأس أي ملأتها قال الشاعر " أتانا عامر يبغي قرانا فأترعنا له كأسا دهاقا " .

التفسير :

[عم يتسآءلون] ؟ أي عن أي شيء يسأل هؤلاء الجاحدون بعضهم بعضا ؟ وأصل [عم] عن ما ، أدغمت الميم في النون وحذفت الف [ما] الاستفهامية ، وليس المراد هنا مجرد الاستفهام وإنما المراد تفخيم الأمر وتعظيمه ، وقد كان المشركون يتساءلون عن البعث فيما بينهم ، ويخوضون فيه إنكارا واستهزاء فجاء اللفظ بصيغة الاستفهام للتفخيم والتهويل وتعجيب السامعين من أمر المشركين ، ثم ذكر تعالى ذلك الأمر الخطير فقال

[عن النبإ العظيم] أي يتساءلون عن الخبر العظيم الهام وهو أمر البعث ((هذا هو الراجح أن المراد بالنبأ العظيم أمر البعث لأنه ذكر بعده دلائل القدرة على إمكان البعث من قوله : {ألم نجعل الأرض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مهادا. . } إلخ وذكر منها تسعة أمور ، وقيل المراد بالنبأ القرآن أو النبوة وما ذكرناه هو الراجح وهو اختيار العلامة أبي السعود)) .

[الذي هم فيه مختلفون] أي الذي اختلفوا فيه ما بين شاك في وقوعه ، ومكذب منكر لحصوله

[كلا سيعلمون] ردع وزجر أي ليرتدع أولئك المكذبون عن التساؤل عن البعث ، فيسعلمون حقيقة الحال ، حيث يرون البعث أمرا واقعا ، ويرون عاقبة استهزائهم

[ثم كلا سيعلمون] تأكيد للوعيد مع التهويل أي سيعلمون ما يحل بهم من العذاب والنكال.. ثم أشار تعالى إلى الأدلة الدالة على قدرته تعالى ، ليقيم الحجة على الكفار فيما أنكروه من أمر البعث ، وكأنه يقول : إن الإله الذي قدر على إيجاد هذه المخلوقات العظام ، قادر على إحياء الناس بعد موتهم فقال

[ألم نجعل الأرض مهادا] أي ألم نجعل هذه الأرض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التي تسكنونها ممهدة للاستقرار عليها ، والتقلب في أنحائها ؟ جعلناها لكم كالفراش والبساط لتستقروا على ظهرها ، وتستفيدوا من سهولها الواسعة بأنواع المزروعات ؟

[والجبال أوتادا] أي وجعلنا الجبال كالأوتاد للأرض تثبيتها لئلا تميد بكم كما يثبت البيت بالأوتاد قال في التسهيل : شبهها بالأوتاد لأنها تمسك الأرض أن تميد

[وخلقناكم أزواجا] أي وجعلناكم أيها الناس أصنافا ذكورا وإناثا ، لينتظم أمر النكاح والتناسل ، ولا تنقطع الحياة عن ظهر هذا الكوكب الأرضي

[وجعلنا نومكم سباتا] أي وجعلنا النوم راحة لأبدانكم ، قاطعا لأشغالكم ، تتخلصن به من مشاق العمل بالنهار

[وجعلنا اليل لباسا] أي جعلنا الليل كاللباس يغشاكم ويستركم بظلامه ، كما يستركم اللباس ، وتغطيكم ظلمته كما يغطى الثوب لابسه قال في التسهيل : شبهه بالثياب التي تلبس لأنه ستر عن العيون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وجعلنا النهار معاشا] أي وجعلنا النهار سببا لتحصيل المعاش ، تتصرفون فيه لقضاء حوائجكم قال ابن كثير : جعلناه مشرقا مضيئا ليتمكن الناس من التصرف فيه ، بالذهاب والمجيء للمعاش والتكسب والتجارات وغير ذلك

[وبنينا فوقكم سبعا شدادا] أي وبنينا فوقكم أيها الناس سبع سموات محكمة الخلق بديعة الصنع ، متينة في إحكامها وإتقانها ، لا تتأثر بمرور العصور والأزمان ، خلقناها قدرتنا لتكون كالسقف للأرض كقوله تعالى [وجعلنا السمآء سقفا محفوظا] [الأنبياء : 32] وقوله [والسمآء بنيناها بأييد وإنا لموسعون] [الذاريات : 47]

[وجعلنا سراجا وهاجا] أي وأنشأنا لكم شمسا منيرة ساطعة ، يتوهج ضوءها ويتوقد لأهل لأهل الأرض كلهم ، دائمة الحرارة والتوقد قال المفسرون : الوهاج المتوقد الشديد الإضاءة ، الذي يضطرم ويلتهب من شدة لهبه وقال ابن عباس : المنير المتلألىء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وأنزلنا من المعصرات مآء ثجاجا] أي وأنزلنا من السحب التي حان وقت إمطارها ماء دافقا منهمرا بشدة وقوة قال في التسهيل : المعصرات هي السحب ، مأخوذة من العصر لأن السحاب ينعصر فينزل منه الماء ، شبهت السحابة التي حان وقت إمطارها بالجارية التي قد دنا حيضها

[لنخرج به حبا ونباتا] أي لنخرج بهذا الماء أنواع الحبوب والزروع ، التي تنبت في الأرض غذاء للإنسان والحيوان

[وجنات ألفافا] أي وحدائق وبساتين كثيرة الأشجاروالأغصان ، ملتفة بعضها على بعض لكثرة أغصانها وتقارب أشجارها.. ذكر تعالى هذه الأدلة التسع على قدرته تعالى ، كبرهان واضح على إمكان البعث والنشرو ، فإن من قدر على هذه الأشياء قادر على البعث والإحياء ولهذا قال بعده

[إن يوم الفصل كان ميقاتا] أي إن يوم الحساب والجزاء ، ويوم الفصل بين الخلائق ، له وقت محدود

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معلوم في علمه تعالى وقضائه ، لا يتقدم ولا يتأخر [ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره إلا لأجل معدود] [هود : 103ـــ104] قال القرطبي : سمي يوم الفصل لأن الله تعالى يفصل فيه بين خلقه ، وقد جعله وقتا وميعادا للأولين والآخرين [يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا] أي يكون ذلك يوم أن ينفخ في الصور نفخة القيام من القبور ، فتحضرون جماعات جماعات ، وزمرا زمرا للحساب والجزاء ، ثم ذكر تعالى أوصاف ذلك اليوم الرهيب فقال

[وفتحت السمآء فكانت أبوابا] أي تشققت السماء من كل جانب ، حتى كان فيها صدوع وفتوح كالأبواب في الجدران ، من هول ذلك اليوم كقوله تعالى [إذا السمآء انشقت] [الإنشقاق : 1] وعبر الماضي [وفتحت] لتحقق الوقوع

[وسيرت الجبال فكانت سرابا] أي ونسفت الجبال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقلعت من أماكنها ، حتى أصبح يخيل إلى الناظر أنها شيء وليست بشيء ، كالسراب بظنه الرائي ماء وليس بماء قال القرطبي : صارت الجبال بعد نسفها هباء منبثا لعين الناظر ، كالسراب الذي يظنه من يراه ماء وهو في الحقيقة هباء

[إن جهنم كانت مرصادا] أي إن جهنم تنتظر وتترقب نزلاءها الكفار ، كما يترصد الإنسان ويترقب عدوه ليأخذه على حين غرة قال المفسرون : المرصاد المكان الذي يرصد فيه الراصد العدو ، وجهنم تترصد أعداء الله لتعذبهم بسعيرها ، وهي مترقبة ومتطلعة لمن يمر عليها من الكفار الفجار لتلتقطهم إليها

[للطاغين مآبا] أي هي مرجع ومأوى ومنزل للطغاة المجرمين

[لابثين فيهآ أحقابا] أي ماكثين في النار دهورا متتابعة لا نهاية لها قال القرطبي : أي ماكثين في النار ما دامت الأحقاب ـــ أي الدهور ـــ وهي لا تنقطع ، كلما مضى حقب جاء حقب ، لأن أحقاب الآخرة لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نهاية لها قال الربيع وقتادة : هذه الأحقاب لا انقضاء لها ولا انقطاع ((ليس في الآية الكريمة ما يدل على تناهي تلك الأحقاب ، لأن الحقب فى كلام العرب لا يكاد يستعمل إلا فيما هو متتابع متلاحق ، وهو كناية عن التأبيد ، فخاطبهم بما تذهب إليه أوهامهم وما يعرفون ، وقيل إنها فى عصاة المؤمنين وهذا خطأ لأنها في الكفار لقوله تعالى : {وكذبوا بآياتنا كذابا})).

[لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا] أي لا يذوقون في جهنم بدورة تخفف عنهم حر النار ، ولا شرابا يسكن عطشهم فيها

[إلا حميما وغساقا] أي إلا ماء حارا بالغا الغاية في الحرارة ، وغساقا أي صديدا يسيل من جلود أهل النار

[جزآء وفاقا] أي يعاقبهم الله بذلك جزاء موافقا لأعمالهم السيئة

[إنهم كانوا لا يرجون حسابا] أي لم يكونوا يتوقعون الحساب والجزاء ، ولا يؤمنون بلقاء الله ، فجازاهم الله بذلك الجزاء العادل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وكذبوا بآياتنا كذابا] أي وكانوا يكذبون بآيات الله الدالة على البعث وبالآيات القرآنية تكذيبا شديدا

[وكل شيء أحصيناه كتابا] أي وكل ما فعلوه من جرائم وآثام ضبطناه في كتاب لنجازيهم عليه

[فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا] أي فذوقوا يا معشر الكفار فلن نزيدكم على استغاثتكم إلا عذابا فوق عذابكم قال المفسرون : ليس في القرآن على أهل النار آية هي أشد من هذه الآية ، كلما استغاثوا بنوع من العذاب أغيثوا بأشد منه. . ولما ذكر تعالى أحوال الأشقياء أهل النار ، ذكر بعدها أحوال السعداء الأبرار فقال

[إن للمتقين مفازا] أي إن للمؤمنين الأبرار الذين أطاعوا ربهم في الدنيا ، موضع ظفر وفوز بجنات النعيم ، وخلاص من عذاب الجحيم ، ثم فسر هذا الفوز فقال

[حدآئق وأعنابا] أي بساتين ناضرة فيها من جميع الأشجار والأزهار ، وفيها كروم الأعناب الطيبة المتنوعة من كل ما تشتهيه النفوس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وكواعب أترابا] أي ونساء عذارى نواهد قد برزت أثداؤهن ، وهن في سن واحدة قال في التسهيل :
الكواعب جمع كاعب وهي الجارية التي خرج ثديها
[وكأسا دهاقا] أي وكأسا من الخمر ممتلئة صافية قال القرطبي : المراد بالكأس الخمر كأنه قال : وخمرا ذات داهق أي مملوءة قد عصرت وصفيت
[لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا] أي لا يسمعون في الجنة كلاما فارغا لا فائدة فيه ، ولا كذبا من القول لأن الجنة دار السلام ، وكل ما فيها سالم من الباطل والنقص
[جزآء من ربك عطآء حسابا] أي جازاهم الله بذلك الجزاء العظيم ، تفضلا منه وإحسانا كافيا على حسب أعمالهم

[رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن] أي هذا الجزاء صادر من الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لا يملكون منه خطابا] أي لا يقدر أحد أن يخاطبه في دفع بلاء ، أو رفع عذاب في ذلك اليوم ، هيبة وجلالا

[يوم يقوم الروح والملائكة صفا] أي في ذلك اليوم الرهيب يقف جبريل والملائكة مصطفين خاشعين

[لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمان وقال صوابا] أي لا يتكلم أحد منهم إلا من أذن الله له بالكلام والشفاعة ونطق بالصواب قال الصاوي : وإذا كان الملائكة الذين هم أفضل الخلائق وأقربهم من الله لا يقدرون أن يشفعوا إلا بإذنه ، فكيف يملك غيرهم ؟

[ذلك اليوم الحق] أي ذلك هو اليوم الكائن الواقع لا محالة

[فمن شآء اتخذ إلى ربه مآبا] أي فمن شاء أن يسلك إلى ربه مرجعا كريما بالإيمان والعمل الصالح فليفعل ، وهو حث وترغيب

[إنآ أنذرناكم عذابا قريبا] الخطاب لكفار قريش المنكرين للبعث أي إنا حذرناكم وخوفناكم عذابا قريبا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقوعه هو عذاب الآخرة ، سماه قريبا لأن كل ما هو آت قريب

[يوم ينظر المرء ما قدمت يداه] أي يوم يرى كل إنسان ما قدم من خير أو شر مثبتا في صحيفته كقوله تعالى [ووجدوا ما عملوا حاضرا] [الكهف : 49]

[ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا] أي ويتمنى الكافر أنه لم يخلق ولم يكلف ويقول : يا ليتني كنت ترابا حتى لا أحاسب ولا أعاقب قال المفسرون : وذلك حين يحشر الله الحيوان يوم القيامة فيقتص للجماء من القرناء ، وبعد ذلك يصيرها ترابا ، فيتمنى الكافر أن لو كان كذلك حتى لا يعذب.

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1ـ الإطناب بتكرار الجملة للوعيد والتهديد [كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون] .

2ـ الإيجاز بحذف الفعل لدلالة المتقدم عليه [عن النبإ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العظيم] أي يتساءلون عن النبأ العظيم.

3ـ التشبيه البليغ [ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا] ؟ أصل الكلام جعلنا الأرض كالمهاد الذي يفترشه النائم ، والجبال كالأوتاد التي تثبت الدعائم ، فحذف أداة التشبيه ووجه الشبه فأصبح بليغا ، ومثله [وجعلنا اليل لباسا] أي كاللباس في الستر والخفاء.

4ـ المقابلة اللطيفة بين [وجعلنا اليل لباسا] وبين [وجعلنا النهار معاشا] قابل بين الليل والنهار ، والراحة والعمل ، وهو من المحسنات البديعية.

5ـ التشبيه البليغ [فكانت أبوابا] أي كالأبواب في التشقق والانصداع ، فحذفت الأداة ووجه الشبه فأصبح بليغا

6ـ الأمر الذي يراد به الإهانة والتحقير [فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا] وفيه أيضا التفات من الغيبة إلى الخطاب زيادة في التوبيخ والإهانة.

7ـ الطباق بين [بردا.. وحميما] .

8ـ ذكر العام بعد الخاص [يوم يقوم الروح والملائكة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صفا] الروح وهو " جبريل " داخل في الملائكة ، فقد ذكر مرتين مرة استقلالا ، ومرة ضمن الملائكة ، تنبيها على جلالة قدره.

9ـ السجع المرصع مثل [ألفافا ، أفواجا ، أبوابا ، مآبا ، أحقابا] وهو من المحسنات البديعية.

سورة النازعات

مكية وآياتها ست وأربعون آية

بين يدي السورة

* سورة النازعات مكية ، شانها كشأن سائر السور المكية ، التي تعنى بأصول العقيدة الإيمانية (الوحدانية ، الرسالة ، البعث والجزاء) ومحور السورة يدور حول القيامة وأحوالها ، والساعة واهوالها ، وعن مآل المتقين ، ومآل المجرمين .

* ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بالملائكة الأبرار ، التي تنزع ارواح المؤمنين بلطف ولين ، وتنزع ارواح المجرمين بشدة وغلظة ، والتي تدبر شئون الخلائق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بأمر الله جل وعلا [والنازعات غرقا ، والناشطات نشطا ، والسابحات سبحا ، فالسابقات سبقا ، فالمدبرات أمرا] ا لايات .

* ثم تحدثت عن المشركين ، المنكرين للبعث والنشور ، فصورت حالتهم في ذلك اليوم الفظيع [قلوب يومئذ واجفة ، أبصارها خاشعة ، يقولون أننا لمردودون في الحافرة ، أئذا كنا عظاما نخرة ؟] الآيات .

* ثم تناولت السورة (فرعون ، الطاغية الجبار ، الذي ادعى الربوبية وتمادى في الجبروت والطغيان ، فقصمه الله ، واهلكه بألغرق هو وقومه الأقباط [هل أتاك حدبث موسى ، إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ، اذهب إلى فرعون إنه طغى ، فقل هل لك إلى أن تزكى . .] الايات .

* وتحدثت السورة عن طغيان أهل مكة وتمردهم على رسول الله (ص) وذكرتهم بأنهم أضعف من كثير من مخلوقات الله [ءانتم أشد خلقا أم السماء بناها ، رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الايات .

* وختمت السورة الكريمة ببيان وقت الساعة الذي استبعده المشركون وأنكروه ، وكذبوا بحدوثه [يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، فيم أنت من ذكراها ، إلى ربك منتهاها ، إنما أنت منذر من يخشاها ، كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها] .

اللغة :

[واجفة] خائفة فزعة يقال : وجف القلب وجيفا إذا خفق واضطرب من شدة الفزع

[الحافرة] الرجوع إلى الحالة التي كان عليها يقال : رجع فلان في حافرته أي رجع من حيث جاء قال الشاعر : أحافرة على صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار

[الساهرة] وجه الأرض ، والعرب تسمي وجه الأرض والفلاة ساهرة لأنه يسهر عليها

[سمكها] السمك : العلو والارتفاع ، وبناء ممسوك أي عال مرتفع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أغطش] أظلم يقال : غطش الليل وأغطشه الله أي صار مظلما وأظلمه الله

[دحاها] بسطها وسواها قال ازيد بن عمرو : دحاها فلما استوت شدها بأيد وأرسى عليها الجبالا

[الطآمة] الداهية العظمى التي لا تستطاع قال الشاعر : إن بعض الحب يعمي ويصم وكذاك البغض أدهى وأطم

التفسير :

[والنازعات غرقا] أي أقسم بالملائكة التي تنزع أرواح الكفار نزعا بالغا أقصى الغاية في الشدة والعسر [والناشطات نشطا] أي وأقسم بالملائكة التي تنزع أرواح المؤمنين بسهولة ويسر ، وتسلها سلا رفيقا قال ابن مسعود : إن ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود ـــ سيخ الحديد ـــ الكثير الشعب من الصوف المبتل ، فتخرج نفس الكافر كالغريق في الماء ، وينزع روح المؤمن برفق ولين ، ويقبضها كما ينشط العقال من يد البعير قال ابن كثير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أقسم سبحانه بالملائكة حين تنزع أرواح بني آدم ، فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرق في نزعها ، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط

[والسابحات سبحا] أي وأقسم بالملائكة التي تنزل بأمر الله ووحيه من السماء كالذي يسبح في الماء ، مسرعين لتنفيذ أمر الله

[فالسابقات سبقا] أي الملائكة التي تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة [فالمدبرات أمرا] أي الملائكة تدبر شئون الكون بأمره تعالى ، في الرياح ، والأمطار ، والأرزاق ، والأعمار ، وغير ذلك من شئون الدنيا ، أقسم سبحانه بهذه الأصناف الخمسة على أن القيامة حق ، وجواب القسم محذوف تقديره : لتبعثن ولتحاسبن ، وقد دل عليه قوله

[يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة] أي يوم ينفخ في الصور النفخة الأولى التي يرتجف ويتزلزل لها كل شيء ، تتبعها النفخة الثانية وهي نخفة القيام من القبور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال ابن عباس : الراجفة والرادفة هما النفختان الأولى والثانية ، أما الأولى فتميت كل شيء بإذن الله تعالى ، وأما الثانية فتحيي كل شيء بإذن الله تعالى.. ثم ذكر تعالى حالة المكذبين وما يلقونه من الشدائد والأهوال فقال

[قلوب يومئذ واجفة] أي قلوب الكفار في ذلك اليوم خائفة وجدلة مضطربة

[أبصارها خاشعة] أي أبصار أصحابها ذليلة حقيرة مما عاينت من الأهوال

[يقولون أإنا لمردودون في الحافرة] أي يقولون في الدنيا استهزاء واستبعادا للبعث : إنكم تبعثون قالوا منكرين متعجبين : أنرد بعد موتنا إلى أول الأمر ، فنعود أحياء كما كنا قبل المرت ؟ والعرب تقول : رجع فلان في حافرته أي رجع من حيث جاء

[أإذا كنا عظاما نخرة] أي هل إذا صرنا عظاما بالية متفتتة سنرد ونبعث من جديد ؟

[قالوا تلك إذا كرة خاسرة] أي إن كان البعث حقا ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبعثنا بعد موتنا فسوف نكون من الخاسرين لأننا من أهل النار ، قال تعالى

[فإنما هي زجرة واحدة] أي فإنما هي صحية واحدة ، ينفخ فيها في الصور للقيام من القبور

[فإذا هم بالساهرة] أي فإذا الخلائق جميعا على وجه الأرض بعدما كانوا في بطنها. ثم ذكر تعالى قصة موسى مع فرعون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحذيرا لقومه أن يحل بهم ما حل بالطغاة المكذبين من قوم فرعون فقال

[هل أتاك حديث موسى] أسلوب تشويق وترغيب لسماع القصة أي هل جاءك يا محمد خبر موسى الكليم ؟

[إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى] أي حين ناجاه ربه بالوادي المطهر المبارك المسمى [طوى] في أسفل جبل طور سيناء ، قائلا له

[اذهب إلى فرعون إنه طغى] أي إذهب إلى فرعون الطاغية الجبار ، الذي جاوز الحد في الظلم والطغيان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فقل هل لك إلى أن تزكى] ؟ أي هل لك رغبة وميل إلى أن تتطهر من الذنوب والآثام ؟

[وأهديك إلى ربك فتخشى] أي وأرشدك إلى معرفة ربك وطاعته فتتقيه وتخشاه ؟ قال الزمخشري : ذكر الخشية لأنها ملاك الأمر ، من خشي الله أتى منه كل خير ، وبدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه : هل لك أن تنزل بنا ؟ وأردفه الكلام الرفيق الرقيق ليستدعيه بالتلطف ، ويستنزله بالمداراة من عتوه كما في قوله تعالى [فقولا له قولا لينا] [طه : 44]

[فأراه الآية الكبرى] في الكلام محذوف أي فذهب موسى إليه ودعاه وكلمه ، فلما امتنع عن الإيمان أراه المعجزة الكبرى ، وهي قلب العصا حية تسعى قال القرطبي : أراه العلامة العظمى وهي المعجزة قال ابن عباس : هي العصا

[فكذب وعصى] أي فكذب فرعون نبي الله موسى ، وعصى أمر الله بعد ظهور تلك المعجزة الباهرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ثم أدبر يسعى] أي ولى مدبرا هاربا من الحية ، يسرع في مشيه من هول ما رأى

[فحشر فنادى] أي فجمع السحرة والجنود والأتباع ، ووقف خطيبا في الناس

[فقال أنا ربكم الأعلى] أي فقال لهم بصوت عال : أنا ربكم المعبود العظيم الذي لا رب فوقي

[فأخذه الله نكال الآخرة والأولى] أي فأهلكه الله عقوبة له على مقالته الأخيرة [أنا ربكم الأعلى] والأولى هي قوله [ما علمت لكم من إله غيري] ((هذا قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة ، قال ابن عباس : كان بين كلمتيه الفاجرتين أربعون سنة ، فأمهله الله ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر)).

[إن في ذلك لعبرة لمن يخشى] أي إن فيما ذكر من قصة فرعون وطغيانه ، وما حل به من العذاب والنكال ، لعظة واعتبارا لمن يخاف الله عز وجل ويخشى عقابه.. ولما انتهى الحديث عن قصة الطاغية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فرعون ، رجع إلى منكري البعث من كفار قريش فنبههم إلى آثار قدرته ، ومظاهر عظمته وجلاله فقال

[أأنتم أشد خلقا أم السمآء] ؟ الاستفهام للتقريع والتوبيخ والمعنى هل أنتم يا معشر المشركين أشق وأصعب خلقا أم خلق السماء العظيمة البديعة ؟ فإن من رفع السماء على عظمها ، هين عليه خلقكم وإحياؤكم بعد مماتكم ، فكيف تنكرون البعث ؟ قال الرازي : نبههم على أمر يعلم بالمشاهدة ، وذلك لأن خلق الإنسان على صغره وضعفه ، إذا أضيف إلى خلق السماء على عظمها وعظم أحوالها يسير ، وإذا كان كذلك فإعادتهم سهلة فيكف ينكرون ذلك ؟ كقوله تعالى [لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس]
[غافر : 57]
[بناها] أي رفعها عالية فوقكم محكمة البناء ، بلا عمد ولا أوتاد ، ثم زاد في التوضيح والبيان فقال
[رفع سمكها فسواها] أي رفع جرمها وأعلى سقفها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فوقكم فجعلها مستوية لا تفاوت فيها ولا شقوق ولا فطور قال ابن كثير : أي جعلها عالية البناء ، بعيدة الفناء ، مستوية الأرجاء ، مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء

[وأغطش ليلها وأخرج ضحاها] أي جعل ليلها مظلما حالكا ، ونهارها مشرقا مضيئا قال ابن عباس : أظلم ليلها وأنار نهارها

[والأرض بعد ذلك دحاها] أي والأرض بعد خلق السماء بسطها ومهدها لسكنى أهلها ((لا ينافي هذا القول بكروية الأرض ، فإن ذلك مقطوع به حتى قال الإمام الفخر ما نصه : " كانت الأرض أولا كالكرة المجتمعة ، ثم إن الله تعالى مدها وبسطها ، وليس معنى {دحاها} مجرد البسط ، بل المراد انه بسطها بسطا مهيأ لنبات الأقوات ، يدل عليهه قوله : {أخرج منها ماءها ومرعاها} والجسم العظيم يكون ظاهره كالسطح المستوي)) .

[أخرج منها مآءها ومرعاها] أي أخرج من الأرض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عيون الماء المتفجرة ، وأجرى فيها الأنهار ، وأنبت فيها الكلأ والمرعى مما يأكله الناس والأنعام

[والجبال أرساها] أي والجبال أثبتها في الأرض ، وجعلها كالأوتاد لتستقر وتسكن بأهلها

[متاعا لكم ولأنعامكم] أي فعل ذلك كله ، فأنبع العيون ، وأجرى الأنهار ، وأنبت الزرع والأشجار ، كل ذلك منفعة للعباد وتحقيقا لمصالحهم ومصالح أنعامهم ومواشيهم ، قال الرازي : أراد بمراعاها ما يأكله الناس والأنعام ، بدليل قوله [متاعا لكم ولأنعامكم] وانظر كيف دل بقوله : [أخرج منها مآءها ومرعاها] على جميع ما أخرجه من الأرض قوتا ومتاعا للأنام والأنعام من العشب ، والشجر ، والحب ، والثمر ، والعصف ، والحطب ، واللباس والدواء ، حتى الملح والنار ، فالملح متولد من الماء ، والنار من الأشجار.. ولما ذكر تعالى خلق السموات والأرض ، وما أبدع فيهما من عجائب الخلق والتكوين ، ليقيم الدليل على إمكان الحشر عقلا ، أخبر بعد ذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن وقوعه فعلا فقال

[فإذا جآءت الطآمة الكبرى] أي فإذا جاءت القيامة وهي الداهية العظمى ، التي تعم بأهوالها كل شيء ، وتعلو على سائر الدواهي قال ابن عباس : هي القيامة سميت بذلك لأنها تطم على كل أمر هائل مفظع

[يوم يتذكر الإنسان ما سعى] أي في ذلك اليوم يتذكر الإنسان ما علمه من خير أو شر ، ويراه مدونا في صحيفة أعماله

[وبرزت الجحيم لمن يرى] أي أظهرت جهنم للناظرين فرآها الناس عيانا ، بادية لكل ذي بصر..

وبعد أن وصف حال القيامة وأهولها ، ذكر انقسام الناس إلى فريقين : أشقياء وسعداء فقال

[فأما من طغى] أي جاوز الحد في الكفر والعصيان

[وآثر الحياة الدنيا] أي فضل الحياة الفانية على الآخرة الباقية ، وانهمك في شهوات الحياة المحرمة ، ولم يستعد لآخرته بالعمل الصالح

[فإن الجحيم هي المأوى] أي فإن جهنم المتأججة هي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منزله ومأواه ، لا منزل له سواها
[وأما من خاف مقام ربه] أي وأما من خاف عظمة ربه وجلاله ، وخاف مقامه بين يدي ربه يوم الحساب ، لعلمه ويقينه بالمبدأ والمعاد

[ونهى النفس عن الهوى] أي وزجر نفسه عن المعاصي والمحارم ، وكفها عن الشهوات التي تؤدي بها إلى المعاطب
[فإن الجنة هي المأوى] أي فإن منزله ومصيره هي الجنة دار النعيم ، ليس له منزل غيرها((هذه الآيات الكريمة هي " الميزان الدقيق " لمعرفة الإنسان نفسه ، هل هو من أهل الجنة أم من أهل النار ؟ وهل هو من السعداء ام من الأشقياء ؟ فمن طغى وبغى ، وآثر شهوات الحياة على طاعة ربه ، فهو الشقي المعذب بالجحيم ، ومن أطاع الله واتقاه ، وسارع إلى مرضاة مولاه ، ونهى النفس عما تهواه فهو السعيد المكرم فى دار النعيم ، فليضع الانسان نفسه فى هذا الميزان ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ليعرف من الآن منزله ومصيره . . اللهم اجعلنا من السعداء الأبرار ، ولا تجعلنا من الأشقياء الفجار !!)). . ثم ذكر تعالى موقف المكذبين بالقيامة ، المستهزئين بأخبار الساعة فقال

[يسألونك عن الساعة أيان مرساها] أي يسألك يا محمد هؤلاء المشركون عن القيامة متى وقوعها وقيامها ؟ قال المفسرون : كان المشركون يسمعون أنباء القيامة ، ووصفها بالأوصاف الهائلة مثل " طامة ، وصاخة ، وقارعة " فيقولون على سبيل الاستهزاء : متى يوجدها الله ويقيمها ، ومتى تحدث وتقع ؟ فنزلت الآية

[فيم أنت من ذكراها] أي ليس علمها إليك حتى تذكرها لهم ، لأنها من الغيوب التي استأثر الله بعلمها ، فلماذا يسألونك عنها ويلحون في السؤال ؟

[إلى ربك منتهاهآ] أي مردها ومراجعها إلى الله عز وجل ، فهو الذي يعلم وقتها على التعيين ، لا يعلمه أحد سواه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنمآ أنت منذر من يخشاها] أي ما واجبك يا محمد إلا إنذار من يخاف القيامة ، لا الإعلام بوقتها ، وخص الإنذار بمن يخشى ، لأنه هو الذي ينتفع بذلك الإنذار

[كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها] أي كأن هؤلاء الكفار يوم يشاهدون القيامة وما فيها من الأهوال ، لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار ، بمقدار عشية أو ضحاها. قال ابن كثير : يستقصرون مدة الحياة الدنيا ، حتى كأنها عندهم عشية يوم ، أو ضحى يوم.. ختم تعالى السورة الكريمة ، بما أقسم عليه في أولها من إثبات " الحشر ، والبعث " فكان ذلك كالدليل والبرهان على مجيء القيامة والساعة ، وليتناسق البدء مع الختام.

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1ـ الطباق بين الآخرة والأولى في قوله [فأخذه الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نكال الآخرة والأولى] لأن المراد كلمتيه الشنيعتين الأولى والأخيرة ، والطباق كذلك بين [عشية.. وضحاها] .

2ــ جناس الاشتقاق في قوله [ترجف الراجفة] .

3ــ المقابلة بين قوله [السمآء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها] وبين [والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها مآءها ومرعاها] وكذلك المقابلة بين [فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا] وبين [وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى] الآيات.

4ــ أسلوب التشويق [هل أتاك حديث موسى] ؟ فإن المراد منه التشويق الى معرفة القصة.

5ــ الطباق بين [الجنة.. الجحيم] وبين [السمآء.. والأرض] الوارد في الآيات.

6ــ التشبيه المرسل المجمل [كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها] .

7ــ الاستعارة التصريحية [أخرج منها مآءها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومرعاها] شبه أكل الناس برعي الأنعام ، واستعير الرعي للإنسان بجامع أكل الإنسان والحيوان من النبات ، ففيه استعارة لطيفة.

8ــ توافق الفواصل في الحرف الأخير مثل [ضحاها ، دحاها ، مرعاها ، أرساها] وهو من المحسنات الديبعية ويمسى السجع.

سورة عبس

مكية وآياتها اثنتان وأربعون آية

بين يدي السورة

* سورة عبس من السور المكية ، وهي تتناول شئونا تتعلق بالعقيدة وأمر الرسالة ، كما أنها تتحدث عن دلائل القدرة ، والوحدانية في خلق الإنسان ، والنبات ، والطعام ، وفيها الحديث عن القيامة وأهوالها ، وشدة ذلك اليوم العصيب

* ابتدأت السورة الكريمة بذكر قصة الأعمى " عبد الله بن أم مكتوم " الذي جاء الى رسول الله (ص) يطلب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منه أن يعلمه مما علمه الله ، ورسول الله (ص) مشغول مع جماعة من كبراء قريش ، يدعوهم إلى الإسلام ، فعبس (ص) في وجهه وأعرض عنه ، فنزل القرآن بالعتاب[عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى ، او يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى ، فأنت له تصدى] الآيات

* ثم تحدثت عن جحود الإنسان ، وكفره الفاحش بربه مع كثرة نعم الله تعالى عليه [قتل الإنسان ما أكفره ، من أي شيء خلقه ، من نطفة خلقه فقدره ، ثم السبيل يسره. . .] الآيات

* ثم تناولت دلائل القدرة في هذا الكون ، حيث يسر الله الإنسان سبل العيش فوق سطح هذه المعمورة [فلينظر الإنسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا] الآيات

* وختمت السورة الكريمة ببيان أهوال القيامة ، وفرار الإنسان من أحبابه من شدة الهول والفزع ، وبينت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حال المؤمنين وحال الكافرين في ذلك اليوم العصيب [فإذا جاءت الصاخة ، يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ، وجوه. يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوة يومئذ عليها غبرة ، ترهقها قترة ، أولئك هم الكفرة الفجرة .

قال الله تعالى : [عبس وتولى أن جاءه الأعمى . . .] الى قوله [أولئك هم الكفرة الفجرة] (من آية 1 الى آية 42 نهاية السورة الكريمة) .

اللغة :

[عبس] كلح وجهه وقطب

[تصدى] تتعرض له وتصغي لكلامه

[سفرة] السفرة : الملائكة الكرام الكاتبون لأعمال العباد جمع سافر مثل كاتب كتبة

[فأقبره] جعل له قبرا وأمر أن يقبر

[قضبا] القضب : كل ما يقطع من البقول فينبت أصله مثل البرسيم " الفصة " والباقلاء ، والكراث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وغيرها

[غلبا] كثيرة الأشجار ملتفة الأغصان جمع غلباء

[أبا] الأب : المرعى وكل ما أنبتت الأرض مما تأكله البهائم كالكلأ والعشب

[الصآخة] الصيحة التي تصم الآذان لشدتها

[مسفرة] مشرقة مضيئة

[غبرة] غبار ودخان

[قترة] سواد وظلمة.

سبب النزول :

روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مشغولا مع صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام ، وكان يطمع في إسلامهمه رجاء أن يسلم أتباعهم ، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم مشتغل بمن عنده من وجوه قريش ، جاء إليه " عبد الله بن أم مكتوم " وهو أعمى ، فقال يا رسول الله : علمني مما علمك الله ، وكرر ذلك وهو لا يعلم أن الرسول مشغول مع هؤلاء إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد ، فعبس وجهه وأقبل على القوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يكلمهم فأنزل الله [عبس وتولى أن جآءه الأعمى] الآيات.

التفسير :

[عبس وتولى أن جآءه الأعمى] أي كلح وجهه وقطبه وأعرض عنه كارها ، لأن جاءه الاعمى يسأل عن أمور دينه قال الصاوي : إنما أتى بضمائر الغيبة [عبس وتولى] تطلفا به صلى الله عليه وسلم وإجلالا له ، لما في المشافهة بتاء الخطاب ما لا يخفى من الشدة الصعوبة واسم الأعمى " عبد الله بن أم مكتوم " وكان بعد نزول آيات العتاب إذا جاءه يقول له : " مرحبا بمان عاتبني فيه ربي ، ويبسط له رداءه "

[وما يدريك لعله يزكى] أي وما يعلمك ويخبرك يا محمد لعل هذا الأعمى الذي عبست في وجهه ، يتطهر من ذنوبه بما يتلقاه عنك من العلم والمعرفة!!

[أو يذكر فتنفعه الذكرى] أي أويتعظ بما يسمع فتنفعه موعظتك!!

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أما من استغنى] أي أما من استغنى عن الله وعن الإيمان ، بما له من الثروة والمال

[فأنت له تصدى] أي فأنت تتعرض له وتصغي لكلامه ، وتهتم بتبليغه دعوتك

[وما عليك ألا يزكى] أي ولا حرج عليك أن لا يتطهر من دنس الكفر والعصيان ، ولست بمطالب بهدايته ، إنما عليك البلاغ قال الألوسي : وفيه مزيد تنفير له صلى الله عليه وسلم عن مصاحبتهم ، فإن الإقبال على المدبر مخل بالمروءة كما قال القائل :

والله لو كرهت كفي مصاحبتي يوما لقلت لها عن صحبتي بيني

[وأما من جآءك يسعى] أي وأما من جاءك يسرع ويمشي في طلب العلم لله ويحرص على طلب الخير

[وهو يخشى] أي وهو يخاف الله تعالى ويتقي محارمه

[فأنت عنه تلهى] أي فأنت يا محمد تتشاغل عنه ، وتتلهى بالانصراف عنه إلى رؤساء الكفر والضلال!!

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[كلا إنها تذكرة] أي لا تفعل بعدم اليوم مثل ذلك ، فهذه الآيات موعظة وتبصرة للخلق ، يجب أن يتعظ بها ويعمل بموجبها العقلاء

[فمن شآء ذكره] أي فمن شاء من عباد الله اتعظ بالقرآن ، واستفاد من إرشاداته وتوجهاته ، قال المفسرون : كان صلى الله عليه وسلم بعد هذا العتاب ، لا يعبس في وجه فقير قط ، ولا يتصدى لغني أبدان وكان الفقراء في مجلسه أمراء ، وكان إذا دخل عليه " ابن أم مكتوم " يبسط له رداءه ويقول : مرحبا بما عاتبني فيه ربي. ثم بعد هذا البيان أخبر عن جلالة قدر القرآن فقال

[في صحف مكرمة] أي هو في صحف مكرمة عند الله

[مرفوعة مطهرة] أي عالية القدر والمكانة ، منزهة عن أيدي الشياطين ، وعن كل دنس ونقص

[بأيدي سفرة] أي بأيدي ملائكة جعلهم الله سفراء بينه وبين رسله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[كرام بررة] أي مكرمين معظمين عند الله ، أتقياء صلحاء [لا يعصون الله مآ أمرهم ويفعلون ما يؤمرون] [التحريم : 6] ثم ذكر تعالى قبح جريمة الكافر ، وإفراطه في الكفر والعصيان مع كثرة إحسان الله إليه فقال

[قتل الإنسان مآ أكفره] أي لعن الكافر وطرد من رحمة الله ، ما أشد كفره بالله مع كثرة إحسانه إليه وأياديه عنده ؟ قال الألوسي : والآية دعاء عليه بأشنع الدعوات وأفظعها ، وتعجيب من إفراطه في الكفر والعصيان ، وهذا في غاية الإيجاز والبيان

[من أي شيء خلقه] أي من أي شيء خلق الله هذا الكافر حتى يتكبر على ربه ؟ ثم وضح ذلك فقال

[من نطفة خلقه فقدره] أي من ماء مهين حقير بدأ خلقه ، فقدره في بطن أمه أطوارا من نطفة ثم من علقة إلى أن تم خلقه قال ابن كثير : قدر رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد

[ثم السبيل يسره] أي ثم سهل له طريق الخروج من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بطن أمه قال الحسن البصري : كيف يتكبر من خرج من سبيل البول مرتين ؟ يعني الذكر والفرج

[ثم أماته فأقبره] أي ثم أماته وجعل له قبرا يوارى فيه إكراما له ، ولم يجعله ملقى للسباع والوحوش والطيور قال الخازن : وهذه تكرمة لبني آدم على سائر الحيوانات

[ثم إذا شآء أنشره] أي ثم حين يشاء الله إحياءه ، يحييه بعد موته للبعث والحساب والجزاء ، وإنما قال [إذا شآء] لأن وقت البعث غير معلوم لأحد ، فهو إلى مشيئة الله تعالى ، متى شاء أن يحيي الخلق أحياهم

[كلا لما يقض مآ أمره] أي ليرتدع وينزجر هذا الكافر عن تكبره وتجبره ، فإنه لم يؤد ما فرض عليه ، ولم يفعل ما كلفه به ربه من الإيمان والطاعة.. ولما ذكر خلق الإنسان ، ذكر بعده رزقه ، ليعتبر بما أغدق الله عليه من أنواع النعم ، فيشكر ربه ويطيعه فقال

[فلينظر الإنسان إلى طعامه] أي فلينظر هذا الإنسان الجاحد نظر تفكر واعتبار ، إلى أمر حياته ، كيف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خلقه بقدرته ، ويسره برحمته ، وكيف هيأ له أسباب المعاش ، وخلق له الطعام الذي به قوام حياته ؟! ثم فصل ذلك فقال

[أنا صببنا المآء صبا] أي أنا بقدرتنا أنزلنا الماء من السحاب على الأرض إنزالا عجيبا

[ثم شققنا الأرض شقا] أي شققنا الأرض بخروج النبات منها شقا بديعا

[فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا] أي فأخبر بذلك الماء أنواع الحبوب والنباتات : حبا يقتات الناس به ويدخرونه ، وعنبا شهيا لذيذا ، وسائر البقول مما يؤكل رطبا

[وزيتونا ونخلا] أي وأخرجنا كذلك أشجار الزيتون والنخيل ، يخرج منها الزيت والرطب والتمر

[وحدآئق غلبا] أي وبساتين كثيرة الأشجار ، ملتفة الأغصان

[وفاكهة وأبا] أي وأنواع الفواكه والثمار ، كما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أخرجنا ما تراعاه البهائم قال القرطبي : الأب ما تأكله البهائم من العشب

[متاعا لكم ولأنعامكم] أي أخرجنا ذلك وأنبتناه ليكون منفعة ومعاشا لكم أيها الناس ولأنعامكم قال ابن كثير : وفي هذه الآيات امتنان على العباد وفيها استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة ، على إحياء الأجسام بعدما كانت عظاما بالية وأوصالا متفرقة. . ثم ذكر تعالى بعد ذلك أهوال القيامة فقال

[فإذا جآءت الصآخة] أي فإذا جاءت صحية القيامة التي تصخ الآذان حتى تكاد تصمها

[يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه] أي في ذلك اليوم الرهيب يهرب الإنسان من أحبابه ، من أخيه ، أمه ، وأبيه ، وزوجته ، وأولاده لاشتغاله بنفسه قال في التسهيل : ذكر تعالى فرار الإنسان من أحبابه ، ورتبهم على مرابتهم في الحنو والشفقة ، فبدأ بالأقل وختم بالأكثر ، لأن الإنسان أشد شفقة على بنيه من كل من تقدم ذكره

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه] أي لكل إنسان منهم في ذلك اليوم العصيب ، شأن يشغله عن شأن غيره ، فإنه لا يفكر في سوى نفسه ، حتى إن الأنبياء صلوات الله عليهم ليقول الواحد منهم يومئذ " نفسي نفسي " ((روى البخاري عن عائشة قالت : " سمعت رسول الله (ص) يقول : يحشر الناس حفاة ، عراة ، غرلا - أي غير مختونين - فقلت يا رسول الله : الرجال والنساء جميعا ، ينظر بعضهم إلى بعض ؟ فقال يا عائشة : الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض ")) . ولما بين تعالى حال القيامة وأهوالها ، بين بعدها حال الناس وانقسامهم في ذلك اليوم إلى سعداء وأشقياء ، فقال في وصف السعداء :

[وجوه يومئذ مسفرة] أي وجوه في ذلك اليوم مضيئة مشرقة من البهجة والسرور

[ضاحكة مستبشرة] أي فرحة مسرورة بما رأته من كرامة الله ورضوانه ، ومستبشرة بذلك النعيم الدائم

[ووجوه يومئذ عليها غبرة] أي ووجوه في ذلك اليوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليها غبار ودخان

[ترهقها قترة] أي تغشاها وتعلوها ظلمة وسواد

[أولئك هم الكفرة الفجرة] أي أولئك الموصوفون بسواد الوجوه ، هم الجامعون بين الكفر والفجور ، قال الصاوي : جمع الله تعالى إلى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الكفر إلى الفجور.

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1ـ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب زيادة في العتاب [عبس وتولى] . ثم قال : [وما يدريك لعله يزكى] ؟ فالتفت تنبيها للرسول صلى الله عليه وسلم إلى العناية بشأن الأعمى.

2ـ جناس الاشتقاق بين [يذكر.. والذكرى] .

3ـ الكناية الرائقة [ثم السبيل يسره] كنى بالسبيل عن خروجه من فرج الأم.

4ـ أسلوب التعجب [قتل الإنسان مآ أكفره] ؟ تعجب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من إفراط كفره ، مع كثرة إحسان الله إليه.

5ـــ الطباق بين [تصدى] وبين [تلهى] لأن المراد بهما تتعرض وتتشغل.

6ـــ التفصيل بعد الإجمال [من أي شيء خلقه] ثم فصل ذلك وبينه بقوله [من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره] .

7ـــ المقابلة اللطيفة بين السعداء والأشقياء [وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة] قابلها بقوله [ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة] .

8ـــ توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات ، وهو من المحسنات البديعية ويسمى السجع مثل [عبس وتولى أن جآءه لأعمى وما يدريك لعله يزكى] ومثل [في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة..] الخ.

لطيفة :

اقتبس بعض الأدباء من قوله تعالى [قتل الإنسان مآ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أكفره] ؟ هذين البيتين : يتمنى المء في الصيف الشتا فإذا جاء الشتا أنكره فهو لا يرضى بحال واحد قتل الإنسان ما أكفره ؟

سورة التكوير

مكية وآياتها تسع وعشرون آية

بين يدي السورة

* سورة التكوير من السور المكية ، وهي تعالج حقيقتين هامتين هما : (حقيقة القيامة) وحقيقة (الوحي والرسالة) وكلاهما من لوازم الإيمان وأركانه.

* ابتدات السورة الكريمة ببيان القيامة ، وما يصاحبها من انقلاب كوني هائل ، يشمل الشمس والنجوم ، والجبال ، والبحار ، والأرض ، والسماء ، والأنعام ، والوحوش ، كما يشمل البشر ويهز الكون هزا عنيفا طويلا ، ينتثر فيه كل ما في الوجود ، ولا يبقى شيء إلا قد تبدل وتغير من هول ما يحدث في ذلك اليوم الرهيب [إذا الشمس كورت ، وإذا النجوم انكدرت ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإذا الجبال سيرت ، وإذا العشار عطلت ، وإذا الوحوش حشرت ، وإذا البحار سجرت] الآيات.

* ثم تناولت (حقيقة الوحي) وصفة النبي الذي يتلقاه ، ثم شأن القوم المخاطبين بهذا الوحي ، والرسول الذي نزل لينقلهم من ظلمات الشرك والضلال ، إلى نور العلم والإيمان [فلا أقسم بالخنس ، الجوار الكنس ، والليل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفس ، إنه لقول رسول كريم] الآيات .

* وختمت السورة الكريمة ببيان بطلان مزاعم المشركين ، حول القرآن العظيم ، وذكرت أنه موعظة من الله تعالى لعباده [فأين تذهبون ، إن هو إلا ذكر للعالمين ، لمن شاء منكم أن يستقيم [وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين.

اللغة :

[انكدرت] تناثرت

[العشار] جمع عشراء وهي الناقة التي مر على حملها عشرة أشهر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[كشطت] نزعت وقلعت يقال : كشطت جلد الشاة أي نزعته وسلخته عنها

[الخنس] الكواكب المضيئة التي تخنس نهارا وتختفي عن البصر جمع خانس

[الكنس] النجوم التي تغيب يقال : كنس إذا دخل الكناس وهو المكان الذي تأوي إليه الظباء

[عسعس] أقبل بظلامه قال الخليل : عسعس الليل : إذا أقبل أو أدبر فهو من الأضداد قال الشاعر : حتى إذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا

التفسير :

[إذا الشمس كورت] هذه الآيات بيان لأهوال القيامة وما يكون فيها من الشدائد والكوارث ، وما يعتري الكون والوجود من مظاهر التغايير والتخريب

والمعنى : إذا الشمس لفت ومحي ضوءها

[وإذا النجوم انكدرت] أي وإذا النجوم تساقطت من مواضعها وتناثرت

[وإذا الجبال سيرت] أي وإذا الجبال حركت من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أماكنها ، وسيرت في الهواء حتى صارت كالهباء كقوله تعالى [ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة] [الكهف : 47]

[وإذا العشار عطلت] أي وإذا النوق الحوامل تركت هملا بلا راع ولا طالب ، وخص النوق بالذكر لأنها كرائم أموال العرب

[وإذا الوحوش حشرت] أي وإذا الوحوش جمعت من أوكارها وأجحارها ذاهلة من شدة الفزع

[وإذا البحار سجرت] أي وإذا البحار تأججت نارا ، وصارت نيرانا تضطرم وتلتهب

[وإذا النفوس زوجت] أي وإذا النفوس قرنت بأشباهها ، فقرن الفاجر مع الفاجر ، والصالح مع الصالح قال الطبري : يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ، وبين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار ((هذه رواية الطبري عن عمر بن الخطاب ، وقيل المراد : قرن الأجساد بالأرواح ، والأول أرجح والله أعلم)) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإذا الموءودة سئلت] أي وإذا البنت التي دفنت وهي حية سئلت توبيخا لقالتها : ما هو ذنبها حتى قتلت ؟

قال في التسهيل : الموءدة هي البنت التي كان بعض العرب يدفنها حية من كراهته لها أو غيرته عليها ، فتسأل يوم القيامة

[بأى ذنب قتلت] ؟ على وجه التوبيخ لقاتلها

[وإذا الصحف نشرت] أي وإذا صحف الأعمال نشرت وبسطت عند الحساب

[وإذا السمآء كشطت] أي وإذا السماء أزيلت ونزعت من مكانها كما ينزع الجلد عن الشاة

[وإذا الجحيم سعرت] أي وإذا نار جهنم أوقدت وأضرمت لأعداء الله تعالى

[وإذا الجنة أزلفت] أي وإذا الجنة أدنيت وقربت من المتقين

[علمت نفس مآ أحضرت] أي عملت كل نفس ما أحضرت من خير أو شر ، وهذه الجملة [علمت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نفس] هي جواب ما تقدم من أول السورة [إذا الشمس كورت] إلى هنا ، والمعنى إذا حدثت تلك الأمور العجيبة الغريبة ، علمت حنيئذ كل نفس ما قدمته من صالح أو طالح.. ثم أقسم تعالى على صدق القرآن ، وصحة رسالة محمد عليه السلام فقال

[فلا أقسم بالخنس] أي فأقسم قسما مؤكدا بالنجوم المضيئة التي تختفي بالنهار ، وتظهر بالليل

[الجوار الكنس] أي التي تجري وتسير مع الشمس والقمر ثم تستتر وقت غروبها ، كا تستتر الظباء في كناسها ــ مغاراتها ــ قال القرطبي : النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل ، وتنكس وقت غروبها أي تستتر ، كما تنكس الظباء في المغار وهو الكناس

[والليل إذا عسعس] أي وأقسم بالليل إذا أقبل بظلامه حتى غطى الكون

[والصبح إذا تنفس] أي وبالصبح إذا أضاء وتبلج ، واتسع ضياؤه حتى صار نهارا واضحا

[إنه لقول رسول كريم] هذا هو المقسم عليه أي إن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا القرآن الكريم ، لكلام الله المنزل بواسطة ملك عزيز على الله هو جبريل كقوله تعالى [نزل به الروح الأمين على قلبك] [الشعراء : 193ــ194] قال المفسرون : أراد بالرسول " جبريل " وأضاف القرآن إليه لأنه جاء به ، وهو في الحقيقة قول الله تعالى ، ومما يدل على أن المراد به جبريل قوله بعده

[ذي قوة عند ذي العرش مكين] أي شديد القوة ، صاحب مكانة رفيعة ، ومنزلة سامية عند الله جلا وعلا

[مطاع ثم أمين] أي مطاع هناك في الملأ الأعلى ، تطيعه الملائكة الأبرار ، مؤتمن على الوحي الذي ينزل به على الأنبياء

[وما صاحبكم بمجنون] أي وليس محمد الذي صاحبتموه يا معشر قريش ، وعرفتم صدقه ونزاهته ورجاحة عقله بمجنون كما زعمتم قال الخازن : أقسم تعالى على أن القرآن نزل به جبريل الأمين ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون كما يزعم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أهل مكة ، فنفى عنه تعالى عنه الجنون ، وكون القرآن من عند نفسه

[ولقد رآه بالأفق المبين] أي وأقسم لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته الملكية التي خلقه الله عليها بجهة الأفق الأعلى البين من ناحية المشرق حيث تطلع الشمس قال في البحر : وهذه الرؤية بعد أمر غار حراء ، حين رأى جبريل على كرسي بين السماء والأرض ، في صورته له ستمائة جناح قد سد ما بين المشرق والمغرب

[وما هو على الغيب بضنين] أي وما محمد على الوحي ببخيل يقصر في تبليغه وتعليمه ، بل يبلغ رسالة ربه بكل أمانة وصدق

[وما هو بقول شيطان رجيم] أي وما هذا القرآن بقول شيطان ملعون كما يقول المشركون

[فأين تذهبون] أي فأي طريق تسلكون في تكذيبكم للقرآن ، واتهامكم له بالسحر والكهانة والشعر ، مع وضوح آياته وسطوع براهنيه ؟ وهذا كما تقول لمن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ترك الطريق المستقيم : هذا الطريق الواضح فأين تذهب ؟

[إن هو إلا ذكر للعالمين] أي ما هذا القرآن إلا موعظة وتذكرة للخلق أجمعين

[لمن شآء منكم أن يستقيم] أي لمن شاء منكم أن يتبع الحق ، ويستقيم على شريعة الله ، ويسلك طريق الأبرار

[وما تشآءون إلا أن يشآء الله رب العالمين] أي وما تقدرون على شيء إلا بتوفيق الله ولطفه ، فاطلبوا من الله التوفيق إلى أفضل طريق.

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1ــ الجناس الناقص بين [الخنس] و[الكنس] .

2ــ الاستعارة التصريحية [والصبح إذا تنفس] شبه إقبال النهار وسطوع الضياء بنسمات الهواء العليل التي تحيي القلب ، واستعار لفظ التنفس لإقبال النهار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعد الظلام الدامس ، وهذا من لطيف الاستعارة وأبلغها تصويرا حيث عبر عنه بتنفس الصبح.

3ـ الكناية اللطيفة [وما صاحبكم بمجنون] كنى عن محمد صلى الله عليه وسلم بلفظ [صاحبكم] .

4ـ الطباق بين لفظ [الجحيم سعرت..و الجنة] .

5ـ الجناس غير التام بين [أمين.. ومكين] .

6ـ توافق الفواصل رغاية لرءوس الآيات مثل [كورت ، سيرت ، سجرت ، سعرت] ومثل [الخنس ، الكنس ، عسعس ، تنفس] الخ ويسمى بالسجع وهو من المحسنات البديعية .

سورة الانفطار

مكية وآياتها تسع عشرة آية

بين يدي السورة

* سورة الانفطار من السور المكية ، وهي تعالج -

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كسابقتها (سورة التكوير) - الإنقلاب الكوني الذي يصاحب قيام الساعة ، وما يحدث في ذلك اليوم الخطير من أحداث جسام ، ثم بيان حال الأبرار ، وحال الفجار ، يوم البعث والنشور

* ابتدأت السورة الكريمة ببيان مشاهد الإنقلاب الذي يحدث في الكون ، من انفطار السماء وإنتثار الكواكب ، وتفجير البحار ، وبعثرة القبور ، وما يعقب ذلك من الحساب والجزاء [إذا السماء انفطرت ، وإذا الكواكب انتثرت ، وإذا البحار فجرت ، وإذا القبور بعثرت ، علمت نفس ما قدمت وأخرت] .

* ثم تحدثت عن جحود الإنسان وكفرانه لنعم ربه ، وهو يتلقى فيوض النعمة منه جل وعلا ، ولكنه لا يعرف للنعمة حقها ، ولا يعرف لربه قدره ، ولا يشكر على الفضل والنعمة والكرامة [يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ، الذي خلقك فسواك فعدلك ، في أي صورة ما شاء ركبك] ؟

* ثم ذكرت علة هذا الجحود والإنكار ، ووضحت أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله تعالى وكل بكل إنسان ملائكة يسجلون عليه أعماله ، ويتعقبون أفعاله [كلا بل تكذبون بالدين ، وإن عليكم لحافظين ، كراما كاتبين [يعلمون ما تفعلون

* وذكرت السورة انقسام الناس في الآخرة إلى قسمين : أبرار ، وفجار ، وبينت مآل كل من الفريقين إن الأبرار لفي نعيم ، وإن الفجار لفي جحيم ، يصلونها يوم الدين . .] الآيات .

* وختمت السورة الكريمة بتصوير ضخامة يوم القيامة وهوله ، وتجرد النفوس يومئذ من كل حول وقوة وتفرد الله جل وعلا بالحكم والسلطان [وما أدراك ما يوم الدين ؟ ثم ما أدراك ما يوم الدين ؟ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والأمر يومئذ لله.

اللغة :

[انفطرت] انشقت ، والفطر : الشق ومنه فاطر ناب البيعر

[انتثرت] تساقطت وتهاوت

[بعثرت] قلبت يقال : بعثرت المتاع قلبته ظهرا لبطن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[غرك] خدعك

[سواك] جعل أعضاءك سليمة سوية

[يصلونها] يدخلونها ويذوقون لهبها وحرها.

التفسير :

[إذا السمآء انفطرت] أي إذا المساء انشقت بأمر الله لنزول الملائكة كقوله تعالى [ويوم تشقق السمآء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا] [الفرقان : 25]

[وإذا الكواكب انتثرت] أي وإذا النجوم تساقطت وتناثرت ، وزالت عن بروجها وأماكنها

[وإذا البحار فجرت] أي وإذا البحار فتح بعضها إلى بعض ، فاختلط عذبها بمالحها ، وأصبحت بحرا واحدا

[وإذا القبور بعثرت] أي وإذا القبور قلبت ، ونش ما فيها من الموتى ، وصار ما في بطنها ظاهرا على جهها

[علمت نفس ما قدمت وأخرت] هذا هو الجواب أي علمت عندئذ كل نفس ما أسلفت من خير أو شر ، وما قدمت من صالح أو طالح قال الطبري : ما قدمت من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

علم صالح ، وما أخرت من شيء سنه فعمل به بعده ثم بعد ذكر أحوةال الآخرة وأهوالها ، انتقلت الآيات لتذكير الإنسان الغافل الجاهل بما أمامه من أهوال وشدائد فقال تعالى

[ياأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم] أي أي شيء خدعك برك الحليم الكريم ، حتى عصيته وتجرأت على مخالفة أمره ، مع إحسانه إليك وعطفه عليك ؟ وهذا توبيخ وعتاب كأنه قال : كيف قابلت إحسان ربك بالعصيان ، ورأفته بك بالتمرك والطغيان [هل جزآء الإحسان إلا الإحسان] [الرحمن : 60] ؟ ((هذه الآية واردة على سبيل التوبيخ والتعجيب من حال الإنسان الجاحد لنعم ربه ، وليست واردة على سبيل تلقين الحجة كما قال البعض حتى قالوا : يلقنه أن يقول : غرني كرمك ، ويؤيد ما ذكرناه قول عمر : غره حمقه وجهله)). ثم عدد نعمه عليه فقال

[الذي خلقك فسواك] أي الذي أوجدك من العدم ، فجعلك سويا سالم الأعضاء ، تسمع وتعقل وتبصر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فعدلك] أي جعلك معتدل القامة منتصبا في أحسن الهيئات والأشكال

[في أى صورة ما شآء ركبك] أي ركبك في أي صورة شاءها واختارها لك من الصور الحسنة العجيبة ولم يجعل في الشكل كالبهيمة كقوله تعالى [لقد خلقنا الإنسان فيا أحسن تقويم] [التين : 4] .. ثم وبخ المشركين على تكذيبهم بيوم الدين فقال

[كلا بل تكذبون بالدين] أي ارتدعوا يا أهل مكة ، ولا تغتروا بحلم الله ، بل أنتم تكذبون بيوم الحساب والجزاء

[وإن عليكم لحافظين] أي والحال أن عليكم ملائكة حفظة يضبطون أعمالكم ويراقبون تصرفاتكم قال القرطبي : أي عليكم رقباء من الملائكة

[كراما كاتبين] أي كراما على الله ، يكتبون أقوالكم وأعمالكم

[يعلمون ما تفعلون] أي يعلمون ما يصدر منكم من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خير وشر ، ويسجلونه في صحائف أعمالكم ، لتجازوا به يوم القيامة.. ثم بين تعالى انقسام الخلق يوم القيامة إلى أبرار وفجار ، وذكر مآل كل من الفريقين فقال

[إن الأبرار لفي نعيم] أي إن المؤمنين الذين اتقوا ربهم في الدنيا ، لفي بهجة وسرور لا يوصف ، يتنعمون في رياض الجنة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وهم مخلدون في الجنة

[وإن الفجار لفي جحيم] أي وإن الكفرة الفجار ، الذين عصوا ربهم في الدنيا ، لفي نار محرقة ، وعذاب دائم مقيم في دار الجحيم

[يصلونها يوم الدين] أي يدخلونها ويقاسون حرها يوم الجزاء الذي كانوا يكذبون به

[وما هم عنها بغآئبين] أي وليسوا بغائبين عن جهنم ، بعيدين عنها لايرونها ، بل هي أمامهم يصلون ويذوقون سعيرها ولا يخرجون منها أبدا.

[ومآ أدراك ما يوم الدين] تعظيم له وتهويل أي ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أعلمك ما هو يوم الدين ؟ وأي شيء هو في شدته وهوله ؟

[ثم مآ أدراك ما يوم الدين] ؟ كرر ذكره تعظيما لشأنه ، وتهويلا لأمره كقوله [الحاقة ما الحآقة ومآ أدراك ما الحاقة] [الحاقة : 1ــ3] ؟ كأنه يقول : إن يوم الجزاء من شدته بحيث لا يدري أحد مقدار هوله وعظمته ، فهو فوق الوصف والبيان

[يوم لا تملك نفس لنفس شيئا] أي هو ذلك اليوم الرهيب الذي لا يستطيع أحد أن ينفع أحدا بشيء من الأشياء ، ولا أن يدفع عنه ضرا

[والأمر يومئذ لله] أي والأمر في ذلك اليوم لله وحده لا ينازعه فيه أحد.

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1ــ الطباق بين [قدمت] و[أخرت] وهو من المحسنات البديعية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2ـــ المقابلة اللطيفة بين الأبرار والفجار [إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم] فقد قابل الأقرار بالفجار ، والنعيم بالجحيم وفيه أيضا من المحسنات البديعية ما يسمى بالترصيع.

3ـــ الاستعارة المكنية [وإذا الكواكب انتثرت] شبه الكواكب بجواهر قطع سلكها فتناثرت متفرقة ، وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الانتثار على طريق الاستعارة المكنية.

4ـــ الاستفهام للتوبيخ والإنكار [ما غرك بربك الكريم] ؟

5ـــ التنكير في كل من لفظة [نعيم] و[جحيم] للتعظيم والتهويل.

6ـــ الإطناب بإعادة الجملة [ومآ أدراك ما يوم الدين ثم مآ أدراك ما يوم الدين] ؟ لتعظيم هول ذلك اليوم وبيان شدته كأنه فوق الوصف الخيال.

7ـــ ا لسجع المرصع وهو من المحسنات البديعية مثل [إذا السمآء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت] ومثل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين] ومثل [إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم] .

لطيفة :

روي أن الخليفة " سليمان بن عبد الملك " قال لأبي حازم المزني : ليت شعري أين مصيرنا يوم القيامة ؟ وما لنا عند الله ؟ فقال له : أعرض عملك على كتاب الله تجد ما لك عند الله! فقال : وأين أجد ذلك في كتاب الله!! قال : عند قوله تعالى [إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم] قال سليمان : فإين إذا هي رحمة الله ؟ فأجابه بقوله [إن رحمت الله قريب من المحسنين] .

سورة المطففين

مكية وآياتها ست وثلاثون آية

بين يدي السورة

* هذه السورة الكريمة مكية ، وأهدافها نفس أهداف السور المكية ، تعالج أمور العقيدة وتتحدث عن الدعوة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإسلامية في مواجهة خصومها الألداء .

* ابتدأت السورة الكريمة بإعلان الحرب على المطففين فى الكيل والوزن ، الذين لا يخافون الآخرة ، ولا يحسبون حسابا للوقفة الرهيبة ، بين يدي أحكم الحاكمين [ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين

* ثم تحدثت عن الأشقياء الفجار ، وصورت جزاءهم يوم القيامة ، حيث يساقون إلى الجحيم مع الزجر والتهديد [كلا إن كتاب الفجار لفي سجين ، وما أدراك ما سجين ، كتاب مرقوم ، ويل يومئذ للمكذبين] الآيات .

* ثم عرضت لصفحة المتقين الأبرار ، وما لهم من النعيم الخالد الدائم في دار العز والكرامة ، وذلك في مقابلة ما أعده الله للأشقياء الأشرار ، على طريقة القرآن في الجمع بين الترغيب والترهيب [إن الأبرار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لفي نعيم ، على الأرائك ينظرون ، تعرف في وجوههم نضرة النعيم ، يسقون من رحيق مختوم ، ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

* وختمت السورة الكريمة بمواقف أهل الشقاء والضلال الكفرة الفجار من عباد الرحمن الأخيار حيث كانوا يهزءون منهم في الدنيا ، ويسخرون عليهم لإيمانهم وصلاحهم [إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ، وإذا مروا بهم يتغامزون] إلى آخر السورة الكريمة .

اللغة :

[للمطففين] جمع مطفف وهو الذي ينقص في الكيل والوزن ، والتطفيف : النقصان وأصله من الطفيف وهو الشيء اليسير ، لأن المطفف لا يكاد يسرف في الكيل والوزن إلا الشيء اليسير

[ران] غطى وغشى كالصدأ يغشى السيف ، وأصله الغلبة يقال : رانت الخمر على عقل شاربها أي غلبته قال الشاعر : " وكم ران من ذنب على قلب فاجر "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[رحيق] أجود الخمر وأصفاه وفي الصحاح : الرحيق صفوة الخمر وقال الأخفش : هو الشراب الذي لا غش فيه قال الحسن : بردى يصفق بالرحيق السلسل

[فكهين] معجبين متلذين

[يتغامزون] يشيرون إليهم بالأعين استهزاء

[ثوب] جوزي

[تسنيم] عني عالية شرابها أشرف شراب ، وأصل التسنيم الارتفاع ومنه سنام البعير. سبب النزولك عن ابن عباس قال " لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل اله عز وجل [ويل للمطففين] فأحسنوا الكيل بعد ذلك

التفسير :

[ويل للمطففين] أي هلاك وعذاب ودمار ، لأولئك الفجار الذين ينقصون المكيال والميزان ، ثم بين أوصافهم القبيحة بقوله

[الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون] أي إذا أخذوا الكيل من الناس أخذوه وافيا كاملا لأنفسهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون] أي وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم ، ينقصون الكيل والوزن قال المفسرون : نزلت في رجل يعرف بـــ " أبي جهينة " كان له صاعان ، يأخذ بأحدهما ويعطي بالآخر ، وهو وعيد لكل من طفف الكيل والوزن ، وقد أهلك الله قوم شعيب لبخسهم المكيال والميزان ، وفي الحديث " ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين "

[ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم] أي ألا يعلم ويستقين أولئك المطففون أنهم سيبعثون ليوم عصيب ، شديد الهول ، كثير الفزع ؟!

[يوم يقوم الناس لرب العالمين] أي يوم يقفون في المحشر حفاة عراة ، خاشعين خاضعين لرب العالمين قال في البحر : وفي هذا الإنكار والتعجيب ، ووصف اليوم بالعظم ، وقيام الناس لله خاضعين ، ووصفه برب العالمين ، دليل على عظم هذا الذنب وهو التطفيف ، وفي الحديث عن ابن عمر أن النبي صلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله عليه وسلم قال : [يوم يقوم الناس لرب العالمين] حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه.. ثم ذكر تعالى مآل الفجار ، ومآل الأبرار فقال

[كلا إن كتاب الفجار لفي سجين] أي ليرتدع هؤلاء المطففون عن الغفلة عن البعث والجزاء ، فإن كتاب أعمال الأشقياء الفجار ، لفي مكان ضيق في أسفل سافلين

[ومآ أدراك ما سجين] استفهام للتعظيم والتهويل أي هل تعلم ما هو سجين ؟

[كتاب مرقوم] أي هو كتاب مكتوب كالرقم في الثوب ، لا ينسى ولا يمحى ، أثبتت فيه أعمالهم الشريرة قال ابن كثير : [سجين] مأخوذ من السجن وهو الضيق ، ولما كان مصير الفجار إلى جهنم وهي أسفل سافلين ، وهي تجمع الضيق والسفول ، أخبر تعالى أنه كتاب مرقوم أي مكتوب مفروغ منه ، لا يزاد فيه أحد ولا ينقص منه أحد

[ويل يومئذ للمكذبين] أي هلاك ودمار للمكذبين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الذين يكذبون بيوم الدين] أي يكذبون بيوم الحساب والجزاء
[وما يكذب به إلا كل معتد أثيم] أي وما يكذب بيوم الحساب والجزاء ألا كل متجاوز الحد في الكفر والضلال ، مبالغ في العصيان والطغيان ، كثير الآثام ، ثم وضح من إجرامه فقال
[إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين] أي إذا تليت عليه آيات القرآن ، الناقطة بحصول البعث والجزاء ، قال عنها : هذه حكايات وخرافات الأوائل ، سطروها وزخرفوها في كتبهم
[كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون] أي ليرتدع هذا الفاجر عن ذلك القول الباطل ، فليس القرآن أساطير الأولين ، بل غطى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب ، فطمس بصائرهم فصاروا لا يعرفون الرشد من الغي قال المفسرون : الران هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب ((الرين : الصدأ الذي يغطي على القلب ، وفي الحديث الشريف : " إن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العبد اذا أخطأ خطيئة ، نكت في قلبه نكتة سوداء ، فإذا هو نزع واستغفر الله وتاب صقل قلبه ، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه " وهو الران الذي ذكر الله في كتابه {كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون } رواه الترمذي في التفسير وقال : حديث حسن صحيح)).

[كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون] أي ليرتدع هؤلاء المكذبون عن غيهم وضلالهم ، فيهم في الآخرة محجوبون عن رؤية المولى جل وعلا فلا يرونه قال الشافعي : وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عز وجل وقال مالك : لما حجب أعداءه لم يروه ، تجلى لأوليائه حتى رأوه

[ثم إنهم لصالوا الجحيم] أي ثم إنهم مع الحرمان عن رؤية الرحمن ، لداخلو الجحيم وذائقو عذابها الأليم

[ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون] أي ثم تقول لهم خزنة جهنم على وجه التقريع والتوبيخ : هذا العذاب الذي كنتم تكذبون به في الدنيا [أفسحر هذا أم أنتم لا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تبصرون] [الطور : 15] ؟.. وبعد الحديث عن حال الفجار ، ذكر تعالى نعيم الأبرار فقال

[كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين] [كلا] ردع وزجر أي ليس الأمر كما يزعمون من مساواة الفجار بالأبرار ، بل كتابه في سجين ، وكتاب الأبرار في عليين ، وهو مكان عال مشرف في أعلى الجنة ، أو لأنه في مكان علي رفيع فقد روي أنه تحت العرش

[ومآ أدراك ما عليون] تفخيم وتعظيم لشأنه أي وما أعلمك يا محمد ما هو عليون ؟

[كتاب مرقوم يشهده المقربون] أي كتاب الأبرار كتاب مسطر ، مكتوب فيه أعمالهم ، وهو في عليين في أعلى درجات الجنة ، يشهده المقربون من الملائكة قال المفسرون : إن روح المؤمن إذا قبضت صعد بها إلى العرش ، فيخرج لهم رق فيكتب فيه ويختم عليه بالنجاة من الحساب والعذاب يشهده المقربون

[إن الأبرار لفي نعيم] أي إن المطيعين لله في الجنات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الوارفة ، والضلال الممتدة يتنعمون
[على الأرآئك ينظرون] أي هم على السرر المزينة بفاخر الثياب والستور ، ينظرون إلى ما أعد الله لهم من أنواع الكرامة والنعيم في الجنة
[تعرف في وجوههم نضرة النعيم] أي إذا رأيتهم تعرف أنهم أهل نعمة ، لما ترى في وجوههم من النور والبياض والحسن ، ومن بهجة السرور ورونقه
[يسقون من رحيق مختوم] أي يسقون من خمر في الجنة ، بيضاء طيبة صافية ، لم تكدرها الأيدي ، قد ختم على تلك الأواني فلا يفك ختمها إلا الأبرار
[ختامه مسك] أي آخر الشراب تفووح منه رائحة المسك
[وفي ذلك فليتنافس المتنافسون] أي وفي هذا النعيم والشراب الهنيء ، فليرغب بالمبادرة إلى طاعة الله ، وليتسابق المتسابقون قال الطبري : التنافس مأخوذ من الشيء النفيس الذي يحرص عليه الناس ، وتشتهيه وتطلبه نفوسهم والمعنى فليستبقوا في طلب هذا النعيم ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولتحرص عليه نفوسهم

[ومزاجه من تسنيم] أي يمزج ذلك الرحيق من عين عالية رفيعة ، هي أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه تسمى " التسنيم " ولهذا قال بعده

[عينا يشرب بها المقربون] أي هي عين في الجننة يشر منها المقربون صرفا ، وتمزج لسائر أهل الجنة قال في التسهيل : تسنيم أسم لعين في الجنة يشرب منها المقربون صرفا ، ويمزج منه الرحيق الذي يشرب منه الأبرار ، فدل ذلك على أن درجة المقربين فوق درجة الأبرار. . ولما ذكر تعالى نعيم الأبرار ، أعقبه بذكر مآل الفجار ، تسلية للمؤمنين وتقوية لقلوبهم فقال

[إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون] أي أن المجرمين الذين من طبيعتهم الإجرام وارتكاب الآثام ، كانوا في الدنيا يضحكون من المؤمنين استهزاء بهم قال في التسهيل : نزلت هذه الآية في صناديق قريش كأبي جهل وغيره ، مر بهم علي بن أبي طالب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجماعة من المؤمنين ، فضحكوا منهم واستخفوا بهم

[وإذا مروا بهم يتغامزون] أي وإذا مر هؤلاء المؤمنين بالكفار ، غمز بعضهم بعضا بأعينهم سخرية واستهزاء بهم قال المفسرون : كان المشركون إذا مر بهم أصحاب رسول الله ، تغامزوا بأعينهم عليهم احتقارا لهم وازدراء يقولون : جاءكم ملوك الدنيا ، يسخرون منهم لإيمانهم واستمساكهم بالدين

[وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين] أي وإذا انصرف المشركون ورجعوا إلى منازلهم وأهليهم ، رجعوا متلذيين يتفكهون بذكر المؤمنين والاستخفاف بهم قال في البحر : أي رجعوا متلذذين بذكرهم وبالضحك منهم استخفافا بأهل الإيمان

[وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون] أي وإذا رأى الكفار المؤمنين قالوا : إن هؤلاء لضالون لإيمانهم بمحمد ، وتركهم شهوات الحياة قال تعالى ردا عليهم

[ومآ أرسلوا عليهم حافظين] أي وما أرسل الكفار حافظين على المؤمنين ، يحفظون أعمالهم ويشهدون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

برشدهم أو ضلالهم ، وفيه تهكم وسخرية بالكفار كأنه يقول : أنا ما أرسلتهم رقباء ، ولا وكلتهم بفحظ أعمال عبادي المؤمنين ، حتى يرشدوهم إلى مصالحهم ، فلم يشغلون أنفسهم فيما لا يعنيهم ؟

[فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون] أي ففقي هذا اليوم ــ يوم القيامة ــ يضحك المؤمنون من الكفار ، كما ضحك الكفار منهم في الدنيا ، جزاء وفاقا

[على الأرآئك ينظرون] أي والمؤمنون على أسرة الدر والياقوت ، ينظرون إلى الكفار ويضحكون عليهم قال القرطبي : يقال لأهل النار وهم في النار اخرجوا ، فتفتح لهم أبواب النار ، فإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج ، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك ، فإذا انتهوا إلى أبوابها أغلقت دونهم ، فيضحك منهم المؤمنون

[هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون] أي هل جوزي الكفار في الآخرة بما كنوا يفعلونه بالمؤمنين من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السخرية والاستهزاء ؟ نعم.

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1ـ التنكير للتهويل والتفخيم [ويل للمطففين] .

2ـ الطباق بي [يستوفون] و[يخسرون] .

3ـ المقابلة بين حال الفجار والأبرار [كلا إن كتاب الفجار..] الخ و[كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين..] الخ.

4ـ التفخيم والتعظيم لمراتب الأبرار [ومآ أدراك ما عليون] ؟

5ـ جناس الاشتقاق [فليتنافس المتنافسون] .

6ـ الإطناب بذكر أوصاف ونعيم المتقين [إن الأبرار لفي نعيم على الأرآئك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم] .

7ـ التشبيه البليغ [ختامه مسك] أي كالمسك في الطيب والبهجة ، فحذف منه الأداة ووجه الشبه فأصبح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بليغا.

8ـــ توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات مثل [يضحكون ، ينظرون ، يكسبون ، يفعلون] الخ وهو من المحسنات البديعية .

سورة الانشقاق

مكية وآياتها خمس وعشرون آية

بين يدي السورة

* سورة الانشقاق مكية ، وقد تناولت الحديث عن أهوال القيامة ، كشأن سائر السور المكية التي تعالج أصول العقيدة الإسلامية

* ابتدأت السورة الكريمة بذكر بعض مشاهد الآخرة ، وصورت الإنقلاب الذي يحدث في الكون عند قيام الساعة [إذا السماء انشقت ، وأذنت لربها وحقت ، وإذا الأرض مدت ، وألقت ما فيها وتخلت ، وأذنت لربها وحقت

* ثم تحدثت عن مصير الإنسان ، الذي يكد ويتعب في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تحصيل أسباب رزقه ومعاشه ، ليقدم لآخرته ما يشتهي من صالح أو طالح ، ومن خير أو شر ، ثم هناك الجزاء العادل [يا أيها الإنسان انك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه ، فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا] الآيات

* ثم تناولت موقف المشركين من هذا القرآن العظيم ، وأقسمت بأنهم سيلقون الأهوال والشدائد ويركبون الأخطار والأهوال ، في ذلك اليوم الرهيب العصيب ، الذي لا ينفع فيه مال ولا ولد [فلا أقسم بالشفق ، والليل وما وسق ، والقمر إذا اتسق ، لتركبن طبقا عن طبق] الآيات

* وختمت السورة الكريمة بتوبيخ المشركين على عدم إيمانهم بالله ، مع وضوح آياته وسطوع براهينه ، وبشرتهم بالعذاب الأليم في دار الجحيم [فما لهم لا يؤمنون ، وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون ، بل الذين كفروا يكذبون ، والله أعلم بما يوعون ، فبشرهم بعذاب أليم ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أجر غير ممنون

قال الله تعالى : [إذا السماء انشقت . .] إلى قوله [لهم أجر غير ممنون] من آية 1 إلى آية 25 نهاية السورة الكريمة

اللغة :

[كادح] الكدح : الجد والاجتهاد وجهد النفس في العمل قال الشاعر : ومضت بشاشة كل عيش صالح وبقيت أكدح للحياة وأنصب

[يحور] يرجع يقال : حار يحور إذا رجع ومنه حديث " أعوذ بك من الحور بعد الكور " أي الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة

[الشفق] الحمرة التي تكون بعد مغيب الشمس

[وسق] جمع وضم ولف

[اتسق] اجتمع وتكامل وتم نوره

[ممنون] مقطوع.

التفسير :

[إذا السمآء انشقت] هذه الآيات بيان لأهوال القيامة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتصوير لما يحدث بين يدي الساعة من كوارث وأهوال يفزع لها الخيال والمعنى : إذا تشققت السماء وتصدعت مؤذنة بخراب الكون قال الألوسي : تنشق لهول يوم القيامة

[وأذنت لربها وحقت] أي واستمعت لأمر ربها وانقادت لحكمه وحق لها أن تسمع وتطيع وأن تنشق من أهوال القيامة

[وإذا الأرض مدت] أي وإذا الأرض زادت سعة بإزالة جبالها وآكامها ، وصارت مستوية لا بناء فيها ولا وهاد ولا جبال

[وألقت ما فيها وتخلت] أي رمت ما في جوفها من الموتى والكنوز والمعادن وتخلت عنهم قال القرطبي : أخرجت أماتها وتخلت عنهم ، وألقت ما في بطنها من الكنوز والمعادن كما تلقى الحامل ما في بطنها من الحمل ، وذلك يؤذن بعظم الهول

[وأذنت لربها وحقت] أي واستمعت لأمر ربها وأطاعت ، وحق لها أن تسمع وتطيع.. وجواب [إذا]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محذوف ليكون أبلغ في التهويل أي إذا حدث كل ما تقدم ، لقي الإنسان من الشدائد والأهوال ، ما لا يحيط به الخيال.. ثم أخبر تعالى عن كد الإنسان وتعبه في هذه الحياة ، وأنه يلقى جزاءه عند الله فقال

[ياأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه]

الخطاب عام لكل إنسان أي أنت يا ابن آدم جاهد ومجد بأعمالك التي عاقبتها الموت ، والزمان يطير وأنت في كل لحظة تقطع شوطا من عمرك القصير ، فكأنك سائر مسرع إلى الموت ، ثم تلاقي ربك فيكافئك على عملك ، إن كان خيرا فخير ، وإشن كان شرا فشر قال في البحر : كادح أي جاهد في عملك من خير وشر طول حياتك إلى لقاء ربك ، فملاق جزاء كدحك من ثواب وعقاب ثم ذكر تعالى انقسام الناس إلى سعداء وأشقياء وإلى من يأخذ كتابه بيمينه ، ومن يأخذ كمتابه بشماله فقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فأما من أوتي كتابه بيمينه] أي فأما من أعطي كتاب أعماله بيمينه ، وهذه علامة السعادة

[فسوف يحاسب حسابا يسيرا] أي فسوف يكون حسابه سهلا هينا ، يجازي على حسناته ، ويتجاوز عن سيئاته ، وهذا هو العرض كما جاء في الحديث الصحيح ((المراد بالحساب اليسير في الآية هو " العرض " لما روي أن النبي (ص) قال : " من حوسب عذب " فقالت عائشة : اوليس الله عز وجل يقول : {فسوف يحاسب حسابا يسيرا} !! فقال (ص) : " إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب " رواه البخاري في التفسير ومسلم . وفي الحديث أن رسول الله (ص) قال : (إن الله يدنى العبد يوم القيامة ، حتى يضع كنفه عليه ، فيقول له : فعلت كذا وكذا ، - ويعدد عليه ذنوبه - ثم يقول له : سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم) فهذا هو المراد من الحساب اليسير))

[وينقلب إلى أهله مسرورا] أي ويرجع إلى أهله في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجنة مبتهجا مسرورا بما أعطاه الله من الفضل والكرامة

[وأما من أوتي كتابه ورآء ظهره] أي وأما من أعطي كتاب أعماله بشماله من وراء ظهره ، وهذه علامة الشقاوة

[فسوف يدعوا ثبورا] أي يصيح بالويل والثبور ، ويتمنى الهلاك والموت

[ويصلى سعيرا] أي ويدخل نارا مستعرة ، يقاسي عذابها وحرها

[إنه كان في أهله مسرورا] أي لأنه كان في الدنيا مسرورا مع أهله ، غافلا لاهيا ، لا يفكر في العواقب ، ولا تخطر بباله الآخرة قال ابن زيد : وصف الله أهل الجنة بالمخافة والحزن والبكاء في الدنيا ، فأعقبهم به النعيم والسرور في الآخرة ، ووصف أهل النار بالسرور بالدنيا والضحك فيها ، فأعقبهم به الحزن الطويل

[إنه ظن أن لن يحور] أي إنه ظن أن لن يرجع إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ربه ، ولن يحييه الله بعد موته للحساب والجزاء ، فلذلك كفر وفجر

[بلى إن ربه كان به بصيرا] أي بلى سيعيده الله بعد موته ، ويجازيه على أعماله كلها خيرها وشرها ، فإنه تعالى مطلع على العباد ، لا تخفى عليه خافية من شئونهم

[فلا أقسم بالشفق] [لا] لتأكيد القسم أي فأقسم قسما مؤكدا بحمرة الأفق بعد غروب الشمس

[والليل وما وسق] أي وبالليل وما جمع وضم إليه ، وما لف في ظلمته من الناس والدواب والأنعام ، فكل يأوي إلى مكانه وسربه ، ولهذا امتن تعالى على العباد فقال [وجعل الليل سكنا] [الأنعام : 96] فإذا جاء النهار انتشروا ، وإذا جاء الليل أوى كل شيء إلى مأواه

[والقمر إذا اتسق] أي وأقسم بالقمر إذا تكامل ضوءه ونوره ، وصار بدرا ساطعا مضيئا

[لتركبن طبقا عن طبق] هذا جواب القسم أي لتلاقن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يا مشعر الناس أهوالا وشدائد في الآخرة عصيبة قال الألوسي : يعني لتركبن أحوالا بعد أحوال ، هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض ، وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهولها وقال الطبري : المراد أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أحوالا

[فما لهم لا يؤمنون] استفهام يقصد به التوبيخ أي فيما لهؤلاء المشركين لا يؤمنون بالله ، ولا يصدقون بالعبث بعد الموت ، بعد وضوح الدلائل وقيام البراهين على قوعه ؟

[وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون] أي وإذا سمعوا آيات القرآن ، لم يخضعوا ولم يسجدوا للرحمن ؟

[بل الذين كفروا يكذبون] أي بل طبيعة هؤلاء الكفار التكذيب والعناد والجحود ، ولذلك لا يخضعون عند تلاوته

[والله أعلم بما يوعون] أي والله أعلم بما يجمعون في صدورهم من الكفر والتكذيب قال ابن عباس :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[يوعون] أي يضمرون من عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين

[فبشرهم بعذاب أليم] أي فبشرهم على كفره وضلالهم بعذاب مؤلم موجع ، واجعل ذلك بمنزلة البشارة لهم قال في التسهيل : ووضع البشارة في موضع الإنذار تهكم بالكفار

[إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات] أي لكن الذين صدقوا الله ورسوله ، وجمعوا بين الإيمان وصالح الأعمال

[لهم أجر غير ممنون] أي لهم ثواب في الآخرة غير منقوص ولا مقطوع ، بل هو دائم مستمر. ختم تعالى السورة الكريمة ببيان نعيم الأبرار ، بعد أن ذكر مآل الفجار ، وهو توضيح لما أجمله في أول السورة من ملاقاة كل عامل لجزائه في قوله [ياأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه] .

البلاغة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1ـ الطباق بين لفظ [السمآء] و[الأرض] .

2ـ المقابلة بين [فأما من أوتي كتابه بيمينه] وبين [وأما من أوتي كتابه ورآء ظهره

3ـ الكناية [لتركبن طبقا عن طبق] كنى به عن الشدة والأهوال التي يلقاها الإنسان.

4ـ الجناس الناقص بين كلمتي [وسق] و[اتسق] .

5ـ الأسلوب التهكمي [فبشرهم بعذاب أليم] استعمال البشارة في موضع الإنذار تهكم وسخرية بالكفار.

6ـ توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات مثل [إذا السمآء انشقت وأذنت لربها وحقت] ومثل [فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق] ويسمى وهو من المحسنات البديعية.

سورة البروج

مكية وآياتها اثنان وعشرون آية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بين يدي السورة

* هذه السورة الكريمة من السور المكية ، وهي تعرض لحقائق العقيدة الإسلامية ، والمحور الذي تدور عليه السورة الكريمة هي حادثة (أصحاب الأخدود) وهي قصة التضحية بالنفس ، في سبيل العقيدة والإيمان

* ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بالسماء ذات النجوم الهائلة ، ومداراتها الضخمة ، التي تدور فيها تلك الأفلاك ، وباليوم العظيم المشهود وهو " يوم القيامة " ، وبالرسل والخلائق ، على هلاك ودمار المجرمين ، الذين طرحوا المؤمنين في النار ، ليفتنوهم عن دينهم [والسماء ذات البروج ، واليوم الموعود ، وشاهد ومشهود ، قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ، إذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود] الآيات

* ثم تلاها الوعيد والإنذار ، لأولئك الفجار على فعلتهم القبيحة الشنيعة [إن الذين فتنوا المؤمنين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق

* وبعد ذلك تحدثت عن قدرة الله على الإنتقام من أعدائه الكفرة ، الذين فتنوا عباده وأولياءه إن بطش ربك لشديد ، إنه هو يبدىء ويعيد ، وهو الغفور الودود ، ذو العرش المجيد]

* وختمت السورة الكريمة بقصة الطاغية الجبار " فرعون " وما أصابه وقومه من الهلاك والدمار بسبب البغي والطغيان [هل أتاك حديث الجنود ، فرعون وثمود ، بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط] إلى نهاية السورة الكريمة

قال الله تعالى [والسماء ذات البروج . .] إلى قوله [بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ] من آية (1) إلى آية (22) نهاية السورة الكريمة

اللغة :

[الأخدود] الشق العظيم المستطيل في الأرض كالخندق ، وجمعه أخاديد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[قتل] لعن أشد اللعن

[نقموا] عابوا وكرهوا

[بطش] البطش : الأخذ بشدة

[يبدىء] يخلق ابتداء بقدرته

[المجيد] العظيم الجليل المتعالي.

التفسير :

[والسماء ذات البروج] أي وأقسم بالسماء البديعة ذات المنازل الرفيعة ، التي تنزلها الكواكب أثناء سيرها قال المفسرون : سميت هذه المنازل بروجا لظهورها ، وشبهت بالصور لعلوها وارتفاعها لأنها منازل للكواكب السيارة

[واليوم الموعود] أي وأقسم باليوم الموعود وهو يوم القيامة ، الذي وعد الله به الخلائق بقوله [الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه]

[وشاهد ومشهود] أي وأقسم بمحمد والأنبياء الذين يشهدون على أممهم يوم القيامة ، وبجميع الأمم والخلائق الذين يجتمعون في أرض المحشر للحساب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كقوله تعالى [فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا] [النساء : 41] وقيل : الشاهد هذه الأمة ، المشهود سائر الأمم ودليله [لتكونوا شهدآء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا]
((اختلف المفسرون في تفسير {الشاهد} و{المشهود} اختلافا كبيرا حتى ذكر بعضهم فيها ستة عشر قولا ، فقيل : الشاهد يوم الجمعة ، والمشهود يوم عرفة ، وقيل : الشاهد هو محمد والمشهود هو يوم القيامة ، وقيل : الشاهد هو جوارح الإنسان والمشهود عليه هو ابن آدم . . إلخ قال الصاوي : والأحسن أن يراد ما هو أعم ولذلك نكرهما ليعم كل شاهد ومشهود)).
[قتل أصحاب الأخدود] هذا هو جواب القسم ، والجملة دعائية أي قاتل الله ولعن أصحاب الأخدود ، الذين شقوا الأرض طولا وجعلوها أخاديد ، وأضرموا فيها النار ليحرقوا بها المؤمنين قال القرطبي : الأخدود الشق العظيم المستطيل في الأرض كالخندق وجمعه أخاديد ، ومعنى [قتل] أي لعن ، قال ابن عباس : كل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شيء في القرآن [قتل] لهو لعن.. ثم فصل تعالى المراد من الأخدود فقال

[النار ذات الوقود] أي النار العظيمة المتأججة ، ذات الحطب واللهب ، التي أضرمها الكفار في تلك الأخاديد لإحراق المؤمنين قال أبو السعود : وهذا وصف لها بغاية العظم ، وارتفاع اللهب ، وكثرة ما فيها من الحطب ، والقصد وصف النار بالشدة والهول.. ثم بالغ تعالى في وصف المجرمين فقال

[إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود] أي حين هم جلوس حول النار. يتشفون بإحراق المؤمنين فيها ، ويشهدون ذلك الفعل الشنيع

((خلاصة القصة " أن ملكا ظالما كافرا أسلم أهل بلده ، فأمر بالأخدود فشق في أفواه السكك ، وأضرم فيها النيران ، ثم أمر زبانيته وجنوده أن يأتوا بكل مؤمن ومؤمنة ويعرضوه على النار ، فمن لم يرجع عن دينه فليلقوه فيها ففعلوا ، حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فتقاعست أن تقع فيها ، فقال لها الغلام : يا أماه اصبري فإنك على الحق " وانظر تفصيل القصة في صحيح مسلم ، وسنن الترمذي)) والغرض تخويف كفار قريش ، فقد كانوا يعذبون من أسلم من قومهم ، ليرجعوا عن الإسلام ، فذكر الله تعالى قصة " أصحاب الأخدود " وعيدا للكفار ، وتسلية للمؤمنين المعذبين ، ثم قال تعالى

[وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد] أي وما كان لهم ذنب ولا انتقموا منهم ، إلا لأنهم آمنوا بالله العزيز الحميد الغالب الذي لا يضام من لاذ بجانبه ، الحميد في جمعي أقواله وأفعاله ، والغرض أن سبب البطش بهم ، وتحرقيهم بالنار ، لم يكن إلا إيمانهم بالله الواحد الأحد ، وهذا ليس بذنب يستحقون به العقوبة ، ولكنه الطغيان والإجرام

[الذي له ملك السماوات والأرض] أي هذا الإله الجليل المالك لجميع الكائنات ، المستحق للمجد والثناء قال في البحر : وإنما ذكر الأوصاف التي يستحق بها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالى أن يؤمن به ، وهي كونه تعالى [عزيزا] أي غالبا قادرا يخشى عقابه [حميدا] أي منعما يجب له الحمد على نعمه [له ملك السماوات والأرض] أي وكل من فيهما يحق عليه عبادته والخشوع له ، إنما ذكر ذلك تقريرا لأن ما نقموه منهم هو الحق الذي لا ينقمه إلا مبطل منهمك في الغي

[والله على كل شيء شهيد] أي هو تعالى مطلع على أعمال عباده ، لا تخفى عليه خافية من شئونهم ، وفيه وعد للمؤمنين ، ووعيد للمجرمين. . ثم شدد تعالى النكير على المجرمين الذين عذبوا المؤمين فقال

[إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات] أي عذبوا وأحرقوا المؤمنين والمؤمنات بالنار ليفتنوهم عن دينهم [ثم لم يتوبوا] أي ثم لم يرجعوا عن كفرهم وطغيانهم [فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق] أي فلهم عذاب جهنم المخزي بكفرهم ، ولهم العذاب المحرق إحراقهم المؤمنين.. ولما ذكر مصير المجرمين أعقبه بذكر مصير المؤمنين فقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات] أي الذين جمعوا بين الإيمانت الصادق والعمل الصالح

[لهم جنات تجري من تحتها الأنهار] أي لهم البساتين والحدائق الزاهرة ، التي تجري من تحت قصورها أنهار الجنة قال الطبري : هي أنهار الخمر واللبن والعسل

[ذلك الفوز الكبير] أي ذلك هو الظفر العظيم بغاية المطلوب ، الذي لا سعادة ولا فوز بعده.. ثم أخبر تعالى عن انتقامه الشديد من أعداء رسله وأوليائه فقال

[إن بطش ربك لشديد] أي إن انتقام اله وأخذه الجبابرة والظلمة ، بالغ الغاية في الشدة قال أبو السعود : البطش الأخذ بعنف ، وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم ، وهو بطشه بالجبابرة والظلمة وأخذه إياهم بالعذاب والانتقام

[إنه هو يبدىء ويعيد] أي هو جل وعلا الخالق القادر ، الذي يبدأ الخلق من العدم ، ثم يعيدهم أحياء بعد الموت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وهو الغفور الودود] أي وهو الساتر لذنوب عباده المؤمنين ، اللطيف المحسن إلى أوليائه ، المحب لهم قال ابن عباس : يود أولياءه كما يود أحدكم أخاه بالبشرى والمحبة

[ذو العرش] أي صاحب العرش العظيم ، وإنما أضاف العرش إلى الله وخصه بالذكر ، لأن العرش أعظم المخلوقات ، وأوسع من السموات السبع ، وخلقه بهذا الوصف يدل على عظمة خالقه

[المجيد] أي هو تعالى المجيد ، العالي على جميع الخلائق ، المتصف بجميع صفات الجلال والكمال

[فعال لما يريد] أي يفعل ما يشاء ، ويحكم ما ريد ، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه قال القرطبي : أي لا يمتنع عليه شيء يريده. روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قيل له وهو في مرض الموت : هل نظر إليك الطبيب ؟ قال : نعم ، قالوا : فماذا قال لك ؟ قال قال لي : (إني فعال لما أريد)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[هل أتاك حديث الجنود] ؟ استفهام للتشويق أي هل بلغك يا محمد خبر الجموع الكافرة ، الذين تجندوا لحرب الرسل والأنبياء ؟ هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس ، وما أنزل عليهم من النقمة والعذاب ؟ قال القرطبي : يؤنسه بذلك ويسليه ، ثم بين تعالى من هم فقال

[فرعون وثمود] أي هم فرعون وثمود ، أولي البأس والشدة ، فقد كانوا اشد بأسا ، وأقوى مراسا من قومك ، ومع ذلك فقد أخذهم الله تعالى بذنوبهم

[بل الذين كفروا في تكذيب] أي لم يعتبر كفار قريش بما حل بأولئك الكفرة المكذبين ، بل هم مستمرون في التكذيب فهم أشد منهم كفرا وطغيانا

[والله من ورائهم محيط] أي والله تعالى قادر عليهم ، لا يفوتونه ولا يعجزونه ، لأنهم في قبضته في كل حين وزمان

[بل هو قرآن مجيد] أي بل هذا الذي كذبوا به ، كتاب عظيم شريف ، متناه في الشرف والمكانة ، قد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سما على سائر الكتب السماوية ، في إعجازه ونظمه وصحة معانيه

[في لوح محفوظ] أي هو في اللوح المحفوظ الذي في السماء ، محفوظ من الزيادة والنقص ، والتحريف والتبديل.

البلاغة :

تضمنت السورة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1ـ الطباق بين [يبدىء.. ويعيد] .

2ـ جناس الاشتقاق [وشاهد.. ومشهود] .

3ـ تأكيد المدح بما يشبه الذم [وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد] كأنه يقول : ليس لهم جريمة إلا إيمانهم بالله ، وهذا من أعظم المفاخر والمآثر.

4ـ المقابلة بين مصير المؤمنين ومصير المجرمين [إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات] الآية قابلة قوله [إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات..] الخ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

5ــ أسلوب التشويق لاستماع القصة [هل أتاك حديث الجنود] ؟

6ــ صيغة المبالغة مثل [فعال لما يريد] [العزيز الحميد] وأمثال ذلك.

7ــ توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات مثل [واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود..] الخ وهو من المحسنات البديعية ويسمى بالسجع المرصع ، والله أعلم.

سورة الطارق

مكية وآياتها سبع عشرة آية

بين يدي السورة

* هذه السورة الكريمة من السور المكية ، وهي تعالج بعض الأمور المتعلقة بالعقيدة الإسلامية ومحور السورة يدور حول الإيمان بالبعث والنشور ، وقد أقامت البرهان الساطع ، والدليل القاطع على قدرة الله جل وعلا على إمكان البعث ، فإن الذي خلق الإنسان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من العدم ، قادر على إعادته بعد موته .

* ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بالسماء ذات الكواكب الساطعة ، التي تطلع ليلا لتضيء للناس سبلهم ، ليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ، أقسم تعالى على أن كل إنسان ، قد وكل به من يحرسه ، ويتعهد أمره من الملائكة الأبرار [والسماء والطارق ، ومما أدراك ما الطارق ، النجم الثاقب ، إن كل نفس لما عليها حافظ] الآيات

* ثم ساقت الأدلة والبراهين ، على قدرة رب العالمين ، على إعادة الإنسان بعد فنائه [فلينظر الإنسان مما خلق ؟ خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب ، إنه على رجعه لقادر الآيات .

* ثم أخبرت عن كشف الأسرار ، وهتك الأستار في الآخرة عن البشر ، حيث لا معين للإنسان ولا نصير [يوم تبلى السرائر ، فما له من قوة ولا ناصر

* وختمت السورة الكريمة بالحديث عن القرآن العظيم ، معجزة محمد في الخالدة ، وحجته البالغة إلى الناس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أجمعين ، وبينت صدق هذا القرآن ، وأوعدت الكفرة المجرمين بالعذاب الأليم لتكذبهم بالقرآن الساطع المنير

[والسماء ذات الرجع ، والأرض ذات الصدع ، إنه لقول فصل ، وما هو بالهزل ، إنهم يكيدون كيدا ، وأكيد كيدا ، فمهل الكافرين أمهلهم رويدا

اللغة

[الطارق] مأخوذ من الطرق بمعنى الضرب بشدة ومنه المطرقة ، وكل ما جاء بليل يسمى طارقا

[دافق] مصبوب بقوة وشدة يقال : دفق الماء دفقا إذا انصب بدفع وشدة

[الترآئب] عظام الصدر جمع تربية مثل فصيلة وفصائل قال امرؤ القيس : " ترائبها مصقولة كسجنجل "

[الرجع] المطر سمي به لرجوعه إلى الأرض مرارا

[الصدع] النبات الذي تنشق عنه الأرض

[رويدا] قليلا أو قريبا.

التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والسمآء والطارق] أي أقسم بالسماء وبالكواكب النيرة ، التي تظهر ليلا وتختفي نهارا قال المفسرون : سمي النجم طارقا لأنه إنما يظهر بالليل ويختفي بالنهار ، وكل ما يجيء ليلا فهو طارق

[ومآ أدراك ما الطارق] استفهام للتفخيم والتعظيم أي وما الذي أعلمك يا محمد ما حقيقة هذا النجم ؟ ثم فسره بقوله

[النجم الثاقب] أي النجم المضيء الذي يثقب الظلام بضيائه قال الصاوي : قد كثر منه تعالى في كتابه المجيد ذكر الشمس والقمر والنجوم ، لأن أحوالها في أشكالها وسيرها ومطالعها ، ومغاربها عجيبة دالة على انفراد خالقها بالكمالات ، لأن الصنعة تدل على الصانع

[إن كل نفس لما عليها حافظ] هذا جواب القسم أي ما كل نفس إلا عليها حافظ من الملائكة ، يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر كقوله [وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين] [الانفطار : 10 ـ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

11] قال ابن كثير : أي كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات.. ثم أمر تعالى بالنظر والتفكر في خلق الإنسان ، تنبيها على إمكان البعث والحشر فقال [فلينظر الإنسان مم خلق] ؟ أي فلينظر الإنسان في أول نشأته نظرة تكفر واعتبار ، من أي شيء خلقه الله ؟

[خلق من مآء دافق] أي خلق من المني المتدفق ، الذي ينصب بقوة وشدة ، يتدفق من الرجل والمرأة فيتكون منه الولد بإذن الله

[يخرج من بين الصلب والترآئب] أي يخرج هذا الماء من بين الصلب وعظم الصدر ، من الرجل والمرأة ((الصلب : فقار الظهر ويسمى سلسلة الظهر ، والترائب : عظام الصدر ، وكنى بالصلب عن الرجل ، وبالترائب عن المرأة ، أي يخرج هذا الماء من صلب الرجل ، وعظام صدر المرأة)).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنه على رجعه لقادر] أي إن الله تعالى الذي خلق الإنسان ابتداء ، قادر على إعادته بعد موته قال بن كثير : نبه تعالى الإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه ، وأرشده إلى الاعتراف بالمعاد ، لأن من قدر على البداءة ، فهو قادر على الإعادة بطريق الأول

[يوم تبلى السرآئر] أي يوم تمتحن القلوب وتختبر ، ويعرف ما بها من العقائد والنيات ، ويميز بين ما طاب منها وما خبث

[فما له من قوة ولا ناصر] أي فليس للإنسان في ذلك الوقت قوة تدفع عنه العذاب ، ولا ناصر ينصره ويجيره ، قال في التسهيل : لما كان دفع المكاره في الدنيا إما بقوة الإنسان ، أو بنصرة غيره له ، أخبره الله تعالى أنه يعدمها يوم القيامة ، فلا قوة له في نفسه ، ولا أحد ينصره من الله. . ولما ذكر تعالى أمر المبدأ والمعاد ، عاد فأقسم على صدق هذا الكتاب المعجز فقال

[والسمآء ذات الرجع] أي أقسم بالسماء ذات المطر ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذي يرجع على العباد حينا بعد حين قال ابن عباس : الرجع المطر ولولاه لهلك الناس وهلكت مواشيهم

[والأرض ذات الصدع] أي وأقسم بالأرض التي تتصدع وتنشق ، فيخرج منها النبات والأشجار والأزهار قال ابن عباس : هو انصداعها عن النبات والثمار.. أقسم سبحانه وتعالى بالسماء التي تفيض علينا الماء ، والأرض التي تخرج لنا الثمار والنبات ، والسماء للخلق كالأب ، والأرض لهم كالأم ، ومن بينهما تتولد النعم العظيمة ، والخيرات العميمة ، التي بها بقاء الإنسان والحيوان

[إنه لقول فصل] أي إن هذا القرآن لقول فاصل بين الحق والباطل ، قد بلغ الغاية في بيانه وتشريعه وإعجازه

[وما هو بالهزل] أي ليس فيه شيء من اللهو الباطل والعبث ، بل هو جد كله ، لأنه كلام أحكم الحاكمين ، فجدير بقارئه أن يتعظ بآياته ، ويستنير بتوجيهاته وإرشاداته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنهم يكيدون كيدا] أي إن هؤلاء المشركين ــ كفار مكة ــ يعملون المكايد لإطفاء نور الله ، وإبطال شريعة محمد صلى الله عليه وسلم

[وأكيد كيدا] أي وأجازيهم على كيدهم بالإمهال ثم النكال ، حيث آخذهم أخذ عزيز مقتدر كقوله تعالى [سنستدرجهم من حيث لا يعلمون] [الأعراف : 182] قال أبو السعود : أي أقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون

[فمهل الكافرين أمهلهم رويدا] أي لا تستعجل في هلاكهم والانتقام منهم ، وأمهلهم قليلا فسوف ترى ما أصنع بهم ، وهذا منتهى الوعيد والتهديد.

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1ــ الاستفهام للتفخيم والتعظيم [ومآ أدراك ما الطارق] ؟

2ــ الطباق بين [السمآء والأرض] وبين [الفصل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والهزل] .

3ــ جناس الاشتقاق [يكيدون كيدا] .

4ــ الإطناب بتكرار الفعل مبالغة في الوعيد [فمهل الكافرين أمهلهم رويدا] .

5ــ الكناية اللطيفة [يخرج من بين الصلب والترآئب] كنى بالصلب عن الرجل ، وبالترائب عن المرأمة ، وهذا من لطيف الكنايات.

6ــ السجع الرصين الذي يزيد في جمال الأسلوب ورشاقته ونضارته مثل [والسمآء ذات الرجع والأرض ذات الصدع] ومثل [إنه لقول فصل وما هو بالهزل] وهو من المحسنات البديعية.

سورة الأعلى

مكية وآياتها تسع عشرة آية

بين يدي السورة

* سورة الأعلى من السور المكية ، وهي تعالج بإختصار المواضيع الآتية :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1- الذات العلية وبعض صفات الله جل وعلا ، والدلائل على القدرة والوحدانية

2 - الوحي والقرآن المنزل على خاتم الرسل (ص) وتيسير حفظه عليه

3 - الموعظة الحسنة التي ينتفع بها أهل القلوب الحية ، ويستفيد منها أهل السعادة والإيمان

* ابتدأت السورة الكريمة بتنزيه الله جل وعلا ، الذي خلق فأبدع ، وصور فأحسن ، وأخرج العشب ، والنبات ، رحمة بالعباد [سبح اسم ربك الأعلى ، الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى الآيات

ثم تحدثت عن الوحي والقرآن ، وآنست الرسول (ص) بالبشارة بتحفيظه هذا الكتاب المجيد ، وتيسير حفظه عليه ، بحيث لا ينساه أبدا [سنقرئك فلا تنسى ، إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى

* ثم أمرت بالتذكير بهذا القرآن ، الذي يستفيد من نوره المؤمنون ، ويتعظ بهديه المتقون ، [فذكر إن نفعت الذكرى ، سيذكر من يخشى ، ويتجنبها الأشقى]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الآيات.

* وختمت السورة ببيان فوز من طهر نفسه من الذنوب والآثام ، وزكاها بصالح الأعمال [قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى] إلى نهاية السورة الكريمة .

فائدة :

روى البخاري عن البراء رضي الله عنه أنه قال : (أول من قدم علينا من أصحاب النبيمصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلا يقرآننا القرآن ، ثم جاء عمار ، وبلال ، وسعد ، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين أي من المهاجرين ثم جاء النبى (ص) فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به (ص) ، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون : هذا رسول الله قد جاء ، فما جاء حتى قرأت [سبح اسم ربك الأعلى] في سور مثلها) البخاري كتاب التفسير

اللغة :

[غثآء] الغثاء : ما يقذف به السيل على جانب الوادي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ن الحشائش والأوراق والنباتات

[أحوى] أسود مأخوذ من الحوة وهي السواد أو السمرة

[يصلى] يدخل ويقاسي حرها يقال : أصليته نارا وجعلته يذوق حرها.

التفسير :

[سبح اسم ربك الأعلى] أي نزه يا محمد ربك العلي الكبير عن صفات النقص ، وعما يقوله الظالمون ، مما لا يليق به سبحانه وتعالى من النقائص والقبائح ، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية قال : " سبحانه ربي الأعلى " . ثم ذكر من أوصافه الجليلة ، ومظاهر قدرته الباهرة ، ودلائل وحدانيته وكماله فقال

[الذي خلق فسوى] أي خلق المخلوقات جميعها ، فأتقن خلقها ، وأبدع صنعها ، في أجمل الأشكال ، وأحسن الهيئات قال في البحر : أي خلق كل شيء فسواه ، بحيث لم يأت متفاوتا ، بل متناسبا على إحكام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإتقان ، للدلالة على أنه صادر من عالم حكيم

[والذي قدر فهدى] أي قدر في كل شيء خواصه ومزاياه بما تجل عنه العقول والأفهام ، وهدى الإنسان لوجه الانتفاع بما أودعه فيها ، وهدى الإنعام إلى مراعيها ، ولو تأملت ما في النباتات من الخواص ، وما في المعادن من المزايا والمنافع ، واهتداء الإنسان لاستخراج الأدوية والعقاقير النافعة من النباتات ، واستخدام المعادن في صنع المدافع والطائرات ، لعلمت حكمة العلي القدير ، الذي لولا تقديره وهدايته لكنا نهيم في دياجير الظلام كسائر الأنعام قال المفسرون : إنما حذف المفعول لإفادة العموم أي قدر لكل مخلوق وحيوان ما يصلحه ، فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به

[والذي أخرج المرعى] أي أنبت ما ترعاه الدواب ، من الحشائش والأعشاب

[فجعله غثآء أحوى] أي فصيره بعد الخضرة أسود باليا ، بعد أن كان ناضرا زاهيا ، ولا يخفى ما في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المرعى من المنفعة بعد صيرورته هشيما ياسبا ، فإنه يكون طعاما جيدا لكثير من الحيوانات ، فسبحان من أحكم كل شيء و[أعطى كل شيء خلقه ثم هدى] [طه : 50] !! وبعد أن ذكر دلائل قدرته ووحدانيته ، ذكر فضله وإنعامه على رسوله فقال

[سنقرئك فلا تنسى] أي سنقرئك يا محمد هذا القرآن العظيم فتحفظه في صدرك ولا تنساه

[إلا ما شآء الله] أي لكن ما أراد الله نسخه فإنك تنساه.. وفي هذه الآية معجزة له عليه الصلاة والسلام ، لأنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، وكان مع ذلك لا ينسى ما أقرأه جبريل عليه السلام ، وكونه يحفظ هذا الكتاب العظيم من غير دراسة ولا تكرار ولا ينساه أبدا ، من أعظم البراهين على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم قال ابن كثير : هذا إخبار من الله تعالى ووعد لرسوله صلى الله عليه وسلم بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إنه يعلم الجهر وما يخفى] أي هو تعالى عالم بما يجهر به العباد وما يخفونه من الأقوال والأفعال ، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء
[ونيسرك لليسرى] أي ونوفقك للشريعة السمحة البالغة اليسر ، التي هي أيسر وأسهل الشرائع السماوية ، وهي شريعة الإسلام
[فذكر إن نفعت الذكرى] أي فذكر يا محمد بهذا القرآن حيث تنفع الموعظة والتذكرة كقوله [فذكر بالقرآن من يخاف وعيد] [ق : 45] قال ابن كثير : ومن ههنا يؤخذ الأدب في نشر العلم ، فلا يضعه عند غير أهله ، كما قال علي رضي الله عنه " ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم ، إلا فتنة لبعضهم " وقال : حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله " ؟
[سيذكر من يخشى] أي سينتفع بهذه الذكرى والموعظة من يخاف الله تعالى
[ويتجنبها الأشقى] أي ويرفضها ويبتعد عن قبول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الموعظة الكافر المبالغ في الشقاوة

[الذى يصلى النار الكبرى] أي الذي يدخل نار جهنم المستعرة ، العظيمة الفظيعة قال الحسن : النار الكبرى نار الآخرة ، والصغرى نار الدنيا

[ثم لا يموت فيها ولا يحيا] أي لا يموت فيستريح ، ولا يحيا الحياة الطيبة الكريمة ، بل هو دائم في العذاب والشقاء

[قد أفلح من تزكى] أي قد فاز من طهر نفسه بالإيمان ، وأخلص عمله للرحمن

[وذكر اسم ربه فصلى] أي وذكر عظمة ربه وجلاله ، فصلى خشوعا وامتثالا لأمره

[بل تؤثرون الحياة الدنيا] أي بل تفضلون أيها الناس هذه الحياة الفانية على الآخرة الباقية ، فتشتغلون لها وتنسون الآخرة

[والآخرة خير وأبقى] أي والحال أن الآخرة خير من الدنيا وأبقى ، لأن الدنيا فانية ، والآخرة باقية ، والباقي خير من الفاني ، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يبقى ؟ وكيف يهتم الغرور ، ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلود ؟ قرأ ابن مسعود هذه الآية فقال لأصحابه : أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة ؟ قالوا : لا ، قال : لأن الدنيا أحضرت وعجلت لنا بطعامها ، وشرابها ، ونسائها ، ولذاتها ، وبهجتها ، وإن الآخرة غيبت وزويت عنا ، فأحببنا العاجل ، وتركنا الآجل

[إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى] أي إن هذه المواعظ المذكورة في هذه السورة ، مثبتة في الصحف القديمة المنزلة على إبراهيم وموسى عليهما السلام ، فهي مما توافقت فيه الشرائع ، وسطرته الكتب السماوية ، كما سطره هذا الكتاب المجيد.

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1ـ الطباق [لا يموت.. ولا يحيا] وكذلك [الجهر..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وما يخفى] .

2ـــ جناس الاشتقاق [نيسرك لليسرى] و[ذكر.. والذكرى] .

3ـــ المقابلة بين [سيذكر من يخشى] وبين [ويتجنبها الأشقى] .

4ـــ حذف المفعول ليفيد العموم في قوله [خلق فسوى] وفي [قدر فهدى] لأن المراد خلق كل شيء فسواه ، وقدر كل شيء فهداه.

5ـــ السجع غير المتكلف وهو كثير في القرآن مثل [أخرج المرعى فجعله غثآء أحوى سنقرئك فلا تنسى] وهو من المحسنات البديعية.

تنبيه :

صحف موسى غير التوراة ، وقد رود أنه أعطي عشر صحف وكانت كلها عبرا ، قال أبو ذر : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صحف موسى ما كانت ؟ قال : كانت عبرا كلها (عجبت لمن أيقن بالموت كيف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يفرح! عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك! عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها! عجبت لمن أيقن بالقدر ثم ينصب! عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل!!).

سورة الغاشية

مكية وآياتها ست وعشرون آية

بين يدي السورة

* سورة الغاشية مكية ، وقد تناولت موضوعين أساسيين وهما :

1 - القيامة وأحوالها وأهوالها ، وما يلقاه الكافر فيها من العناء والبلاء ، وما يلقاه المؤمن فيها من السعادة والهناء [هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية الآيات

2 - الأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين ، وقدرته الباهرة ، في خلق الإبل العجيبة والسماء البديعة ، والجبال المرتفعة ، والأرض الممتدة الواسعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، وكلها شواهد على وحدانية الله وجلال سلطانه [أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت] الآيات .

* وختمت السورة الكريمة بالتذكير برجوع الناس جميعا إلى الله سبحانه للحساب والجزاء

اللغة :

[الغاشية] القيامة تغشى الناس بأهوالها

[خاشعة] ذليلة خاضعة

[ناصبة] من النصب وهو التعب

[ضريع] شيء في النار كالشوك مر منتن

[ناعمة] ذات حسن وبهجة ونضارة

[نمارق] وسائد ومرافق يتكأ عليها جمع نمرقة قال زهير : كهولا وشبانا حسانا وجوههم على سرر مصفوفة ونمارق

[زرابي] بسط فاخرة جمع زربية وقال الفراء : هي الطنافس التي لها خمل رقيق ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[مبثوثة] مفرقة في المجالس

[إيابهم] رجوعهم.

التفسير :

[هل أتاك حديث الغاشية] الاستفهام للتشويق الى استماع الخبر ، وللتنبيه والتفخيم لشأنها أي هل جاءك يا محمد خبر الداهية العظيمة التي تغشى الناس وتعمهم بشدائدها وأهوالها ، وهي القيامة ؟ قال المفسرون : سميت غاشية لأنها تشغى الخلائق بأهوالها وشدائدها ، وتعمهم بما فيها من المكاره والكوارث العظيمة

[وجوه يومئذ خاشعة] أي وجوه في ذلك اليوم ذليلة خاضعة مهينة

[عاملة ناصبة] أي دائبة العمل فيما يتعبها ويشقيها في النار قال المفسرون : هذه الآية في الكفار ، يتعبون ويشقون بسبب جر السلاسل والأغلال ، وخوضهم في النار خوض الإبل في الوحل ، والصعود والهبوط في تلالها ودركاتها كما قال تعالى [إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[غافر : 71ـــ72] وهذا جزاء تكبرهم في الدنيا عن عبادة الله ، وانهماكهم في اللذات والشهوات

[تصلى نارا حامية] أي تدخل نارا مسعرة شديدة الحر قال ابن عباس : قد حميت فهي تتلظى على أعداء الله

[تسقى من عين آنية] أي تسقى من عين متناهية الحرارة ، وصل حرها وغليانها درجة النهاية

[ليس لهم طعام إلا من ضريع] أي ليس لأهل النار طعام إلا الضريع وهو نبت ذو شوك تسمية قريش " الشبرق " وهو أخبث طعام وأبشعه وهو سم قاتل قال قتادة : هو شر الطعام وأبشعه وأخبثه.. ذكر تعالى هنا أن طعامهم الضريع

[ليس لهم طعام إلا من ضريع] وقال في الحاقة [ولا طعام إلا من غسلين] [الحاقة : 36] ولا نافي بينهما ، لأن العقاب ألوان ، والمعذبون أنواع ، فمنهم من يكون طعامه الزقوم ، ومنهم من يكون طعامه الضريع ، ومنهم من يكون طعامه الغسلين ، وهكذا يتنوع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العذاب

[لا يسمن ولا يغني من جوع] أي لا يفيد القوة والسمن في البدن ، ولا يدفع الجوع عن آكله قال أبو السعود : أي ليس من شأنه الإسمان والإشباع ، كما هو شأن طعام الدنيا ، وقد روي أنه يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم إلى أكل الضريع ، فإذا أكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم إلى شرب الحميم ، فيشوي وجوههم ويقطع أمعاءهم [وسقوا مآء حميما فقطع أمعآءهم] [محمد : 15] .. ولما ذكر حال الأشقياء أهل النار ، أتبعه بذكر حال السعداء أهل الجنة فقال

[وجوه يومئذ ناعمة] أي وجوه المؤمنين يوم القيامة ناعمة ذات بهجة وحسن ، وإشراق ونضارة كقوله تعالى [تعرف في وجوههم نضرة النعيم] [المطففين : 34]

[لسعيها راضية] أي لعملها الذي عملته في الدنيا وطاعتها لله راضية مطمئنة ، لأن هذا العسل أورثها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفردوس دار المتقين

[في جنة عالية] أي في حدائق وبساتين مرتفعة مكانا وقدرا ، وهم في الغرفات آمنون

[لا تسمع فيها لاغية] أي لا تسمع في الجنة شتما ، أو سبا ، أو فحشا قال ابن عباس : لا تسمع أذى ولا باطلا

[فيها عين جارية] أي فيها عيون تجري بالماء السلسبيل لا تنقطع أبدا قال الزمخشري : التنوين في [عين] للتكثير أي عيون كثيرة تجري مياهها

[فيها سرر مرفوعة] أي في الجنة أسرة مرتفعة ، مكللة بالزبرجد والياقوت ، عليها الحور العين ، فإذا أراد ولي الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له

[وأكواب موضوعة] أي وأقداح موضوعة على حافات العيون ، معدة لشرابهم لا تحتاج إلى من يملأها

[ونمارق مصفوفة] أي ووسائد ــ مخدات ــ قد صف بعضها إلى جانب بعض ليستندوا عليها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وزرابي مبثوثة] أي وفيها طنافس فاخرة لها خمل رقيق مبسوطة في أنحاء الجنة.. ثم ذكر تعالى الدلائل والبراهين الدالة على قدرته ووحدانيته فقال

[أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت] أي أفلا ينظر هؤلاء الناس نظر تكفر واعتبار ، إلى الإبل ــ الجمال ــ كيف خلقها الله خلقا عجيبا بديعا يدل على قدرة خالقها ؟! قال في التسهيل : في الآية حض على النظر في خلقتها ، لما فيها من العجائب في قوتها ، وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف ، وصبرها على العطش ، وكثرة المنافع التي فيها ، من الركوب والحمل عليها ، وأكل لحومها ، وشرب ألبانها وغير ذلك ((وانما خص تعالى الإبل بالذكر ، لأنها أفضل دواب العرب ، وأكثرها نفعا ولهذا تسمى " سفينة الصحراء " فانظر إلى خلقها العجيب ، فإنها فى غاية القوة والشدة ، وهي مع ذلك تنقاد مع الطفل الضعيف ، وهي تجلس لتضع عليها حمولتها عن قرب ، ثم تقوم بما تحمله بما ينوء عنه العصبة أولو القوة ، ثم صبرها على الجوع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والعطش الأيام المعدودة ، ثم بلوغها المسافات الطويلة ، ورعيها بكل نبات في البراري ، وغير ذلك من عجائب الخلق والتكوين ، فسبحان الحكيم العليم !)).

[وإلى السمآء كيف رفعت] أي وإلى السماء البديعة المحكمة ، كيف رفع الله بناءها ، وأعلى سمكها بلا عمد ولا دعائم ؟

[وإلى الجبال كيف نصبت] أي إلى الجبال الشاهقة كيف نصبت على الأرض نصبا ثابتا راسخا لا يتزلزل ؟!

[وإلى الأرض كيف سطحت] أي وإلى الأرض التي يعيشون عليها ، كيف بسطت ومهدت حتى صارت شاسعة واسعة يستقرون عليها ، ويزرعون فيها أنواع المزروعات ؟! قال الألوسي : ولا ينافي هذا ، القول بأنها كرة أو قريبة من الكرة لمكان عظمها والحكمة في تخصيص هذه الأشياء بالذكر ، أن القرآن نزل على العرب وكانوا يسافرون كثيرا في الأودية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والبراري منفردين عن الناس ، والإنسان إذا ابتعد عن المدينة أقبل على التفكر ، فأول ما يقع بصره على البعير الذي يركبه فيرى نظرا عجيبا ، وإن نظر فوق لم ير غير السماء ، وإن نظر يمينا وشمالا لم ير غير الجبال ، وإن نظر تحت لم ير غير الأرض ، فلذلك ذكر هذه الأشياء قال ابن كثير : نبه تعالى البدوي على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه ، والسماء التي فوق رأسه ، والجبل الذي تجاهه ، والأرض التي تحته ، على قدرة خالق ذلك وصانعه ، وأنه الرب العظيم ، الخالق المالك المتصرف ، الذي لا يستحق العبادة سواه ((أثبت علماؤنا من القديم أن الأرض (كروية) كالإمام الفخر الرازي ، وأبي السعود ، والألوسي ، كما نقلنا بعض ذلك في سورة لقمان ، وأما كونها مسطحة أو مبسوطة فإنما هي بالنسبة لعظمها ، حيث فيها السهول الفسيحة ، والوديان ، والجبال ، والهضاب ، وقد صورها رجال الفضاء ، وهم في مراكبهم الفضائية ، وهم كذلك على سطح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القمر ، صوروها وهي كرة عظيمة تدور في الفضاء ، وتشرق وتغرب كما تشرق الشمس والقمر ، فليس في القرآن ما يخالف الحقائق العلمية)) ولما ذكر تعالى دلائل التوحيد ولم يعتبر بذلك الكفار ، أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بوعظهم وتذكيرهم فقال

[فذكر إنمآ أنت مذكر] أي فعظهم يا محمد وخوفهم ، ولا يهمنك أنهم لا ينظرون ولا يتفكرون ، فإنما أنت واعظ ومرشد

[لست عليهم بمصيطر] أي لست بمتسلط عليهم ولا قاهر لهم حتى تجبرهم على الإيمان

[إلا من تولى وكفر] أي لكن من أعرض عن الوعظ والتذكير ، وكفر بالله العلي القدير

[فيعذبه الله العذاب الأكبر] أي فيعذبه الله بنار جهنم الدائم عذابها قال القرطبي : وإنما قال [الأكبر] لأنهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والقتل والأسر

[إن إلينآ إيابهم] أي إلنا وحدنا رجوعهم بعد الموت

[ثم إن علينا حسابهم] أي ثم إن علينا وحدنا حسابهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجزاءهم.

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1ــ أسلوب التشويق [هل أتاك حديث الغاشية] ؟

2ــ المجاز المرسل بإطلاق الجزء وإرادة الكل [وجوه يومئذ خاشعة] المراد أصحابها.

3ــ الطباق في الحرف بين [إلينآ إيابهم.. وعلينا حسابهم] .

4ــ جناس الاشتقاق [فذكر.. مذكر] وبين [يعذبه.. والعذاب] .

5ــ المقابلة بين وجوه الأبرار ووجوه الفجار [وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية] قابل بينها وبين سابقتها [وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة] .

6ــ السجع الرصين غير المتكلف مثل [لسعيها راضية في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية] .. الخ.

تنبيه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قدم الشام ، أتاه راهب شيخ كبير عليه سواد ، فلما رآه عمر بكى ، فقيل له : ما يبكيك يا أمير المؤمنين إنه نصراني ؟ فقال : ذكرت قول الله عز وجل [عاملة ناصبة تصلى نارا حامية] فبكيت رحمة عليه.

سورة الفجر

مكية وآياتها ثلاثون آية

بين يدي السورة

* سورة الفجر مكية ، وهي تتحدث عن أمور ثلاثة رئيسية هي :

1- ذكر قصص بعض الأمم المكذبين لرسل الله ، كقوم عاد ، وثمود ، وقوم فرعون ، وبيان ما حل بهم من العذاب والدمار ، بسبب فجورهم وطغيانهم [ألم تر كيف فعل ربك بعاد ؟ إرم ذات العماد ؟ التي لم يخلق مثلها في البلاد] ؟ الأيآت

2 - بيان سنة الله تعالى في ابتلاء العباد في هذه الحياة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، بالخير والشر ، والغنى والفقر ، وطبيعة الإنسان في حبه الشديد للمال [فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه . فيقول ربي أكرمن ، وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن . .] الآيات

3 - ذكر الدار الآخرة وأهوالها وشدائدها ، وانقسام الناس يوم القيامة ، إلى سعداء وأشقياء وبيان مآل النفس الشريرة ، والنفس الكريمة الخيرة [كلا إذا دكت الأرض دكا دكا ، وجاء ربك والملك صفا صفا ، وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى] إلى نهاية السورة الكريمة

قال الله تعالى : [والفجر وليال عشر . . .] إلى قوله [فادخلي في عبادي وادخلي جنتي] من أول آية إلى آية (30) نهاية السورة الكريمة

اللغة :

[حجر] عقل ولب قال الفراء : العرب تقول إنه لذو حجر إذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها ، وأصل الحجر المنع ، وسمي العقل حجرا لأنه يمنع عن السفه قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشاعر : وكيف يرجى أن يتوب وإنما يرجى من الفتيان من كان ذا حجر

[جابوا] قطعوا ومنه قولهم : فلان يجوب البلاد أي يقطعها

[التراث] الميراث

[لما] شديدا وأصله الجمع ومنه قولهم : لم الله شعثه

[جما] كثيرا عظيما كبيرا قال الشاعر : إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما

التفسير :

[والفجر وليال عشر] هذا قسم أي أقسم بضوء الصبح عند مطادرته ظلمة الليل ، وبالليالي العشر المباركات من أول ذي الحجة ، لأنها أيام الاشتغال بأعمال الحج ((هذا قول الجمهور وهو مروي عن ابن عباس ، وقيل هي العشر الأخيرة من رمضان لأن فيها ليلة القدر ، وهى رواية أيضا عن ابن عباس ، والأول أرجح)) قال المفسرون : أقسم تعالى بالفجر لما فيه من خشوع القلب في حضرة الرب ، وبالليالي الفاضلة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المباركة وهي عشر ذي الحجة ، لأنه أفضل أيام السنة ، كما ثبت في صحيح البخاري " ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام ــ يعني عشر ذي الحجة ــ قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجلا خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء "

[والشفع والوتر] أي وأقسم بالزوج والفرد من كل شيء فكأنه تعالى أقسم بكل شيء ، لأن الأشياء إما زوج وإما فرد ، أو هو قسم بالخلق والخالق ، فإن الله تعالى واحد " وتر " والمخلوقات ذكر وأنثى " شفع " ((هذا القول روي عن مجاهد وابن عباس ، وروي عن ابن عباس أيضا أن الشفع يوم النحر لكونه العاشر ، والوتر يوم عرفة لكونه التاسع ، وذكرت أقوال اخرى كثيرة غير هذه)).

[واليل إذا يسر] أي وأقسم بالليل إذا يمضي بحركة الكون العجيبة ، والتقييد بسريانه لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ، ووفور النعمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[هل في ذلك قسم لذى حجر] أي هل فيما ذكر من الأشياء قسم مقنع لذي لب وعقل ؟! والاستفهام تقريري لفخامة شأن الأمور المقسم بها ، كأنه يقول : إن هذا لقسم عظيم عند ذوي العقول والألباب ، فمن كان ذا لب وعقل علم أن ما أقسم الله عز وجل به من هذه الأشياء فيها عجائب ، ودلائل تدل على توحيده وربوبيته ، فهو حقيق بأن يقسم له لدلالته على الإله الخالق العظيم قال القرطبي : قد يقسم الله بأسمائه وصفاته لعلمه ، ويقسم بأفعاله لقدرته كما قال تعالى [وما خلق الذكر والأنثى] [الليل : 3] ويقسم بمفعولاته لعجائب صنعه كما قال [والشمس وضحاها] [الشمس : 1] [والسمآء والطارق] [الطارق : 1] وجواب القسم محذوب تقديره : ورب هذه الأشياء ليعذبن الكفار ، ويدعل عليه قوله [ألم تر كيف فعل ربك بعاد] ؟ أي ألم يبلغك يا محمد ويصل إلى علمك ، ماذا فعل الله بعاد قوم هود ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إرم ذات العماد] أي عادا الأولى أهل أرم ذات البناء الرفيع ، الذين كانوا يسكنون بالأحقاف بين عمان وحضرموت

[التي لم يخلق مثلها في البلاد] أي تلك القبيلة الي لم يخلق الله مثلهم في قوتهم ، وشدتهم ، وضخامة أجسامهم! والمقصود من ذلك تخويف أهل مكة بما صنع تعالى بعاد ، وكيف أهلكهم وكانوا أطول أعمارا ، وأشد قوة من كفار مكة! ؟ قال ابن كثير : وهؤلاء " عاد الأولى " وهم الذين بعث الله فيهم رسوله " هودا " عليه السلام فكذبوه وخالفوه ، وكانوا عتاة متمردين جبارين ، خارجين عن طاعة الله مكذبين لرسله ، فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرهم ، وجعلهم أحاديث وعبرا

[وثمود الذين جابوا الصخر بالواد] أي وكذلك ثمود الذين قطعوا صخر الجبال ، ونحتوا بيوتا بوادي القرى [وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين] [الحجر : 82] وكانت مساكنهم في الحجر بين الحجاز وتبوك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال المفسرون : أو ما نحت الجبال والصخور والرخام قبيلة ثمود وكانوا لقوتهم يخرجون الصخور ، وينقبون الجبال فيجعلونها بيوتا لأنفسهم ، وقد بنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها بالحجارة بوادي القرى

[وفرعون ذى الأوتاد] أي وكذلك فرعون الطاغية الجبار ، ذي الجنود والجموع والجيوش التي تشد ملكه

قال أبو السعود : وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التي يضربونها في منازلهم أو لتعذيبه بالأوتاد

[الذين طغوا في البلاد] أي أولئك المتجبرين " عادا ، وثمود ، وفرعون " الذين تمردوا وعتوا عن أمر الله ، وجاوزوا الحد في الظلم والطغيان

[فأكثروا فيها الفساد] أي فأكثروا في البلاد الظلم والجور والقتل : وسائر المعاصي والآثام

[فصب عليهم ربك سوط عذاب] أي فأنزل عليهم ربك ألوانا شديدة من العذاب بسبب إجرامهم وطغيانهم

قال المفسرون : استعمل لفظ الصب لاقتضائه السرعة في النزول على المضروب ، كما قال القائل " صببنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليهم ظالمين سياطنا " والمراد أنه تعالى أنزل على كل طائفة نوعا من العذاب ، فأهلكت عاد بالريح ، وثمود بالصيحة ، وفرعون وجنوده بالغرق كما قال تعالى [فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا] [العنكبوت : 40]

[إن ربك لبالمرصاد] أي إن ربك يا محمد ليرقب عمل الناس ، ويحصيه عليهم ، ويجازيهم به قال في التسهيل : المرصاد المكان الذي يرتقب فيه الرصد ، والمراد أنه تعالى رقيب على كل إنسان ، وأنه لا يفوته أحد من الجبابرة والكفار ، وفي ذلك تهديد لكفار قريش.. ولما ذكر تعالى ما حل بالطغاة المتجبرين ، ذكر هنا طبيعة الإنسان الكافر ، الذي يبطر عند الرخاء ، ويقنط عند الضراء فقال

[فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه] أي إذا اختبره وامتحنه ربه بالنعمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فأكرمه ونعمه] أي فأكرمه بالغنى واليسار ، وجعله منعما في الدنيا بالبنين والجاه والسلطان

[فيقول ربي أكرمن] أي فيقول ربي أحسن إلي بما أعطاني من النعم التي أستحقها ، ولم يعلم أن هذا ابتلاء له أيشرك أم يكفر ؟
[وأمآ إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه] أي وأما إذا اختبره وامتحنه ربه بالفقر وتضييق الرزق
[فيقول ربي أهانن] أي فيقول غافلا عن الحكمة : إن ربي أهانني بتضييقه الرزق علي قال القرطبي : وهذه صفة الكافر الذي لا يؤمن بالبعث ، وإنما الكرامة عنده والهوان بكثرة الحظ في الدنيا وقلته ، وأما المؤمن فالكرامة عنده أن يكرمه الله بطاعته وتوفيقه المؤدي إلى حظ الآخرة ، وإن وسع عليه في الدنيا حمده وشكره ، وإنما أنكر تعالى على الإنسان قوله [ربي أكرمن] وقوله [ربي أهانن] لأنه إنما قال ذلك على وجه الفخر والكبر ، لا على وجه الشكر ، وقال :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أهانن على وجه التشكي من الله وقلة الصبر ، وكان الواجب عليه أن يشكر على الخير ، ويصبر على الشر ، ولهذا ردعه وزجره بقوله

[كلا بل لا تكرمون اليتيم] أي ليس الإكرام بالغنى ، والإهانة بالفقر كما تظنون ، بل الإكرام والإهانة بطاعة الله ومعصيته ولكنكم لا تعلمون ، ثم قال [بل لا تكرمون اليتيم] أي بل أنتم تفعلون ماهو شر من ذلك ، وهو أنكم لا تكرمون اليتيم مع إكرام الله لكم بكثرة المال!!

[ولا تحآضون على طعام المسكين] أي ولا يحض بعضكم بعضا ولا يحثه على إطعام المحتاج وعون المسكين

[وتأكلون التراث أكلا لما] أي وتأكلون الميران أكلا شديدا ، لا تسألون أمن حلال هو أم من حرام ؟ قال في التسهيل : هو أن يأخذ الميراث نصيب ونصيب غيره ، لأن العرب كانوا لا يعطون من الميراث أنثى ولا صغيرا ، بل ينفرد به الرجال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وتحبون المال حبا جما] أي وتحبون المال حبا كثيرا مع الحرص والشره ، وهذا ذم لهم لتكالبهم على المال ، وبخلهم بإنفاقه

[كلا إذا دكت الأرض دكا دكا] [كلا] للردع أي وارتدعوا أيها الغافلون وانزجروا عن ذلك ، فأمامكم أهوال عظيمة في ذلك اليوم العصيب ، وينعدم

[وجآء ربك والملك صفا صفا] أي وجاء ربك يا محمد لفصل القضاء بين العباد ، وجاء الملائكة صفوفا متتابعة صفا بعد صف قال في التسهيل : قال المنذر بن سعيد : معناه ظهوره للخلق هنالك ، وهذه الآية وأمثالها مما يجب الإيمان به من غير تكييف ولا تمثيل وقال ابن كثير : قام الخلائق من قبورهم لربهم ، وجاء ربك لفصل القضاء بين خلقه ، وذلك بعدما يستشفعن إليه بسيد ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم ، فيجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء ، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفا صفوفا

[وجيء يومئذ بجهنم] أي وأحضرت جهنم ليراها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المجرمون كقوله [وبرزت الجحيم لمن يرى]
[النازعات : 37] وفي الحديث " يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها "

[يومئذ يتذكر الإنسان] أي في ذلك اليوم الرهيب ، والموقف العصيب ، يتذكر الإنسان علمه ، ويندم على تفريطه وعصيانه ، ويريد أن يقلع ويتوب

[وأنى له الذكرى] أي ومن أين يكون له الانتفاع بالذكرى وقد فات أوانها ؟!

[يقول ياليتني قدمت لحياتي] أي يقول نادما متحسرا : يا ليتني قدمت عملا صالحا ينفعني في آخرتي ، لحياتي الباقية قال تعالى

[فيومئذ لا يعذب عذابه أحد] أي ففي ذلك اليوم ليس أحد أشد عذابا من تعذيب الله من عصاه

[ولا يوثق وثاقه أحد] أي ولا يقيد أحد بالسلاسل والأغلال مثل تقييد الله للكافر الفاجر ، وهذا في حق المجرمين من الخلائق ، فأما النفس الزكية المطمئنة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيقال لها

[ياأيتها النفس المطمئنة] أي يا أيتها النفس الطاهرة الزكية ، المطمئنة بوعد الله التي لا يلحقها اليوم خوف ولا فزع

[ارجعي إلى ربك راضية مرضية] أي ارجعي إلى رضوان ربك وجنته ، راضية بما أعطاك الله من النعم ، مرضية عنده بما قدمت من عمل قال المفسرون : هذا الخطاب والنداء يكون عند الموت ، فيقال للمؤمن عند احتضاره تلك المقالة

[فادخلي في عبادي] أي فادخلي في زمرة عبادي الصالحين

[وادخلي جنتي] أي وادخلي جنتي دار الأبرار الصالحين.

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

1ـــ الاستفهام التقريري [ألم تر كيف فعل ربك بعاد] ؟

2ـــ الطباق بين [الشفع.. والوتر] .

3ـــ جناس الاشتقاق [لا يعذب عذابه أحد] [ولا يوثق وثاقه] [يتذكر.. الذكرى] .

4ـــ المقابلة [فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه] وبين [وأمآ إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه..] الآية فقد قابل بين [أكرمن وأهانن] وبين توسعة الرزق.

5ـــ الاستعارة اللطيفة الفائقة [فصب عليهم ربك سوط عذاب] شبه العذاب الشديد الذي نزل عليهم بسياط لاذعة تكوي جسد المعذب واستعمل الصب للإنزال.

6ـــ الالتفات [كلا بل لا تكرمون اليتيم] في التفات من ضمير الغائب الى الخطاب زيادة في التوبيخ والعتاب ، والأصل [بل لا يكرمون] .

7ـــ الإضافة للتشريف [فادخلي في عبادي] . 8ــــ السجع الرصين غير المتكلف مثل [وليال عشر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والشفع والوتر والليل إذا يسر] ومثل [وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الأوتاد الذين طغوا في البلاد] الآيات.

سورة البلد

مكية وآياتها عشرون آية

بين يدي السورة

* هذه السورة الكريمة مكية ، وأهدافها نفس أهداف السور المكية ، من تثبيت العقيدة والإيمان ، والتركيز على الإيمان بيوم الحساب والجزاء ، والتمييز بين الأبرار والفجار ، وطريق النجاة من عذاب النار .

* ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بالبلد الحرام ، الذي هو سكن النبي (ص) ، تعظيما لشأنه وتكريما لمقامه الرفيع عند ربه ، ولفتا لأنظار الكفار إلى أن إيذاء الرسول في البلد الأمين ، من أكبر الكبائر عند الله تعالى [لا أقسم بهذا البلد . وأنت حل بهذا البلد . ووالد وما ولد] الآيات .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* ثم تحدثت عن بعض كفار مكة ، الذين اغتروا بقوتهم ، فعاندوا الحق ، وكذبوا رسول الله وأنفقوا أموالهم في المباهاة والمفاخرة ، ظنا منهم أن إنفاق الأموال في حرب الإسلام يدفع عنهم عذاب الله ، وقد ردت عليهم الآيات بالحجة القاطعة والبرهان الساطع .

[أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ؟ يقول أهكلت مالا لبدا. .] الآيات

* ثم تناولت أهوال القيامة وشدائدها ، وما يكون بين يدي الإنسان في الآخرة ، من مصاعب ومتاعب وعقبات ، لا يستطيع أن يقطعها ويجتازها إلا بالإيمان ، والعمل الصالح . [فلا اقتحم العقبة ؟ وما أدراك ما العقبة ؟ فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة . .] الآيات

* وختمت السورة الكريمة بالتفريق بين المؤمنين والكفار ، في ذلك اليوم العصيب ، وبينت مآل السعداء ، ومال الأشقياء ، في دار الخلد والكرامة [ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولئك أصحاب الميمنة . .] الآيات إلى نهاية السورة الكريمة

قال الله تعالى : [لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد] إلى قوله [عليهم نار مؤصدة] من آية (1) إلى اية (20) نهاية السورة الكريمة

اللغة :

[كبد] الكبد : الشدة والمشقة ، وأصله من كبد الرجل كبدا إذا وجعته كبده ثم استعمل في كل تعب ومشقة ، ومنه المكابدة لمقاساة الشدائد

[اقتحم] الاقتحام : الدخول بسرعة وشدة يقال : اقتحم الأمر ، واقتحم الحصن إذا رمى نفسه فيه بدون روية

[العقبة] الطريق الوعر في الجبل

[فك] الفك تخليص الشيء من الشيء يقال : فككت الحبل ، وفككت الأسير أي خلصته من الأسر

[مسغبة] مجاعة يقال : سغب الرجل إذا جاع وقال الراغب : هو الجوع مع التعب

[متربة] افتقار يقال : ترب الرجل إذا افتقر ولصق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالتراب ، وأرتب إذا استغنى وكذلك أثرى

[مؤصدة] مبطقة من أوصد الباب إذا أغلقه وأطقبه.

التفسير :

[لا أقسم بهذا البلد] هذا قسم ، أقسم سبحانه بالبلد الحرام " مكة " التي شرفها الله تعالى بالبيت العتيق ــ قبلة أهل الشرق والغرب ــ وجعلها مهبط الرحماتن وإليها تجبى ثمرات كل شيء ، وجعلها حرما آمنا ، وجعل حرمتها منذ خلق السموات والأرض ((في الحديث الذي رواه الشيخان " إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام إلى أن تقوم الساعة ، لم تحل لأحد قبلي ، ولن تحل لأحد بعدي ، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار) الحديث صحيح مسلم)) . فلما استجمعت تلك المزايا والفضائل أقسم الله تعالى بها قال في التسهيل : أراد بالبلد " مكة " باتفاق ، وأقسم بها تشريفا لها

[وأنت حل بهذا البلد] أي وأنت يا محمد ساكن ومقيم بمكة بلد الله الأمين قال البيضاوي أقسم بالبلد الحرام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقيده بحلوله عليه السلام فيه ــ أي إقامته فيه ــ إظهارا لمزيد فضله ، وإشعارا بأن شرف المكان بشرف أهله

[ووالد وما ولد] أي وأقسم بآدم وذريته الصالحين قال مجاهد : الوالد آدم عليه السلام [وما ولد] جميع ذريته قال ابن كثير : وما ذهب إليه مجاهد وأصحابه حسن قوي ، لأنه تعالى لما أقسم بأم القرى وهي المساكن ، أقسم بعده بالساكن وهو " آدم " أبو البشر وولده وقال الخازن : أقسم الله تعالى بمكة لشرفها وحرمتها ، وبآدم وبالآنبياء والصالحين من ذريته ، لأن الكافر ــ وإن كان من ذريته ــ لا حرمة له حتى يقسم به

[لقد خلقنا الإنسان في كبد] هذا هو المقسم عليه أي لقد خلقنا الإنسان في تعب ومشقة ، فإنه لا يزال يقاسي أنواع الشدائد ، من وقت نفخ الروح فيه إلى حين نزعها منه قال ابن عباس : [في كبد] أي في مشقة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وشدة ، من حمله ، وولادته ، ورضاعه ، وفطامه ، ومعاشه ، وحياته ، وموته ، وأصل الكبد : الشدة ، وقيل : لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم ، وهو مع ذلك أضعف الخلق قال أبو السعود : والآية تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من كفار مكة.. ثم أخبر تعالى عن طبيعة الإنسان الجاحد بقدرة الله ، والمكذب للبعث والنشور فقال

[أيحسب أن لن يقدر عليه أحد] أي أيظن هذا الشقي الفاجر ، المغتر بقوته ، أن الله تعالى لا يقدر عليه لشدته وقوته ؟ قال المفسرون : نزلت في " أبي الأشد بن كلدة " كان شديدا مغترا بقوته ، وكان يبسط له الأديم ـــ الجلد ـــ فيوضع تحت قدميه ، ويقول : من أزالني عنه فله كذا ، فيجذبه عشرة فيتقطع قطعا ولا تزل قدماه ، ومعنى الآية : أيظن هذا القوي المارد ، المستضعف للمؤمنين ، أنه لن يقدر على الانتقام منه أحد ؟

[يقول أهلكت مالا لبدا] أي يقول هذا الكافر : أنفقت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مالا كثيرا في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم قال الألوسي : أي يقول فخرا ومباهاة على المؤمنين : أنفقت مالا كثيرا ، وأراد بذلك ما أنفقه " رياء وسمعة " وعبر عن الإنفاق بالإهلاك ، إظهارا لعدم الاكتراث ، وأنه لم يفعل ذلك رجاء نفع ، فكأنه جعل المال الكثير ضائعا ، وقيل يقول ذلك إظهارا لشدة عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم

[أيحسب أن لم يره أحد] ؟ أي أيظن أن الله تعالى لم يره حين كان ينفق ، ويظن أن أعماله تخفى على رب العباد ؟ ليس الأمر كما يظن ، بل إن الله رقيب مطلع عليه ، سيسأله يوم القيامة ويجازيه عليه.. ثم ذكره تعالى بنعمه عليه ليعتبر ويتعظ فقال

[ألم نجعل له عينين] أي ألم نجعل له عينين يبصر بهما ؟

[ولسانا] أي ولسانا ينطق به فعيبر ما في ضميره ؟

[وشفتين] أي وشفتين يطبقهما على فمه ، ويستعين بهما على الأكل والشرب والنفخ وغير ذلكظ قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخازن : يريد أن نعم الله على عبده متظاهرة ، يقرره بها كي يشكره

[وهديناه النجدين] أي وبينا له طريق الخير والشر ، والهدى والضلال ، ليسلك طريق السعادة ، ويتجنب طريق الشقاوة قال ابن مسعود : [النجدين] الخير والشر كقوله تعالى [إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا] [الإنسان : 3]

[فلا اقتحم العقبة] أي فهلا أنفق ماله في اجتياز العقبة الكئود ، بدل أن ينفقه في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم ؟! قال في البحر : والعقبة استعارة للعمل الشاق على النفس ، من حيث فيه بذل المال ، تشبيها لها بعقبة الجبل وهو ما صعب منه وقت الصعود ، فإنه يلحقه مشقة في سلوكها ، ومعنى اقتحامها دخلها بسرعة وشدة ، وهو مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس ، والهوى ، والشيطان ، حتى ينال رضى الرحمن

[ومآ أدراك ما العقبة] أي وما أعلمك ما اقتحام العقبة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

؟ وفيه تعظيم لشأنها وتهويل.. ثم فسرها تعالى بقوله [فك رقبة] أي هي عتق الرقبة في سبيل اله ، وتخليص صاحبها من الأسر والرق ، فمن أعتق رقبة كانت له فداء من النار

[أو إطعام في يوم ذي مسغبة] أي أو أن يطعم الفير في يوم عصيب ذي مجاعة ، قال الصاوي وقيد الإطعام بيوم المجاعة ، لأن إخراج المال فيه أشد على النفس

[يتيما ذا مقربة] أي أطعم اليتيم الذي بينه وبينه قرابة

[أو مسكينا ذا متربة] أو المسكين الفقير البائس الذي قد لصق بالتراب من فقره وضره ، وهو كناية عن شدة الفقر والبؤس قال ابن عباس : هو المطروح على ظهر الطريق لا يقيه من التراب شيء

[ثم كان من الذين آمنوا] أي عمل هذه القربات لوجه الله تعالى ، وكان مع ذلك مؤمنا صادق الإيمان قال المفسرون : وفي الآية إشارة أن هذه القرب والطاعات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا تنفع إلا مع الإيمان

[وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة] أي وأوصى بعضهم بعضا بالصبر على الإيمان وطاعة الرحمن ، وبالرحمة والشفقة على الضعفاء والمساكين

[أولئك أصحاب الميمنة] أي هؤلاء الموصوفون بهذه الصفات الجليلة ، هم أصحاب الجنة الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم ، ويسعدون بدخول جنات النعيم

[والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة] قرن بين الأبرار والفجار على طريقة القرآن في الترغيب والترهيب ، لبيان المفارقة الهائلة بين أهل الجنة وأهل النار ، وبين السعداء والأشرار أي والذين جحدوا نبوة محمد وكذبوا بالقرآن هم أهل الشمال ـــ أهل النار ـــ لأنهم يأخذون كتبهم بشمائلهم ، وعبر عنهم بضمير الغائب إشارة إلى أنهم غائبون عن حضرة قدسه ، وكرامة أنسه

[عليهم نار مؤصدة] أي عليهم نار مطبقة مغلقة ، لا يدخل فيها روح ولا ريحان ، ولا يخرجون منها أبد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الزمان. . اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك ، ونجنا من ذلك يا رب.

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البديع والبيان نوجزها فيما يلي :

1ــ زيادة [لا] لتأكيد الكلام ، وهو مستفيض في كلام العرب [لا أقسم بهذا البلد] أي أقسم بهذا البلد ، وفائدتها تأكيد القسم كقولك : لا والله ما ذاك كما تقول أي والله قال امرؤ القيس : " لا وأبيك ابنة العامري " .

2ــ جناس الاشتقاق [ووالد وما ولد] فكل من الوالد والولد مشتق من الولادة.

3ــ الاستفهام الإنكاري للتوبيخ [أيحسب أن لن يقدر عليه أحد] ؟ ومثله [أيحسب أن لم يره أحد] ؟

4ــ الاستفهام التقريري للتذكير بالنعم [ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين] ؟

5ــ الاستفهام للتهويل والتعظيم [ومآ أدراك ما العقبة] ؟ لأن الغرض تعظيم شأنها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

6ــ الاستعارة اللطيفة [وهديناه النجدين] أي طريقي الخير والشر ، وأصل النجد الطريق المرتفع ، استعير كل منهما لسلوك طريق السعادة ، وسلوك طريق الشقاوة.

7ــ الاستعارة كذلك في قوله [فلا اقتحم العقبة] لأن أصل العقبة الطريق الوعر في الجبل ، واستعيرت هنا للأعمال الصالحة لأنها لا تصعب وتشق على النفوس ، ففيه استعارة تبعية.

8ــ الجناس الناقص بين [مقربة] و[متربة] لتغير بعض الحروف.

9ــ المقابلة اللطيفة بين [أولئك أصحاب الميمنة] وبين [هم أصحاب المشأمة] .

10ــ مراعاة الفواصل ورءوس الآيات مثل [لا أقسم بهذا البلد.. ووالد وما ولد لقد خلقنا الإنسان في كبد] ومثل [عينين ولسانا وشفتين] وهو من المحسنات البديعية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سورة الشمس

مكية وآياتها خمس عشرة آية.

بين يدي السورة

وقد تناولت موضوعين إثنين وهما :

1-موضوع النفس الإنسانية ، وما جبلها الله من الخير والشر ، والهدى والضلال .

2-وموضوع الطغيان ممثلا في قصة [ثمود] الذين عقروا الناقة ، فأهلكهم الله ودمرهم ، وأبادهم عن آخرهم .

* إبتدأت السورة الكريمة بالقسم بسبعة أشياء من مخلوقات الله جل وعلا ، فأقسم تعالى بالشمس وضوئها الساطع ، وبالقمر إذا أعقبها وهو طالع ، ثم بالنهار إذا جلا ظلمة الليل بضيائه ، وبالليل إذا غطى الكائنات بظلامه ، ثم بالقادر الذي أحكم بناء السماء بلا عمد ، وبالأرض الذي بسطها على ماء جمد ، وبالنفس البشرية التي كملها الله ، وزينها بالفضائل والكمالات ، أقسم بهذه الأمور على فلاح الإنسان ونجاحه إذا اتقى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله ، وعلى شقاوته وخسرانه إذا طغى وتمرد ، وفسق وفجر .

* ثم ذكر تعالى قصة [ثمود] قوم صالح حين كذبوا رسولهم ، وطغوا وبغوا في الأرض وعقروا الناقة التي خلقها الله تعالى من صخر أصم معجزة لرسوله صالح عليه السلام ، وما كان من أمر هلاكهم الفظيع الذي بقى عبرة لمن يعتبر ، وهو نموذج لكل كافر فاجر ، مكذب لرسل الله [كذبت ثمود بطغواها . إذ انبعث أشقاها . فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها . فكذبوه فعقروها . .] الآيات.

* وقد ختمت السورة الكريمة بأنه تعالى لا يخاف عاقبة إهلاكهم وتدميرهم ، لأنه [لا يسأل عما يفعل وهم يسألون] ولهذا قال سبحانه : [فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها] .

اللغة :

[ضحاها] ضوءها ، والضحى وقت إرتفاع الشمس أول النهار قال المبرد : الضحى مشتق من الضح وهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نور الشمس

[طحاها] بسطها ومدها ، قال الجوهري : طحوته مثل دحوته أي بسطته

[دساها] أخفاها وأصل الكلمة دسسها ، أبدلت السين الثانية ألفا تخفيفا

[فدمدم] الدمدمة : إطباق الشيء على الشيء ، يقال : دمدم عليه القبر أي أطبقه والمراد به هنا إطباق العذاب عليهم بمعنى إهلاكهم بطريق الاستئصال

[عقباها] عاقبتها وتبعتها .

التفسير :

[والشمس وضحاها] أي أقسم بالشمس وضوئها الساطع ، إذا أنار الكون وبدد الظلام

[والقمر إذا تلاها] أي وأقسم بالقمر إذا سطع مضيئا ، وتبع الشمس طالعا بعد غروبها ، قال المفسرون وذلك في النصف الأول من الشهر ، إذا غربت الشمس تلاها القمر في الإضاءة ، وخلفها في النور ، وحكمة القسم بالشمس أن العالم في وقت غيبة الشمس عنهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كالأموات ، ، فإذا ظهر الصبح وبزغت الشمس دبت فيهم الحياة ، وصار الأموات أحياء فانتشروا لأعمالهم وقت الضحوة ، وهذه الحالة تشبه أحوال القيامة ، ووقت الضحى يشبه استقرار أهل الجنة فيها ، والشمس والقمر مخلوقان لمصالح البشر ، والقسم بهما للتنبيه على ما فيهما من المنافع العظيمة

[والنهار إذا جلاها] أي وأقسم بالنهار إذا جلا ظلمة الليل بضيائه ، وكشفها بنوره ، وقال ابن كثير : إذا جلا البسيطة وأضاء الكون بنوره

[والليل إذا يغشاها] أي وأقسم بالليل إذا غطى الكون بظلامه ، ولفه بشبحه ، فالنهار يجلي المعمورة ويظهرها ، والليل يغطيها ويسترها ، قال الصاوي : وأتي بالفعل مضارعا [يغشاها] ولم يقل [غشيها] مراعاة للفواصل

[والسماء وما بناها] أي وأقسم بالقادر العظيم الذي بنى السماء ، وأحكم بناءها بلا عمد ، قال المفسرون : [ما] إسم موصول بمعنى " من " أي والسماء ومن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بناها ، والمراد به " الله رب العالمين " بدليل قوله بعد ذلك [فألهمها فجورها وتقواها] كأنه قال : وأقسم لكم بالقادر العظيم الشأن الذي بناها ، فدل بناؤها وإحكامها على وجوده ، وكمال قدرته

[والأرض وما طحاها] أي وأقسم بالأرض ومن بسطها من كل جانب ، وجعلها ممتدة ممهدة ، صالحة لسكنى الإنسان والحيوان ، وهذا لا ينافي كرويتها كما قال المفسرون ، لأن الغرض من الآية الإمتنان ، بجعل الأرض ممتدة واسعة ، ميسرة للزراعة والفلاحة وسكنى الإنسان

[ونفس وما سواها] أي وأقسم بالنفس البشرية وبالذي أنشأها وأبدعها ، وجعلها مستعدة لكمالها ، وذلك بتعديل أعضائها ، وقواها الظاهرة والباطنة ، ومن تمام تسويتها أن وهبها العقل ، الذي تميز به بين الخير والشر ، والتقوى والفجور ، ولهذا قال

[فألهمها فجورها وتقواها] أي وعرفها طريق الفجور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتقوى ، وما تميز به بين رشدها وضلالها ، قال ابن عباس : بين لها الخير والشر ، والطاعة والمعصية ، وعرفها ما تأتي وما تتقى ، قال المفسرون : أقسم سبحانه بسبعة أشياء (الشمس ، والقمر ، والليل ، والنهار ، والسماء ، والأرض ، والنفس البشرية) إظهارا لعظمة قدرته ، وانفراده بالألوهية ، وإشارة إلي كثرة مصالح تلك الأشياء وعظم نفعها ، وأنها لابد لها من صانع ومدبر لحركاتها وسكناتها ، وقال الإمام الفخر : لما كانت الشمس أعظم المحسوسات ، ذكرها تعالى مع أوصافها الأربعة ، الدالة على عظمها ، ثم ذكر سبحانه ذاته المقدسة ، ووصفها جل وعلا بصفات ثلاث ، ليحظى العقل بإدراك جلال الله تعالى وعظمته ، كما يليق به جل جلاله ، فكان ذلك طريقا إلى جذب العقل ، من حضيض عالم المحسوسات ، إلى بيداء أوج كبريائه جل شأنه

[قد أفلح من زكاها] هذا هو جواب القسم ، أي لقد فاز وأفلح من زكي نفسه بطاعة الله ، وطهرها من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دنس المعاصي والآثام
[وقد خاب من دساها] أي وقد خسر وخاب ، من حقر نفسه بالكفر والمعاصي ، وأوردها موارد الهلكة ، فإن من طاوع هواه ، وعصى أمر مولاه ، فقد نقص من عداد العقلاء ، والتحق بالجهلة الأغبياء . ثم ضرب تعالى مثلا لمن طغى وبغى ، ولم يطهر نفسه من دنس الكفر والعصيان ، فذكر قبيلة [ثمود] قوم صالح عليه السلام ، فقال سبحانه
[كذبت ثمود بطغواها] أي كذبت ثمود نبيها بسبب طغيانها
[اذ انبعث أشقاها] أي حين انطلق أشقى القوم ، بسرعة ونشاط ليعقر الناقة ، قال ابن كثير : وهو " قدار بن سالف " الذي قال الله فيه [فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر] وكان عزيزا شريفا في قومه ، ورئيسا مطاعا فيهم ، وهو أشقى القبيلة
[فقال لهم رسول الله] أي فقال لهم صالح عليه السلام
[ناقة الله وسقياها] أي احذروا ناقة الله أن تمسوها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بسوء ، واحذروا أيضا أن تمنعوها من سقياها ، أي شربها ونصيبها من الماء ، كما قال تعالى [لها شرب ولكم شرب يوم معلوم]

[فكذبوه فعقروها] أي فكذبوا نبيهم صالحا وقتلوا الناقة ، ولم يلتفتوا إلي تحذيره

[فدمدم عليهم ربهم بذنبهم] أي فأهلكهم الها ودمرهم عن آخرهم ، بسبب إجرامهم وطغيانهم قال الخازن : والدمدمة : هلاك باستئصال ، والمعنى : أطبق عليهم العذاب إطباقا فلم ينفلت منهم أحد

[فسواها] أي فسوى بين القبيلة في العقوبة ، فلم يفلت منهم إنسان ، لا صغير ولا كبير ، ولا غنى ولا فقير

[ولا يخاف عقباها] أي ولا يخاف تعالى عاقبة إهلاكهم وتدميرهم ، كما يخاف الرؤساء والملوك عاقبة ما يفعلون ، لأنه تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ! .

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نوجزها فيما يلي :

1 - الطباق بين [الشمس والقمر] و[الليل والنهار] وبين [فجورها وتقواها] .

2- المقابلة اللطيفة بين [والنهار إذا جلاها] وبين [والليل إذا يغشاها] وبين [قد أفلح من زكاها] وبين [قد خاب من دساها] وكل من الطباق والمقابلة من المحسنالت البديعية .

---

3 - الإضافة للتكريم والتشريف [ناقة الله] نسبت الناقة إلى الله تشريفا ، لأنها خرجت من صخر أصم ، معجزة لصالح عليه السلام .

4 - التهويل والتفظيع [فدمدم عليهم ربهم بذنبهم] فإن التعبير بالدمدمة يدل على هول العذاب وشدته .

5 - السجع المرصع مراعاة للفواصل ورءوس الآيات ، وهو ظاهر جلى في السورة الكريمة ، مثل (دساها ، أشقاها ، سقياها ، عقباها) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سورة الليل

مكية وآياتها إحدى وعشرون آية

بين يدي السورة

* سورة الليل مكية ، وهي تتحدث عن سعي الإنسان وعمله ، وعن كفاحه ونضاله في هذه الحياة ، ثم نهايته إلى النعيم أو إلى الجحيم.

* إبتدأت السورة الكريمة بالقسم بالليل إذا غشي الخليقة بظلامه ، وبالنهار إذا أنار الوجود بإشراقه وضيائه ، وبالخالق العظيم الذي أوجد النوعين الذكر والأنثى ، أقسم على أن عمل الخلائق مختلف ، وطريقهم متباين [والليل إذا يغشى ، والنهار إذا تجلى ، وما خلق الذكر والأنثى ، إن سعيكم لشتى] الآيات.

* ثم وضحت السورة سبيل السعادة ، وسبيل الشقاء ، ورسمت الخط البياني لطالب النجاة ، وبينت أوصاف الأبرار والفجار ، وأهل الجنة وأهل النار [فأما من أعطى وإتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فسنيسره

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للعسرى] الآيات.

* ثم نبهت إلى اغترار بعض الناس بأموالهم التي جمعوها ، وثرواتهم التي كدسوها ، وهي لا تنفعهم في يوم القيامة شيئا ، وذكرتهم بحكمة الله في توضيحه لعباده طريق الهداية وطريق الضلالة [وما يغني عنه ماله إذا تردى ، إن علينا للهدى ، وإن لنا للآخرة والأولى] الآيات .

* ثم حذرت أهل مكة من عذاب الله وانتقامه ، ممن كذب بآياته ورسله ، وأنذرهم من نار حامية ، تتوهج من شدة حرها ، لا يدخلها ولا يذوق سعيرها إلا الكافر الشقي ، المعرض عن هداية الله [فأنذرتكم نارا تلظى ، لا يصلاها إلا الأشقى ، الذي كذب وتولى.

* وختمت السورة بذكر نموذج للمؤمن الصالح ، الذي ينفق ماله في وجوه الخير ، ليزكي نفسه ويصونها من عذاب الله ، وضربت المثل بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، حين اشترى بلالا وأعتقه في سبيل الله

[وسيجنبها الأتقى ، الذي يؤتي ماله يتزكى ، وما لأحد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عنده من نعمة تجزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ، ولسوف يرضى] .

اللغة :

[تجلى] انكشف وظهر

[شتى] متفرق ومختلف

[الحسنى] الكلمة الحسنى وهي كلمة التوحيد

[اليسرى] الخصلة المؤدية إلى اليسر والراحة وهي الجنة

[العسرى] الخصلة المؤدية إلى العسر والشدة وهي جهنم

[تردى] هلك وسقط في الهاوية

[تلظى] أصلها تتلظى أي تتلهب وتتوقد

[يصلاها] يدخلها ويقاسي حرها

[الأشقى] الشقى الفاجر

[وسيجنبها] سيحفظ منها ولا يذوق حرها

[الأتقى] المؤمن المتقي لمحارم الله

المناسبة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

روي أن بلالا رضي الله عنه كان عبدا مملوكا ل " أمية بن خلف " وكان سيده يعذبه لإسلامه ، ويخرجه إذا حميت الشمس ، فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد! ! فيقول وهو في تلك الحالة : (أحد أحد) ، فمر به أبو بكر الصديق وهم يصنعون به ذلك ، فقال لأمية ألا تتقي الله في هذا المسكين ! ! فقال له : أنت أفسدتة على فأنقذه مما ترى ، فاشتراه أبو بكر وأعتقه في سبيل الله ، فقال المشركون : إنما أعتقه ليد كانت له عنده - أي لمعروف سابق - فنزلت وما لأحد عنده من نعمة تجزى5إلا إبتغاء وجه ربه] الأعلى ولسوف يرضى] .

التفسير :

[والليل إذا يغشى] أي أقسم بالليل إذا غطي بظلمته الكون ، وستر بشبحه الوجود

[والنهار إذا تجلى] أي وأقسم بالنهار إذا تجلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وانكشف ، وأنار العالم وأضاء الكون ، قال المفسرون أقسم تعالى بالليل لأنه سكن لكافة الخلق ، يأوي فيه الإنسان والحيوان إلى مأواه ، ويسكن عن الاضطراب والحركة ، ثم أقسم بالنهار لأنه فيه حركة الخلق ، وسعيهم إلى إكتساب الرزق ، والحكمة في هذا القسم ، ما في تعاقب الليل والنهار من مصالح لا تحصى ، فانه لو كان العمر كله ليلا لتعذر المعاش ، ولو كان كله نهارا لما سكن الإنسان إلى الراحة ، ولاختلت مصالح البشر

[وما خلق الذكر والأنثى] أي وأقسم بالقادر العظيم ، الذي خلق صنفي (الذكر والأنثى) من نطفة إذا تمنى . . أقسم تعالى بذاته على خلق النوعين [الذكر والأنثى] للتنبيه على أنه الخالق المبدع الحكيم ، إذ لا يعقل أن هذا التخالف بين الذكر والأنثى يحصل بمحض الصدفة ، من طبيعة بلهاء لا شعور لها ، فإن الأجزاء الأصلية في المني متساوية ، فتكوين الولد من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عناصر واحدة ، تارة ذكرا ، وتارة أنثى ، دليل على أن واضع هذا النظام عالم بما يفعل ، محكم لما يصنع

[إن سعيكم لشتى] هذا هو جواب القسم ، أي إن عملكم لمختلف ، فمنكم تقى ، ومنكم شقي ، ومنكم صالح ، ومنكم طالح ، لم فسره بقوله

[فأما من أعطى واتقى] أي فأما من أعطى ماله وأنفق ابتغاء وجه الله ، واتقى ربه فكف عن محارم الله ، قال ابن كثير : أعطى ما أمر بإخراجه ، وإتقى اله في أموره

[وصدق بالحسنى] أي وصدق بالجنة التي أعدها الله للأبرار

[فسنسيره لليسرى] أى فسنهيئه لعمل الخير ، ونسهل عليه الخصلة المؤدية لليسر ، وهي فعل الطاعات ، وترك المحرمات

[وأما من بخل واستغني] أي وأما من بخل بإنفاق [المال ، واستغنى عن عبادة ذي الجلال ، قال ابن عباس : بخل بماله ، واستغنى عن ربه عز وجل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وكذب بالحسنى] أي وكذب بالجنة ونعيمها

[فسنيسره للعسرى] أي فسنهيئه للخصلة المؤدية للعسرى ، وهي الحياة السيئة في الدنيا والآخرة ، وهي طريق الشر ، سمى تعالى طريقة الخير (يسرى) لأن عاقبتها اليسر ، وهي دخول الجنة دار النعيم ، وسمى طريقة الشر (عسرى) لأن عاقبتها العسر ، وهي دخول الجحيم ((روى البخاري عن علي رضي الله عنه قال : (كنا مع النبي (ص) فى بقيع الغرقد في جنازة ، فقال : ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ، ومقعده من النار ، فقالوا يا رسول الله : ألا نتكل ؟ فقال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، أما من كان من أهل السعادة ، فيصير لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاوة ، فيصير لعمل أهل الشقاوة ، ثم قرأ {فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . . } الآيات إلى قوله {للعسرى} صحيح البخاري)).

[وما يغني عنه ماله إذا تردى] استفهام إنكاري أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أي شيء ينفعه ماله إذا هلك وهوى في نار جهنم ؟ هل ينفعه المال ، ويدفع عنه الوبال ؟

[إن علينا للهدى] اي إن علينا أن نبين للناس طريق الهدى من طريق الضلالة ، ونوضح سبيل الرشد من سبيل الغي ، كقوله تعالى [وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر]

[وأن لنا للآخرة والأولى] أي لنا ما في الدنيا والآخرة ، فمن طلبهما من غير الله ، فقد أخطأ الطريق

[فأنذرتكم نارا تلظى] أي فحذرتكم يا أهل مكة نارا تتوق ، وتتوهج من شدة حرارتها

[لا يصلاها إلا الأشقى] أي لا يدخلها للخلود فيها ولا يذوق سعيرها ، إلا الكافر الشقي . ثم فسره تعالى بقوله

[الذي كذب وتولى] أي كذب الرسل وأعرض عن الإيمان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وسيجنبها الأتقى] أي وسيبعد عن النار ، التقى النقى ، المبالغ في اجتناب الشرك والمعاصي ((تنبيه :

اجمع المفسرون من أهل السنة ، على أن المراد من " الأتقى " هو " أبو بكر الصديق " رضي الله عنه ، والشيعة بأسرهم يقولون : إن الآية نزلت في " على بن أبي طالب " ونحن مع حبنا لعلى ، وتكريمنا له ، نقول : لا يمكن حملها على على رضي الله عنه ، لأن الله تعالى ذكر في وصف هذا الأتقى وصفا لا ينطبق عليه ، وهو قوله {وما لأحد عنده من نعمة تجزى} أي ليس لأحد عليه نعمة حتى يكافئه عليها ، وعلى كان في تربية النبي (ص) لأنه أخذه من أبيه ، وكان يطعمه ويسقيه ، ويكسوه ويربيه ، وكان (ص) منعما عليه نعمة يجب عليه شكرها والجزاء عنها ، أما أبو بكر رضي الله عنه فلم يكن للنبي (ص) عليه نعمة دنيوية ، بل كان أبو بكر ينفق على الرسول (ص) ، فثبت أن الآيات نزلت في أبي بكر الصديق ، لا في على رضى الله عنهما ، وأن (أبا بكر) هو الذي اشترى بلالا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأعتقه ، لا على رضي الله عنهما جميعا ، ورزقنا شفاعتهما ومحبتهما ، فكل الصحابة عظماء أجلاء ، ولا يجوز أن نغمط أحدا فضله ، ولكن الحق أحق أن يقال ويتبع !)) ثم فسره تعالى بقوله

[الذي يؤتي ماله يتزكى] أي الذي ينفق ماله في وجوه الخير ليزكي نفسه

[وما لأحد عنده من نعمة تجزى] أي وليس لأحد عنده نعمة حتى يكافئه عليها ، وإنما ينفق لوجه الله ، قال المفسرون : نزلت الآيات في حق أبي بكر الصديق ، حين اشترى بلالا وأعتقه في سبيل الله ، فقال المشركون : إنما فعل ذلك ليد كانت له عنده ، فنزلت الآية

[إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى] أي ليس له غاية إلا مرضاة الله

[ولسوف يرضى] أي ولسوف يعطيه الله في الآخرة ما يرضيه ، وهو وعد كريم من رب رحيم .

البلاغة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع كالاتى :

1-الطباق بين لفظة [الأشقى] و[الأتقى] وبين [اليسرى] و[العسرى] .

2-المقابلة اللطيفة [فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى] وبين [وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى] الآيات .

3-جناس الاشتقاق [فسنيسره لليسرى] لأن اليسرى من التيسير فبينهما مجانسة .

4-حذف المفعول للتعميم ليذهب ذهن السامع كل مذهب [فأما من أعطى واتقى . .] الآيات.

5-السجع الرصين غير المتكلف كقوله [لا يصلاها إلا الأشقى . . . وسيجنبها الأتقى] إلخ .

لطيفة :

كان عمر رضي الله عنه يقول : (اعتق سيدنا سيدنا) يريد أعتق سيدنا أبو بكر سيدنا بلالا ، فما أروع هذه النفوس ؟ اللهم ارزقنا محبة أصحاب الرسول جميعا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واجمعنا معهم تحت لواء سيد المرسلين ، يا رب العالمين .

سورة الضحى

مكية وآياتها إحدى عشرة آية

بين يدي السورة

* سورة الضحى مكية ، وهي تتناول شخصية النبي (ص) الأعظم ، ، وما حباه الله به من الفضل والإنعام في الدنيا والآخرة ، ليشكر الهن على تلك النعم الجليلة ، التي أنعم الله بها عليه .

* ابتدأت السورة الكريمة بالقسم على جلالة قدر الرسول (ص) وأن ربه لم يهجره ولم يبغضه كما زعم المشركون ، بل هو عند الهن رفيع القدر ، عظيم الشأن والمكانة [والضحى ، والليل إذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلى ، وللأخرة خير لك من الأولى] .

* ثم بشرته بالعطاء الجزيل في الآخرة ، وما أعده الله تعالى لرسوله من أنواع الكرامات ، ومنها الشفاعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العظمى [ولسوف يعطيك ربك فترضى] .

* ثم ذكرته بما كان عليه في الصغر ، من اليتم ، والفقر ، والفاقة ، والضياع ، فآواه ربه وأغناه ، وأحاطه بكلأه وعنايته [ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى] .

* وختمت السورة بتوصيته (ص) بوصايا ثلاث ، مقابل تلك النعم الثلاث ، ليعطف على اليتيم ، ويرحم المحتاج ، ويمسح دمعة البائس المسكين [فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر ، وأما بنعمة ربك فحدث] وهو ختم يتناسق فيه جمال اللفظ ، مع روعة البيان ، في أروع صور الإبداع والجلال .

اللغة :

[سجى] سجى الليل : اشتد ظلامه

[قلى] أبغض ، قال الراغب : القلي : شدة البغض يقال : قلاه ، يقليه أي أبغضه

[آوى] ضمه إلى من يرعاه

[عائلا] فقيرا معدما وهو من اشتد به الفقر ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جرير : الله نزل في الكتاب فريضة لابن السبيل وللفقير العائل

[تقهر] تذله وتحقره

[تنهر] تزجره وتغلظ عليه في الكلام .

سبب النزول :

اشتكى رسول الله (ص) فلم يقم ليلتين أو ثلاثا ، فجاءت امرأة - وهي أم جميل امراة أبي لهب - فقالت يا محمد : إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ! ! لم أره قربك ليلتين أو ثلاثا ، فأنزل الله عز وجل ، ردا على المشركين [والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى] .

التفسير :

[والضحئ والليل إذا سجى] أقسم تعالى بوقت الضحي وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس ، وأقسم بالليل إذا اشتد ظلامه ، وغطى كل شيء في الوجود ، قال ابن عباس : [سجى] أقبل بظلامه قال ابن كثير : هذا قسم منه تعالى بالضحى ، وما جعل فيه من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الضياء ، وبالليل إذا سكن فأظلم وأدلهم ، وذلك دليل ظاهر على قدرته تعالى

[ما ودعك ربك وما قلى] أي ما تركك ربك يا محمد منذ اختارك ، ولا أبغضك منذ أحبك ، وهذا رد على المشركين حين قالوا : هجره ربه ، وهو جواب القسم

[وللآخرة خير لك من الأولى] أي وللدار الآخرة خير لك يا محمد من هذه الحياة الدنيا ، لأن الآخرة باقية ، والدنيا فانية ، ولهذا كان عليه السلام يقول : " اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة "

[ولسوف يعطيك ربك فترضى] أي سوف يعطيك ربك في الآخرة من الثواب ، والكرامة ، والشفاعة ، وغير ذلك إلى أن ترضى ، قال ابن عباس : هي الشفاعة في أمته حتى يرضى ، لما روي أن النبي ، ذكر أمته فقال : اللهم أمتي أمتى وبكى ، فقال الله : يا جبريل إذهب إالى محمد وإسأله ما يبكيك ؟ - وهو أعلم - فأتى جبريل رسول الله (ص) وسأله فأخبره

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسول الله(ص) بما قال ، فقال الله يا جبريل : إذهب إلى محمد وقل له : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك " ، وفي الحديث (لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة) الحديث ، قال الخازن : والأولى حمل الآية على ظاهرها ، ليشمل خيري الدنيا والآخرة معا ، فقد أعطاه الله تعالى في الدنيا : النصر ، والظفر على الأعداء ، وكثرة الأتباع والفتوح ، وأعلى دينه ، وجعل أمته خير الأمم ، وأعطاه في الآخرة الشفاعة العامة ، والمقام المحمود ، وغير ذلك من خيري الدنيا والآخرة . . ثم لما وعده بهذا الوعد الجليل ، ذكره بنعمه عليه في حال صغره ، ليشكر ربه ، فقال سبحانه

[ألم يجدك يتيما فآوى] ؟ أي ألم تكن يا محمد يتيما في صغرك ، فآواك الله إلى عمك (أبي طالب) وضمك إليه ؟ قال ابن كثير : وذلك لأن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه ، ثم توفيت أمه وله من العمر ست

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سنين ، ثم كان في كفالة جده (عبد المطلب) إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين ، فكفله عمه " أبو طالب " ثم لم يزل يحوطه وينصره يرفع من قدره ، حتى ابتعثه الله على رأس الأربعين ، وأبو طالب على عبادة الأوثان مثل قومه ، ومع ذلك كان يدفع الأذى عن رسول الله (ص) ، وكل هذا من حفظ الله له ، وكلاءته وعنايته به

[ووجدك ضالا فهدى] أي ووجدك تائها عن معرفة الشريعة والدين فهداك إليها ، كقوله تعالى [ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان] قال الإمام الجلال : أي وجدك ضالا عما أنت عليه الآن من الشريعة فهداك إليها ، وقيل : ضل في بعض شعاب مكة وهو صغير ، فرده الله إلى جده ، قال أبو حيان : لا يمكن حمله على الضلال الذي يقابله الهدى ، لأن الأنبياء معصومون من ذلك ، قال ابن عباس : هو ضلاله وهو في صغره في شعاب مكة ، وقيل : ضل وهو مع عمه في طريق الشام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ووجدك عائلا فأغنى] أي ووجدك فقيرا محتاجا فأغناك عن الخلق ، بما يسر لك من أسباب التجارة . .

ولما عدد عليه هذه النعم الثلاث ، وصاه بثلاث وصايا مقابلها ، فقال سبحانه

[فأما اليتيم فلا تقهر] أي فأما اليتيم فلا تحتقره ولا تغلبه على ماله ، قال مجاهد : أي لا تحتقره ، وقال سفيان : لا تظلمه بتضييع ماله ، والمراد : كن لليتيم كالأب الرحيم ، فقد كنت يتيما فآواك الله

[وأما السائل فلا تنهر] اي وأما السائل المستجدي الذي يسأل عن حاجة وفقر ، فلا تزجره إذا سألك ، ولا تغلظ له القول ، بل أعطه أو رده ردا جميلا ، قال قتادة : رد المسكين برفق ولين

[وأما بنعمة ربك فحدث] أي حدث الناس بفضل الله وإنعامه عليك ، فإن التحدث بالنعمة شكر لها ، قال الألوسي : كنت يتيما وضالا وعائلا ، فآواك الله ، وهداك ، وأغناك ، فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث ، فتعطف على اليتيم ، وترحم على السائل ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقد ذقت اليتم والفقر ، وأرشد العباد إلى طريق الرشاد ، كما هداك ربك .

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الطباق بين [الآخرة . . والأولى] في قوله تعالى : [وللآخرة خير لك من الأولى] لأن المراد بالأولى الحياة الدنيا ، والمراد بالثانية الدار الآخرة ، فتطابقا باللفظ .

2 - المقابلة اللطيفة [ألم يجدك يتيما فاوى ووجدك عائلا فأغنى] قابلها بقوله [فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر] وهي من لطائف علم البديع .

---

3 - الجناس الناقص بين [تقهر] و[تنهر] لتغير الحرف الثاني من الكلمتين .

4 - الطباق في المعنى بين قوله تعالى : [عائلا] وبين [أغنى] لأن الأولى : وجدك فقيرا ذا عيال .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

5 - السجع المرصع كأنه الدر المنظوم في عقد كريم [ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى] إلخ .

سورة الشرح

مكية وآياتها ثمان آيات

بين يدي السورة

* سورة الإنشراح مكية ، وهي تتحدث عن مكانة الرسول الجليلة ، ومقامه الرفيع عند الهص تعالى ، وقد تناولت الحديث عن نعم الهن العديدة على عبده ورسوله محمد (ص) وذلك بشرح صدره بالإيمان ، وتنوير قلبه بالحكمة والعرفان ، وتطهيره من الذنوب والأوزار ، وكل ذلك بقصد التسلية لرسول الله(ص)عما يلقاه من أذى الكفار الفجار ، وتطييب خاطره الشريف بما منحه الله من الأنوار [ألم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك ، الذي أنقض ظهرك] ؟ الآيات .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* ثم تحدثت عن إعلاء منزلة الرسول (ص) ، ورفع مقامه في الدنيا والآخرة ، حيث قرن اسمه ، باسم اله تعالى [ورفعنا لك ذكرك] الآيات .

* وتناولت السورة دعوة الرسول (ص) وهو بمكة يقاسي مع المؤمنين الشدائد والأهوال من الكفرة المكذبين ، فآنسه بقرب الفرج ، وقرب النصر على الأعداء [فإن مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا] الآيات . وختمت بالتذكير للمصطفى (ص) بواجب التفرغ لعبادة الله ، بعد إنتهائه من تبليغ الرسالة ، شكرا لله على ما أولاه من النعم الجليلة [فإذا فرغت فانصب ، وإلى ربك فارغب] وهو ختام كريم ، لنبى عظيم .

التفسير :

[ألم نشرح لك صدرك] استفهام بمعنى التقرير أي قد شرحنا لك صدرك يا محمد ، بالهدى والإيمان ، ونور القرآن ، كقوله تعالى [فمن يرد الله أن يديه يشرح صدره للإسلام] قال ابن كثير : أي نورناه وجعلناه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فسيحا ، رحيبا ، واسعا ، وكما شرح الله صدره ، كذلك جعل شرعه فسيحا ، سمحا ، سهلا ، لا حرج فيه ، ولا إصر ولا ضيق وقال (أبو حيان : شرح الصدر تنويره بالحكمة ، وتوسيعه لتلقي ما يوحى إليه وهو قول الجمهور ، وقيل : هو شق جبريل لصدره (ص)في صغره ، وهو مروي عن ابن عباس ((تفسير البحر المحيط ، والرواية التي أشار إليها ذكرت في صحيح مسلم ، فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله (ص) أتاه جبريل - وهو يلعب مع الغلمان - فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرجه واستخرج منه علقة وقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده إلى مكانه ، وجاء الغلمان يسعون الى أمه - يعني ظئره المرضعة - فقالوا إن محمدا قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون . أخرجه مسلم في كتاب الايمان ، قال أنس : وكنت أرى أثر المخيط في صدره)).

[ووضعنا عنك وزرك] أي حططنا عنك حملك الثقيل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الذي أنقض ظهرك] أي الذى أثقل وأوهن ظهرك ، قال المفسرون : المراد بالوزر الأمور التي فعلها (ص) ، ووضعها عنه هو غفرانها له ، كقوله تعالي [ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر] وليس المراد بالذنوب المعاصي والآثام ، فإن الرسل معصومون من مقارفة الجرائم ، ولكن ما فعله عليه السلام عن إجتهاد عوتب عليه ، كاذنه (ص) للمنافقين في التخلف عن الجهاد حين اعتذروا ، وأخذه الفداء من أسرى بدر ، وعبسه في وجه الأعمى ، ونحو ذلك ، قال في التسهيل : وإنما وصفت ذنوب الأنبياء بالثقل ، وهي صغائر مغفورة لهم ، لهمهم بها وتحسرهم عليها ، فهي ثقيلة عندهم ، لشدة خوفهم من الله ، وهذا كما ورد في الأثر (إن المؤمن يرى ذنوبه كالجبل يقع عليه ، والمنافق يرى ذنوبه كالذبابة تطير فوق أنفه)

والنفيض : هو الصوت الذي يسمع من المحمل ، فوق ظهر البعير من شدة الحمل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ورفعنا لك ذكرك] أي رفعنا شأنك - وأعلينا مقامك في الدنيا والآخرة ، وجعلنا اسمك مقرونا باسمى ، قال مجاهد : لا أذكر إلا ذكرت معي ، وقال قتادة : رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة ، فليس خطيب ، ولامتشهد ، ولا صاحب صلاة إلا ينادي : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وفي الحديث (أتاني جبريل فقال لي يا محمد : إن ربك يقول : أتدري كيف رفعت ذكرك ؟ قلت : الله تعالى أعلم ، قال : إذا ذكرت ذكرت معي) قال في البحر : قرن الله ذكر الرسول بذكره جل وعلا ، في كلمة الشهادة ، والآذان ، والإقامة ، والتشهد ، والخطب ، وفي غير موضع من القرآن ، وأخذ علي الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا به كما قال حسان بن ثابت : وضم الإله إسم النبي إلي اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد وشق له من إسمه ليجله فذوالعرش محمود وهذا محمد

[فإن مع العسر يسرا] أي بعد الضيق يأتي الفرج ، وبعد الشدة يكون المخرج ، قال المفسرون : كان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسول الله (ص) في مكة في ضيق وشدة هو وأصحابه ، بسبب أذى المشركين للرسول والمؤمنين ، فوعده الله باليسر ، كما عدد عليه النعم في أول السورة ، تسلية له وتأنيسا ، لتطيب نفسه ، ويقوى رجاؤه ، وكأن الله تعالى يقول : إن الذي أنعم عليك بهذه النعم الجليلة ، سينصرك على أعدائك ، ويظهر أمرك ، ويبدل لك هذا العسر بيسير قريب ، ولذلك كرره مبالغة فقال :

[إن مع العسر يسرا] أي سيأتي الفرج بعد الضيق ، واليسر بعد العسر ، فلا تحزن ولا تضجر ، وفي الحديث " لن يغلب عسر يسرين "

[فاذا فرغت فانصب] أي فاذا فرغت يا محمد من دعوة الخلق ، فاجتهد في عبادة الخالق ، وإذا انتهيت من أمور الدنيا ، فأتعب نفسك في طلب الآخرة

[والى ربك فارغب] أي إجعل همك ورغبتك فيما عند الله ، لا في هذه الدنيا الفانية ، قال ابن كثير : المعنى إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها ، وقطعت علائقها ، فانصب إلي العبادة ، وقم إليها نشيطا فارغ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البال م واخلص لربك النية وا لرغبة .

البلاغه :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع هي :

1 - الاستفهام التقريري للامتنان [ألم نشرح لك صدرك . .] إلخ .

2- الاستعارة التمثيلية [ووضعنا عنك وزرك 5الذي انقض ظهرك] شبه الذنوب بحمل ثقيل ، يرهق كاهل الانسان ، ويعجز عن حمله ، بطريق الاستعارة.

3-التنكير للتفخيم والتعظيم [ان مع العسر يسرا] كأنه قال : يسرا كبيرا .

4- الجناس الناقص بين لفظ [اليسر] و[العسر] .

5- تكرير الجملة لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب [فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا] ويسمى هذا بالإطناب .

6-السجع المرصع مراعاة لرءوس الآيات [فاذا فرغت فانصب وإلي ربك فارغب] ومثلها [ووضعنا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عنك وزرك الذى أنقض ظهرك] وهو من المحسنات البديعية .

سورة التين

مكية وآياتها ثمان آيات

بين يدي السورة

* سورة التين مكية ، وهي تعالج موضوعين بارزين هما :

- الأول : تكريم الله جل وعلا للنوع البشري .

- الثاني : موضوع الإيمان بالحساب والجزآء .

* إبتدأت السورة بالقسم بالبقاع المقدسة ، والأماكن المشرفة ، التي خصها الله تعالى بإنزال الوحي فيها على أنبيائه ورسله ، وهي " بيت المقدس " و " جبل الطور " " ومكة المكرمة " اقسم على أن الله تعالى كرم الإنسان ، فخلقه في أجمل صورة ، وابدع شكل ، وإذا لم يشكر نعمة ربه ، فسيرد إلى أسفل دركات الجحيم

[والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأمين] .

* ووبخت الكافر على إنكاره للبعث والنشور ، بعد تلك الدلائل الباهرة التي تدل على قدرة رب العالمين ، في خلقه للإنسان في أحسن شكل ، وأجمل صورة [لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين] .

* وختمت ببيان عدل الله باثابة المؤمنين ، وعقاب الكافرين [فما يكذبك بعد بالدين ، أليس الل بأحكم الحاإلىمين] ؟ وفيها تقرير للجزاء ، وإثبات للمعاد ، بطريق التأكيد والتحقيق ، مع التوبيخ للكفرة المكذبين بيوم الدين .

اللغة :

[طور سينين] هو جبل الطور الذي كلم الله عليه موسى ، ومعنى سينين المبارك

[تقويم] تعديل يقال : قوم العود أي عدله وجعله مستقيما ، وقومه الدهر : جعله متزنا حصيف الرأي والعقل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ممنون] مقطوع
[الدين] الجزاء مأخوذ من دان بمعنى جازى ، ومنه الحديث الشريف " كما تدين تدان " أي كما تفعل تجازى .
التفسير :
[والتين والزيتون] هذا قسم أي أقسم بالتين والزيتون لبركتهما وعظيم منفعتهما ، قال ابن عباس : هو تينكم الذي تأكلون ، وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت وقال عكرمة : أقسم تعالى بمنابت التين والزيتون ، فان التين ينبت كثيرا بدمشق ، والزيتون ببيت المقدس. . وهو الأظهر ، ويدل عليه أن الله تعالى عطف عليه الأماكن الشهيرة " جبل الطور " و " البلد الأمين " ، فيكون قسما بالبقاع المقدسة ، التي شرفها الله تعالى بالوحي ، والرسالات السماوية
[وطور سينين] أي وأقسم بالجبل المبارك الذي كلم الله عليه موسى وهو " طور سيناء " ذو الشجر الكثير ، الحسن المبارك ، قال الخازن : سمي " سينين " و "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سيناء " لحسنه ولكونه مباركا ، وكل جبل فيه أشجار معمرة يسمى سينين وسيناء

[وهذا البلد الأمين] أي وأقسم بالبلد الأمين " مكة المكرمة " التي يأمن فيها من دخلها على نفسه وماله ، كقوله تعالى [أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم] ! ! قال الألوسي : هذه أقسام ببقاع مباركة - شريفة علي ما ذهب إليه الكثيرون - فأما البلد فمكة المكرمة - حماها الله - بلا خلاف ، وأما طور سينين فالجبل الذي كلم الله تعالى موسى عليه ، ويقال له - : طور سيناء ، وأما التين والزيتون فروي عن قتادة أن المراد بهما جبلان : أحدهما بدمشق ، والثاني ببيت المقدس ، وعنى بالتين والزيتون منبتيهما ، وقيل : المراد بهما الشجران المعروفان وهو قول ابن عباس ومجاهد ، والغرض من القسم بتلك الأشياء : الإبانة عن شرف البقاع المباركة ، وما ظهر فيها من الخير والبركة ببعثة الأنبياء والمرسلين . وقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ابن كثير : ذهب بعض الأئمة إلى أن هذه محال ثلاث ، بعث الله في كل منها نبيا مرسلا من أولي العزم ، أصحاب الشرائع الكبار ، فالأول : محلة التين والزيتون وهي " بيت المقدس " التي بعث الله فيها عيسى عليه السلام ، والثاني : طور سينين وهو " طور سيناء " الذي كلم الله عليه موسى بن عمران ، والثالث : البلد الأمين الذي من دخله كان آمنا ، وهو الذي أرسل الله فيه محمدا(ص) وقد جاء في آخر التوراة ذكر هذه الأماإكن الثلاثة (جاء الله من طور سيناء - الجبل الذي كلم اله عليه موسى- وأشرق من ساعير -يعني جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى- واستعلن من جبال فاران - يعني جبال مكة التي أرسل الله منها محمدا(ص) فذكرهم بحسب ترتيبهم بالزمان ، وأقسم بالأشرف ثم الأشرف منه ، ثم بالأشرف منهما ، وجواب القسم هو قوله [لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم] أي لقد خلقنا جنس الإنسان ، في أحسن شكل ، متصفا بأجمل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإلىمل الصفات ، من حسن الصورة ، وإنتصاب القامة ، وتناسب الأعضاء ، مزينا بالعلم والفهم ، والعقل والتمييز ، والنطق والأدب ، قال مجاهد : [أحسن تقويم] أحسن صورة ، وأبدع خلق

[ثم رددناه أسفل سافلين] أي ثم أنزلنا درجته إلى أسفل سافلين ، لعدم قيامه بموجب ما خلقناه عليه ، حيث لم يشكر نعمة خلقنا له في أحسن صورة ، ولم يستعمل ما خصصناه به من المزايا في طاعتنا ، فلذلك سنرده إلي أسفل سافلين وهي جهنم ، قال مجاهد والحسن : [أسفل سافلين] أسفل دركات النار ، وقال الضحاإلى : أي رددناه إلى أرذل العمر ، وهو الهرم بعد الشباب ، والضعف بعد القوة قال الألوسي : والمتبادر من السياق الإشارة إلى حالة الكافر يوم القيامة ، وأنه يكون على أقبح صورة وأبشعها ، بعد أن كان على أحسن صورة وأبدعها

[إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات] أي إلا المؤمنين المتقين ، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[فلهم أجر غير ممنون] أي فلهم ثواب دائم ، غير مقطوع عنهم ، وهو الجنة دار المتقين

[فما يكذبك بعد بالدين] الخطاب للإنسان على طريقة الإلتفات أي فما سبب تكذيبك أيها الإنسان ، بعد هذا البيان وبعد وضوح الدلائل والبراهين ؟ فإن خلق الإنسان من نطفة ، وإيجاده في أجمل شكل ، وأبدع صورة ، من أوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل ، على البعث والجزاء ، فما الذي يدعوك إلى التكذيب بيوم الدين بعد هذه البراهين ؟

[أليس الله بأحكم الحاكمين] أي أليس الله الذي خلق وأبدع ، بأعدل العادلين ، حكما وقضاء ، وفصلا بين العباد ؟ ! وفي الحديث أن النبي (ص) كان إذا قرأها قال : (بلى وأنا على ذلك من الشاهدين .

البلاغه :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1- المجاز العقلي باطلاق الحال لارادة المحل [والتين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والزيتون] أراد موضعهما الشام وبيت المقدس على القول الراجح .

2- الطباق بين [أحسن تقويم] وبين [أسفل سافلين.

3- جناس الاشتقاق [أحكم الحاإلىمين.

4- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب زيادة في التوبيخ والعتاب [فما يكذبك] ؟

5- الاستفهام التقريري [أليس الله بأحكم الحاكمين] ؟

6- السجع المرصع [البلد الأمين . . أسفل سافلين . . أحكم الحاكمين] والله أعلم.

لطيفة :

ذكر الامام القرطبي أن " عيسى الهاشمي " ، كان يحب زوجته حبا شديدا ، فقال لها يوما : أنت طالق ثلاثا إن لم تكوني أحسن من القمر! ! فاحتجبت عنه وقالت : طلقتني ، فلا أحل لك ، فحزن حزنا شديدا ، وذهب إلى الخليفة " المنصور " وأخبره الخبر ، فاستحضر الفقهاء واستفتاهم ، فقال جميع من قد حضر : طلقت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منه ، إلا رجلا واحدا من أصحاب أبي حنيفة ، فقد بقى ساكنا فقال له المنصور : ما لك لا تتكلم ؟ فقال له الفقيه : يا أمير المومنين : يقول الله تعالى [لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم] فليس شيء أحسن من الإنسان خلقا ، وصورة ، وتقويما ، فقال : صدقت ، وردها إلى زوجها .

سورة العلق

مكية وآياتها تسعة عشرة آية

بين يدي السورة

* سورة العلق وتسمي (سورة إقرأ) مكية وهي تعالج القضايا الآتية :

أولا : موضوع بدء نزول الوحي على خاتم الأنبياء محمد (ص).

ثانيا : موضوع طغيان الإنسان بالمال ، وتمرده على أوامر الله جل وعلا ثالثا : قصة الشقي " أبي جهل " ونهيه الرسول(ص) ، عن الصلاة وما نزل في حقه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* إبتدات السورة ببيان فضل الله على رسوله الكريم ، بإنزاله هذا القران " المعجزة الخالدة " عليه ، وتذكيره بأول النعماء ، وهو يتعبد ربه بغار حراء ، حيث تتنزل عليه الوحي بآيات الذكر الحكيم [إقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . إقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم. علم الإنسان مالم يعلم] . ثم تحدثت عن طغيان الإنسان في هذه الحياة بالقوة والثراء ، وتمرده على أوامر الله ، بسبب نعمة الغنى ، وكأن الواجب عليه أن يشكر ربه على أفضاله ، لا أن يجحد النعماء ، وذكرته بالعودة إلى ربه لينال الجزآء [كلا إن الإنسان ليطغى ، أن رأه استغنى ، إن إلى ربك الرجعى

* ثم تناولت قصة الشقى " أبي جهل " فرعون هذه الأمة ، الذي كان يتوعد الرسول(ص) ويتهدده ، وينهاه عن الصلاه ، انتصارا للأوثان والأصنام [أرايت الذي ينهى5عبدا إذا صلى] الآيات .

*وختمت السورة بوعيد ذلك الشقي الكافر ، بأشد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العقاب إن إستمر على ضلاله وطغيانه ، كما أمرت الرسول الكريم ، بعدم الإصغاء إلى وعيد ذلك المجرم الأثيم [كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية] إلى ختام السورة الكريمة [كلا لا تطعه واسجد واقترب.

* وقد بدأت السورة بالدعوة إلى القراءة والتعلم ، وختمت بالصلاة والعبادة ، ليقترن العلم بالعمل ، ويتناسق البدء مع الختام ، في أروع صور البيان.

اللغه :

[علق] جمع علقة وهى الدم الجامد ، سميت علقة لأنها تعلق بالرحم

[نسفعا] السفع : الجذب بشدة وقوه ، قال أهل اللغة : سفعت بالشيء إذا قبضت عليه وجذبته جذبا شديدا ، وسفع بناصية فرسه جذبها ، قال الشاعر : قوم إذا كثر الصياح رأيتهم ما بين ملجم مهره أو سافع

[الناصية] شعر مقدم الرأس

[الزبانية] مأخوذ من الزبن وهو الدفع ، والمراد بهم ملائكة العذاب ، الغلاظ الشداد ، والعرب يطلقون هذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإسم على من اشتد بطشه ، قال الشاعر : مطاعيم في القصوى ، مطاعين في الوغى ، زبانية غلب عظام حلومها

سبب النزول :

روى مسلم في صحيحه أن أبا جهل اللعين قال لأصحابه يوما : هل يغفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ - يريد هل يصلي ويسجد أمامكم - قالوا : نعم ، فقال : واللات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك ، لأطأن على رقبته ، ولأعفرن وجهه في التراب ، فجاء يوما فوجد رسول الله (ص) يصلي ، فأقبل يريد أن يطأ على رقبته ، فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقي بيديه ، فقيل له : ما لك ؟ فقال : إن بيني وبينه خندقا من نار ، وهولا وأجنحة ! ! فقال رسول الله (ص) : (لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا ، عضوا) فأنزل الله [أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى . .] إلى آخر السورة الكريمة) .

التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إقرأ باسم ربك الذي خلق] هذا أول خطاب إلهى ، وجه إلي النبي (ص) وأول بدء نزول القران ، وفيه دعوة إلى القراءة والكتابة والعلم ، لأنه شعار دين الإسلام أي إقرأ يا محمد القرآن ، مبتدئا ومستعينا باسم ربك الجليل ، الذي خلق جميع المخلوقات ، وأوجد جميع العوالم ، ثم فسر الخلق تفخيما لشأن الإنسان فقال :

[خلق الإنسان من علق] أي خلق هذا الانسان البديع الشكل ، الذي هو أشرف المخلوقات ، من العلقة - وهي الدودة الصغيرة - وقد أبت الطب الحديث أن المني الذي خلق منه الإنسان ، محتو على حيوانات وديدان صغيرة لا ترى بالعين ، وإنما ترى بالمجهر الدقيق - الميكرسكوب - وأن لها رأسا وذنبا ، تسمى (الحيوانات المنوية) ، فتبارك الله أحسن الخالقين قال القرطبي : خص الإنسان بالذكر تشريفا له ، والعلقة قطعة من شيء رطب ، سميت بذلك لأنها تعلق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لرطوبتها بما تمر عليه

[إقرأ وربك الأكرم] أي إقرأ يا محمد وربك العظيم الكريم ، الذي لا يساويه ولا يدانيه كريم ، وقد دل على كمال كرمه ، أنه علم العباد ما لم يكونوا يعرفونه ، من أنواع العلوم والمعارف

[الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم] أي الذي علم الخط والكتابة بالقلم ، وعلم البشر ما لم يكونوا يعرفونه ، فنقلهم من ظلمة الجهل ، إلى نور العلم ، فكما علم سبحانه بواسطة الكتابة بالقلم ، فإنه يعلمك بلا واسطة ، وإن كنت أميا لا تقرأ ولا تكتب ، قال القرطبي : نبه تعالى على فضل علم الكتابة ، لما فيه من المنافع العظيمة ، التي لا يحيط بها إنسان ، وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ، ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة ، ولولاها ما استقامت أمور الدنيا والدين . . وهذه الآيات الخمس هي أول ما تنزل من القرآن ، على خاتم الأنبياء والمرسلين ، كما ثبت في الصحاح أن النبي (ص) نزل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليه الملك ، وهو يتعبد بغار حراء ، فقال : إقرأ ، فقال : ما أنا بقارىء. . إلخ ((أخرجه الشيخان عن عائشة قالت : " أول ما بدىء به رسول الله (ص) من الوحي الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث - أي يتعبد - فيه الليالي ذوات العدد... " الحديث)) . قال ابن كثير : أول شيء نزل من القرآن هذه الآيات المباركات ، وهن أول رحمة رحم الله بها العباد ، وأول نعمة أنعم الهأ بها عليهم ، وفيها التنبيه على إبتداء خلق الإنسان من علقة ، وإن من كرمه تعالى أنه علم الإنسان ما لم يعلم ، فشرفه وكرمه بالعلم ، وهو القدر الذي امتاز به " آدم " على الملائكة . . ثم أخبر تعالى عن سبب بطر الإنسان وطغيانه ، فقال سبحانه

[كلا إن الإنسان ليطغى] أي حقا إن الإنسان ليتجاوز الحد في الطغيان ، وإتباع هوى النفس ، ويستكبر على ربه عز وجل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[أن رآه استغنى] أي من أجل أن رأى نفسه غنيا ، وأصبح ذا ثروة ومال ، أشر وبطر ، ثم توعده وتهدده بقوله

[إن إلى ربك الرجعى] أي إلى ربك - أيها الإنسان - المرجع والمصير ، فيجازيك على أعمالك ، وفي الآية تهديد وتحذير لهذا الإنسان ، من عاقبة الفجور والطغيان ، ثم هو عام لكل طاغ متكبر ، قال المفسرون : نزلت هذه الآيات إلى آخر السورة في " أبي جهل " بعد نزول صدر السورة بمدة طويلة ، وذلك أن أبا جهل كان يطغى بكثرة ماله ، ويبالغ في عداوة الرسول (ص) ، والعبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب

[أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى) تعجيب من حال ذلك الشقي الفاجر ، أي أخبرني يا محمد عن حال ذلك المجرم الأثيم ، الذي ينهى عبدا من عباد الله عن الصلاة ، ما أسخف عقله ، وما أشنع فعله قال أبو السعود : هذه الآية تقبيح وتشنيع لحال الطاغي ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتعجيب منها ، وإيذان بأنها من الشناعة والغرابة بحيث يقضى منها العجب ، وقد أجمع المفسرون على أن العبد المصلي هو " محمد " (ص) وأن الذي نهاه هو اللعين " أبو جهل " حيث قال : لئن رأيت محمدا يصلي لأطأن على عنقه

[أرأيت إن كان على الهدى] أي أخبرني إن كان هذا العبد المصلي - وهو النبى (ص) - الذي تنهاه عن الصلاة صالحا مهتديا ، على الطريقة المستقيمة في قوله وفعله

[(أو أمر بالتقوى] أي أو كان آمرا بالإخلاص والتوحيد ، داعيا إلى الهدى والرشاد ، كيف تزجره وتنهاه ! ! فما أبلهك أيها الغبى ، الذي تنهي من هذه أوصافه : عبد لله مطيع مهتد منيب ، داع إلى الهدى والرشاد ؟ ! وما أعجب هذا ؟ ! ثم عاد لخطاب الرسول ، فقال

[أرأيت إن كذب وتولى] أي أخبرني يا محمد إن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كذب بالقرآن ، وأعرض عن الإيمان

[ألم يعلم بأن الله يرى] أي ألم يعلم ذلك الشقي أن الله مطلع على أحواله ، مراقب لأفعاله ، وسيجازيه عليها! ا ويله ما أجهله وأغباه ؟ ! ثم ردعه وزجره فقال

[كلا لئن لم ينته] أي ليرتدع هذا الفاجر " أبو جهل " عن غيه وضلاله ، فوالله لئن لم ينته عن أذى الرسول ، ويكف عما هو عليه من الكفر والضلال

[لنسفعا بالناصية] أي لنأخذنه بناصيته - مقدم شعر الرأس - فلنجرنه إلى النار بعنف وشدة ، ونقذفه فيها

[ناصية كاذبة خاطئة] أي صاحب هذه الناصية كاذب ، فاجر ، كثير الذنوب والإجرام ، قال في التسهيل : ووصفها بالكذب والخطيئة مجاز ، والكاذب الخاطىء في الحقيقة صاحبها ، والخاطىء الذي يفعل الذنب متعمدا ، والمخطىء الذي يفعله بدون قصد( )

[فليدع ناديه] أي فليدع أهل ناديه وليستنصر بهم

[سندع الزبانية] أي سندعوا خزنة جهنم ، الملائكة الغلاظ الشداد ، روي أن أبا جهل مر على النبي(ص)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، وهو يصلي عند المقام ، فقال : ألم أنهك عن هذا يا محمدا فأغلظ له رسول الله (ص) ، القول ، فقال أبو جهل : بأي شيء تهددني يا محمد! والله إني لأكثر أهل الوادي هذا ناديا " والله لا تستطيع أنت ولا ربك على ! فأنزل الله [فليدع نادية سندع الزبانية] قال إبن عباس : لو دعا ناديه لاخذته ملائكة العذاب من ساعته [كلا لا تطعه] أي ليرتدع هذا الفاجر ، ولا تطعه يا محمد ، فيما دعا إليه من ترك الصلاة [واسجد واقترب] أى وواظب على سجودك وصلاتك ، وتقرب بذلك إلى ربك ، وفي الحديث " أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا من الدعاء " .

البلاغه :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1-الإطناب بتكرار الفعل [إقرأ باسم ربك . .] ثم قال : [إقرأ وربك الأكرم] فكرر الأمر بالقراءة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لمزيد الاهتمام بشأن القراءة والعلم .
2-الجناس الناقص بين [خلق] و[علق] لاختلاف بعض الحروف .
3-طباق السلب [علم الإنسان ما لم يعلم.
4-الكناية [أرأيت الذي ينهى عبدا] كنى بالعبد عن رسول الله(ص) ، ولم يقل : ينهاك ، تفخيما لشأنه ، وتعظيمالقدره.
5-الاستفهام للتعجيب من شأن الناهي [أرأيت الذي ينهى] ؟ [أرأيت إن كان على الهدى
6-المجاز العقلي [ناصية كاذبة خاطئة] أي كاذب صاحبها خاطىء فأسند الكذب إليها مجازا ويسمى " المجاز العقلي " لأنه يدرك بالعقل.
7-السجع المرصع مثل [إقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق] وهو من المحسنات البديعية ، لأنه يزيد في جمال الأسلوب ، وحسن السجع ، ولهذا يختاره الخطباء في مواضيعهم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سورة القدر

مكية وآياتها خمس آيات

بين يدي السورة

* سورة القدر مكية ، وقد تحدثت عن بدء نزول القرآن العظيم ، وعن فضل ليلة القدر ، على سائر الأيام والشهور ، لا فيها من الأنوار والتجليات القدسية ، والنفحات الربانية ، التي يفيضها الباري جل وعلا على عباده المؤمنين ، تكريما لنزول القران المبين ، كما تحدثت عن نزول الملائكة الأبرار حتى طلوع الفجر ، فيا لها من ليلتة عظيمة القدر ، هي خير عند الها من ألف شهر.

التفسير :

[إنا أنزلناه في ليلة القدر] أي نحن أنزلنا عليك يا محمد ، هذا القرآن المعجز في ليلة القدر والشرف ، قال المفسرون : سميت ليلة القدر لعظمها وقدرها وشرفها ، والمراد بإنزا ل القرآ ن : إنزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، ثم نزل به جبريل إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأرض ، في مدة ثلاث وعشرين سنة ، قال ابن عباس : أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ ، إلى بيت العزة من السماء الدنيا ، ثم نزل مفضلا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله (ص) ،

[وما أدراك ما لية القدر] تعظيم وتفخيم لأمرها أي وما أعلمك يا محمد ما ليلة القدر والشرف ؟ قال الخازن : وهذا على سبيل التعظيم لها ، والتشويق لخبرها ، كأنه قال : أفي شيء يبلغ علمك بقدرها ومبلغ فضلها ؟ ثم فصل فضلها من ثلاثة أوجه : فقال سبحانه

[ليلة القدر خير من ألف شهر] أي ليلة القدر في الشرف والفضل ، خير من عبادة ألف شهر ، لما إختصت به من شرف إنزال القرآن الكريم فيها ، قال المفسرون : العمل الصالح في ليلة القدر ، خير من العمل في ألف شهر ، ليس فيها ليلة القدر ، وقد روي أن رجلا لبس السلاح ، وجاهد في سبيل الله ألف شهر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، فعجب رسول الله والمسلمون من ذلك ، وتمنى رسول الله ، لأمته فقال يا رب : جعلت أمتي أقصر الأمم أعمارا ، وأقلها أعمالا ! ! فأعطاه الله ليلة القدر ، وقال : ليلة القدر خير لك ولأمتك من ألف شهر ، جاهد فيها ذلك الرجل قال مجاهد : عملها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر ، هذا هو الوجه الأول من فضلها ، ثم قال تعالى

[تتنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر] أي تتنزل الملائكة وجبريل إلى الأرض في تلك الليلة ، بأمر ربهم من أجل كل أمرقدرة الله وقضاه لتلك السنة إلى السنة القابلة ، وهذا هو الوجه الثاني من فضلها ، والوجه الثالث قوله تعالى

[سلام هي حتى مطلع الفجر] أي هي سلام من أول يومها إلي طلوع الفجر ، تسلم فيها الملائكة على المؤمنين ، ولا يقدر الله فيها إلا الخير والسلامة لبني الإنسان.

البلاغة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

1 - الإطناب بذكر ليلة القدر ثلاث مرات ، زيادة في الإعتناء بشأنها ، وتفعيما لأمرها.

2-الاستفهام بغرض التفخيم والتعظيم [وما أدراك ما ليلة القدر] ؟

3-ذكر الخاص بعد العام [تنزل الملائكة والروح] فذكر (جبريل) بعد الملائكة لينبه على جلالة قدره ، مع أنه داخل في كلمة الملائكة .

4-توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات مثل [القدر ، شهر ، أمر ، الفجر] وهو من المحسنات البديعية اللفظية والله أعلم.

سورة البينة

مدنية وآياتها ثمان

بين يدي السورة

*سورة البينة وتسمى [سورة لم يكن] مدنية ، وهي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعالج القضايا الآتية :

1- موقف أهل الكتاب من رسالة محمد (ص).

2- موضوع إخلاص العبادة لله جل وعلا.

3- مصير كل من السعداء والأشقياء في الآخرة.

4- تحدثت السورة الكريمة عن موقف اليهود والنصارى ، من دعوة النبى(ص) بعد أن كانوا ينتظرون قدومه ، فلما جاءهم بالنور والضياء كانوا أول من كذب برسالته [لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة . .] الآيات.

* ثم تحدثت السورة عن عنصر هام من عناصر الإيمان ، وهو " إخلاص العبادة " لله العلي الكبير ، الذي أمر به جميع أهل الأديان ، لإفراده جل وعلا بالذكر ، والقصد ، والتوجه في جميع الأقوال والأفعال والأعمال ، خالصة لوجهه الكريم [وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة . .] الآيات .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* كما تحدثت عن مصير أهل الإجرام - شر البرية - من كفرة أهل الكتاب والمشركين ، وخلودهم في نار الجحيم ، وعن مصير المؤمنين ، أصحاب المنازل العالية - خير البرية - وخلودهم في جنات النعيم ، مع النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ، جزاء طاعتهم وإخلاصهم لرب العالمين [إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيا أولئك هم شر البرية إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية . .] الآيات إلى نهاية السورة الكريمة .

اللغة :

[منفكين] منتهين زائلين ، وأصل الفك : الفتح ومنه فتح الكتاب ، وفك الخلخال (البينة] الحجة الواضحة ، والدلالة القاطعة

[مطهرة] منزهة عن الباطل والشبهات

[قيمة] مستقيمة عادلة

[حنفاء] مائلين عن الباطل إلى الدين الحق ، وأصل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحنف : الميل

[البرية] الخلق من قولهم : برا الله الخلق ، ومنه البارىء أي الخالق .

[جزاؤهم] ثوابهم على عملهم الصالح

[عدن] إقامة مكان يعني أقام به .

التفسير :

[لم يكن الذين كفروا] أي لم يكن أهل الكفر والجحود ، الذين كفروا بالله وبرسوله ، ثم بينهم بقوله

[من أهل الكتاب والمشركين] فإن " من " هنا بيانية ، تبين من هم هؤلاء الكفار ، أي من اليهود والنصارى أهل الكتاب ، ومن المشركين عبدة الأوثان والأصنام

[منفكين حتى تأتيهم البينة] أي منفصلين ومنتهين عما هم عليه من الكفر ، حتى تأتيهم الحجة الواضحة وهي بعثة محمد ، ولهذا فسرها بقوله ((لم تذكر السورة أنهم منفكون عن ماذا ؟ لكنه معلوم إذ المراد هو الكفر والضلالة التى كانوا عليها فقد أتاهم رسول الله (ص) بالقرآن المبين ، فبين لهم ضلالتهم وشركهم ، وما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كانوا عليه من الجاهلية ، ودعاهم إلى الإيمان فآمن منهم من آمن ، واهتدى منهم من اهتدى ، فأنقذهم الله من الجهالة والضلالة ، ولم يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل بعثه (ص) إليهم ، والآية فيمن آمن من الفريقين : المشركين وأهل الكتاب))

[رسول من الله] أي هذه البينة هي رسالة " محمد " (ص) المرسل من عند الله تعالى

[يتلوا صحفا مطهرة] أي يقرأ عليهم صحفا منزهة عن الباطل ، عن ظهر قلب ، لأن النبي (ص) أمي لا يقرأ ولا يكتب ، قال القرطبي : أي يقرأ ما تتضمن الصحف من المكتوب ، يتلوها عن ظهر قلبه ، لا عن كتاب ، لأنه عليه السلام كان أميا لا يكتب ولا يقرأ.

قال ابن عباس : [مطهرة] من الزور ، والشك ، والنفاق ، والضلالة ، وقال قتادة : مطهرة عن الباطل

[فيها كتب قيمة] أي فيها أحكام قيمة ، لا عوج فيها ، تبين الحق من الباطل ، قال الصاوي : المراد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالصحف القراطيس التي يكتب فيها القرآن ، والمراد بالكتب " الأحكام " المكتوبة فيها ، وإنما قال [فيها كتب قيمة] لأن القرآن جمع ثمرة كتب الله المتقدمة. .

ثم ذكر تعالى من لم يؤمن من أهل الكتاب ، فقال سبحانه

[وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة] أي وما اختلف اليهود والنصارى في شأن محمد (ص) إلا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة ، الدالة على صدق رسالته ، وأنه الرسول الموعود به في كتبهم ، قال أبو السعود : والآية مسوقة لغاية التشنيع على أهل الكتاب خاصة ، وتغليظ جناياتهم ، ببيان أن تفرقهم لم يكن إلا بعد وضوح الحق ، وليبين الحال ، وإنقطاع الأعذار بالكلية ، كقوله تعالى [وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم البينه] وقال في التسهيل : أي ما اختلفوا في نبؤة سيدنا محمد (ص) ، إلا من بعد ما علموا أنه حق ، وإنما خص أهل الكتاب هنا بالذكر ، لأنهم كانوا يعلمون صحة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نبوته ، بما يجدون في كتبهم من ذكره

[وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين] أي والحال أنهم ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بأن يعبدوا الله وحده ، مخلصين العبادة لله جل وعلا ، ولكنهم حرفوا وبدلوا ، فعبدوا أحبارهم ورهبانهم ، كما قال تعالى [اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا إلهآ واحدا]

[حنفاء] أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الاسلام ، مستقيمين على دين إبراهيم ، دين الحنيفية السمحة ، الذي جاء به خاتم المرسلين

[ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة] اي وأمروا بأن يؤدوا الصلاة علي الوجه الأكمل ، في أوقاتها بشروطها وخشوعها وآدابها ، ويعطوا الزكاة لمستحقيها عن طيب نفس ، قال الصاوي : وخص الصلاة والزكاة لشرفهما

[وذلك دين القيمة] أي وذلك المذكور من العبادة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والإخلاص ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، هو دين الملة المستقيمة - دين الإسلام - فلماذا لا يدخلون فيه ؟ ثم ذكر تعالى حال كل من الأبرار والأشرار ، في دار الجزاء والقرار ، فقال سبحانه :

[إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها] أي إن الذين كذبوا بالقرآن وبنبوة محمد عليه السلام ، من اليهود والنصارى وعبدة الأوثان ، هؤلاء جميعهم يوم القيامة في نار جهنم ، ماكثين فيها أبدا ، لا يخرجون منها أبدا ، ولا يقض عليهم ليموتوا

[أولئك هم شر البرية] أي أولئك هم شر الخلق على الإطلاق ، قال الإمام الفخر : فإن قيل : لم ذكر [كفروا] بلفظ الفعل ، والمشركين] باسم الفاعل ؟ فالجواب تنبيها على أن أهل الكتاب ما كانوا كافرين من أول الأمر ، لأنهم كانوا مصدقين بالتوراة والإنجيل ، ومقرين بمبعث محمد(ص) ، ثم إنهم كفروا بذلك بعد مبعثه عليه السلام ، بخلاف المشركين ، فإنهم ولدوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على عبادة الأوثان ، وإنكار الحشر والقيامة ، وقوله
[أولئك هم شر البرية] لإفادة الحصر أي شر من السراق ، لأنهم سرقوا من كتاب الله صفة محمد (ص) وشر من قطاع الطريق ، لأنهم قطعوا طريق الحق على الخلق ، ولما ذكر مقر الأشقياء ، ذكر بعده مقر السعداء ، فقال سبحانه

[إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات] أي إن المؤمنين الذين جمعوا بين الإيمان وصالح الأعمال

[أولئك هم خير البرية] أي هم خير الخليقة التي خلقها الله وبرأها

[جزاؤهم عند ربهم] أي ثوابهم في الآخرة على ما قدموا من الإيمان والأعمال الصالحة

[جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار] أي جنات إقامة تجري من تحت قصورها أنهار الجنة

[خالدين فيها أبدا] أي ماكثين فيها أبدا ، لا يموتون ولا يخرجون منها ، وهم في نعيم دائم لا ينقطع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[رضي الله عنهم ورضوا عنه] أي رضي الله عنهم بما قدموا في الدنيا من الطاعات ، وفعل الصالحات ، ورضوا عنه بما أعطاهم من الخيرات والكرامات

[ذلك لمن خشي ربه] أي ذلك الجزاء والثواب الحسن لمن خاف الله وإتقاه ، وإنتهى عن معصية مولاه

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البديع والبيان نوجزها فيما يلي :

1 - الإجمال ثم التفصيل [حتى تأتيهم البينة] ثم فصلها بقوله [رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة] .

2-الطباق بين [خير البرية] و[شر البرية] .

3-الاستعارة التصريحية [يتلوا صحفامطهرة] لفظة مطهرة فيها (استعارة لطيفة) حيث شبه تنزه الصحف عن الباطل بطهارتها عن الأنجاس .

4-المقابلة بين نعيم الأبرار وعذاب الفجار [أن الذين كفروا من أهل الكتاب . .] الآية وبين [إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات] الآية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

5-توافق الفواصل وهو من المحسنات البديعية مثل [البينة ، القيمة ، خير البرية ، شر البرية] ونحو ذلك .

تنبيه :

الاخلاص هو لب العبادة وقد جاء في الحديث القدسي : (أنا أغنى الأغنياء عن الشرك ، فمن عمل عملا أشرك فيه غيري ، تركته وشركه) وقد قسم العلماء الأعمال إلى ثلاثة أقسام : " مأمورات ، ومنهيات ومباحات " فأما المأمورات فالإخلاص فيها بأن يقصد بعمله وجه الله ، وإن كانت النية لغير وجه الله ، فالعمل رياء محض مردود ، وأما المنهيات فإن تركها بدون نية خرج عن عهدتها ، ولم يكن له أجر في تركها ، وإن تركها إبتغاء وجه الله كان مأجورا على تركها ، وأما المباحات كالأكل والنوم والجماع وشبه ذلك ، فإن فعلها بغير نية لم يكن بها أجر ، وإن فعلها بنية وجه الله فله فيها أجر ، فإن كل مباح يمكن أن يصير قربة إذا قصد به وجه الله تعالى ، مثل أن يقصد بالأكل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القوة على العبادة ، ويقصد بالجماع التعفف عن الحرام ، والله تعالى اعلى وأعلم.

سورة الزلزلة

مدنية وآياتها ثمان

بين يدي السورة

* سورة الزلزلة مدنية ، وهي في أسلوبها تشبه السور المكية ، لما فيها من أهوال وشدائد يوم القيامة ، وهي هنا تتحدث عن الزلزال العنيف الذي يكون بين يدي الساعة ، حيث يندك كل صرح شامخ ، وينهار كل جبل راسخ ، ويحصل من الأمور العجيبة الغريبة ، ما يندهش له الإنسان ، كإخراج الأرض ما فيها من موتى ، وإلقائها ما في بطنها ، من كنوز ثمينة من ذهب وفضة ، وشهادتها على كل إنسان بما عمل على ظهرها ، تقول : عملت يوم كذا ، كذا وكذا ، وكل هذا من عجائب ذلك اليوم الرهيب ، كما تتحدث عن إنصراف الخلائق من أرض المحشر ، إلى الجنة أو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النار ، وإنقسامهم إلى فريقين ما بين شفي وسعيد [فريق في الجنة ، وفريق في السعير] .

اللغه :

[زلزلت] حركت تحريكا عنيفا

[أثقالها] الموتى الذين في جوفها ، جمع ثقل وهو الشيء الثقيل ومنه

[تحمل أثقالكم] قال الأخفش : إذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها ، وإن كان فوقها فهو ثقل عليها

[يصدر] ينصرف ويخرج ، والصدور ضد الورود ، فالوارد الآتي ، والصادر المنصرف

[أشتاتا] متفرفين جمع شت يقال : ذهبوا أشتاتا أي متفرفين ، قال تعالى : [ليس عليكم أن تكلوا جميعا أو أشتاتا] .

التفسير :

[إذا زلزلت الأرض زلزالها] أي إذا حركت ا لأرض تحريكا عنيفا ، وإضطربت إضطرابا شديدا ، وإهتزت بمن عليها ، إهتزازا يقطع القلوب ويفزع الألباب ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كقوله تعالي [اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم] قال المفسرون : إنما أضاف الزلزلة إليها [زلزالها] تهويلا لأمرها ، كأنه يقول : الزلزلة التي تليق بها على عظم جرمها ، وذلك عند فيام الساعة ، تتزلزل وتتحرك تحريكا متتابعا ، وتضطرب بمن عليها ، ولا تسكن حتى تلفي ما على ظهرها من جبل وشجر ، وبناء وقلاع

[وأخرجت الأرض أثقالها] أي وأخرجت الأرض ما في بطنها من الكنوز والموتى ، قال ابن عباس : أخرجت موتاها وقال منذر بن سعيد : أخرجت كنوزها وموتاها وفي الحديث (تلفي الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوانة من الذهب والفضة ، فيجيء القاتل فيقول : في هذا قتلت ، ويجيء القاطع فيقول : في هذا قطعت رحمي ، ويجيء السارق فيقول : في هذا قطعت يدي ، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا)

[وقال الإنسان ما لها] ؟ أي وقال الإنسان : ما للأرض تزلزلت هذه الزلزلة العظيمة ، ولفظت ما في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بطنها ؟ ! يقول ذلك دهشة وتعجبا من تلك الحالة الفظيعة

[يومئذ تحدث أخبارها] أى في ذلك اليوم العصيب - يوم الفيامة تتحدث الأرض وتخبر بما عمل عليها من خير أو شر ، وتشهد على كل إنسان بما صنع على ظهرها ، عن أبي هريرة قال : قرأ رسول الله (ص) [يومئذ تحدث أخبارها] فقال : (أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا : الهر ورسولة أعلم ، قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، تقول عمل يوم كذا ، كذا وكذا ، فهذه أخبارها) وفي الحديث (تحفظوا من الأرض فإنها أمكم ، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيرا أو شرا ، إلا وهي مخبرة به)

[بأن ربك أوحى لها] أي ذلك الإخبار بأنبائها ، بسبب أن الله جلت عظمته أمرها بذلك ، وأذن لها أن تنطق بكل ما حدث وجرى عليها ، فهي تشكو العاصي وتشهد عليه ، وتشكر المطيع وتثني عليه ، ولا عجب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في ذلك ، فالله على كل شيء قدير

[يومئذ يصدر الناس أشتاتا] أي في ذلك اليوم يرجع الخلائق من موقف الحساب ، وينصرفون متفرفين فرقا فرقا ، فاخذ ذات اليمين إلى الجنة ، وأخذ ذات الشمال إلى النار

[ليروا أعمالهم] اي لينالوا جزاء أعمالهم ، من خير أو شر

[فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره] أي فمن يفعل من الخير وزن ذرة من التراب ، يجده في صحيفته يوم الفيامة ، ويلق جزاءه عليه ، قال الكلبي : الذرة أصغر النمل ، وقال ابن عباس : إذا وضعت راحتك على الأرض ثم رفعتها ، فكل واحد مما لصق به من التراب ذرة

[ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره] أي ومن يفعل من الشر ، وزن ذرة من التاب ، يجده كذلك ، ويلق جزاءه عليه ، قال القرطبي : وهذا مثل ضربه الله تعالى ، في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنه لا يغفل من عمل إبن آدم صغيرة ولا كبيرة ، وهو مثل قوله تعالى[إن الله لا يظلم مثقال ذرة] .

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البديع والبيان نوجزها فيما يلي :

1 - الإضافة للتهويل والتفظيع [زلزالها] .

2-الإظهار في مقام الإضمار [وأخرجت الأرض] لزيادة التقرير والتوكيد .

3-الاستفهام للتعجب والاستغراب [وقال الإنسان ما لها] ؟

4-جناس الإشتقاق [زلزلت . . . زلزالها] .

5-المقابلة بين قوله تعالى [فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره] وبين قوله [ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره] .

6-السجع المرصع كأنه الذهب السبيك أو الدر والياقوت مثل [زلزالها ، أثقالها ، أوحى لها ، أخبارها ، ما لها] وهو من المحسنات البديعية .

فائدة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سمى رسول الله (ص) هذه الآية [فمن يعمل مثقال ذرة] الجامعة الفاذة حين سئل عن زكاة الحمر فقال : (ما أنزل الله فيها شيئا إلا هذه الآية الفاذة الجامعة [فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره).

سورة العاديات

مكية وأياتها إحدى عشرة أية

بين يدي السورة

* سورة العاديات مكية ، وهي تتحدث عن خيل المجاهدين في سبيل الله ، حين تغير على الأعداء ، فيسمع لها عند عدوها بسرعة صوت شديد ، وتقدح بحوافرها الحجارة فيتطأير منها النار ، وتثير التراب والغبار

* وقد بدأت السورة الكريمة ، بالقسم بخيل الغزاة - إظهارا لشرفها وفضلها عند الله - على أن الإنسان كفور لنعمة الله تعالى عليه ، جحود لآلائه وفيوض

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نعمائه ، وهو معلن لهذا الكفران والجحود ، بلسان حاله ومقاله ، كما تحدثت عن طبيعة الإنسان وحبه الشديد للمال

* وختمت السورة الكريمة ببيان أن مرجع الخلائق إلى الله للحساب والجزاء ، ولا ينفع في الآخرة مال ولا جاه ، وإنما ينفع الأيمان والعمل الصالح

اللغة :

[ضبحا] الضبح : صوت أنفاس الخيل إذا عدت ، قال عنترة : والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا

[أثرن] هيجن

[نقعا] النقع : الغبار

[كنود] كفور جحود لنعمة الله ، من كند النعمة إذا كفرها ولم يشكرها ، قال الشاعر : كنود لنعماء الرجال ومن يكن كنودا لنعماء الرجال يبعد) بعثر] أثير وقلب ، من بعثرت المتاع إذا جعلت أسفله أعلاه .

التفسير :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[والعاديات ضبحا] أي أقسم بخيل المجاهدين المسرعات في الكر على العدو ، يسمع لأنفاسها صوت جهير هو الضبح ، قال ابن عباس : الخيل إذا عدت قالت : أخ ، أخ فذلك ضبحها ، قال أبو السعود : أقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدوه وتضبح ضبحا وهو صوت أنفاسها عند عدوها

[فالموريات قدحا] أي فالخيل التي تخرج شرر النار من الأرض بوقع حوافرها على الحجارة ، من شدة الجري

[فالمغيرات صبحا] أي فالخيل التي تغير على العدو وقت الصباح قبل طلوع الشمس ، قال الألوسي : هذا هو المعتاد في الغارات ، كانوا يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ، ويهجمون صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون

[فأثرن به نقعا] أي فأثارت الخيل الغبار الكثيف لشدة العدو ، في الموضع الذي أثرن به

[فوسطن به جمعا] أي فتوسطن به جموع الأعداء ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأصبحن وسط المعركة . . أقسم سبحانه وتعالى بأقسام ثلاثة على أمور ثلاثة ، تعظيما للمقسم به ، وهو خيل المجاهدين ، في سبيل الله ، التي تسرع على أعداء الله ، وتقدح النار بحوافرها ، وتغير على الأعداء وقت الصباح ، فتثير الغبار ، وتتوسط العدو فتصيبه بالرعب والفزع ! ! أما الأمور التي أقسم عليها ، فهي قوله

[إن الأنسان لربه لكنود] أي إن الإنسان لجاحد لنعم ربه ، شديد الكفران ، قال ابن عباس : جاحد لنعم الله ، وقال الحسن : يذكر المصائب ، وينسى النعم)

[وإنه على ذلك لشهيد] أي وإن الإنسان لشاهد على كنوده ، لا بقدر أن يجحده لظهوراً عليه

[وأنه لحب الخير لشديد] المراد بالخير هنا : المال ، أي إنه لشديد الحب للمال ، حريص على جمعه ، وهو لحب عبادة الله وشكر نعمه ، ضعيف متقاعس . . ثم بعد أن عدد عليه قبائح أفعاله ، خوفه فقال سبحانه

[أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور] أي أفلا يعلم هذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجاهل ، إذا أثير ما في القبور وأخرج ما فيها من الأموات

[وحصل ما في الصدور] أي وجمع وأبرز ما في الصدور ، من الأسرار والخفايا التي كانوا يسرونها

[إن ربهم بهم يومئذ لخبير] أي إن ربهم لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ، ومجازيهم عليه أوفر الجزاء ، وإنما خص علمه بهم في ذلك اليوم - يوم القيامة - لأنه يوم الجزاء ، بقصد الوعيد والتهديد ، فهو تعالى عالم بهم في ذلك اليوم وغيره .

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البديع والبيان نوجزها فيما يلي :

1-التأكيد بإن واللام في مواضعم [إن الإنسان لربه لكنود] [وإنه لحب الخير لشديد] [إن ربهم بهم يومئذ لخبير] زيادة في التقرير والبيان.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2-الجناس غير التام بين [لشهيد] و[لشديد] وكذلك [ضبحا] و[صبحا] لإختلاف بعض الحروف.

3-الاستفهام الإنكاري للتهديد والوعيد [أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور] ؟

4-التضمين [إن ربهم بهم يومئذ لخبير] ضمن لفظ [خبير] معنى (المجازاة) أي يجازيهم علي أعمالهم السيئة التي عملوها.

5-توافق الفواصل مثل [شهيد ، شديد] و[الصدور ، القبور] الخ . ويسمى " السجع المرصع " وهو من المحسنات البديعية.

سورة القارعة

مكية وآياتها إحدى عشرة

بين يدي السورة

* سورة القارعة مكية ، وهي تتحدث عن القيامة وأهوالها ، والآخرة وشدائدها ، وما يكون فيها من أحداث وأهوال عظام ، كخروج الناس من القبور ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإنتشارهم في ذلك اليوم الرهيب ، كالفراش المتطاير ، المنتشر هنا وهناك ، يجيئون ويذهبون على غير نظام ، من شدة حيرتهم وفزعهم في ذلك اليوم العصيب .

* كما تحدثت عن نسف الجبال وتطايرها ، حتى تصبح كالصوف المنبث المتطاير في الهواء ، بعد أن كانت صلبة راسخة فوق الأرض ، وقد قرنت بين الناس والجبال ، تنبيها على تأثير تلك القارعة في الجبال ، حتى صارت كالصوف المندوف ، فكيف يكون حال البشر في ذلك اليوم العصيب ؟

*وختمت السورة الكريمة بذكر الموازين التي توزن بها أعمال الناس ، وإنقسام الخلق إلى سعداء وأشقياء ، حسب ثقل الموازين وخفتها ، وسميت السورة الكريمة بالقارعة ، لأنها تقرع القلوب والأسماع بهولها وشدائدها

اللغه :

[القارعة] إسم من أسماء القيامة ، سميت بها لأنها تقرع الخلائق بأهوالها وأفزاعها ، وأصل القرع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الضرب بشدة وقوة ، تقول العرب : قرعتهم القارعة وفقرتهم الفاقرة ، إذا وقع بهم أمر فظيع

[المبثوث] المنتشر المتفرق

[العهن] الصوف ذو الألوان أو المصبوغ

[الهاوية] إسم لجهنم سميت بذلك لأن الناس يهوون بها أي يسقطون.

التفسير :

[القارعة ما القارعة] أي القيامة وأي شيء هي القيامة ؟ إنها في الفظاعة والفخامة ، بحيث لا يدركها خيال ، ولا يبلغها وهم إنسان ، فهي أعظم من أن توصف أو تصور ، ثم زاد في التفخيم والتهويل لشأنها فقال :

[وما أدراك ما القارعة] ؟ أي أي شيء أعلمك ما شأن القارعة ؟ في هولها وشدتها على النفوس ؟ إنها لا تفزع القلوب فحسب ، بل تؤثر في الأجرام العظيمة ، فتؤثر قي السموات بالانشقاق ، وفي الأرض بالزلزلة ، وفي الجبال بالدك والنسف ، وفي الكواكب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالإنتثار ، وفي الشمس والقمر بالتكوير والإنكدار ، إلى غير ما هنالك ، قال أبو السعود : سميت القيامة قارعة لأنها تقرع القلوب والأسماع بفنون الأهوال والأفزاع ، ووضع الظاهر موضع الضمير [ما القارعة] تأكيدا للتهويل ، والمعنى أي شيء عجيب هي في الفخامة والفظاعة ؟ ثم أكد هزلها وفظاعتها بقوله [وما أدراك ما القارعة] ؟ ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق ، بحيث لا تكاد تنالها دراية أحد. . وبعد هذا التخويف والتشويق إلى معرفة شيء من أحوالها ، جاء التوضيح والبيان بقوله تعالى

[يوم يكون الناس كالفراش المبثوث] أي ذلك يحدث عندما يخرج الناس من قبورهم فزعين ، كأنهم فراش متفرق ، منتشر هنا وهناك ، يموج بعضهم في بعض ، من شدة الفزع والحيرة ، قال الرازي : شبه تعالى الخلق وقت البعث ههنا (بالفراش المبثوث) ، وفي آية أخرى(بالجراد المنتشر) ، أما وجه التشبيه بالفراش ، فلأن الفراش إذا ثار لم يتجه إلى جهة واحدة ، بل كل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واحدة منها تذهب إلى غير جهة الأخرى ، فدل على أنهم إذا بعثوا فزعوا ، وأما وجه التشبيه بالجراد فهو في الكثرة ، يصبحون كغوغاء الجراد ، يركب بعضه بعضا ، فكذلك الناس إذا بعثوا ، يموج بعضهم في بعض ، كالجراد والفراش ، كقوله تعالى [وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض]

[وتكون الجبال كالعهن المنفوش] هذا هو الوصف الثاني من صفات ذلك اليوم المهول ، أي وتصير الجبال كالصوف المنتثر المتطاير ، تتفرق أجزاؤها وتتطاير في الجو ، حتى تكون كالصوف المتطاير عند الندف ، قال الصاوي : وإنما جمع بين حال الناس وحال الجبال ، تنبيها على أن تلك القارعة أثرت في الجبال العظيمة الصلبة ، حتى تصير كالصوف المندوف مع كونها غير مكلفة ، فكيف حال الإنسان الضيف ؟ المقصود بالتكليف والحساب ! ا ثم ذكر تعالى حالة الناس في ذلك اليوم المخيف ، وإنقسامهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى شقي وسعيد فقال

[فأما من ثقلت موازينه] أي رجحت موازين حسناته ، وزادت حسناته على سيئاته

[فهو في عيشة راضية] أي فهو في عيش هني رغيد سعيد ، في جنان الخلد والنعيم

[وأما من خفت موازينه] أي نقصت حسناته عن سيئاته ، أو لم يكن له حسنات يعتد بها

[فأمه هاوية] أي فمسكنه ومصيره نار جهنم ، يهوي في قعرها ، سماها أما لأن الأم مأوى الولد ومفزعه ، فنار جهنم تؤوي هؤلاء المجرمين ، كما يأوي الأولاد إلي أمهم ، وتضمهم إليها كما تضم الأم الأولاد إليها ، قال أبو السعود : [هاوية] إسم من أسماء النار ، سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها ، روي أن أهل النار يهوون فيها سبعين خريفا ((ونقل عن قتادة أن المراد بقوله : {فأمه هاوية} أي فأم رأسه هاوية في قعر جهنم لأنه يطرح فيها منكوسا ، والأول اظهر)).

[وما أدراك ماهيه] ؟ استفهام للتفخيم والتهويل ، أي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وما أعلمك ما الهاوية ؟ ثم فسرها بقوله

[نار حامية] أي هي نار شديدة الحرارة ، قد خرجت عن الحد المعهود ، فإن حرارة أي نار إذا سعرت وألقي فيها أعظم الوقود ، لا تعادل جزءا من حرارة جهنم ، أجارنا الله منها بفضله وكرمه .

البلاغه :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البديع والبيان نوجزها فيما يلي :

1- الاستفهام للتفخيم والتهويل [وما أدراك ما القارعة] ؟ [وما أدراك ما هيه] ؟ قصد به تهويل أمرها ، وتفخيم شأنها

2- وضع الظاهر مكان الضمير للتخويف [القارعة ما القارعة] ؟ والأصل أن يقال : القارعة ما هي ؟

3- التشبيه المرسل المجمل [يكون الناس كالفراش المبثوث] ذكرت أداة التشبيه وحذف وجه الشبه أي في الكثرة والانتشار ، والضعف والذلة ، ومثله [كالعهن المنفوش] أي في تطايرها وخفة سيرها فيسمى مرسلا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مجملا .

4- المقابلة اللطيفة بين قوله [فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية] قابلها بقوله [وأما من خفت موازيه فأمه هاوية] وهو من المحسنات البديعية .

5- المجاز العقلي [فهو في عيشة راضية] أي راض بها صاحبها ، ففيه إسناد مجازي يدرك بالعقل ، لأن العيش أمر معنوي لا رأي له ولا تفكير

6- الاحتباك وهو أن يحذف في كل نظير ما أثبته في الآخر ، فقوله تعالى [فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية] حذف من الأول " فأمه الجنة " وذكر فيها [عيشة راضية] وحذف من الآية الثانية " فهو في عيشة ساخطة " وذكر [فأمه هاوية] فحذف من كل نظير ما أثبته في الآخر ، وهو من المحسنات البديعية كذلك .

7- توافق الفواصل في الحرف الأخير ، وهو واضح في السورة الكربمة .

تنبيه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجمهور على أن الميزان حقيقي له كفتان ولسان ، توزن فيه الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيئات ، وروي عن ابن عباس أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صورة حسنة ، وبالأعمال السيئة على صور قبيحة ، فتوضع في الميزان ، فمن رجحت حسناته سعد ، ومن رجحت سيئاته شقي ، والله أعلم.

سورة التكاثر

مكية وأياتها ثمان أيات

بين يدي السورة

* سورة التكاثر مكية ، وهي تتحدث عن انشغال الناس بمغريات الحياة ، وتكالبهم على جمع حطام الدنيا ، حتى يقطع الموت عليهم متعتهم ، ويأتيهم فجأة وبغتة ، فينقلهم من القصور إلى القبور . الموت يأتي بغتة والقبرصندوق العمل ، وقد تكرر في هذه السورة (الزجر والإنذار) تخويفا للناس ، وتنبيها لهم على خطئهم ، باشتغالهم بالفانية عن الباقية [كلا سوف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون] .
* وختمت السورة الكريمة ببيان المخاطر والأهوال التي سيلقونها في الآخرة ، والتي لا يجوزها ولا ينجو منها إلا المؤمن ، الذي قدم صالح الأعمال.

اللغة :

[ألهاكم] الإلهاء : الشغل والانصراف عن الشيء الهام إلى ما يدعو إليه الهوى ، وأصل اللهو الغفلة ثم شاع في كل شاغل ، قال الراغب : اللهو ما يشغلك عما يعني ويهم (التكاثر] التباهي بكثرة المال والجاه وهو بمعنى المكاثرة

[المقابر] القبور جمع مقبرة ، والقبور جمع القبر ، قال الشاعر : أرى أهل القصور إذا أميتوا بنؤافوق المقابر بالصخور أبوا إلا مباهاة وفخرا على الفقراء حتى فى القبور.

التفسير :

[ألهاكم التكاثر] أي شغلكم أيها الناس التفاخر بالأموال والأولاد والأحساب عن طاعة الله ، وعن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الاستعداد للآخرة

[حتى زرتم المقابر] أي حتى أدرككم الموت ، ودفنتم في المقابر ، والجملة خبر يراد به الوعظ والتوبيخ ، قال القرطبي : المعنى شغلكم المباهاة بكثرة المال والأولاد عن طاعة الله ، حتى متم ودفنتم في المقابر ((وقال ابن كثير : يقول تعالى : شغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها ، عن طلب الآخرة وابتغائها ، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت ، وزرتم المقابر وصرتم من أهلها)).

[كلا سوف تعلمون] زجر وتهديد أي ارتدعوا أيها الناس ، وانزجروا عن الإشتغال بما لا ينفع ولا يفيد ، فسوف تعلمون عاقبة جهلكم ، وتفريطكم في جنب الله ، وإشغالكم بالفاني عن الباقي ؟

[ثم كلا سوف تعلمون] وعيد إثر وعيد ، زيادة في الزجر والتهديد أي سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم ، إذا نزل بكم الموت ، وعانيتم أهواله وشدائده ، قال ابن عباس : (كلا سوف تعلمون] ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ينزل بكم من العذاب في القبر [ثم كلا سوف تعلمون] أي في الآخرة إذا حل بكم العذاب

[كلا لو تعلمون علم اليقين] أي ارتدعوا وانزجروا فلو علمتم العلم الحقيقي ، الذي لا شك فيه ولا امتراء ، وجواب [لو] محذوف لقصد التهويل أي لو عرفتم ذلك ، لما ألهاكم التكاثر بالدنيا عن طاعة اله ، ولما خدعتم بنعيم الدنيا عن أهوال الآخرة وشدائدها ؟ كما قال (ص) " لوتعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا " الحديث ، قال في التسهيل : وجواب [لو] محذوف تقديره : لو تعلمون لازدجرتم واستعددتم للآخرة ، وإنما حذف لقصد التهويل ، فيقدر السامع أعظم ما يخطر بباله كقوله تعالى [ولو ترى إذ وقفوا على النار]

[لترون الجحيم] أي أقسم وأوكد بأنكم ستشاهدون الجحيم ، عيانا ويقينا ، قال الألوسي : هذا جواب قسم مضمر ، أكد به الوعيد ، وشدد به التهديد ، وأوضح به ما أنذروه بعد إبهامه تفخيما أي والله لترون الجحيم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ثم لترونها عين اليقين] أي ثم لترونها رؤية حقيقة بالمشاهدة العينية ، قال في البحر : زاد التوكيد بقوله [عين اليقين] نفيا لتوهم المجاز في الرؤية الأولى [ثم لتسألن يومئذ عن النعيم] أي ثم لتسألن في الآخرة عن نعيم الدنيا ، من الأمن والصحة ، وسائر ما يتلذذ به من مطعم ، ومشرب ، ومركب ، ومفرش ، اللهم أرزقنا شكر نعمك يا رب العالمين.

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البديع والبيان كالآتي :

1-الوعظ والتوبيخ [ألهاكم التكاثر] فقد خرج الخبر عن حقيقته إلى معنى التذكير والتوبيخ.

2- التكرار للتهديد والإنذار [كلا سوف تعلمون 5ثم كلا سوف تعلمون] وعطفه ب [ثم] للتنبيه على أن الثاني أبلغ من الأول ، كما يقول السيد العظيم لعبده : أقول لك ، ثم أقول لك : لا تفعل ، ولكونه أبلغ نزل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منزلة المغايرة فعطف بثم.

3- حذف جواب [لو] للتهويل [لو تعلمون علم اليقين] أي لرأيتم ما تشيب له الرءوس ، وتفزع له النفوس ، من الشدائد والأهوال.

4- الإطناب بتكرار الفعل [لترون] [ثم لترونها] لبيان شدة الهول.

5- الكناية [حتى زرتم المقابر] كنى عن الموت بزيارة القبور.

6- المطابقة بين [النعيم . والجحيم] .

7- توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات وهو من المحسنات البديعية.

تنبيه :

روى الترمذي عن عبد الله بن الشخير قال : انتهيت إلى رسول الله (ص) ، وهو يقرأ هذه الآية (ألهاكم التكاثر] فقال : " يقول ابن آدم ، مالي ، مالي ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت " ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لطيفة :

روى مسلم عن أبي هريرة قال : (خرج رسول الهم(ص) ذات يوم أو ليلة ، فإذا هو بأبي بكر وعمر ، فقال ، : ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟ قالا : الجوع يا رسول الله ، قال : وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما! فقوموا ، فقاموا معه ، فأتى رجلا من الأنصار ، فإذا هو ليس في بيته ، فلما رأته المرأة قالت : مرحبا وأهلا ، فقال لها رسول الله (ص) : أين فلان ! قالت : ذهب يستعذب لنا الماء ، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله(ص) وصاحبيه ، ثم قال : الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني ، فانطلق فجاءهم بعذق - عنقود - فيه بسر وتمر ورطب ، فقال : كلوا ، وأخذ المدية - السكين - فقال له رسول الله (ص) : إياك والحلوب ! فذبح لهم شاة فأكلوا من الشاة ، ومن ذلك العتق وشربوا ، فلما شبعوا ورووا ، قال رسول الله (ص) لابي بكر وعمر : والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أخرجكم من بيوتكم الجوع ، ثم لم ترجعوا حتن أصابكم هذا النعيم).

سورة العصر

مكية وآياتها ثلاث آيات

بين يدي السورة

* سورة العصر مكية ، وقد جاءت في غاية الإيجاز والبيان ، لتوضيح سبب سعادة الإنسان أو شقاوته ، ونجاحه في هذه الحياة أو خسرانه ودماره.

* أقسم تعالى بالعصر وهو الزمان الذي ينتهى فيه عمر الإنسان ، وما فيه من أصناف العجائب ، والعبر الدالة على قدرة الهت وحكمته ، على أن جنس الإنسان في خسارة ونقصان ، إلا من اتصف بالأوصاف الأربعة وهى (الإيمان) و(العمل الصالح) و(التواصي بالحق) و(الإعتصام بالصبر) وهي أسس الفضيلة ، وأساس الدين ، ولهذا قال الإمام الشافعي رحمه الله : لو لم ينزل الها سوى هذه السورة لكفت الناس .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التفسير :

[والعصر إن الإنسان لفي خسر] أي أقسم بالدهر والزمان لما فيه من أصناف الغرائب والعجائب ، والعبر والعظات ، على أن الإنسان في خسران ، لأنه يفضل العاجلة على الآجلة ، وتغلب عليه الأهواء والشهوات ، قال ابن عباس : العصر هو الدهر ، أقسم تعالى به لاشتماله على أصناف العجائب ، وقال قتادة : العصر هو آخر ساعات النهار ، أقسم به كما أقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة الباهرة ، والعظة البالغة . . وإنما أقسم تعالى بالزمان ، لأنه رأس عمر الإنسان ، فكل لحظة تمضي فإنها من عمرك ونقص من أجلك ، كما قال القائل : إنا لنفرح بالأيام نقطعها وكل يوم مضى نقص من الأجل قال القرطبي : أقسم الله عز وجل بالعصر - وهو الدهر - لما فيه من التنبيه بتصرف الأحوال وتبدلها ، وما فيها من الدلالة على الصانع ، وقيل : إنه قسم بصلاة العصر لأنها أفضل الصلوات .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات] أي جمعوا بين الإيمان وصالح الأعمال ، فهؤلاء هم الفائزون ، لأنهم باعوا شهوات الحياة ، بنعيم الجنة ، واستبدلوا الباقيات الصالحات ، بالشهوات العاجلات

[وتواصوا بالحق] أي أوصى بعضهم بعضا بالحق ، وهو الخير كله ، من الإيمان ، والتصديق ، وعبادة الرحمن

[وتواصوا بالصبر] أي وتواصوا بالصبر على الشدائد والمصائب ، وعلى فعل الطاعات ، وترك المحرمات . . حكم تعالى بالخسار على جميع الناس إلا من أتى بهذه الأشياء الأربعة وهي : (الإيمان ، والعمل الصالح ، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر) ، فإن نجاة الإنسان لا تكون ، إلا إذا كمل الإنسان نفسه بالإيمان ، والعمل الصالح ، وكمل غيره بالنصح والإرشاد ، فيكون قد جمع بين حق الله ، وحق العباد ، وهذا هو السر في تخصيص هذه الأمور الأربعة بالذكر ، في هذه السورة القصيرة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البلاغه :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البديع والبيان نوجزها فيما يلي :

1- إطلاق البعض لإرادة الكل [إن الإنسان] أي جنس الناس ، وجميع البشر ، بدليل الإستثناء ، والاستثناء معيار العموم.

2- التنكير للتعظيم [لفي خسر] أي في خسر عظيم ، ودمار شديد.

3-الإطناب بتكرار الفعل [وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر] لإبراز كمال العناية به.

4- ذكر الخاص بعد العام [وتواصوا بالصبر] بعد قوله [بالحق] فإن الصبر داخل في عموم الحق ، إلا أنه أفرده بالذكر إشادة بفضيلة الصبر.

5- السجع غير المتكلف مثل [العصر ، الصبر ، خسر] وهو من المحسنات البديعية.

تنبيه :

أخرج البيهقي في الشعب عن " أبي حذيفة " وكانت له

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صحبة ، قال : كان الرجلان من أصحاب رسول الله (ص) إذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة [والعصر] ثم يسلم أحدهما على الآخر.

سورة الهمزة

مكية وآياتها تسع آيات

بين يدي السورة

* سورة الهمزة مكية ، وقد تحدثت عن الذين يعيبون الناس ، ويإليلون أعراضهم ، بالطعن والإنتقاص ، والازدراء ، وبالسخرية والإستهزاء فعل السفهاء [ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده]

* كما ذمت الذين يشتغلون بجمع الأموال ، وتكديس الثروات ، كأنهم مخلدون في هذه الحياة ، يظنون لفرط جهلهم وكثرة غفلتهم أن المال سيخلدهم في الدنيا [يحسب أن ماله أخلده] .

* وختمت السورة بذكر عاقبة هؤلاء التعساء الأشقياء ، حيث يدخلون نارا لا تخمد أبدا ، تحطم المجرمين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن يلقى فيها من البشر ، لأنها الحطمة نار سقر! !

[كلا لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة ؟] إلى نهاية السورة الكريمة.

اللغه :

[همزة] الهماز : الذي يغتاب الناس ويطعن في أعراضهم ، وبناء " فعلة " على الإعتياد فلا يقال : لعنة وضحكة ، إلا للمكثر المعتاد

[لمزة] اللماز : الذي يعيب الناس ، وينال منهم بالحاجب والعين ، وفي الحديث الشريف (ليس المؤمن بالظنان ولا اللعان ، ولا الفاحش ، ولا البذيء)

[الحطمة] نار جهنم سميت بذلك لأنها تكسر كل ما يلقى فيها وتحطمه وتهشمه

[مؤصدة] مطبقة مغلقة ، من أوصد الباب إذا أغلقه .

التفسير :

[ويل لكل همزة لمزة] أي عذاب شديد ، وهلاإلي ودمار ، لكل من يعيب الناس ويطعن في أعراضهم ، أو يلمزهم سرا بعينه أو حاجبه ، قال المفسرون :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نزلت السورة في " الأخنس بن شريق " لأنه كان كثير الوقيعة في الناس ، يلمزهم ويعيبهم ، مقبلين ومدبرين ، والحكم عام لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ،

[الذى جمع مالا وعدده] أي الذي جمع مالا كثيرا وأحصاه ، وحافظ على عدده ، لئلا ينقص فمنعه من الخيرات ، قال الطبرى : أي أحصى عدده ولم ينفقه في سبيل الله ، ولم يؤد حق الله فيه ، ولكنه جمعه فأوعاه وحفظه

[يحسب أن ماله أخلده] أي يظن هذا الجاهل لفرط غفلته ، أن ماله سيتركه مخلدا في الدنيا لا يموت

[كلا لينبذن في الحطمة] أي ليرتدع عن هذا الظن ، فوالله ليطرحن في النار التي تحطم كل ما يلقى فيها وتلتهمه

[وما أدراك ما الحطمة] تفخيم وتهويل لشأنها ، أي وما الذي أعلمك ما حقيقة هذه النار العظيمة ؟ إنها الحطمة التى تحطم العظام ، وتإليل اللحوم ، حتى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تهجم على القلوب ، ثم فسرها بقوله

[نار الله الموقدة] أي هي نار الله المسعرة ، بأمره تعالى وإرادته ، ليست كسائر النيران ، فإنها لا تخمد أبدا ، وفي الحديث (أوقد على النار ألف سنة حتى إحمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى إبيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى إسودت ، فهي سوداء مظلمة)

[التي تطلع على الأفئدة] أي التي يبلغ ألمها ووجعها إلي القلوب فتحرقها ، قال القرطبي : وخص الأفئدة بالذكر ، لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه ، فإنهم في حال من يموت وهم لا يموتون ، كما قال تعالى [لا يموت فيها ولا يحيا] فهم إذا أحياء في معنى الأموات

[إنها عليهم مؤصدة] أي إن جهنم مطبقة مغلقة عليهم ، لا يدخل إليهم روح ولا ريحان

[في عمد ممددة] أي وهم موثوقون في سلاسل وأغلال ، تشد بها أيديهم وأرجلهم ، بعد إطباق أبواب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جهنم عليهم ، فقد يئسوا من الخروج ، بإطباق الأبواب عليهم ، وتمدد العمد للأيذان بالخلود إلي غير نهاية .

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البديع والبيان نوجزها فيما يلي :

1- صيغة المبالغة [همزة ولمزة] لأن بناء " فعلة " يدل على أنها عادة مستمرة.

2- التنكير للتفخيم [جمع مالا] أي مالا كثيرا لا يكاد يحصى.

3- التفخيم والتهويل [وما أدراك ما الحطمة] ؟ تهويلا لشأن جهنم.

4- الجناس غير التام بين [همزة] و[لمزة] ويسمى الجناس الناقص.

5- توافق الفواصل مثل [عدده ، أخلده ، الموقدة ، ممددة] ويسمى بالسجع ، وهو من المحسنات البديعية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سورة الفيل

مكية وأياتها خمس أيات

بين يدي السورة

* سورة الفيل مكية ، وهي تتحدث عن قصة " اصحاب الفيل " حين قصدوا هدم الكعبة المشرفة ، فرد الله كيدهم في نحورهم ، وحمى بيته من تسلطهم وطغيانهم ، وأرسل على جيش " أبرهة الأشرم " وجنوده أضعف مخلوقاته ، وهي الطير التي تحمل في أرجلها ومناقيرها حجارة صغيرة ، ولكنها أشد فتكا وتدميرا من الرصاصات القاتلة ، حتى أهلكهم الله وأبادهم عن آخرهم ، وكأن ذلك الحدث التاريخى الهام ، في عام ميلاد سيد الكائنات (محمد بن عبد الله) صلوات الهن وسلامه عليه ، سنة سبعين وخمسمائة ميلادية ، وكان من أعظم الإرهاصات الدالة على صدق نبوته (ص).

اللغه :

[أبابيل] جماعات جماعات بعضها في إثر بعض ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال الجوهري : وهو من الجمع الذي لا واحد له ، يقال : جاءت إبلك أبابيل أي فرقا وجماعات ، قال الشاعر : كادث تهد من الأصوات راحلتي إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل "

[سجيل] طين متحجر

[عصف] ورق الزرع بعد الحصاد كالتين وقشر الحنطة ، سمي عصفا لأن الريح تعصف به ، فتفرقه ذات اليمين وذات الشمال.

التفسير :

[ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل] أي ألم يبلغك أيها الرسول ، وتعلم علما يقينيا ، كأنه مشاهد بالعين ، ماذا صنع الله العظيم الكبير بأصحاب الفيل ، الذين قصدوا الإعتداء على البيت الحرام ؟ قال المفسرون : روي أن (أبرهة الأشرم) ملك اليمن ، بنى(كنيسة) بصنعاء وأراد أن يصرف إليها الحجيج ، فجاء رجل من كنانة ، وتغوط فيها ليلا ، ولطخ جدرانها بالنجاسة إحتقارا لها ، فغضب " أبرهة " وحلف أن يهدم الكعبة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، وجاء مكة بجيش كبير على أفيال ، يتقدمهم فيل هو أعظم الفيلة ، فلما وصل قريبا من مكة ، فر أهلها إلى الجبال ، خوفا من جنده وجبروته ، وأرسل الله تعالى على جيش أبرهة طيورا سودا ، مع كل طائر ثلاثة أحجار ، حجر في منقاره ، وحجران في رجليه ، فرمتهم الطيور بالحجارة ، فكان الحجر يدخل في رأس الرجل ، ويخرج من دبره فيرميه جثة هامدة ، حتى أهلكهم الله ودمرهم عن آخرهم ، وكانت قصتهم عبرة للمعتبرين . قال أبو السعود : وتعليق الرؤية بكيفية فعله جل وعلا [كيف فعل] لا بنفسه بأن يقال : ألم تر ما فعل ربك " إلخ لتهويل الحادثة ، والإيذان بوقوعها على كيفية هائلة ، وهيئة عجيبة ، دالة على عظم قدرة الله تعالى ، وكمال علمه وحكمته ، وشرف رسوله ، فإن ذلك من الإرهاصات ، لما روي أن القصة وقعت في السنة التي ولد فيها النبي عليه الصلاة والسلام

[ألم يجعل كيدهم في تضليل] أي ألم يهلكهم ويجعل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مكرهم وسعيهم ، في تخريب الكعبة في ضياع وخسار ؟ !

[وأرسل عليهم طيرا أبابيل] أي وسلط عليهم من جنوده طيرا أتتهم جماعات ، متتابعة بعضها في إثر بعض ، وأحاطت بهم من كل ناحية

[ترميهم بحجارة من سجيل] أي تقذفهم بحجارة صغيرة من طين متحجر ، كأنها رصاصات ثاقبة ، لا تصل إلى أحد إلا قتلته

[فجعلهم كعصف مأكول] أي فجعلهم كورق الشجر ، الذي عصفت به الريح ، وأكلته الدواب ثم راثته ، فأهلكهم عن بكرة أبيهم ، وهذه القصة تدل على كرامة الله للكعبة ، لإنعامه على قريش ، بدفع العدو عنهم ، فكان يجب أن يعبدوا الله ، ويشكروه على نعمائه ، وفيها مع ذلك عجائب وغرائب ، من قدرة الله على الإنتقام من أعدائه ، قال في البحر : كان صرف ذلك العدو العظيم ، عام مولده السعيد عليه السلام ، إرهاصا بنبؤته ، إذ مجيء تلك الطيور على الوصف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المنقول ، من خوارق العادات والمعجزات المتقدمة ، بين أيدي الأنبياء عليهم السلام ، وقد أهلكهم الله تعالى بأضعف جنوده ، وهي الطير الي ليست من عادتها أنها تقتل .

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البديع والبيان نوجزها فيما يلي :

1- الاستفهام للتقرير والتعجيب [ألم تر كيف فعل ربك . .] الآية .

2- الخطاب للنبى (ص) بإضافته إلى إسم الجلالة [فعل ربك] فيه تشريف للنبي العظيم ، وإشادة بقدرة الله تعالى.

3- التشبيه المرسل المجمل [فجعلهم كعصف مأكول] ذكرت الأداة وحذف وجه الشبه ، فهو تشبيه مرسل مجمل.

4- توافق الفواصل في الحرف الأخير مثل [الفيل ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تضليل " سجيل ، أبابيل] وهو من المحسنات ا
لبديعية.

سورة قريش

مكية وآياتها أربع آيات

بين يدي السورة

* تحدثت هذه السورة عن نعم الله الجليلة على أهل مكة ، حيث كانت لهم رحلتان : رحلة في الشتاء إلى اليمن ، ورحلة في الصيف إلى الشام من أجل التجارة ، وقد اكرم الله تعالى قريشا بنعمتين عظيمتين من نعمه الكثيرة هما : نعمة الأمن والإستقرار ، ونعمة الغنى واليسار [فليعبدوا رب هذا البيت ، الذي أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف] .

التفسير :

[لإيلاف قريش] هذه اللام متعلقة بالفعل الذي بعدها [فليعبدوا]

[إيلافهم] معنى [الإيلاف] الإلف والإعتياد ، يقال :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ألف الرجل الأمر ألفا وإلافا ؟ وآلفه غيره إيلافا ،
والمعنى : من أجل تسهيل الله على قريش وتيسيره لهم
ما كانوا يألفونه ، من الرحلة في الشتاء إلى اليمن ،
وفي الصيف إلى الشام ، كما قال تعالى
[رحلة الشتاء والصيف] أي في رحلتي الشتاء
والصيف ، حيث كانوا يسافرون للتجارة ، ويأتون
بالأطعمة والثياب ، ويربحون في الذهاب والإياب ،
وهم آمنون مطمئنون ، لا يتعرض لهم أحد بسوء ،
لأن الناس كانوا يقولون : هؤلاء جيران بيت الله ،
وسكان حرمه ، وهم أهل الله لأنهم ولاة الكعبة ، فلا
تؤذوهم ولا تظلموهم ، ولما أهلك الله أصحاب الفيل ،
ورد كيدهم في نحورهم ، إزدادت مكانة أهل مكة في
القلوب ، وإزداد تعظيم الأمراء والملوك لهم ، فإزدادت
تلك المنافع والمتاجر ، فلذلك جاء الإمتنان على قريش
، وتذكيرهم بنعم الله ، ليوحدوه ويشكروه
[فليعبدوا رب هذا البيت] أي فليعبدوا الله العظيم
الجليل ، رب هذا البيت العتيق ، وليجعلوا عبادتهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شكرا لهذه النعمة الجليلة ، التي خصهم بها ، قال المفسرون : وإنما دخلت الفاء [فليعبدوا] لما في الكلام من معنى الشرط ، كأنه قال : إن لم يعبدوه لسائر نعمه ، فليعبدوه من أجل إيلافهم الرحلتين ، التي هي من أظهر نعمه عليهم ، لأنهم في بلاد لا زرع فيها ولا ضرع ، ولهذا قال بعده

[الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف] أي هذا الإله الذي أطعمهم بعد شدة جوع ، وآمنهم بعد شدة خوف ، ، فقد كانوا يسافرون آمنين ، لا يتعرض لهم أحد ، ولا يغير عليهم أحد ، لا في سفرهم ولا في حضرهم ، كما قال تعالى [أولم يروا أنا جعلنا حرما أمنا ويتخطف الناس من حولهم] وذلك ببركة دعوة أبيهم الخليل (إبراهيم) عليه السلام حيث قال [رب إجعل هذا بلدا آمنا] وقوله [وأرزقهم من الثمرات] أفلا يجب على قريش أن يفردوا بالعبادة ، هذا الإله الجليل ؟ الذي أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف ؟ !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البديع والبيان نوجزها فيما يلي :

1- الطباق بين [الشتاء . . والصيف] وبين الجوع والإطعام [أطعمهم من جوع] وبين الأمن والخوف [وآمنهم من خوف] .

2- الإضافة للتكريم والتشريف [رب هذا البيت).

3- تقديم ما حقه التأخير [لإيلاف قريش] والأصل (ليعبدوا رب هذا البيت) لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف " فقدم الإيلاف تذكيرا بالنعمة.

4- التنكير في لفظة [جوع] ولفظة [خوف] لبيان شدتهما أي جوع شديد ، وخوف عظيم.

تنبيه :

قال الإمام الفخر : إعلم أن الإنعام علي قسمين :

أحدهما دفع ضر وهو ما ذكرة في سورة الفيل .و

الثاني : جلب النفع وهو ما ذكره في هذة السورة ، ولما دفع عنهم الضر ، وجلب لهم النفع ، وهما نعمتان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عظيمتان أمرهم بالعبوديةوآداء الشكر (فليعبدوا رب هذا البيت ....) الآيات .

سورة الماعون

مكية وأياتها سبع أيات

بين يدي السورة

* هذه السورة مكية ، وقد تحدثت بأيجاز عن فريقين من البشر هما :

أ - الكافر الجاحد لنعم الله ، المكذب بيوم الحساب والجزاء .

ب - المنافق الذي لا يقصد بعمله وجه الهل ، بل يرائي في أعماله وصلاته.

* أما الفريق الأول : فقد ذكر تعالى من صفاتهم الذميمة ، أنهم يهينون اليتيم ويزجرونه ، غلظة لا تأديبا ، ولا يفعلون الخير ، حتى ولو بالتذكير بحق المسكين والفقير ، فلا هم أحسنوا في عبادة ربهم ، ولا أحسنوا إلى خلقه [أرأيت الذي يكذب بالدين ؟ فذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذي يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين . .]
الأيات.

* وأما الفريق الثاني : فهم المنافقون ، الغافلون عن صلاتهم ، الذين لا يؤدونها في أوقاتها ، والذين يقومون بها " صورة " لا (معنى) المراءون بأعمالهم ، وقد توعدت الفريقين بالويل والهلاإلي ، وشنعت عليهم أعظم تشنيع ، بأسلوب الاستغراب والتعجيب من ذلك الصنيع ! ! . (فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون ويمنعون الماعون)

اللغة :

[يدع] يدفع بعنف وشدة يقال : دعه دعا أي دفعه دفعا ، ومنه قوله تعالى [يوم يدعون إلى نار جهنم دعا]

[يحض] الحض : الحث والترغيب

[ساهون] جمع ساهي يقال : سها عن كذا يسهو سهوا ، إذا تركه عن غفلة

[الماعون] الشيءالقليل ، من المعن وهو القلة ، تقول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العرب : " ما له معنة ولا سعنة " أي ما له قليل ولا كثير من المال ، قال المبرد والزجاج : الماعون كل ما فيه منفعة ، كالفأس ، والقدر ، والدلو ، وغير ذلك .

التفسير :

[أرأيت الذي يكذب بالدين] ؟ إستفهام للتعجيب والتشويق أي هل عرفت الذي يكذب بالجزاء والحساب في الآخرة ؟ هل عرفت من هو ، وما هى أوصافه ؟ إن أردت أن تعرفه

[فذلك الذي يدع اليتيم] أي فذلك هو الذي يدفع اليتيم ، دفعا عنيفا بجفوة وغلظة ، ويقهره ويظلمه ، ولا يعطيه حقه

[ولا يحض على طعام المسكين] أي ولا يحث على إطعام المسكين ، قال أبو حيان : وفي قوله [ولا يحض) إشارة إلي أنه هو نفسه لا يطعم إذا قدر ، وهذا من باب الأولى ، لأنه إذا لم يحقق غيره بخلا ، فلأن يترك هو ذلك فعلا أولى وأهدى ، وقال الرازي : فإن قيل : لم قال : [ولا يحض على طعام المسكين] ولم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقل : ولا يطعم المسكين ؟ فالجواب أنه إذا منع اليتيم حقه ، فكيف يطعم المسكين من مال نفسه ؟ بل هو بخيل من مال غيره ، وهذا هو النهاية في الخسة ، ويدل على نهاية بخله ، وقسوة قلبه ، وخساسة طبعه ، والحاصل أنه لا يطعم المسكين ، ولا يأمر بإطعامه ، لأنه يكذب بالقيامة ، ولو آمن بالجزاء وأيقن بالحساب ، لما صدر عنه ذلك

[فويل للمصلين] أي هلاك وعذاب ودمار ، للمصلين المنافقين ، المتصفين بهذه الأوصاف القبيحة

[الذين هم عن صلاتهم ساهون] أي الذين هم غافلون عن صلاتهم ، يؤخرونها عن أوقاتها تهاونا بها ، قال ابن عباس : هو المصلي الذي إن صلى لم يرج لها ثوابا ، وإن تركها لم يخش عليها عقابا ، وقال أبو العالية : لا يصلونها لمواقيتها ، ولا يتمون ركوعها ولا سجودها ، وقد سئل رسول الله (ص)عن الآية فقال : (هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها) قال المفسرون : لما قال تعالى [عن صلاتهم ساهون]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بلفظة [عن] علم أنها في المنافقين ، ولهذا قال بعض السلف : الحمد لله الذي قال [عن صلاتهم] ولم يقل " في صلاتهم " لأنه لو قال " في صلاتهم " لكانت في المؤمنين ، والمؤمن قد يسهو في صلاته ، والفرق بين السهوين واضح ، فإن سهو المنافق سهو ترك ، وقلة إلتفات إليها ، فهو لا يتذكرها ويكون مشغولا عنها ، والمؤمن إذا سها في صلاته تداركه في الحال ، وجبره بسجود السهو ، فظهر الفارق بين السهوين ! ! ثم زاد تعالى في بيان أوصافهم الذميمة فقال :

[الذين هم يراءون] أي يصلون أمام الناس رياء ليقال : إنهم صلحاء ، ويتخشعون ليقال : أنهم أتقياء ، ويتصدقون ليقال إنهم كرماء ، وهكذا سائر أعمالهم للشهرة والرياء

[ويمنعون الماعون] أي ويمنعون الناس المنافع اليسيرة ، من كل ما يستعان به ، كالإبرة ، والفأس ، والقدر ، والملح ، والماء وغيرها . . وفي الآية زجر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن البخل ، بهذه الأشياء القليلة الحقيرة ، فإن البخل بها نهاية البخل ، وهو مخل بالمروءة .

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البديع والبيان نوجزها فيما يلي :

1- الاستفهام الذي يراد به تشويق السامع إلى الخبر والتعجيب منه [أرأيت الذي يكذب بالدين] ؟

2- الإيجاز بالحذف [فذلك الذى يدع اليتيم] حذف منه الشرط ، أي إن أردت أن تعرفه ، فذلك الذي يدع اليتيم ، وهذا من أساليب البلاغة.

3- الذم والتوبيخ [فويل للمصلين] ووضع الظاهر مكان الضمير " فويل لهم " زيادة في التقبيح ، لأنهم مع التكذيب ساهون عن الصلاة .

4- الجناس الناقص [ويمنعون الماعون) ويسمى جناس الاشتقاق

5- توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات مثل (ساهون ، يراءون ، الماعون) الخ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سورة الكوثر

مكية وأياتها ثلاث أيات

بين يدي السورة

* سورة الكوثر مكية ، وقد تحدثت عن فضل الله العظيم على نبيه الكريم ، بإعطائه الخير الكثير ، والنعم العظيمة في الدنيا والآخرة ، ومنها [نهر الكوثر] وغير ذلك من الخير العظيم العميم ، وقد دعت الرسول إلى إدامة الصلاة ، ونحر الهدي شكرا لله [إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وإنحر] .

* وختمت السورة ببشارة الرسول (ص) بخزي أعدائه ، ووصفت مبغضيه بالذلة والحقارة ، والإنقطاع من كل خير في الدنيا والآخرة ، بينما ذكر الرسول مرفوع على المنائر والمنابر ، واسمه الشريف على كل لسان ، خالد إلى آخر الدهر والزمان [إن شانئك هو الأبتر] .

اللغه :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[الكوثر] الخير الكثير وهو مبالغة من الكثرة ، والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد ، والقدر ، والخطر " كوثرا " ، قا ل الشاعر : وأنا كثير يا ابن مروان طيب وكان أبوك إبن العقائل كوثرا (إنحر] النحر خاص بالإبل ، وهو بمنزلة الذبح في البقر والغنم

[شانئك] الشأنيء المبغض من الشنآن بمعنى العداوة والبغض ، ومنه قوله تعالى : [ولا يجرمنكم شنآن قوم] أي بغضهم

[الأبتر] المنقطع عن كل خير ، من البتر وهو القطع يقال : بترت الشيء يعني قطعته ، والسيف الباتر : القاطع ، ويقال للذي لا نسل له أبتر ، لأنه إنقطع نسبه ، وسميت خطبة زيادة بالخطبة البتراء لأنه لم يحمد الله فيها ، ولم يصل على النبي الكريم .

التفسير :

[إنا أعطيناك الكوثر] الخطاب للرسول ، تكريما لمقامه الرفيع أي نحن أعطيناك يا محمد الخير الكثير ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدائم في الدنيا والآخرة ، ومن هذا الخير " نهر الكوثر " وهو كما ثبت في الصحيح (نهر في الجنة ، حافتاه من ذهب ، ومجراه على الدر والياقوت ، تربته أطيب من المسك ، وماؤه أحلىمن العسل ، وأبيض من الثلج ، من شرب منه شربة ، لم يظمأ بعدها ابدأ) وعن أنس قال : (بينا رسول الله(ص) ، ذات يوم بين أظهرنا ، إذ أغفى إغفاءة ، ثم رفع رأسه مبتسما فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : أنزلت على أنفا سورة ، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم [إنا أعطيناك الكوثر] السورة ، ثم قال : أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم قال : فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل ، فيه خير كثير ، هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة ، آنيته عدد النجوم ، فيختلج العبد - أى ينتزع ويقتطع - منهم فأقول : إنه من أمتي ! فيقال إنك لا تدري ما أحدث بعدك) قال أبو حيان : وذكر في الكوثر ستة وعشرون قولا ، والصحيح هو ما فسره به رسول الله (ص) فقال : (هو نهر في الجنة تربته أطيب من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المسك . .) الحديث . . وعن ابن عباس : الكوثر : الخير الكثير ((وما ذهب إليه ابن عباس من أنه الخير الكثير جامع لأقوال المفسرين ، فقد أعطي الرسول (ص) الفضائل الكثيرة العميمة ، أعطي النبوة ، والكتاب ، والحكمة ، والعلم ، والشفاعة ، والحوض المورود ، والمقام المحمود ، وكثرة الأتباع ، والنصر على الأعداء ، وكثرة الفتوحات ، إلى غير ما هنالك من الخيرات ، صلوات الله وسلامه عليه)) .

[فصل لربك وإنحر] أي فصل لربك الذي أفاض عليك ما أفاض ، من الخير خالصا لوجهه الكريم ، وإنحر الإبل التي هي خيار أموال العرب ، شكرا له على ما أولاك ربك ، من الخيرات والكرامات ، قال في التسهيل : كان المشركون يصلون مكاء وتصدية ، وينحرون للأصنام ، فقال الله لنبيه (ص) صل لربك وحده ، وإنحر لوجهه لا لغيره ، فيكون ذلك أمرا بالتوحيد والإخلاص

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[إن شانئك هو الأبتر] أي إن مبغضك يا محمد هو المنقطع عن كل خير ، قال المفسرون : لما مات " القاسم ، ابن النبي (ص) قال " العاص بن وائل " : دعوه فإنه رجل أبتر ، لا عقب له - أي لا نسل له - فإذا هلك إنقطع ذكره ، فأنزل الله تعالى هذه السورة ، وأخبر تعالى أن هذا الكافر هو الأبتر ، وإن كان له أولاد ، لأنه مبتور من رحمة الله - أي مقطوع عنها - ولأنه لا يذكر إلا ذكر باللعنة ، بخلاف النبي (ص) فإن ذكره خالد إلى آخر الدهر ، مرفوع على المآذن والمنابر ، مقرون بذكر الله تعالى ، والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أنصاره وأتباعه ، فهو كالوالد لهم ، صلوات الله وسلامه عليه) .

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البديع والبيان نوجزها فيما يلي :

1- صيغة الجمع الدالة على التعظيم [إنا أعطيناك] ولم يقل : أنا أعطيتك.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

2- تصدير الجملة بحرف التأكيد الجاري مجرى القسم [إنا] أي نحن.

3- صيغة الماضي المفيدة للوقوع [أعطيناك] ولم يقل سنعطيك لأن الوعد لما كان محققا عبر عنه بالماضي مبالغة ، كأنه حدث ووقع.

4-المبالغة في لفظة الكوثر.

5- الإضافة للتكريم والتشريف [فصل لربك] .

6- إفادة الحصر [إن شانئك هو الأبتر] .

7- المطابقة بين أول السورة وآخرها بين [الكوثر والأبتر] فالكوثر الخير الكثير ، والأبتر المنقطع عن كل خير.

سورة الكافرون

مكية وآياتها ست آيات

بين يدي السورة

* سورة الكافرون مكية ، وهي سورة (التوحيد) و(البراءة من الشرك) والضلال ، فقد دعا المشركون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسول الله (ص) ، إلى المهادنة ، وطلبوا منه أن يعبد آلهتهم سنة ، ويعبدوا إلهه سنة ، فنزلت السورة تقطع أطماع الكافرين ، وتفصل النزاع بين الفريقين : أهل الإيمان ، وعبدة الأوثان ، وترد على الكافرين تلك الفكرة السخيفة في الحال والاستقبال.

التفسير :

[قل يا أيها الكافرون] أي قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين يدعونك إلى عبادة الأوثان والأحجار

[لا أعبد ما تعبدون] أي لا أعبد هذه الأصنام والأوثان التي تعبدونها ، فأنا برىء من آلهتكم ومعبوداتكم ، التي لا تضر ولا تنفع ، ولا تغني عن عابدها شيئا ، قال المفسرون : إن قريشا طلبت من الرسول ، أن يعبد آلهتهم سنة ، ويعبدوا إلهه سنة ، فقال : معاذ الله أن نشرك بالله شيئا ، فقالوا : فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك ، فنزلت السورة ، فغدا رسول الله(ص) ، إلى المسجد الحرام ، وفيه الملأ من قريش ، فقام علئ رءوسهم فقرأها عليهم ، فأيسوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منه ، وآذوه وآذوا أصحابه ، وفي قوله [قل] دليل على أنه مأمور بذلك من عند الهع ، وخطابه (ص) لهم بلفظ [يا أيها الكافرون] ونسبتهم إلى الكفر - وهو يعلم أنهم يغضبون من أن ينسبوا إلى ذلك -دليل على أنه محروس من عند الله ، فهو لا يبالي بهم ولا بطواغيتهم

[ولا أنتم عابدون ما أعبد] أي ولا أنتم يا معشر المشركين ، عابدون إلهي الحق الذي أعبده ، وهو الله وحده ، فأنا أعبد الإله الحق ، وأنتم تعبدون الأحجار والأوثان ، فلا مساومة بيننا ولا وفاق

[ولا أنا عابد ما عبدتم] تأكيد لما سبق من البراءة من عبادة الأصنام ، وقطع لأطماع الكفار ، كأنه قال : لا أعبد هذه الأوثان في الحال ولا في الإستقبال ، فأنا لا أعبد ما تعبدونه أبدا ما عشت ، لا أعبد أصنامكم الآن ، ولا فيما يستقبل من الزمان

[ولا أنتم عابدون ما أعبد] أي ولا أنتم في المستقبل ، عابدون إلهي الحق الذي أعبده

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[لكم دينكم ولي دين] أي لكم شرككم ، ولي توحيدي ، وهذا غاية في التبرء من عبادة الكفار ، والتأكيد على عبادة الواحد القهار ، معنى الجملتين الأوليتين : الاختلاف التام في المعبود ، ومعنى الجملتين الأخيرتين : الاختلاف التام في العبادة ، كأنه قال : لا معبودنا واحد ، ولا عبادتنا واحدة ، فدينكم الكفر والإشراك ، وديني التوحيد والإخلاص

البلاغه :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البديع والبيان نوجزها فيما يلي :

1- الخطاب بالوصف [يا أيها الكافرون] للتوبيخ والتشنيع على أهل مكة.

2- طباق السلب [لا أعبد ما تعبدون] فالأول نفى والثاني إثبات.

3- المقابلة بين كل! من الجملتين الأوليين [لا أعبد ما تعبدون] [ولا أنتم عابدون ما أعبد] أي في الحال ، والمقابلة بين الجملتين الأخريين [ولا أنا عابد ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عبدتم] [ولا أنتم عابدون ما أعبد] أي في الاستقبال .
وهو من المحسنات البديعية.
4- توافق الفواصل في الحرف الأخير ، وهو من المحسنات البديعية.

سورة النصر

مدنية وآياتها ثلاث

بين يدي السورة

* سورة النصر مدنية ، هي تتحدث عن " فتح مكة " الذي عز به المسلمون ، وإنتشر الإسلام في الجزيرة العربية ، وتقلمت أظافر الشرك والضلال ، وبهذا الفتح المبين ، دخل الناس في دين الله ، وإرتفعت راية الإسلام ، وإضمحلت ملة الأصنام ، وكان الإخبار بفتح مكة قبل وقوعه ، من أظهر الدلائل على صدق نبوته ، عليه أفضل الصلاة والسلام.

التفسير :

[إذا جاء نصر الله والفتح] الخطاب لرسول الله (ص)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يذكره ربه بالنعمة والفضل عليه وعلى سائر المؤمنين ، والمعنى : إذا نصرك الله يا محمد على أعدائك ، وفتح عليك مكة (أم القرى) والإخبار بفتح مكة قبل وقوعه ، إخبار بالغيب ، فهو من أعلام النبوة ((قال القرطبي : " إذا " بمعنى قد أي قد جاء نصر الله لأن نزولها بعد الفتح)).

[ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا] أي ورأيت العرب يدخلون في الإسلام ، جماعات جماعات ، من غير حرب ولا قتال ، لأنه بعد فتح مكة صارت العرب تأتي من أقطار الأرض طائعة ، قال ابن كثير : إن أحياء العرب كانت تنتظر فتح مكة ، يقولون : إن ظهر على قومه فهو نبي ، فلما فتح الله عليه مكة ، دخلوا في دين الله أفواجا ، فلم تمض سنتان حتى استوثقت جزيرة العرب إيمانا ، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام

[فسبح بحمد ربك] أي فسبح ربك وعظمه بحمده على هذه النعم ، وأشكره على ما أولاك من النصر على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأعداء ، وفتح البلاد ، وإسلام العباد

[وإستغفره] أي أطلب منه المغفرة لك ولأمنك

[إنه كان توابا] أي إنه جل وعلا كثير التوبة ، عظيم الرحمة بعباده المؤمنين.

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البديع والبيان نوجزها فيما يلى :

1- ذكر الخاص بعد العام [نصر الله والفتح] نصر الله يشمل جميع الفتوحات فعطف عليه [فتح مكة] تعظيما لشأن هذا الفتح وإعتناء بأمره.

2- إطلاق العموم وإرادة الخصوص [ورأيت الناس] لفظ الناس عام والمراد به العرب ، سكان الجزيرة العربية.

3- الإضافة للتشريف [يدخلون في دين الله] أضافه إليه تشريفا وتعظيما ، كبيت الله ، وناقة الله ، لأنه الدين الحق.

4- صيغة المبالغة [إنه كان توابا] لأن صيغة " فعال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

" للمبالغة.

تنبيه :

هذه السورة الكريمة فيها نعي النبي ، ولهذا تسمى سورة " التوديع " وحين نزلت قال رسول الله (ص) لعائشة : ما أراه إلا حضور أجلي ، وقال ابن عمر : نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع ، ثم نزلت [اليوم أكملت لكم دينكم] الآية فعاش بعدهما النبي ، ثمانين يوما .

وفي هذه السورة الكريمة ، إشارة إلى دنو أجل النبي (ص) فقد روى الإمام البخاري عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال : إنه من علمتم ! ا فدعاني ذات يوم فأدخلني معهم - قال فما رأيت أنه دعاني إلا ليريهم - يعني مكانتي العلمية - فقال عمر : ما تقولون في قول الله تعالى [إذا جاء نصر الله والفتح] ؟ فقال بعضهم : أمرنا بأن نحمد الله ونستغفره ، إذا نصرنا وفتح علينا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا ، فقال لي : أكذا تقول يا ابن عباس ؟ قلت : لا ، قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله (ص) ، أعلمه إياه ، فقال [إذا جاء نصر الله والفتح] فذلك علامة أجلك [فسبح بحمد ربك وإستغفره إنه كان توابا] فقال عمر : والله ما أعلم منها إلا ما تقول.

سورة المسد

مكية وأياتها خمس أيات

بين يدي السورة

* سورة المسد مكية ، وتسمى سورة اللهب ، وسورة تبت ، وقد تحدثت عن هلاك " أبي لهب " عدو الله ورسوله ، الذي كان شديد العداوة لرسول الله(ص) ، ، يترك شغله ويتبع الرسول (ص) ، ليفسد عليه دعوته ، ويصد الناس عن الأيمان به ، وقد توعدته السورة في الآخرة ، بنار موقدة يصلاها ويشوى بها ، وقرنت زوجته به في ذلك ، واختصتها بلون من العذاب شديد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

، هو حبل من ليف تجذب به في النار ، زيادة في التنكيل والدمار.

اللغة :

[تبت] هلكت والتباب : الهلاك والخسران ، ومنه قوله تعالى [وما كيد فرعون إلا في تباب] وقال الشاعر : " فتبا للذي صنعوا "

[ذات لهب] ذات اشتعال وتلهب

[جيدها] عنقها ، قال إمرؤ القيس : وجيد كجيد الريم ليس بفاحش

[مسد] " ليف " قال الواحدي : المسد في كلام العرب : الفتل ، يقال مسد الحبل يمسده مسدا إذا أجاد فتله ، وكل شيء فتل من الليف والخوص فهو مسد

سبب النزول :

1- عن ابن عباس قال ؟ لما نزلت [وأنذر عشيرتك الأقربين] صعد النبي(ص) على الصفا ونادى : يا بني فهر ، يا بني عدي ، لبطون من قريش حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج ، أرسل رسولا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لينظر ما هو الخبر ، فاجتمعت قريش وجاء عمه " أبو لهب " فقالوا : ما وراءك ؟ فقال (ص) : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي ، تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ما جربنا عليك كذبا قط ، قال : [فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) فقال له أبو لهب : تبا لك يا محمد سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله [تبت يدا أبي لهب وتب] 00 السورة الكريمة . ب - وعن طارق المحاربي قال (بينا أنا بسوق ذي المجاز ، إذ أنا بشاب حديث السن ، يقول : أيها الناس قولوا " لا إله إلا الله تفلحوا " وإذا رجل خلفه يرميه ، قد أدمى ساقيه وعرقوبيه - يعني مؤخر القدم - يقول : يا أيها الناس إنه كذاب فلا تصدقوه ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا هذا (محمد) يزعم أنه نبي ، وهذا عمه " ابو لهب " يزعم أنه كذاب.

التفسير :

[تبت يدا أبى لهب] أي هلكت يدا ذلك الشقي [أبي لهب] وخاب وخسر وضل عمله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[وتب] أي وقد هلك وخسر ، الأول دعاء والثاني إخبار ، كما يقال : أهلكه الله وقد هلك ، قال المفسرون : التباب هو الخسار المفضي إلى الهلاك ، والمراد من اليد صاحبها ، على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله وجميعه ، وأبو لهب هو " عبد العزى بن عبد المطلب " عم النبي(ص) وإمرأته العوراء " أم جميل " أخت أبي سفيان ، وقد كان كل منهما شديد العداوة للرسول (ص) فلما سمعت إمرأته ما نزل في زوجها وفيها ، أتت رسول الله ، وهو جالس في المسجد عند الكعبة ، ومعه أبو بكر رضي الله عنه ، وفي يدها فهر - قطعة - من الحجارة ، فلما دنت من الرسول (ص) أخذ الله بصرها عنه ، فلم تر إلا أبا بكر ، فقالت يا أبا بكر : بلغني أن صاحبك يهجونى ، فوالله لو وجدته لضربت بهذا الحجر وجهه ، ثم أنشدت تقول : مذمما عصينا . وأمره أبينا . ودينه قلينا " ثم إنصرفت فقال أبو بكر يا رسول الله : أما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تراها رأتك ؟ قال : ما رأتني لقد أخذ الله بصرها عني ، وكانت قريش يسبون الرسول (ص) يقولون : مذمما بدل " محمد " وكان يقول صلوات الهن عليه : ألا تعجبون كيف صرف الله عني أذى قريش ؟ يسبون ويهجون مذمما وأنا محمدا ! ؟ قال الخازن : فإن قلت : لم كناه وفي التكنية تشريف وتكرمة ؟ فالجواب من وجوه : أحدها : أنه كان مشتهرا بالكنية دون الإسم ، فلو ذكره بإسمه لم يعرف ، الثاني : أنه كان إسمه " عبد العزى " فعدل عنه إلى الكنية لما فيه من الشرك - لأن العزى صنم فلم تضف العبودية إلى صنم -
الثالث : أنه لما كان من أهل النار ، ومآله إلى النار ، والنار ذات لهب ، وافقت حاله كنيته وكان جديرابأن يذكر بها

[ما أغنى عنه ماله وما كسب] أي لم يفده ماله الذي جمعه ، ولا جاهه وعزه الذي إكتسبه قال ابن عباس [وما كسب] من الأولاد ، فإن ولد الرجل من كسبه . . روي أن الرسول (ص) ، لما دعا قومه إلي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإيمان ، قال أبو لهب : إن كان ما يقول ابن أخي حقا ، فإني أفتدي نفسي من العذاب بمالي وولدي فنزلت .
قال الألوسي : كان لأبي لهب ثاثة أبناء " عتبة " و " منتب " و " عتيبة " وقد أسلم الأولان يوم الفتح ، وشهدا حنينا والطائف ، وأما " عتيبة " فلم يسلم ، وكانت " أم كلثوم " بنت رسول الله (ص)عنده ، وأختها " رقية " عند أخيه عتبة ، فلما نزلت السورة قال أبو لهب لهما : رأسي ورأسكما حرام إن لم تطلقا إبنتي محمد ، فطلقاهما ولما أراد " عتيبة " بالتصغير
الخروج إلى الشام مع أبيه قال : لآتين محمدا وأوذينه ، فأتاه فقال يا محمد : إني كافر بالنجم إذا هوى ، وبالذي دنا فتدلى ، ثم تفل أمام النبي(ص) وطلق إبنته " آم كلثوم " فغضب (ص) ودعا عليه فقال : (اللهم سلط عليه كلبا من كلابك) فافترسه الأسد ، وهلك أبو لهب بعد وقعة بدر بسبع ليالي ، بمرض معد!
كالطاعون يسمى (العدسة) وبقي ثلاثة أيام حتى أنتن ، فلما خافوا العار ، حفروا له حفرة ودفعوه إليها بعمود

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من خشب ، حتى وقع فيها ثم قذفوه بالحجارة حتى واروه ، فكان الأمر كما أخبر به القران

[سيصلى نارا ذات لهب] أي سيدخل نارا حامية ، ذات إشتعال وتوقد عظيم ، هي نار جهنم

[وإمرأته حمالة الحطب] أي وستدخل معه نار جهنم ، إمرأته العوراء " أم جميل " التي كانت تمشى بالنميمة بين الناس ، وتوقد بينهم نار العداوة والبغضاء ، قال أبو السعود : كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك ، فتنثرها بالليل في طريق النبي (ص) لإيذائه ، وقال ابن عباس : كانت تمشي بالنميمة بين الناس لتفسد بينهم

[في جيدها حبل من مسد] أي في عنقها حبل من ليف ، قد فتل فتلا شديدا ، تعذب به يوم القيامة ، قال مجاهد : هو طوق من حديد ، وقال ابن المسيب : كانت لها قلادة فاخرة من جوهر ، فقالت : واللات والعزى لأنفقنها في عداوة محمد ، فأعقبها الله منها حبلا في جيدها من مسد النار).) " * "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البديع والبيان نوجزها فيما يلي :

1- المجاز المرسل [يدا أبى لهب] أطلق الجزء وأراد الكل أي هلك أبو لهب.

2-الجناس بين [أبى لهب] وبين قوله [نارا ذات لهب] فالأول كنية ، والثاني وصف للنار.

3- الكنية للتصغير والتحقير [أى لهب] فليس المراد تكريمه بل تشهيره ، كأبي جهل .

4- الإستعارة اللطيفة [حمالة الحطب] مستعار للنميمة وهي إستعارة مشهورة قال الشاعر : " ولم يمش بين الحى بالحطب الرطب.

5-الاختصاص بالنصب على الشتم والذم [وإمرأته حمالة الحطب] أي أخص بالذم حمالة الحطب ، وهذا من أساليب العرب ، ينصبون المفعول على المدح ، أو الذم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

6-توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات ، وهو من المحسنات البديعية (لهب ، كسب ، حمالة الحطب) إلى آخره.

سورة الإخلاص

مكية وأياتها أربع أيات

بين يدي السورة

* سورة الإخلاص مكية ، وقد تحدثت عن صفات الله جل وعلا الواحد الأحد ، الجامع لصفات الكمال ، المقصود على الدوام ، الغني عن كل ما سواه ، المتنزه عن صفات النقص ، وعن المجانسة والمماثلة ، وردت على النصارى القائلين بالتثليث ، وعلى المشركين الوثنئين ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، الذين جعلوا لله الذرية والبنين.

اللغة :

[الصمد] السيد المقصود في قضاء الحاجات ، قال الشاعر : ألا بكر الناعي بخير بني أسد بعمرو بن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مسعود وبالسيد الصمد

[كفوا] الكفء : النظير والشبيه قال أبو عبيدة : يقال : كفو ، وكفء ، وكفاء كلها بمعني واحد وهو المثل والنظير.

سبب النزول :

روي أن بعض المشركين جآءوا إلي رسول الله ، فقالوا : يا محمد صف لنا ربك ، أمن ذهب هو ، أم من فضة ، أم من زبرجد ، أم من ياقوت ؟! فنزلت [قل هو الله أحد . . الله الصمد . .] السورة الكريمة.

التفسير :

[قل هو الله أحد] أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين المستهزئين : إن ربي الذي أعبده ، والذي أدعوكم لعبادته ، هو واحد أحد ، لا شريك له ، ولا شبيه له ولا نظير ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، فهو جل وعلا إله ولحد أحد ، ليس كما يزعم النصارى ويعتقدون بالتثليث (الأب ، والإبن ، وروح القدس) ولا كما يعتقد المشركون بتعدد الآلهة ، قال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في التسهيل : واعلم أن وصف الله تعالي بالواحد ، له ثلاثة معانى ، كلها صحيحة في حقه تعالى : الأول : أنه واحد لا ثاني معه فهو نفى للعدد ، والثاني : أنه واحد لا نظير ولا شريك له ، كما تقول : فلان واحد في عصره أي لا نظير له ، والثالث : أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعض ، والمراد بالسورة نفي الشريك ، ردا على المشركين ، وقد أقام الله في القرآن براهين قاطعة على وحدانيته تعالي ، وذلك كثير جدا ، وأوضحها أربعة براهين : الأول ؟ قوله تعالي [أفمن يخلق كمن لا يخلق ، ؟ - وهذا دليل الخلق والإيجاد - فإذا ثبت أن الله تعالى خالق لجميع الموجودات ، لم يصح أن يكون واحد منها شريكا له والثاني : قوله تعالى [لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا] - وهو دليل الإحكام والإبداع - الثالث : قوله تعالى [لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلي ذي العرش سبيلا] - وهو دليل القهر والغلبة - والرابع : قوله تعالى [ما إتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ، إذا لذهب كل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض] - وهو دليل التنازع والإستعلاء ثم أكد تعالى وحدانيته وإستغناءه عن الخلق

[الله الصمد] أي هو جل وعلا ، المقصود في قضاء الحوائج على الدوام ، يحتاج إليه البشر ، وهو مستغن عن العالمين ، قال الألوسى : الصمد السيد الذي ليس فوقه أحد ، الذي يصمد إليه - أي يلجأ إليه - الناس في حوائجهم وأمورهم

[لم يلد] أي لم يتخذ ولدا ، وليس له أبناء وبنات ، فكما هو متصف بالكمالات ، فإنه منزه عن النقائص ، قال المفسرون : في الآية رد على كل من جعل لله ولدا . كاليهود في قولهم [عزير ابن الله] والنصارى في قولهم (المسيح ابن الله] ((يعتقد النصارى بأن الإله ثلاثة أقانيم " الآب ، والابن ، وروح القدس " وهي عقيدة التثليث التى أشار إليها القرآن الكريم بقوله : {لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من إله إلا إله واحد} الآية ويعتقدون بأن الثلاثة واحد ، والواحد ثلاثة ، والجنون فنون ، ويزعمون أنهم موحدون ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا))

ومشركي العرب في زعمهم الكاذب أن [الملائكة بنات الله] فرد الله تعالى على الجميع ، في أنه ليس له ولد ، لأن الولد لابد أن يكون من جنس والده ، والله تعالي أزلي قديم ، ليى كمثله شيء ، فلا يمكن أن يكون له ولد ، ولأن الولد لا يكون إلا لمن له زوجة ، والله تعالى ليس له زوجة ، وإليه الإشارة بقوله تعالى [بديع السموات والأرض أنى يكون لهولم تكن له صاحبة] ؟

[ولم يولد] أي ولم يولد من أب ولا أم ، لأن كل مولود حادث ، والله تعالى قديم أزلي ، فلا يصح أن يكون مولودا ولا أن يكون له والد ، وقد نفت الآية عنه تعالى إحاطة النسب من جميع الجهات ، فهو الأول الذي لا إبتداء لوجوده ، القديم الذي كان ولم يكن معه شيء غيره

[ولم يكن له كفوا أحد] أي وليس له جل وعلا مثيل ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا نظير ، ولا شبية ، أحد من خلقه ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا فى أفعاله [ليس كمثله شيء وهو السميع البصير] قال ابن كثير : هو مالك كل شيء وخالقه ، فكيف يكون له من خلقه نظيز يساميه ، أو قريب يدانيه ؟ تعالى وتقدس وتنزه ، وفي الحديث القدسي (يقول الله عز وجل : كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون على من إعادته ، وأما شتمه إياي فقوله : إتخذ الله ولدا ، وأنا الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد).

البلاغه :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البديع والبيان نوجزها فيما يلي :

1- ذكر الإسم الجليل بضمير الشأن [قل هو] للتعظيم والتفخيم.

2- تعريف الطرفين [الله الصمد] لإفادة التخصيص.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

3- الجناس الناقص [لم يلد] [ولم يولد] لتغير الشكل وبعض الحروف.

4- التجريد فإن قوله تعالى [قل هو الله أحد] يقتضي نفي الكفء والولد ، وقوله [ولم يكن له كفوا أحد] هو تخصيص الشيء بالذكر بعد دخوله في العموم ، وذلك زيادة في الإيضاح والبيان.

5-السجع المرصع وهو من المحسنات البديعية [قل هو الله أحد5الله الصمد]

لطيفة :

هذه السورة الكريمة مؤلفة من أربع آيات ، وقد جاءت في غاية الإيجاز والإعجاز ، وأوضحت صفات الجلال والكمال ، ونزهت الله جل وعلا عن صفات العجز والنقص ، فقد أثبتت الآية الأولى الوحدانية ونفت التعدد [قل هو الله أحد] وأثبتت الثانية كماله تعالى ونفت النقص والعجز [الله الصمد] وأثبتت الثالثة أزليته وبقاءه ونفت الذرية والتناسل [لم يلد ولم يولد] وأثبتت الرابعة عظمته وجلالة ونفت الأنداد والأضداد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ولم يكن له كفوا أحد] فالسورة إثبات لصفات الجلال والكمال ، وتنزيه للرب بأسمى صور التنزيه عن النقائص والقبائح.

فائدة :

روي عن النبي (ص) أنه قال : (من قرأ [قل هو الله أحد] فكأنما قرأ ثلث القرآن) قال العلماء : وذلك لما تضمنته من المعاني والعلوم والمعارف ، فإن علوم القرآن ثلاثة : " توحيد ، وأحكام ، وقصص " وقد إشتملت هذه السورة على التوحيد ، فهي ثلث القرآن بهذا الإعتبار ، وقيل : إن ذلك في الثواب أي لمن قرأها من الأجر مثل أجر من قرأ ثلث القرآن ، والله أعلم.

سورة الفلق

مكية وآياتها خمس آيات

بين يدي السورة

* سورة الفلق مكية ، وفيها تعليم للعباد أن يلجأوا إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حمى الرحمن ، ويستعيذوا بجلاله وسلطانه ، من شر مخلوقاته ، ومن شر الليل إذا أظلم ، لما يصيب النفوس فيه من الوحشة ، ولإنتشار الأشرار والفجار فيه ، ومن شر كل حاسد وساحر ، وهي إحدى المعوذتين اللتين كان (ص) يعوذ نفسه بهما.

اللغة :

[الفلق] الفلق : الصبح تقول العرب : هو أبين من فلق الصبح ، وأصله من فلق الشيء أي شققته ، فكل ما إنفلق من شيء ، من حيوان ، وحب ، ونوى ، فهو فلق ، ومنه " فالق الإصباح " ، قال ذو الرمة : " حتى إذا ما انجلى عن وجهه فلق " أي انجلى الصبح عن وجهه "

[غاسق] الغاسق : الليل إذا إشتد ظلامه ، والغسق أول ظلمة الليل يقال : غسق الليل أي أظلم ، قال الشاعر : إن هذا الليل قد غسقا وإشتكيت الهم والأرقا

[وقب] دخل بظلامه ، والوقوب : الدخول

[النفاثات] النفث : شبه النفخ دون تفل بالريق ، فإذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كان معه ريق فهو التفل ، قال عنترة : فان يبرا فلم أنفث عليه وإن يفقد فحق له الفقود

التفسير :

[قل أعوذ برب الفلق] أي قل يا محمد إلتجىء وأعتصم برب الصبح ، الذي ينفلق عنه الليل ، وينجلي عنه الظلام ، قال ابن عباس : [الفلق] الصبح كقوله تعالى [فالق الإصباح] وفي أمثال العرب : هو أبين من فلق الصبح ، قال المفسرون : سبب تخصيص الصبح بالتعوذ ، أن إنبثاق نور الصبح بعد شدة الظلمة ، كالمثل لمجيء الفرج بعد الشدة ، فكما أن الإنسان يكون منتظرا لطلوع الصباح ، فكذلك الخائف يترقب مجىء النجاح

[من شر ما خلق] أي من شر جميع المخلوقات ، من الإنس ، والجن ، والدواب ، والهوام ، ومن شر كل مؤذ خلقه الله تعالى

[ومن شر غاسق إذا وقب] أي ومن شر الليل إذا أظلم ، وإشتد ظلامه ، فإن ظلمة الليل ينتشر عندها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أهل الشر من الإنس والجن ، ولهذا قالوا في المثل : (الليل أخفى للويل) ، قال الرازي : وإنما أمر أن يتعوذ من شر الليل ، لأن في الليل تخرج السباع من آجامها ، والهوام من مكانها ، ويهجم السارق والمكابر ، ويقع الحريق ، ويقل فيه الغوث

[ومن شر النفاثات في العقد] أي ومن شر السواحر اللواتي يعقدن عقدا في خيوط ، وينفثن - أي ينفخن - فيها ليضروا عباد الله بسحرهن ، ويفرقوا بين الرجل وزوجه [وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله] قال في البحر : وسبب نزول المعوذتين قصة " لبيد بن الأعصم " الذي سحر رسول الله(ص) ، في مشط ومشاطة وجف - قشر الطلع -طلعة ذكر ، ووتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة ، مغروز بالإبر ، فأنزلت عليه المعوذتان ، فجعل كلما قرأ آية إنحلت عقدة ، ووجد في نفسه خفة(ص) ، حتى إنحلت العقدة الأخيرة فقام فكأنما نشط من عقال

[ومن شر حاسد إذا حسد] أي ومن شر الحاسد الذي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يتمنى زوال النعمة عن غيره ، ولا يرضى بما قسمه الله تعالى له ، وإنما اختصت هذه الأمور الأربعة بالإستعاذة ، لأمر أهم الذنوب التي ينبغي التحذير منها ، وهي المهلكة للإنسان ، وهي من الكبائر (الإضرار بالخلق ، والسعى بالإفساد في الأرض ، والسحر ، والحسد) وكفى بها جرائم ، ينبغي أن يستعيذ منها المؤمن !

البلاغة :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البديع والبيان نوجزها فيما يلي :

1- الجناس الناقص بين [فلق] و[خلق).

2- الإطناب بتكرار الإسم [شر] مرات في السورة [من شر ما خلق] [ومن شر غاسق] [ومن شر النفاثات] إلخ تنبيها على شناعة هذه الأوصاف.

3- ذكر الخاص بعد العام للإعتناء بالمذكور [من شر ما خلق] فإنه عموم يدخل تحته شر الغاسق ، وشر النفاثات ، وشر الحاسد.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

4- جناس الإشتقاق بين [حاسد] و[حسد).

5- توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات.

سورة الناس

مكية وآياتها ست آيات

بين يدي السورة

* سورة الناس مكية ، وهي ثاني المعوذتين ، وفيها الإستجارة والإحتماء برب العالمين ، من شر أعدى الأعداء ، إبليس وأعوانه من شياطين الإنس والجن ، الذين يغوون الناس بأنواع الوسوسة والإغواء.

* وقد ختم الكتاب العزيز بالمعوذتين وبدىء بالفاتحة ، ليجمع بين حسن البدء ، وحسن الختم ، وذلك غاية الحسن والجمال ، لأن العبد يستعين بالله ويلتجىء إليه ، من بداية الأمر إلى نهايته.

اللغة :

[الوسواس] الشيطان الموسوس ، مشتق من الوسوسة وهي الكلام الخفي وحديث النفس قال الأعشى : "

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تسمع للحلي وسواسا إذا انصرفت [الخناس] الذي عادته أن يخنس أي يتوارى ويختفى ويتأخر ، يقال : خنس الظبي إذا اختفى ، وسمي الشيطان (خناسا) لأنه يتوارى ويختفي إذا ذكر العبد ربه ، فإذا غفل عن ذكر الله ، عاد فوسوس له ، والخنوس : التأخر

[الجنة] بكسر الجيم الجن جمع جنى ، وبضم الجيم الوقاية وفي الحديث (الصوم جنة) أي وقاية من عذاب الله .

التفسير :

[قل أعوذ] أي قل يا محمد إتصم وإلتجىء وإستجير

[برب الناس] أي بخالق الناس ، ومربيهم ، ومدبر شئونهم ، الذي أحياهم وأوجدهم من العدم ، وأنعم عليهم بأنواع النعم ، قال المفسرون : إنما خص الناس بالذكر - وإن كان جلت عظمته رب جميع الخلائق - تعريفا وتكريما لهم ، من حيث إنه تعالى سخر لهم ما في الكون ، وأمدهم بالعقل والعلم ، وأسجد لهم ملائكة قدسه ، فهم أفضل المخلوقات على الإطلاق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

[ملك الناس] أي مالك جميع الخلق ، حاكمين ومحكومين ، ملكا تاما شاملا كاملا ، يحكمهم ، ويضبط أعمالهم ، ويدبر شئونهم ، فيعز ويذل ، ويغني ويفقر

[إله الناس] أي معبودهم الحق الذي لا رب لهم سواه ، قال القرطبي : وإنما قال [ملك الناس إله الناس] لأن في الناس ملوكا فذكر أنه ملكهم ، وفي الناس من يعبد غيره ، فذكر إنه إلههم ومعبودهم ، وأنه الذي يجب إن يستعاذ به ويلجأ إليه ، دون الملوك والعظماء ، وترتيب السورة بهذا الشكل فى منتهى الإبداع ، وذلك لأن الإنسان أولا يعرف أن له ربا ، لما يشاهده من أنواع التربية [رب الناس] ثم إذا تأمل عرف أن هذا الرب متصرف في خلقه ، غني عن خلقه فهو الملك لهم [ملك الناس] ثم إذا زاد تأمله عرف أنه يستحق أن يعبد ، لأنه لا عبادة إلا للغني عن كل ما سواه ، المفتقر إليه كل ما عداه [إله الناس] وإنما كرر لفظ الناس ثلاثا ولم يكتف بالضمير ، لإظهار

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شرفهم وتعظيمهم والإعتناء بشأنهم ، كما حسن التكرار في قول الشاعر : لا أرى الموت يسبق الموت شيء نغص الموت ذا الغنى والفقيرا قال ابن كثير : هذه ثلاث صفات من صفات الرب عز وجل " الربوبية " و " الملك " و " الإلهية " فهو رب كل شيء ومليكه ، وإلهه ، وجميع الأشياء مخلوقة ومملوكة له ، فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات

[من شر الوسواس] أي من شر الشيطان الذي يلقي حديث السوء في النفس ، ويوسوس للإنسان ليغريه بالعصيان

[الخناس] الذي يخنس أي يختفي ويتأخر إذا ذكر العبد ربه ، فإذا غفل عن الله ، عاد فوسوس له ، وفي الحديث (إن الشيطان واضع خطمه - أنفه - على قلب ابن آدم ، فاذا ذكر الله خنس ، وإذا نسي الله التقم قلبه فوسوس)

[الذى يوسوس في صدور الناس] أي الذي يلقي لشدة خبثه في قلوب البشر ، صنوف الوساوس والأوهام ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال القرطبي : ووسوسته هو الدعاء لطاعته بكلام خفي ، يصل مفهومه إلى القلب ، من غير سماع صوت [من الجنة والناس]

[من الجنة والناس] بيانية أي هذا الذي يوسوس في صدور الناس ، هو من شياطين الجن والإنس ، كقوله تعالى [شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا] ، فالآية إستعاذة من شر الإنس والجن جميعا ، ولا شك أن شياطين الإنس ، أشد فتكا وخطرا من شياطين الجن ، فإن شيطان الجن يخنس بالإستعاذة ، وشيطان الإنس يزين لصاحبه الفواحش ، ويغريه بالمنكرات ، ولا يثنيه عن عزمه شيء ، والمعصوم من عصمه الله .

البلاغه :

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البديع والبيان نوجزها فيما يلي :

1 - الإضافة للتشريف والتكريم [أعوذ برب الناس]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي الآيتين بعدها.

2- الاطناب بتكرار الإسم [رب الناس ، ملك الناس ، إله الناس] زيادة قي التعظيم لهم ، والإعتناء بشأنهم ، ولو قال " ملكهم ، إلههم " لما كان لهم هذا الشأن العظيم.

3- الطباق بين [الجنة] و[الناس] .

4- جناس الإشتقاق [يوسوس . . والوسواس] ثم ما في السورة من الجرس الموسيقي ، الذي يفضل الألحان بعذوبة البيان ، وذلك من خصائص القرآن.

تنبيه :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : " كان رسول الله (ص) إذا أوى إلى فراشه جمع كفيه ونفث فيهما وقرأ [قل هو الله أحد] والمعوذتين ، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ برأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاثا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com